المجلس الأعلى للغة العربية

التعدد اللساني واللغة الجامعة

الجزء الاول

2014

- **كتاب:**
- **إعداد:**
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:**

الإيداع القانوني:
رادمك:

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرونكلين روزفلت – الجزائر
ص. ب: 575 الجزائر _ ديدوش موراد
الهاتف: 021.23.07.24/25
الفاكس: 021.23.07.07

*** كلمة د.محمد العربي ولد خليفة**

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية*

في افتتاح الندوة الدولية "التعدد اللساني واللغة الجامعة"

أصحاب المعالي والسعادة والفضيلة

السيدات والسادة العلماء الكرام

أيها الجمع الموقر

أرحب بكم جميعا وأشكركم على قَبول الدعوة للمشاركة في هذه الندوة التي حظيت برعاية فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، وتجمع نخبةً من أهل الاختصاص في شؤون اللسان وشجونه ودراية بسبل تدبيره حول قطب جامع هو العربية الفصحى أو الوسيطة الحديثة والحرْص على تخطيط وظائف اللغات الأخرى التي تدور حول ذلك القطب ولا تزاحمه أو تطغى عليه سواء أكانت لغات الأم بتراثها التاريخي المشترك أم كانت أجنبية تستفيد منها اللغة الجامعة في كثير من مجالات البحث العلمي والاتصال والتواصل مع الموكب الذي يقود التقدمَ وحداثة العصر، وهناك مؤشرات تدعو للتفاؤل بمستقبل العربية، فقد تضاعف عددُ مستعمليها في الشابكة أو الأنترنيت عشرات المرات خلال العقد الأول من هذا القرن، وهي في الجزائر اللغة الأولى الأكثر تداولا في وسائل الاتصال الاجتماعي بين الشباب، ويرجع ذلك إلى المدرسة الجزائرية وجهود الدولة للنشر الأفقي للتعليم بسخاء كبير والإصلاح المتواصل لأدائه.

السيدات والسادة الأساتذة الأفاضل

أيها الجمع الموقر

تحتل العربيةُ المرتبةَ السادسة بين اللغات الأكثر تداولا في العالم، ويزيد عدد الناطقين بها داخل أوطانها على 300 مليون نسمة، ونعرف أنها من اللغات

الرسمية في بعض المحافل الدولية مثل منظمة الأمم المتحدة واليونسكو، ويزيد تراثها العلمي والأدبي حتى القرن الرابع عشر على مجموع ما أنتجته الحضارتان الهلينية باليونانية القديمة والرومانية باللاتينية الذي يحتاج إلى ترجمة إلى اللغات المتفرّعة عن اللغة اللاتينية، بينما يمكن الأطلاع على تراث العربية من العصر الجاهلي، وعلى كل ما أنتجته الحضارةُ العربية والإسلامية لأكثر من ألف عام، ضاع الكثيرُ منه، أو أنتقل إلى خزائن خارج المنطقة.

لقد أرتبطت العربية بالقرآن وعلومه وهي اللغة الوحيدة التي لها نصٌّ مقدس واحد ومحل إجماع المنتمين إلى الدين الحنيف، تمّ بفضله توحيد لهجاتها في فصحى واحدة وموحّدة للناطقين بها لغة أولى في أوطانها أو لغة ثانية بين الشعوب الإسلامية، ولا بد أن نشير إلى أن المسيحيينَ العرب ساهموا بجهد كبير في خدمة العربية وخاصة بالسبق في وضع المعاجم والقواميس، وبالترجمة وتحْديث لغة الصحافة، كما قدم علماء الاستشراق خدمات هامة للعربية وتراثها ، بعضها لأهداف علمية، وبعضها الآخر لأغراض أخرى.

أيها السادة الأفاضل

لقد تحالفت ضد العربية في عصرها الوسيط والراهن ثلاثةُ عوامل عطّلت تقدمَها وأضعفت إشعاعَها وأفقرت رصيدَها الإبداعي في العلوم والفنون والآداب، **أولها** ما حاق بأهلها من تخلف وجمود وفتن، **والعامل الثاني** يرجع إلى الغزو والاحتلال الكولونيالي الذي أستفاد من حالة الضعف وزاد من استفحالها وغرس عقد النقص والدّونية والتقبل الطوعي للتبعية، أما **ثالث العوامل** فهو تخاذل وغفلة الكثير من نخبها وأولي الأمر في أوطانها عن تحريك الإرادات وإطلاق النهضة التي تحرر العقلَ وتطور مجتمعاتِنا بقيادة نخب عالمة تبنى مجتمعَ المعرفة والحرية والتنمية الحقيقية.

لقد أثبتت تجارب الأمم القديمة والمعاصرة أن تحقيق التنمية والتقدم العلمي والتكنولوجي والحد من التبعية يتطلب أستيعابَ المعرفة وتوطينها والإبداع فيها

باللغة الوطنية الجامعة، حتى ولو كان عددُ مستعمليها قليلا، وما حققته كوريا الجنوبية وفيلندة وإسرائيل على سبيل المثال يؤكد المقولة السابقة.

نصِف العربية باللغة الجامعة بحكم حضورها التاريخي وتقبلها الطوْعي بين الأغلبية من ساكنة المنطقة العربية، إن أُعتبارَها في مجالها الطبيعي لغة وطنية ورسمية، ليس أكثر من ممارسة للديموقراطية اللسانية كما هو الحال في كثير من بلدان العالم التي لا يصل فيها الجدلُ حول قضايا اللغة الرسمية إلى إنْكار دورها وأهميتها في إسناد التجانس المجتمعي والثقافي، يسمي البعض ذلك الحرص بالأستثناء الثقافي للتغطية على اليعقوبية وإضعاف التنوع اللساني وفرْض أحادية لغوية مستبدة، وهو ما تتحاشاه لغتُنا الجامعة.

السادة الأفاضل

اللغة ظاهرة اجتماعية لا تنفصل عن واقع الأمة التي تستعملها ومنزلتها من حيث ثوابت القوّة في عصرها، وما حققته من تراكم معرفي يدافع عن أمجادها ويعلي من مكانتِها في موكب الأمم، وإذا كان للعربية مساهمات حضارية لا ينكرها إلا جاحد، فإن ما قدمته في السابق ليس هو المعرفة كما هي عليه اليوم.

وإذا تعلق الأمر بالجزائر وهي البلد العربي المغاربي الأول الذي تعرض لمحنة الاحتلال الاستيطاني الذي أقصى العربيةَ وأعتبرها لغة أجنبية وفرض الفرنسية لغة رسمية – وهي لغة أقليةٍ من الغزاة الأروبيين القادمين من وراء البحر– فرضها في الإدارة والتجارة والتعليم والإعلام، وبهدف أستبْعاد الفصحى سعى إلى تعويضها بالعاميات في المدارس القليلة التي لم يتخرج منها سنة 1954 سوى 12.4% من الجزائريين، الكثير منهم لم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي، والقلة منهم درسوا بالفرنسية إلى جانب العربية، والجدير بالذكر أن الفرنسية كانت سلاحا في يد قسم من النخب الوطنية للدفاع عن حق الشعب الجزائري في الحرية والكرامة على العكس مما خططت له سلطاتُ الاحتلال وخبراؤه، ولا زال بعض النوستالجيين يراهنون على تفعيله.

والحقيقة أنه لولا جهود الزوايا والكتاتيب التي كانت أشبه بمخابئ وحصون للإسلام والعربية، ثم نضالات الحركة الوطنية، وخاصة حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لما بقي في الجزائر سوى عاميات مشوّهة وهجينة تذكر بأسطورة برج بابل، ومن المؤسف أن تعود الدعوة إلى العاميات المحلية عندنا وفي كثير من بلداننا كبديل عن الفصحى في خصومة وأحيانا عداء للغة الجامعة المكتوبة، ومن المفارقة أن وسائل الاتصال المرئية والمسموعة في البلدان الأجنبية تستعمل الفصحى لتبليغ رسائلها إلى المنطقة العربية منذ أمد بعيد، بينما يصفها البعضُ في بلداننا باللغة المحنّطة أو الميتة، وكأن اللغات الأخرى بما فيها أكثرها ٱنتشارا ليس لها عاميات، وكأن شعوبا بأكملها من العلماء والأدباء وفقهاء اللغة.

لقد لحق بالعربية الكثيرُ من التلوّث والتهجين يزيد كثيرا عما كان عليه الحال قبل التحرير من الحماية والاحتلال، وقد أساء ذلك إلى متْنها وجمالياتها التعبيرية في الخطاب اليومي وفي بعض وسائط الإعلام، وهو أمر يختلف عن الاقتراض الطبيعي بين اللغات، فلا وجود لنقاء لساني محض، وخاصة في حوض المتوسط الذي كان ولا يزال من الساحات الكبرى للتبادل والتعارف والصراع منذ أقدم العصور وإلى اليوم.

السادة الحضور الكرام

بالنظر إلى واقع الأمس في الجزائر، يمكن القول بموضوعية أن العربية ٱستعادت الكثير من مواقعها الطبيعية، فهي لغة التدريس في كل مراحل النظام التربوي وفي عدد من مرافق الإدارة، وهي اللغة الوحيدة المعتمدة في الوثائق الرسمية التي توقّعُ بٱسم الدولة إلخ...ولا يزال أمامها أشواط لتشمل كلَّ مرافق الإدارة العمومية، وبوجه خاص بعض المعاهد وكليات العلوم والتكنولوجيا والعلوم الطبية، وعلى الأخص النشر بها في المجلات العلمية المحكّمة على المستوى الدولي، وظهور مجموعة علمية من أعلى طراز في مختلف مجالات البحث

والاٌختراع، تعيد الثقة في العربية لغة للعلم والإبداع، كما كان حالُها في "دار الحكمة" في بغداد وقرطبة الأندلس ومنارات الحضارة الإسلامية الأخرى.

لقد تمت دسترة الأمازيغية لغة وطنية بمبادرة من السيد رئيس الجمهورية سنة 2002 إلى جانب العربية اللغة الرسمية المشتركة والجامعة لكل المواطنين، وعلى أي حال فإن كلا من العربية والأمازيغية هما لسان وتراث وليسا عرقا أو سلالة، فكل الجزائريين بل كل الفضاء المغاربي تعرّب بفضل الإسلام وأصبحت العربية لسانَهم الجامع مهما كانت لغة الأم، ولا يوجد في بلادنا سوى عدد قليل ممن لا يستعملون العربية في حياتهم اليومية، والبعض منهم لا يرغبون في اٌستعمالها لأسباب ذاتية وإيديولوجية، وأحيانا بتحريض من مركز الفرانكوفونية الذي يعاني من اٌكتساح الانكليزية في عقر داره.

السيدات والسادة

إن التعددية اللغوية ثروة ينبغي الحرْص عليها، إذا كانت تدور حول اللغة القطب، ولا تزاحمها أو تنزع عنها وظيفتها الجامعة، وقد كان هذا شأنُ العرب والمسلمين في عصرهم الزاهر، فقد كانت مجامع العلم من ثنائي وثلاثي اللغة وإتقان لغات الحضارات الأخرى مثل فارس واليونان والهند هو الذي مكّنهم من نقل تراثها وتوطينه بالعربية الفصحى المشتركة وأوصلوه إلى أروبا بعد أن أضافوا إليه الكثيرَ، وصنعوا بذلك حداثة عصرهم بالتفوّق في كثير من العلوم، ومنها علوم اللّسان، واٌبتكار المناهج، وليست بالتفاخر اللفظي والرِّثاء.

إن اللغة الجامعة لا تقصي اللغاتِ الأخرى، ونحن نعمل في هذه الهيئة لتكون العربية لغة جاذبة وليست طاردة، فهي من أُسس الهوية الفردية والجماعية، ولعلها من أهم، إن لم يكن من آخر ما يجمع شعوب المنطقة، ومن هذا المنظور يعمل المجلسُ وفْق منهجية علمية بمنأًى عن أدْلجة اللغة ويسعى في كل منابره وندواته بتشجيع من فخامة رئيس الجمهورية لفتح حوار ديموقراطي حول كل

القضايا التي تشغل الرأيَ العام الثقافي والعلمي كما تشهد على ذلك مدوّناته ودليل وثائقه المسجلة والمنشورة.

نحن بلا شك في حاجة إلى إتقان لغاتِ البلدان المتقدمة والاستفادة من ذخائرها في العلوم والفنون والتكنولوجيات لتدارك الفجْوة التي تفصلنا عنها ووضع تخطيط وسياسة للغات الأجنبية تضمن قطبية العربية بلا ضرائر من الداخل، وتساعد على نقل المفيد والجيد من تراثها العلمي والأدبي الذي يتزايد بسرعة هائلة، ولا شك أن نقلَ ما تراكم منه إلى العربية أمر حيوي لانْعاش الفكر العلمي والإبداعي، فالترجمة هي الأكسجين الذي يثري ثقافتنا وينمّي رصيدها، وخاصة في مجالات البحث العلمي والتعليم العالي، فنقص المراجع بالعربية يمثل عائقا أمام الطلاب في المرحلة الجامعية وما بعدها، وأحيانا يُستعمل ذريعة لبقاء الوضع على ما هو عليه.

السادة الأساتذة الأفاضل

الحضور الكرام

تطرح الورقةُ موضوع ندوتنا، مجموعةً من القضايا في صيغة تساؤلات ومحاور تتعلق بمستجدّات الأدبيات العلمية الحديثة في مسألة التدبير اللساني وتجارب الأمم الأخرى ومقاربة علمية لعدد من المفاهيم المتداوَلة في الأدبيات اللسانية، مثل الأحادية اللغوية والثنائية والازدواجية ومواصفات ومؤهلات اللغة الجامعة على مستوى البلد الواحد والعبْر قطرية كما هو الحال بالنسبة للعربية.

نحن سعداء بمشاركة هذه النخبة من الأساتذة من أهل الدِّراية والاختصاص الذين لهم سجل علمي مشهود في مختلف المنابر الأكاديمية العالمية، فهناك في هذا المحفل العلمي أساتذة من 24 جامعة جزائرية وعدد من مخابرها العاملة في البحث الأساسي والتطبيقي وضيوف كرام من البلدان المغاربية والعربية الشقيقة من المغرب وتونس والسعودية وقطر والإمارات والسودان ومدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط ومن النيجر والهند ومن ألمانيا،

تجشّموا مشكورين مشاق السفر إلى الجزائر وهي تواصل تشييد وترسيخ بنائها الديمقراطي الذي يصنعه شعبُها في ثقة واٌطمئنان.

أجدد الترحاب بكم وأتمنى لكم طيب المقام

أشكركم على حسن إصغائكم

والسلام عليكم

اللسان العربي الجامع: بين التماسك والتنوع والتعدد

أ.د/ عبد القادر الفاسي الفهري

جامعة محمد الخامس المغرب

تمثل اللغة، بغض النظر عن كونها عضوا ذهنيا بيولوجيا عند الفرد، **رابطة جماعية** مجتمعية بامتياز، لم توجد ليتفرد بها شخص دون آخر (حتى حين 'يبدع' فيها وبها)، بل إنها **خير** (**good**) يعم جماعة المتكلمين بها والمتعلمين لها، في **نظام لغوي عالمي متحول**، يتأسس على التواصل والتبادل عبر اللغة قبل غيرها من الوسائط، وعلى علاقات متشابكة **غير متكافئة** (وغير عادلة) بين اللغات، **وديناميةٍ** تتحدد فيها المواقع اللغوية، بحسب صعود اللغة في النظام الهرمي والمجرة أو الكوكبة، نتيجة صعودية عدد متكلميها ومستعمليها ومتعلميها، أو ضمور قيمتها العددية أو النوعية، كلازمة لعزوف الناطقين بها (أو الناطقين بغيرها) عن توظيفها واستعمالها، أو تثمن قيمتها الهوياتية أو الرمزية، أو ضمور إرادتهم في الحفاظ عليها وتعزيز بقائها. ونظرا لتعقد موضوع اللغة وشموليته، وتداخل العوامل التي تحدد مواقف مستعملي اللغة منها (إيجابيا أو سلبا)، فإن **تدبير شؤون اللغة** أو سياستها أصبح يتطلب من الحكام والشعوب والهيئات المدنية والنخب الفكرية والثقافية والعلمية مزيدا من اليقظة والمعرفة والجهد من أجل التمكن من احتساب عواقب وتبعات الاختيارات اللغوية المتبناة، وطرق إنجازها، و **الكلفة** المادية والاقتصادية والتعليمية والسياسية، ثم **تقييم السياسة** اللغوية المتبعة باستمرار، بمواصفات معيارية، والاستعداد للمحاسبة عليها.

وإذا كان عدد متكلمي اللغة العربية في البلدان العربية وعبر العالم في تزايد مستمر، ويقدر بما بين 300 و 350 مليونا، مما يجعلها ضمن عشرات اللغات

العالمية الأولى الأكثر عددا وتداولا (بل إنها تحتل المرتبة السادسة أو السابعة)، وإذا كان عدد مستعمليها في الشابكة قد قفز من 2.5 مليون سنة 2000 إلى أزيد من 60 مليونا الآن، بنسبة زيادة تصل إلى 2500% مما يعني من جهة، أن هذه اللغة (نسبيا) بخير، وليست مهددة في بقائها في المدى المنظور، وهي من جهة أخرى لغة تواصل عالمية لكتلة بشرية هامة، تهيئ مستعمليها للاستفادة من خيرات هذا الوضع اللغوي المتميز، فإن من المفارقات الغريبة أن تكون نخبها السياسية والفكرية والثقافية والعلمية (في غالبيتها) لا تكاد تكيل لها إلا البخس والعداء أو اللامبالاة، بل منها من يسعى حثيثا إلى النيل منها أو زوالها، فبدوافع داخلية وخارجية (وبدعم داخلي أو خارجي)، تتبري لوبيات متعددة للسعي إلى هز مكانتها الاعتبارية أو العملية، أو إحداث نزيف تدريجي في وظائفها، حتى تتآكل مواقعها وخاناتها، ويتآكل حماس المواطنين في دعمها واستعمالها، داعية إلى إيجاد بديل لها، تارة في الأجنبية (الفرنسية أو الانجليزية على الخصوص)، وثارة في العامية الدارجة، وثارة أخرى في ألسن هوية أخرى، مثل الأمازيغية، أو الكردية، أو السريانية، أو الآشورية، الخ، في التعليم والإعلام والإدارة والاقتصاد والشغل والحياة اليومية. وإذا كان الباحث المحلل لا يملك سوى الاستغراب من هذه المقاربة الإقصائية للغة العربية الفصيحة (exclusive approach)، في واقع لغوي عربي متعدد أساس تماسكه اللسان العربي، وهي مقاربة غير مقبولة بأبسط معايير التدبير اللغوي المجتمعي، فإن الحملات المتكررة عليها ما فتئت تساهم في تلويث البيئة اللغوية العربية، وفي الإجهاز على بعض مواقع اللغة العربية في مختلف القطاعات. وبعكس المقاربة الإقصائية النزاعية التسلطية، المرفوضة سياسيا وجماهيريا، نقترح مقاربة إدماجية (inclusive) طوعية دمقراطية، تتعايش فيها الألسن دون إقصاء، وتقام فيها توازنات معقولة يتبناها المواطنون، وتجد فيها المكونات اللغوية المختلفة مكانة تراعى فيها العدالة والنجاعة، وتمكن المواطنين من تحديد الاختيارات، والاستفادة من الفرص اللغوية،

فمن جهة، لا مناص من الإقرار موضوعيا بأن اللسان اللغوي الجامع هو اللسان العربي، بحيث يشترك فيه مختلف مستعملي المتنوعات اللغوية، وأن لا تنافر مبدئيا بين هذا اللسان وألسن الهوية الأخرى، التي يغتني بها وتغتني به، ولا تنافر بين تقوية اللسان العربي وتقوية تعلم اللغة أو اللغات الأجنبية.

والمطلوب هو إقامة نموذج تدبيري لغوي يقوم على المبادئ الثلاثة (التماسك، التنوع، التعدد)، وتحديد الخطط والطرق والشروط التي تضمن له النجاح، علاوة على إقرار التشريعات التي تحمي اللغة العربية من أعدائها.

تروم الورقة توضيح بعض ملامح الوضع اللغوي العربي (والمغربي/المغاربي على وجه الخصوص)، وتوظيف مفاهيم– مفاتيح في توصيف الوضع، أو تدبيره، أذكر منها: مفهوم الحرمان أو التجريد من الحقوق اللغوية (disenfranchisement)، والتبادل غير العادل (unequal exchange)، والنظام اللغوي العالمي، والكوكبة اللغوية (language constellation)، والقيمة الكمية–النوعية (Q–value)، والمعيرة (standardization) والتنوع (diversity)، والسجل اللغوي للناطقين، واقتصاد التقييم، إلخ.

1 – اللغة العربية وموقعها في بيئتها وفي النظام اللغوي العالمي.

1.1 اللسان العربي يجمعنا

تؤكد المعطيات الإحصائية والممارسة اللغوية أن المواطنين العرب موحدون باللسان العربي بسجلاته وأساليبه ومتنوعاته الفصيحة والدارجة والمتوسطة (middle Arabic)، وأن التداول الديمقراط ي والتواصل الفعلي مع مختلف طبقات الشعب يتم بهذا اللسان المتنوع، ولا يتعذر التواصل به إلا في حالات أقليات هامشية، في بعض الأحيان. ففي المغرب، وهو حالة خاصة، يوجد

فيه أكثر من ثلث الساكنة ناطقين بالأمازيغية، لا توجد إلا نسبة محدودة جدا من المغاربة قد لا يتجاوز عددها 5% إلى 10%، تنطق بالأمازيغية وحدها، في مناطق نائية مهمشة، فحسب إحصاء الساكنة للمندوبية السامية للتخطيط المغربية سنة 2004 (التقرير الوطني) أن حوالي 90% من الساكنة (من خمس سنوات وأكثر) ناطقة بالعامية المغربية، (أو الدارجة=، وهي لسان عربي، وما يقرب من 60% ينطقون بالفصيحة ويكتبونها، وأما الناطقون بالسوسية الشلحية فحوالي 15%، وبالمازيغية (في الأطلس) حوالي 9%، والريفية حوالي 5%، مما يعني أن ثلث السكان على الأكثر هم الناطقون بالأمازيغية، وتنص إحصاءات Ethnologue على وجود 7.5 مليون متكلم للأمازيغية في المغرب سنة 2009. **فاللسان العربي فعلا يجمعنا** ، وهذه ليست دعوة قومية، وإنما هي إقرار بواقع، وإنصاف للمواطن المغربي في لسانه. وإذا كان المغربي اليوم عروبي اللسان أولا، فإنه لا يشكك في مزوغة لسان كثير من المغاربة، مزوغة ليست أحادية، بل هي مزوغة مركبة مع العروبة في نفس الوقت عند الأغلبية الساحقة.

وإذا عدنا إلى الوظيفة الموحدة والجامعة للسان العربي في المغرب، فإن قيمتها الداخلية تتراكم وتتزايد بالنظر إلى قيمتها التراكمية الجامعة في المنطقة، في المغرب العربي أولا، حيث اللسان العربي لسان الأغلبية الغالبية، وتتضاءل نسب الناطقين بالأمازيغية من المغرب إلى ليبيا عبر الجزائر وتونس، وفي المنطقة العربية التي يوحدها اللسان العربي كذلك، فاللسان العربي لسان بيني جامع في المنطقة العربية، ولهذه الصفة فوائد مادية ورمزية لم تقدر بعد من الناحية الاقتصادية، ومن النواحي التعليمية والرمزية، إلخ (أنظر تقارير Gradoll (1997، 2006)، وكذلك Grin (2010)). وإن نزع صفة التوحيد والجمع عن هذا اللسان هي أهم مشاغل أعدائه، في المغرب والمشرق، ومشاغل الاستعمار القديم والجديد، وإسرائيل، إلخ.

وإن من المفارقات التي طورها النقاش اللغوي العدائي في المغرب أن اللسان العربي ليس لسان الاقتصاد، وليس لسان التواصل، بل الفرنسية هي هذا اللسان، ولسان الفرص في الشغل، وعملت الحركات الفرنكفونية، وساعدتها الدولة، في فرض هذه المسلمة على أرض الواقع. ولكن هذا الرأي ليس رأي الشعب المغربي أولا، ثم إنه لا أحد برهن على الفوائد الاقتصادية الجماعية لاختيار الفرنسية لهذه الوظائف الامتيازية. بل إن المؤشرات العامة تدل على أن العربية هي اللغة ذات الفوائد الاقتصادية والتواصلية على أرضها، وإن كان هذا لا يتنافى ودعمها بلغات أخرى، وفي طليعتها الانجليزية، أو اللغات الأوربية الثلاث (الفرنسية والألمانية، علاوة على (الإنجليزية)، كما أقر ذلك الأوروبيون، مع تميز للإنجليزية.

2.1. تشكل العروبة اللغوية[1]

مثلت فترة الفتوحات الإسلامية مباشرة بعد موت الرسول عليه السلام تحولا جذريا في تاريخ اللغة العربية. ففي عقود معدودة، انتشر متكلمو العربية في مساحات شاسعة ونشروا لغتهم. وقد انتشرت العربية أحيانا بسرعة أسرع من الإسلام، نظرا للتسامح مع أهل الكتاب الذين تعربوا، ولكنهم حافظوا على نصرانيتهم أو يهوديتهم. في العراق، كان جل السكان يتكلمون الآرامية، وكانت الفهلوية هي لغة الإدارة في المناطق التي حكمها الساسانيون، والعربية لسان بعض القبائل الرحل. وفي سوريا، كانت الإغريقية هي لغة الإدارة إلى حدود القرن الأول الهجري، وكان المسيحيون يتكلمون السريانية إلى حدود القرن 8م، وكانت لغتهم الأدبية إلى حدود القرن 14. وكانت الآرامية منتشرة في الجبال، إلخ. وفي فاس، ظلت الفهلوية لغة الإدارة إلى أن عوضها عبد المالك بن مروان بالعربية في سنة 124 هـ، فتحولت العربية بعد ذلك إلى اللغة الإدارية والأدبية والدينية، وعمت

[1] – أنظر الفاسي (2009) والمراجع المذكورة هناك.

كلغة للآداب والثقافة ابتداء من القرن 3. ورغم قيام حركات شعوبية، فقد تبنت النخبة الثقافية اللغة العربية لغة للثقافة والعلم. وفي مصر، كانت الإغريقية هي لغة النخبة والإدارة، وتكلمت عامة الشعب القبطية التي تحولت إلى لغة أدبية في القرن 9 بعد ترجمة الإنجيل إليها. ولما فتح عمرو بن العاص مصر في 640، جعل من الفسطاط مركز إدارته، فتحول إلى مركز لنشلا العربية، وهاجرت بعد ذلك قبائل عربية، وانتشرت العربية على حساب القبطية والإغريقية.[1]

وانتشرت العربية في شمال إفريقيا على مراحل متسعة زمنيا. وقد انتشرت العربية أولا من قلعة القيروان التي اتسعت لتصبح أكبر مدينة في شمال إفريقيا. وفيها انتشرت العربية كلغة تواصل، وإن كان السكان الرحل احتفظوا بلغتهم المازيغية حتى القرن 11م، عندما دخلت قبائل بني هلال وبني سليم المغرب الكبير. هذه القبائل قدمت من شمال الجزيرة العربية، ومن سوريا، ولحقت بها قبيلة ثالثة من أصل جنوبي، قبيلة معقل. وقد قدر عدد القبائل المهاجرة بمليون (وعدد سكان المنطقة بـ 6 ملايين). إلا أن الهجرة أو الغزو لم يكن دفعة واحدة.وقد تعرب جل البرابرة نتيجة هذه الموجات، وتحولت المازيغية إلى لغة أقليات، بنسب متفاوتة بين تونس (5%)، وليبيا، والجزائر، والمغرب (حوالي ثلث الساكنة). وقد تم نشر العربية أولا عبر المدن (مثل دمشق)، أو المراكز العسكرية التي أقيمت في الإمبراطورية، ووقع الاتصال بالسكان أولا في القلاع، مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، ثم بعد ذلك عبر القبائل المهاجرة واختلاطها بالسكان الأصليين.

والتعريب الذي تم عبر التدخل العسكري والاختلاط الإثني كان وراء تكوين هوية لغوية جديدة للعرب أو المغاربة، حيث لعبت الدول ذات الأصول الصنهاجية أو المصمودية أو الزناتية في المنطقة المغاربية دورا هاما في تسهيل الاختلاط

[1] – أنظر Versteegh (2001) والمزيني (2001).

والاندماج، ابتداء من القرن 7م عبر المعسكرات والمدن، والقرن 11 عبر الاختلاط الإثني، وآخر الحلقات في هجرات القبائل كانت هجرة بني حسان (بني معقل في اليمن) إلى الصحراء وموريتانيا. [1] هذا التعريب هو الذي حدد الهوية المغربية الجديدة. وبعد الحماية، اضطر المغاربة إلى اللجوء إلى تعريب من نوع جديد، تعريب من أجل التحرر من اللغتين الفرنسية والإسبانية كلغتين للمستعمرين.

واليوم، والبلدان المغاربية محررة، أو هكذا يبدو، فإن نشر العربية والارتقاء بها يتطلب إقامة عربية من نوع جديد، تواكب التنمية والمعرفة والاقتصاد المعرفي والرقيمية، إلخ، ولغة عربية شاملة/مستوعبة، لأن اللغة لا تقوى إلا بأداء وظائفها كاملة، الوظائف المجردة "العالية" المرتبطة بالمعرفة المدرسية، وأبرزها المعرفة المجردة مثل معرفة الرياضيات، والوظائف الحياتية/اليومية "السفلى"، التي ترفع من تعبيريتها عن الأحداث العملية والمسميات المعيشية والطبيعية والحيوانية، والأدبية الشعبية إلخ.[2] ولبلوغ هذه الأهداف، ينبغي:

أ) تفصيح المفردات والعبارات والمسكوكات العامية؛

ب) تعريب المعارف الكونية، التجريدية والتقنية على الخصوص؛

ج) تفصيح الفكر والأدب العالميين.

اللغة العربية في تاريخها القوي برزت كلغة شاملة، وقد عمل أعداؤها وكذلك أهلها على إفقادها تدريجيا لوظائفها الشعبية، بتعميق الهوة بين الفصيح والعامي، وتضخيم حجم الثغرات في المفردات الحياتية. وعلى المستوى التجريدي،

---

[1] – هذا التحليل يتقاطع مع ما ورد في المزيني (2001) و Versteegh (2001)، وكذلك القبلي (2001) بالنسبة للمغرب.

[2] – كان للعالم السوسيولساني الكبير، أستاذي وصديقي المرحوم تشارلز فركسن، فضل السبق في إبراز سمات هذه الثنائية الوظيفية التي اشتهرت باسم diglossia، أي "الازدواجية"، وبيان أنها ظاهر طبيعية في اللغات، وليست شاذة، كما يحلو للمتطرفين في الدفاع عن الدارجة الاعتقاد. انظر (2) عن بعض مغالطات التطرف اللهجي.

تم إفقادها لوظائفها المرجعية والعلمية، حتى صار بعضهم يدعي أنها تضعف نتائج الرياضيات، ولو كانت لغة الخوارزمي ولغة الأرقام العربي–الهندية!.

وهناك عدة مؤشرات تدل على أن اللغة العربية تتصدر الرتب ضمن اللغات الكونية الكبرى، وتجعل منها سلعة مربحة، لا مبخوسة، كما ينظر إلى ذلك البعض، وأن موجَباتها أكثر من نواقصها. ضمنها أن رقميتها في تحسن وتزايد مستمرين، مما يؤكد حيويتها، وأنها لغة الإعلام الدولية، بفضائيات عربية واسعة الانتشار، والتأثير في الإعلام العربي والدولي، مثل 'الجزيرة' و'أبو ظبي' و'العربية' و'الحرة' و'أرت' و'م.ب.س'، إلخ. وتسجل الصحف المعربة أرقام المبيعات المرتفعة التي تصل إلى أربعة أضعاف مبيعات الصحف باللغات الأجنبية على الأقل. فهناك من المؤشرات القوية ما يدل على أن اللغة العربية سِلعة مربحة، ومنتوج مستقبلي صعودي، في عالم المعلومات والاقتصاد المعرفي، وان تدبير شؤونها ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار هذا المعطى.[1]

وللغة نواقص وعوائق لا تخفى يركبها خصومها، ولا بد من تجاوزها ومعالجتها بجدية، وإن كانت في مجملها تعود إلى تقصير وضعف متكلميها ومستعمليها والحكام القائمين على شؤونها، أكثر مما تعود إليها. وأذكر منها:

أ) نقص في المرجعية العلمية:

ليست اللغة العربية لغة المرجعية العلمية بامتياز (مقارنة مع الإنجليزية، أو الألمانية، أو الفرنسية). يمكن أن نلمس هذا في المجلات والمؤلفات العلمية، وفي مراكز البحوث والجامعات، مثلا، حيث المجلات العلمية. العربية في عدد من التخصصات غير موجودة، وإن وجدت فإنها غير مرتبة عالميا وغير مفهرسة.

[1] – عن عوامل قوة اللغة العربية الكثيرة، وضمنها القوة الرمزية والعددية والتاريخية، انظر الفاسي (2004 و 2005)، وكذلك Benrabah (2009).

وقد تفتقد إلى المصداقية حتى عند أبناء البلد. في اللسانيات مثلا، تعدّ المجلات اللسانية العلمية بالإنجليزية بالمئات، في مختلف الفروع والتخصصات، وأما في العالم العربي فهي قليلة جدا، وهي غير محكمة تحكيما فعليا، وجلها يحتضر أو احتضر. وما ينتج في اللسانيات بالعربية يسوده التهور والتسيب. والنقد الموضوعي والمراكم نادر. وهناك تقصير كبير في إقامة تقاليد وتراكمات ومدارس علمية فعلية، وسلط مرجعية، واحترام الأمانة والمهنية والأخلاقيات العلمية، إلخ. والجامعات العربية ومراكز البحوث أسفل الترتيب العالمي. ضمن الجامعات المتقدمة نسبيا في الترتيب جامعة الملك سعود بالرياض في المرتبة 247 عالميا، والجامعة الأمريكية ببيروت في الصف 351، وجامعة الإمارات العربية في المرتبة 374. أولى الجامعات المغربية لا تأتي إلا في مؤخرة الأربعة آلاف الأولى (مثل جامعة الأخوين وجامعة القاضي عياض)!.

ب) ضمور أدوات البحث في اللغة وإقامة معرفة لسانية متقدمة:

المعجم العربي الحديث بالمعنى الدقيق غائب، المعجم التاريخي غائب، المقارنة الفعلية بين اللغات نادرة معرفتنا للهجاتنا تعتمد أساسا على ما كتبه الغرب، حتى في أبسط الأوصاف، لم نكتب تاريخا للغاتنا ولهجاتنا، الخ، لا غرابة واللسانيات مازالت شبه محظورة في جل أقسام اللغة العربية في العالم العربي، ومازال المحافظون يحملون بإقامة أوصاف للغات بدون لسانيات حديثة، وبأن يستخرجوا من التراث ما ليس فيه، بل إنهم عاجزون عن التوظيف الهادف لهذا التراث ! لا غرابة واللسانيات العامة، أو مركز بحث خاص، أو شعب للنمطيات اللسانية، الخ ففي خريطة العلوم اللسانية، ليس لنا وجود فعلي يذكر، ومن النتائج المباشرة لغياب المراكز اللسانية في بلداننا عدم توفقنا في التغلب على مشاكلنا اللغوية، لجهلنا الكبير بخصائص اللغات المختلفة، وطرق معالجتها، نظرا وتطبيقا، لم يقع إنضاج لتفكيرنا اللغوي، ولا معرفتنا بهذه اللهجات التي ندافع عن

إحلالها محل العربية، ومحن نفتقد إلى مختصين فعليين فعلا، نردد ما يقول عنها أساتذتنا في الغرب، حتى حين يدرسون فيها برامجهم السياسية، أو لمزهم الغائي!

ج) عجز المعربين عن تدبير شؤون العربية وتدبير شؤونهم:

يكَون المعربون الأغلبية في المتمدرسين والمدرسين، ولو كانوا منظمين "كتلة حرجة" بآليات تنسيق وتعاون وتجميع، ومرجعيات مراكمةٍ واعترافٍ، لاستطاعوا التغلب على بعض المشاكل التي تحول دون ارتقاء العربية، مرجعيا وديداكتيكيا، الخ، إلا أنهم يفضلون التشتت والتسيب، عوض الانضباط في أطر تنظيمية ومرجعية. وبحوثهم مازالت تعاني من : (1) عدم القدرة على التغلب على إشكال علاقة التراث بالحداثة، وعدم تمثل كاف لإشكال الخصوصية الكونية؛ (2) عدم اعتماد مرجعيات ومناهج واضحة؛ (3) عدم مراعاة المرجعيات التي تقام بلغات أخرى، فالمعارف التي تنتج بالعربية تصلح لأبناء الحي أو البلد، ولا يمكن أن تصمد في المنتديات العلمية الدولية، فلو ترجمت كثير من الأبحاث المكتوبة بالعربية إلى الانجليزية لا تضح فوار أنها لا تتجاوز النشر الصحافي العام، في أحسن الأحوال، ولا ترقى إلى مستوى أبحاث سنة أولى تخصص في جامعات غربية محترمة ! لقد فضل كثير من المعربين المركنتيلية، وأن تخدمهم اللغة العربية (باستنزاف الأموال التي ترصد للمراكز والمؤسسات)، عوض أن يكونوا في خدمتها، ولذلك ترى كثيرا من هذه المؤسسات العربية القائمة، بما فيها المجامع، والمراكز التابعة للجامعة العربية، تخدم الأشخاص الموجودين فيها، عوض أن تخدم الأشخاص الموجودين فيها، عوض أن تخدم المهمة التي أقيمت من أجلها، وتراهم ينتجون خطابات تبريرية مملة، عوض الاستقالة ! لا تكاد تجد مجالا من المجالات، في الأدوات التعليمية الجذابة، أو الوصف المعجمي الكافي للغة العربية أو لهجاتها، أو المصطلحات، أو إقامة بنوك النصوص، أو النصوص

المحللة، أو المدققات، الخ، إلا وتجد المعربين مقصرين فيه، ولا تتماشى أعمالهم أو نتائجهم مع المواصفات الدولية، إلا من رحم ربك!

فحتى ننهض بلغتنا العربية، لا بد من ثورة شاملة على الممارسات المتحجرة وغير المنتجة التي تجذرت عند النخبة المعربة، ولا بد من تكوين نخبة معربة جديدة، تبتعد عن الأساليب المتجاوزة، وعلى رأسها التباهي بالعلم من أجل تمييعه، والسعي إلى الكسب بدون عمل فعلي. ونحتاج كذلك إلى إقامة محتوى عربي ومرجعيات عربية ومراتب معرفية عربية، إسهاما في بناء اقتصاد معرفي عربي، وتقوية فرص الشغل للمعربين، وإن كثيرا من المعربين يمكن أن يفيدوا في ارتقاء اللغة العربية، إن هم ابتعدوا عن الأنانية من أجل خدمة هذه اللغة، بما وهبهم الله من معرفة أو تقنية، دون أن يلجوا مجالات لا يقدرون عليها، وإن لمن شروط التعريب المواكب أن تثبت قيمته في التعجيم، وأن يتم ذلك عبر الجماعة في شبكات اتصال وتعاون، خدمة لهذه اللغة.[1]

3.1 النظام اللغوي العالمي وموقع الكوكبة اللغوية العربية الجيوستراتيجي[2]

هناك ما يدل على أن اللغات تتحرك في أنظومة لغوية عالمية محكمة بعلائق وضوابط بعيدا عن أن تكون وليدة الصدفة أو الاعتباط، وهي أنظومة هرمية أسفلها لغات الجماعات الصغيرة أو الهامشية أو الربضية (peripheral) وهي بالآلاف وإن كان عدد مستعمليها لا يتعدى 10% من البشرية وقوتها أنها لغات ذاكرة ورزاية وسرديات وأحاديث شفوية بالأساس، وليست لغات تدوين أو كتابة أو قراءة، وقليل أن يحدث الاتصال بين جماعات متكلميها، بل إنهم يضطرون من أجل التجارة والإدارة والتبادل أن يتعلموا لغة مركزية (central)

[1] – الفاسي (2009).

[2] – هذه الفقرة تماشي ما جاء في De Swaan (2001).

تربط بين جماعات أكبر، فكأن الربضيات أقمار تلتف حول كوكب هو المركز وهناك حوالي 100 لغة في النظام العالمي تحتل المواقع المركزية، ويستعملها حوالي 95% من البشر، وهي لغات التعليم الأساسي على الخصوص، وربما الثانوي أو العالي، وهي لغات الصحف والمنشورات والكتب المدرسية والأدب، والإذاعات والفضائيات، وجلها تستعمل في السياسة والإدارة والمحاكم، وتعد لغات "وطنية" أو "رسمية" وتستعمل في التدوين والأرشفة وكتابة التاريخ، وفي أمهات الكتب والقصص والوسائط الالكترونية حديثا، الخ.

ويلعب الدور الهام في الربط بين هذه اللغات التي لا تفهم عادة خارج جماعاتها متعددو اللغات (multilinguals)، الذين قد ينطقون أولا بلغة ربضية ويتعلمون لغة ثانية مركزيو، وهذا الصنف من الثنائيي اللغات في تزايد باستمرار، وهناك العكس، أي من ينطلق بالمركزية ثم يتعلم الربضية، وهو قليل، لأن متعلم اللغة غالبا ما يفضل أن يتجه إلى الأعلى في الهرم أو إلى المركز، مما يؤكد الطبيعة الهرمية للنظام. وفي مستوى آخر. يرتبط متكلمو اللغات المركزية التعدديون عبر لغة فائقة المركزة (supercentral) في جماعة أكبر، تضمن التواصل على مسافة بعيدة عادة، وفي مستوى دولي. وغالبا ما يكون هذا الصنف من اللغات ذا مصدر كولونيالي، ويستمر في السياسة والإدارة والمحاكم والتجارة الكبيرة والأعمال والتكنولوجيا والتعليم العالي. وهناك حوالي 12 لغة من هذا الصنف، وتظهر في النظام وكأنها شموس (ج.شمس) تلتف حولها كواكبها (اللغات المركزية)، التي تدور حولها الربضيات. هذه اللغات، ومنها العربية طبعا. وكل منها ينطق به أكثر من 100 مليون ناطق، كل منهم يرتبط بلغة مركزية. وهناك **كوكبات** لغوية (constellations) تتكون (إقليميا أو دوليا) حول اللغات الفائقة المركزة، وهي جزء لا يتجزأ من النظام. وأخيرا هناك لغة (أو لغات) تربط متكلمي اللغات ذات المركزية الفائقة فيما بينهم هي **عملاقة المركزة** (hypercentral)، أو **شاملة عالمية** (global)، وتمثل ركيزة النظام (pivot)،

وهي الانجليزية مثلا، حيث تصلح لغة تواصل بين متكلمي العربية والروسية والإسبانية، إلخ. وهي في الشموس ضمن المجرة اللغوية (linguistic galaxy).[1]

وقد تكون اللغات عائدة على أصل واحد، وانفصلت عن بعضها عبر ألوف السنين، بحكم التوسع الدمغرافي، وموجات الهجرة، والفتوحات، والتجارة، ومعانقة الأديان، وابتعاد المسافات، أو 'لعنة بابل'، إلا أن التواصل لم ينقطع، وساهم التعليم في المدارس في القرن الأخير خصوصا في نشر اللغات، وخاصة مع الوسائط الجديدة. وانتشرت بعض اللغات برا، وأخرى عبر البحار. وانتشرت العربية عبر البر أولا، بالفتوحات والتجارة ومعانقة الإسلام، وتكونت كوكبة لغوية عربية غطت عموما العالم الإسلامي. وتمثل اللغة الفصيحة اللغة فائقة المركزية في هذا النظام، بينما العاميات القطرية قد تعد مركزية مقارنة بمتنوعاتها المحلية التي تختلف من منطقة إلى أخرى داخل القطر. ويمكن اعتبار اللهجات المازيغية ربضية في هذه الكوكبة، ويمكن أن تتحول إلى لغة مركزية على غرار العاميات القطرية (انظر الفقرة الموالية).

لقد اقترح (1997) Gradoll قبل De Swaan نظاما لغويا عالميا وهرميا كذلك، أسفله اللغات المحلية المتداولة، ويقدرها بأكثر من 6000 لغة، فاللغات الوطنية (أو الرسمية)، وقدرها بـ 80 (تخدم حوالي 180 أمة–دولة)، فاللغات الإقليمية (وضمنها لغات الأمم المتحدة الست) وهي: العربية والصينية والروسية والألمانية والإسبانية، علاوة على الفرنسية والإنجليزية. وتوجد في أعلى الهرم اللغات **الكبرى**، وهي: الفرنسية والإنجليزية. ويتنبأ Gradoll بأن العربية ستتحول إلى موقعة لغة كبرى، إلى جانب الصينية والهندية/الأردية والإسبانية والإنجليزية (وأفول الفرنسية) مع منتصف القرن 21، كما يتنبأ بقفز عدد متكلميها إلى 482 مليونا في نفس الفترة، مما سيضعها في الصف الخامس العالمي

[1] – ن.م.

عدديا، بعد الصينية والهندية/الأردية والإنجليزية والإسبانية. وستكون لها حظوظ في تقاسم وظيفة التواصل العالمي في أولغرشية لغوية جديدة.

2- التماسك، والتنوع/ والتعدد.

1.2. التنوع اللغوي المغني[1]

يجد التنوع اللغوي الثقافي مصدره على أرض الواقع، حيث إن جل المجتمعات متعددة لغويا وثقافيا، بالرجوع إلى التكوين التاريخي الحركي للشعوب والهويات، واتصال اللغات والثقافات نتيجة وجودها على وطن – أرض واحد، أو التقائها فيه بحكم موجات الهجرة والتنقل، خاصة في عصر العولمة التي تقوت فيه شبكات هجرة تتجاوز الحدود الوطنية، وقامت فيه حركات اجتماعية جديدة، تجمعت حول اللغة، أو الإثنية، او الدين وأصبحت تطالب بالإدماج التام والعادل في المجتمع، مع الاعتراف بخصوصياتها الهوياتية في الفضاء العمومي، منتقدة التلازم المقام بين الوحدة السياسية والأحادية الثقافية، فما هو مطلوب هو إقامة حكامة سياسية معقولة للتنوع الثقافي، تنبذ الأحادية المبنية على الذوبان والبوتقة في قالب واحد، وهي شرط لا بد منه في النموذج التقليدي للأمة–الدولة، بشعار "أمة واحدة ودولة واحدة ولغة واحدة" كما يمثل ذلك النموذج الجاكوبيني الفرنسي، أو النموذج الألماني الرومانسي فهذا النموذج الطراز للدمقراطيات الحديثة، سايرته عموما الدول العربية العربية الحديثة لتتلائم مع بروز وتقوية أنظمة حقوق الإنسان الدولية، التي اهتزت معها شرعية بنية الأمة الدولة التقليدية، مع ظهور حلبات صراع اجتماعية جديدة، ودفاتر مطالب ثقافية جديدة، تتطلب الاعتراف بالاختلاف، وبالحقوق الفردية والجماعية للأقليات، درءا للمنازعة والانفصال، فإذا كانت الحداثة السياسية قد ارتبطت بمفهوم الأمة الدولة كبنية مؤسسية، بتراب محدد ومجتمع مندمج ومغلق اجتماعيا وثقافيا، فإن هذا التصور أصبح إشكاليا،

[1] – انظر الفاسي (2012 أ).

بعد أن تبين أن السمة البارزة لهذا النموذج هي التلازم الهيكلي بين التنظيم السياسي والهوية الجماعية، المرتبط بالدسترة والديمقراطية وحقوق الإنسان.[1]

لقد اتضح أن سياسيات الاستيعاب عادت لا مشروعة، على المستوى القطري والدولي، وظهرت الحاجة إلى استجابات سياسية تعددية، وتشريعات ضد الميز، وخطط هادفة لحماية الأقليات، وتبني سياسات تعدد ثقافي (multiculturalisme)، كما حصل في كندا واستراليا والسويد وجنوب إفريقيا والهند، الخ، أو دمقراطيات متعددة الأمم، كما حصل في بلجيكا وسويسرا، الخ، وفي تفكيك ترابط الدولة والهوية الوطنية ضرورة إعادة طرح مفاهيم مثل الدسترة والدمقرطة وحقوق الإنسان، في إطار دمقراطيات سياسية جديدة هي عبارة عن "كوكبات بعد وطنية" postnational constlellations كما عند Habermas (2001) وفي النماذج السياسية الجديدة "للاعتراف الثقافي" أو "للمواطنة المتعددة الثقافية" multicultural citizenship تطرح أسئلة جديدة: (أ) كيف يمكن التوفيق بين الاعتراف بالحقوق الثقافية وبين إعادة إنتاج الثقة والتضامن الضروريين لتأكيد الاختيار الديمقراطي؟ (ب) كيف يمكن التوفيق بين الاعتراف بجماعات أقليات ومفهوم حقوق الإنسان الذي يركز على حقوق الشخص الفرد؟ [2] وبعبارة هل يمكن أن توفق المقتضيات الدستورية بين مختلف الحقوق الجماعية للجماعات وحكمهم لأنفسهم والحقوق الفردية للأفراد التي تسمح لهم بالاندماج في الوحدة السياسية الكبرى؟ أو كيف تضمن الديمقراطية ألا تختل الموازين من جديد لصالح جماعة، ضد أخرى، أو ضد أفراد؟ بل إن الأقليات، بحكم قوتها التنظيمية، قد تفرض على الأغلبية حلولا تهدد حقوقها أو تجرد منها، نجد ما يمثل

---

[1] – انظر Koening, & Guchteneire (2007).

[2] – عن كوكبة البعد–وطنية، أنظر Habermas (2001).
وعن المواطنة المتعددة ثقافيا انظر Kymlicka (1995)

لهذا السيناريو في المغرب، حيث أقلية أمازيغية (من بين الأمازيغ) تستعمل حركاتها المتطرفة ووسائل الابتزاز والضغط والتحريض، من أجل فرض خططها، ومحاولة تفكيك تماسك الوطن لصالح مزاعمها الأسطورية والمدخل القوي للاعتراف بحقوق الأقليات في العدالة اللغوية (والثقافية)، مقرونة بالعدالة السياسية والاقتصادية، الخ.[1]

وقد ظن في البداية أن الإطار المناسب لتدبير المزوغة اللغوية هو الجهة، باعتبار أن اللسان الأمازيغي لا توحده على أرض الواقع لغة مشتركة (رغم أن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سعى إلى إقامة هذه اللغة المشتركة، ولكن قبولها كلغة معيرة، أو قبول حرف تفناغ لكتابتها يحتاج إلى استفتاء الشعب في أمر التوحيد بهذا الطريقة)، بل إنه يجد تربة طبيعية له في الجهات، نظرا إلى وجود ثلاث لهجات أساسية مختلفة ومتنوعة: الريفية في الريف والشمال، والسوسية في منطقة سوس، والأمازيغية في منطقة الأطلس المتوسط. إلا أن قرارا للدولة في أعلى مستوى اتخذ سنة 2001 بجعلها لغة وطنية ممتدة على كافة التراب الوطني، وأعلن أنها ملك للمغاربة جميعا، وقرر تدبير شؤونها على كافة التراب الوطني، رغم أن المغاربة (وحتى الأمازيغ منهم) لا يُشرَكون في تحديد الهوية الأمازيغية، وأن التدبير الترابي المحدود في الجهة يأخذ بمبدأ التنوع البيئي والبيولوجي، أكثر من اختيار التدبير الوطني. ولا يعارض المغاربة الإقرار بوطنية المزوغة اللغوية، ولا حتى دسترتها، كما عبرت عن ذلك غالبيتهم في الدستور الجديد، بل إنهم منشغلون بالتحرش العرقي العنصري ضد العروبة، من جهة، والإسلام من جهة أخرى، وهما ركيزتان أساسيتان في توحيد المغاربة وتاريخهم وثقافتهم، والمحرضون في الحركات الأمزوغية والفرنكفونية والتدريجية يريدون العبث بهاتين الركيزتين. ولا أحد يمكن أن يشكك جديا في أن المزوغة ثقافة ولغة

[1] – عن العدالة اللغوية، أنظر Van Parigs (2003).

ساهمت وتساهم في تماسك المغرب الثقافي/اللغوي. فالمزوغة امتزجت فينا ووحدتنا، ولا يمكن أن تجعلنا ننفصل وندخل في حروب أهلية، كما يريده لها أعداء الأمة. ولا يمكن للمزوغة أن تنازعنا عروبتنا وإسلاميتنا، كما عبرت عن ذلك صناديق الاقتراع مؤخرا، حين رشحت حكومة إسلامية هوياتية بالأساس جمعت حزبي العدالة والتنمية وحزب الاستقلال كأغلبية فيها. ولئن كان الدستور المغربي الجديد قد أقر رسمية المازيغية، فإن الانتقال إلى الصيغ المقبولة في التطبيق يحتاج إلى عقول متعاونة يمكن أن تتوافق حول خطة تماسكية تنوعية في إطار المجلس الأعلى للغات، الذي أقره الدستور الجديد كذلك، وتستشير الشعب في الاختيارات المطروحة، فتحويل التنوع إلى معيرة جديدة (تغلب فيها اللهجة السوسية فيما يبدو)، وتجعل المولود الجديد غير مفهوم عند عدد من الأمازيغ، يخلق حرمانا جديدا لدى هؤلاء الذين يطلب منهم التخلي عن لسانهم، والاستثمار في تعلم لسان معياري، والابتعاد عن عفوية ومزايا اللسان الشفوي الفطري، مما قد يؤدي إلى خلق توترات ونزاعات بين الأمازيغ.

وأما الدارجة أو العامية، فإنها تمثل تنوعا ورافدا للسان العربي المتنوع. وأما الدفاع من أجل إحلالها محل الفصحى بدعوى أن هذه الأخيرة ميتة أو متحجرة، أو غير حيوية وغير فطرية، وحلم البعض أن يتحول إلى دانتي العرب Dante، بدءا من سلامة موسى إلى فرانك سلامة، مرورا بليوطي Lyautey، وبالفرنسيين الجدد أمثال بنطوليلا Bentolila وحجاج Hagège، فهي استدلالات ومقارنات وإسقاطات تفتقد إلى الكفاية والإقناع. فما مبرر تعميم نموذج اللغة اللاتينية وبناتها الرومانية على العربية ولهجاتها، عوض أن تكون الازدواجية العربي موازية للازدواجية الألمانية أو الصينية، حيث تتكامل الصيغ المكتوبة والمنطوقة المتنوعة؟ أليست العامية نفسها متنوعة وتحتاج إلى معيرة لتوحيدها؟ أليس فصل صيغ لغة متكاملة تدخل سياسي بالأساس، كما تبين بوضوح التجربة الصربية–

الكرواتية التي أدت إلى اختلاق لغتين من لغة واحدة لأسباب سياسية لا علاقة لها بأي موضوعية علمية أو تحليلية؟.[1]

2.2. التماسك والتعريب الشامل.[2]

هناك مبررات متعددة لتعريب الحياة العامة، وتعريب التعليم أفقيا وعموديا، ليس أقلها أهمية التماسك حول اللسان العربي الذي يمثل لسان الهوية المشترك في **السجل اللغوي** لكافة المواطنين العرب، بمن فيهم المغاربيون. وهذا لا ينفي مزوغة لسان بعض هؤلاء، ولكن هذه المزوغة ليست الوحيدة في سجلهم، بل إنها مقترنة بعروبة اللسان أيضا. وحتى لو ادعى البعض (عبثا) أن لسانه فرنسي، كما يفعل بعض الفرنكفونيية 'الموهوبين'، فإن هذا لا يغير من الوضع شيئا، لكون اللسان المشترك للمغاربة عربي. فبهذا المقياس، مقياس السجل اللغوي المواطن يصبح التنازع حول عروبة اللسان أو مزوغته غير مجد، لأن هناك مزدوجي اللسان الهوي، وهناك أحاديه، ولكم أحاديي اللسان المزوغيين قليلون جدا.

وفي هذا الإطار التماسكي، تجدر العناية بتعريب التعليم العالي **تعريبا أفقيا شاملا**، يشمل جميع المواد، بما في ذلك المواد العلمية والتقنية، التي لم تعرب في جل الجامعات العربية، وإن تعرب جلها في مواد العلوم الإنسانية والاجتماعية. ولعل مرد هذا الإحجام عن التعريب الأفقي الشامل للتعليم الجامعي (والثانوي/التأهيلي) يعود إلى عدم اقتناع النخب السياسية والثقافية والاقتصادية ذات النيات الحسنة بهذا الاختيار، وتذرعها الراجع بالأساس إلى التشكيك في جاهزية اللغة العربية لتعليم العلوم والتقنيات. ويتأسس حكم عدم الجاهزية على عوامل متعددة منها: (أ) ضعف كمية مفردات **معاجمها المختصة** (أو مصطلحاتها) ونوعيتها، و (ب) عدم توفر المؤلفات والمجلات **المرجعية** الكفيلة

[1] – عن توصيف هذه الطروحات المردودة، انظر العمري (2011).

[2] – انظر الفاسي (2012 ب).

بأن تمثل مراجع باللغة العربية يتداولها الجامعيون بينهم، و(ج) عدم توفر المدرسين المؤهلين للتدريس بهذه اللغة في المستوى المطلوب، و(د) كون العربية عموما ليست **لغة العلم**، بل هي غائبة (أو شبه غائبة) في المجلات والمؤلفات المحكمة والمفهرسة عالميا، و(هـ) كون تجارب التعريب أدت إلى انخفاض مستوى الطلاب **وضمور معارفهم وقدراتهم التواصلية**، إلخ. وإلى جانب معارضي تعريب التعليم العالي من ذوي النيات الحسنة، هناك نيات غير حسنة تعارضه في العديد من القطاعات، حفاظا على مصالحها الاحتكارية للسلطة السياسية والاقتصادية، خاصة في بلدان المغرب العربي، الذي تنخره التبعية الفرنكفونية (المتطرفة أحيانا)، ومصالح أخرى غير وطنية. وإذا وضعنا جانبا المعادين للتعريف من منطلق المصلحة غير الوطنية، وتأثيرهم في القرار السياسي والاقتصادي وسوء الشغل، وإذكاء العداء غير المسبوق للغة العربي، وهو عداء يجب أن تتولى الأمة محاربته بالوسائل القانونية والسياسية والدمقراطية، فإننا نريد أن نتعرض هنا للمخاطر الناتجة عن عدم تعريب التعليم العالي، لانعكاساته السلبية على: (أ) الهوية العروبية اللغوية، والهوية العربية الإسلامية ككل، وعلى (ب) الثقة في اللغة العربي كلغة شاملة أفقيا يمكن أن ترفد جميع العلوم والفنون والآداب، وعلى (ج) شمولية اللغة العربية عموديا، بمعنى أن التعليم بها يجب أن لا ينقطع في مرحلة مبكرة، قد تكون هي التعليم الثانوي، مما يؤثر سلبا على المواقف من إمكان تجهيزها للتعليم والتعلم في مختلف الأسلاك والمواد، ويلحق أضرار مادية ورمزية بالناطقين بها، على المستوى القطري والإقليمي والعالمي، لكون الناطق بالعربية يحرم من التعليم باللغة الأم أو لغة المنشأ، مما يؤدي إلى تجريده أو حرمانه من حقوقه اللغوية، في ضرب من disenfranchisement، مما يتنافى والمواثيق الدولية التي تجرم، والدمقراطية المقرة للحقوق اللغوية للمواطن. [1] وتمتد الأضرار كذلك إلى الحرمان من الفوائد والأرباح والفرص التي تتيحها اللغة العربية. فعلى

[1] – عن هذا المفهوم، أنظر Ginsburgh & Weber (2005)، من بين آخرين.

مستوى **الفوائد الرمزية**، لا تكاد لغة أخرى تنافس اللغة العربية رمزيتها، خاصة عند العرب والمسلمين، لكونها **لغة القرآن**، لدى خُمس ساكنة العالم. وباعتبار **فوائدها التواصلية**، توفر للكتلة التواصلية العربية مصاريف الترجمة، وتبعات آجالها، وأخطائها، وعدم دقتها، إلخ. ماذا: ان سيحصل، مثلا، لو جارينا الملهجين (الدعاة إلى ترسيم اللهجات) في منطقتهم؟ ستتولد تكاليف باهضة في الترجمة، بين قطر عربي وآخر، ومصاريف لإنتاج أفلام خاصة دون أن يتسع الطلب عليها، أو مصاريف لكل دولة من أجل تطوير المصطلحات الخاصة بلهجتها، ومصاريف خاصة للتعليم، إلخ، ويُفقَد التواصل تدريجيا بين أبناء الأمة العربية، وأجهزتهم الإدارية، إلخ. بعبارة، ستتوالد مشاكل تواصلية ومصاريف إضافية شبيهة بتلك التي يعاني منها الاتحاد الأروبي، وقد حار في تحديد لغة التواصل والعمل بين أجهزة الدول، مع انه يتبنى مبدأ التعدد اللغوي.[1] ومن سلبيات عدم تعريب التعليم الجامعي والبحث العلمي عدم الاستفادة من **توطين المعرفة** باللغة العربية، مما يمثل أيضا خسارة للمواطن العربي، وإضعافا لفرصه في تملك العلم بلغته، علاوة على ما ينتج عن ذلك من تضييع فرص الاقتصاد والشغل والإبداع، إلخ. ولعل الاقتصاد اللغوي economics of language من شأنه أن يفيدنا في تقييم الخسارة الناتجة عن عدم تعريب البحث العلمي والتعليم والتكوين الجامعيين.[2]

وهناك حجة تربوية دامغة تقودنا إلى تعريب التعليم العالي. لقد أثبتت التجربة المغربية، مثلا، أن تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم الثانوي، وتدريس العلوم باللغة الأجنبية في التعليم الجامعي يتسبب في رفع معدلات الرسوب والهدر. وبناء على هذه الحجة، دعا معادو التعريب إلى التراجع في قرار

[1] – عن الفوائد التواصلية والمادية لاستعمال اللغة العربية، انظر الفاسي (2012ب)، وكذلك المرياتي (2002) والشريف (2002). وعن التواصل في الاتحاد الأوروبي وكلفته، انظر Ginsburgh & Weber (2012) و (2011).

[2] – أنظر أبحاث Grin من بين آخرين في المراجع، (2006) مثلا، وكذلك أعمال Bourdieu.

تعريب المواد العلمية والتقنية في الثانوي، وإعادة فرنسته من أجل أن يحدث انسجام وعدم انقطاع في لغة التعليم بين الثانوي والعالي. وهذا التراجع في التعريب، علاوة على كونه غير مقبول من المواطنين، له تبعات سياسية كبرى، وفي طليعتها تشكيك أصحاب القرار في قدرة لغتهم على أن تهيأ تدريجيا لأن تصبح لغة المواد كافة، ولغة العلم والحضارة مجددا. ولعل الأكثر معقولية في تنفيذ هذا المبدأ هو تعريب التعليم العالي، قياسا على أكبر الدول وأصغرها، حيث إن كل الدول المحترمة للغتها، والمتطلعة لأن تكون حاضرة في المنتظم الدولي بشكل أو آخر. تدرس بلغتها، لا بلغة الآخر.[1]

3.2. الثنائية (أو التعددية) الداعمة للغة العربية: لماذا؟[2]

الحجج المقدمة سابقا، من بين حجج أخرى، تكفي مبدئيا لإقامة تعريب شامل للتعليم، من الروض إلى الجامعة. إلا أن الاعتراض على تطبيق التعريب عادة ما يبني على الدفع بعدم جاهزية اللغة العربية للقيام بهذه المهمة، وشح مفرداتها العلمية، مقارنة مع اللغات الأجنبية الأخرى، وبخاصة الإنجليزية، التي يقدم المدافعون عن انفرادها بدور اللغة العالمية والعلمية الوحيدة كون معجمها أضخم بثلاث مرات، ومصطلحاتها أضخم بعشرات المرات في معاجم الفرنسية أو الألمانية المختصة والعامة، علاوة على المرونة التي تتسم بها في التواصل، لكونها تستوعب كميات من مفردات دخيلة من لغات أخرى، ومن دوارجها. فهاتان السمتان، **السَّعَة والمرونة** ، ترشحان الانجليزية لتتفرد بدور العالمية والعلمية، علاوة على كونها **لغة العلماء**، لأن الجماعة العلمية community scientific اختارت أن تجعل منها لغتها في غالبة المجلات العلمية المفهرسة وفي المؤتمرات العلمية. إلا أن هذه الحجج، رغم وجاهتها، لا تحكم على اللغة بأن يتوقف

[1] – نجد هذا في فلندا وإسرائيل وسويسرا واليابان وكوريا، إلخ.

[2] – هذه الفقرة مقتبسة من الفاسي (2012ب).

استعمالها، بل يجب أن يتوسع، لأن النظام اللغوي العالمي ليس قارا، بل هو نتيجة تجاذب مستمر، تقع فيه توازنات مؤقتة، تحددها **حيوية** اللغات، أو ديناميتها وحركيتها، بحيث تصعد لغة (أو لغات)، وتنزل أخرى، كما حدث للفرنسية التي تقوى وضعها العالمي في القرن التاسع عشر على الخصوص، وحدث للعربية وقت تبوؤها دور لغة العلوم والحضارة في بغداد والأندلس، مثلا، وتكثيف ترجمات الغرب عنها، الخ. فالمدخل إلى التعريب يرتكز على المؤشرات الصعودية للغة العربية، صعودية مستمرة **لعدد متكلميها** عبر العالم، **وصعوديتها** الرقمية، الخ. وهذا يدعو الحكام والمتدبرين لشأن هذه اللغة أن يستثمروا فيها، تحديثا وبحثا ورقمنة، وحضورا في الاتصالات الحديثة، الخ، لتعود فوائد انتشارها وترسخها على شعوبهم بالنمو والكسب بها.[1]

وهناك بعد آخر مبدئي، يتعلق برفض القطبية الوحيدة للانجليزية، على حساب اللغات الأخرى، واعتماد قطبية متعددة، بكوكبات من الأمم واللغات، تماشيا مع موقف الفرنسيين والألمان والصينيين والهنود من إشكال القطبية اللغوية والسياسية الوحيدة، بل إن هناك نزعة دولية تدعمها اليونسكو إلى اعتماد اللغات الوطنية والبعد–وطنية (بحسب تعبير هابرماس) في تعليم علوم المواد، ثم هناك تبني الاتحاد الأروبي للتعددية اللغوية، إلخ. [2] فإذا صح أن ندرس دول صغيرة بلغتها، مثل فلندا بالفلندية، أو كوريا بالكورية، أو إسرائيل بالعبرية، إلخ، فإن من باب أولى وأحرى أن يدرس العرب بلغتهم، وهي إحدى اللغات العالمية الكبرى. فإذا سلمنا أن لا بديل للتعريب الأفقي والعمودي الشامل، وأن تجهيز العربية سيرورة دائمة، وأن أدوات وآليات القيام بذلك لا بد أن تشتغل من الآن باعتماد

[1] – تشير الإحصاءات الأخيرة في المغرب إلى وجود 36 مليون مشترك في الهاتف النقال، بالنسبة لحوالي 31 مليون مغربي، و3.2 مليون مشترك في إنترنت، وتستعمل شركاتالإعلان والإشهار الفرنسية في رسائلها عوض العربية، فلو كان الأمر بالعربية لانتشرت بشكل واسع. ومن هنا أهمية القرار السياسي الشعبي.

[2] – أنظر

Unesco. 2009. Investir dans la diversité culturelle et le dialogue interculturel. Rapport Mondial.

خطة لغوية استراتيجية متكاملة، فهل يمكن اعتماد مبدأ التعليم الثنائي (أو التعددي) في نفس الوقت، خاصة في الجامعة؟ ولماذا؟.

اعتماد الثنائية في التعليم الجامعي (أو التعددية)، في صيغة التعليم بلغتين أو أكثر، اللغة العربية والإنجليزية، وخاصة في تعليم العلوم والرياضيات والتقنيات، يجد ما يدعمه، مرحليا على الأقل، بالنظر إلى عدد من الاعتبارات.[1] أول هذه الاعتبارات أن هذا الاختيار هو الغالب في **التجارب التعليمية الدولية**. وسبب هذا راجع إلى أن الثنائية اللغوية لها فوائد بالنسبة لاستعمال اللغة الوطنية في التعليم، وفوائد بالنسبة للمتعلم بها، شريطة أن يوجه هذا التعليم التوجيه الصحيح، بحيث لا يختل التوازن، لتصبح اللغة الأجنبية هي المستفيدة، لا اللغة الوطنية. وبالنظر إلى **موقف المتعلمين وأوليائهم**، فإنهم يبدون موقفا إيجابيا من الثنائية، عوض الأحادية باللغة العربية. ثم إن **الحكام** لا يبدون عادة استعدادا كبيرا للتعريب الأحادي. وهناك أسباب أخرى لا تميل بالكفة لصالح التعليم الأحادي.[2]

لقد بينت دراسات متعددة أن إتقان اللغات الأجنبية له نتائج واضحة بالنسبة للدخل، وفرص الشغل. ففي كيبيك (كندا)، يرتفع الأجر بحوالي 6% بالنسبة لمتكلم الإنجليزية (إلى جانب الفرنسية). في الاتحاد الأوروبي بينت دراسة Ginsburgh & Prieto (2010) أن اللغة الثانية (خاصة الإنجليزية) ترفع الدخل بـ 5% إلى 15% (إذا استثنينا انجلترا التي لا تبدو فيها اللغة الثانية

---

[1] – اقترحنا ضمن ميثاق التربية والتكوين المغربي أن يكون التعليم العالي ثلاثيا، في مرحلة انتقالية، تكون فيها العربية حاضرة، إلى جانب الفرنسية والإنجليزية. ومع أن هذه الثلاثية لها كلفة مرتفعة، فإن الداعي إليها سياسي مرحلي، وهو عدم اختيار التفريط في الفرنسية، حفاظا على التعاون مع فرنسا، وضرورة تعلم الإنجليزية، لغة العلم والعولمة.

[2] – هناك مشكل سياسي طبقي كبير يرتبط بالأحادية. فالنخب تعلم أبنائها باللغة الأجنبية (وحدها أحيانا في المراحل المتقدمة)، مما يتيح لها فرصا لشغل وظائف ذات دخل قوي، وليس من العدل أن يحرم أبناء الشعب من الفرص التي يتيحها التعلم بالأجنبية. أنظر Fassi Fahri, Abdelkader. (2010). L'élite, les croisés-linguistes et les langues. Libération 24-8-2010 وكذلك Vermeren, Pierre. 2003. Langue et violence au Maghreb. Le journal hebdomadaire 116

مؤثرة).[1] وإضافة إلى هذا، تمكن اللغة الثانية (الأجنبية) من الانغماس في ثقافة أخرى مغايرة، وولوج معارفها، وتاريخها وآدابها وفنونها بصفة مباشرة، ودون حاجة وسيط أو تحريفات،لأن اللغة حاملة لهذه الأمور جميعا، والترجمة منها تحمل مخاطر خيانة الأصل، وكذلك تمنع من ولوج البيئة الافتراضية التي تحيا فيها اللغة. وفي مناطق المغرب العربي، تفرض اللغة الفرنسية نفسها في ميدان التشغيل، لأن المشَغِّل غالبا ما يبوئها مكانة لغة التواصل ولغة العمل، على حساب العربية. وقد اشتغلت دراسات متعددة على **الفوائد التواصلية** Communicative benefits لتعلم اللغات، التي يدخل فيها الثقافي والاقتصادي والمجتمعي، وتبين أن الفائدة التواصلية للفرد ترتفع بقياس عدد الأفراد التي يمكن أن يتواصل معها، أو يقيم روابط عبر لغة مشتركة، ويحدد التوازن بين الكلفة والفائدة بحسب هذه العددية، وبالنظر إلى أن الفاعلين يتوقون إلى رفع القيمة التواصلية لشبكاتهم. فالتوازن اللغوي يبدو محددا بوسيطين أساسيين هما: (أ) حجم كل جماعة تتكلم لغة ما، و (ب) كلفة الفرد في هذه الجماعة. وهناك احتساب لرفاه كل بلد باحتساب الفوائد التواصلية الجماعية لساكنته، مما قد يجعل الدول تقيم سياسات تشجع على تعلم اللغات الأجنبية.[2]

وتزيد أهمية الثنائية (أو التعددية) في ميدان **البحث العلمي، وتعلم العلوم** الدقيقة والرياضيات. فلغات أخرى مثل الفرنسية أو الألمانية أصبحت تضيق بما الدائرة في عقر دارها، حيث المؤتمرات العلمية فيها بالإنجليزية وحدها غالبا، والدراسات العليا اكتسحتها الدروس التي تدعى **بالدروس الدولية** international courses، ولم تعد هذه اللغات كما يقول العالم السوسيولساني Urlich Ammon سوى **لغات الخانات** niche language أو موضوعات خانات

[1] – أنظر Weber و Ginsburgh و Gabszewicz (2011) والمراجع المذكورة هناك، وكذلك Ginsburgh & Prieto (2010)

[2] – أنظر Gabszewicz, Ginsburgh, & Waber. (2011), p3.

nichenfacher، بمعنى أنها تستعمل فقط في بعض الموضوعات التي سبق للغة أن أبدعت فيها قبل غيرها.[1] وليست الفرنسية بأحسن حالا من الألمانية. فقد تعممت الإنجليزية بشكل كبير كلغة العلم والتواصل بين العلماء في المؤتمرات، في قلب باريس، وعممت كذلك الدراسات الدولية (التي وصل عددها في 2008 إلى أكثر من 600)، بل إن المجلات العلمية ووقائع الندوات ذات المكانة لم تعد تنشر إلا بالانجليزية. يشير Ammon إلى أن المجلات الثلاث Annales التي كان يصدرها معهد باستور بباريس تحولت منذ 1980 إلى الإنجليزية كلغة وحيدة للنشر.[2] ونجد كثيرا من المدافعين عن الفرنسية للاستهلاك الداخلي، وملكنهم ينشرون أبحاثهم المتميزة باللغة الإنجليزية، وينشرون أبحاثا دفاعية باللغة الفرنسية، كما يفعل Claude Hagège، مثلا.[3] وقد أوردنا الألمانية والفرنسية، وهما اللغتان الكبيرتان المرشحتان لتكونا ضمن لغات العمل الثلاث في أوروبا، لنصور ما تعانياه من هيمنة الإنجليزية. وأما اللغات الوطنية المحصورة في بلد واحد صغير، مثل الفنلندية أو الكورية أو العبرية، فإن صمودها في الجامعة والبحث العلمي يتم كذلك داخل وضع ثنائي (أو تعددي) تلعب فيه الإنجليزية دورا هاما، حيث تقام الندوات الدولية والدراسات بالإنجليزية (كلغة وحيدة غالبا)، والمصطلحات والرموز باللغة الإنجليزية، الخ. ويصدق هذا على الإسبانية أو اليابانية أو الصينية، الخ.[4]

ويبدو إذن من غير المعقول ومن الابتعاد عن الواقع، بالنظر إلى التجارب العالمية وإلى العدالة وتكافؤ الفرص بين الشعب ونخبه، التوصية بتبني نظام لغوي

---

[1] – أنظر Ammon (2008)

[2] – ن.م.

[3] – كتبه متعددة في اتجاه الدفاع عن الفرنسية (ضد هيمنة الإنجليزية) من منطلق أن ربح معركة الفرنسية هو ربح للإنسانية. انظر في هذا الصدد Hagège (2006) .

[4] – عن الحالة الفلندية مثلا، أنظر Leppânem & Nikula (2007)

أحادي في التعليم الجامعي والبحث العلمي تكون اللغة العربية فيه هي لغة التدريس أو البحث الوحيدة، في مختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية. بل إن ما هو مطلوب هو عدم إقصاء اللغة العربية من التعليم الجامعي والبحث العلمي، وتعزيز تجهيزها تدريجيا للنهوض بها في هذا المجال، مع دعم هذا التعليم والبحث بلغة عالمية، هي اللغة الإنجليزية الآن بجميع المقاييس الموضوعية، وقد تكون لغة أخرى في زمن آخر، حين تتوفر للغات أخرى إمكانات البحث والإبداع العلمي والتقني، وإمكان أن تكون لغة تواصل العلماء، والموارد المالية لدعم هذا الاتجاه، الخ. وهذا الاختيار هو اختيار الألمان للألمانية، أو الفرنسيين للفرنسية، أو الأوروبيين عامة، إذا وضعنا جانبا خصوصيات كل بلد على حدة. فالثنائية، ضرورة حتمية، فيما يبدو، إن هي مورست طبقا لحسابات موضوعية، بعيدا عن السياسة الضيقة بشرط أن تدعم اللغة العربية، فكيف يمكن أن يفهم، بناء على هذا، أن الإنجليزية هي لغة الدراسة والعلم الدقيق والتقني في فرنسا، والفرنسية هي اللغة التي يوكل إليها هذا الدور في المغرب؟ وقد اقترح *الميثاق المغربي للتربية والتكوين* أن يعرب تعليم المواد العلمية في التعليم العالي، على أن يكون مدعوما بلغتين أجنبيتين، إحداهما الفرنسية، والثانية الإنجليزية. ومع أن هذه الثلاثية مكلفة ماديا وتعليميا، فقد تبناها ممثلو الأمة، وصادقوا على الميثاق، إلا أن مقتضياته الخاصة بالثلاثية اللغوية لم تطبق. ولم تعرب العلوم في التعليم الجامعي (مع أن التعريب اختياري)، ولم تدخل الإنجليزية فيه، لأسباب لم يوضحها أصحاب القرار، ولابد أنها تتعلق بهيمنة الفرنكفونية السياسية والاقتصادية. ثم كيف يفهم أن شركات الإشهار والإعلان والاتصال تستعمل الفرنسية بصفة كثيفة، ثم العامية، ولا تستعمل العربية إلا نادرا؟ فهذا الوضع لا علاقة له بلغة العلوم، بل إنه تشكيك في القدرة التواصلية للغة العربية، إرضاء للوبيات فرنكفونية وتلهيجية وأمزوغية. فمن الواضح أن اللغة العربية لن تدعمها الثنائية (أو الثلاثية) إلا إذا اتخذت التدابير القانونية لضمان التوازن، وحفزت الطاقات ووعى المواطنون بضرورة

خوض المعركة من اجل الحفاظ على هويتهم اللغوية. فالثنائية مشروطة بأنها يجب أن تكون **داعمة** للغة العربية، وفي خدمتها وخدمة المتعلم، وليست مخلة بوضعها لصالح اللغة الأجنبية، والثنائية (أو التعددية) مرحلة لا بد منها للرقي باللغة العربية وجعلها مواكبة في المستوى المطلوب لتصبح لغة قطبية ضمن أُلِغَرْشية لغوية linguistic oligarchy محدودة في خمس أو ست لغات دولية تتجاذب التواصل والعلم والثقافة والتجارة والتبادل على المستوى الدولي. فقد لا تكون العربية لغة العلم اليوم بالفعل، ولكن معطيات أخرى تدعم بقاءها، وضمنها التواصل والإعلام الذي لا مبرر لتعجيمه أو تلهيجه، وقد تدعم انتشارها التجارة، والتعليم المواكب الخصوص.[1]

4.2. التجريد أو الحرمان اللغوي[2]

تركزت أبحاث كل من weberو Ginsburgh و Fidrmuc من بين آخرين، على مفهوم disenfranchisement أي التجريد أو الحرمان من الحقوق، وخاصة إذا استعملت الانجليزية لغة رسمية وحيدة في داخل هيئات الاتحاد الأروبي، فقد ذهب Ginsburgh و weber (2005) إلى أنه على الرغم من انتشار معرفة الانجليزية في الاتحاد الأروبي، فإن إضافة الفرنسية والألمانية كلغات عمل في الاتحاد ضرورية لتلافي ارتفاع مؤشر شعور المواطنين بتجريدهم من حقوقهم اللغوية.[3] وإذا كان الاتحاد يواجه تحديات كبرى بالنظر إلى إيجاد أرضية مشتركة للشؤون الخارجية، والأمن والدفاع، وقوانين الهجرة، فإنه يسعى إلى تأكيد واحترام تنوع أعضائه، وتقتضي المحافظة على الهويات والقيم الثقافية والتاريخ والعناية بالدور الهام للغات الوطنية، الذي يترجم في نشر الوثائق الرسمية بكل لغات أقطار الاتحاد، باعتبارها لغات عمل رسمية فيه (تصل إلى

---

[1] - عن تنبؤات حول تدهور وضع الإنجليزية كلغة عالمية منفردة بهذا الدور، انظر Oster (2010) Gradoll (1997)

[2] – انظر الفاسي (2012أ).

[3] – انظر Ginsburgh,& Weber (2005)

23 الآن) وبما أن الاتحاد تبنى مبادئ التعددية اللغوية والمساواة وعدم الميز بين مواطنيه، فهذا يعني الحق (بالتساوي) في إطلاع المواطنين على النصوص بلغاتهم الوطنية. إلا إن قوانين داخلية لجأت إلى التفريق بين اللغة الرسمية ولغة العمل (بصيغة غير واضحة) فإذا أخذ بنظام "اللغة التامة" full language regoùe، فإن الاتحاد يحتاج إلى توظيف 1400 مترجم ومترجم فوري إضافي، وأما إذا أخذ بفكرة أن الترجمة يجب أن تكون بالنسبة للوثائق الأساسية فقط، فإن الرقم ينخفض إلى 675 ولتلافي مصاعب الترجمة من أي لغة إلى أي لغة أخرى، فقد اعتمدت فكرة أن تصبح اللغة الانجليزية (وأحيانا الألمانية أو الفرنسية) لغة "ركيزة" pivotal أي اللغة التي يترجم منها وإليها إلى اللغات الأخرى إذ أخذ بالنظام اللغوي التام، وهو مبلغ ليس باليسير، وإن كان نائب الرئيس آنذاك أكد أن التكاليف لا تتعدى 2 يورو لكل فرد، و0.8 من الميزانية العامة.

ولا ينحصر التحدي أمام التعددية اللغوية الرسمية في الكلفة المالية، بل أن أهم تحد قد يكون هو عدم حرمان جماعات كبيرة من الساكنة وممثليها السياسيين من استعمال لغتهم في أهم الأنشطة السياسية، مما يجعلهم يعزفون عنها، لأن اللغة كما يلاحظ bretton قد تكون هي الموضوع الأكثر فورانا على مستوى القارة، وفي مختلف الأزمان، ولأن اللغة وحدها، خلافا لمسائل أخرى مرتبطة بالقومية والإثنية، هي الأكثر التصاقا بالذات الفردية" [1] وإن الخوف من فقدان التواصلية يذكي التوتر والحمى السياسيين فشروط التواصل عامل هام في المجتمع المتعدد، وخصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يترتب عن الترجم ة من أخطاء وسوء فهم (مثل تأويلات القرار 242 الشهير بشأن الأراضي الفلسطينية المحتلة هل هي territoires أو les territoires، شاملة أو بعضية، وتأخرات في الإنجاز، مما يؤدي إلى شل التداول أو النقاش أو التفاوض المتعدد الأطراف

[1] – انظر Ginsburgh,& Weber (2011)

وعليه فإن المجتمع المتعدد اللغة بالتحديات الاقتصادية والتواصلية المطروحة عليه قد يولد درجات متفاوتة من التجريد أو الحرمان اللغوي disenfranchisement وتؤدي التحديات السياسية والمالية التواصلية إلى طرح سؤال هام هو: كم عدد اللغات التي يمكن أن ننتقيها كلغات عمل ضرورية تحد من هذا التجريد والحرمان؟ فقد يكون للانتقال من التعددية اللغوية التامة إلى تعددية محدودة ومعقولة فوائد مالية وتواصلية، تمكن المواطنين وممثليهم من التواصل والقراءة والاستماع باستعمال لغة ليست لغتهم، لكنها متداولة، مع شرعنة ذلك ديمقراطيا وقد يكون القرار الهام في الاتحاد الأروبي هو خلق توازن بين كلفة وفوائد السياسة اللغوية، وفي هذا الاتجاه، يلجأ Ginsburgh و weber (2005) إلى تقديم نموذج كمي يمكن من قياس درجات التجريد اللغوي، يعتمد مؤشرا تجريديا، قد ينطبق على لغة واحدة، بل على مجموعة من اللغات، ينتهي البحث إلى التعددية اللغوية في الاتحاد الأوربي ضرورة لا محيد عنها سياسيا لأن البرلمان إذا لم يعترف بلغة المواطنين، فإنهم من المستبعد أن يعترفوا به كبرلمان لهم وعندئذ لا بد من استعمال اللغات الركائز، عوض الترجمة الثنائية (بين أي لغة وأي لغة أخرين وعددها حاليا 23 لغة) كما أنه لا يمكن ترجمة كل النصوص إلى كل اللغات ويتبين من مؤشر الحرمان أو التجريد أن درجات التجريد تنخفض تدريجيا باعتبار لغة واحدة أو لغتين أو ثلاث لغات (هي الانجليزية والألمانية والفرنسية)أو ست لغات (فإضافة إلى اللغات السابقة هناك الايطالية والإسبانية والهولندية)[1].

ويلاحظ Fidrmuc (2011) أن الخدمات اللغوية تكلف الاتحاد الأوروبي الآن ما يزيد على بليون دولان سنويا، وهو مبلغ يمثل 1/5 (خمس) الميزانية الإدارية، و 1/7 (سبع) المبلغ الذي يصرف على البحث والتنمية وإذا كانت

[1] – Ginsburgh & Weber 2005.

التعددية اللغوية مقبولة وقت إنشاء الاتحاد بستة بلدان وأربع لغات رسمية تمكن كل قطر من استعمال لغته الوطنية متلافية التجريد من جهة، وممكنة كل لغة وطنية من أن تقطف فوائد استعمالها رسميا في الاتحاد، وتوفير الوثائق الضرورية لها دون ميز بين اللغات، أو حرمان مواطنين أحاديي اللغة لا يعرفون غير لغتهم من التعبير بها (مع عدم وجود لغة واحدة آنذاك يمكن أن تمثل لغة مشتركة حرة) فإن التعددية اللغوية الواسعة اليوم (ب 32 لغة رسمية و 27 قطر) لم تعد مرغوبا فيها، ولا ضرورية، لكلفتها المالية والتواصلية، ولصعوبة تطبيقها على أرض الواقع، ولكون المهارات اللغوية للأوروبيين وتعملهم للغات الأجنبي تحسنت بشكل واضح، ولكون الانجليزية أصبحت تلعب دور اللغة المهيمنة التي اختار الأوروبيين تعلمها، ولأنها عوضت الفرنسية في بيروقراطية الاتحاد، وأصبحت تلعب دور lingua fraca رغم شعار التعددية اللغوية في الاتحاد.

وإذا كان تبني الأحادية اللغوية في الاتحاد سابقا لأوانه، وغير مقبول سياسيا، وقد يؤدي إلى تجريد عالي الدرجة، فإن كلفة إبقاء نظام لغوي متعدد مفتوح على لغات الاتحاد تبدو مرتفعة جدا، مقارنة بالفوائد المتواضعة وقد تكون سياسة تعددية مبني على 6 لغات رسمية، أو حتى 3، أكثر خدمة للاتحاد بحيث لا تقصى الغالبية الكبيرة للمواطنين الأوروبيين مع جعل التكاليف مقبولة، وتجاوز سلبيات النظام الحالي، المتمثلة في آجال الترجمة وتراكمها، وأخطائها، الخ، ويمكن مقارنة النظام اللغوي البديل بنظام المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة، وقد يضيف هذا النظام حافزا جديدا ليتعلم المواطنون الأوروبيون لغة أخرى لغة أخرى غير لغتهم، مما قد تنتج عنه أثار إيجابية غير مباشرة ترفع من الأجور، وتتيح فرصا للسفر والدراسة والعمل بالخارج، وازدهار التجارة داخل أقطار أوروبا، وبينها وبين العالم.[1]

[1] – Fidrmuc 2011

3- من أجل سياسة لغوية عربية "ربيعية"

1.3 لا نهضة ولا ثورة مع التبعية

يمثل موضوع الفرنكفونية موضوعا ملحا بالنسبة لدول المغرب العربي خاصة، لأن عبره تتبلور **التبعية اللغوية**، والثقافية والسياسية والاقتصادية، وعدم استقلال قرار الدولة في شؤون اللغة، بل وصاية الدولة على المواطنين، وممارستها **الحجر اللغوي** عليهم، بما يتنافى ومبادئ الديمقراطية والحقوق اللغوية ولأن الفرنكفونية كما تتجسد على أرض الواقع تقف حاجزا في وجه التحرر الثقافي واللغوي والعلمي، الخ وتنفي **الرشد اللغوي** عن شعوب البلدان المنضوية في مؤسساتها السياسية والاقتصادية الخ، وتذكي بخسا وعداء للغة والثقافة الوطنية، مقرونا باختلالات في التربية والتكوين، فإنها عائق في وجه الديمقراطية والتنمية في نفس الآن. ففي مجال اللغة على وجه الخصوص، تحول الفرنكفونية دون**النهوض باللغة الوطنية الرسمية**، بل وتعمل على هز استقرارها بشتى الوسائل، ودون قيام توجهات لغوية تعددية متزنة ونافعة في دعم اللغة العربية في مرجعيتها وأدبيتها.

ولأن الفرنكفونية تقودنا إلى الحديث عن مفاهيم وآليات وتقنيات غرس التبعية اللغوية، بعيدا عن تطلعات الشعوب واختياراتها، فإن الموضوع يمكن تعميمه إلى حد على كافة البلدان العربية (فالخليجيون مثلا، لا يشتكونه من الفرنكفونية، ولكنهم يشتكون من تهميش العربية في بلدانهم، وهذا راجع إلى قواسم مشتركة في مسألة تدبير التعدد اللغوي، وإنبات الرشد اللغوي) ومما يثير الانتباه في هذا الوضع أن الفرنكفونية عززت مواقعها مؤخرا في هذه البلدان (ومازالت تطمح إلى المزيد)، وخاصة على مستوى النخبة السياسية والثقافية والأدبية، مستدركة تراجع شأنها عند هذه النخبة بين الستينات والثمانينات، نتيجة الدعوات التحريرية للنخب، ونتيجة تعريب جزئي للتعليم والإدارة والقضاء، ونتيجة إرادة شعبية وحكومية سعت إلى توازنات لغوية معقولة والمفارقة أن البعث القوي الجديد

للفرنكفونية يأتي في اتجاه معاكس لما تشهده أوضاع فرنسا والفرنسية من تدهور على المستوى الدولي، بل على أرض فرنسا نفسها.

لقد قامت اللجنة الملكية الخاصة بإصلاح نظام التربية والتكوين (الذي اجتمع فيه ممثلوا شرائح الأمة والخبراء) بتحرير مواد **ميثاق التربية والتكوين** سنة 1999، وحددوا ضمنه توجهات لغوية من بينها:

أ)تعزيز وتقوية اللغة العربية في التعليم، بما في ذلك تعريب التعليم العالي والتقني (في إطار تعددي)؛

ب) اتخاذ سياسة تعددية في التعامل مع اللغات الأجنبية، وفسح المجال أمام لغة ثانية أجنبية بدءا من السنة الأولى إعدادي؛

ج) الانفتاح على اللهجات المحلية (بما فيها البربرية)؛

د) إرساء أكاديمية للغة العربية، مهمتها النهوض بالمشروع اللغوي والتربوي المغربي.

إلا أن مقتضيا ت الميثاق لم تطبق إلا بالانتقاء. ورغم صدور القانون المنظم لأكاديمية اللغة العربية منذ ثمان سنوات، لم تر النور بعد. لقد شرع الفرنكفونيون في مقاومة هذه التوجهات، ونظموا أنفسهم للضغط في أعلى مستويات الدولة من أجل خدمة الفرنكفونية، ونفي بقاء العربية أو النهوض بها، والدفع إلى التلهيج المفرط.

وتقوم بعض الجمعيات المدنية، إضافة إلى الدولة، بوصاية على المواطنين في مختلف الاختيارات اللغوية، نافين عنهم ضمنا **الرشد اللغوي**، معاملين إياهم كمحجورين. فالاختيارات لا تخضع للآليات الديمقراطية، ولا يتمتع فيها المواطنون بحقوقهم اللغوية: الحق في اختيار اللغة الرسمية الفعلية، واللغات الأجنبية، واللغات الجهوية، إلخ. إن الاختيارات تحددها الدولة والحكومة، أو تروج لها

جمعيات مدنية تمولها جهات فرنكفونية (أو حتى إسرائيلية)، إلخ. لا استفتاء لغوي، ولا احترام لما يشرعه البرلمان، ولا تطبيق للقوانين والتشريعات اللغوية الصادرة، أو الدستور، إلخ. فأين نحن من الديمقراطية اللغوية؟ **رسمية** اللغة العربية في الدستور تعاكسها رسمية مضمرة ولكن فعلية للغة الفرنسية في الاجتماعات الرسمية، وفي مرجعية النص القانوني، وفي المؤسسات الدولية، إلخ.

وأصبحت **لغة الفرص** في الشغل والاقتصاد والرقي الاجتماعي والحضور الثقافي والأدبي، بل والسياسي كذلك، هي لغة موليير، أو هكذا أرادت الدولة أو الحكومة. لغة **الإشهار** في الإذاعة والتلفزة والجرائد واللوحات الإشهارية في الشوارع هي الفرنسية أولا، تتلوها العامية، ويتقلص دور الفصيحة يوما بعد يوم. الجرائد والمجلات المفرنسة مدعومة بالإشهار، والجرائد المعربة لا يكاد يصلها من الإشهار إلا الفتات، ولو تصدرت المبيعات أضعاف المرات.

تبدو الفرنكفونية لأول وهلة وكأنها تجمع مصدره ثقافي–لغوي، وهدفه إرساء قطبية ثقافية (وسياسية) تتفاعل مع قطبيات أخرى (إسبانوفونية، أنجلوفونية، إلخ). إلا ان الأمر في الممارسات خلاف هذا. إن الفرنكفونية تنفي التعددية القطبية على أرض الواقع، بل إنها **إقصائية**، تمارس الوصاية على الثقافات الأخرى، وتمارس الهجوم بالإنزال المستفز لجامعييها الذين يفتون في أمور الشعب اللغوية.

إن المجتمع والشعب عموما يدافعان عن بقاء لغتهم العربية ونهوضها، رغم أن إرادة أغلبية الشعب ينبغي أن تواكبها إرادة حكومية وإرادة الدولة في مجال **تطبيق ما يصدر من تشريعات بصفة ديمقراطية**. وإن بلوغ الرشد اللغوي يستدعي تطبيق الديمقراطية، وتمتيع المواطن بحقوقه اللغوية. ثم إن الفرنكفونية، كما هي ممارسة الآن، تحول دون تأهيل الشعب لغويا وثقافيا، وتأهيل لغته ونموها، **وممارسته الراشدة لحقوقه اللغوية**، ودون كف الدولة والحكومة عن ممارسة حجر لغوي عليه، يهدد أمنه اللغوي، ونجاح نظامه التعليمي، وتقوية فرص رفاهه

ونمائه. وأما فرص الشغل والاقتصاد والمعرفة، فمكبوحة بلغة واحدة. فأين العربية وفرصتها، وأين الفرص التي تتيحها اللغات الأجنبية الأخرى؟ إن الفرنكفونية المهددة في بقائها ينبغي أن تنضج بما يكفي لدعم القطبية العربفونية، وإقامة **شراكة نِدِّية** معها، مبنية على احترام (لا إملاء) الاختيارات اللغوية للمواطنين العرب، إسهاما في قيام قطبيات لغوية متعددة وواعية بالمصالح المتبادلة. إن الموضوعية العليمة والإحصائية تفترض الإقرار بأن **اللغة العربية في الصفوف العالمية الأولى للغات** التي يكتسب لها البقاء والتقدم، رغما على كل من يكيد لها.

2.3. أكاديمية اللغة العربية وغياب القانون والدمقراطية اللغوية.

تأخر المغرب في إقامة أكاديمية (أو مجمع) للغة العربية، يخدم لغته الرسمية، خلافا لغيره من البلدان العربية، التي ظهرت فيها هذه 'الوكالات' أو المؤسسات بداية القرن العشرية، من المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1919، مرورا بمجمع القاهرة سنة 1932 (وإن كانت بداياته تعود إلى سنة 1892)، والمجمع العلمي العراقي سنة 1947 (مع بدايات منذ 1921)، ومجمع اللغة العربي العربية الأردني سنة 1977 (مع بدايات منذ 1922)، ومجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر (ابتداء من 1986)، إلخ. وهناك مجامع أخرى أقيمت في ليبيا وتونس والسودان، إلخ، بصيغ متنوعة، على غرار الأكاديمية الفرنسية l'Académie Française (ابتداء من 1634) ن التي مثلت نموذجا لهذه المؤسسات اللغوية، ولعبت دورا هاما في لحام الأمة– الدولة لغوية. ومن باب المفارقة والسخرية أن يقام آخر مجمع للغة العربية في إسرائيل، في حيفا، وقد دُعيتُ في 27 أبريل 2009 لإلقاء المحاضرة الافتتاحية فيه، ولكنني اعتذرت لأسباب سياسية واضحة. وبدأ هذا المجمع يشتغل ابتداء من ماي 2010. لقد تخلف المغرب إذن، حتى مقارنة مع إسرائيل، في إقامة مؤسسة في هذا النوع، وتناسي دوره التاريخي في نشر اللغة العربية وثقافتها وعلومها، في عقر

داره وفي الأندلس وفي فرقيا وعبر العالم، كما تناسى دور هذه المؤسسة في تأهيل اللغة تعليميا وبحثيا، وتأهيل علمائها، والناطقين بها، وتدبير شؤونها التدبير المطلوب.

ولقد تحول التماطل في إقامة أكاديمي ة اللغة العربية إلى مشكل سياسي، بعد إقرارها في لجنة

التربية والتكوين في يونيو 1999، وصدور قانونها التأسيسي في يوليوز 2003، بإجماع ممثلي الشعب ومشرعيه ومصادقة مجالس الحكومة والوزراء برئاسة الملك. وقد برز أحد وزراء التعليم هذا التماطل بكون تطبيق هذا القانون 'ليس في مصلحة المواطنين والوطن' (كذا !). أليس هناك استهتار بإرادة الشعب ودولته أكثر من هذا؟ أيمكن أن نقبل أن يتحول أحد الوزراء إلى وصي على الشعب والدولة؟ لقد أعلنت الحكومة الحالية برنامجها الذي يروم تصويب هذا الوضع، ونتمنى أن تجبر الضرر في أقرب الأجل.

لقد بدأ التفكير الجدي في إقامة أكاديمية للغة العربية بالمغرب في سنة 1999، مع تأسيس اللجنة الخاصة لإصلاح نظام التربية والتكوين. وحين استقبلني مستشار الملك الراحل الحسن الثاني السيد مزيان بلفقيه في الديوان الملكي قبيل انعقاد هذه اللجنة، تداولنا في أمور لغوية عديدة تخص طرق معالجة التعدد اللغوي، والازدواجية العربية (بين الفصحى والعامية)، وضرورة النهوض باللغة العربية وتقويتها في التعليم أفقيا وعموديا، كما تداولنا في مشكل المأسسة اللغوية الكفيلة بأن تبوئ اللغة العربية المكانة التي هي أهل لها. لقد أصبح معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الذي أسس سنة 1960، رغم ما بذله من مجهودات متقطعة، غير صالح لمهمة النهوض باللغة العربية في المستوى المطلوب، لأسباب كثيرة، وكان لا بد من التفكير في مؤسسة جديدة من نوع آخر، وفي ارتباط آخر بالدولة، فاللغة رمز السيادة، ولا يمكن أن تكون المؤسسة المكلفة

بشؤونها تابعة لجامعة، كما حصل منذ تأسيس المعهد، وفي لجنة التربية والتكوين، التي عينت عضوا فيها، طرح موضوع، طرح موضوع صيغة المؤسسة، فاقترح البعض أن تكون معهدا عاليا تابعا للوزارة الأولى (على غرار معهد الإدارة)، واقترح بعض آخر أن يكون مجمعا لغويا على غرار المجامع اللغوية العربية، وبنصوص مماثلة، إلا أن طرفا ثالثا تشبث بالصيغة التي ظهرت في النص الحالي تقريبا. وبعد فترة نقاش في الموضوع ، وإلحاح المستشار الملكي على أن تكتب مسودة نص أولي يتم التوافق عليه، اقترحت أن تتم الاستشارة الملك المرحوم في ثلاثة أمور: (أ) أن تكون المؤسسة في صيغة أكاديمية، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتعليم وتتولى توفير الأبحاث والأدوات اللغوية والتربوية على الخصوص، وليس معهدا عاليا، (ب) أن تكون المؤسسة تحت الرعاية المباشرة لجلالة الملك، (ج) أن يكون أعضائها متعاقدين، لا معينين مدى الحياة. وبعد موافقة الملك المرحوم على هذه المواصفات الثلاث، طلب مني أن أقدم تصورا أوليا مختصرا، ففعلت ثم أحدثت لجينة داخل اللجنة الخاصة لصياغة النص المطول، ودعت الحاجة لاحقا إلى إحداث لجنة عامة جديدة مكونة من ممثلين عن مختلف الوزارا ت، بما فيها الأمانة العامة للحكومة، والمالية، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وممثل عن اللجنة الخاصة وقد مر عمل هذه اللجنة بمراحل وعراقيل، ومع ذلك أنجزت مسودة قانون التأسيس الأولي قبيل استقبال الملك الراحل للجنة الخاصة في يونيه 1999 ومر النص بعد ذلك بمناقشات البرلمان بغرفتيه، ومجلسي الحكومة والوزراء، إلى أن صدر في الجريدة الرسمية في 17 يوليو 2003.

وشاءت الصدف أن تتوافق الترتيبات الأخيرة لصدور النص مع أحداث الدار البيضاء الإرهابية في ماي 2003، فوُجِد من الجامعيين الفرنسيين (أمثال Vermeren) من ربط بين العربية والإرهاب، امتدادا لأفكار برنار لويس، ووجد في أصحاب القرار من تعاطف عمليا أو ضمنا مع هذا الطرح، وسعى إلى عرقلة

مسيرة اللغة العربية بعرقلة تطبيق قانونها المؤسس، ونشر البخس لها ولقيمتها الاعتبارية والوظيفية. وتقوى لوبي الإساءة للغة العربية بالمتطرفين من الفرنكفونيين والملهجين (الداعين إلى الدارجة) والأمزوغيين، وكالوا التهم لها، وسعوا إلى تهديد بقائها، وركزوا على أطروحة اللا أمن اللغوي، الذي برع في الاستفاضة فيها ألان بنطوليلة.

وقد فهمت مبكرا بأن المستشار الملكي المكلف بملف التعليم قد غير رأيه بصدد دعم مشروع الأكاديمية، وبصدد التطبيق الشمولي للاختيارات اللغوية التي حددها ميثاق التربية والتكوين. وغاب عن الخطب الافتتاحية للسنوات المدرسية اللاحقة التذكير بمشروع تفعيل أكاديمية اللغة العربية، كما درج على ذلك في كل دخول مدرسي، وتم التراجع عن تطبيق مبدأ التعدد اللغوي وتنويع لغات التعليم الجامعي، وأصبح التنويه في خطابات عدد من المسؤولين في التربية والتعليم والبحث العلمي بهوية لغوية فسيفسائية وتعدد لغوي غير محدد المعالم، تحولت فيه الفرنسية إلى لغة التواصل الموحدة، وبرزت إرادة العودة إلى مواقف لغوية سابقة عن الميثاق، الخ. ويصف كتاب "أزمة اللغة العربية في المغرب"، الذي صدر في غضون سنة 2005 (في طبعتين عن دار زاوية بالرباط، ودار الكتاب الجديد المتحدة ببيروت) عددا من العوامل والمؤشرات السلبية في ملف تدبير اللغة العربية بالمغرب.

لقد ساهم تعطيل تفعيل قانون أكاديمية اللغة العربية في استفحال تدهور وضعها في المجتمع، وفي الحياة والبيئة العامة، وفي التعليم على وجه الخصوص. فإتقان اللغة العربية ونجاح تعلمها هو المدخل الرئيس لنجاح التعلمات الأخرى، ونجاح تعلم اللغات الأجنبية نفسها، باعتبارها لغة التعلم الأولى، ولغة التماسك الهوي. وإن قراءة موضوعية لتقارير المنظمات الدولية تذهب إلى هذا، لا إلى زحزحة هذه اللغة، وإحلال لغة (أو لغات) أخرى محلها.

فالمهمة الأولى للأكاديمية هي خدمة اللغة العربية لينجح التعلم بها، خدمة للمتعلم المواطن أولا، ولفرصه في النجاح، علاوة على تمكن هويته اللغوية. ولا يمكن أن يتم إنجاح هذا المشروع اللغوي دون قيام مؤسسة تعيد الاعتبار لهذه اللغة، وتقوي الثقة فيها، وفي إمكاناتها الفعلية والعملية. والمفارقة الغريبة التي كانت ومازالت تستعصي على فهمي هي أن العِقد الذي همشت (وحوربت) فيه اللغة العربية هو العقد الذي سجل أكبر الأرقام في انتشارها عبر العالم، وازدهارها تقانيا، وعدديا، واتصاليا، الخ، وهذا العقد هو الذي شهد بزوغ أكبر الفضائيات العربية وأجودها وأكثرها مصداقية في نقل المعلومة، مثل الجزيرة والعربية و م. ب. س والحرة وغيرها. ويمكن قياس مشاهدتها عند المغاربة قياسا موضوعيا إحصائيا، الخ. وهذا العقد هو الذي شهد ارتفاعا منقطع النظير لمستعملي الشابكة والإنترنيت باللغة العربية. فهذه اللغة لها إمكانات عددية واتصالية وتقانية هائلة، وهي خير من الله، لا يمكن أن يهملها ويحرم المغاربة من حقهم فيها ومن فوائدها إلا من يخطئ في تدبير الملف اللغوي المغربي، بخيراته اللغوية، بما فيها الخير اللغوي المازيغي (بتنوعاته)، وخير اللهجة الشعبية الدارجة للسان العربي المغربي المتماسك والمتنوع والمتصل.

وإضافة إلى النهوض باللغة العربية تربويا ولغويا، وتطوير طرق ووسائط جديدة لتعلمها ونشرها، وتطوير طاقاتها الاصطلاحية والمعجمية والتوليدية، وإقدارها على الترجمة الجيدة، والحدة من النتائج السلبية للإزدواجية مع العامية، بالرفع من حيويتها ووظيفيتها الحياتية، فإن الأكاديمية هي المؤسسة اللغوية الكفيلة باستقبال علماء العربية وعلومها وأهل الرأي فيها، المتفانين في خدمتها، ودعم جهود الباحثين فيها، نظرا وتطبيقا، من أجل خدمة المواطنين المتعلمين بها، من أبناء الشعب والنخبة، ليعم الربح بها في مختلف المستويات الاتصالية والحضارية والاقتصادية والسياسية (الدمقراطية) والهوياتية، الخ.

وتتوخى الأكاديمية جمع الرؤى والأدوات، ليتم التوافق حولها بصيغة الجمع، مع احترام الآراء الفردية (التي قد يكون لها مجال آخر في الجامعات ومراكز البحوث). ففي غياب مؤسسة من هذا النوع تبلور الرؤى الجماعية لسلطة مرجعية، ذات مصداقية، تجتمع فيها كلمة العلماء في عدد من القضايا المطروحة في مجال العمل والإنتاج، والدفع بالحلول الناجعة لقضايا قديمة وجديدة، وتطوير الأدوات والآليات الملحة والجيدة ذات المواصفات الكونية والعربية، وتوفير مختلف الخدمات للمجتمع والأفراد، والدفع بجاذبية اللغة العربية للرفع من قدرتها التنافسية، إلخ. أو بعبارة، لابد أن تعود الأكاديمية بالخير على علماء العربية وعلمائها المخلصين لقضاياها، وقضايا مستعمليها بإعادة ثقتهم في أنفسهم، وإعادة الثقة إلى المواطنين فيهم، وإتاحة الفرص لهم لإقامة الدراسات والأبحاث ذات الجودة والجدوى.

وعلى المستوى السياسي، ستساهم الأكاديمية في إنصاف المواطنين في حقوقهم اللغوية، وفي طليعتها إتاحة الفرصة للتعلم الناجح بهذا اللسان، وتلقي الخدمات الملائمة به، ونشر ثقافته وحضارته، والاستفادة من الفوائد الاتصالية والاقتصادية والسياسية التي يتيحها لمتكلميه، علاوة على فوائده الرمزية والدينية. وستكون الأكاديمية، دون شك، طرفا في إقرار العدالة والدمقرطة اللغويتين، ودعم القضاء اللغوي بالاستشارة في المنازعات اللغوية، علاوة على العمل كطرف استشاري في المجلس الوطني للغات والثقافات.

وإذا كانت الأجندة العامة للسياسة اللغوية تتطلب إقامة التوازنات بين الألسن، في إطار التعدد والتنوع، فإنها تتطلب كذلك إقامة تماسك لغوي هوي. فعبر قانون استعمال اللغة العربية، وقوانين استعمال اللغات الأخرى، وخاصة المازيغية، وتشريعات مكملة يتولى الاشتغال عليها المجلس الوطني للغات، وعبر تطوير الفضاء اللغوي لإقرار العدالة اللغوية التي تحترم الحقوق اللغوية للأفراد

والجماعات، وعبر التبييئ اللغوي الهوي، تستطيع الحكومة الحالية، ذات الطابع الهوياتي، أن تعمل على إقرار سياسة لغوية عادلة متماسكة ومواطنة.

3.3. اقتصاد اللغة واقتصاد التقييم

إحدى المسائل التي يركز عليها الاقتصاد السياسي للغة، والتي تهمنا هنا، مسألة المفاضلة بين اللغات في التعلم. فالنزعة العامة المعهودة عند المتعلمين هي تعلم لغة تزودهم بأكبر الامتيازات التواصلية، التي يمكن قياسها عبر ما يسميه De Swaan **القيمة– ك** Q–value. فمن المنظور الاقتصادي، تعتبر اللغات **سلعا جماعية عملاقة** hypercollective good. وهذا يفسر الإقبال السريع على اللغة التي يرتقب أن تكسب ناطقين جددا لها (كحال العربية)، وهجر اللغة التي يهددها العزوف. وهو ما يعطي تفسيرا اقتصاديا كذلك للحركات الثقافية والإثنية التي تسعى إلى المحافظة على لغة ما، لأن اللغة المهددة تمكن من الاستئثار بالولوج إلى الرأسمالية الثقافي الجماعي للناطقين بها، ولمجموع النصوص المدونة أو المروية بها. وتتنافس الجماعات اللغوية بصفة غير متساوية أو متكافئة في السياق الوطني أو الإقليمي أو الدولي. وفي النظام أو الكوكبة هناك النواة (أو المركز) وهناك الربض (أو الهامش)، وهناك منازل بين بين، وهناك تبادل غير متساو، حسب القوة أو الضعف.[1]

القيمة–ك للغة هي ناتج نسبة متكلمي اللغة من بين الناطقين في كوكبة معينة ونسبة المتكلمين المتعددي اللغة الذين ينطقون بها (ضمن سجلهم اللغوي) من بين مجموع متعددي اللغة ضمن الكوكبة ذاتها. ويفضل متعلمو اللغة تعلم اللغة التي ترفع القيمة–ك (الكمية والكيفية) لسجلهم اللغوي. والتبادل ليس متساويا أو عادلا. فإحصائيات توزيع المهارات اللغوية في الاتحاد الأوروبي، مثلا، تشير إلى أن 80% من طلبة الثانوي يتعلمون الإنجليزية لغة ثانية، و 40% الفرنسية،

[1] – نماشي في هذه الفقرة طرح De Swaan (2001)

و20% الألمانية، وأقل من 10% الإسبانية. والتداول اليومي داخل مؤسسات الاتحاد الأوروبي يتم بالإنجليزية أساسا، مع بعض الفرنسية أو الألمانية أحيانا، مع أن كل لغات الاتحاد رسمية، في الوثائق والبرلمان، إلخ.[1]

وما تختلف فيه اللغة عن السلع أنها لا تستهلك باستعمالها، بل العكس، كلما استعملت إلا وزادت قيمتها للناطق بها أو متعلمها، وكلما استفاد أكثر مما هو كامن فيها. ويمكن استعمال اللغة بدون كلفة أو دفع. إلا أن تعلمها يتطلب استثمارا أوليا عادة، للإنفاق على الكتب، أو المعلمين، أو الوسائط، إلخ. بعد هذا، يمكن استعمال اللغة بدون قيود أو كلفة. اللغة–الأم لا تحتاج إلى كلفة، في صيغتها الفطرية، ولكن الإنفاق بعد المراحل الأولى لا بد منه. ونظرا لهذه الكلفة ولأسباب أخرى، لا يمكن تعلم عدد غير محدود من اللغات، ولهذا كانت المفاضلة ضرورية. وهناك نزعة إلى الوفاء للغة. وهناك شروط لتصبح اللغة بضاعة جماعية ممتازة، منها:

أ – لا يمكن حرمان أي كان، من الناحية الاقتصادية والتقنية، من التمتع بهذه السلعة، أو إقصاء أحد من تعلمها.

ب – يجب وجود تعاون عدد كبير من الناس لتوفير هذه السلعة وصيانتها.

ت – منافع السلعة لا تنقص إذا انضاف مستعملون جدد، بل إن النفع يزيد.

ويمكن الإدلاء في هذا السياق بملاحظتين تنطبقان على الوضع في المغرب. أولهما أن الدولة تنفق أموالا كثيرة على التعليم، وتعليم اللغات بوجه أخص، ولكن سياستها اللغوية العامة تجعل هذا التعليم غير الموفق إهدارا للمال العام، وحرمانا للمواطن من جلب الفائدة مما يتعلمه، أو يمكن أن يتعلمه. والثانية

[1] – ن.م.

تخص الكتابة بحرف تفناغ. فالمفروض أن الذين سيتعلمون الأمازيغية بهذا الحرف هو المواطنون المغاربة الذين استثمروا في تعلم الحرفين الغربي واللاتيني، والذي لا يستطيع منهم الاستثمار في حرف ثالث يحرم من تعلم الأمازيغية، وهو ما يتنافى وشروط السلعة الجماعية الممتازة، وصفة اللغة الوطنية.

ويمثل هذا محور **اقتصاد تقييم السياسة اللغوية** مجالا نشيطا ضمن اقتصاد اللغة. فتقييم السياسة اللغوية اقتصاديا يرتبط بالرفاه، وبالربح والخسارة، وهناك عدة اختيارات ممكنة لبلوغ الأهداف، والرفع من الفوائد مع تقليص التكاليف، يمكن تقييمها قبليا. ثم إن هناك سياسات تم تفعيلها، ويمكن تقييمها بعديا، لمعرفة هل هي ناجعة بالنظر إلى التكاليف، أو تحسين البيئة اللغوية اقتصاديا، إلخ. وفي هذا الإطار، يطرح دور الدولة أو تدخلها في الشؤون اللغوية، باعتبار أن التفاعل الحر القوي في السوق يفترض أن يزود بقدر كاف من السلع والخدمات بكلفة دنيا نسبيا. إلا أن ما يحدث هو اختلالات في السوق، تتطلب تدخل الدولة، من بينها الاحتكار (الذي يرفع الكلفة أكثر من اللازم)، ونقص المعلومات التي توصل إلى القرار، ومراعاة المستقبل، وهذه الاختلالات لها ما يماثلها في البيئة اللغوية. فهناك لغات مهددة مثلا، ولا يمكن أن تكون الأجيال القادمة طرفا في العناية بها، وكذلك الحال في حماية اللغة الوطنية من هيمنة اللغات العالمية، الخ. وعلى السياسة التي تقدر قيمة 'السوق الخاصة' بالنسبة لكل اختيار أو توجه. فسياسة تطلب من العمال العاديين أن يكونوا ثلاثيي اللغة تؤدي إلى رفع أجور هؤلاء، بالضرورة، على المدى القصير. وهذه الأرباح ستؤدي إلى تكاليف (الزيادة في الضرائب)، وهناك قيم مجتمعية غير سوقية (أي غير ذات قيمة مباشرة في السوق)، ومن ضمنها تلك الموصوفة بالرمزية، التي تؤدي إلى أرباح أو خسارات على مستوى إرضاء الجماعات أو الأفراد. وهذا النوع من القيم يدخل ضمن التقييم الاقتصادي، لأن الاقتصاد ليس محصورا فيما هو مادي أو مالي. فالخسارة النفسية التي تتولد عن ضمور وضع اللغة الأم هي خسارة يمكن

احتسابها، وبالمقابل فإن جعل لغة أقلية في موقع اعتباري هو وارد بالنسبة لاحتساب الأرباح. إلا أن تقييم الأرباح والخسارات التي لا ترتبط بالسوق مباشرة صعب جدا، ومازال بحاجة إلى إيجاد المناهج والآليات المؤدية إليه.[1]

وإذا كانت إجراءات تقييم سياسة لغوية تعتمد على قياس الرفاه (والفوائد) على المستوى الجماعي المجتمعي الإجمالي، وحسن صرف الموارد عليه، فإن التحول من بيئة لغوية موجودة إلى بيئة أخرى يؤدي إلى الربح والخسارة كذلك، وتحديد من يكون بجانب هذا أو ذاك، ومدى إمكان تعويض الخاسر، على مستوى فردي أو جماعي. فهذا يطرح **البعد التوزيعي** في الخسارة أو الربح اللغويين. من الرابح مثلا في إقرار الفرنسية لغة العمل الفعلية في المغرب، ومن الخاسر، وما هي إمكانات 'التعويض'؟.

وإضافة إلى التقييم العام، يمكن تقييم الممارسات العملية لسياسة لغوية بعينها. وينظر للسياسة اللغوية عادة عبر القوانين والمواضعات. والمقاييس الإدارية التي تبحث عن الخروج المباشرة (عدد أقسام التعليم المفتوحة، إلخ). إلا أن المواصفات لا تقول شيئا عن الممارسات الفعلية، وهل كانت ناجعة بالفعل للغة الأقلية. يجب النظر في مؤشرات إعادة الحيوية إلى هذه اللغة في التعليم، مثلا، وإلى الملكة اللغوية للساكنة المستهدفة، إلخ. وبصدد تقييم كلفة سياسة لغوية، فإن الأرقام غالبا ما تغيب. ونجد تقييما لكلفة الترجمة في الاتحاد الأوروبي بالنسبة لكل فرد، إلا أنه يحتاج إلى تحيين. وقد نجد تقييما لكلفة المرور من وضع تعليم أحادي إلى ثنائي، إلا أن الكلفة الإجمالية غير واضحة، إلخ.[2]

المراجـــع:

[1]- Grin (2004).

[2] – ن.م.

–أكاديمية محمد السادس للغة العربية، قانون 71.99 وظهير 1.03.113، الجريدة الرسمية المغربية، 17 يوليوز 2003.

–بشارة عزمي، 2010، أن تكون عربيا في أيامنا، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية.

–الشريف حسن، 2002، العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية، ضمن أسئلة اللغة، إعداد عبد القادر الفاسي الفهري وآخرين، ص 41–63. الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

–العمري نادية، 2011، الهوية ولغة التعليم في البلدان العربية، الدوحة: المؤتمر الدولي الأول للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2007/2003. اللغة والبيئة، أسئلة متراكمة. الرباط: منشورات زاوية.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2004، دعم اللغة العربية تعزيزا للقومية والتنمية المجتمعية، تقارير ووثائق رقم 6، الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2004 (إشراف)، حماية اللغة، الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2001/2005، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، الرباط: منشورات زاوية، وبيروت: دار الكتاب الجديد.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2009، اللغة العربية في المغرب إلى أين؟، الرباط، المكتبة الوطنية. الاتحاد الاشتراكي 15–7–2010.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2011أ، الديمقراطية اللغوية المأمولة في المغرب، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 06–06–2011.

–الفاسي الفهري عبد القادر، 2011ب، الفرنكفونية، الرشد اللغوي واختلالات التعليم والتنمية، ضمن الفرنكفونية، ص 73–80، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية.

-الفاسي الفهري عبد القادر، 2012أ، لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد: نماذج لتدبير التنوع والتعدد والتماسك، الدوحة: المؤتمر الدولي الأول للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

-الفاسي الفهري عبد القادر، 2012ب، النهوض باللغة العربية في التعليم الجامعي: نحو رؤية مستقبلية تنموية. بيروت: مؤسسة الفكر العربي، مؤتمر "لننهض بلغتنا".

-الفاسي الفهري عبد القادر، 2012ج، أكاديمية اللغة العربية أولا، الآن، ولماذا؟ محاضرة افتتاحية، الرباط: جمعية اللسانيات بالمغرب.

القبلي محمد، 2001، حول بعض جذور الوضع اللغوي الحالي بالمغرب، المناهل، 62-63، ص 83-95.

-لغة الحق والقانون، 2003، إشراف الفاسي الفهري عبد القادر، الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

-المرایاتي محمد، 2002، أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي، ضمن أسئلة اللغة، إعداد الفاسي الفهري عبد القادر وآخرين. ص 9-40، الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

-المزيني حمزة بن قبلان، 1994/1414، المشْكِل غير المشكل: في قضية المصطلح، علامات للنقد الأدبي، نادي جدة الأدبي.

-المزيني حمزة بن قبلان، 2001، دراسات في تاريخ اللغة العربية (نصوص مترجمة)، دار الفيصل الثقافية، الرياض.

-ميثاق التربية والتكوين، 1999، اللجنة الملكية الخاصة بإصلاح نظام التربية والتكوين، الرباط.

-Ammon, Ulrich. 2008.German as a Language of Science and Scholarship: Once a World Language, Now One of Many “Niche Languages”.Translation by Jonathan Uhlaner. Goethe-Institute. Online-Redaktion.

-Anderson, Bendict. 1991. Imagined Communities. London: Verso.

-Benrabah, Mohamed. 2009. Devenir langue dominante mondiale. Un défi pour l’arabe. Paris : Droz.

-Bourdieu, Pierre. The Economics of linguistic exchanges. Social Science Information 16.6, 645-668.

-Bourdieu, Pierre. 2001. Language et pouvoir symbolique. Paris : Fayard.

-Bretton, Henry. 1996. Political science. Language, and politics. In Language and Politics, William & Jean O'Barr eds. The Hague: Mouton.

-Cerquiglini, Jean-Claude Corbeil, Jean-Marie Klinkenberg,& Benoît Peeters.2000. Le français dans tous ses états. Paris : Flammarion.

-Cristal, David. 2003. English as a global language. Cambridge University Press. De Swaan, Abram. 2001 b. Words of the world. Cambridge: Polity Press.

-Estival, Dominique, & Alastair pennycook, 2011 L'Académié française and Anglophone language policy 10;325-341.

-European Union 2005 A New Framework strategy for Multilingualism. Brussels Fassi Fehri, Abdelkader. 2010 l'étite, les croisés-linguistes et les langues liberation 24-08-2010.

-Ferguson, Charles 1959.a The Arabic koiné Language 35.4 ;616-630.

Ferguson, Charles 1959b. Diglossia. World 15 ;325-340

-Fedrmuc, Jan.2011 The economics of multilingualism in the EU. Economics and Finance Working paper Series 11-04, 12pp. Brunel University, west London.

-Fidrmuc, Jan, Victor Ginsburgh, & Shlomo Weber. 2007. Even Closer Union or Babylonian Discord? William Davidson Institute Working Papers 887,39 pp.

Gabszewicz, Jean, Victor Ginsburgh, & Shlomo Weber. 2011 (to appear). Bilingualism and Communicative Benefits.

-Ginsburgh, Victor & Juan Prieto. 2010. Returns to foreign languages of native workers in the European Union. Industrial and Labor Relation Review (to appear).

-Ginsburgh, Victor & Shlomo Weber. 2005. Language disenfranchisement in the European Union JCMS 43.2, 273 -286.

-Ginsburgh, Victor & Shlomo Weber. 2010. How many Languages do we need? The economics of linguistic diversity. Princeton and oxford; Princeton University Press.

-Ginsburgh. Victor & Shlomo Weber. 2011. Culture, Languages, and Economics, to appear in Handbook of the Economics of Art and Culture, 47pp Amstredam; Elsevier.

-Groddol, David.1997. The Future of English? London : British Council.

-Groddol, David.1997. The Future of Language. Science 303, 1329-1331.

Grin, Francois. 2004. Coûts et justice linguistique dans l'élargissement de l'union européenne. Panoramiques 69, 97-104.

-Grin, Francois. 2005. Linguistique human rights as a source of policy guidelines : A critical assessment. Journal of Sociolinguistics 9.3, 448-460.

Grin, Francois. 2006. Economic Considerations in Language Policy. In Ricento, Thomas ed. An Introduction in Language Policy. Oxford: Blackwell. 77-94.

Grin, Francois. 2010. Why multilinguism is affordable. Santiago de Compostela, 15pp.

-Hagège, Claude. 2006. Combat pour le français. Au nom de la diversité des langues et des culture. Paris : Odile Jacob.

-Habermas, Jürgen 2001. The Postnational Constellation. Cambridge: The MIT Press.

-Jones, Eric. 2000. The Case for a Shared World Languages. In Cultural Factors in Economic Growth, Casson, Mark et al. eds 210-234 Berlin: Verlag.

Koeting, Matthias & Paul de Guchtenire 2007. Political Governance of Cultural Diversity. In Democracy and Human Rights in Multicultural Societies, 3-17 Paris; Unesco.

-Kymlicka, will. 1995. Multicultural Citizenship, Oxford: Clarendon Press. Oxford.

-Kymlicka, will. 2007. Multicultural Odysseys: Navigating the New International Politics of Diversity., Oxford: Oxford University Press..

-Kymlicka Will & Allan Pattern eds. 2003. Language rights and Political Theory. Oxford: Oxford University Press.

-Les nouveaux enjeux de la francophonie au Maroc 2001. Rabat : Ambassade de France.
-Maurais, jacques 2001 vers un ordre linguistique mondial terminogramme 99-100 7-33.
-Osler, nicholas 2010 the last lingua franca English until the Return of babel london : penguin.
-Retiz, Jeffrey et al 2009 Multiculturalism and social cohesion: potentials and challenges of diversity London: springer.
-Smalley, William 1994 linguistic diversity and national unity Chicago: the university of Chicago press.
-Tawil, sobhi, cerbelle, sohie & Ampola 2010 Education au Maroc Analyse du secteur Rapport de l'UNESCO Rabat.
-Unesco 2009 Investir dans la diversité culturelle et le dialogue interculturelle rapport mondial Paris : Editions Unesco.
-Van Parijs, Philippe linguistice justice In language rights and political theory, Will kymlicka & Allan pattern eds, 153-168.
-Vermeren, Pierre, 2003 langue et violence au Maghreb, le journal hebdomadaire 116.
-Versteegh , Kees, 2001 the Arabic Language, Edinburgh University Press.
Yves, Peter, 2006 Global English: Imperialism or Practical Lingua Franca? Studies in Language & Capitalism 1.121-141.

مؤثّرات التّعدّد اللّساني على وحدة التّفكير الإنسانيّ

د/ سعاد بسناسي- جامعة وهران

تشهد المجتمعات الإنسانيّة تحوّلات كثيرة في مجالات متنوّعة، منها الدّينيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وغيرها، ممّا له بالغ التّأثير على طرائق التّواصل اللّغويّ بين الأفراد؛ والجزائر واحدة من هذه المجتمعات التي مرّ تاريخها اللّغويّ بمراحل متنوّعة مختلفة المظاهر والظّواهر والأشكال. وإذا كان المجتمع

الإنسانيّ في تطوّر مستمرّ ، فإنّ اللّغة التي يتواصل بها أفراده هي كذلك. وإذا كانت اللّغة ظاهرة اجتماعيّة فكريّة، فإنّها تتأثّر بكلّ مؤثّر داخليّ أو خارجيّ، وسيصيب ذلك التّأثير تعابير النّاطقين بها، وينعكس سلبا على تفكيرهم، لأنّ التّواصل اللّسانيّ الإنسانيّ لا يتحقّق إلاّ بإعمال الفكر.

وتنوّع طرائق التّواصل والتّعبير في المجتمع الجزائريّ، ناتج عن سعة المكان وامتداد الزّمن، ويتجلّى ذلك في تنويع عاداته وتقاليده ولهجاته. ومن ثمّة، تجد تزاحما لغويّا تمثّله الفصحى في المؤسّسات الرّسميّة والتّعليميّة، وأحيانا فصحى مشوّهة إلى جانب لهجات محليّة وعبارات أجنبيّة، ممّا ينجم عنه تلوّث لغويّ.

ومن هذا الواقع، نتساءل هل التّعدّد اللّغويّ بين اللّهجات ذاتها، وبينها وبين الفصحى، هو تعايش وتآلف، أم تصارع وتنافس؟ وفي التّعايش حركة، وفي التّآلف استكانة، وفي الجميع عناد وامتداد، وفي الجميع تنافس المباني لاكتساب المعاني. يكون البقاء فيه للأفضل نطقا، والأصلح استعمالا.

وإذا كان في المجتمع تجد يد للحاجات اليوميّة، وتوليد للمفردات المعبّرة عنها، وفي فكر المجتمع تمديد لمجاراتها، فقد ينتج عن ذلك تنويع في التّعبير وتطوير في التّفكير، وفي الجميع تعدّد أشكال النّطق والأداء، ويظهر سؤال آخر هنا مفاده، هل التّعدّد يرمي إلى تجميع العامّي في الفصيح، أم إلى تفريع الفصيح إلى عامّي؟ أم هما معا يسيران في خطّين متوازيين، كلّ منهما في مجاله وحسب الحاجة إليه؟ وبين ظواهر التّفريع ومظاهر التّجميع بين الفصحى وعامّياتها يكمن الإشكال. وفي مجال التّجديد والتّوليد والتّمديد، تكمن عناصر التّآلف والتّنافر من جهة، وبذور الصّراع والتّنافس من جهة أخرى.

وفي ذلك جميعه، نتساءل عن ما مدى علاقة التّعبير بالتّفكير، ومن يؤثّر ومن يتأثّر منهما، ولمن تكون الغلبة منهما؟ وما هي الوسائل والكيفيّات التي تقيم

العلاقة الحميميّة المتينة بين تنويع التّعبير، وتنوير التّفكير؟ وبخاصّة في مجتمعنا الجزائريّ.

لقد مرّ المجتمع الجزائريّ بمراحل تاريخيّة هامّة؛ نتجت عنها تحوّلات وتطوّرات في مختلف المجالات، السّياسيّة منها والاقتصاديّة والدّينيّة والتّكنولوجيّة، ممّا أثّر على الواقع اللّسانيّ الجزائريّ. وبما أنّ اللّغة ظاهرة فكريّة واجتماعيّة؛ فإنّها تتأثّر بكلّ مؤثّر داخليّ أو خارجيّ، ويتأثّر التّفكير الإنسانيّ بكلّ ذلك، وتتغيّر طرائقه، بحسب عوامل التّأثير وطبيعة المؤثّرات.

ومن مظاهر تأثير مختلف التّحوّلات في المجتمع الجزائريّ، تنوُّع طرائق التّعبير اللّسانيّ والتّواصل الإنسانيّ، نتيجة العامل الجغرافيّ، المتمثّل أساسًا في سعة الموقعيّة الجغرافيّة، التي تفرض بدورها تنوّع العادات والتّقاليد، وطرائق التّواصل والتّبليغ المتمثّلة في تنوّع اللّهجات، بحسب الموقعيّات الجغرافيّة. ومنه، نتساءل عن تاريخ الوضعيّة اللّغويّة في الجزائر، وسمات كلّ مرحلة وخصوصيّاتها، ومؤثّرات كلّ ذلك على الفكر والتّفكير واللّغة، وعن أهمّ معينات الوحدة الفكريّة اللّغويّة بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، الحاج عبد الرّحمن صالح ومعيقاتها، التي قد تؤدّي إلى تعدّد لسانيّ سلبي، ينجم عنه تشتيت التّفكير اللّغويّ، وتنافر اجتماعي مقيت، أو تعدّد لسانيّ يهدف أساسا إلى المحافظة على الأبعاد الوطنيّة والحضاريّة والثّقافيّة، لتحقيق انسجام اجتماعيّ، بفضل لغة جامعة.

مع المفاهيم

المؤثّرات جمع مؤثّر، وهي صيغة اسم فاعل، من الفعل أثّر، ويقال: (أثّر في وعلى، فعّال ذو أثر قويّ، عامل، مؤثّر داخليّ وخارجيّ، ترك الأثر في النّفس)"1" وكلّ ما كان له تأثير في غيره أو عليه، فإنّه يحمل قوّة ماديّة أو

[1] – معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، أحمد مختار عمر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2007، ج1، ص62.

معنويّة، تجعله يغيّر المؤثّر فيه. والتّأثير هو إبقاء الأثر في الشّيء، وترك علامة فيه. والتّأثير هو (القدرة على إحداث تغيير في الآخرين، لا يرى إلاّ من خلال الأثر الذي يتسبّب في إحداثه، دونما استخدام للقوّة أو السّلطة الرّسميّة. وهو عمليّة إيجابيّة، وذكيّة تهدف إلى تحقيق المصلحة المتبادلة بين المؤثّر والمعنيّين بالتّأثير، لتحقيق النّجاح المشترك بين أطراف عمليّة التّأثير)" 1" والمؤثّرات المقصودة هنا، هي تلك التي أصابت الفكر واللّغة، فنتج عنها تعدّد لسانيّ، ممّا سيأتي تحديده، وتوضيحه في موضعه.

ويدلّ مصطلح التّعدّد من النّاحية اللّغويّة على الزّيادة والكثرة، تتعدّد المشكلات إذا زادت، وكثرت، صارت أكثر من واحدة. فإذا تحقّق التّعدّد، ذلك يعني أنّ المتعدّد كان واحدا، وصار أكثر من ذلك. ومنه، فإنّ مصطلح التّعدّد يحمل دلالة الزّيادة والتّنوّع والكثرة. والتّعدّد المقصود هنا، هو الفكريّ واللّغوي؛ لأنّ اللّغة هي نتاج عمليّة تفكيريّة عقليّة إنسانيّة.

المراحل اللّغويّة في الجزائر معيناتها ومعيقاتها

الواقع اللّساني في مرحلة ما قبل الاحتلال

لكلّ مجتمع عاداته وتقاليده وأعرافه؛ بل إنَّ المجتمع الواحد تختلف فيه العادات باعتبار الجهات، ومعروف أنّه من أبرز ميزات المجتمع الجزائريّ، تأصّل العقيدة الدّينيّة الإسلاميَّة، والاهتمام بحفظ القرآن الكريم، وتعلّم اللّغة العربيّة وقواعدها وآدابها، وكان هذا قبل وأثناء الاحتلال؛ حيث أقبل الجزائريون إبّان الاحتلال على كلّ هذا، لوعيهم بأهميّة التّعليم وخطر التّجهيل، وسعيا منهم لأداء فرائضهم وواجباتهم الدّينيّة، التي تتطلّب حفظ جزء من القرآن الكريم؛ لذلك انقسم التّعليم في هذه الفترة إلى ثلاث مراحل متدرِّجة كالآتي:

---

[1] – التّأثير والقوّة الخفيّة في عصر متغيّر، آلاينا ذوكر (*ALEN THWKER*) دار المعرفة للتّمية البشريّة، ينظر: http//www.alukah.net/culture/0/19739/. ومن مظاهر التّأثير الإنسانيّ، تغيير المواقف *attitudeschange*والتّغيير المعرفيّ *Change cognitive* و*التّنشئة الاجتماعيّة collective reaction*، و*الإثارة الاجتماعيّة collective reactionK*، و*الضّبط الاجتماعيّ social control*.

المرحلة الأولى: حفظ القرآن، أو جزء منه بعد تعلّم الحروف الهجائيّة والقراءة والكتابة، وتدوم من سن مبكّرة جدّا إلى حدود الثّانية عشرة، ويشترك فيها كلّ الأطفال من الجنسين (الذّكور والإناث) مع أنَّ البنت كلّما تقدّم بها السّن قلّ توجيهها إلى الكتّاب.

المرحلة الثّانية : تحفيظ المتون الفقهيّة واللّغويّة، كابن عشير، والأجروميّة، وقطر النّدى، وتُشرح من قِبل العلماء والأئمّة، وتُدرّس مختلف المواد (الصّرف، الفقه، العروض، الحديث) وهذا النّوع من الدّراسة يكون فيه عدد البنين أكثر من البنات، ويتمّ هذا في المدارس والمساجد والزّوايا.

المرحلة الثّالثة: يتمّ فيها التّوسع والتّعمق في دراسة العلوم السّابقة، الدّينيّة والأدبيّة واللّغويّة، ويتخصّص الطّلبة حسب ميولهم، في حال التحاقهم بالجامعات والمعاهد الإسلاميّة خارج الوطن، كالأزهر والزّيتونة والقرويين للتعمّق في الدّراسة. وكان المجتمع الرّيفيّ الجزائريّ، يُنفق بسخاء على التّعليم ورجاله، (وتقول الإحصاءات إنّ المجتمع الجزائريّ قبل الاحتلال كانت نسبة القراءة والكتابة فيه منتشرة بنسبة 90 بالمائة، ولا تقلّ الثّقافة المتوسّطة عن 60 بالمائة).

الواقع اللّساني في المرحلة الاحتلاليّة

لم يكن واقع اللّغة العربيّة في هذه المرحلة يبشّر بالخير، ولا يدعو إلى التّفاؤل؛ لأنّ الاستعمار كان هدفه ضرب الهويّة الوطنيّة الجزائريّة في الصّميم؛ أي محاربة اللّغة العربيّة والمقوّمات الدّينيّة الوطنيّة، والاستعمار كان لصالح الفرنسيين وحدهم، وكان يسعى لتدمير كلّ ما لا ينتمي إلى الشّخصيّة والثّقافة الفرنسيّة.

ولهذا اعتبرت اللّغة العربيّة لغة أجنبيّة في بلدها، ووسط أهلها طيلة (*132* سنة) فلم يكن الاستعمار تدميرا سياسيّا بإزالة سيادة الشّعب الجزائريّ على أرضه

ومصيره، واختياراته؛ بل بإزالة هويته، وتجهيله" 1" وبذلك تراجع استخدام اللّغة العربيّة عمّا كان عليه قبل الاحتلال، وتظهر المؤثّرات الاستعماريّة السّلبيّة، ومعيقاتها إلى يومنا هذا؛ ولكن وعي الجزائريّين في تلك الفترة كان أقوى، وحبّهم للّغة العربيّة أكبر، فتنامى اهتمامهم بها وتزايد؛ لأنّ اللّغة الفرنسيّة كانت (اللّغة الرّسميّة الوحيدة في الإدارة والتّعليم، والتّسيير الاقتصاديّ والسّياسي لا ينافسها في ذلك أيّة لغة)" [2]" وبذلك كان إلزاما على أفراد المجتمع الجزائريّ تعلّم هذه اللّغة ومعرفتها، للتعامل بها، وتقابل هذه الفئة فئة أخرى ترفض المستعمر ولغته جملة وتفصيلا.

ومن معيقات انتشار اللّغة العربيّة، عدم توافر المدارس الكافية التي تحثّ على هذه اللّغة وتعلّمها كنظيرتها (اللّغة الفرنسيّة) إلاّ ما كان يقدّم في بعض المساجد والزّوايا، التي كانت تحت اضطهاد المستعمر. وكذلك المهمّة التي ظهرت بظهور جمعيّة العلماء المسلمين، التي لم تسلم هي الأخرى من المضايقات الاستعماريّة؛ لكنّها كانت أقوى من أيّ اضطهاد وحصار، وتمكّنت من تعليم الكثير من الجزائريّين وتكوينهم، وكانت معينا هامّا ومثيرا قويّا على فكر الجزائريين، وثراء اللّغة العربيّة في الجزائر، أمام الاستعمار الذي كان أكبر معيق في هذه الفترة الحرجة.

الواقع اللّسانيّ في المرحلة الاستقلاليّة

لقد تركّزت الجهود كلّها بعد الاستقلال على عمليّة التّعريب، فقرّرت (وزارة التّربية الوطنيّة، تعريب المواد التي لها علاقة بالشّخصيّة الوطنيّة العربيّة، وذلك

---

[1] ينظر تفصيل ذلك، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، الحاج عبد الرّحمن صالح، دار موفم للطّباعة والنّشر، ج1،ص287.

[2] – نفسه.

كمادّة التّاريخ والفلسفة والجغرافيّة الوصفيّة، وذلك في التّعليم الابتدائيّ والثّانوي)"[1] كما تمّ تعريب هذه المواد في كلّيات الآداب، كلّ مادّة كانت تدرّس بالفرنسيّة، كما تمّ تدعيم تدريس العربيّة، ومضاعفة حجمها السّاعي، مقارنة بما كانت عليه سابقا، ثمّ تمّ بعدها تعريب السّنة الأولى الثّانية ابتدائي تعريبا كاملا.

واستمرّ تأثير اللّغة الفرنسيّة على المعلّمين والمتعلّمين، وعلى أغلب الجزائريّين، في مختلف مجالات الحياة، رغم كلّ الجهود المبذولة لتعليم اللّغة العربيّة، وسيطرتها في كلّ المجالات الحياتيّة بدءا بالتّعليم، الذي به يقاس ازدهار المجتمعات ورقيّها وتطوّرها؛ كما يعتبر التّعليم أهمّ المنافذ الرّئيسة التي تنفذ للفكر فتطوّره؛ فهو الحامض الذي يذيب شخصيّة الكائن الحيّ، ثمّ يكوّنها كما يشاء. ثمّ توالت الجهود لتحقيق تعريب كلّ التّخصّصات في فترة الثّمانينات وما بعدها؛ لكن أهمّ معيق في هذه المراحل، هو اصطدام الواقع بوجود أعداد كبيرة من الجزائريّين المعلّمين والمتعلّمين؛ لأنّ (اللّغة القوميّة هي أداة اتّصال وتفاهم بين أفراد الشّعب الواحد، فهي من أقوى الرّوابط على توحيد الفكر بين أفراده، واصلة القريب منه بالبعيد، والحاضر بالماضي وكذلك بالمستقبل، هي وسيلتنا لتحصيل العلم والمعرفة والآداب)"[2] ومع ذلك تواصلت الجهود في مجال التّعريب، ليشمل كلّ المجالات مع وجود تفاوتات، ومعيقات بينها.

العولمة اللّغويّة

كلّما ابتعدت المجتمعات العربيّة عن تعليم مختلف العلوم باللّغة العربيّة، كلّما ذلك كان معيقا لتوظيفها واستخدامها والتّواصل بها ومن خلالها، لأنّ ذلك (يؤثّر في نموّها الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وفي توجّهها نحو مجتمع المعلومات، ولن يقوم مجتمع المعلومات في الدّول العربيّة دون وجود معرفة باللّغة العربيّة. وتشير الإحصائيّات المتعلّقة بوجود اللّغة العربيّة على الإنترنيت إلى أنّها تأتي في

---

[1] – بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، الحاج عبد الرّحمن صالح، ص388.

[2] – أصول التّربية والتّعليم، طلبة الجامعات والمشتغلين بالتّربية والتّعليم، تركي رابح، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1982، ص300.

المرتبة السّادسة عشرة. وأمّا من حيث عدد المتكلّمين بها فهي من اللّغات السّت. وإنّ الجهة التي تستثمر في تعلّم اللّغة الثّانية (الأجنبيّة) لتستورد لا لتصدّر، هي الخاسرة)"[1] ومنه، فبات من الضّروري الاهتمام أكثر باللّغة العربيّة، وتعميم استخدامها، والعمل على أن تكون هي اللّغة المؤثّرة، وسط زحام اللّغات، وتداخل استخدام اللّهجات بالفصحى باللّغات الأجنبيّة، هذا التّعدّد الذي يؤدّي إلى تشتيت النّطق والفكر معا.

فالعالم في تطوّر علميّ وتكنولوجيّ متواصل؛ لذلك ينبغي أن تصاحب اللّغة العربيّة هذه المجالات والعلوم، تنظيرا وتطبيقا، وصفا واستعمالا؛ لأنّ استخدام اللّغة العربيّة في المجالات العلميّة الحاصلة يعتبر (خيارا اقتصاديّا فرديّا وحكوميّا، ويجب ألاّ يترك لقانون السّوق. كما أنّ الحاجة إلى سياسة لغويّة وطنيّة عربيّة فاعلة تأخذ النّواحي الاقتصاديّة بالحسبان، بتدعيم التّرجمة العلميّة وتعليم العلوم باللّغة العربيّة، ودعم تعلّم اللّغة العلميّة الثّانية)" [2] واللّغة العربيّة، في مستوى التّحديات الحاصلة كلّها؛ لأنّها واجهت ومازالت تحدّيات كبرى، في ظلّ ما يشهده العالم من سلسلة التّطوّرات العلميّة في مختلف المجالات، وهي في حقيقتها ثورات علميّة متتابعة ومتسارعة، من بعد ظهور المعلوماتيّة والعولمة.

شهد المجتمع الجزائريّ الكثير من التّحوّلات، التي حدثت بعد تعاقب جيلين ما بين *1962* و*2000* م؛ ممّا جعل مثقّفا يعيش في المهجر يحاكم اللّغة، وفق ذلك المخيال، ويعمّم حكمه على كلّ المنتوج الفكريّ والأدبيّ الرّاهن" 3" وهذه التّحوّلات جعلت الواقع اللّسانيّ في الجزائر يتّسم بالتّعقيد، نتيجة استخدام اللّغة العربيّة والفرنسيّة والدّارجات، كتابة ونطقا بين أفراد المجتمع الواحد، ممّا يجعلنا نبحث عن الهويّة الوطنيّة، التي أساسها اللّغة. ولذا ينبغي خلق مناعة قويّة

---

[1] – منافحات في اللّغة العربيّة، صالح بلعيد، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2006، ص44.

[2] – نفسه، والقول للدّكتور محمد مراياتي.

[3] – المسألة الثّقافيّة، وقضايا اللّسان والهويّة، محمّد العربي ولد خليفة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2003، ص124/123.

لمواجهة كلّ هذا، مع محاولة فكّ المضايقات التي تواجهها اللّغة العربيةّ من لغات أخرى بدءا بالأفراد.

لغة جامعة في ظلّ تزاحم لغويّ

يتميّز الحقل اللّغويّ في الجزائر بوجود لغة فصحى، ولهجات، ولغات أجنبيّة وعلى رأسها اللّغة الفرنسيّة، ونحن هنا أمام ثلاثيّة لغويّة (*trilinguisme*). فالمجتمع الجزائريّ واحد من المجتمعات العربيّة الكثيرة التي تتعايش فيها لهجات كثيرة، وتتعدّد فيها طرائق التّواصل الاجتماعيّ والعلميّ والعمليّ. وهذا التّزاحم اللّغويّ تمثّله الفصحى في المؤسّسات التّعليميّة، وأحيانا تكون مشوّهة، وهجين بينها وبين الدّارجة أو اللّغة الفرنسيّة، وقلّما نجد مجتمعا يتواصل بلغة واحدة.

فالأحاديّة اللّغويّة (*monolinguisme*) غائبة غالبا، إن لم نقل دائما في العمليّة التّواصليّة، ومنه ينبغي توافر بيانات مرقّمة لدراسة الكثافة الدّاخليّة لاستعمال اللّغات واللّهجات داخل المنطقة الواحدة، ويرى فرغسون أنّه لا توجد لغة عالية المستوى للتّعبير عن المستوى الثّقافيّ والرّوحيّ والدّيداكتيكيّ، وعن مظاهر فكريّة وعلميّة ووظيفيّة، ولغة ذات مستوى وضيع تستخدم في الاستعمال اليوميّ. الأولى لغة النّخبة، وهي ذات خطورة معيّنة؛ أمّا الثّانية فهي عامّية وتحظى بمكانة أقلّ تواضعا وأكثر ألفة وأقلّ خطوة، علما أنّ المجتمع هو الذي يمنح اللّغة أو لأحد سجّلاتها وضعا مفصّلا أو متواضعا"[1] واستخدام لغتين في مجتمع واحد، تكون فيه الواحدة على حساب الأخرى، أو يكون فيه تقصير اتّجاه إحداهما.

والمجتمع الجزائريّ لا يشهد إلاّ هجينا، فكيف السّبيل لتحقيق لغة النّخبة المميّزة في مجالاتها، ومن قبل أصحابها، وتحقيق ما يقابلها وهي الدّارجة في مواضعها، ومواطنها، علما أنّ تحقيق هذا، ليس بالأمر الهيّن والواقع يثبت صعوبته.

[1] – ينظر، وضعيّة اللّغة الفرنسيّة في المشهد اللّغويّ بالمغرب، ينظر: *htt://wwwalmaktabah.net*

أمّا عن تحقيق لغة جامعة في مختلف المجالات، وفي ضوء تعدّد لسانيّ، فلن يكون ذلك إلاّ بتخطيط علميّ عمليّ واع وتفكير عقلانيّ، وجهود متواصلة ومتكاتفة، وهو مشروع مستقبليّ تطول مدّة تحقيقه، ولن يكون كلّ هذا من دون علم أو تعليم. والجزائر مجتمع يومن بأهمّية العلم والعلماء، ودليل ذلك البرنامج الوطني لمحو الأميّة، وإرادة كلّ جزائريّ في التّعليم متزايد دون وضع اعتبارات للعمر أو الجنس؛ فالتّعليم يلعب دورا هامّا في تغذية الفرد بالرّوح الوطنيّة، والوعي السّياسيّ، والفكر العلميّ السّليم، وتطويرالشّخصيّة والهويّة الجماعيّة، وإقامة مجتمع متوازن، لا يكون فيه المواطن مبتورا عن أصوله، ولا متروكا على هامش التّقدّم.

وينبغي أن يتحمّل كلّ فرد مسؤوليّة المشكلة اللّغويّة، بثقة ووعي وقوّة تفكير، ويدعم هذا بوسائل وتقنيّات لازمة لكلّ خطوة، مع العمل والحرص على تطبيق الأنظمة والنّظريّات المسطّرة، واستمراريّة متابعة هذه البرامج، والإيمان بأهمّية اللّغة، وإسهاماتها الفعّالة، والوعي بأهمّيتها وتأثيرها في المجتمع، وتفكير أفرادها.

كما يتطلّب التّعدّد اللّسانيّ، مراعاة المؤثّرات الدّاخليّة والاجتماعيّة للمجتمع، مع وضع ضوابط عقليّة وموضوعيّة لفهمه، بمراعاة الأبعاد المنطقيّة والعلميّة، واعتباره عاملا إيجابيّا لإثراء الرّصيد الثّقافيّ والحضاريّ للمجتمعات الإنسانيّة، من خلال الاهتمام باللّغة العربيّة اهتماما يجعلها تحتلّ مكانة أساسيّة مرموقة في كلّ المجالات توظيفا، واستعمالا، وتواصلا، ونطقا، وكتابة. واعتبار العولمة والتّطوّر العلميّ والتّكنولوجيّ من أهمّ أسباب فرض العربيّة على المستوى العالميّ، والاهتمام أكثر بتعريب البرمجيّات، لتوحيد طرائق التّواصل.

السّياسة اللّغويّة العربيّة منهجٌ للتّأصيل والتّطوير ومواكبة العصر

أ.د. حسن بشير – السّودان

إنّ الأمّة العربيّة مسؤولةٌ عن رسم وتطبيق السّياسة اللّغويّة العربيّة الموحّدة الّتي تتلاقى فيها أفكار النّخب في الوطن العربيّ لخدمة اللّغة الجامعة المشتركة بين أقطار البلاد العربيّة كلّها. واللّغة الّتي تمثّل هذا التّوجّه هي العربيّة الفصيحة المعاصرة، والّتي أطلقُ عليها في هذا البحث اسم "اللّغة القوميّة".

في الدّراسات التّحليليّة الخاصّة بين الإنسان ولغته؛ أنّ اللّغة تمثّل شخصيّة النّاطق بها، بها، يقوي بقوّتها ويضعف بضعفها. كما تمثّل مقدرته على المشاركة في صرح الحضارة الإنسانيّة التّي يتبنّاها المتقدّمون. ولن يتأتّى التّقدّم بلغات الآخرين.

والسّياسة اللّغويّة العربيّة الموحّدة الّتي ندعو إليها تحتاج منّا إلى رسم الخُطط المنهجيّة الدّائمة، والخُطط المرحليّة المرتبطة بنشاطنا العربيّ المتجدّد. وفي لبّ ذلك المفهوم الخاصّ بخدمة اللّغة القوميّة؛ تأصيل التّعلّم والتّعليم، وتطوير مناهجه، وجعل العربيّة مواكبةً مستوعبةً لمستجدّات العصر.

وإذا استطعنا تحقيق سياسةٍ لغويّةٍ فاعلةٍ، تعزّز اللّغة القوميّة المركز، فإنّنا لن نخاف من اللّجهات ولا من اللّغات الأجنبيّة بل إنّ عمليّة التّعدّد اللّسانيّ تظهرُ ضمن عوامل الثّراء للّغة القوميّة المركز، وبإمكان لغتنا العربيّة الفصيحة المشتركة أن تستفيد من روافد البيان الأُسلوبيّ الّذي ينبعث من التّعدّد اللّسانيّ؛ ما دامتْ تُمثّل المركز المحوريّ لسياتنا اللّغويّة.

وفي مداخل السّياسة اللّغويّة العربيّة التّي ندعو لها:

التّعريب الشّامل للتّعليم المدرسيّ والجامعيّ، وإنشاء مجمع اللّغة العربيّة القوميّ، وتوطين البحث العلميّ المتقدّم في لغتنا القوميّة، وتحرير خطابنا القياديّ بالعربيّة الفصيحة، وترتيب دورٍ رساليٍّ لسفارات الدّول العربيّة بالخارج.

أوّلاً: مدخل الدّراسة:

قضيّة السّياسة اللّغويّة العربيّة تشغل اهتمامي منذ أمدٍ ومن الإفرازات المتجدّدة لهذا الاهتمام بحثي المسمّى السّياسة اللّغويّة القوميّة؛ منهجيّةٌ للمستقبل الدّوْلي للّغة العربيّة" والذّي شاركتُ به آخر شهر مارس الماضي بمؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة. ومن ذلك البحث الذّي بين أيديكم وفق عُنوانه "السّياسة اللّغويّة العربيّة؛ منهجٌ للتّأصيل والتّطوير ومواكبة العصر.

إنّ الأمّة العربيّة مسؤولةٌ عن رسم وتطبيق السّياسة اللّغويّة العربيّة الموحّدة، التّي تتلافى فيها أفكار النّخب في الوطن العربيّ لخدمة اللّغة الجامعة المشتركة بين أقطار البلاد العربيّة أجمعها. وفي تقديري أنّ اللّغة التّي يمكن أن تُمثّل هذا التوّجّه هي العربيّة الفصيحة المعاصرة، والتّي أطلق عليها في هذا البحث اسم "اللغّة القوميّة".

في الدّراسات الخاصّة المستهدفة لتحليل العلائق بين الإنسان ولغته؛ أنّ اللّغة تمثّل شخصيّة النّاطق بها، تقوى بقوّته وتضعف بضعفه، كما تمثّل شخصّيته من حيث مقدرتها على المشاركة في صرح الحضارة الإنسانيّة التّي يتبّناها المتقدّمون، ولن يتأتّى التّقدّم بلغات الآخرين.

في لبّ السّياسة اللّغوية القومّية التي ندعو إليها، تأصيل التّعليم، وتطوير مناهجه، وإمضاء مشروع التّعريب إلى غاياته المرجّوة، وتطوير البحث العلميّ باللّغة الفصيحة، والاستفادة من نتائجه في الميادين المختلفة، وفي ميدان الدّرس اللّغويّ خاصّةً. وإذا استطعنا تحقيق سياسة لغويّةٍ فاعلةٍ، تعزّز اللّغة القومّية المركز؛ فإنّنا لن نخاف من اللّجهات ولا من اللّغات الأجنبيّة؛ بل إنّ عمليّة التعدّد اللّسانيّ تظهر ضمن عوامل الثّراء للّغة القومّية المركز. وإنّه بإمكان لغتنا العربيّة الفصيحة المركز المشتركة بين أهل الوطن العربيّ أجمعهم؛ بإمكانها أن تستفيد من روافد البيان الأسلوبيّ الّتي تنبعث من التّعدّد اللّسانيّ؛ ما دامتّ تمثّل المركز المحور في خططنا الدّائمة، وخططنا المرحليّة؛ وفق السّياسة اللّغويّة القومّية، الّتي نأمل أن تتمخّض عنها خطّة التّعريب الشّامل، وخطّة المجمع اللّغويّ القوميّ، وخطّة البحث العلمي المتطّور باللّغة العربيّة.

ثانياً: السّياسة اللّغويّة العربيّة:[1]

[1] بحوث مؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، الدّورة الثّامنة والسّبعون، 3/19-2012/4/2م، دورةً مخصّصة لبحث مستقبل اللّغة العربيّة، مجمع اللّغة العربيّة- القاهرة.

إنّ رسم السّياسة اللّغويّة على نطاق الوطن العربيّ بصورةٍ شاملةٍ أمرٌ ضروريٌّ لنهضة اللّغة العربيّة، وأمرٌ ضروريٌّ لتحقيق الانسجام بين النّاطقين بها؛ فهذه السّياسة "من شأنها تقليل التّناقضات، وتيسير الاتّصال في داخل الدّوْلة أو في دول المجموعة اللّغويّة" [1]، ومن شأن هذه السّياسة أن تؤكّد على صلاحيّة العربيّة لأن تكون لغةً للعلوم والآداب والفنون والاجتماع، وسائر مناشط حياتنا، لتعيد سيرتها التّاريخيّة. ومن المعلوم أنّ العربيّة قدّمتْ للحضارة الإنسانيّة الكثير، نحو الأرقام الحسابيّة، والرّياضيات، والجبر، والكيمياء، والطّيران. ذلك يوم كان العرب متقدّمين بالإسلام تقدّمتْ معهم لغتهم؛ "وليس معنى هذا التّعانق بين العربيّة والإسلام أنّها لغة كهنوتٍ، كما قد يحلو لبعض المستشرفين أن يصفوها، لأنّ الإسلام لا يعرف الكهنوت الّذي عرفته الأديان قبله، وخلعته على اللّغات الّتي نطقت بها، بل إنّ الإسلام دفع بالعربيّة إلى ارتياد آفاق العلم التّجريبيّ، حتّى صارت لغة العلم.." [2] وقد قدّمتْ اللّغة العربيّة في ظلال تقدّم الإسلام مبادئ العلوم الرّياضيّة والطّبيّة، كما قدّمتْ نظريةَ المعرفة، التي أساسها لابن رشدٍ، وشهرتها لتوماس الإكويني[3].

إنه على سياستنا اللّغويّة أنْ تؤسّس لمنهجٍ يحقّق الأهداف لأُمّتنا بجعل العربيّة لغةً جديرةً بالدّخول إلى ميدان سباق اللّغات الدّوْليّ، من خلال توطينها في الحاسبات الآليّة، وفي شبكة المعلومات العالميّة؛ فاستخدام "الحواسيب والشّبكة العالميّة للمعلومات أصبح ملازماً للتّداول العلميّ والبحثيّ في جميع تخصّصاته بفضل الإمكانات الفائقة لأجهزة [المعلومات] في تخزين قدرٍ هائلٍ من المعارف العلميّة وترتيبها، واسترجاعها عند الطّلب، ونقلها بسرعةٍ فائقةً لمن يطلبها عبر القارات... فإنّ اتقان فنّيّات التّداول العلميّ والبحثيّ باللّغة العربيّة من خلال أجهزة

---

[1] مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، العدد 115، مايو 2009م، ص 260، بحث: محمود فهمي حجازيّ؛ "اتّجاهات السّياسة اللّغويّة".

[2] العربيّة لغة العلوم والتّقنيّة، لعبد الصّبور شاهين، ص 7.

[3] نظريّة المعرفة عند ابن رشدٍ وتأويلها لدى توماس الإكويني، لمحمود قاسم.

التّقانة الإلكترونيّة، ووسائط [المعلومات] أمرٌ لا بُدّ أن تقوم عليه مؤسّساتٌ متخصّصةٌ للبرمجيّات، وأخرى لصنع العتاد الحاسوبيّ في جميع أجزائه ومكوّناته"[1]. فعصرنا الّذي نعيشه هو عصر المعلومات، واللّغة الّتي تواكبه لا بّد لها من هذا التّطوير الذي نسطيع في ظلاله أن نقول: إنّ هذه اللّغة لغةٌ حّيةٌ مشاركةٌ في موكب الحضارة الإنسانيّة، لغةٌ تستوعب المستجدات، وتتطوّر وفق تطوّر أصحابها. وقد ينقلها منهج هذا التّطوّر إلى معانٍ متجدّدةٍ ليست في أصل الوضع اللّغويّ؛ "فالجمع في لسان العرب هو نتيجة ضمّ شيءٍ إلى شيء، أو هو مرادفٌ لكلمة جماعةٍ من النّاس، والجمع أيضاً هم القوم المجتمعون، والجمع فوق هذا وذاك الأشتات من التّمر. ولكنّ العلوم العربيّة الإسلاميّة استخدمتْ كلمة الجمع استخداماً اصطلاحيّاً؛ فالجمع عند المحاسبين هو زيادة عددٍ إلى عدد آخر، وعند علماء أصول الفقه أنْ يُجمع بين الأصل والفرع لعلّةٍ مشتركةٍ بينهما ليصحّ القياس،..[2]".

إنّ منهج النّهضة والتّجديد المنبعث من السّياسة اللّغويّة العربيّة المشتركة ممكنٌ من حيث التّخطيط، ومن حيث التّنزيل إلى واقع التّطبيق العمليّ؛ متى تحوّل العرب "إلى عشّاقٍ مغرمين بلسانهم، ذائبين في حرفه، يحسنون درسه، ويجيدون نطقه، ويلزمون غرزة، فلا ينطقون على أرض العرب إلاّ بالعربيّة، وعلى من أراد أن يعيش بين ظهرانيهم من الأجانب أن يتعلّم لسانهم، ويعاملهم بكلامهم[3]".

وممّا يلاحظ في مسألة التّطوير والتّجديد للغتنا الفصيحة ارتباطها بالدّين الإسلاميّ ومصدرَيْ أساسه القرءانِ والسّنة [4]؛ فإنّ "الدّين واللّغة أبلغ العوامل في

---

[1] ندوة اللّغة العربيّة لغة البحث العلميّ، ص 26، مقال: دفع الله التّرابيّ "ملزومات إجراء البحوث العلميّة".

[2] المصطلح العربيّ، الأصل والمجال الدّلاليّ، لصبري إبراهيم، ج1، ص8.

[3] العربيّة لغة العلوم والتّقنيّة، لعبد الصّبور شاهين، ص9.

[4] تفاصيل وافيه ببحثي؛ "السّياسة اللّغويّة القوميّة؛ منهجيّةٌ للمستقبل الدّوليّ للّغة العربيّة"، بحوث مؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، الدّورة الثّامنة والسّبعون، مارس 2012م.

تشكيل كينونة الإنسان منذ النّشأة الأولى، وأنّهما متداخلان في كّلِ ثقافةٍ تداخلاً غير قابلٍ للفصل. وشطر القضيّة الأولى لا اعتراض عليه، أمّا التّداخل غير القابل للفصل فلا يصدق إلاّ على الثّقافة العربيّة الإسلاميّة"[1].

والمقدرة على التّطوير والتّجديد متوفّرة للغتنا العربيّة، ولهذه المقدرة مداخل متعدّدةٌ، منها: توصيف العربيّة الصّوتيّ والدّلاليّ، ومنها كثرة المتحدّثين بها، ومنها صناعة النّحو[2]، وظاهرتا الاشتقاق والتّوليد؛ "فالمعروف أنّ الاشتقاق يعطي الفرصة كاملةً لتقليب الأصل الواحد على وجوهٍ متعدّدةٍ متنوعةٍ، في صورة صيغٍ وأوزانٍ مختلفةٍ، من شأنها أن تضيف جديداً إلى المحصول اللّفظيّ للّغة وأهلها. وللتّوليد هو الآخر – ونعني به هنا توليد المعاني– خاصّةٌ تدلّ على الكفاية اللغّويّة في التّعبير، وسبيلٌ من سبل التّنوّع في الدّلالاتِ، بتعميمها وتخصيصها، أو توسيعها وتضييقها؛ على سبيل المجاز والاستعارة، والكناية، أو النّقل من مجالٍ دلاّلٍي إلى آخر"[3].

إنّه على السّياسة اللّغويّة العربيّة أن تستفيد من مقدرة اللّغة العربيّة على التّطوير والتّجديد فتجعل منها على مستوى الصّحّة والفصاحة لغةً للنّهضة العربيّة المتسقبليّة. وعلى هذه السّياسة أن تُهيّئ الظّرف المناسب لاختيار الأساليب [4] الّتي يُؤدّي بها الخطاب اللّغويّ العربيّ، في كّلِ الميادين الحيّاتيّة؛ لصناعة القدوة اللّغويّة الّتي تهتدي بها الأجيال فإذا استطاعتْ ذلك كان تعزيز اللّغة العربيّة المركز بصورةٍ تجعلنا لا نخاف من التّعدد اللّسانيّ بشتّى أنماطه؛ فلا نخاف على لغتنا الفصيحة من اللّهجات في مناطق التّداخل اللّغويّ، ولا نخاف من اللّغات الأجنبيّة؛ بل إنّ لغتنا قادرةٌ على أن تستفيد من الرّوافد البيانيّة للّهجات، ومن

---

[1] في النّقد اللّسانيّ، لسعد مصلوح، ص23. وهو من نقده لبحث محمود محمّد شاكر؛ "رسالةٌ في الطّريق إلى ثقافتنا".

[2] الأصول، لتمّام حسّان، ص61. وانظر؛ بحثي: السّياسة اللّغويّة القوميّة، ص4، هامش رقم (8).

[3] اللّغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، لكمال بِشْر، ص328.

[4] مجلّة كليّة اللّغة العربيّة – جامعة أمّ درمان الإسلاميّة، العدد الثّالث 1430هـ، ص172، بحث محمّد الحسن على، المسمىّ "بين البلاغة والأسلوبيّة".

الرّوافد البيانيّة للّغات الأجنبيّة، وقادرةٌ أن تجعل كلّ هذا الرّصيد البياني في صالح نهضتها.

ثالثاً- محاور القضيّة؛ عرضٌ ومناقشةٌ:

السّياسة اللّغويّة العربيّة وفق عنوان البحث تمثّل منهجّيةً لدراسة ثلاثة المحور المستهدفة غاياتٍ لإنفاذ هذه السّياسة وهي وفق ورودها مضطرةً؛ التأصيل، والتّطوير، ومواكبة العصر.

أ- التأصيل:

على السّياسة اللّغويّة القوميّة أن ترسُم كلّ خططها على تأصيل الدّرس اللّغويّ وَفْق مرجعيّة العلوم العربيّة التّاريخيّة، مثل: الأصوات والنّحو، والصّرف، والمعجم، والدّلالة، والبلاغة، وأنْ تحدّد منهجيتها وفق موجّهات النّصوص العربيّة، مثل: القرءان، والحديث، والنّثر الفنيّ، والخطابة الفنّيّة، والشّعر العربيّ، وضروب الحكم والأمثال بأنماطها المختلفة.

وعلى السّياسة اللّغويّة القوميّة أنْ تُعنى بتأصيل التّدريس بالعربيّة الصّحيحة الفصيحة، لكلّ المعارف والمواد، وفي كّلِ النّشاط التّعليميّ، المدرسيّ، والجامعيّ، والإضافِيّ، والبحثِيّ المتقدّم. وهي سانحةٌ أن ندعَو وزراء التّعليم، والتّعليم العالي، والبحث العلميّ، بالوطن العربيّ أن يضعوا خطّةً مشتركةً لهذا التأصيل، وأن يكون من منهج هذه الخطّة التّعريب الشّامل لكِلّ التّعليم والبحث بالوطن العربيّ، بما في ذلك ترجمة بحوث العلماء العرب المكتوبة بلغاتٍ أخر إلى العربيّة لتكون في مشاركتنا بالحضارة العالميّة، وتركها في تلك اللّغات بجعلها ملكاً لغيرنا، ويحرِم العربيّة من حقّها الأساس.

وفي منهجيّة التأصيل تجديد اللّغة مرتبطاً بكل العلوم؛ كأن ترسُم هذه السّياسة خُطّةً لتعزيز المكتبة العربيّة بالدّراسات المتجدّدة المكتوبة باللّغة العربيّة الصّحيحة الفصيحة. وذلك ممكنٌ إذا استطاعتْ هذه السّياسة أن تصل نفسها بالأساتذة العرب، وأنْ تدعو كلاًّ منهم أن يكتب على الأقلّ كتاباً واحداً في

تخصّصه، باللّغة العربيّة الصّحيحة الفصيحة، وأنْ ينقل كتاباً واحداً في تخصّصه من اللّغة التي يتقنها إلى اللّغة العربيّة المنفتحة على التّقدم العلميّ العالميّ. وما يهّم هنا أنْ يكون هناك برنامجٌ واضحٌ للسّياسة اللّغويّة القوميّة بخصوص دعم هذه المشروعات الخاصّة بالتّأليف والتّعريب والترّجمة؛ وأنْ يكون الدّعم بالجانَبيْن المعنويّ والمادّيّ، كَيْ يتمّ إنجاز المشروعات من جميع الأساتذة العرب، ولا يكون هناك عذرٌ لمعتذرٍ.

ب. التّطوير:

إذا كان في محاور السّياسة اللّغوية النّهضة وتطوير الأداء؛ فإنّة من المهمّ أن نتّفق نحن العرب النّاطقين بهذه اللّغة على الجهة العلمّية التي تستوعب القرار السّياسيّ القوميّ وتنزّله إلى واقع التّطبيق العمليّ، من خلال خطّةٍ قوميّة شاملةٍ تدفع بالعربيّة إلى التّجديد والتّطوير. إنّنا نستشرف إلى منهجيّةٍ للتّطوير قابلةٍ إلى التنّزيل للواقع العمليّ التّطبيقيّ، من خلال برامجَ وجداولَ، تتناسق مع مقدرة لغتنا من وجةٍ، ومع مقدراتنا الذّاتية من وجهٍ آخر.

إنّنا وفق منهجّية التّطوير اللّغويّ ندعو إلى تحرير خطابنا القياديّ؛ المحليّ والدّوْليّ باللّغة العربيّة الصّحيحة الفصيحة. وندعو إلى ترتيب دور رساليٍّ لسفارات جميع الدّول العربيّة بالخارج، بأنْ يكون لكِلّ سفارةٍ مَوْسمٌ ثقافيٌّ عربيٌّ، وأن تكون مكتبةٌ عربيّة لغويّةُ وحضاريّةٌ، وأن يكون معهدٌ عربيٌّ لتعليم لغتنا للنّاطقين بغيرها.

إنّ السّياسة اللّغويّة الخاصّة بالتّطوير والنّهضة عليها ربط العلائق الوظيفيّة بين المجامع القطريّة، والمجمع القوميّ الّذي ندعو إليه وَفقْ تطوير النّواة الحاليّة المتمثّلة في اتّحاد المجامع العربيّة. ذلك من أجل تكريس كلّ الجهود المبذولة قطريّاً وقوميّاً لصالح مشروع النّهضة اللّغويّة.

وفي أفق هذا التّطوير نرتجي من السّياسة اللّغوية العربيّة أن يكون في لبّ خططها الدّائمة والمرحليّة، السّعي بالعربيّة سعي غير مواكلٍ نحو التّطوين في

الحاسبات الآليّة، وفي شبكة المعلومات الدَّوليّة؛ فقد أصبح هذا النّهج سبيلاً مميّزاً لتطوّر اللّغات.

ج. مواكبة العصر:

منظومة علوم العربيّة المختلفة تدلُّ واضحةً على كفاية اللّغة العربيّة الفصيحة على استيعاب المفاهيم العصريّة المتجدّدة، وإبداع ما يفي بحاجاتها اللّفظيّة والمعنويّة. ففي صِناعة النّحو المكتسبة بالتّدريب، والمحوّلة بوساطته إلى ملكةٍ تدفع بأساليب اللّغة العربيّة[1] إلى تنوّع الأمثلة، وإبداع النّماذج المتشابهة؛ في هذه الصّناعة ما يسدّ الحاجة المتجدّدة، ويفي بالمطلوب اللّغويّ للعصر.

وفي انتظام اللّغة العربيّة لظاهرتيْ الاشتقاق والتّوليد ما يؤكدّ كفايتها لسدّ حاجات العصر المتجدّدة؛ "فالمعروف أنّ الاشتقاق يعطي الفرصة كاملةً لتقليب الأصل الواحد إلى وجوهٍ، من شأنها أن تضيف جديداً إلى المحصول اللّفظيّ للّغة وأهلها. وللتّوليد هو الآخر – ونعني به هنا توليد المعاني– خاصّةٌ تدلُّ على الكفاية اللّغويّة في التّعبير، وسبيلٌ من سبل التّنوعّ في الدّلالاتِ، بتعميها وتخصيصها، أو توسيعها وتضييقها، على سبيل المجاز والاستعارة والكفاية والنّقل من مجالٍ دلاليّ إلى آخر[2]" ومداخل وفاء العربيّة بحاجات العصر متعددةٌ، منها: التّوصيف الصّوتيّ والدّلاليّ، ومنها النّحت ومنها البحث الأسلوبيّ الذّي تجري إجراءات تحليليه بطرقٍ مختلفةٍ لمعالجة القضايا المختلفة[3].

واللّغة العربيّة عندي قادرةٌ على تكذيب الفرية التّى تقول: إنّ العربيّة غير صالحةٍ لمتطلبّات العصر المتجدّدة. وتجدني أشارك شاعريْ العربيّة أحمد البيلي وحافظ إبراهيم ذات التّوجّه؛ الأوّل في كلمته "شكوى الفصحى[4]" وفيها:

---

[1] الأصول، لتمّام حسّان، ص61.

[2] اللّغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، لكمال بشر، ص 121. وبحثي: "السّياسة اللّغويّة القوميّة؛ منهجيّةٌ للمستقبل الدّوليّ للّغة العربيّة"، ص4، بحوث مؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، الدّورة الثّامنة والسّبعون، مارس 2012م.

[3] علم الأسلوب؛ مبادئه وإجراءاته، لصلاح فضل، ص188.

[4] الشّعر العربيّ المعاصر؛ قراءةٌ مختارةٌ من السّودان، لحسن بشير، ص 23 و24.

حفظتُ كتاب الله والسّنّة الّتي تناقلها في الدّهر خيرُ رُواةِ
ففي كلماتي جاءكم دين أحمدٍ فصونوا حقوقي واحفظوا حرماتي

****

فياحاملي الأقلام نصري عليكموا خذوا بيدي من تلكم العثراتِ
ويا صانعي التّاريخ عزّي بعزّكم وما عزّ أقوام بذُلّ لغاتِ

والثّاني في كلمته "اللّغة العربيّة تنعي حظّها بين أهلها[1]" وفيها:

ولدتُ ولمّا لم أجدْ لعرائسي رجالاً وأكفاءً وأدتُ بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسماءٍ لمخترعاتِ
أنا البحر في أحشائه الدّرّكامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتِي

وإذا كان موقفي مع الشّاعَرِيْن يُعبّر عن توجّهٍ يملي على السيّاسة اللّغوّية العربيّة خُططاً للإنهاض اللّغويّ؛ فإنّني أتطلّع أن تربط هذه السّياسة بين اللّغة والنّاطقين بها وشيجاً، حيث يشعرون أنّ عزّهم وكرامتهم منوطةٌ بعزّة لغتهم وكرامتها، وأنّ تقدّمهم رهينٌ بتقدّمها.

وإنّه وفق سرد ذات الموقف؛ أنْ تدفع السّياسة اللّغويّة العربيّة العلماء العرب أنْ يحملوا همّ التأصيل والتّطوير ومواكبة العصر، وأن يوطّنوا أنفسهم على الإقامة في ساحة الغوّاص الّتي هَدف إليها حافظ؛ حتّى تتمكن أمّتنا من العلم الحقيقيّ الذّي يغطيّ كلّ المعارف، ويكمّلُ سائر النّقص، ويفي بمتطلبّات العصر المتجدّدة؛ ويشاركُ في موكب الحضارة الدّوْليّة.

رابعاً– ملحق البحث:

"ثلاثة مطالب للسّياسة اللّغوية العربيّة"، مستلّةٌ من بحثي التّوْأم؛ "السّياسة اللّغويّة القوميّة منهجّيةٌ للمستقبل الدّوْلي للّغة العربيّة"[2].

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم، قافية التّاء. واللّغة العربيّة؛ دراساتٌ وتطبيقاتٌ، لعمر الملاّ وآخرون، ص 265.

[2] بحوث مؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، الدّورة الثّامنة والسّبعون، وموضوعها؛ "مستقبل اللّغة العربيّة"، مارس 2012م.

المطلب الأوّل: التّعريب الشّامل:

إنّ نجاح السيّاسة اللّغويّة القوميّة يبدو من خلال إحكامها لقضيّة التّعريب تخطيطاً وتنفيذاً، خاصّةً فيما يتّصل بتعريب التّعليم المدرسيّ والجامعيّ؛ فإنّ سياسة التّعريب الخاصّة بالتّعليم هي الّتي تحقّق الأهداف المرجّوة للغتنا تأصيلاً وتطويراً ومواكبةً للعصر.

وإذا كُنا نستهدف رسم سياسةٍ قوميّةٍ تجعل من التّعريب قضيّةً قابلةً للمعالجة، وتوجّهاً قابلاً للتّنفيذ؛ فإنّنا إذن محتاجون إلى سلطةٍ سياسيّةٍ واثقةٍ من قدرتها على فعلٍ كبيرٍ مثل إنجاز سياسة التّعريب. وإنّنا محتاجون إلى قوّةٍ شعبيّةٍ عربيّةٍ مؤمنةٍ بقضايا الهُويّة والانتماء، بحيث تجعل من مطالب الأساس لدَيْها إنجازَ التّعريب إلى غاياته.

نحن نحرص على قوميّة التّعريب؛ لأنّ الشّمول صفةٌ أساسٌ له باعتباره قضيّةً قوميّةً مشتركةً؛ "وذلك يدعو إلى أنْ يكون الشّمول أحد ملامح الأساس للخطّة التي يعالج بها العرب قضيّة التّعريب. ولا يجدي أن يعالجَ تعريب التّعليم العالي في المغرب بغير ما يُعالج به في الشّام أو في مصر. ذلك أنّ بعض التّجارب العربيّة المنعزلة المنفردة في أحد البلاد العربيّة هي اليوم حجّةٌ لبعض الحكومات العربيّة الأخرى وذريعةٌ للاحجام والتّردّد في مواصلة التّعريب[1]."

إنّنا نطمح أن تُدعم سياستنا اللّغويّة باتّفاقٍ على التّعريب، وجعله توجّها قوميّاً؛ فالعامل الأساس الأوّل "لقيام مثل هذه الاستراتيجيّة المشتركة، بلا شّكٍ، حصول الاتّفاق الجماعيّ على وجوب التّعريب وحتميته التّاريخيّة، وإمكانيّة إنجازه في المدّة الزّمانيّة القابلة للتّقدير والسّيطرة ولا يكون ذلك الاّتفاق عمليّاً وظيفيّاً إلاّ إذا حصل داخل كِلّ قطرٍ عربّيٍ بين الشّعب وحكّامه، وبين فئات المفكّرين وصّناع القرار، فيصبح التّعريب بهذا الاعتبار جزءاً من برامج الأحزاب السّياسيّة،

[1] التّعريب ودوره في تدعيم الوجود العربيّ...، ص 473، من مقال مصطفي الفيلالي؛ "نحو استراتيجيّةٍ للتّعريب في الوطن العربيّ".

والتّنظيمات الجماهيريّة، تدعو إلى تحقيقه، وتحثّ الفئات الحيّة من الشّعب إلى التّعلّق به وإلى المطالة بإنجازه"[1].

ومن الآمال المرجوّة في الخطّة القوميّة للتّعريب أنْ تعالج مشاكل الرّبك الأسلوبيّ النّاشئة عن التّأثّر باللّغات الأجنبيّة، فإنّ كثيراً من الكتّاب العرب في العصر الحاصر "وخاصّةً المؤلّفين في العلوم، وبعض محرّري الصّحف ممّن لم تستحكم مِرّتهم في اللّغة، تؤدّي بهم ترجمة الأساليب الإفرنجيّة أو محاكاتها إلى الخروج عمّا يسير عليه الأسلوب العربيّ... فهذا النّوع من تعريب الأساليب، إن صحّت تسميته هو الّذي ينبغي أن نقاومه جهدنا ونعمل على القضاء عليه" [2].

وسيكون بإمكاننا فعل ذلك وغيرِه لصالح العربيّة من خلال السّياسة اللّغويّة القوميّة.

المطلب الثّاني: مجمع اللّغة العربيّة القوميّ:

لقد بات أمر المجمع القوميّ ضرورةً آنيّةً ملحّةً؛ فهي سانحةً إذن أن ندعو الجامعة العربيّة أن تحتضن هذا المشروع القوميّ، وأن تخطّط له بصورةٍ جادّةٍ، تسعى نحو التّنزيل للواقع العمليّ، من خلال قرارٍ رئاسيٍّ تصدره القمة العربيّة الآتية.

ونقترح أن يضمّ المجمع القوميّ النّواة الحاليّة المتمثّلة في "اتّحاد المجامع العربيّة"، وأن يدعمها بعضوٍ من علماء العرب في كِلّ بلدٍ، بحيث يشمل عقد التّمثيل كلّ البلاد العربيّة دون أيّ استثناءٍ.

إنّ مجمع اللّغة العربيّة القوميّ ذو أهميّة كبرى في العلم وفي السيّاسة، فبه نضمن الانضباط العلميّ لسعينا بالعربيّة تأصيلاً وتطويراً ومواكبةً للعصر.

وبه يناط "توحيدُ المصطلحات"، وإقرارُها ونشرُها. وله وحده الحقُّ في إقرار المعاجم العربيّة، وتنظيمِ حركة التّعريب والتّرجمة على نطاق الوطن العربيّ.

---

[1] المرجع السّابق والكاتب، ص 471.

[2] فقه اللّغة، لعلي عبد الواحد وافي، ص 184.

وبالمجمع العربيّ القوميّ يتمّ إنفاذ مشروعاتنا المتعثّرة؛ نحو مشروع المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، ومشروع الذّخيرة اللّغويّة العربيّة.

المطلب الثّالث: توطين البحث العلميّ المتقدم في لغتنا القوميّة:

قضّية توطين البحث العلميّ في اللّغة العربيّة الفصيحة ليستْ وليدةَ حبٍّ عاطفيٍّ للساننا؛ بل قضيّةُ شخصيّنا الأمميّة، وهُويتنا الثّقافيّة. وهي "إرادة لا تلين للتّخلّص من رواسب الماضي القريب الذّي فُرض فيه على أبناء العروبة تلقيّ المعارف بلغات غيرهم بحجة قصور هذه اللّغة عن أداء تلك المعارف" [1]. وهناك بونٌ شاسعٌ بين من يدخل ميدان البحث العلميّ المتقدّم بذاته وشخصيته، وبين من يدخله بذاتٍ وشخصيّةٍ مستعارةٍ. وإذا استهدفنا بالأمر لغتنا القوميّة المشتركة بين أجزاء الوطن العربيّ الكبير؛ نجد الباحث بالعربية يؤصّل انتماء بحثه لأمّتنا، ويجعل نتائج بحثه في دائرة المشاركة العربيّة في موكب الحضارة الإنسانيّة.

أمّا بحوث العلماء العرب بلغاتٍ أخَر فهي ملكٌ حضاريٌّ لتلك اللّغات، وحرمانٌ للّغة العربيّة من التّطوّر والمشاركة في النّهضة العلميّة، وحرمانٌ لها من توطين البحث العلميّ والتّقنيّ بها، وتصديقٌ للفرية التي تقول: إنّ العربيّة لغةٌ لا تصلح للعلوم والتّقنيّة، ولا تستطيع التّعبير عن المخترعات الحديثة.

والتّكذيب الحقيقّ لهذه الفرية أن نؤصّل الابتكار العربيّ العلميّ والتّقنيّ في لغتنا، وأن نوّطن هذه العلوم فيها، أو بعبارةٍ أدقّ أنْ نعيد توطين العلم فيها. فالعربيّة كانت "لغة العلم من حيث إنّها اسطاعت أن تضطلع بدورٍ حضاريّ طوال سبعة قرونٍ أو أكثر، فاخترع العلماء والأطبّاء العرب بفضلها وتحت جناحها، كثيراً من المخترعات الّتي كانت ذات أهمّيةٍ كبيرةٍ في سيرورة الحضارة الإنسانيّة. ومنها: الأرقام العربيّة والجبر، واللّوغاريثم، والكحول، والبارود، والطّبّ الجراحي" [2]. وفيما قدّمه العلم العربيّ باللّغة العربيّة للحضارة العالميّة مشروعات: الطّبّ،

---

[1] التّعريب ودوره في تدعيم الوجود العربيّ...، ص14.

[2] كتاب العربيّ 72، ص 34.

والكيمياء، والطّيران، ونظريّة المعرفة التي أساسها لابن رشدٍ وشهرتها لتوماس الإكوينيّ.

نحن نستهدف جعل البحث العلميّ قيمةً مضافةً في مجال الابتكار العلميّ والتّقنيّ، ولكنّه لن يكون إضافةً حقيقيّةً إذا ما كان بغير العربيّة الفصيحة المشتركة بين الأمّة العربيّة ولذا ألفي سانحةً لدعوة الزّملاء الباحثين أن يعتنوا بالتّعلّم الواثق المحقّق للّغة العربيّة، وأن يسجّلوا بحوثهم العلميّة والتّقنيّة بها، وأن ينقلوا بحوثهم المكتوبة بغيرها إليها. فهذا هو السّبيل لتوطين الابتكار العربيّ العلميّ والتّقنيّ في لغتنا المشتركة، ولتسجيله باسمنا في كتاب الحضارة العالميّة[1].

خامساً– كلمة الختام؛ وبها جوهر البحث، والنّتائجُ، والتّوصياتُ:

تشمل هذه الكلمة الخاتمة مستهدف الأساس من السّياسة اللّغويّة العربيّة؛ ويكون ذلك وَفْق مدخلٍ، واستكشافٍ للمقصود، وعرضٍ ومناقشةٍ للقضيّة. وفي هذه الكلمة تتمّةٌ لازمةٌ تتأتّى في صيغة ملحق الدّراسة المنقول من بحثي التّوأم "السّياسة اللّغويّة القوميّة؛ منهجيّةٌ للمستقبل الدّوْلي للّغة العربيّة".

ومشروع السّياسة اللّغويّة العربيّة، هو مشروع أتّفاقيٌّ بين كلّ النّاطقين بالعربيّة في كِلّ خريطة الوطن العربيّ، تحاشياًَ للتّجربة المنعزلة، وتأكيداً على انطلاق المشروع من محور السّياسة الجامعة للوطن الكبير كلّه.

ومن هذا المنطلق المفهوميّ تكون الخطُط الدّائمة والخطط المرحليّة؛ لتأصيل العربيّة، وتطوّرها، ومواكبتها للعصر؛ وفق عرض البحث الّذي تمخّضتْ عنه النّتائجُ والتّوصياتُ الآتي سَرْدُها.

ففي قائمة النّتائج:

أ –السّياسة اللّغويّة العربيّة ضرورةٌ لكِلّ آفاق الوطن العربيّ؛ من أجل تأصيل اللّغة العربيّة، وتطويرها، ومواكبتها للعصر.

---

[1] بحثي: "توطين البحث العلميّ في اللّغة العربيّة؛ منهجيّةٌ لتأصيل الابتكار العلميّ والتّقنيّ العربيّ، تنظيم المؤسّسة العربيّة للعلوم، ووزارة التّعليم العالي المغربيّة، جنان فاس، أكتوبر 2008م.

ب –تحتاج السّياسة اللّغويّة العربيّة إلى القرار السّياسيّ العربيّ وإلى تضافر الجهود العلميّة العربيّة لتطبيقه؛ وفق خُططٍ دائمةٍ وخُططٍ مرحليّةٍ.

ج –في مطلوبات السّياسة اللّغويّة المعنية توطين اللّغة العربيّة في الحاسبات الآليّة، وفي شبكة المعلومات الدَّوْليّة، والدّفع بها لمضمار سباق اللّغات العالميّة.

د –من مؤشرات نجاح السّياسة اللّغوية المستهدفة أنْ تتمكّن من تحرير الخطاب العربيّ الرّسميّ باللغّة العربيّة الصّحيحة الفصيحة؛ لصناعة القدوة اللّغويّة الّتي تهتدي بها الأمّة العربيّة.

هـ يظهر التّعدد اللّسانيّ ضمن عوامل الثّراء للّغة القوميّة المركز، وبإمكان هذه اللّغة أن تستفيد من روافد البيان الأسلوبيّ الّتي تنبعث من اللّهجات، واللّغات الأجنبيّة؛ ما دامتْ هي المحور الأساس، ومركز السّياسة اللّغويّة.

و –في علوم العربية واختصاصاتِها ما يؤكد كفاية الضّاد لمواكبة مستجدات العصر، والوفاء بحاجاته العلميّة والتّقنيّة والأدبيّة والاقتصاديّة، والإداريّة، والسّياسيّة، وسائر ضروب المعرفة. في تلك العلوم: اللّغة، والمعجم، وصناعة الأساليب النّحويّة والبلاغيّة، ومرونة التّجديد اللّغوي عن طريق: الاشتقاق، والتّوليد، والنّحت.

ز –على السّياسة اللّغويّة العربيّة أن تصل نفسها بكِلّ العلم العربيّ وبأساتذته وفق تخصّصاتهم المتنوّعة، مع دعم مشروعاتهم الخاصّة بالتّأليف، والتّعريب والتّرجمة.

ح –في لبّ السّياسة اللّغويّة العربيّة تعريبُ التّعليم، وتعريب البحث العلميّ؛ منطلقاً من أفق المجموعة اللّغويّة العربيّة، ومدعوماً بالقرار السّياسيّ القوميّ، وبالقوّة الشّعبيّة الّتي تجعل التّعريب ضمن مطالبها الحياتيّة.

وفي قائمة التّوصيات:

1. يوصي المؤتمر الجمهوريّة الجزائريّة أنْ تتبنىّ مشروع السّياسة اللّغويّة القوميّة؛ إعداداً للمشروع، وترتيباً لإصدار القرار السّياديّ، خلال مؤتمر القمة العربيّة القادم.

2. يوصي المؤتمر أقطار الوطن العربيّ بالآتي:

أ. إنشاءُ إدارةٍ في الجامعة العربيّة تُعنى خاصّةً بالسّياسة اللّغويّة القوميّة.

ب. إنشاءُ مجلس للّغة العربيّة في كِلّ قطرٍ عربيّ، يعمل في خدمة اللّغة العربيّة قطريّاً وقوميّاً ودَوْليّاً.

ج. إصدار قانونٍ في كِلّ بلدٍ عربيّ؛ لحماية اللّغة الفصيحة والتّقدّم بها.

3. يوصي المؤتمر جامعة الدّول العربيّة أن تبادر بإنشاء مجمع اللّغة العربيّة القوميّ؛ لتوحيد المصطلحات، وإقرار المعاجم، وتنفيذ المشروعات اللّغويّة القوميّة.

4. يوصي المؤتمر وزراء التّعليم، والتّعليم العالي، والبحث العلميّ، بالوطن العربيّ؛ أن يتّفقوا على رسم خُطّةٍ قوميّةٍ لتعريب التّعليم المدرسيّ والجامعيّ والبحثيّ، وأن يعالجوا على ضوء ذلك قضايا التّعليم الخاصّ والتّعليم الأجنبي، بكل أقطار الوطن العربيّ.

5. يوصي المؤتمر وزراء الخارجيّة العرب أن يرسُموا سياسةً لغويّةً حضاريّةً للبعثات العربيّة بالخارج، حيث تكون بعثاتٍ رساليّةً.

ونقترح لإنجاز ذلك برنامجاً ثلاثيًّا يقضي بأن يكون لكلّ سفارةٍ:

أ.مَوْسمٌ ثقافيٌّ عربيٌّ.

ب. مكتبةٌ عربيّةٌ، تعنى بكتب اللّغة والحضارة.

ج. معهدٌ لتعليم العربيّة للنّاطقين بغيرها.

سابعاً– ثبت المصادر والمراجع:

1. أحمد شلبي:

- كيف تكتب بحثاً أو رسالةً، الطّبعة الثّامنة عشرة 1987م، مكتبة النّهضة– القاهرة.

2. تمّام حسّان:

- الأصول؛ دراسةٌ إبستيمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب، الطّبعة الأولى 1425هـ، عالم الكتب – القاهرة.

3. حسن بشير:

- السّياسة اللّغويّة القوميّة؛ منهجيّة للمستقبل الدّولي للّغة العربيّة، بحوث مؤتمر مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، الدّورة الثّامنة والسّبعون، مارس 2012م.
- الشّعر العربيّ المعاصر؛ قراءةٌ مختارةٌ من السّودان، الطّبعة الأولى 1431هـ، الدّار السّودانيّة للكتب– الخرطوم.

4. دفع الله التّرابي:

- ملزومات إجراء البحوث العلميّة، ندوة اللّغة العربيّة لغة البحث العلميّ، الهيئة العليا للتّعريب، واتّحاد مجالس البحث العلميّ العربيّة، الخرطوم، سبتمبر 2004م.

5. سعد مصلوح:

- في النّقد اللّسانيّ؛ دراساتٌ ومثاقفاتٌ في مسائل الخلاف، الطّبعة الأولى 1424هـ، عالم الكتب– القاهرة.

6. صبري إبراهيم:

- المصطلح العربيّ؛ الأصل والمجال الدّلاليّ، الجزء الأوّل، الطّبعة الأولى 1966م، دار المعرفة الجامعيّة– الإسكندريّة.

7. صلاح فضل:

- علم الأسلوب؛ مبادئه وإجراءاته، الطّبعة الأولى 1998م، دار الشّروق– القاهرة وبيروت.

8. عبد الصّبور شاهين:

- العربيّة لغة العلوم والتقّنيّة، الطّبعة الثّانية 1406هـ، دار الاعتصام – القاهرة.

9. على عبد الواحد وافي:

- فقه اللّغة، الطّبعة السّادسة 2008م، نهضة مصر – القاهرة.

10. عمر الملاّ وآخرون:

- اللّغة العربيّة؛ نصوصٌ وتطبيقاتٌ، الطّبعة الأولى 1985م، مكتبة المكتبة، العين– الإمارات.

11. كمال بشر:

- اللّغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، الأولى 1999م، دار غريب – القاهرة.

12. محمد الحسن علي:

- بين البلاغة والأسلوبيّة، مجلة كليّة اللّغة العربيّة–جامعة أمّ درمان الإسلاميّة، العدد الثّالث 1430هـ.

13. محمود فهمي حجازي:

- اتّجاهات السّياسة اللّغويّة، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، العدد الخامس عشر بعد المائة، مايو 2009م.

14. مصطفى الفيلالي:

- نحو استراتيجيّة للتّعريب في الوطن العربيّ، بحوث الندّوة الفكريّة، "التّعريب ودوره في تدعيم الوجود العربيّ والوحدة العربيّة"، تنظيم مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1981م، بتونس العاصمة.

الاحتكاك اللغوي وأثره في العربية الحديثة
عربية تونس نموذجا

الحبيب النصراوي – جامعة قرطاج، تونس

1 – تمهيد:

تعدّ العربية اللغة المشتركة لملايين المتكلمين، لا فقط في الرقعة المترامية الأطراف الممتدّة من المحيط إلى الخليج فحسب، بل في جميع أصقاع الدنيا، لما أتاحه لها الإسلام من انتشار. ومن الطبيعي أن يكون لهذه اللغة المشتركة روافد ذات ينابيع ضرورية لحياة هذه اللغة نفسها. فقد ارتبط استخدامها عبر تاريخها، بعديد المجموعات المختلفة، وكلام هذه المجموعات يعكس بالضّرورة اختلافات ثقافية واجتماعية وعرقية، رابعة من مختلف وظائف اللغة، ومعبّرة عن تنوّع الحالات الاجتماعية التي تنعكس فيها. فإنّ أصل المعادلة تكمن في أنّ الحاجة إلى اللهجات في جميع اللغات هي حاجة داخلية ترتبط في الغالب بخصوصيات المتكلم للتعبير الشفويّ المباشر عن مواقف خاصة، أو حالات معيشية ترتبط به ارتباطا طبيعيا تلقائيّا، أما اللغة المشتركة فتأخذ المظهر العام، دون أن تستغني نهائيا عن الخاص. فهي تُستعمل غالبا في التعبير عن الجماعي والمشترك مثل قيمها ومناسباتها، وكذلك مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما تستعمل في المفاهيم الفكرية العامة وفي تجريد القضايا في المستوى الذهني العام كالثقافة والفنون والدين.. فالعلاقة بين اللغة المشتركة واللهجة هي العلاقة بين الخاص والعام.

هذا النوع من التداخل اللغوي عند من يدافعون عنه يعدّ حلاّ لمخاطر اندثار بعض اللغات المهدّدة بسبب عوامل الضعف وعدم الاستعمال الحيّ. وهكذا

يمكن أن تتحوّل اللهجات إلى أدوات لبقاء اللغة الأم، بسبب مرونتها وقدرتها على المباشرة، وصعوبة قبول اللغة المشتركة لمظاهر التطور باليسر الذي يُحقِّق لها قَبولَ الجديد والتأقلم معه بالسرعة المطلوبة. وهكذا يمكن أن يُعدّ هذا الضربُ من التداخل أو الازدواجية ثراءً لغويّا وحلاّ لمعضلة التواصل وليس عائقا أمامه.

في هذا الإطار يتنزّل هذا البحث الذي يهدف إلى المشاركة في وصف مظاهر الاحتكاك اللغوي وما أنتجه من تداخل لغوي تطبيقا على إقليم بعينه، في ما أسميناه ***عربية تونس***، منطلقين من فرضية ترى أنّ التداخل اللغوي ظاهرة لغوية يمكن أن تكون ضرورية للاطلاع على مظاهر تطور اللغات وكشف مبادئ ذلك التطور وقواعده. وهذا يحيلنا على مسألة التأصيل اللغوي، وهو مبحث متّصل بالعلوم التاريخية والاجتماعية يُطلعنا على أسرارٍ ومعلوماتٍ لا يُعثَّر عليها دائما في النصوص الفصيحة المكتوبة، بل بالعودة أيضا إلى المنطوق المنسوب عادة إلى اللهجات أو العاميات. وهو جدير بالدراسة المعجمية، فإنّ فيه من ترسّبات الماضي ما يفسّر ظواهر الحاضر بعيدا عن التخمين والتوقّع.

والحقيقة أنّ الإلمام بخصائص لهجات العربية ودراسة مكوناتها يفترض ظهور قواميس مختصة، ودراسات تأريخية وتأصيلية تكشف ما بين العربية ولهجاتها المختلفة من دينامية وتطوّر من حيث الأصوات والأبنية الصرفية وخاصة المعجم، لا فقط من جهة الكمّ ولكن أيضا من جهة الكيف، أي تأصيل رصيد هذه اللهجات، ومعرفة أصوله ومدى صلتها بالعربية الفصيحة. لكنّ هذا أمر غير ميسور إلى اليوم في العربية، ولذلك سنستعين في بحثنا بعدد من الدراسات الحديثة مراعين في اختيارها صلتها بعربية تونس.

والمتمعّن في هذا الجهد يدرك أنّه رأي يُطرح ودعوة للحوار تُفتح، داخل المنظومة الثقافية العربية نفسها، بهدف الوقوف في وجه عواصف العولمة التي لا بقاء فيها إلا للقوي القادر على المنافسة بما توفّر له من شروط المناعة. ولن يتأتّى ذلك إلا بالوصول إلى فهم مشترك لمكوّنات الرصيد اللغوي ووظائف كلّ مستوى من

مستوياته، وضرورة دراستها، والبحث في سبل تطوّرها وفق أسس البحث المعجمي الحديث. وهو النداء الذي وجّهه (كوريينتي) في آخر محاضرة له بتونس عندما قال: "وعلى أهل اللغة ألاّ يضعوا عراقيل لتطوير معجمها عن طريق توليد الألفاظ كلما دعت الحاجة إلى ذلك.. لكي تظلَّ عربية المستقبل وليدة تشبه أمّها الشريفة التي ازدهت بها أمّتها والإنسانية قاطبة"[1].

2 – الاحتكاك الحضاري والتداخل اللغوي:

2–1– مظاهره في العربية قديما: ليس للتداخل اللغوي في العربية مظهره المعاصر فحسب، رغم أهمّيته، بل إنّه قديم قدم العربيّة . ويُثبت تاريخ العربية المعلوم أنّها عرفت ألفاظا أجنبيَّة بمقدار ما كان يسمح به احتكاكها الحضاري في جميع العصور بما فيها عصور الاحتجاج نفسها، ونجد آثار ذلك في الشِّعر الجاهليّ، وفي النّصوص الإسلاميّة الأولى الأدبية والعلمية ، وتواصل ظهورها على امتداد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المظهرين العامِّ والاصطلاح يِّ. لكنّ أشدّها حاجةً إلى هذا التداخل مرحلتان: – مرحلة النّهضة الأولى في العصر العباسيّ، أي أثناء تداخل الرّوافد الإسلامية على اختلاف مكّوناتها في منهل ثقافيّ واحد هو اللغة العربية، وخاصة مع ازدهار حركتيْ الترجمة ثم الإنشاء العلميّ؛ و– مرحلة العصر الحديث.

ويمكن اختصار العوامل المساعدة على ذلك في مسألة الاحتكاك الحضاري بمكوناته الفكرية والثقافية والاجتماعية العقدية. فقد كان للعرب علاقات تجارية وتاريخية مع الأمم المجاورة لهم، فكانوا يستوردون البضائع من بلاد العجم وبلاد ما بين النهرين والولايات البيزنطية، وكانت أسواقهم السنوية تجلب تجار هذه الممالك إليها. ويشهد القرآن بأنّ للعرب رحلتين في الصيف وفي الشتاء إلى سورية وفلسطين، واليمن. كما كان للعوامل السياسية دور في تأكيد الروابط اللغوية بين العرب وغيرها من اللغات، يمكن أن نجمله في تغلغل النفوذ اليوناني عن

[1] – محاضرة له في رحاب جمعية المعجمية العربية بتونس (نوفمبر 2008).

طريق فتوحات الإسكندر في الشام ومصر وبلاد ما بين النهرين(في القرن 4ق. م)، ثم احتلال الرومان مصر وسورية وفلسطين وقسم من العراق فترة امتدّت من(القرن1 ق. م) إلى(القرن 7 م)، كانت فيها اللاتينية لغة الحكم والإدارة، بينما كانت الآرامية (وهي مجموعة لهجات تضمّ الآرامية والنبطية والسريانية)، تنتشر في بوادي الشام وسواد العراق، وتقوم بدور الوسيط بين اللغة العربية واللغتين اليونانية واللاتينية، وهو ما أدّى إلى انتشارها انتشارا واسعا في المعاملات التجارية وحتى السياسية . وفي نفس الوقت لم تقطع العربية صلات الجوار التقليدية مع الفرس في الشرق، فقد كان المناذرة يحكمون العراق باسمهم، وكان كسرى يجهّز كلّ سنة قافلة تباع في (عكاظ)، وكان بعض العرب يقصدون فارس للعلم، كما استعان كسرى بمترجمين عرب في بلاطه منهم عديّ بن زيد الشاعر. كما شهد جنوب الجزيرة تأثيرا متبادلا بين الفرس والأحباش، وقد تجسّد هذا الصراع في غزو أبرهة مكّة لعزل العرب عن الشمال، وفرض الثقافة الحبشية والديانة المسيحية عليهم[1].

وبعد ظهور الإسلام شمل التطور الحضاري جميع مظاهر الحياة العربية ، فكريّا وماديّا، ممّا ساعد على دخول مفاهيم جديدة تتّصل بحياة الناس اليومية، فاضطرّوا إلى هجر الألفاظ القديمة التي لم تعد تناسب الفكر الجديد، يضاف إلى هذا أنّ التّعامل مع الأمم الأخرى التي تخالفهم طبيعةً وحضارةً جعلهم يدخلون ألفاظا ليس لها بديل في حضارتهم ويستغنون عن أخرى لم تعد الحاجة إليها قائمةً لتغيّر طبيعة الحياة من مسْكن ومأكل ، ونظام اجتماعيّ، وحياة اقتصادية، وفكرية.. كما أنّهم حمّلوا بعض ألفاظ اللغات الجديدة دلالات ليس لها في الأصل، فهي ألفاظ مقترضة أخضعها الاستعمال لخصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية جديدة يستدعيها الزمان والمكان [2]. وقد ذكر الثّعالبي أسماء تفرّد بها الفرس دون

---

[1] – عبد العزيز محمد حسن: التعريب في القديم وفي الحديث، ص ص9–10.

[2] – الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ص21.

العرب، فاضطرّ العرب إلى تعريبها أو أخذها كما هي. وضرب لذلك أمثلة نذكر منها ممّا لا يزال قائما في الاستعمال: الكوز والجرة والإبريق والطبق والقصعة والديباج والسندس والياقوت والبلور والفيروز والفلفل والنرجس والبنفسج والنسرين والسوسن والياسمين والجلّنار والمسك والعنبر والكافور والقرنفل والكعك والسميذ؛ ومن الرومية الفردوس وهو البستان، والقسطاس وهو الميزان والبطاقة والاصطرلاب والغُبار والقنطار والقنطرة والقيطون وهو البيت الشتوي[1].

كما كان لتغلغل العربية في مناطق تستوطنها لغات أخرى من إفريقيَّة غربا إلى الهند شرقا أثر لغويّ كبير، فقد استمرّت اللغة اليونانية في غربيّ الدولة، والفارسية في شرقيّها، قرنا كاملا لسان الحكم والإدارة [2]. وحتى في المدن الناشئة كالبصرة والكوفة كانت اللغة الفارسية تحتلّ مكان التصدّر في القرن الأوّل. كلّ ذلك كان سببا في تعاظم التّداخل اللغويّ، ممّا أثّر في اللسان العربي كما يشير إلى ذلك ابن خلدون بقوله: "فإنّ البعد عن اللّسان إنّما هو بمخالطة العجمة"[3].

إنّ مكونات هذه العربية إذن تمثّل ضربا من الطبقات التاريخية، أستطيع أن أقسمها إلى قسمين كبيرين: قسم اقتراضي، وقسم عربي.

فأما القسم العربي فيظهر في وجود رصيد كبير في هذه العاميات ذي الأصول العربية الفصيحة، ويعسر اليوم تبيّنه في غياب دراسات تأصيلية تأريخية، وربّما من الطريف أنّ بعض هذا الرصيد، لم يعد واردا في العربية الفصيحة نفسها، ولم تبق منه إلا آثاره المحرَّفة في الاستعمال العامي؛

وأما القسم الاقتراضي فيعود إلى تأثيرات الثقافات وبالضرورة اللغات التي مرّت بالمنطقة، ومن أبرزها نذكر التأثير الروماني ممثَّلا في اللاتينية القديمة، وما قد يتّصل بها من اليونانية، خاصة مع تأثير العلوم القديمة من طبّ وصيدلة وفلك

---

[1] – السيوطي: المزهر، 1/275– 276.

[2] – فك: العربية، ص ص24–25.

[3] – ابن خلدون: المقدّمة، ص1079.

وغيرها، ثم التأثير العربي وما رافقه من اللغات المتصلة بالعربية كالفارسية شرقا والآرامية غربا، لنصل بعد ذلك إلى المرحلة الأندلسية الإسبانية، وما تلاها من الوجود التركي العثماني الذي استمرّ حتى أواخر القرن التاسع عشر، حين خضعت كامل المنطقة لتأثير مزدوج تمثّل بداية في الاستعمار المباشر (الفرنسي خاصة)، ثم تلاه في العصر الحديث ظهور العولمة الاقتصادية والثقافية.

بهذا تبادلت العربية التأثّر والتّأثير مع بقية اللغات المجاورة لها وخاصة الفارسيّة واليونانيّة [1]، و يهمّنا هنا ما أفادته العربية من أسبقية هذه اللغات في ميادين الحكم والإدارة وألوان الحياة الحضرية والفكرية[2]:

– فمن **مصطلحات الإدارة والحكم** مثلا، نجد من الفارسية: العسكر: لشكر، (م/265)، والبريد (ك/ 44)، والبطاقة، (ك/ 56)، والبَلاط : (ك/ 62)، والدستور (ك/178)، والدفتر (ك/180)، والديباجة (المقدمة) (ك/173)، والديوان (ك/188)، والهندسة (ك/ 552)، والوزارة (ك/ 562)؛ ومن اليونانية: القانون عن اللاتينية canon (ك/445)، والقلم : kalâmos، (م/295)، والقرطاس (ما يكتب عليه) (ك/423)، والأسطول (ك/15)، والبارود (ك/44)، والبرج (بناء) (ك/42)، واللغم (ك/482)، والمنجنيق (ك/ 512)، والمتراس: مترس وترّاس، thuréos، (م/265)..إلخ.

كما أنّ نفوذ الأعاجم في القرن الثاني الهجريّ مع ظهور دولة بني العباس، أدّى إلى تسرّبهم إلى قصور الخلفاء عن طريق الجواري والغلمان، وإلى الأسواق والحياة العامة، فكان المجتمع الإسلاميّ يضمّ أشتاتا من الأعراق متنوّعة

---

[1] – ينظر: رفائيل نخلة: غرائب اللغة العربية، باب: تأثير العربية دون سواها في نحو مائة من لغات العالم. وفيه يحصي اللغات التي استخدمت الخطّ العربيّ كالتركية والإيرانية والكردية... وهي 37لغة. كما يضع قائمة بالألفاظ العربية التي اقترضتها لغات أوروبا، ص127.

[2] – رأينا أن نورد بعض المقترضات من المرجعين المعتمدين في هذا البحث، ورمزنا إليهما ب (م) إشارة إلى كتاب "الكلم الأعجمية" لابن مراد؛ وب (ك) إشارة إلى "معجم عربية الأندلس" لـ (كوريينتي)، وقد اقتصرنا عليهما دون سواهما لنبيّن أنّ من بين الرصيد المعدود من العاميات، نجد كذلك رصيدا مشتركا من المقترضات، مستعملا في المستوى الفصيح أيضا، شأنه شأن الرصيد العربي الفصيح المستعمل هنا وهناك.

الخصائص[1]، وقد كان لذلك أثره في الحياة الاجتماعية والثقافية عامة، ومن أمثلة ذلك:

– **من مصطلحات المعاملات:** نجد من اليونانية: القراط (ك/423)، والقسط (ك/427)، والدرهم (ك/ 178)، والرطل (ك/ 211)، والقرن: kronôns، بمعنى الزمن والفترة المحددة والعمر والقسم من السنة والأجل، (م/ 293)، ومن اللاتينية: القنطار: quintale، والميل: mille، (م/389)، ومن الفارسية: الرواج (البضاعة) (ك/221)، الجزية (ك/ 96)، والصكّ (ف237)، والفرسخ (ك/ 394)، والسِّنْجة: ميزان ذو كفتين: (م/235)؛

– **ومن مصطلحات الأدوات والأثاث** : نجد من الفارسية: الزربية: زيربا (م/212)، والصهريج (ك/ 312)، والفنجان/ فنجال: بنكال، معناها الطاس، (م/285)، والإبريق: (ك/2)، واللجام: لكام، (م/ 363)، واللَّوْلب (ك/488)؛ ومن اللاتينية: سكّة (المحراث)، soccus، (ك/ 256، م/ 231)، والطاولة: tabula، (م/257)، والقنديل: candéla، معناها الأصلي شمعة، (ك/444)، (م/329)؛ ومن اليونانية: الفخّ، بمعنى المصيدة، pagê (م/ 272)، والفصّ: psephis، فصّ الخاتم، (م/278)، والقنطرة: يونانية عن اللاتينية، (ك/444) والمنديلة: يونانية عن اللاتينية، بمعنى المنشفة، (ك/512)..إلخ

– **ومن مصطلحات المعادن والموادّ** : نجد من الفارسية: البلَّوْر: bélûr (ك/62)، والجصّ gac (ك/97)، والكافور kàpûr (ك/ 463)، والبنج: فارسية bang، (ك/ 66)، والمسك: فارسية مُشك (م/ 379)؛ ومن اليونانية: المرجان margànîtà (ك/497)، والقصدير (ك/430)، والياقوت: huâkinthos، (م/405)؛ ومن اللاتينية: المرمر murmûràre (ك/500)، والنفط عن الأكادية

[1] – فك: العربية، ص–ص18–21.

naptul (ك/536)، والطوب: عن اللاتينية tophus، ومعناها الحجارة الهشة، (م/263)، والصابون: sapo.ônis عن اليونانية sapôn، (م/250)..إلخ

– **ومن مصطلحات النبات** : نجد من اليونانية: البندق pendeqà (ك/67)، والدفلى daphné (م/198)، والكبر عن اللاتينية capparis (ك/453)، والكرنب kranbî (ك/ 459)، والكرويا karawyà (ك/460)، والملوخية (ك/509)..؛ ونجد من الفارسية: الجزر gazar (بقول) (ك/ 96)، والسنديان sendiyàn (ك/ 264)، والصنوبر (ك/ 310)، والفستق pistag (ك/ 398)، والكرفس karafs (ك/ 458)، والنرجس nargis عن اليونانية (ك/ 524)، والليمون، فارسيتها ليمو (م/ 368)، والموز môz عن السنسكريتية(ك/ 515)، والياسمين (م/405)..إلخ

وقد تحدّثت المصادر العربية القديمة عن هذه الظاهرة تحت مصطلح "التّداخل اللغويّ"، فعالجه اللغويون القدامى من زوايا ومواقف مختلفة، فقد استعمل السيوطي[1] المصطلح نفسه، وأحال على ابن جنّي الذي عرّف "التّداخل اللغوي" بقوله: "إذا اجتمع في الكلام الفصيح لغتان فصاعدا"[2]، على أنّ اجتماع لغتين في اللسان الواحد يؤدّي –على حدّ قول الجاحظ– إلى أن "تُدخل كلٌّ واحدة منهما الضّيم على صاحبتها"[3]. يقول ابن خلدون: "فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصليّ أبعد... فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويربّون عليه يبعدون عن الملكة الأولى"[4].

وهذا معنى التداخل. فإنّ قيمة الملاحظتين تكمن في كون الأولى دليلا على وجود تعدّد اللغات في جميع الألسنة وفي العربية تحديدا، لأنّها لغة حضارية شملت شعوبا وأمما كثيرة، وعايشت الاحتكاك الثقافي والحضاري والتلاقح الفكري،

---

[1] – السيوطي: المزهر، (الباب السابع عشر: معرفة تداخل اللغات)، 262/1.

[2] – ابن جنّي:الخصائص، 372/1.

[3] – الجاحظ: البيان والتبيين، 284/1.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، ص558.

واحتاجت إلى نقل تجارب الآخرين وترجمتها؛ وتهتمّ الملاحظة الثانية بما ينتج عن ذلك التّداخل من تحوّل يشمل جميع أنظمة اللغة، فإنّ "الضّيم" الذي يدخل على اللغات إذا التقت في نفس اللسان إنّما تكون نتيجته مظاهر من التداخل، قد تُعد –من زوايا معيارية– ضروبا من اللحن – وهذا شائع في تاريخ العربية– واليوم يعدّ أغلبه – من موقع لساني وصفي ولاسيما في مستوى الألفاظ – دخيلا معرّبا[1]. وقد أفادت منه العربية في جميع مراحلها ماضيا وحاضرا.

وقد عايش الجاحظ هذه الحقيقة، ورأى نتيجة تأمّله فيها أنّ للّغة وظائف أهّمها الوظائف الاجتماعية. وهذه لن تنجز إلا بإ نطاق المتكلّمين في بيئاتهم الطبيعية. يظهر ذلك خاصة في تخيّر المستوى اللغوي المناسب لطبيعة شخصياته ومميّزاتها الثقافية والاجتماعية ممّا يُثري هذا التنوّع اللغويّ، ويقدّمه في شكل يتماشى والسمات اللغوية لفئات المتكلمين. فلم يستثن في عنايته بالطّبقات الاجتماعيّة تفاصيل لغتها بما يبدو أشبه بمعجم لغويّ خاصّ بها.

فعالج ما تولّد عن هذا التداخل من عاميّ ولم يعدّه خطأ يستوجب المنع، بل عالجه في الغالب باعتباره انفتاحا لغويّا على التطور الاجتماعي والحضاري، مع شيوع مفاهيم المدنية العباسية، وانحسار مفاهيم البداوة... فبعد أن كانت العربية لغة مُقتصِرة على العقيدة والحياة البدويّة الخشنة البسيطة، أخذت الحياة المُوسِرة بأساليب التّرَف العباسيَّة فانتقلت اللغة للتعبير عن مظاهر الحكم والعلم والدين والاجتماع والأدب والفكر.. وكان من نتائج ذلك أن هُجرت ألفاظ البداوة، وشاعت أساليب جديدة على الذّوق العربيّ، بسبب انتشار العُجْمة في ما يعرف بلغة العامة حتى طغى هذا المستوى على لغة التخاطب بين العامّة والخاصّة [2].. وقد نقل جميعَ ذلك الجاحظُ عندما غاص في ثنايا النفس البشرية، يحلّل ظواهرَ

---

[1] – الطيب البكوش: العلاقات بين الألسن ومستوياتها، الحوليات، 36/11–34. 1995.

[2]– لمفهوم العامة عند الجاحظ دلالة خاصة تجعلها مكوّنا مهمّا من مكونات المجتمع. فهو يقول: "إذا سمعتموني أذكر العوام فإنّي لستُ أعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة.. وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منّا.." (البيان، 137/1).

البخلِ والحسَد والعِشْق والهَزْل والجِدّ والخمْر والمُجون. ولم ير مانعا من أن تكون اللغة انعكاسا حقيقيّا لذلك الواقع حين قال: "ومتى سمعت –حفظك الله–.. بنادرة من نوادر العوام ومُلْحة من مُلح الحُشَوة والطَّغام، فإيّاك وأن تستعمل فيها الإعراب، وأن تتخيّر لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريّا فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها."[1].

2-2- العربية والازدواج اللغوي[2]:

إذا كان المقصود بالازدواجية اللغوية قدرة الفرد على التعبير بأكثر من لغة، فإنّ هذا المفهوم في العربية القديمة عادة ما يحيل على مجرَّد وجود تنويعات لغوية – كما أسلفنا– يستخدمها المتكلمون بحسب الظروف والمقام، بقطع النظر عن مستواهم العلمي أو الاجتماعي. ويتجلى هذا في جميع البلاد العربية في التمييز بين مستوى المكتوب والمقول.

وهو في العربية الحديثة يحيل على ثنائية الفصحى والعامية، فالأولى رسمية مكتوبة، والثانية عفوية مقولة، دون أن تكون هناك قطيعة حقيقية بينهما، فقد مثلت العامية من ناحية، معينا لا ينضب لتزويد العربية باحتياجاتها من الجديد، وكانت من ناحية ثانية، الحاضن لترسبات القديم ممّا أصابه البلى وانتهت الحاجة إليه. على أنّ ما يميّز بينهما هو اختلاف التعامل معهما، ففي حين حَظِيت الفصحى بالحماية نتيجة هذا السيل الوافد من لغات انضوت شعوبُها تحت لواء الإسلام وانتمت فعلا إلى الثقافة العربية، حتى آل فيه الأمر إلى تقنين الاستعمال واقتصار العربية على المكتوب في ميادين فكرية ودينية وأدبية

---

[1] – نفسه، 1/145.146.

[2] – نشأت ثنائية الفصحى والعامية منذ نشوء العامية نفسها، أي في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى بعد اختلاط العرب بالأعاجم، لكنّ هذه العامية لم تتميّز عن الفصحى بشكلها الواضح إلا بعد فترة من الزمن، استطاعت خلالها أن تتّسم ببعض السّمات في المادة الصوتية، وصوغ القوالب وتركيب الجمل والقواعد النحوية والمادة اللغوية وطرائق التعبير. (ينظر: فك: "العربية"ص 109 وما بعدها) وقد أشار الجاحظ إليها عند حديثه عن لغة المولّدين والبلديين(البيان 1/159). كما ينظر أيضا حول نفس الموضوع: Monteil V. L'arabe moderne, p.18-29

مخصوصة؛ أوكل إلى اللهجة المنطوقة النهوضُ بهذه الرسالة الحضارية، فأخذت تتّجه شيئا فشيئا إلى احتلال مجال أوسع في الحياة الخاصة وجزء لا بأس به من الحياة العامة، فكانت المظهرَ الحيّ لهذا الاحتكاك الثقافي الذي لا مناص من أن نجدَ أثرَه في اللغة الحية المستعمَلة، وهي هنا اللهجة المحلية، فكان لهذه اللهجة أن خرجت من إسارها لتصبح لغة المعاملات وتقتربَ قليلا من خصائص اللغة المشتركة أي العربية الوسطى. وقد غَني رصيدُها بما شاركت فيه غيرَها من اللغات من احتكاك وتطوّر واستحداث وِفْق تجارب المتكلمين ومراحل تحوّلاتهم الفكرية والثقافية بدءا بعصر الترجمة ووصولا إلى زمن الصِّحافة ووسائل الاتّصال والعوْلمة.

وقد نتج عن هذا أن حلّت في أحيان كثيرة محلّ اللغة المشتركة في القرب من الواقع، ومجاراته بما تحصّل لها من سرعة التطور ومواكبة حاجات المتكلمين. ولا مَناصَ حينئذٍ من أن نعدّها ضروريةً في لسان المتكلم العربي من ناحية، لأنّها مرحلة وسطى يستقرّ فيها التجديد في مستوى المنطوق، قبل أن تُوجِدَ له اللغةُ المشترَكةُ أو الفصحى صِيَغا مناسبة لتحويله إلى المكتوب، ولكنّها على أهميتها هذه، لا تنافس الفصحى من ناحية ثانية، في وظيفتها الرسمية ومقدرتها في المستوى المكتوب.

لقد ظلت ثنائية الفصحى والعامية لحقب، خارج البحث العلمي اللساني، وكثيرا ما تجاهلها الباحثون، تجنّبا لتهم الخيانة والعمالة وتكريس العاميات لمشروع استعماري لضرب العربية. ونحن لا نريد لهذا البحث أن يُأخذ على هذا المحمَل، وإنّما نُريد أن يَتّسع الرّأيُ فيه إلى رَصْد طبيعة العلاقة بين العربية وما شهدته لهجاتها من تطوّر، لما في ذلك من أثر بالغ في ما أصاب العربية نفسَها من تغيّر، وتحديد مظاهر هذه العلاقة في مستوياتها العلمية. فإنّ العربية كغيرها من اللغات لم تخلُ يوما من لهجاتها المتّصلة بها، وأنّ لهذه اللهجات دورا ضروريا لتكريس اللغة المشتركة لغةً حيّة تتبادل معها الأدوار، فإنّ اللهجات تُعدّ في نظرنا

روافد ضرورية لإنعاش العربية الفصيحة وتمويل رصيدها بالجديد الحادث في الاستعمال على مدى الزمان والمكان، وهي بمثابة الممرِّ الذي تتدفّق منه المفردات الواردة في مرحلة التردّد قبل استقرارها النهائي في العربية.

ولهذا تُوجّه الدراسات العلمية بالاعتماد على النظريات اللسانية الحديثة، عنايتَها لفهم هذه العلاقة بعيدا عن التخوين أو التشكيك، ومن ثمّ تتعهّد المؤسَّسات الرَّسمية والجامعات ومراكز البحوث بدراسة الجوانب المتعلقة بالمسألة اللغوية، سواء بوضع السياسات اللغوية أو بالتخطيط لها، وهذا ما لا أثر له تقريبا ملموسا في بلداننا العربية، رغم أنّ المتكلم العربي مهما كانت درايته بالعربية الفصيحة مضطرّ إلى استعمال اللهجات المحلية، فهي ليست فقط الأقرب إليه، بل هي كذلك وسيلة التواصل الأوسع انتشارا والأيسر في التعبير عن مشاغل الجماعة اللغوية التي إليها ينتمي. ولذلك يضع متكلمو العربية في اعتبارهم دائما التمييز بين المقامات، لأنّ في عدم مراعاتها تعطيلا لعملية التواصل، وإخلالا برسالة التلقي وإخراجا لها من إطارها، حتى وإن كان الخطاب مفهوما في مستواه اللغوي. هذا إضافة إلى أنّ متكلمي العربية ليسوا جميعا قادرين على فهم العربية الفصيحة والتعبير بها.

واللغة الناجعة في المجتمعات البشرية عموما هي التي تسمح أفضل من غيرها بنقل الثقافة مكتوبةً كانت أو مقولةً. لهذا نرى أنّ العربية قد شهدت تطوّرا كبيرا عندما كانت تمثل وسائط ثقافية حول هذه اللغة في العالم الإسلامي وطبعت حضارة عظمى بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين هي حضارة الإسلام.

غير أنّ منزلة هذا التداخل في الدّرس اللغوي العربي لا تزال ضعيفة باعتباره فسادا في اللغة، فقاومته كتب اللحن وامتنع القاموس عن الاعتراف به. وهو ما أدّى إلى إهمال جزء من رصيدها، له دوره في واقعها، وفي تطوّرها. وفي تاريخ العربية، قلّ أن يتّخذ الكُتّاب من الكلام – المعدّ أساسا للاستعمال العام – أداةً لتفجير الفكر والعواطف، بل إن الكتابة الفنيّة كانت دائما ردّ فعل على هذه

اللغة. وأحيانا تشترط قِيَما مُثْلى للاستعمال، على أنّ أيّ شكل جماعي مهما كان كاملا ليس إلاّ مرحلة من تاريخ اللغة، وهذا ما تتأخّر فيه اللغة المكتوبة عن اللغة المنطوقة، فتتجمّد أشكالُها وتفقد حيويتها الطبيعية"[1].

على أن هذا التطور، وإن أدّى إلى مخالفة الفصحى، فإنّ فيه مرونة إبلاغية تيسّر تفتّحه على محيطه الحضاري واللغوي. وإن لم يكن ذلك ليلقى الرضا دائما، فمن اللغويين من يعتبر اللغة ذات سوية عالية فلا يمكن أن تشذّ عن نظامها الجوهري، وأيُّ دعوة للاعتداد بالاستعمال هي تهديد لها بالانحراف.

وما يعنينا من إثارة هذه القضية ليس الانتصار لهذا الموقف أو ذاك بل لطرح ما بين لغة الاستعمال والمعجم العربي الحديث من إشكالات، وهو ما يدفعنا إلى ألاّ ننكر أن العربية في أزمة [2]، وأن المحاولات التي بذلت منذ القرن الثاني للهجرة لم تصادف إلاّ نجاحا ضئيلا بقي المعجم في الغالب معرضا عنه.

2-3- الازدواج اللغوي في اللسانيات الحديثة[3]: يُنزّل الازدواج اللغوي في الدّرس اللساني الحديث منزلة مهمّة قصد معرفة أثره في تطوير الأنظمة اللغوية، فيُخضَع للاستقراء العلمي الموضوعي وتحلّل مقترضاته ويؤرّخ لها، إذ مهما تكن طبيعة الاتّصال بين اللغات وعوامل الحيطة التي تتميّز بها كلّ لغة، فإنّ النتيجة دائما حصول تداخل بينها، فإنّ ثمّة عوامل قوية تؤكّد أنّ معرفة المتكلّم للغتين ليست سوى مزيج من ظواهر أساسية، ومشكل المتكلّم عندها ، هو الالتزام بقواعد متباينة في سياق واحد وهذا يفضي دائما إلى تداخل قواعد نظام ما مع قواعد نظام آخر. أي إذا كانت لغتان في حالة اتّصال، فإنّ التداخل اللغويّ يمكن أن يحدث في

---

[1]- Vendryes J.: Le Langage, p.303.

[2] – يقول كمال الحاجة : "إن الأزمة الصاخبة التي تمرّ بها العربية ،هي ضرورية في نظرنا الآن لتدفع بالفصحى من فلك الجمود إلى فلك الحركة، دون أن يبطل كونها فصحى." فلسفة اللغة، ص 258.

[3] – تعدّ دراسة اللهجات دراسة مهمّة أساسية في المباحث اللغوية الحديثة، وهي من فروع علم اللغة العام.. وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر الغربيون إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتّجاه إلى الفصحى ونبذ العاميات، لأنّ في محافظتهم على الفصحى محافظة على كيانهم الثقافي ..(ينظر: هلال: اللهجات العربية ، ص388.)

جميع المستويات ابتداء من أبسط بنية صوتية إلى مستوى النّحو حيث يصبح التركيب أيضا معنيّا بالتداخل.

ومع أنّ المتكلّم العادي أي الطفل لا يتعلّم هذه اللغة المشتركة في البيت، بل يتلقى اللهجة المحلية أولا، فإنّ الفصحى ليست غائبة تماما، وهي الآن آخذة في الاضطلاع بدور هام في تكوينه، في سنّ ما قبل المدرسة، ونعني بذلك مرحلة حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب، ومعرفة بعض قواعد اللغة في رياض الأطفال، وتوسيع الرصيد المعجمي والمعرفيّ عن طريق وسائل الاتّصال السمعية والبصرية. وهو ما يؤهّله لاكتشاف مواطن الالتقاء والاختلاف بين ما يأخذه بالفطرة وما يتلقّنه بالتعليم. وبذلك فهو لا يحسّ قطيعة بين المستويين. ولهذا لا يمكن أن نعدّ الفصحى لغة غريبة عنه أو أجنبية، بل إنّ ما يتحصّل له في محيطه الأسري من رصيد يشكّل في الحقيقة اللّبنة الأولى لاكتساب معجم العربية الفصيحة، لأنّه سيجد نفسه محتاجا فقط إلى مجرَّد تنظيم مكاسبه وتقنين استعمالها وفق القواعد التي سيدرّب عليها . أي إنّه في نهاية الأمر لا يمثل تعلُّمُ الفصحى بالنسبة إليه استغناء عن مكتسباته المتحصَّلة له في المحيط الأسري، بل إنّ المدرسة ستعمّق معرفته المبدئية وتهذّبها وتغنيها. والأهم من جميع ذلك هو أنّه سيصبح واعيا بها وبمميّزاتها[1].

وفي هذا السياق يرى المختصّون في لغة الاتّصال أنّ الوضع اللغوي الذي نحن بصدده في تونس وسائر الأقطار العربية يجعل من اللهجة المحلية واللغة العربية كيانا مشتركا يمثّلان معا ما يعرف باللغة الأولى أو اللغة الأم، في مقابل اللغة الأجنبية. وهو ما يساعد على تكريس العربية باعتبارها اللغة الأقوى، لتوكل إليها مهمة البناء السليم لعمليات التفكير. فإنّ اللغة لا تستطيع أن تمكّننا من الإبداع في شكل منظّم إلا إذا حرصنا على تثبيت نظامها داخل الجهاز اللغوي بالدماغ. أي في صورة وجود كفاءة مرتفعة في اللغة العربية لدى الأطفال فإنّ ذلك

[1]– عن محمد نافع العشيري: ملاحظات على مؤتمر جمعية "زاكورة" للتربية، 19 يناير 2011.

سيساعد على اكتساب لغات جديدة، وهذا من شأنه الإسهام في إثراء اللغة العربية نفسها. أما في صورة عدم وجود كفاءة مرتفعة في العربية باعتبارها لغة أمًّا، فسوف يُعطَّل أيُّ اكتساب لغويّ جديد، وقد نصل إلى حالات مَرَضيَّة كاضطراب التفكير مثلا"[1].

إنّ الازدواجية بهذا المعنى ظاهرة عادية في جميع المجتمعات التي تبدو في الظاهر، أحادية اللغة. فبعد أن كانت الازدواجية تعدّ خرقا لفصاحة اللغة المشتركة، ها هي عند من يدافعون عنها تعدّ حلاّ لمخاطر اندثار بعض اللغات المهدّدة بسبب عوامل الضعف وعدم الاستعمال الحيّ. وهكذا يمكن أن تتحوّل العاميات إلى أدوات لبقاء اللغة الأم، بسبب مرونتها وقدرتها على المباشرة، وصعوبة قبول اللغة الفصيحة لمظاهر التطور باليسر الذي يُحقِّق لها قَبولَ الجديد والتأقلم معه بالسرعة المطلوبة. وهكذا يمكن أن يُعدّ هذا الضربُ من الازدواجية ثراءً لغويّا وحلاّ لمعضلة التواصل وليس عائقا له.

ويرى أندري مارتني أنّ من العوامل التي تساعد على ظهور هذه الازدواجية صعوبة وجود جماعة لغوية يمكن اعتبار اللغة التي يستخدمها متكلموها متماثلة تماما، فإنّ أغلب المتكلمين قابلون – حسب المقامات – لاستخدام مستويات مختلفة للغتهم[2].

ومع أنّ مصطلح اللهجة مفهوم يتضمّن موقفا معياريا سلبيا بالنظر إلى اللغة المشتركة، فلا أحد من الجماعة اللغوية مستعدّ للتفريط في لهجته، لأنّ اللغة المشتركة قد تكون أقرب إلى الأسلوب الأدبي الذي لا يحسن استخدامه في الشؤون اليومية الخاصة للمتكلمين كالعربية الفصحى مثلا.

---

[1]– منير زكري: من قضايا الاتّصال اللغوي، واقع اللغات ومستقبلها في تونس، مركز النشر الجامعي، تونس 2000، صص113149.

[2] – Martinet A: Eléments de linguistique générale, p.149.

ويظلّ المتكلمون شديديّ الوعي باتّحاد الشكلين في مظهريهما العام وليس العكس، ويظلّون يعتبرون اللغة المشتركة واللهجة المحلية مجرّد مستويين للغة واحدة، وليستا لغتين مستقلتين. هذا الاعتقاد بوحدة الشكلين لا يؤدي فقط إلى تناسي الفوارق اللغوية بينهما، ولكن أيضا إلى القناعة بأنّهما كيان واحد. ومع أنّ هناك دائما درجة من الثنائية، في جميع اللغات ، لاستحالة وجود تطابق بين الاستعمال اليومي والشكل الرسمي للغة، فإنّ اللسانيين لا يتحدّثون عن الازدواجية الحقيقية إلا عندما يكون المتكلمون واعين به ا، ويسعى بعضهم إلى مواجهتها والتقليل من حدتها.

وعند النظر في العربية المستعملة في مختلف الأقطار العربية توهم النظرة الأولية بأنّها بلغت من التباين والبعد عن العربية المشتركة أو الفصحى، ما يجعلها تجاوز ربّما مفهوم اللهجة لتقترب من مفهوم اللغة المستقلة بذاتها، غير أنّ هذه النظرة تفتقر إلى استقراء علميّ للواقع، وإلى التسلّح بالقوانين الضرورية لتطوّر اللغات وبقائها، ومن أبرزها ما يعرف بدينامية اللغات أو حيويتها وتفاعلها. فإنّ اللغة المستعملة تتّجه دائما في التعبير عن حاجاتها إلى اليسر والتبسيط. يتجسّد ذلك في الانتقال من شكل أوّليّ مكتوب، إلى شكل ثانويّ منطوق يحتاج في ما يحتاج فيه إلى عناصر التبسيط سواء في مستوى التأليف الصوتي أو البنية الصرفية أو التركيب والمعجم. فإنّ اللغات لا تستنكف من أجل هذا الهدف من الأخذ عن بعضها البعض خاصة وهي تعيش كمن يتكلّم بها مختلف المؤثرات التي تنتجها عملية الاحتكاك بين الشعوب والثقافات والحضارات.

يُضاف إلى هذا تكوُّن المجموعة اللسانية عادة من عديد المجموعات المختلفة، وكلام أفراد هذه المجموعات يعكس بالضّرورة اختلاف ا ثقافيا اجتماعيا مهنيّا، ينبع من مختلف وظائف اللغة، ومن تنوّع الحالات الاجتماعية التي تستعمل فيها[1]. فيضطرّ المتكلمون إلى مواجهة وضع ثنائيّ اللغة. فالطفل قد لا

[1] – ينظر: Lyons J. : Linguistique générale. P.40

يستعمل لغة أمّه فحسب، بل قد يستعمل أيضا لغة مُرَبِّيته أو مُعلّمه، وهو يتعرّض يوميا للغة الإعلام ووسائل الاتّصال وغيرها، وقد يستمرّ الصراع قائما بين مستويين أو أكثر، إذ يصعب أن تتمّ جميع عمليات التواصل بنفس الخصائص اللغوية أي نفس البنية الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية، وهي المقاييس التي كان يشترطها الرواة العرب القدامى لاعتبار الكلام فصيحا.

وتتجسّد علاقة المتكلّم بهذه الحالات في تنظيم خطابه وفق مستويات لغوية تخضع من ناحية للمقام، وتستجيب من ناحية ثانية، ل قدر كبير من العوامل المتشابكة مثل الهيئة والمكان والزمان.. إلخ. فإنّ المفردات يصعب أن تعبّر عن دلالات فصيحة ثابتة رغم تغيّر إطارها الاجتماعي والجغرافي والتاريخي، بل إنّ المعاني الدقيقة لا تدرك بغير أسمائها التي أسندها إليها الاستعمال، وغير ذلك خروج عن الواقعية وتفريط في الطاقات التعبيرية التي تشحن بها تلك الأسماء؛ كما أنّ المتكلّمين لا يحتلّون جميعا نفس الموقع اللغوي بل يعرضون لتطورات تضعهم في درجة معيّنة من "السّلّم" اللغوي، وهو ما ينعكس بوضوح في مستوى المنطوق لغرض التطابق مع المنوال الثقافي السائد، بينما يعمد المكتوب – وهو قائم في الغالب على المستوى الفصيح وحده – إلى الالتزام بالأشكال اللغوية الصحيحة. ولكن بقدر ما تنشط حركة التطوّر يحتدّ الوعي بفارق ما بين طريقتيْ التعبير إلى حدّ الأزمة[1]،

وعلى اللساني اليوم أن يبحث في خلفيات هذه الظواهر ليستطيع تفكيك مكونات اللغة التي انتهى إليها الاستعمال، ولا مفرّ في ذلك من الاستعانة باللهجات، لأنّها الحاضنة الأولى لهذا الازدواج اللغوي. وليس المقصود من ذلك سوى الدعوة إلى أن تدرس أصول هذه العاميات، وصلاتها بالعربية، عسى أن يُعين ذلك في فهم واقع اللغة المشتركة وييسّر معالجة مشكلاتها وأسباب تطوّرها، فتتزود بعوامل النماء والازدهار، وتتلّل ما يعترض طريقها من عقبات، فتكون لغة

[1] – عبد المجيد التركي: قضية الفصحى واللهجات في نظر بعض الأدباء المعاصرين، حوليات الجامعة التونسية، 1965/2.

حيّة قادرة بمستوييها المنطوق والمكتوب على تلبية حاجات المتكلمين في التواصل[1]. فإنّ تحوّل الفصيح إلى العامي، ونفور الاستعمال الفصيح منه يرجع في الغالب إلى زوال الحاجة – بحكم التطور – إلى رصيد فصيح قديم مما قلّت الحاجة إليه لتعلّقه بدلالات لم تعد قائمة. فقبع في العاميات وأخذ غيرُه يسدُّ مَسدَّه. وقد اكتسب في العاميات بِناءً جديدا فعرض له شيءٌ من القلب والإبدال و الزيادة والنقص حتى ابتعد بذلك كله عن سمته الفصيحة.[2]

إذن إنّ هذا المسار في بناء ظاهرة الازدواجية اللغوية قائم في العربية منذ القديم، وهو كذلك، من طبيعة جميع اللغات الحضارية التي تعتمد من جهة على الفصيح لتثبيت دعائم فكرها، وعلى المستويات الأخرى لتعايش التطوّر وحاجات التعبير عنه. وهو دليل على استحالة الفصل بين مستويات النّشاط اللغوي داخل مجتمع ما، أي ضرورة التعبير عن واقع العربية الحيّة في استعمالاتها اليوميّة التي ترتبط بالثقافة وتتدرّج تدرّجها [3]. فمن ناحية لم يعد الفصيحُ اللغةَ التي يملكها جميع النّاس ويتصرّفون فيها بتلقائية[4]، ومن ناحية أخرى زادت الحاجةُ إلى الكثير من الألفاظ المقترضة.

وبدا الاختلاف بين المنطوق والمكتوب مرتبط ا بالمقابلة بين المعيار والاستعمال، وبين الشكل المنطوق والشكل المكتوب ظهرت في كلّ بيئة خصائص الاثنين. ويبدو أن حركة التبادل هذه لا يمكن تجنّبها، حتى بدا الشّكلان يتكاملان.

لذلك تتُوِّل اللسانياتُ الحديثة التداخلَ اللغوي منزلةً مهمّة قصد معرفة تداخل الألسن ودوره في تطوير الأنظمة اللغوية، وفي فهم حركة نموّها، وأثره في حلّ معضلة التواصل مع الواقع والتأثير فيه، خاصة في البيئات المتناخمة

---

[1] – مشكلات اللغة العربية، ص178.

[2] – إبراهيم السامرائي: معجميات، ص 283).

[3] – بدوي محمّد السيد: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص15.

[4] – إبراهيم السّامرّائي: التطور اللغوي التاريخي، ص147.

المتداخلة اللغات[1]، فيُخضَع في اللغات الحيّة للاستقراء العلميّ الموضوعيّ وتحلّل مقترضاته ويؤرّخ لها . غير أنّ منزلته في الدّرس اللغوي العربي لا تزال ضعيفة بسبب هيمنة مفهوم الفصاحة، فكثيرا ما عُدّ الرّصيد الأعجميُّ الذي أصبح جزءا من اللغة العربية مثلا، غير ذي شأن، وقاومته كتب اللحن وامتنع المعجم عن الاعتراف به، ورغم اتّساع الاقتراض في العصر الحديث ليشمل شتى العلوم والمعارف، فإنّه لا يزال يُعامل معاملة العامي والمولّد، وهذا يؤدّي إلى إهماله وإهمال دوره في تطوير اللغة.

ولهذا نعالجه في هذا البحث باعتباره مظهرا لغويّا عاما، من ناحية، وباعتباره بابا من أبواب تطوّر اللغات لا غنًى للغة عنه، من ناحية ثانية، فهو ظاهرة تُعدّ من الوسائل المهمّة في نموّ اللغ ات، وقد دلّت الملاحظة منذ القديم على أنّ اللغات يستعين بعضها بألفاظ بعض، حدث هذا في العربية الفصحى وفي عامياتها قديما، ويحدث الآن[2].

ولئن عدّ الاقتراض قديما وحديثا، ظاهرة لسانية خلافية، باعتباره يخرق نظام اللغة المتقبِّلة، بما يستحدثه فيها من دوالّ ومدلولات أجنبيّة قد تؤدّي إلى تجاهل رصيدها الأصيل؛ فإنّه من ناحية أخرى، يعدّ من علامات تطوّر اللغات وحيويّتها، لأنّ اقتصار لغة ما على رصيدها الخاصّ يحرمها من الاستفادة من تجارب الآخرين ويفقدها القدرة على مجاراة نسق الحضارة والمشاركة فيها، وصورة اللغة التي لم تتأثّر بلغات الشعوب المجاورة لها صورة مثاليّة لم تعرفها التجارب الإنسانية.

والحقيقة أنّ اللغة مثلما تكتسب تطورها بعامل التّوليد الداخلي، فإنّا تحصل على عناصر جدّتها بالاقتراض الخارجيّ. وإذا كان العامل الأوّل مظهرا من مظاهر المقدرة اللغوية تُحقّقه أنظمتها وبُنَاهَا الدّاخلية؛ فإنّ العامل الثاني لا يقلّ

---

[1] – انظر مثلا: Picoche : Précis de lexicologie française, p. 40.

[2] – إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص–ص109–117.

أهمية لأنّ المقترضات تتحوّل إلى جزء أصيل من رصيد اللغة، يتّخذ له حيّزا في نظامها اللغويّ.

ويبدو أنّ لغات الشعوب الأكثر تحضّرا وقوة هي التي تفرض في الأخير تأثيرها في لغات الشعوب الأضعف منها، وقد خضع العرب للغات الشعوب الـتي كانت أسبق منهم حضارة كالفارسية واليونانية واللاتينية، دون أن يمنع ذلك العربية من أن تحافظ على روابطها مع اللغات السامية ومنها بالخصوص الحبشية والآرامية[1]. يقول الجاحظ: "ألا ترى أنّ أهل المدينة لمَّا نزل فيهم ناسٌ من الفرس من قديم الدَّهر عَلِقوا بألفاظٍ من ألفاظهم، ولذلك يُسمُّون البطيخ الخربز، ويسمون السَّميط الزردق، ويسمون المَصوص المَزور، ويسمون الشطرنج الأشترنج، في غير ذلك من الأسماء. وكذلك أهل الكوفة فإنّهم يُسمُّون المسحاة بالْ، وبالْ بالفارسية. ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب. ويسمّي أهل الكوفة الحَوْك الباذروج، والباذروج بالفارسية، والحوْك كلمة عربية. وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمُّونها مُربّعة، ويُسميها أهل الكوفة الجِهارسوك، والجهارسوك بالفارسية. ويسمّون السوق والسويقة "وازار"، والوازار بالفارسية. ويسمون القثاء خيارا، والخيار بالفارسية. ويسمون المجذوم وَيْذي بالفارسية[2].

---

[1] – صارت اللغة الآرامية حوالي (ق 5 ق.م.) اللغة العامة الرسمية في بلاد الشرق الأدنى القديم، وقد نابت مناب العبرية والكنعانية، كما جعل الفرس الآرامية لغتهم الديبلوماسية. وقد اقتبست العربية من السريانية حتى بعد ظهور الإسلام، مئات الكلمات المختصة بالزراعة والصناعة والتجارة والعلوم، وكان من هذه الألفاظ ما هو سريانيّ محض وما هو من أصل يونانيّ ونُقل إلى العربية بصيغته السريانية. عن: رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، ص170.

[2] – الجاحظ: البيان، 1/19–20.

إنّ هذه الصلات كانت أساس ما حدث بين العربية وهذه اللغات من تداخل منذ أقدم العصور تجسّده حتى القصائد الجاهلية نفسها: فقد رُوي لعديّ بن زيد [1] في بيت واحد ثلاث كلمات أعجمية هي: القنديل والكنيسة، والفُصْح، في قوله:

بزجاجة ملءِ اليدين كأنّها قنديلُ فُصْحٍ في كنيسة راهب

والقنديل: معرّب من اليونانية، ثم دخل الآرامية ومنها إلى العربية، والكنيسة: معبد اليهود والنصارى من الآرامية (كنوشتا)، والفُصح: عيد تذكار قيامة المسيح من الموت، من الآرامية (فصحا).

ولم يفت الجاحظ أن يبحث في عوامل الاقتراض وأرجعه إلى خصائص اللغات واختلافها في طرائق التعبير عن المفاهيم والأشياء، وهذا أمر مهمّ لأنّه يؤسّس لقناعته بعدم رفض الأعجميّ واعتباره جزءا من رصيد العربية الضروريّ في حالة عدم امتلاك العربية المقابل المناسب؛ وقد يكون بَذَخِيًّا إذا كان لأهداف أخرى منها التظاهر، فإنّ اللغات حسب الجاحظ، تختلف في مُتَصَوَّراتها الذهنيَّة ورؤاها ومفاهيمها التي تبني عليها أساليبها في التعبير.

ففي الاقتراض الضروريّ يقارن الجاحظ بين العرب وغيرهم من الأمم في كيفية التعبير عن بعض المفاهيم. فيقول: "والإنسان رديء الإبصار بالليل، والذي لا يبصر منهم بالليل، تسميه الفرس: بشكور، وتأويله أنّه أعمى بالليل، وليس له في لغة العرب اسم، أكثر من أنّه يقال لمن لا يبصر بالليل هديد، ما سمعت إلا بهذا. فأما الأغطش فإنّه السيّئ البصر بالليل والنهار جميعا. وإذا كانت المرأة مقربة العنق، فكانت رديئة البصر، قيل لها "جهراء". وأنشد الأصمعي في غير النساء: جهراء لا تألو إذا أظهرت نظرا ولا من عيلة تغنيني

وذكروا أنّ الأجهر الذي لا يبصر في الشمس..[2].

---

[1] – شاعر جاهليّ ت 590م. كثير التنقّل بين الفرس والرّوم، وكان يكتب بالعربية والفارسية. يمتاز شعره برقّة العاطفة وعمق الثقافة.

[2] – الحيوان، 3/ 603.

"ومما يدلّ على أنّ الرّوم أبخل الأمم، أنّك لا تجد للجود في لغتهم اسما. وقد زعم ناس أنّ ممّا يدلّ على غشّ الفرس، أنّه ليس للنصيحة في لغتهم اسم واحد يجمع المعاني التي يقع عليها هذا الاسم.. ففي لغتهم اسم للسلامة، واسم لإرادة الخير، وحسن المشورة، وحملك بالرأس على الصواب. فللنصيحة عندهم أسماء مختلفة، إذا اجتمعت دلّت على ما يدلّ عليه الاسم الواحد في لغة العرب. فمن قضى عليهم بالغشّ من هذا الوجه فقد ظلم." [1] ويضيف: "إنّما يسمِّي الناس ما يحتاجون إلى استعماله. ومع الاستغناء يسقط التكلف"[2]..

وأما في الاقتراض غير الضَّروري أو البذخيّ فلم يغفل الجاحظ التنبيه إليه باعتباره جزءا من رؤية لسانية عامة، تحوّل الاقتراض إلى عنصر زائد عن الحاجة، وتنتقل وظيفته من وظيفة ضرورية لحلّ مصاعب في الخطاب، إلى وظيفة بذخية، فيها يبدو الاقتراض ضربا من التقليد، ولكنّه مع ذلك يؤدّي وظائف نفسية واجتماعية كالتّأثّر والإعجاب والتّباهي باستخدام لغات أخرى، خاصة إذا كانت ذات قيمة حضارية. وفي هذا النّوع من الاقتراض يقول الجاحظ: "وقد يتملّح الأعرابيّ بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية، كقول العمانيّ للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها:

مَن يلقه من بطل مُسْرَنْدِ في زَغْفة محكمة بالسّرْد

تجول بين رأسه و(الكرد) (يعني العنق)[3].

وقد شاعت الألفاظ الأعجمية بنوعيها الضروريّ والبذخيّ، حتى باتت جزءا مهمًّا من رصيد العربية المستعملة، حتى اتّخذ ذلك الجاحظُ علامةً تُميّز مختلف فئات المجتمع العباسي، وضرب لذلك أسماء الأطعمة فقال: "ذهب الروم بالحسو والحشو، وذهبت فارس بالبارد والحلو. وقال عمر: "لفارس الشّفارق والحموض"،

---

[1] – البخلاء، 2/ 153.

[2] – نفسه، 2/ 153.

[3] – البيان 141/1.

وقال دَوْسَر المديني: "لنا الهرائس والقلايا، ولأهل البدو اللّبأ والسِّلاء والجراد والكمأة والخبزة في الرائب والتمر بالزبد.. ولهم البريقة والخلاصة والحيس والوطيئة"[1]...

3 –التداخل اللغوي في عربية تونس:

يلاحظ الدارس – لما سمَّيْناه عربية تونس، أيْ اللهجة العربية التونسية – أنّ ما يميّزها عن العربية المشتركة مجرّدُ خصائص عامة لا تخالف فيها العربيةَ الفصيحةَ نفسَها وكذلك عربيةَ الأقطار الأخرى، وهي جملة القوانين التي تحدّثنا عنها. ولذلك رأيت أن أُقسِّم هذه المظاهر التي خضعت لها عربيةُ تونس إلى نوعين، نوعٍ يمثّله رصيدٌ عاميٌّ ذو أصول فصيحة، ونوعٍ يمثّله رصيدٌ مقترضٌ ذو أصول أعجمية:

3–1– الأصول الفصيحة:

عندما نتأمَّل هذه العربيةَ الحديثة نلاحظ أنّها نتيجة جملة من التأثيرات الجيوسياسية والثقافية الاجتماعية التي أحاطت بالمنطقة. فقد تعاقبت على البلاد التونسية مجموعاتٌ سكانية مختلفة، انضمَّت إلى العناصر البربرية الأصلية منذ العهد الفينيقي ثم الروماني، وكانت هذه المجموعاتُ منفتحةً على كامل ثقافات المتوسط لما كان بينها من تنافس في سبيل السيطرة عليه اقتصاديا وعسكريا، فتواصل معهما تسرُّبُ المكوِّنات الثقافية المختلفة حتى الفتح الإسلامي، لتتجدّد بعد استقرار نسبيٍّ الحملاتُ البشريةُ مع قبائل بني هلال، وما أعقبها من مَوْجات هِجْرات الأندلسيين، وصراع الأسبان والأتراك على المتوسّط انتهاءً بالاستعمار الفرنسي. وتظلّ المسألةُ اللغوية في جميع هذه الحِقَب غائبةً أو تفتقر كالعادة إلى الوضوح والدِّقة لقلَّة الدراسات أو انعدامها أحيانا، لكن ثمَّة دائما معطيات يمكن أن

[1] – البخلاء، 130/2.

تساعد على فهم ملامح التنوُّع السكاني، وضبط أهمِّ المجموعات البشرية التي كان لها أثر في تطوّر لغة الاستعمال. ونفهم من كلام اليعقوبي (ت 284 هـ) ما يؤكّد هذا الواقع السكاني بقوله: "وأهل هذه المدن قوم عجم من الرُّوم القُدْم والأفارقة والبربر"[1].

أما العرب فقد تواصل توافدهم على البلاد التونسية منذ الفتح الإسلامي إلى أواسط القرن الخامس الهجريِّ، عندما تعاظم هذا الوجودُ بنزوح قبائل بني رياح وبني سليم، حتى أصبح لهم نفوذ على كامل المنطقة سياسيا واقتصاديا، وقد ذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة، وبيّن أنّ نفوذهم قد استمرّ في إفريقية والمغرب ثلاثمائة وخمسين سنة بدءا من المائة الخامسة للهجرة[2]. ولا يخلو تنامي هذا الدور من تأثير في لغة الاستعمال حتى أدّى ذلك إلى تعريب أغلب البلاد. وكانت القيروان قبل ذلك منارة العلم والعربية في كامل إفريقية، كما أسهمت في الحياة الأدبية وأنجبت أبرز أدباء الإقليم وعلمائه وشعرائه. لكنّ المسألة اللغوية لم تستقرَّ تماما، لأنّ الرصيد اللغوي من شروطه التحوّل. فمن ناحية لم ينقطع تماما استخدامُ مفردات تعود إلى التَّرسُّبات اللغوية السابقة لعدم وجود مقابل لها في العربية أو لعدم تمكُّن المتكلمين الجدد بالعربية من استيعاب كامل رصيدها؛ ومن ناحية ثانية لا تفتأ تواجه المتكلمين مستجداتٌ غالبا ما يواجهونها بلغتها الأصلية. وهكذا تواصل التأثُّر ومن ورائه تطويرُ الرصيد اللغوي بحسب ما تقتضيه سُنَّة التطور وما تتطلبه حاجات الجماعة اللغوية، وما يظهر في حياتهم من جديد. لهذه العوامل نرى أنّ العربية في تونس ستستفيد من جميع ما أحاط بها من تنويعات ثقافية ولغوية.

---

[1] – اليعقوبي: البلدان، ط3، النجف1377/1957، ص9.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ص 150.

ونحن بالنظر إلى طبيعة هذا العمل سنقتصر على البحث في مظاهر هذا التأثُّر لغويًّا فحسب، دون الغوص في تحليل عوامله وأبعادها فإنّ ذلك ممّا يتجاوز إطار عملنا هذا.

3-1-1-نماذج عربية فصيحة:

يستدعي البحث في الأصول الفصيحة لعربية تونس الانطلاق:

– إمّا من العربية التونسية للنَّظر في مدى انتسابها إلى العربية الفصحى[1]؛

– وإما من العربية الفصحى نفسها للبحث في ما هو مستعمل منها في العربية التونسية [2]. والضربان من الدراسة يكشفان العلاقة التي تصل اللهجةَ المنطوقة في تونس بما يعرف بالعربية الفصيحة شريطة التأكد من نوع القبائل العربية التي استوطنت البلاد التونسية لتحديد نوع الفصاحة العربية، أي إلى أيٍّ من اللهجات العربية تنتمي [3]، آخذين في الاعتبار جميع الرَّصيد الذي تناقلته الفصحى تاريخيا وجغرافيا، حتى وإن كانت أصوله مقترَضَة في أزمنة سابقة.

ففي النوع الأول نجد الباحث التونسي محمد العروسي المطوي [4] يعتبر أنّ أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى هي التي في المغرب العربي. ويعزو ذلك إلى طبيعة القبائل التي خرجت من الجزيرة العربية في عهد الفتوحات وتوزَّعت على مناطق مختلفة من البلاد التي تعرّبت. ويستشهد على ذلك بعدد كبير من الكلمات الفصيحة اندثرت من العربية المشتركة وحافظت عليها القبائل التي استقرت في البلاد التونسية، فبقيت حيَّةً في عاميتها، مع تغيير نسبيّ في دلالتها وأحيانا في

---

[1] – اعتمدنا في ذلك على دراستين الأولى، لـ: محمد العروسي المطوي: "من فصيح الدارجة التونسية"، مجلة المعجمية، الأعداد، 1984/1، 1985/2، 1986/3؛ والثانية، لـ: صالح بن رمضان: "خصائص بعض المفردات العربية في لهجة الجريد"، مجلة المعجمية، 1988/4.

[2] – اعتمدنا في ذلك على دراسة لـ: الحبيب النصراوي: "الفصاحة العربية بين بداوة المنوال وتمدن الاستعمال"، مجلة آداب القيروان، 2001/5..

[3] – فقد لاحظ الجاحظ اختلاف لهجات الأمصار، وعلّل ذلك بقوله : "وأهل الأمصار إنّما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر.." (البيان، 18/1.).

[4] – من فصيح الدارجة التونسية، مجلة المعجمية، 109/1.

بنيتها الصرفية. وهو نفس الرأي الذي يستند إليه باحث تونسي آخر هو صالح بن رمضان عندما درس صلة عامية الجريد التونسي بالعربية الفصيحة. ومن الأمثلة التي قدمها الباحثان[1] نورد النماذج التالية:

الكلمة/دلالتها	في عربية تونس	في العربية المشتركة
البَثُّ(رم) [2]	التمر الذي يتساقط من النخل قبل الجمع	تمر بثٌّ، إذا لم يجوّد كنزه فتفرّق
برشة (مط)	الكثرة	البَرَكَة: قلب الكاف شينا > شنشنة في لغة اليمن
البَرير(رم)	ثمر النَّخلة حين يَنْشقّ حِمْلُها،	البَرير : ثمر الأراك عامة؛
البَزَر(رم)	ثمار النخل في مراحل نموّه	كلّ حبٍّ يبزر للنبات.. وقيل البزر: الحبّ عامة
الحمَّارة(رم)	آلة خشبية تتركب من ثلاثة عيدان تنصب وتلعَّق عليها القرب في الصيف،	ثلاثة أعواد.. تعلَّق عليها الإداوة لتبرد الماء
دَلْوَحَ رأسه(مط)	أداره وأماله تعبيرا عن عدم الرضى،	دَلَحَ: تعني في ما تعنيه: مشى بحمله غير منبسط، وفي هذه الحالة تكون حركة رأس الشخص مائلة
دَنْكَس(مط) [3]	طأطأ رأسه،	دَنْقَسَ > ربما قلبت القاف كافا: خفض البصر والرأس ذلاّ وخضوعا

[1] – أشرنا إلى الأمثلة التي درسها المطوي بحرفي (مط)، والأمثلة التي درسها بن رمضان بحرفي (رم).

[2] – انظر: دراسة "خصائص بعض المفردات العربية في لهجة الجريد"/ لصالح بن رمضان، مجلة المعجمية، العدد 1988/4.

[3] – انظر: دراسة "من فصيح الدارجة التونسية" ، لـ: محمد العروسي المطوي، مجلة المعجمية، الأعداد، 1984/1، 1985/2، 1986/3.

الرِّبيعة(رم)	**قطعة من خشب النخل تسقف بها الدور،**	**المِرْبَعَة: خُشيْبة صغيرة يُرفع بها العِدل**
السِّبْر(مط)	**العادات والتقاليد،**	**حسن الهيئة والسلوك المحمود**
الشُّدّاخ(رم)	**نوع من تمور الخريف،**	**المشدّح: البُسر يُغمَز حتى ينشدخ ثم يبيَّس في الشتاء**
الشَّمْروخ(رم)	**العرجون**	**الشِّمْراخ : العُثكال الذي عليه البُسر**
الشَّنَّة(رم) جلد	**القربة الخلقة،**	**الشنّ والشنّة: الخَلِق من كلّ آنية صُنعت من جلد**
الطّشّ(مط)	**قلّة المعرفة**	**المطر الضعيف**
عجرودة(مط)	**المحصول الزراعي الضعيف،**	**المُعَجْرَد: العريان، وشجر معجرد: عار من الورق**
العَرْجون(رم)	**عذق النخلة،**	**العُرجون: أصل العذق**
فَرْهَدَ(مط)	**تمتّع،**	**تفرهد الغلام : سمن من النِّعمة**
نجّم/انّجّم	**يقدر على..**	**من التنجيم > وهو القدرة على الخوارق**
الوَزْرَة(مط)	**لباس من صوف خاص بالرجال بمثابة البرنس ذو نسيج مكتنز ثقيل،**	**الوزر في الفصحى: الحمل الثّقل،**
ياسر	**الكثير**	**من اليسر والوفرة**

أما النوع الثاني الذي ينطلق البحث فيه من العربية الفصيحة في اتّجاه العامية التونسية، فقد بدا لي في بحث سابق أنّ في شعر المعلَّقات رصيدا مغرقا في البداوة، قد زال أغلبه من الاستعمال الحديث، ولكن عند التثبّت في العربية التونسية نتبيّن أنّ بعضه لا يزال قائما في الاستعمال العاميّ التونسي. وقد

عالجْتُ ذلك الرصيدَ في دراسةٍ مستقلةٍ، ومن الأمثلة التي درستُها أوردُ النماذج التالية:

الكلمة/دلالتها	في المعلقات	في عربية تونس
الإرقال(ط38)[1]	دون العدو	هرقل : نفس الدلالة
الجداية(ع60)	ولد الظبية	الجَدْي: ولد الماعز
الجهام(24)	السحاب الذي أراق ماءه	جهامة: كلّ ضخم
الحُقّ(ر15)	وعاء من عاج مستدير	حكّة: نفس الدلالة
الرّمة(ل16)	قطعة من الحبل خلقة ضعيفة	الرِّمّه: كلّ خلق يُستنكف منه
سامى(ط39)	بارى في السموّ	ساماه: حاذاه
سفّ(ل9)	الشيءَ: ذرّاه.	سفّ: أكل الدّقيق ونحوه جافّا
السّفا(ل30)	الشّوك	سفاية، ما يتطاير من السّنابل عند الدّرس
الطَّوَل(ط66)	الحبل الذي يطول للدّابة فترعى فيه.	الطُّوال: نفس الدلالة
الطّيخ(ح39)	التكبّر	عنفوان المرء
العجاجة(ح80)	الغبار	مغزل هوائي يدور متقدّما
غلث(ل32)	خلط بين أشياء كثيرة.	يغلّث: نفس الدلالة
الفلوّ والافتلاء(ر81)	القطام.	يفلى الحيوان: يأكل العشب
قرّة(ل62)	القرّ: البرد	أيّام باردة معروفة لها فصل

[1] – رمزنا إلى أسماء الشعراء بالحروف التالية: ق: امرؤ القيس، ط: طرفة، ع: عمرو بن كلثوم، ح: الحارث بن حلّزة، ع: عنترة، ز: زهير، ل: لبيد.

		معيّن
القلت(ط32)	**النّقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.**	**القلّة: تجمُّع صغير لماء راكد**
الكبّ(ق74)	**إلقاء الشيء على وجهه**	**كبّ الإناء: نفس الدلالة**
لزّ(ط20)	**ضمّ**	**اللّزّ: نفس الدلالة**
لزّاز(ل78) الخصوم	**يقهر الخصوم**	**يقال للفارس أو ل كلب الصيد مثلا: إذا أحسن ملاحقة الطريدة.**
المرداة(ر33)	**الصخرة التي يرمى بها**	**مرداية: نفس الدلالة**
المزاد(ح70)	**زقّ الماء**	**المزود: نفس الدلالة + إضافة دلالة الآلة الموسيقية الشعبية**
المُعَيّل(ق49)	**الكثير العيال**	**العايل: المسؤول عن العائلة**
النُّؤى (ز5)	**نهيْر حول البيت لجريان ماء المطر**	**النّوى: نفس الدلالة**
الوحم(ل26)	**اشتهاء الحبلى للشيء**	**نفس الدلالة**

يبدو أنّ الرّصيد الوارد في اللوحتين رصيد بدويٌّ خالص، وقد أصبح في العربية الفصيحة مهملا، لكنّا وجدنا أنّ عددا من مفرداته مستعمل إمّا في مستوى بدويّ جهويّ محدود كمنطقة الجريد التونسية مثل مصطلحات فلاحة التمور كـ(البثّ والبرير، والبزر..)؛ وإمّا متداول في مستوى كامل جهات البلاد التونسية، مثل: (الإرقال والشّنّ والقلت والنّؤي، والفلوّ والطّيخ..) وكلّها مفردات من فصيح العربية كما وردت في المعلّقات. وقد حافظت عليها البوادي. كما حافظت على دلالاتها الأصلية في الغالب، وإن حدث فيها تطوّر فذلك راجع لأثر المجاز

والكناية الشائعين في اللغة. وربّما يرجع بقاء هذا الرصيد إلى استمرار حاجة المتكلمين في البادية إليه ، بما أنّه في أغلبه تعبير عن خصائص بدوية وحتى تقنيات وأدوات ومفاهيم لا تزال البادية تستخدمها إلى اليوم. لكن بسبب النُّزوح والزَّحف الحضاري انتقل أغلبُ هذه المفردات ليُستعمل في الحياة الحضرية وإنْ بدلالات مختلفة أحيانا. على أنّ لاستعمال هذه المفردات في المستوى العاميّ أثرا مهمّا في تأليفها الصوتي وبنيتها الصرفية وخاصة في دلالتها المعجمية:

– ففي مستوى التأليف الصوتي: أصاب أغلبَ مفردات هذا الرصيد تغيّرٌ في النّطق ناتج عن تعامل الأصوات ، نذكر مثلا: انقلاب الهمزة إلى هاء بسبب تجاور مخرجيهما وسهولة نطق الهاء، في مثل (إرقال > هرقل)، أو انقلاب القاف كافا (حقّ > حكّة، دنقس > دنكس)، وفي الغالب تقلب الهمزة مهما كان موضعها إلى ياء أو واو (نؤي > نوى) ، قلب الكاف شينا في لغة اليمن المعروفة الشنشنة، وهي خلاف الكشكشة (بركة> برشة)؛

–وفي مستوى البنية الصرفية: نلاحظ أنّ أهمّ تغيير في العامية التونسية هو الابتداء بالسّاكن (مثل: وْحَمْ)، وإرجاع الحركات الطويل ة في الغالب إلى حروف علّة ليسهل معها ظهور بنية الكلمة من ذلك (المزاد > المزود، سفا > سفايه، مرداة > مردايه)، وكذلك زيادة مقطع طويل غالبا ما يكون هاء في آخر الكلمة (قلت > قلته، شنّ > شنّه)، أو تقصير مقطع طويل في مثل: (جداية > جديْ)؛ إضافة إلى تبسيط بعض الأبنية لتيسير نطقها دون الوقوف على الحركات (مِربعة > ربيعة، مُعجْرَد > عجرودة، المشدّحخ> الشُّدّاخ ، الشِّمْراخ > الشَّمْروخ..)،

–وفي مستوى الدّلالة: نلاحظ حصول تطوّر دلاليّ شبيه بما حصل في بقية الرّصيد العربي الفصيح. وهذا معناه مواكبة الدلالة في الألفاظ العامية أيضا للتطوّر الاجتماعي للمتكلّمين:

– تخصيص الدلالة في مثل: دلالة "االسّفا" وهو الشّوك عامة، فقد خصّصت لما يتطاير من السّنابل عند الدّرس ، والبَرير وهو ثمر الأراك عامة فخصّص لثمر النَّخلة حين يَنْشقّ حِمْلُها، والبَزَر وهو الحبّ عامة، فتخصص لثمار النخل في مراحل نموّه..

– تعميم الدلالة في مثل: دلالة "الجهام" التي كانت خاصة بالسّحاب الذي أراق ماءه، فعمّمت لتصبح دالّة على كلّ ما هو ضخم ، والطّشّ وهو المطر الضعيف، فعمّم ليصبح دالا على القلة في كلّ شيء، و الطّيخ الدال على معنى التكبّر، فعمم ليدلّ على العنفوان في كلّ شيء

– انتقال الدلالة في مثل: دلالة "سامَى" من دلالة المباراة في الرّفعة والسّموّ إلى دلالة المجاورة المكانية فحسب ، ودَلْوَحَ من معنى أمال رأسه من ثقل الحمل إلى معنى الاستهزاء، والسِّبْر من الدلالة على حسن الهيئة إلى الدلالة على العادات والتقاليد، والرِّبيعة من خُشَيْبة صغيرة يُرفع بها العِدل إلى قطعة من خشب النخل تسقف بها الدور..

3-2- الأصول الأعجمية:

حافظت العربية التونسية على رصيد مهمّ من الأعجمي القديم، فكان أداة من أدوات توسّع معجمها في القديم ، حتى أصبح معدودا من ضمن رصيدها الفصيح. وتكشف المصادر والمعاجم العربية القديمة جزءا مهمّا من حقيقة هذا التداخل اللغوي الذي غنمت منه العربية منذ أقدم عصورها ما به سدّت حاجتها ممّا لم يكن له اسم ولا وجود في بيئتها. وسنعتمد في وصف هذا الرصيد على نماذج استقيناها من دراسات عنيت بمسألة الاقتراض في العربية. أولها : "قاموس عربية الأندلس"، 1997، (A Dictionary of Andalusi Arabic)، لفديريكو كوريينتي، وهو مستعرب إسبانيّ متخصّص في دراسة آداب العوام بالأندلس من أمثال وأزجال وغيرها، وفي هذا القاموس وصف لتطوّر العربية في علاقتها بعامياتها، من خلال ثروة هائلة من الألفاظ الأندلسية . بهذا القاموس نستطيع أن

نتعرّف لا فقط على لغة الخطاب التي كان يستخدمها عرب الأندلس، بل وكذلك أغلب مناطق المغرب الإسلاميّ في العصر الوسيط، ومنها تونس، بسبب هجرة الأندلسيين إليها.

أما المصدر الثاني فهو "الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة"، وهو معجم نادر في المكتبة العربية الحديثة لإبراهيم بن مراد. أقامه على أهمّ المصادر الحديثة الغربية والعربية في مسألة التأصيل اللغوي. وعالج فيه الكلم الأعجمية في عربية الجنوب الغربي التونسي أو ما سمّاه بعربية نفزاوة. والحقيقة أنّ هذه العربية تشمل كامل البلاد التونسية.

وما يميّز هذا المصدر عن المصدر السابق هو اشتماله على ضربين من المقترضات: مقترضات قديمة وفيها يلتقي مع الكثير ممّا وصفه كوريينتي؛ ومقترضات حديثة تالية لمرحلة الأندلس (وأغلبها مقترضات تركية، وإسبانية متأخرة، وإيطالية، وفرنسية)، وفيها يلاحظ الدارس حرية في استخدام الاقتراض، حيث سقط شرط الضرورة نهائيا. وقد تنوّعت مصادر الأعجميّ [1] في الحديث تنوّعا كبيرا بسبب الاحتكاك الثقافي ووسائل الاتّصال و منها الاستعمار الفرنسي المباشر، فكان كلّ ذلك سببا في تضخيم دوره في الاستعمال المعاصر . ويبدو أنّ اتّجاه الرجلين إلى دراسة العاميات راجع إلى اقتصار الدراسات العربية في الغالب على المستوى الفصيح وحده، بينما المطلوب معجميّا في نظرهما، تجاوز ذلك إلى غيره من المستويات العامية [2] والأعجمية للاطلاع على مظاهر التّطور وكشف مبادئه وقواعده. فالتأصيل علم متّصل بالعلوم التاريخية والاجتماعية يُطلعنا على

[1] – ينظر في تحديد أنواع الأعجمي المستعمل في تونس ومصادره، كتاب: 29-42
p.p. Baccouche T. l'emprunt en arabe moderne .

[2] – يقول (كوريينتي): "إنّ كلاّ من الألفاظ المسماة بالفصيحة ومن أخواتها المنسوبة إلى العامية .. هي ألفاظ عربية أو على الأقل معرّبة مادام العرب قد أجروها على ألسنتهم، وهي جديرة بالدراسة المعجمية، إن نرد أن تكون هذه الدراسة وافية علمية غير مغرضة". (دور العاميات والساميات في المعجم العربي التاريخي، ص242).

أسرارٍ ومعلوماتٍ لا يُعثَر عليها في الأعمال الرسمية الملتزمة بالفصيح نظرا لعدم مجاراتها للواقع.

وعند الاطلاع على هذا الرصيد نرى أنّه يضمّ ألفاظا كثيرة مشتركة بين عدوتيْ المتوسّط، إما لاشتراك اللهجتين في عوامل التطور، شأنهما شأن بقية اللهجات العربية، أو بسبب نزوح الأندلسيين وانتقال لغتهم معهم وانصهارها في العربية التونسية لقربهما من بعضهما البعض. وتسمح العودة إلى هذين القاموسين بتتبّع مظاهر التداخل اللغوي في العربية قديمه وحديثه. علما بأنّ أغلب القديمالوافد على المنطقة عن طريق اللغة العربية الفصيحة عدّ فصيحا، وهو ثابت في المعاجم القديمة والحديثة، وأغلبه فارسيّ الأصل باعتبار اللغة الفارسية كانت تعدّ لغة إسلامية قريبة من الإطار الذهني والعقائدي للثقافة الإسلامية. فاستعملها نقلة العلوم وسيطا لتخفيف العجمة عن المفردات والمصطلحات اليونانية واللاتينية، حتى تعرّبت وتنوسيت أصولها الفارسية وأصبحت تعدّ في أذهان المتكلمين العاديين عربية فصيحة.

أما الوافد من هذه المفردات والمصطلحات المقترضة بصفة مباشرة من لغات الجوار، فقد ظلّ في الغالب عامي الاستعمال، ولم يدخل المعاجم العربية إلا لماما. وممّا جاء في المعجمين من هذا الصنف نورد النماذج التالية:

الكلمة	اللغة المقرضة	المعنى	المصدر
أسطا	تركية أستا < عن الفارسية أستاذ	معلّم الصنعة	(م/106)
بردقان	إسبانيةportus cale	تسمية إسبانية للبرتغال القديم	(ك/43،م/119)
برطال	لاتينية portella	سقف مفتوح لإيواء الحيوانات	(م/120)
بركوس	لاتينية porculus الخنزير الصغير	ابن الضأن الذي أتمّ حولا	(م/122)

برنوص	يونانية birros		(م/123)
بُلْغة	إسبانية abarca		(م/140)
بُماضة	فرنسية	ederi	(م/142)
بُمبى	إيطالية bomba	كرة > قنبلة	(م/143)
بندير	لاتينية إسبانية pandero	الدُّف	(ك/67)
بوغاز	تركية (مضيق/ مصبّ نهر)	القوي والمهمّ	(م150)
بَيْ	تركية بيك وبيه	السيد والمتحكم	(م/152)
جليز/ زليز	إسبانية azulejo		(216)
حوّاس	بربرية	سارق وقاطع الطريق	(ك/143)
دادة	تركية > من اليونانية eder	المربية	(م/190)
دورو	إسبانية duro	قطعة نقدية إسبانية	(م/204)
سبسي	تركية عن اليونانية	الغليون	(م/222)
سطل /أسطال	لاتينية سطلة satula	إناء للماء	(م/228)
سقالة	إسبانية escala	من مصطلحات البناء	(م/229)
سميد	يونانية semiladis،	الخشن من دقيق القمح	(م/233)
سنجق	تركية من الفارسية	كوكبة من جنود البَيْ	(م/234)
سندال	فرنسية sandale عن اليونانية sandalia أواللاتينيةsandalium	حذاء صيفيّ	(م/235)
سِيرْ	يونانيةseira	قطعة طويلة من قماش أو جلد	(م/236)
شرليّة	لاتينية sarralhia	قفل	(م/240)
شقالة	لاتينية scala	إناء للطعام	(م/241)
شكارة	لاتينية sascala	كيس خشن كبير	(م/243)

شيركو	إسبانية cerco	سِير من الحديد يستعمل للّفّ خاصة	(م/246)
صَرّاط	باسكيّzapato من اللاتينية sabatênum	نعْل	(ك/301) (م/249)
صبائحي	تركية من أصل فارسيّ (سِباهي)، أصبحت في الفرنسية cipaye / cipahi	جنديّ جندي تركي	(م/251)
صُبّة	فرنسية (soupe)	حساء وكلّ طعام بسيط	(م/250)
طابية	لاتينية tapia الجدار	سياج بين المزارع من تراب أو صبار أو غيره	(م/253)
طاشمة	فرنسيةdétachement	جماعة من الناس في مهمة	(م/255)
طجين	يونانية tagênon	مَقْلًى من طين	(م/258)
طروس	بربرية أطروس (من اليونانية بمعنى الثور والرجل)	كلب سائب	(م/261)
طماطم	إسبانية:أصل مكسيكي tomata	نوع من البقل	(م/262)
علّوش	يونانية hellos ظبي صغير	خروف	(م/266)
غُنجاية	بربرية	تاغنجاوت ملعقة	(م/269)
فالصو	إيطالية falso	الرديء والمزيَّف	(م/272)
فرتول	لاتينيةporcus: خنزير	صغير البقر خاصة	(م/273)
فرّوج وفلّوس	لاتينية pullus	فرخ الدجاج	(م/276)
فكرون	بربرية إيفكروم أو إيفكران أو تافكرونت	السلحفاة البرية	(م/280)
فَلْطَى	إسبانية falta	فقد الصواب	(م/381)

فنار	يونانية phaneros	مصباح خارج البيت	(م/284)
فوطة	تركية فوتة، لعلها عن الهندية	المنشفة	(م/289)
فيشطة	إسبانية fiesta	الحفلة	(م/291)
قربيطة	إسبانية corbata من كروات croates	ربطة العنق	(م/305)
قصرية/ قزدرية	لاتنية gastrum	قصعة كبيرة لغسل الثياب	(م/313)
قطّوس	لاتينية cattus	قطّ	(ك/433)
قفة	لاتينية cophinus <يونانية kophinos	سلّة	(م/319)
قمرق	تركية gumruk من اللاتينيةcommercium	تجارة	(م/326)
قَنْدُورة	فارسية من اليونانية	الدِّرّاعة	(ك/443)
كبوس	إسبانية capuz	شاشية	(ك/435)
كمبيال	إيطالية cambiàle	وصل بقيمة مالية	(م/354)
لقشة	إسبانية lasca	الشظية	(م/364)
للّه	بربرية	السيدة الحرّة	(ك/485، م/364)
لوسي	فرنسية l'huissier	عدل التنفيذ	(م/366)
لويز	فرنسية eder	قطعة نقدية فرنسية من ذهب	(م/367)
ماجن	فرنسية margelle	حوض ماء تحت الأرض	(م/371)
مركانتي	إيطالية mercanti	الغنيّ	(م/377)
مينة	فرنسية mine	منجم	(م/390)
نوّالة	لاتينية nàvîcùla	غرفة للطبخ	(ك/544)
هُرْكَة	إسبانية horca من اللاتينية forca	العصا الغليظة	(م/398)

وجق	**تركية (أوجاق)**	**الفرقة من الصبايحية**	**(م/400)**
يَسَاقْ	**تركية**	**المنع والحظر**	**(م/404)**

نلاحظ أنّ :

– اللغات المستعملة في عربية تونس هي أساسا : من اللغات القديمة: الفارسية واللاتينية واليونانية ؛ ومن اللغات الوسيطة والحديثة: البربرية والإسبانية والتركية والفرنسية والإيطالية. ونلاحظ أنّ في هذا الرّصيد من الخصوصيّة والطَّرافة ما يَسمح بالوقوف على فوائد كثيرة واستنتاجات حول التطوّر اللغوي الذي عرفته العربية وغيرُها من اللغات المجاورة لها : فإنّ القواميس العربية كثيرا ما تنظر إلى الرّصيد العربي القديم على أنّه وحدة لا تتجزّأ، وتنسب مفرداتِه على الإطلاق إلى العربية؛

– رصيد العربية الحقيقيّ بدويّ، وقد أمكنه مع ذلك أن يتجاوز عقبات جمّة، منذ نهضة العربية الأولى أواسط القرن الثاني الهجريّ. فإنّ معجمها لم يتوقف عن التطوّر مستفيدا من لغات مجاورة لها منذ القدم كالأرامية والأكادية والسريانية، أو التي أصبحت معها في وحدة ثقافية كالفارسية، أو تتاخمت معها علميّا وثقافيا وحضاريا كالإغريقية واللاتينية. ولم يزد ذلك العربية إلا قوة؛

– الصلة قوية بين التداخل اللغوي والاحتكاك بين الشعوب والحضارات والثقافات، لكنّه غير كاف، في غياب رؤية منهجية وتصوّر معرفي شامل، والدليل أنّ العربية استطاعت أن تعرّب ما احتاجت إليه من جميع اللغات التي احتكت بها، وتصهره وتحوّله إلى جزء أصيل من رصيدها العام عندما كانت في أوج عطائها الفكري، لكنّها لم تستطع أن تفعل ذلك في العصور اللاحقة، رغم تواصل احتكاكها الثقافي والحضاري بلغات العالم الجديد التي اتّصلت بها أو تتاخمت معها، فإنّ ما اقترضته منها لم يرق إلى المستوى الفصيح، ولكنّ ذلك لم يمنعه من أن يكون جزءا ممّا يعرف بالعاميات.

4 –الخاتمــة:

ليست اللغة العربية الرابطة المتينة التي توحّد بين مستويات الهوية في الوطن الكبير فقط، بل هي أيضا الأداة الأساسية التي بها يمكن للمنطقة بكاملها الدخولُ في العالمية وتحقيق الحداثة. ومن الضروريّ – إن كنّا على وعي بما للغة من أثر في بنية الهوية وتنمية الفكر – أنّ نضع في اعتبارنا أنّ اللغة تحتاج في ذلك إلى تنوّع السياقات والاحتكاك باللغات الأخرى، فإنّ النصيب الذي تتحمّله اللغات أخذا وعطاء يُحتسب لها لا عليها، لأنّه يثري الصلات ويحدث توازنا بينها وبين محيطها اللغوي على مرّ العصور. فإذا عرفنا أنّ فرض الأمم لوجودها اليوم يمرّ عن طريق لغاتها، وإذا علمنا أنّ سرّ بقاء العربية الذي كفله القرآن الكريم دهرا، قد رعته هي أيضا بقدرتها على التأقلم مع جميع مراحل التطوّر التي شهدتها في تاريخها، نعرف أنّنا اليوم مطالبون بتحويل عناصر العولمة ووسائل الاتصال الحديثة لفائدتنا قصد توحيد الكثير من مستويات التواصل بدءا بالمجالات التربوية فالثقافية فالعلمية، دون أن نهمل عبقرية اللهجات أو نستثني عاملي التوليد والاقتراض.

فالعربية لن تستمرّ لغة حيّة إلا بذلك. هذا ما نهضت به في تاريخها عندما كانت كيانا جامعا، ضرورةً لتوحيد كلّ الأمة. وه ذا ما أكّده المستشرق الألماني يومان فك حينما قال: "إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسا لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنّها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزًا لوحدة عالم الإسلام ف ي الثقافة والمدنيّة"[1].

5 –المراجع:

[1] – يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب،ص 234 .

ابن جنّي: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط 2، المكتبة العلمية، القاهرة، 1956،

ابن خلدون: المقدمة، دار الجيل بيروت، (د.ت)،

ابن مراد إبراهيم: الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة، تونس، 1999،

أنيس إبراهيم: من أسرار اللغة، ط7، القاهرة 1985،

بدوي محمد السيد: مستويات العربية المعاصرة في مصر، دار المعارف بمصر، 1973.

البكوش الطيب: – العلاقات بين الألسن ومستوياتها، حوليات الجامعة التونسية ، 1995/36، 11–34،

–إشكاليات اندماج الدّخيل في المعجم، مجلّة المعجمية، 1987/3، 41–60،

بن رمضان صالح: خصائص بعض المفردات العربية في لهجة الجريد، مجلة المعجمية، 4/71–81.

التركي عبد المجيد: قضية الفصحى واللهجات في نظر بعض الأدباء المعاصرين، حوليات الجامعة التونسية 1965/2،ص– ص57–73.

تيمور محمود: مشكلات اللغة العربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ت)،

الجاحظ أبو عثمان: – الحيوان ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحلبي، القاهرة، 1945،

– البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1948،

– البخلاء، تحقيق: أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001،

الحاجة كمال: في فلسفة اللغة، بيروت، ط 2، 1978 ،

السّامرّائي إبراهيم:– التطور اللغوي التاريخي، بيروت، ط3، 1983،

– معجميات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1991،

سوسير فاردينان: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس1985،

السيوطي جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق : محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1987،

عبد العزيز محمد حسن: التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة 1990،
العشيري نافع: ملاحظات على مؤتمر جمعية "زاكورة" للتربية، 19 يناير 2011.
فك يوهان: العربية دراسات في اللغة واللهجات و الأساليب ، تعريب رمضان عبد التواب، القاهرة 1980
الكراعين أحمد نعيم: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، بيروت، 1993.
كوريينتي: "دور العاميات في المعجم العربي التاريخي"، مجلة المعجمية، 5–6/ 1989–1990، ص ص 239–246.
المطوي محمد العروسي: نماذج من فصيح الدارجة التونسية، مجلة المعجمية ، الأعداد، 1984/1، 1985/2، 1986/3،
النصراوي الحبيب: – الفصاحة العربية بين بداوة المنوال وتمدن الاستعمال، مجلة آداب القيروان، 2001/5.
الجاحظ معجميّا، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009،
هلال عبد الغفار حامد: اللهجات العربية نشأتها وتطورها، القاهرة، ط2، 1993،
اليسوعي، رفائيل نخلة: غرائب اللغة العربية، بيروت، ط4، 1986.
اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: كتاب البلدان، ط3، النجف، 1957،
Baccouche (Taieb)، L'emprunt en arabe moderne، Beït-Alhikma – Carthage، I B L V،Université de Tunis، 1994.
Corriente ederico : A Dictionary of Andalusi Arabic، Leiden. New york. Koln، 1997.
Lyons J. : Linguistique générale، Paris، 1070 .
Martinet، A. : Eléments de linguistique générale ، Paris، 1970 .
Picoche ،Jacqueline : précies de lexicologie française، létude et lenseignement du vocabulaire، Edition NAHAN- UNIVERSITE، Paris، 1977.
Vendryes ،Joseph : Le langage introduction linguistique à l'histoire ; Edition Albain Michel، Paris 1968 .
Monteil، V. : L'arabe moderne، Paris، 1960.

اللغة العربية والتعدد اللساني بالمغرب العربي

بقلم الدكتور عثمان سعدي: رئيس
الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

التعدد اللساني وسط اللغة الجامعة لا يسجل كلغات وإنما كلهجات تحيط باللغة الجامعة الرسمية. وحدانية اللغة الرسمية هي السائدة في البلدان الكبرى بالعالم، كاليابان، والصين، وكوريا، وفرنسا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وغيرها.

وحدانية اللغة بفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية

تعمل الدول الكبرى على الحفاظ على وحدانية اللغة حفاظا على وحدتها الوطنية وترفض التعدد اللغوي

الولايات المتحدة الأمريكية:

كان التلميذ بالمدرسة الحكومية في ولاية كاليفورنيا يخيّر بين أن يدرس المواد بالإنجليزية أو بالإسبانية مع تعلم اللغة الإنجليزية كلغة طبعا، لأن مواطني هذه الولاية معظمهم من أمريكا اللاتينية. لكن في نهاية التسعينيات من القرن الماضي صدر قرار 227 وضع حدا لهذا الاختيار وإلزم التلميذ أن يدرس بالإنجليزية فقط. بعد أن لاحظوا توزع الولاء بين لغتين مما يمس الوحدة الوطنية بأمريكا.

فرنسا: رفض مجلس الشيوخ الفرنسي يوم 2008/06/18 الاعتراف باللغات الجهوية بفرنسا، وذلك بإضافة مادة بالدستور تعترف بهذه اللغات كلغات وطنية، ونص التعديل الدستوري المطلوب:

"إن اللغات الجهوية تنتمي إلي التراث الوطني للأمة".

رفض مجلس الشيوخ اقتراح هذا التعديل، واعتبر الاعتراف بهذه اللغات تهديدا للوحدة الوطنية.. وقد جاءت فتوى الأكاديمية الفرنسية أي مجمع اللغة الفرنسية الشهير متفقة مع قرار مجلس الشيوخ. ففي فرنسا عدة لغات جهوية منها: البروتون، والكاتالانية، والباسكية، والكورسية، والأويل، داخل فرنسا؛ كما توجد لغات بخارج فرنسا بالمناطق التي تتبع السيادة الفرنسية كلغات الكاراييبي، ولغة الكاناك وغيرها . والذين يؤيدون الاعتراف بهذه اللغات يعتبرون عدم الاعتراف مخالفة لميثاق أوروبا حول لغات الأقليات التي ترفض دائما الحكومة الفرنسية المصادقة عليه.

ومن المعلوم أنه سبق أن جرت محاولة الاعتراف بهذه اللغات في حزيران (يونيو) سنة 1999 علي يد رئيس الحكومة الاشتراكي ليونيل جوسبان الذي أرسل رسالة لرئيس الجمهورية جاك شيراك يطلب فيها الاعتراف باللغات الجهوية، لكن هذا اعتبر الرسالة غير مستقبَلة، ودعا لعقد مجلس وزراء عاجل الذي رفض بالإجماع اقتراح جوسبان، وخرج السيد شوفينمان وزير الداخلية من الاجتماع ليعلن: "الاعتراف باللغات الجهوية معناه بلقنة فرنسا".

بين أندنوسيا ونيجيريا: ولنقارن بين أكبر دولتين مسلمتين، أندنوسيا في آسيا، ونيجيريا في إفريقيا، ودور اللغة الوطنية فيهما:

أندنوسيا: يبلغ عدد سكانها 220 مليون نسمة، استعمرت من هولندا وسيطرت عليها اللغة الهولندية مدة ثلاثة قرون، وفي 1928 قررت الحركة الوطنية بقيادة الزعيم اللغوي كما وصف جايا دانجرات اعتماد بهاسا أندنوسيا، أي اللغة الأندنوسية المستمدة من المالوية، لتحل محل اللغة الهولندية مع إلغاء هذه وإحلال

محلها اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، تخلصا من سائر الرواسب التي تركتها في الذات واللسان الأندنوسيين. تتكون أندنوسيا من 17508 جزيرة ستة آلاف 6000 منها مأهولة تمتد على مليوني كيلو متر مربع بالمحيط؛ كانت توجد بها مئات اللغات لكن اللغة الوطنية المالوية استطاعت أن تكوّنَ من سكان هذه الجزر نسيجا اجتماعيا منسجما يتحدثون لغة واحدة، وأن تطبق تنمية اقتصادية واجتماعية ناجحة، وتؤلف مع أقطار أخرى ما يسمى بنمور آسيا التي تقدّمت بلغاتها. بمجرد أن اعتمدت اللغة الموحدة، قررت الحركة الوطنية تحقيق الأمن الغذائي فحققته في سنوات قليلة ومرت للتصدير. يبلغ ناتجها المحلي الآن 863 مليار دولار، دخل الفرد بها 3922 دولار فهي الكبرى اقتصاديا بالعالم الإسلامي، وتصنف الخامسة عشرة عالميا، كانت تصدر النفط فصارت تستورده دون أن يتأثر مستوى نموها. بها صناعة متطورة بحيث تصنع حتى الطائرات النفاثة، كل ذلك يتم بلغتها الوطنية، جعل مؤرخَ أندنوسيا الأمريكي ديتوس سميث Datus C. Smithيقول "ثلاثة عوامل تحكمت في الوطنية الأندنوسية: اللغة والدين وحب الاستقلال"[1].

أما **نيجيريا** أكبر دولة مسلمة بافريقيا والتي يبلغ عدد سكانها 153 مليون نسمة، كانت تحكم من قبل قبائل الهاوسا والفولاني. دخلها الإسلام في القرن 13 الميلادي عن طريق التجار المسلمين، فتكونت إمارات بها وبإفريقيا السوداء أهمها أمبراطورية الفولاني، وكانت هذه الإمارات القبلية تستعمل اللغة العربية في العقود والاتفاقيات، مع استعمال لغاتها القومية للحرف العربي كلغات الهاوسة، والفولاني، والوربة، والسواحيلي، والوولف وغيرها من لغات البلدان الإفريقية التي أمدّها العرب بالكلمات العربية وجعلوها حية متداولة لمدة ستة قرون. احتل البريطانيون نيجيريا سنة 1851 فألغوا الحرف العربي عن اللغات الإفريقية كما فعل الفرنسيون والبرتغال في البلدان الأخرى، وفرضوا اللغة الإنجليزية، وقضوا على استعمال

[1] Datus C.Smith,The land and people of Indonesia USA1961

اللغات القومية المكتوبة، ونشروا المسيحية بحركة تبشيرية استعملت المال بين الفقراء.

عندما استقلت نيجيريا سنة 1960 بدل أن تعتمد اللغة الهاؤسيَّة أكبر لغة وطنية بها وبإفريقيا كما فعلت أندنوسيا، احتفظت بسيطرة الإنجليزية كما احتفظت البلدان الإفريقية الأخرى جنوب الصحراء بالفرنسية و البرتغالية. فنيجيريا المستقلة دولة أنجلوفونية، فشلت الإنجليزية في إيجاد نسيج اجتماعي منسجم بنيجيريا، فالحروب القبلية تهزّها بصورة دائمة يسقط فيها المئات. وفشلت في إنجاح خطة تنمية اقتصادية واجتماعية. فالناتج المحلي بنيجيريا الآن 110 مليار دولار معظمه آت من صادرات المحروقات، دخل الفرد بها 733 دولار. بها طبقة طفيلية متعلّمة بالإنجليزية مرتبطة ثقافيا بالغرب لا توظف أموالها المنهوبة من الثروة النفطية في البلاد بل تهربها إلى أوروبا.

هذه أمثلة عن بلدان تسود فيها لغة وطنية رسمية واحدة ناجحة تنمويا، وبلدان تسيطر عليها لغة أجنبية فشلت في تنميتها.

فرنسا ذات الوجهين: لكن فرنسا التي ترفض التعددية اللغوية ببلادها، تعمل علي التعددية اللغوية بالمغرب العربي، فقد أوجدت لوبيا فرنكفونيا ببلدان المغرب العربي الأربعة: الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا، ومولته، وأسست الأكاديمية البربرية بباريس سنة 1967 بهدف منع إعادة الاعتبار للغة العربية واستمرار هيمنة اللغة الفرنسية علي إدارة الدولة، وخلق ضرة للغة العربية وهي الأمازيغية . البربرية تدخل في صراع معها لصالح اللغة الفرنسية. فرنسا تقول بأن بالمغرب العربي أربع لغات لا لغة واحدة وهي الفرنسية، والعربية الفصحي، والعربية الدارجة، والبربرية. وأذكر مقولة للشيخ البشير الإبراهيمي أحد رجال الإصلاح الكبار في الحركة الوطنية، حيث يقول: "العربية عقيلة حرّه لا تتحمّل ضرّه ".

لقد أصدرت الدولة الجزائرية **قانون تعميم استعمال اللغة العربية** ووقعه الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد في 1991 . لكن ما أن صدر حتي شنت فرنسا حملة

عليه فهاجمه وزير الفرنكفونية ألان ديكو Alain Decaux سنة صدوره، وانطلق اللوبي الفرنكفوني بالجزائر فشن حملة عليه ، وأوعزت فرنسا للوبي الفرانكفوني المندس بإدارة الدولة الجزائرية بمحاربته. وعندما ألغى اليمين زروال تجميد القانون الذي فرضه محمد بوضياف من خلال مجلسه الاستشاري، تحرك النواب الفرنسيون في البرلمان الأوروبي فأصدر قرارا ضد القانون الجزائري سنة 1997 جاء فيه "إن اللغة العربية فرضت عنوة على المجتمع الجزائري في التعليم والإدارة والقضاء فألحقت ضررا كبيرا بالفكر وعن طريقها جاء الفكر الأصولي"[1].

وتحت هذه الضغوط وضع هذا القانون في ثلاجة.

ومن المعلوم أن حكومة فرنسا أصدرت **قانون حماية اللغة الفرنسية** سنة 1994 تطبقه بصرامة، أصدرته بمناسبة الذكري المائتين لقانون تعميم استعمال اللغة الفرنسية الصادر سنة 1794 في عهد الثورة الفرنسية، الذي ينص علي أن اللغة الفرنسية هي الأمة الفرنسية، وينص في مادته الثالثة علي ما يلي: "ابتداء من تاريخ تموز (يوليو) 1794 كل موظف أو كاتب أو مسؤول يوقّع قرارا أو وثيقة بلغة غير اللغة الفرنسة يطرد من الخدمة ويسجن ستة أشهر". أخذ قانون 1994 اسم (قانون توبون) نسبة إلي وزير الثقافة جاك توبون الذي كان وراء صدوره. لكن فرنسا تحارب اللغة العربية بدول المغرب العربي الأربع، مبرهنة أنها ما زالت الدولة المستعمرة التي تؤمن بالاستعمار في العمق، وعمق الاستعمار هو اللغة والثقافة.

قامت السلطة بالجزائر سنة 2002 بجمع البرلمان بغرفتيه الذي أصدر تعديلا للدستور يعتبر فيه اللغة الأمازيغية لغة وطنية، التيار الفرنكفوني البربري لم يكتف بذلك بل طالب بأن تعتبر الأمازيغية لغة رسمية في مستوي واحد مع اللغة العربية، وإذا رُسّمت اللغة الأمازيغية سيطالب بإلغاء اللغة العربية لأنها في نظره

[1] صحيفة الخبر الجزائرية عدد 1997/11/27

لغة دخيلة. ألم يقل الكونجرس الأمازيغي "إنّ المغرب العربي يجب أن يتحرّر من الدخلاء العرب".

وفي المغرب الأقصي نفس مسألة الأمازيغية تجري وبخطورة أكثر، تكونت الأكاديمية الأمازيغية، والبربريون يطالبون بأن ترسم اللغة الأمازيغية، الفرنسية مسيطرة، والعربية مهمشة، واللوبي الفرنكفوني متحكم في رقاب الدولة المغربية، من خلال هيمنة اللغة الفرنسية علي إدارة الدولة. علما بأن المسألة الأمازيغية بالمغرب الأقصي أخطر منها في الجزائر لأن نسبة الأمازيغ . البربر للشعب المغربي عالية تتجاوز الأربعين في المئة بينما هي في الجزائر لا تتجاوز اثني عشر في المائة وفقا لموسوعة يونيفرساليس الفرنسية. والبربر بالمغرب متواجدون في مناطق فقيرة، بينما العرب متواجدون بالسهول الخصبة؛ أما فئة القبائل البربرية التي تطالب بحقوق البربر في الجزائر فهي غير محرومة من الثروة الوطنية بل هي مستفيدة منها. وإذا انفجرت المسألة الأمازيغية بالمغرب الأقصى سيكون انفجارها اجتماعيا لا سياسيا ثقافيا فقط.

توجد بالجزائر اثنتا عشرة فئة بربرية كبرى، إحدى عشرة منها لا ترى للعربية بديلا، بينما جاءت فئة القبائل أو بعض القبائل مختلفة بسبب انتشار اللغة الفرنسية بها وتركيز الحركات التبشيرية المسيحية الأوروبية عليها.

محاربة رابط اللغة العربية بين الأقطار العربية:

أولا: بعد أن تمكنت القوى المعادية للعرب في القرنين الماضيين من بلقنة الوطن العربي، تعمل منذ عقود علي بلقنة الأقطار العربية قطرا قطرا. فبعد أن روّضت الوضع العربي سياسيا واقتصاديا، اكتشفت أن أقوي رابط يربط بين العرب هو اللغة العربية، وما دام هذا الرابط قويا فلا يمكن لها تحقيق البلقنة القطرية، فعملت علي إضعاف هذا الرابط اللغوي من خلال العمل على خلق ضرات للعربية كالبربرية بالمغرب العربي، والنوبية بمصر والسودان، والكردية بالعراق وسورية، والشرحية والسوقطرية باليمن اللتين يعمل المركز الثقافي الفرنسي بصنعاء علي

إحيائهما، واللغة الهندية بدول الخليج. ولا يمكن للعرب مواجهة هذا التآمر إلا بحماية ورعاية لغة الضاد والحد من سيطرة اللهجات العربية علي الفضائيات، وتعريب الطب والعلوم والتقانة بالجامعات العربية أسوة بالجامعات السورية والسودانية.

ثانيا: حتي الاتحاد من أجل المتوسط الذي تدعو له فرنسا، القصد منه خلق تجمع فرنكفوني بالمغرب العربي مرتبط بفرنسا، يقوّي اللوبي الفرنكفوني المسيطر علي إدارة الدول المغاربية الأربع، ليربطها بفرنسا ارتباطا يجعل اقتصادياتها تابعة للاقتصاد الفرنسي من خلال السوق المغاربية الكبيرة، وفصل المغرب العربي عن المشرق العربي.

ثالثا: من مآسي الأمة العربية أن لغتها غير معتني بها، لا تملك قاموسا ذا طابع قومي تجدد طبعته كل سنة، مثل قاموس العبرية التي يتحدث بها خمسة ملايين. دخْل العرب من النفط يبلغ سبعمائة مليار دولار سنويا، دول الخليج وحدها دخلها من النفط سنويا ستمائة مليار دولار، لماذا لا يخصص مليار دولار واحد لخدمة لغة الضاد؟ فبهذا المليار تقام مؤسسة اللغة العربية التي تتفرع إلي :

. فرع المعجم العربي بفروعه الأربعة :المعجم المتوسط والمعجم الموجز، والمعجم الكبير، ومعجم ألفاظ الحضارة. والقواميس المعربة للمصطلحات العلمية.

. فرع الموسوعات بمختلف أنواعها، الأمة العربية لا تملك موسوعة واحدة بينما يملك الإسرائيليون الموسوعة العبرية، ويشارك العلماء اليهود في أكثر من عشر موسوعات عالمية، يحررون فيها حتي المواد المتعلقة بالتراث العربي والإسلامي

. فرع ترجمة أمهات الكتب العلمية والتقانية، إعدادا لتعريب تعليم العلم والتقانة بالجامعات العربية. وأنا علي يقين أن هذه المعاجم والموسوعات والكتب بمجرد صدورها تباع وتسترد ما استثمر فيها.

نحن العرب عملاق نائم، يعمل الغرب علي بقائه نائما. في القرن التاسع عشر عندما كانت الصين مخدرة في الأفيون بتآمر بريطاني، قال في ذلك نابليون بونابارت قولته المشهورة "الصين طامة نائمة دعوها تنام، عندما تستيقظ الصين سترتعد فرائص العالم" . وأنعم الله علي الصين بصن يات صن فأحرق الأفيون تلاه ماو تسي تونغ، فأيقظا الصين فتحولت الآن إلي عملاق يهز أركان الغرب. فهل سيجود الله علي الأمة العربية بصن يات صن عربي؟

التعدد اللغوي شعار يرفع لضرب اللغة العربية.

المسألة الأمازيغية:

تثار بالمغرب العربي المسالة الأمازيغية، وأنا أتحدث في هذه المسالة بلا عقدة، فأنا أنتمي إلى أكبر قبيلة أمازيغية بالمنطقة المنتشرة بها اللهجات الأمازيغية وهي قبيلة النمامشة، قمت بعدة دراسات وصدرت لي كتب في هذا الميدان، وهي:

. كتاب عروبة الجزائر عبر التاريخ طبع بالجزائر 1982 و1983

. كتاب الأمازيغ عرب عاربة، طبع بالجزائر سنة 1996 وبليبيا 1998

. معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية طبع بالجزائر وليبيا 2007

الأمازيغية لهجة منحدرة من العربية الأم مثل الآرامية والكنعانية والبابلية والآشورية وغيرها. وهي اللهجة العروبية التي استمرت يتحدث بها شفويا بينما اختفى استعمال اللهجات الأخرى، أنا أستعمل العروبية بدل مصطلح السامية الغير العلمي المبني على وهم أسطوري صاغه المستشرق النمساوي اليهودي شلوتزر shlotzer سنة 1781م، قبله لم يستعمل من المؤرخين اليونان واللاتين والأوروبيين ، بل إن الموسوعة الإسلامية لم تفرد مادة للسامية، وتشبثت به الصهيونية وبنت عليه (معاداة السامية).

الوضع اللغوي بالمغرب العربي منذ القدم:

قبل الفتح الإسلامي كانت اللغة الكنعانية الفينيقية القرطاجية، ولمدة سبعة عشر قرنا، هي اللغة المكتوبة بالمغرب، لغة الحضر والثقافة والدواوين والعبادة، محاطة بلهجات قحطانية بربرية شفوية، يقول هنري باسي H.Basset : "إن البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب، ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة هذه المدة بالمغرب ، سبعة عشر قرنا، وهو أمر عظيم[1]".

يقول المؤرخ الفرنسي لاسوس J.Lassus : "أريد التحدث عن استمرار البونيقية، فقد بقيت منتشرة بالمغرب بعد تدمير قرطاج وفي العهد الروماني، حتى عهد القديس اوغسطين [القرن الخامس الميلادي]، الذي ذكر مرارا إن السكان الذين كانوا يحيطون به، يتكلمون البونيقية. إن اللغة البونيقية استمرت بين بعض البربر كلغة ثقافة... بل إن الدوناتية كانت مقدمة لإلغاء الإسلام للمسيحية وللثقافة الرومانية بالمغرب. ويقول غوتييه إن أوغستين عندما كان يسأل هؤلاء الأهالي في دروسه الواعظة، ما هو أصلكم؟ كانوا يجيبونه: نحن كنعانيون" [2]. ولنلاحظ أنهم لم يقولوا نحن بونيقيون، لأن هذا المصطلح روماني.

يقول رينان E.Renan: "إن ساميا عاش في عهد النبي إبراهيم وساميا عاش الآن لا يجدان صعوبة في التفاهم بينهما..إن البربر حذقوا لغة الإسلام بسهولة لأنهم كانوا يعرفون البونيقية"[3].

يقول وليام مارسيه W.Marcais: "إن البونيقية كانت لغة الدوناتيين [المسيحيين الأمازيغ]، ويأسف القديس أوغستين لأن فلاحي المنطقة التي كان يعيش فيها [عنابة] ، كانوا لا يجهلون تقاليد الكنعانيين، ويقول: عندما نسأل فلاحينا من أنتم؟ يجيبوننا بالبونيقية: نحن كنعانيون، كما أن القديس أوغستين لم يشر أبدا إلى اللغة البربرية."[4].

---

[1] Revue Africaine V62 p340 : H.Basset

[2] Revue Africaine.V100 (1956) . p 87 – 115. : l antiquite J.Lassus

[3] 7eme editon p199,200 Semitiques– E.Renan. Histoire Generale des Langues

[4] MARCAIS William Revue Africaine, T94-1950

ويستمر مارسيه فيقول: "إن فاليروس Valerus قال: سمعت الفلاحين يثرثرون بلغة أجهلها ويرددون كلمة [ثالوث Salus]، وعندما سألتهم عن معناها أجابوني: [ثلاثة]. وعندما هربت العذراء [ديميترياس] من روما بعد احتلالها من طرف الغوت، علق القديس جيروم Saint Jerome [347. 420] على دخولها الرهبنة المسيحية بقوله: من يتبع عرسك غير أصوات مصرصرة (stridor) باللغة البونيقية تودعك بفاحشة مقيتة... [ويقصد بكلمة ستريدور Stridor اللاتينية الزغرودة البونيقية التي ترافق الزفاف]". ويقول مارسيه: . بالمرجع السابق ص 256 . "بأن هنري باسيه، وغوتيي E.F.Gautier، وغزيل St.Gsell، وتوتان J. Toutain يرون بأن البونيقية استمرت موجودة حتى الاحتلال العربي".

لقد تعمدت أن أورد نصوصا لعلماء فرنسيين، أما المؤرخون العرب الذين بينوا الأصل العربي للبربر فهم كثر، منهم المؤرخ المصري الدكتور رشيد الناضوري في كتابه تاريخ المغرب الكبير. ومنهم المؤرخ الجزائري الدكتور محمد الصغير غانم الأستاذ في جامعة قسنطينة في كتابه [المملكة النوميدية والحضارة البونيقية] ، والذي يقول فيه: " امتزج بمدينة قرطاج اللوبي [أي الليبي أو البربري] ، والقرطاجي، [أي الفينيقي] مكونين المجتمع البوني الذي هو مزيج بين الطرفين".

ومعنى هذا كله أن اللغة الكنعانية البونيقية كانت قبل الفتح الإسلامي تقوم بنفس الوظيفة التي صارت تقوم بها اللغة العربية بعد الفتح. وأن دخول العربية المستعربة مع الإسلام جاء ليخلف اللغة العربية القديمة الكنعانية بأسلوب تطوري طبيعي، من لغة عربية قديمة إلى لغة عربية حديثة طورها الإسلام.

ويعترف حتى المورخون الفرنسيون بقحطانية الأمازيغية، ويقر بهجرة البربر المؤرخ الفرنسي جابرييل كامبس Gabriel Camps يقول: 'إن علماء الأجناس يؤكدون أن الجماعات البيضاء بشمال إفريقيا سواء أكانت ناطقة بالبربرية أو بالعربية، تنحدر في معظمها من جماعات بحر متوسطية جاءت من الشرق في

الألف الثامنة قبل الميلاد بل قبلها، وراحت تنتشر بهدوء بالمغرب والصحراء" [1]؛ ويؤكد بوسكي H.Bousquet فيقول: "وعلى كل حال يوجد ما يجعلنا نقتنع بأن عناصر مهمة من الحضارة البربرية وبخاصة اللغة أتت من آسيا الصغرى عن طريق منخفض مصر، في شكل قبائل تنقلت في هجرات متتابعة على مدى قرون عدة، في زمن قديم لم يبت في تحديده"[2].

أما عن العربية كأم للغات العروبية فيقر المؤرخون أن مصدر الحضارة هي الجزيرة العربية، لقد هاجر البربر من "جزيرة العرب التي تعتبر الخزان البشري الكبير، والتي كانت قبل عشرين ألف سنة تتمتع بحياة طبيعية شبيهة بأوروبا الآن، يخترقها نهران. ثم دخلت الكرة الأرضية في المرحلة الدفيئة الثالثة Warm3) ("[3]، فذاب الجليد في أوروبا وحوض البحر المتوسط، وسطا الجفاف على جزيرة العرب فهاجر الإنسان منها نحو حوض الرافدين دجلة والفرات وحوض النيل وشمال إفريقيا بل وجنوب أوروبا. وهذا ما يؤكده علماء مثل المؤرخ الأمريكي ويل ديورانت Will Durant الذي يقول في كتابه الموسوعي (قصة الحضارة) أن مهد الحضارة جزيرة العرب والحضارة تعني أيضا اللغة يقول: "إن الحضارة . وهي هنا زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة . قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة في بلاد العرب، ثم انتشرت منها في صورة (مثلث ثقافي) إلى ما بين النهرين (سومر وبابل وآشور) وإلى مصر" [4]. المؤرخ الأمريكي وليام لانغر يرى أن سكان أوروبا الجنوبية أصلهم من الجزيرة العربية فيقول" :وانتشر فرع من عناصر البحر المتوسط والصحراء، الطويلة الرؤوس وأقاربهم من العرب والبربر وغيرهم في جنوب أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأدنى"[5].

---

[1] p 11 Paris 1995 memoire et identite , Camps: L es Berberes Gabriel

[2] بوسكيH.Bousquet البربر، باريس 1957

[3] أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص 15 . 16 بغداد 1979

[4] ويل ديورانت : قصة الحضارة، الترجمة العربية، ج2 ص 43 القاهرة 1961

[5] (وليام لانغر: موسوعة تاريخ العالم، الترجمة العربية، ج1 ص 25 و 32 ، القاهرة 1962)

وقد فرّغت معاجم خمس لهجات أمازيغية كبرى الشاوية والقبائلية في الجزائر واللهجات الثلاث بالمغرب الأقصى: الريفية، والمازيغية، والشلحية، وأعدت كلماتها إلى جذورها العربية وتبين أن تسعين في المائة من كلمات الأمازيغية عربية عاربة أو مستعربة، فمثلا العمود الفقري للأمازيغة القحطانية والحميرية القحطانية اليمانية وزن (أفعول) مثل أغروم أكسوم ، وهو غير موجود في العدنانية التي نزل بها القرآن الكريم. و(السين) حرف الإضافة في البربرية (لكثابنّس: كتابه) سبئية، فعل (إتّشْ) أي أكل في البربرية موجود باللغة الأكدية إلى غير ذلك...

ويفتخرشعراء المغرب العربي بانتسابهم لحمير ففي بيتين من الشعر يفتخر شاعر بربري بانتساب قبائل الطوارق إلى قبائل حِمير اليمنية فيقول:

قوم لهم شرف العلى من حِمْيرٍ وإذا دُعوا لمتونةٌ فهمُ هُمُ

لمّا حووا علياء كل فضيلـة غلب الحياءُ عليهم فتلثَّموا

ويمدح ابن رشيق المسيلي المولود سنة 390 هـ المعز بن باديس الزيري فيؤكد أصل قبيلة صنهاجة البربرية **الحميري والقحطاني** ، ويقر بعروبة البربر وأصلهم اليماني:

يا ابن الأعزة من أكابر حِمير وسلالة الأملاك من قحطان

وابن خميس التلمساني المتوفى سنة 708 هـ يفتخر بانتسابه إلى حِمير، القبائل اليمانية التي تعود إليها أصول البربر وبخاصة قبائل صنهاجة، فيقول:

إذا انتسبت فإنني من دَوحة يتفيّأ الإنسان بردَ ظلالها

من حِمير من ذي رُعَينٍ من ذوي حَجْرٍ من العظماء من أقيالها

وفي قصيدة أخرى يقول معتزا بانتسابه لحمير

تنزَّهت عنها نخوةً لا زهادة وشَعرُ عَذاري أسود اللون حالكُ

يعضُّ ويُشجي نَهشلٌ ومشاشعٌ بما أورثتني حِمْيرٌ والسَّكاسكُ

علم الجينات يثبت أصل البشر من الجزيرة العربية:

عندما نقول أن البربر عرب في أصولهم هاجروا من الجزيرة العربية قبل آلاف السنين، يعتبرنا الفرنكفونيون مبالغين بل وهرطقيين، وهاهي دراسة حديثة أمريكية تثبت بعلم الجينات أن الإنسان الأول ولد في إفريقيا ومنها عبر البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية حيث بقي بها عشرات الآلاف من السنين ومنها انتشر فعمر القارات بالعالم، فقد ثبت بعلم الجينات أن العنصر الأساسي للخلية في الجسم البشري المسمى (الميتشونديال) بحث عنه في خلية سائر السلالات البشرية فوجد بها العنصر العربي.

بعد دراسة حديثة نشرتها المجلة الأمريكية لعلم الوراثـة American Journal of Human Genetics بعنوان (المهد العربي: إننا جميعا ننحدر من أسلاف مشتركة جاءت من شبه الجزيرة العربية)، أفادت فيها بأن تجارب قام بها باحثون من جامعتي ليدز البريطانية وبورتو البرتغالية أوصلتهم إلى نتائج تفضي بأن مقارنة الحمض النووي المستخلص من المُتقدرات (الميتوكوندريا) البشرية والمأخوذ من مختلف البشر حول العالم، يشير بنحو مؤكد إلى أن جميع البشر باستثناء الأفارقة قد عاشوا في شبه الجزيرة العربية لآلاف السنين قبل أن يهاجروا منها إلى باقي أصقاع الأرض.

كتب العالم الفرنسي فريدريك لوينو المتخصص في علم البيئة في مجلة لوبوان Le Point.fr الفرنسية بتاريخ 2012/01/27 مقالا بعنوان (تاريخ الإنسان: كلنا عرب) قال فيه:

نحن جميعاً عرب! هذا الكشف المذهل الذي توصل إليه علماء الوراثة مؤخراً... جميعنا: الفرنسيون، والأمريكيون، والإسكيمو، والصينيون، وسكان غينيا الجديدة الأصليون، كلنا ننحدر من أسلاف مشتركة قطنت في شبه الجزيرة العربية! فبعد أن وُلدت البشرية في أفريقيا، اتخذت خطوتها الأولى إلى أرض العرب السعيدة بعد عبورها البحر الأحمر (أطلق الجغرافيون الرومان قديما اسم

أرض العرب السعيدة على جنوب جزيرة العرب)، بعد أن كان خبراء الهجرات البشرية يظنون أن التشعب الأول للبشرية

اتخذ مساره إلى شمال أفريقيا أو الشرق الأوسط... ولذلك نحن عرب وإننا فخورون بذلك.

عدن العربية: تحت هذا العنوان الفرعي، تحدث الكاتب الفرنسي أن أولى هجرات الإنسان الحديث وقعت قبل ما يزيد على 100 ألف سنة إلى الجزيرة العربية بتخطيها البحر الأحمر، وأنه قد عُثر على المكان الذي أقام به هؤلاء المهاجرون في سلطنة عمان، حيث كان المناخ آنذاك ليس صحراوياً جافاً وإنما رطباً وفردوسياً تكتنفه العديد من الحقول الواسعة، واستمرت إقامة المواطنين الجدد لعدن الجديدة عدة آلاف من السنين، ثم شقوا طريقهم إلى جنوب شرق آسيا حيث انتهى المطاف بهم إلى استراليا، ومن هناك انتقلوا إلى اليابان، ثم توجهوا شمالاً إلى الشرق الأوسط، ثم وصلوا أوروبا قبل 40 ألف سنة.

وكانت قارة أمريكا آخر القارات التي وصل إليها المهاجرون البشر، والذين انطلقوا قبل قرابة 20 ألف سنة من منطقة [ألتاي] وهي منطقة في آسيا الوسطى تتوسط كل من روسيا والصين ومنغوليا وكازاخستان، وانطلق هؤلاء من منطقة ألتاي إلى أمريكا الشمالية عبر مضيق (بيرنج) الذي يفصل بين

سيريبا الشرقية وبين آلاسكا. إذن فنحن جميعا عرب، وفخورون بذلك.

هذا ما كتبه هذا العالم الفرنسي. وقبله نشر العالم اللغوي الجزائري الدكتور عبد الرحمن بن عطية عدة كتب بالفرنسية، أثبت فيها أن أوروبا كانت تتكلم اللغة العربية الأكدية والبابلية والآرامية قبل هجرة القبائل الهندو أوروبية نحو أوروبا في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، فاعتبر الفرنكفونيون كلامه هرطقة.

المشكلة التي تعاني منها الأمازيغية هي **عدم وجود لغة أمازيغية أمٌ** وإنما توجد لهجات يصعب التفاهم بين فئاتها، وقد قدر المستشرق المتخصص في اللغة

البربرية أندري باسي في كتابه (اللغة البربرية) الذي نشر سنة 1929 بخمسة آلاف لهجة. وهذا يجعل تعليمها يعاني بل ويفشل.

والتاريخ يؤكد فالرومان والوندال قضوا ثمانية قرون بالمغرب العربي، لم يندمج البربر فيهم، وبقي احتلالهم سطحيا تمثل فيما تركوه وراءهم من حجارة صمّاء، ولم تنفُذ كلمة لاتينية واحدة للغة الأمازيغية، واستمروا في بحر من الثورات قام بها البربر ضدهم.

فحتى في عهد المسيحية كوّن البربر لهم مذهبا خاصا بهم هو **المذهب الدوناتي**، نسبة إلى **الأب دونا النقْريني** الذي ثار على الاستعمار الروماني فاعتقله الرومان ونفوه إلى إسبانيا حيث مات في سجونهم سنة 355 م[1]. المذهب الدوناتي ناهض الاستعمارَ الروماني ومذهبَه الكاثوليكي، وكان أتباعه يصلون في كنائسهم الدوناتية باللغة الكنعانية الفينيقية، بينما كان يصلي الرومان باللاتينية.

لكن عندما جاء العرب العدنانيون بالإسلام استقبلهم البربر كإخوة ففي عقود قليلة اندمج البربر في الكيان العربي. كانت اللغة الكنعانية هي السائدة كلغة ثقافة كما بيّنا فعندما دخلت العدنانية مع الفتح الإسلامي حدث ربط طبيعي بين الكنعانية العروبية والعدنانية العربية.

منذ وفاة الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز (101هـ/721 م)، ثار البربر على الولاة الأمويين والعباسيين لمخالفتهم مبادئ الإسلام، ثاروا من الداخل، وحُكم المغرب العربي لأكثر من سبعة قرون وحتى العهد العثماني، بعيدا عن الخلافة المركزية بواسطة ثلاث عشرة أسرة بربرية، مارست الحكم بمبادئ الإسلام واللغة العربية، وعمل حكامها على تطوير اللغة العربية، ولم يحدث أن قال أمير من أمراء هذه الدول أن العربية ليست لغة البربر وطالب بترسيم البربرية.

ينبغي أن نفرق بين البربرية Berberité والنزعة البربرية Berberisme، الأولى عنصر من تاريخ المغرب العربي، والثانية إيديولوجية صنعها الاستعمار

[1] The Donatist Church , Oxford , 1952 :W.H.C.Frend

الفرنسي منذ 1830 من باب فرق تسد، كانت مدة الاستعمار الفرنسي مليئة بالتآمر البربري كالظهير البربري بالمغرب الأقصى سنة 1930 ، والمؤامرة البربرية بداخل حزب الشعب الجزائري سنة 1949.

وفي أثناء الثورة الجزائرية وبعد أن قررت فرنسا الاعـ تراف بالاستقلال لتونس والمغرب لتتفرغ لمواجهة الثورة الجزائرية، راح مفكروها الاستراتيجيون يرسمون الخطط في التعامل مع دول المغرب العربي المستقلة. فظهر كتاب سنة 1956 تأليف الجنرال أندري P.J.Andre عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية، كتب مقدمته الحاكم الفرنسي جاك سوستيل، جاء فيه: "من المحتمل أن يأتي يوما تهب فيه الأمة المغربية البربرية لإحياء وعيها القديم بذاتها، وترفع فكرة الجمهورية البربرية، إذا سادت فكرة الدولة التيوقراطية العربية في المغرب ". وينتقل الجنرال إلى الحديث عن الجزائر فيقول: "إن المسألة البربرية في الجزائر مسألة قبائلية، فمنطقة القبائل أكثر انفتاحا على الحركات الخارجية من منطقة الأوراس.. ينبغي الإعداد للمستقبل لأن المسألة البربرية تطرح الآن [1956] في الجزائر وفي المغرب الأقصى"[1].

وما أن استقلت الجزائر حتى راح الفرنسيون يعملون لتطبيق خطتهم البربرية، فأسسوا الأكاديمية البربرية سنة 1967 في جامعة باريس 8 فانسين بعد عشر سنوات من صدور كتاب الجنرال أندري. وقامت بإعداد العشرات من حاملي الماجستير والدكتوراه في اللغة البربرية، أشهرهم سليم شاكر، وربطتهم بأجهزة الاستخبارات الفرنسية، وراحت تعمل لصنع ضرة للعربية من البربرية تدخلان في صراع بينهما إبقاء لهيمنة اللغة الفرنسية على دول المغرب الأربع تونس الجزائر المغرب موريتانيا. قام هؤلاء الخريجون مع أساتذتهم بعملية تطهير للهجة القبائلية التي اعتمدوها كلغة بربرية، من الكلمات التي فيها رائحة العروبة والإسلام، كانوا

[1] General P.J.Andre (C R) de L`Acadenie des Sciences Coloniales:L`etude des Confreries religieuses MusulmanesP 351-352 Alger 1956

يستبدلون الكلمات بطريقة فجّة جعلت علماء لغويين فرنسيين يحتجون على هذه العملية، مثل الثلاثة الذين كتبوا مقدمة [قاموس اللغة القبائلية] المطبوع سنة 1982 للأب دالي، الذي توفي قبل نشره، وهو عالم أثبت نزاهة وتعامل مع البربرية كلغة ذات جذور عربية؛ والثلاثة تلاميذ له، وهم: مادلين آلان، وجاك لانفري، وبيتر ريسينك[1].

قاموس الأمازيغية محدود يعبر عن الحياة الريفية بسبب شفويتها، وإذا عبرت عما هو خارج هذا المحيط اضطرت إلى استعمال كلمات عربية أو فرنسية. فاستعراضنا لديوان الشاعر القبائلي الكبير سي محند يؤكد ذلك فهو مليئ بالكلمات العربية، وأسوق للقراء بعض ثلاثياته مترجمة للعربية:

النص القبائلي	الترجمة
زِغَنْ لَعْشَقْ إمْخالفْ	إن في العشق اختـلافْ
إفْرَقْ ذَلصنَـافْ	وفروقا وصِنـافْ
كُلْوَ ذَكَنْ إتْمَحَنْ	كل فرد محنتــهْ
أَبَعْضْ إزْهو سِلَكْتافْ	بعضهم يزهو رافعا كتفيه
إزَهْريسْ يولافْ	زهره (حظه) ألفـه
يَقّيمْ نِتْسَ ذوزيزانْ	مقيم مع أعزتــه

والملاحظ أن كلمات هذه الثلاثيات عربية واضحة أو محرفة ويكتب المستشرق الفرنسي مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، والمولود في الجزائر، جاك بيرك Jaques berque فيقول "من الخطأ الكبير الاعتراف باللغة البربرية كلغة رسمية ثانية إلى جانب العربية من طرف بلدان المغرب العربي، ولا أعتقد بأن مطلب اللغة مشروع، لأنه سيؤدي في النهاية إلى تقسيم الولاء".. إن بيرك المدير لـ [الكوليج دي فرانس]. كان يعتبر نفسه جزائريا، يتكلم العربية بطلاقة وبلا لكنة، وعندما توفي أوصى بمكتبته الضخمة إلى مدينة فرندة الجزائرية التي ولد

[1] ,P aris 1982 ,introduction Pxx Dallet: Dictionnaire de la Langue Kabyle

فيها، فهو يرى أن الاعترف باللغة الأمازيغية كلغة رسمية إلى جانب اللغة العربية يمزق الوحدة الوطنية بتوزيع الولاء الوطني بين لغتين، فاللغة الواحدة هي المجسمة للوحدة الوطنية.

كان هؤلاء العملاء الذين أعدتهم الأكاديمية البربرية يغيرون كلمات اللهجة القبائلية التي كتبوها باللاتينية، فمثلا غيروا تحية الإسلام (السلام فلاّون) التي يستعملها الأمازيغ في سائر لهجاتهم بما فيها القبائلية بعبارة [آزّول فلاّون]، وكلمة آزول لا وجود لها في قاموس سائر اللهجات الامازيغية، توجد كلمة قريبة لها وهي آزّو وتعني الشوك.. وغيروا كلمتي الرب والله بكلمة [يِلّو] جاهلين أن (الإلّ) باللغة العربية تعني الله تطورت إلى كلمة الله، كما غيروا كلمة الشهادة بكلمة أمغْراسْ. وغيرها من عشرات الكلمات، التي كانوا يرسلونها بالفاكس لمقدم الموجر بالقبائلية في التلفزة الجزائرية فيقوم بتسريبها كقوله مثلا [يلّو سو لا فو دير لو بون ديو]... وقد عملوا أن يُتعامل مع الأمازيغية في التعليم داخل المعطف الفرنكفوني.

زيف الفرنكفونيون البربريست باسم الأمازيغية حتى الحقائق التاريخية، بحيث ابتكروا **السنة الأمازيغية** من العدم سنة 1980 بمناسبة ما يسمى بالربيع البربري. ولنقرأ ما كتبه الأب دالي في قاموس اللغة القبائلية حيث **يذكر في** مادة [يناير yennayer] ما يلي :"أول شهر من التقويم الفلاحي الشمسي، تقويم جوليان. أول يوم من هذا الشهر، يقوم فيه الناس بتناول شربة يناير على لحم قرابين الديوك أو الأرانب. ويدخل هذا اليوم ضمن ما يسمى بأيام العواشير، التي تعتبر قبل كل شيء أياما دينية، من التقاليد المتداولة. فمقولة قبائلية تقول: إن الماء الذي ينزل في يناير ينغرز في وهج حرارة غشت، أي أغسطس"[1].

ولم يذكر داليه أية إشارة إلى أمازيغية أو سنة أمازيغية، بل جعلها مطبوعة بالطابع الديني الإسلامي. البربريست يؤرخون لسنتهم الأمازيغية بتولي ششنق

[1] المرجع السابق ص 922

حكم مصر الفرعونية سنة 950 ق. م. زاعمين أنه هزم رمسيس عندما غزا المغرب حيث ساقه أمامه من تلمسان وحتى مصر . وهذا كذب على التاريخ، رمسيس سبق ششنق بأكثر من قرنين، ششنق ينتمي إلى قبيلة الشواش أو المشاوش البربرية التي هاجرت من جريد تونس بضغط من الجفاف نحو دلتا النيل بمصر حيث استوطنت حول بحيرة قارون، وبعد عقود من هجرتها ظهر ابن من أبنائها اسمه ششنق فرشحه كهنة مصر لتولي الحكم كمصري ولد بمصر من أصل بربري، ولنقرأ ما كتبه المؤرخ المصري الكبير رشيد الناضوري: "وقد تمكنت العناصر الليبية البربرية المستقرة في أهناسيا بالفيوم في مصر والتي تسميهم النصوص المصرية بالتّحنو ، من تقلد وظائف هامة في هذا الإقليم حتى ظهرت شخصية قوية فيها هو شخصية ششنق الأول، الذي تمكن من الوصول إلى عرش مصر، وتأسيس الأسرة الفرعونية الثانية والعشرين وذلك سنة 950 قبل الميلاد. وكان قبل وصوله للعرش يحمل لقب رئيس المشاوش العظيم وهي تسمية ترجع في أصلها إلى منطقة شط الجريد جنوبي تونس. وقد دعم ششنق مركزه في حكم البلاد بتزويج ابنه من ابنة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين المصرية في تانيس، وبهذه الطريقة أوجد لأسرته حقا شرعيا في الوصول إلى عرش الفراعنة، ولم تكن كل من الأسرتين الليبيتين في تاريخ مصر القديم الثانية والعشرين والثالثة والعشرين أجنبية بمعنى الكلمة، بل لقد تأثرت هذه العناصر البربرية بالحضارة المصرية المتفوقة في ذلك الوقت بالنسبة إليهم، مع الاحتفاظ ببعض العادات البربرية"[1].

العناية بالأمازيغية:

أنا مع العناية بالأمازيغية ودراسة لهجاتها والحفاظ على تراثها، فقد كانت دائما رافدا للغة العربية تعايشت معها، ولم يحدث أبدا أن حارب العرب الأمازيغية، لكن العناية بها تكون بكتابتها بالحرف العربي الذي كان دائما حافظا

[1] المغرب الكبير، رشيد الناضوري ، ج1 صفحة 224 القاهرة سنة 1966

لتراثها الشفوي فالبربرية لغة الضاد كالعربية، البربر ينطقون الضاد ويفرقون بينه وبين الظاء. بل إن كتابة التيفيناغ مستمدة من حرف المسند العربي القديم الذي كانت تكتب به لهجات العربية القديمة في جنوب الجزيرة العربية، والذي انحدر منه الخط الكنعاني الفينيقي بحيث اشتق منه التيفيناغ. الذي يحدث الآن وبعد أن اعتُرف بوطنية اللغة الأمازيغية هو أن العناية بها في الجزائر تتم بالحرف الفرنسي وتعلم لا بذاتها وإنما باللغة الفرنسية، وتخدم اللغة الفرنسية أكثر من خدمتها للأمازيغية.

وخير من تناول ذلك **الدكتور صالح بلعيد في كتابه القيّم (المازيغية في خطر)**[1].

حيث يقول:

. وباعتباري معنياً بقضية المازيغية كأداة تواصل وطني، فبالمازيغية كنا وبالعربية نبقى

. عمل الرستميون، والحماديون في بجاية، والزيانيون في تلمسان على تجسيد العربية لغة رسمية، والاحتفاظ بالمازيغيات لغات وظيفية في شؤونها الخاصة.

. شعار السلف: بالعربية نمارس وجودنا الثقافي والعلمي، وبلغاتنا القومية نمارس وجودنا الفني والفكري والتخصصي.

. التكامل المازيغي العربي لم يكن في يوم من الأيام يشكل صراعا بل كان تصاهرا في المتون وفي المفهوم، فالمازيغيون يفهمون القرآن بلغته العربية أكثر من فهمهم إياه ترجمة إلى الأمازيغية.

. المازيغية انصهرت في الحرف العربي.

. تدرس المازيغية في وطننا كأنها لغة أجنبية باللغة الفرنسية والحرف الفرنسي.

---

[1] المازيغية في خطر ، صالح بلعيد ، طبع تيزي وزو ، الجزائر 2011

. فكل شعب اعتمد لسانين رسميين ما يزال يعيش التخلف ويفتح الباب للانفصال.

. إنّ المازيغية ليست بخير في قسم اللغة والثقافة المازيغية بجامعة مولود معمري بتيزي وزو.

. فنحن لا نعيش حرب اللغات، بل هناك تكامل اللغات، عاشت هذه اللغة شفاهية منذ آلاف السنين ولم تندثر

. المازيغية تكاملت مع العربية بشكل تسامحي مقبول عند كلّ الجزائريين وبخاصة عند القبائل (الكبرى + الصغرى) فكم من علماء قبائل بجاية وتيزي وزو والبويرة كان لهم باع كبير في خدمة العربية وهم يحتكمون إلى المازيغية كلغة أمّ، وما شكّل لهم صعوبة في التواصل أو في التأليف

. (الفرنسية) عملت عملها حيث أضحت أولى الثقافات التي تتعامل معها المازيغية جهاراً، مكمن الخطر بأن يحدث التدجين اللغوي من طرف الفرنكفونية.

. لولا العربية لما نادينا بالمازيغية، والدكتور صالح بهذا يشير إلى تصريح أحد أقطاب البربريست في برنامج 7 sur 7 بالتلفزة الفرنسية.

. لعب المازيغيون في الحضارة العربية الإسلامية دوراً محورياً في إضاءة أنوار اللغة العربية.

لقد تعمدت أن أورد هذه المقولات من كتاب صالح بلعيد القبائلي الأستاذ في جامعة مولود معمري بتيزي وزو، لأبين أننا لسنا ضد العناية بالأمازيغية والتعامل معها كتراث وطني، وإنما ضد ترسيمها في مستوى واحد مع العربية الذي يحدث هزة وخللا في الولاء مثلما عبر عنه جاك بيرك.

العربية والعامية:

لكل لغة عاميتها، الفرنسيون يصنفون الفرنسية في ثلاثة أصناف: فرنسية ذات الاستعمال الجميل وهي فرنسية الأدباء والشعراء، والفرنسية ذات الاستعمال الحسن وهي فرنسية الأطباء والتقنيين والإداريين، والفرنسية ذات الاستعمال

الرديء وهي فرنسية الشارع. علق . مفتخرا . الرئيس ميتران على النصوص التشريعية التي وقعها لحماية اللغة الفرنسية بالعبارة التالية: "كل هذه النصوص تستهدف الاستعمال الحسن للغة الفرنسية Bon usage"؛ سئل شيراك: ما رأيك في هذه العبارة الجميلة التي قالها ميتران، فأجاب "هذا غير كاف كان المفروض أن يقال: من أجل الاستعمال الجميل للغة الفرنسيـة Bel usage".

في حديث للمستشرق الألماني فيشر يتكلم عن العامية بالعالم العربي فيقر أن بألمانيا عاميات أيضا ويقول: "بأن العامية هي لغة العجائز أما الفصحى فصارت متداولة بين الأجيال الجديدة المتعلمة"[1].

الخلاصة:

أولا: إن رفع شعار التعدد اللغوي هو ضرب للوجود العربي، بضرب اللغة العربية، وضرب للوحدة الوطنية بالأقطار العربية.

ثانيا: الدول التي حققت تنمية اقتصادية واجتماعية ناجحة تسود بها لغة واحدة كالولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا والصين واليابان وغيرها.

ثالثا: لا يمكن للغة العربية أن تواجه تحديات التكنولوجيا الحديثة والجامعات العربية تعلم الطب والتقانة بالإنجليزية مشرقا والفرنسية مغربا . ماعدا سوريا والسودان حيث التعليم كله معرب . ، ومعنى هذا جعل اللغة العربية خارج العصر، لأن العصر مطبوع بالطابع العلمي والتقاني، وهو يتناقض مع توطين العلم.

رابعا: يمر العلم في الأمة بثلاث مراحل، مرحلة المضغ، ومرحلة الهضم، ومرحلة التمثّل. يمكن لأمة أن تمضغ علم عصرها بلغة أجنبية، يمكن لها أن تهضم علم عصرها نصف الهضم وليس الهضم كله بلغة أجنبية، لكن لا يمكن لها أن تتمثّل علم عصرها إلا باللغة القومية، والتمثّل يلد الإبداع. ففي تاريخ

[1] صحيفة الشرق الأوسط اللندنية عدد 1996/06/24

العرب بدأت مرحلة التمثّل مع قرار عبد الملك بن مروان بتعريب دواوين الدولة، واتضحت ملامحها مع تأسيس المأمون لبيت الحكمة الذي عرب علوم العصر، فنشأ العلم العربي. وتراث اللغة العربية شاهد على ذلك.

خامسا: تبين الإحصائيات أن ما ينشر باليونان من كتب مؤلفة أو مترجمة أكثر مما ينشر بالبلدان العربية مجتمعة. السبب هو أن اليونان تعلم جامعاته العلم والتقانة باللغة اليونانية، ونظرا لأن حجم ما ينشر بالعالم في هذين الميدانين هو الأكثر، فإن اليونان يترجم ما يستجد من علم وتقانة من اللغات بالعالم، وبخاصة من الإنجليزية، ويؤلف فيهما أيضا. أما العرب بما أنهم يعلّمون العلم باللغة الأجنبية فيستوردون كتبه بالإنجليزية من بريطانيا وأمريكا مشرقا، وبالفرنسية من فرنسا مغربا.

سادسا: قضية التعدد اللساني واللغة الجامعة، نعم.. بشرط أن تكون الجامعة وهي العربية هي الرسمية، والألسن الأخرى المتمثلة في الأمازيغية بالمغرب العربي بلهجاتها العديدة يُهتم بها كروافد للغة الأم الجامعة وليست كضرة لها.

الهوامش

[1] Datus C.Smith,The land and people of Indonesia USA1961

[2] صحيفة الخبر الجزائرية عدد 1997/11/27

[3] H.Basset : Revue Africaine V62 p340

[4] J.Lassus : l antiquite. Revue Africaine.V100 (1956) . p 87 – 115

[5] E.Renan. Histoire – Semitiques 7eme editon p199,200 Generale des Langues

[6] MARCAIS William Revue Africaine, T94-1950-

Camps: L es memoire et identite , Paris 1995 p 11 [7]
Gabriel Berberes

[8] بوسكيH.Bousquet البربر، باريس 1957

[9] أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص 15 . 16 بغداد 1979

[10] ويل ديورانت : قصة الحضارة، الترجمة العربية، ج 2 ص 43 القاهرة 1961

[11] (وليام لانغر: موسوعة تاريخ العالم، الترجمة العربية، ج1 ص 25 و 32 ، القاهرة 1962)

W.H.C.Frend :The Donatist Church , Oxford , 1952 [12]

General P.J.Andre (C R) de L`Acadenie des Sciences [13]
religieuses Coloniales:L`etude des Confreries MusulmanesP 351-352 Alger 1956

Dallet: Dictionnaire de ,introduction Pxx ,P aris 1982 [14]
la Langue Kabyle

[15] المرجع السابق ص 922

[16] المغرب الكبير ، رشيد الناضوري ، ج 1 صفحة 224 القاهرة سنة 1966

[17] المازيغية في خطر ، صالح بلعيد ، طبع تيزي وزو ، الجزائر 2011

[18] صحيفة الشرق الأوسط اللندنية عدد 1996/06/24

الهيمنة اللغوية

أ / أحمد عزوز – جامعة وهران

يضعنا المجلس اليوم أمام ضرب من التحديات المعاصرة التي يجب أن يوليها الدارسون والسياسيون والإعلاميون أهمية كبيرة لأنها متعلقة بالسياسة اللغوية التي طالما أهملها العالم العربي أيام عزته وقوته أو في عهد كانت المطالب أقل حدّة وأخف وطئا ممّا هو بارز الآن وبسبب تقلّبات الأوضاع في العشرية الأخيرة من القرن العشرين.

ولا يمكن أن نحيط بالموضوع لتشعّبه في هذه الصفحات، وهو المجال الذي قد تفيد فيه بعض الإشارات – في بعض الأحيان – أو كلمات قليلة لولوجه.

وعلى الرغم من وضوحه ويسره في التداول إلا أنه يتميّز بالتعقيد والغموض ومن جهة أخرى بالثراء والغنى.

ولقد عالج البحث اللساني الحديث من القضايا والظواهر ما نحن في أمس الحاجة إلى الإفادة منه في هذه الظروف والأوقات كي نحسن تشخيص المسألة التي من أجلها تنعقد هذه الندوة العلمية.

فدراسة اللغة هي دراسة عملية الاتصال التي توضّح وظائفها، فهي تستخدم في أغراض عديدة، وتشتمل على أشكال من التفاعل مع أشخاص آخرين، وتبين أنّها تستعمل في مواقف شتّى، وأنّ الناس محتاجون إليها أثناء التفاعل في المواقف المختلفة، وقضاء المصالح في مجرى الحياة اليومية إلى استخدام اللغة كي يحافظوا على الاتصال بالآخرين، والحصول منهم على المعلومات أو إعطائهم معلومات، ومعنى ذلك إنّهم يسعون إلى تحقيق عدّة وظائف في آن واحد[1].

"إنّ الأصل في اللغة التربية والتهذيب. والكلمة الدالة هي القادرة على الانطلاق من المخزون القيمي لتلمس واقع يعيشه الفرد والمجتمع إلى الدنيوي (الدوني) ويدمر ما أنجزته اللغة من ثقافة وحضارة وقيم امتدت في الزمان والمكان"[2].وهو ما يلاحظ في السياسة الفرنسية التدميرية الموجّهة لما أنجزته اللغة العربية عبر العصور فحاولت طمسه لبسط هيمنتها بكلّ أشكالها، ونبذ ما هو موجود.

وهكذا فكلّ من الفرد والمجتمع يستطيع أن يتحكم في سلوك الآخرين من خلال اللغة، فكما يرى فندريس "إن معرفة الإنسان للأشياء بأسمائها إمساك لها في قبضته، وإذن فعلم المفردات علامة القوة، ولذلك كان سحرة الآثارداڤيدا المتطبّبون يقولون في رقاهم: " أيّتها الحمى، لن تفلتي مني فإنّني أعرفك باسمك،

---

[1]– ينظر أحمد عزوز، اللغة والاتصال، مجلة التربية،دولة قطر، العدد 150نسنة:2004،ص:266.

[2]–دّعبد الرحمن عزي،جسور التفاهم والتواصل،ضمن اللسان العربي وإشكالية التلقي،ص:24.

والأمر الذي يوجّه إلى الداء ليفارق المريض أبلغ دلالة، ففي معرفة اسم المريض شفاء من نصفه"[1].

وقد نفهم تلك الهيمنة في أبسط صورها من الانتقال من نظام اقتصادي أو سياسي إلى آخر، ذلك أنّه ليتمّ تغيير سلوك الناس يفترض أن تغيَّر مفردات النظام السابق بمفردات جديدة تكون لها سلطتها في تغيير الرؤى، والنظرة للحياة والواقع.

ثمّ أليس فرجيل Virgile هو الذي يقول:" إنّه يمكن إنزال القمر من السماء بمجلة منظومة". فهو لاشك يقرّ بالسيطرة اللغوية على العقول وكيف يمكنها أن تتلاعب بها، ويؤثر فيها، وتحولها ذات الشمال وذات اليمين أي كيفما يشاء.

فللغة أثر في عقلية الفرد وهي آلة فكره وبها يكون البيان والإفصاح ويعدّ الاتصال بها تأكيدا لوجوده المادي والروحي والفكري والثقافي ولهويته وشخصيته. وأقرب مثال على أهمية اللفظ ودلالته في الخطاب والاتصال ما جاء في قرار مجلس الأمن رقم 242 بخصوص العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية المحتلة، فكلمة Land بمعنى الأرض ترجمها المترجم بالانسحاب من أرض عربية لأنّها لم تكن مسبوقة بأداة التعريف The. فجرى خلط في المفاهيم، وجاء الاختلاف على الانسحاب، هل هو من كلّ الأراضي المحتلّة أم من بعضها، أم من أرض أخرى غير تلك التي احتلّها لأنّ الاسم نكرة[2].

وفي سنة 2002 احتدم الصراع بين إسرائيل والأمة العربية والدولية على لجنة تحقيق في جرائم بلدة جنين ولجنة تقصّي الحقائق، وهناك فرق كبير بينهما.

---

[1]– فندريس،اللغة، ترجمة محمد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي،القاهرة،سنة: 1950،ص:228–239.

[2]–ينظر د.حماد أحمد عبد الرحمن، عوامل التطوّر اللغوي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.ط:9،بيروت،سنة:1983،ص:151. [2]

وكلّ ذلك يثبت أهمية اللغة في التركيب ودلالتها وكذا مدى هيمنتها على العقل وتغيير الاتجاهات والمواقف.

"فاللفظ مستودع معلومات وحافظة عهود، ومسجّلة وقائع وأيّام، فاللسان في الحقيقة إنسان"[1].

أسباب الهيمنة

إنّ الأسباب التي تؤدّي إلى سهولة الهيمنة اللغوية مردها بالدرجة الأولى إلى "تفكك البنية اللغوية الناجمة عن تفكّك علاقة الفرد بالكلام وعلاقته مع الآخرين، وقد مسّ اهتزاز البنية القيمية جلّ اللغات بما في ذلك اللغة العربية، ولم يعد ذلك التأثير الإيجابي قائما بين اللغات أي ذلك التعاون والتثاقف والتواصل والتفاعل إلاّ في ما ندر. وفي ظلّ هذا التفكّك القيمي، تسعى كلّ لغة إلى أن تتكمش على ذاتها وتحتفظ بخصوصيتها إلى حين. وبمعنى آخر، فإنّ تقلّص القيمة جعل اللغة العربية تتشابه مع اللغات الأخرى، وتفقد مكانتها المتميزة كلغة قيمية.

وقد كانت الشعوب الإسلامية والعربية قديما تتشبّث بتعلّم اللغة العربية رغبة واعتزازا بمعرفة قيم دينها وشريعته السمحة، أمّا حديثا وعندما تراجعت القيمة في هذه اللغة فقد فضّلت هذه الشعوب مثل غيرها تعلّم الإنكليزية والفرنسية وغيرها من اللغات على اعتبار أنها لغات العلم والتكنولوجيا [2]، بل كلّ من لا يتكلّمها فهو متخلّف وإن كان كلامه بها لا يرقى إلى الأسلوب العلمي الأكاديمي الذي يؤهّل صاحبه للإفادة من هذه اللغة لتزويد لغته العربية بفكر جديد ومعرفة إضافية.

ولهذا فوضع اللسان العربي اليوم وقيمته ليس بمعزل عن وضع البلاد العربية ومكانتها بين الدول عموما عموما، وبإيجاز إن وضع اللسان العربي في

– شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل،قدّم له وصحّحه ووثق نصوصه وشرح غريبه د.محمد كشاش (من توطئة الكتاب)، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب [1]العلمية،بيروت،لبنان.ط:1،سنة:1998،ص:5.

[2]– ينظر د.عبد الرحمن عزي، ص:26.

واقعنا اليوم هو وضع الإنسان العربي في عصر باتت سماته البارزة العولمة وتطوّر التكنولوجيات الحديثة والاتصال والإعلام، واختفاء الهويات.

وإذا كان اللسان العربي هو المدخل إلى تخلّفنا، وعدم قدرتنا على مواكبة النموّ والخروج من التخلف، فإنّ اللسان عند الشعوب المتقدّمة هو الطريق إلى الهيمنة، وهو البوابة التي تدخل منها الأطماع وبسط النفوذ على الأمم الفقيرة والضعيفة. وهذه الحال ليس نفوذا اقتصاديا أو سياسيا فحسب، وإنّما ثقافيا وفكريا بالأساس، فاللسان الأقوى هو لسان الأقوى، واللسان المهيمن هو لسان المهيمن. وهذه القوّة أو السيطرة أو السلطة هي التي تعمل على رواج هذا اللسان أو ذاك والتقليل من شأن بقية الألسنة.

وتبعا لكلّ ما سبق، يمكننا أن نتبيّن القيمة التي يحتلّها اللسان في حياة الإنسان عموما، وفي حياة الشعوب، والصراع القائم بينها ومسار النفوذ الاقتصادي والسياسي والثقافي خصوصا[1].

التخطيط اللغوي

إنّ أهمّ المشاكل التي ورثناها عن الهيمنة اللغوية التي تسبب فيها الاستعمار هو التعدّد اللغوي الذي لم يستغل إيجابا لأنّ رجال الإعلام في فترة الثورة التحريرية كانوا يرون أنّنا سنكون بعد الاستقلال أحسن من الفرنسيين لأننا نملك لغتين، بل لا يزال الصراع قائما وأحيانا محتدما بين اللغة الرسمية واللغة المهيمنة؛ وهو ما يتطلب وضع سياسة لغوية تستند أساسا إلى سلطة القانون الذي يخول التخفيف من الحدة بل من الهيمنة وإزالتها.

وترتبط الهيمنة اللغوية بالتخطيط اللغوي والسياسة اللغوية التي أصبحت المجتمعات والحكومات توليها العناية والاهتمام. والتخطيط اللغوي غير كاف أن نتحدّث عنه أو تتناوله فئة اجتماعية من أجل أن تتطوّر اللغة، وإنّما إعطاؤها

---

[1] – ينظر عبد الحميد عبد الواحد، اللسان العربي:الحاضر والآفاق، ضمن اللسان العربي والتلقي، مركز دراسات الوحدة العربية،ص:64.

الإمكانات المناسبة لها ثمّ نشر الوعي بين أفراد الأمّة لتقديرها واعتبار كلّ فرد في المجتمع على أنّ الاهتمام بها يندرج ضمن المشاريع الوطنية الكبرى التي تبذل الأمّة لإنجازها.

إنّ إشكالية الهيمنة اللغوية، هي سؤال البحث عن الحماية، الذي هو شعار سائد في الحياة الأنجلو ساكسونية هو:عالم، سوق،عملة، لغة. ولم يكن شرشيل يتعب أو يشقى في التصريح عندما يقول: إنّ امبراطوريات الغد، هي امبراطوريات العقل واللغة، ومجال اللسانيات وهو الذي يعدّ أيضا سوقا، واللغة هي المفتاح الذي يتم به فتح قفل الاقتصاد المرتبط بالحياة الاجتماعية والثقافية.

ولهذا فإنّ استشراف الإنجليز وأمريكا عظيم وهو النجاح في أمركة أوربا وإفريقيا، وضمان الانفتاح على العالم. ولم تكن بريطانيا ممتنعة عن الانضمام إلى المعاهدة الأروبية واعتماد الأورو، وهي العضو في الاتحاد الأروبي إلاّ لأنّها تنتظر ساعتها دقيقة بدقيقة لأنّ الزمن زمنها، فأغلب التصريحات الأروبية بالإنجليزية، ويعبر كل الأعضاء في الاتحاد الأوربي باللغة الإنجليزية حتى السياسيين الفرنسيين، ففي العشر سنوات المقبلة أو أقل ستحتل المجموعة الأنجلو ساكسونية لسانيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا أروبا والبرتغال وروسيا وإفريقيا، ومن هذا المنظور فإنّ الفرنسية مثلا في بلجيكا أو غيرها من البلدان ستبدأ في الاحتضار[1].

ممّا يجعل الموضوع ذا حساسية كبرى إذا لم نوله نحن العرب عناية أكثر من قبل ونفكر فيه بجدية.

وترتبط الهيمنة اللغوية بالتخطيط اللغوي أو السياسة اللغوية التي أصبحت المجتمعات والحكومات توليها العناية الفائقة " فهناك ضرب من الحقائق الجديدة يبدو القائمون على مصائر الأقطار العربية في غفلة عنها، فإن لم يكونوا غافلين

[1] - Raymond Watrice l'enjeu de la domination linguistique,liguewallonbruxelle.skynetblogs.be/html.

فربما يرونها من الخيارات القابلة للتأجيل حتى ولو أمسى التأجيل هو قاعدة العمل لا استثناءها.

فهناك حقائق ذات بعد سياسي، فقلّما ينتبه أهل الشأن بيننا إلى الصلة الوثيقة بين القرار السياسي ومقومات الهوية الحضارية مهما نأى الموضوع في ظاهره عن مسألة الانتماء.

وقد لا يخطر بالبال ما يعود من ذلك كلّه على مستقبل علاقة الناشئة بهويتهم الحضارية من خلال إعادة تشكيل هويتهم اللغوية[1].

ولعلّ أولى مصادر الصراع بين اللغات هو عدم تكافؤها في المكانة وتوزيع الأدوار غير العادل بينها. فاللغة المهيمنة لها بعض التفضيل، والإثارة على الأخراة في الإدارة في الاقتصاد والتسيير في المؤسسات الإعلامية وفي المناصب الإداية، وفي التعليم. وعادة ما تكون اللغة المهيمن عليها محصورة في التواصل بين أفراد العائلة، وبين الأشخاص، ومقصورة على الشعائر الدينية. وبالتالي فإنّ المشكل المركزي للهيمنة يكمن في المكانة (STATUT) للغات المفروضة والموجودة داخل المجتمع.

وقد تتجلّى مشكلة الهيمنة أكثر عندما تهيمن لغة من الخارج على اللغات الوطنية والرسمية للبلد.

وعلى هذا الأساس فاللغة ليست الأداة المفضلة للتواصل فحسب؛ ولكنّها تمثل أو ترسخ أيضا الرؤية، وتمثّل عالم متكلّميها، وتصوراتهم ومخيالهم، وكيفية نقل معرفتهم وخبراتهم للآخر. ومع ذلك فهل ينزع العالم اليوم لما يشهده من صراع في مختلف المجالات نحو التعدّد الذي يراه البعض نعمة ونموذجا للعولمة، ويراه الآخرون نقمة.

---

[1]–ينظر د.عبد السلام المسدي، لغة الطفل العربي والتحديات الراهنة،مجلة اللغة العربية،المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،العدد التاسع،صيف 2008،ص:134.

وهل يمكن اعتبار التعدّد حاجزا أما التواصل والتبادل ونشر المعرفة؟ وهل العالم ذاهب نحو التعدد بفضل ما يبدعه يوميا ويخترعه وما يحدثه من مفاجآت يومية؟ وبالتالي فإنّ السؤال الذي يطرح في كلّ حين هو هل التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية أصبح ضروريا وأكثر إلحاحا.

وبالتالي فالتفكير ينصبّ حول علاقات القوى بين اللغات، وكيف يكون الارتباط بينها ليس على أساس القوة والسيطرة والهيمنة وإلغاء الأخرى، وإنما على أساس التواصل والتبادل المعرفي والعلاقات الإنسانية، وكل ما ينافي ذلك فسيظلّ مؤجّجا للصراعات والحروب المتواصلة بدون انقطاع.

وينبغي أن نحدّد داخل مركزية اللغات العالمية مكانة لغتنا العربية. إذا كنا نعترف بمكانتها في العالم فهما فهل المتكلم أن يدافع عنها أو يخدمها كما يفعل الآخرون ذلك أنّنا نقول اليوم بأن لغتنا كذا وكذا ولكن نراها يوميا تزداد انحدارا ونرد اللوم على الدولة وعلى المجتمعات والاستعمار.

والمعروف أنّه لا توجد وصفة جاهزة تحلّل بها المشكل اللغوي، فكل مجتمع له خصوصياته وظروفه وتاريخه وتطلعاته مما يتطلب حلولا مختلفة من مجتمع إلى آخر. وإذا كانت المؤسسة الفرنكوفونية تخشى من اللغة الإنجليزية وتواجهها بالتخطيط والوسائل، وتجنّد حتى بعض الدول الإفريقية والعربية في ذلك؛ فهل نملك مؤسّسة عربية تدافع عن لغتها، وتجنّد لها الإمكانات مثلها لبقائها وتطويرها كمؤسسة عربية لا قطرية. وماذا قدمت المؤسسة الفرانكوفونية للعربية؟ وإذا كنّا نعيش في عالم التكتّلات والمصالح والعولمة وحقوق اللغات ألا يجوز لنا أن نسأل عمّا قدّمته المؤسسة الفرانكفونية للغة العربية؟.

اللغة والهيمنة:

لقد ربط ابن خلدون ربط محيّرا منذ قرون بين اللغة والهيمنة، وكذلك بشروط اجتماعية وجغرافية وتاريخية، أو سوسيوثقافية، ورأى أنّ اللغة بيد السلطة

لتشريع هيمنتها وفرض قوّتها، فهي ليست قوّة في حدّ ذاتها، وإنّما الهيمنة ترفع من شأنها فتعليها أو تدنيها.

ولعلّ تأكيدات ابن خلدون تساعد على فهم المسألة اللغوية، راهنا بالاستناد في علاقاتها بروابط القوّة[1].

فاللغة المهيمنة التي تحتكر القول، وتفرض شرعيتها، غير قابلة للاحتجاج، هي لغة المجتمع المهيمن بدينه فمن عوامل الهيمنة اللغوية انتشار الدين الذي يتبعه بالضرورة نشر لغته نحو الدين الإسلامي، فهو يقول: "اعلم أنّ لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطّين لها ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلّها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وإن كان اللسان العربيّ المضريّ قد فسدت ملكته وغيّر إعرابه، والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم والدّين والملّة صورة للوجود والمِلْك" [2]، ولأنّ الهيمنة كانت لصالح الدولة الإسلامية على عهد عمر ابن الخطاب (ض)، فقد كانت العربية هي اللغة الشرعية التي وجب استعمالها وهجر ما عداها من اللغات الأعجمية، لأنّها "خبّ أي مكر وخديعة.

كما يقرّر عمر ابن الخطاب (ض) والسبب في ذلك عند ابن خلدون:" ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، والدين والملّة صورة للوجود وللملك. وكلها موادّ له، والصورة مقدمة على المادة، والدين إنّما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب، لما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عربي، فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها. واعْتبِرْ ذلك في نهي عمر (رضي الله عنه) عن رطانة الأعاجم. وقال إنّها خبّ؛ أي مكر وخديعة. فلمّا هجر الدينُ اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، هُجِرت كلُّها في

---

[1] -ينظر محسن بوعزيزي، اللغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون، ضمن اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية،ط:1،سنة:2007،ص:146.

-عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة ومراجعة د.سهيل زكار،دار الفكر،بيروت.سنة: 2001،ج:1،ص:474.

جميع ممالكها، لأنّ الناس تَبَع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب"[1].

فاللغات المتفوقة لها تلك الأهمية بسبب الهيمنة التي تمارسها أو مارستها بسبب القوة السياسية لأممها التي تمارسها، على دول أين كانت سلطتها مبددة أو غير قوية واللغات كانت ما تزال القاعدة: فكانت بسبب قوتها التوسعية تسعى لاستخدام لغتها كوسيلة للحكم، بحيث أخذت تلك اللغات مكانة رفيعة في مناطق كثيرة من العالم وبخاصة في إفريقيا وخصوصا في أمريكا. وهذا الفرض للغة ولثقافة التي ننعتها بالأجنبية لم يكف من إيثارة المقاومة، ورفض أو محاولة الإحاطة؛ ولكن مصادر المادة نادرة باستثناء في الفترات المعاصرة[2].

"وتندرج المسألة اللغوية عند ابن خلدون في سياق اهتمامه بالعمران البشري والتفكير الاجتماعي، فعلاقتها بالمجتمع وثيقة، تتغير بتغيره وتفسد بفساد اللسان الأول (ويبدو أن التنمية والعمران يفسد بفساد اللغة) والابتعاد عنه بالمخالطة، فتصير ممتزجة، إنّه مثلا، لا يقف عند النحو القائم على المنطق بتجريديته بل بربطه بالواقع ويراه نابعا منه أصلا. ولا يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها على حد رأي دي سوسير، ولكن يربطها بالواقع الاجتماعي لأنها شديدة الصلة بالممارسة والاستعمال، فهي عنده ملكة في اللسان تحصل بممارسة فعل الكلام ومعاودته، حتّى تترسّخ منوالا، يرتسم في المخيال بعد طول معاشرة وحفظ لكلام العرب، فتصبح صفة راسخة في الفرد، ينسج عليها ويعيد إنتاجها من جديد، فالممارسة هي التي تبني المنوال"[3].

"ولكن اللغة العربية كذلك فقدت شرعيتها الاحتكارية وكادت تذهب لمّا تغيّرت روابط القوة، واستولى العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم في المشرق،

---

[1]–المصدر السابق،ج.1، ص:475.

[2] -Langues dominantes, Langues dominées,p :8.

[3]–محسن بوعزيز،ص:150.

وزناتة والبربر في المغرب، على جميع الممالك الإسلامية. يقول ابن خلدون في هذا الصدد:" ولما تملّك العجم...وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة"[1]. وهو ما يتجلّى اليوم في معاناة العربية لذهاب قوّة سلطة العرب.

ثمّ يقول: "وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة. ثمّ فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغيّر أواخره وإن كان بقي في الدلالات على أصله وسمّي لسانا حضريا في جميع أمصار الإسلام. وأيضا فأكثر أهل الأمصار في الملّة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها، الهالكين في ترفها بما كثّروا العجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم. واللغات متوارثة فبقيت لغةُ الأعقاب على حيال لغة الآباء وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعاجم شيئا فشيئا"[2].

ولا تختلف تصورات ابن خلدون المذكورة عمّا تحدّث عنه جان لويس كالفي انطلاقا من تصورات فرقوسان وفيشمان ، وهو يضيف إشكالية السلطة ويطور تصنيفا مأخوذا خاصة من الحالات الاستعمارية للثنائية المركبة أو المرصعة: على سبيل المثال:

– اللغة المهيمنة الفريدة أو الوحيدة، الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة المهيمنة على التراب الفرنسي ولا يمكن لواحدة أن تحل محلها، أن على الرغم من وجود ما يقارب ثلاثين لغة أقلية.

– لغات مهيمنة لأقليات: في المغرب، إحصائيا الأمازيغية مهيمنة في المغرب وفي الجزائر؛ تمثل مجموعة كبيرة، بينما العربية الرسمية والفرنسية يحتلان الوقع نفسه الموجود في المغرب؛ لغة أقلية مهيمنة، توجد الفرنسية في موقع مهيمن على أراض إفريقيا، أين يوجد مقابل لغتين، أربع أو كثير من

---

[1]–محسن بوعزيزي،ص:147، ابن خلدون،ج:1 ص:475.

[2]–تاريخ ابن خلدون،ج:1،ص:475

اللغات الوطنية، وهذه اللغة ليست متكلمة سوى من قبل تقريبا 10 % من المتكلمين...

–لغات مهيمن متناوبة أو متعاقبة، في مناطق مثل المارتينيك، la guadeloupe أو La Guyane، المولد لغة متأثرة بالفرنسية هي اللغة الأولى ولكنها ليست لغة المنزلة أو الشأن الرفيع (مثل الهجين في العربية) والفرنسية أكثر انتشارا من إفريقيا الفرنكفونية، هذه الفرنسية يمكن أن تعوض في وظائفها الرسمية بلغة أخرى:

– لغة مهيمنة مناطقيا، سويسرا وبلجيكا تمثلان أمثلة للازدوج اللغوي الرسمي (فرنسية /فلامية Flamand في بلجيكا) بينما كل واحدة هي أكثر هيمنة في كل منطقة من مناطقها الفرنسية والفلامية على التوالي. الفرنسية تتعايش مع الفلامان أو مع لغات أخرى، الألمانية، الإيطالية.

مظاهر الهيمنة وأغراضها

لقد عمل الاستعمار على إزاحة اللغة العربية من مكانتها التي تبوّأتها عبر التاريخ في الجزائر وكرّس واقعا جديدا ووضعا متردّيا، وعمل على تكريس واقع ووضع متردّ، وإبعادها عن ساحة الفعل السياسي والعلمي والثقافي. واعتبرها الاحتلال الفرنسي ابتداء من 1847 لغة أجنبية أو أقلّ منها، فمنع استيراد أو إدخال الكتب والوثائق التي تكتب بها. وجعل اللغة الفرنسية بالمقابل لغة المدارس والإدارة والصحف وحصرت اللغة العربية في المساجد والكتاتيب التي فرضت عليها الإدارة الفرنسية رقابتها [1]. وهو بهذا السلوك إنّما يكرّس قوّته الاستعمارية بلغته، إذ في فرضها هو فرض هيمنتها وسيطرتها على الدواوين ووسائل الاتصال العامّة كالإدارة والتعليم ثمّ بعد ذلك لغة تواصل وما إلى ذلك.

[1]– ينظر د.عبد الرحمن عزي،المرجع السابق،ص:19.

إن نشر اللغة الفرنسية كان مشروعا سياسيا، من جهة للتوحيد الواقعي على أرض معينة، وعامل انسجام اجتماعي بين مستخدميها، أو طريق لكثير من الفئات للانتقال من طبقة فقيرة إلى مرتبة أخرى ذات شأن ووعي بنفسها[1].

نماذج من الهيمنة

من الأمثلة التي نقارن بها والتي يتجلّى فيها الأمن اللغوي والتعايش اللغوي هي الامبراطورية العثمانية التي خلال عدة قرون، كانت لغتان متعايشتين على رأس هرم السلطة مختلفتين في الأساس منذ البداية، التركية كلغة للحكم، والعربية كلغة للثقافة والدين، ولم يمنع ذلك العيش لعدة لغات مهيمن عليها من أصول مختلفة وبخاصة في البلقان[2].

وهناك النماذج التي ظهر فيها الصراع بين اللغات بسبب الفرض والسيطرة والهيمنة.

ذلك أنّها ترتبط الدراسة بالسياسات اللسانية أو محاولات التهيئة والتخطيط اللساني للغات الإمبراطوريات أو اللغات الوطنية. يوسل العروي (Youssel El Aloui) تحدث عن الميثاق المخصص للقتشاليين في إسبانيا بعد 1492. فريدة مجدوب (Farida Majdoub) درست هيمنة الإفريقانية المطبقة على إفريقيا الجنوبية وحول السياسة اللسانية قبل وبع الميز العنصري.جاك فرفيك (Jack Warwick) يقترح تصنيفا للعودة إلى اللغات الأصلية لتحديد الأعلام للمناطق الكنادية. روزلين لو سكير (Roseline Le Squére) ص:11

لا تعوزنا الأمثلة من هذا القبيل، ففي عام 1806 سجّل الرحّالة الإنجليزي جون لامبير (John Lambert) أنّ للفرنسيين أغلبية كبيرة في الجمعية الوطنية، إذ عددهم 36 في مقابل 14 إنجليزيا، وأن أكثر الخطابات فيها يلقى بالفرنسية،

---

[1]- Patrick Sauzet,la diglossie :conflit ou tabout. http://membres.lycos.fr/simorre/oc/tabou.htm

[2] - lang dom p :8

ونوابها الناطقون بالإنجليزية يفهمون الفرنسية ويتحدّثون بها، فهم ثنائيو اللغة، على أنّ قلّة قليلة من النواب الفرنسيين تعرف شيئا عن الإنجليزية.

وعلى الرغم من أنّ كندا ليست فرنسية، وهذا الوضع الذي يفرز القوى هو الذي يشير إلى أنّ الفرنسية كانت حينذاك هي اللغة الغالبة، غير أن الإنجليزية بدأت تؤثّر في الفرنسية، وهذا ما يشير إلى الاختراق الذي يظهر في اللغات[1].

وقد أشار توكفيل، إلى هذا الأثر في لغة المحامين وقد يتجلى عند المحامين الجزائريين، أمّا لامبير فقد أكّد من خلال لغة الشارع حيث بيّن أنّها خليط غريب يرطن به الناس في الساحات العمومية من الفرنسيين الذين لا يفهمون الإنجليزية، وإلى الإنجليز الذين لا يفهمون الفرنسية، فحاول كلّ منهم أن يتواصل مع الآخر بلغته في منتصف الطريق ممّا يؤدّي إلى تفاهمهم بجمل متقطعة.

وقد أدّت هذه العلاقة بين الفرنسية والإنجليزية أولا إلى إدخال عدد من الألفاظ الإنجليزية في الفرنسية و والفرنسية في الإنجليزية، وهي ألفاظ تحيّر أي قادم من إنجلترا ولا يتكلّم إلاّ الفرنسية التي تعلّمها في المدارس، حيث لا يفهم ما يسمع نظرا للهجين الذي أصاب اللغة الفرنيسية. وقد اشتُهِر الكنديون بميزة الكلام بالفرنسية الصافية، غير أنّ السؤال: أما زالوا يستحقون أن يوصفوا بهذه الصفة[2].

وهو الأمر الذي ينطبق على متكلّمي العربية في المغرب العربي والمشرق بما يدخلونه من كلمات إنجليزية وفرنسية في العربية،إذ لا يستطيع القادم من بلد أجنبي عندا يسمع أحدا يتكلّم أن يفهمه فهما جيّدا.

وفي عام 1855 أبدى جان جاك أمبير [3] (Jean-Jacques Ampére)، انزعاجه ممّا سمع حيث قال: "ما إن نزلنا من الباخرة حتّى قام خصام بين سائقين

---

[1]– ينظر حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص:351.

[2]– ينظر حرب اللغات والسياسيات اللغوية،ص:351.

[3]– هو أستاذ الأدب الفرنسي في المعهد العالي الفرنسي بباريس، وهو ابن الفيزيائي المعروف أمبير،

من سائقي العربات، فطرقت سمعي عبارات ليس لها وجود في معجم الأكاديمية الفرنسية، ومع ذلك فهي نوع من الفرنسية أيضا. ولكن واأسفاه على لغتنا ! فهي قليلة الوجود على اللافتات؛ فإن ظهرت الفرنسية على هذه اللافتات فهي غالبا فرنسية محرقة فاسدة بحكم مجاورتها للإنجليزية، ويتلاشى الإحساس بالفرق بين المذّكر والمؤنّث، لأنّ الإنجليزية لا تميز بينهما، وتسقط علامة الجمع حيث لا وجود لها في اللغة المنافسة.

هي ذي علامة محزنة من علامات التأثير الأجنبي على وطن يقاوم، وغزو بالنحو يعقب غزوا بالسلاح"[1].

وبعبارة أخرى، فإنّ تفشّي تدهور مستوى الفصحى بين المتعلمين العرب اليوم يطرح ما يمكن أن نسميه قضية " الأمن اللغوي" في الوطن العربي أو "الوجه الآخر للأمن الثقافي العربي".

الثانية: هناك اعتقاد واسع أنّه في فترة ما بعد الاستقلال أصبح للطفل والطالب والأستاذ والمواطن العربي بصفة عامّة احتكاك أكبر مع اللغة العربية الفصحى ومع ذلك،فإنّه من جهة أخرى، لا يزال يلاحظ – لا على مستوى نخبوي فقط بل على مستوى جماهيري – الرغبة والتكالب في العديد من مجتمعات الوطن العربي على تعلّم واستعمال اللغات الأجنبية.

ومن جهة ثانية، فإنّه يغلب اليوم على الفرد العربي المتعلم في المشرق والمغرب العربيين الشعور بالاستحياء والرهبة، والانحرافية الاجتماعية والتوتر النفسي عند دعوته للتحدّث بالفصحى.

فتدهور مستوى الفصحى بين المتعلّمين العرب، وبين الجامعيين له مؤشّراته الموضوعية وأعراضه النفسية. ومن هنا جاءت مشروعية طرح قضية "الأمن اللغوي" الذي هو جزء من الأمن الثقافي في العالم العربي. وبعبارة أخرى، هل أنّ مستوى الإلمام بالفصحى اليوم في العالم العربي مشرّف أم أنّه ضعيف

[1]– حرب اللغات والسياسات اللغوية،ص:352.

يكاد يهدّد وجودها كلغة في حدّ ذاتها؟ ونظرا لأنّ اللغة هي أمّ الرموز الثقافية /المنظومة الثقافية (الفكر، المعرفة /العلم، العقيدة،القوانين، الأساطير،القيم والمعايير الثقافية) في المجتمع، فإنّ ما يهدّد اللغة العربية الفصحى اليوم في مجتمعات الوطن العربي ذو انعكاسات خطيرة على تلك المجتمعات. ويأتي في طليعتها الخطر المحدق بالهوية الثقافية العربية ذاتها لتلك الشعوب"[1].

الاقتراحات:

إن هيمنة لغة على أخرى أو مجموعة من المتخطابين على أخرى ليست قضية اللسانيين فقط. إن اللغة مسألة أدق لتبقى لمتخصص في اللغة أو لمشرع فهي تخاطب وتحاور كل من يشتغل حول الحضارة التي تعبر بها، حول النصوص وكذلك حول المتكلمين أنفسهم.

ولكن مهما يقال ويردّد فلم نعد اليوم كما كنا في مراحل سابقة نلقي اللّوم على بعضنا البعض وننعت بعضنا بالتخلف أو الانتماء إلى مذاهب أو عقائد نحسب أن هذا الزمن قد ولى ولم نحسن الإفادة منه، وإنّما الزمن هو زمن المواطنة، وكل في خدمة الوطن فلا ارتماء ولا انتماء إلا في أحضان الوطن، ولا أهمية إلا لمن لا يخدم الوطن إن المهيمن لا يفرق بين هذا وذاك، غن الشعوب التي تغيرت وتطورت هي الشعوب التي أفادت من جميع أبنائها والتي لم يتهم فيها أحد الآخر وإن العمل هو الذي نميز به المخلص وغيره.

المطلوب فتح حوار وطني هادئ وعلمي وأكاديمي بعيد عن النزعات والصراعات والسماح للعقل والموضوعية وما ينفع الأمة اليوم وغدا حتى نحمي أنفسنا من هذه الهيمنة الثقافية التي تتأسس على ريح اللغة القوي وليبدأ بالصراحة على مستوى الشبكات الاجتماعية، لأن تتستر وراء أقنعة حينئذ يمكن

---

[1]– د.محمد ذوادي، ص:45.

معرفة عقول الناس وكيف يتلاعبون بها. فالمطلوب هو البحث عن السلم اللغوي والأمن اللغوي.

يبقى فعل المتكلم عنصرا أساسيا وواسعا في تغيير مكانة اللغة من لغة خاضعة ضعيفة مهيمن عليها إلى لغة هيمنة لها السيطرة ولها القوة التي تجابه بها اللغات الأخرى.

حقوق اللغة الرسمية

أ د صالح بلعيد – جامعة تيزي وزو

. المقدمة: يبرز هذا المقال **حقوق اللغات الوطنية**، وما يجب أن تكون عليه بناءً على الوضع القانوني والحقّ المدني أو الديمقراطي الذي سنّته كلّ الدساتير في العالم، وما تعمل به الدول المتقدّمة والدوائر والمؤسّسات التي تحترم نفسها في المحافل العالمية، وكذا فِعْل الدول النامية التي تسير على خُطى الدول الراقية، وسبق لها أن اهتمت بترقية لغتها الوطنية، وحصل أن ارتقت بلغتها الوطنية، وكانت لها وصفات علاجية قدّمتها لمواطنيها في علاج ظاهرة الترقية اللغوية، فنجحت وتقدّمت.

وعلى رأس اللغات الوطنية المهتمّ بها توجد **اللغة الرسمية الجامعة** ولها الكثير من الامتيازات على اعتبار أنّ اللغة الجامعة هي لغة الأغلبية التي يفهمها الجميع، ولا يقع الخلاف في أولويتها أو في خدمتها، إضافة إلى ما تعطيه من استقرار نفسي وطمأنينة واعتزاز. ومن هنا يقتضي الوضع المعاصر ضمان الحقوق اللغوية لكلّ من اللغة الرسمية في إطار حقّ المواطنة، وما تنصّ عليه الدساتير، وما وقع عليه الإجماع، ولا مانع أن تكون هنا تعددية لغوية في إطار اللغة الجامعة (الرسمية) وهذا من خلال اقتراح سلّم تراتُبي تأخذ كلّ لغة: **رسمية . وطنية . أجنبية** مقامها وموقعها في التدريس والإعلام والإدارة؛ بالاستناد إلى المرجعيات التي تحتكم إليها البلاد.

وترونني في المقال أدافع عن حقّ اللغة العربية (اللغة الرسمية) من موقع المشاهد الذي يرى لغته الرسمية تعيش اضطهاداً من نوع خاص؛ حيث يمارس

عليها الافتراس اللغوي Le cannibalisme linguistique وهو صنف من الإبادة اللغوية La linguicide بشكل غير معلن وبخطط محكمة مغطاة باسم التفتّح على اللغات الأجنبية (الفرنسية فقط) وقبول التعدّدية اللغوية الأجنبية (الفرنسية فقط) وهذا في ظلّ سياسات مرتجلة غاب عنها التصوّر الكامل والدقيق سواء في التخطيط أو في التنفيذ، ولم تهتمّ تلك السياسات بتهيئة اللغة العربية من داخلها، ولم تزوّد العربية بآليات النجاح، وكان ذلك سبباً في عثورها وانتكاسها، وذلك ما أعطى المَيْزَ الخاص للغة المستعمر.

وفي الحقيقة إنّ اللغة العربية لم تضعف، وإنّما ممارسات من ينتصرون للغة الأجنبية هي التي تعمل على إضعاف اللغة الوطنية، وهي التي قلّصت دورها في كثير من المجالات، وبخاصة المجال الاقتصادي، وكان ذلك كافياً أن تنزوي العربية وتبتعد إلى عن الحياة العملية. واللغة بطبعها إذا ابتعدت عن المجال العلمي، وعن الاستعمال اليومي، ولها ضرّة تنافسها، ولها من يعمل على تأخيرها لا يمكنها أن تذهب بعيداً، بل يأتي عليها حين من الدهر تبقى في (خبر كان). وأما مسألة التعدّد اللغوي ليس خطراً إذا تمّ في أطر ضيّقة، وحدث بشكل لا يحمل الهيمنة، فتبقى اللغة الأجنبية أجنبية وأداة تفتّح واستفادة، وتبقى مركزية اللغة العربية مركزية، فلها السيادة والحكم. ولقد حدث التعدّد منذ سالف الزمان، ولا يزال مع اللغة الرسمية واللغة الوطنية، ونتج عنه تعايش لغوي متكامل، وهو نوع من التعدّد اللغوي الذي جسّده السلف، وما اشتكت لغة من لغة، وفي ظلّه أخذت كلّ لغة (رسمية . وطنية) وظيفة خاصة، وما أدخلت لغة الضيم على لغة أخرى.

لا أنصّب نفسي محامي العربية، ولا أنافح عنها، بقدر ما أريد التنبيه إلى خطورة المسألة اللغوية التي إذا بقي التسامح فيها قد يؤدّي بنا إلى الكوارث أو الزلازل الاجتماعية، ولذا فإنّني أعتبر هذا المقال يدخل في باب ﴿وذكّرْ فإنّ الذكرَ تنفع المؤمنين﴾ الذاريات 55، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ العربية

محفوظة ويحفظها الله، مصداقاً لقوله ﴿إنّا نحنُ نزلنا الذكرَ وإنّا له لَحَافظون﴾ الحجر 9. فهي مؤكّدات قالها الله تعالى على أنّ هذه اللغة المحفوظة لها خصوصيات، فلا تزول ولا تندثر ولا يمكن أن تُقهر، ولذا كان الأجدر بنا ربح الوقت في قضايا اللغة، والتي أصبحت مشكلة من المشاكل المعقّدة بفعل التأخير الذي نمارسه بشكل إرادي، وكان أهمّ عائق فيها هو إقحام (اللغة الأجنبية) والتي أصبحت الحكم الفصل في المسألة اللغوية، لما للمتعلقين بها من نفوذ.

وأزعم أنّ مقالي هذا يأتي في إطار تقديم وصفة علاجية للمسألة اللغوية التي تعيشها الجزائر وهذا من باب التحرّز في عدم التساهل والتسامح في مواطنة اللغة، ولذلك فإنّي أدعو إلى مواطنة لغوية من باب صون اللغة الرسمية، وتفعيل اللغة الوطنية، وهذا حقّ من حقوق المواطنة، فلا تكون للمواطن مواطنة فعلية إذا عاش اضطهاداً لغوياً في بلده، أو مورس على لغته احتواء أجنبي وبخاصة عندما تكون لغة الهيمنة هي لغة المستعمر بالأمس.

1. فِعْل الدول المتقدّمة: أبانت الدراسات والتجارب على أنّ الشعوب المتقدّمة أعطت للغاتها الوطنية أهمية قصوى في الترقية الداخلية والخارجية ومدّها بأسباب النمو والتوسّع، كما أنزلتها المكانة الاجتماعية الأولى في **المدرسة والمحيط والإعلام والمال**، ولم تعلِ عليها اللغات الأجنبية وهذا ما يتمثّل في الجمهوريات الفرنسية التي أولت لغة جزيرة فرنسا صفة القداسة، وكذلك فعل الألمان والإسبان وكلّ الدول الأوربية. وأما الوصفات التي اعتمدتها الدول الفقيرة في آسيا على الخصوص فإنّها اهتمت بالتعليم في الدرجة الأولى، بل إنّ ميزانية التربية والتعليم تقرب إلى 20% من الميزانية العامة للدولة، وبذلك ارتقت كلّ تلك الدول علمياً واجتماعياً، وخرجت من الدول الفقيرة، وأضحت تلك الدول تنافس الدول المتقدّمة في الصناعة والزراعة. ولم يحصل لها هذا قبل سنوات الستينيات عندما كانت تعتمد اللغات الأجنبية بديلاً عن لغاتها. أضف إلى ذلك الحراك الشعبي الذي كان يقرّ بأنّ اللغة الوطنية هي جسم الوطن ومخّه الذي يسير به، وبدون اللغة الوطنية

يبقى المجتمع يعيش أزمات نفسية داخلية كأنّه منبت عن واقعه ومحيطه، فلا يحسّ المواطن بوطنيته إلاّ داخل لغته؛ فاللغة الوطنية هي التي تعطيه المواطنة والأمن، بل تعمل على وحدة التجانس الاجتماعي، ومن هنا وقع تقديس اللغة الوطنية باعتبارها مقوماً اجتماعياً.

2. وحدة الأمّة من وحدة اللغة: إنّ اللغة الأمّ لغة مركزية ازدوجت بها شخصية الإنسان فأصبحت توأمه، وبقية ما يجيده الإنسان من لغات محفوظات مخزونة في الذاكرة تُستعاد وقت الحاجة فقط. فاستعمالنا للغات الأجنبية بمثابة تَعمُّل وتكلفة أو نوع من التمثيل الاصطناعي الذي لا يحمل صفة التجاذب أو التجانس أو الألفة والمودة، فعندما تتكلّم مع ابن لغتك تنهار الحدود، وتشعر بالانسجام التام، وتزول الفوارق، وتحسّ بالاعتياد، وهو تجانس نفسي يعمل على التكامل والتوحّد "... إنّ هناك تجانساً بين الشخص ولغة الأمّ، وهذا التجانس بدوره يولد التجانس بين أبناء اللغة الواحدة فيتشبّهون بعضهم بعضاً، ويختلفون عن الآخرين. إنّهم يغدون كما يُقال بالفرنسية Homogènes أما إذا جعلناهم مع أبناء اللغات الأخرى فإنّ المجموع يغدو Hétérogène أو Disparaitre أي وحدات متفرقة[1]". وهكذا تكون اللغة عامل توحيد الأمّ عامل توحيد الأمّة إذا جسّدت على أرض الواقع، ولن تكون اللغة الأجنبية بديلاً عنها على الإطلاق؛ حيث اللغة الأمّ تتدفّق من الشخص تدفّقاً لا ترويضا، وتعبّر عن المكنون تعبيراً لا تشبيهاً، باعتبارها تحمل شحنات خاصة لكلّ مسمى، فتبقى الشمس مؤنّثة ولو استعملنا الصيغة الفرنسية Le soleil والقمر مذكراً، ولو قلنا بالفرنسية La lune والدار تبقى مذكراً، ولو عبّرنا عنا بصيغة La maison والباب مذكّراً ولو قلنا: La porte ... وهكذا دواليك لأنّ المخزون اللغوي من أنماط جمل اللغة الأمّ صبغت موقع الفكر ويصعب تغييره، بل إنّ التراجع عنه يحتاج إلى تشخصُن في الهوية اللغوية. وتبقى اللغة الأمّ لها موقع خاص في منظومة الأنماط اللغوية العفوية؛

[1]. جان كميد "وحدة الأمّة من وحدة اللغة" مجلة الناشرون. لبنان: 2011، ص 30.

لأنّها أخذت بالعفوية لا بالترويض، وهذا ما يظهر بقوّة في حالة الخوف أو الفرح؛ فإنّ الشخص يعود إلى لغته الأمّ ليعبّر عن الخوف أو الألم أو الفزع دون أن يشعر بذلك. أضف إلى ذلك ما تشكّله اللغة الأمّ (الرسمية) من انسجام وطني تكاملي يؤدّي إلى الإحساس بالشأن العام.

3. المواطنة والحقّ اللغوي: تُجمع الدساتير على أنّ للأفراد الحقّ في أن لا تتعرّض شخصيتُهم أو وطنيتُهم للشكّ نتيجة معتقداتهم، كما لا يجب أن يُحرم الفردُ من لغته، فلكلّ مواطن الحقّ في استخدام لغته المحلية والتعلّم بها، وتعليم أولاده اللغة الرسمية، والعمل بها دون وسيط ثان، ودون تدخّل أو طغيان لغة أجنبية أو وطنية على ما نصّ عليه الدستور. ومن هنا فإنّ المواطنة ذات دلالات سياسية ولغوية، فالأمن السياسي لا يكون دون أمن لغوي، والأمن اللغوي يأتي عن طريق التربية والتعليم درساً وتدريساً، وعن طريق الإعلام وعياً وتثقيفاً. ولهذا فالدولة مطالبة بضرورة ضمان حقوق المواطن اللغوية [1]؛ فمن حقّه أن يتعلّم لغته، وبلغته يتلقّى مختلف أنواع العلوم، فتتصّ المواطنة الفعلية على ضمان حقوق المواطن في صون **لغته الرسمية**، وكذلك حرص الدولة على تطويرها وتوظيفها "تتعلّق الحقوق الشخصية بحقّ الإنسان في استعمال اللغة الأمّ في حياته الخاصة وممارسته الثقافية والدينية، ونقلها إلى ذرّيته، وحقّه في تعلّم **اللغة الرسمية** للبلاد إذا كانت مخالفة للغة الأمّ. وفي تعلّم اللغة الأجنبية التي يختارها لأسباب شخصية أو مهنية، وترتكز جميع هذه الحقوق على مبدأ استقلال الإنسان وحريته دون تدخّل من طرف الدولة" [2]. ومن هذا المنظور فإنّ وضع اللغة الرسمية كان يجب أن تحتلّ أعلى مكانة، وأن تُعتمد في جميع الأنشطة والممارسات اللغوية

---

[1]. ينظر كتابي، في الأمن اللغوي. الجزائر: 2010، دار هومة للنشر والتوزيع.

3. عبد الهادي بوطالب "حقّ اللغة المخلوق الحيّ في الوجود والبقاء والتطوّر والوحدة" مجلة لغة الحقّ ولغة القانون. الرباط: 2004، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الجزء 1، ص 24

الرسمية، باعتبارها اللغة الأمّ الجامعة، وأفضل وسيلة للحفاظ على أمن اللغة الأمّ الجامعة (اللغة الرسمية) اعتمادها في التعليم والإعلام والإدارة والتقنيات.

4. مفهوم اللغة الرسمية: هي اللغة الأمّ، وهي تلك اللغة التي تُعتمد في الدوائر الحكومية، وفي الخطابات الرسمية، وفي المناسبات الوطنية، وفي المناقشات في البرلمان، وفي التصريحات الرسمية، وهي لغة التوافق الاجتماعي الذي يتماشى مع مصلحة الأغلبية، ولا يعني ذلك التقصير في اللغة الوطنية، بل عندما تسنّ سياسة تثمين اللغة الرسمية تستفيد منها اللغة الوطنية؛ وقد يؤدّي أحياناً إلى المماثلة في كثير من القوانين، ومع ذلك فإنّه لا بدّ من سياسة مميّزة في أبعاد الاهتمام اللغوي بين اللغة الرسمية واللغة الوطنية، والمساواة بينهما لا يجب أن تطرح، وإلاّ ما الفرق بينهما.

وإنّه لا ننكر سيادة لغة رسمية واحدة على المجتمع، فلا تزال النظم التربوية تفرض على مواطنيها لغة رسمية واحدة يتخاطب بها الجميع؛ وهذا يعدّ من مقوّمات الانسجام الوطني ووحدة الكلمة. وأما التعدّدية اللغوية الوحشية فإنّها في غالب الأحيان تُشعل الحروب الداخلية، وتؤدّي إلى انحلال الدولة أو تكون سبباً في الدعوة إلى الحكم المحلي/ الكونفدرالي، وكلّ الدول التي تحترم نفسها لا تلتجئ إلى التعدّدية اللغوية إلاّ لاعتبارات تخصّ ضرورات الاتّصال أو الوضعية الاقتصادية على أن تكون مؤقّتة، وعلى ألا يكون ذلك على حساب اللغة الرسمية **(اللغة الجامعة)**. فقضية كثرة اللغات في بلد من البلدان، يؤدّي إلى سوق لغوية، أو ليبيرالية لغوية، ولا يكون البقاء عند ذلك للغة الرسمية، ولا للغة الوطنية، ولا للتميّز الذي تحمله الشخصية الوطنية، وهو عامل من عوامل زعزعة الاستقرار الوطني، وأنّ أحد أسباب الحرب التي قامت في صربيا كان بسبب الهُوية التي كان عاملها الثقافة التي تحملها اللغة "إنّ المتمعّن في واقع البوسنة والهرسك سيجد أنّ المشكل ليس لغوياً بحتاً، بل هو مشكل هوية وثقافة وإقصاء الحق اللغوي هو جزء من إقصاء عام للحقوق إذ الحقوق المعترف بها لا يستفيد منها

إلاّ الأغلبية المحلية في المناطق[1]". ولا ننكر بعض المحاسن للتعددية/ للازدواجية اللغوية، وإنّها تجسّدت عند بعض الشعوب، ولكنّهم كانوا يحرصون على اللغة الرسمية (اللغة الجامعة) فهي من المقدّسات ولا تحتاج إلى نقاش "وتتجسّد الثنائية الاجتماعية في كثير من الدول كإسبانيا حيث يعرف الكطلانيون (Catalans) كلّهم اللغة الأمّ الكطلانية، وهم ثنائيو اللغة بنسبة 99 % ومع ذلك يتعلّمون اللغة الإسبانية كلغة رسمية للبلاد ونفس الشيء في فرنسا نجد البروتون Bretons وفي بريطانيا نجد الغاليين Gallois والسويديين في فيسلانة، والجرموفون Germphons في إيطاليا وغيرهم[2]". والذي يهمّ في هذا المجال أن تكون اللغة الرسمية ذات معايير مثلى من حيث:

. لغة الدستور؛

. لغة الأغلبية؛

. لغة الوطنية المشتركة؛

. لغة المواطنة اللغوية.

. لغة موحّدة لمختلف المكوّنات المجتمعية؛

. لغة انفتاح جهوي وعالمي.

وهناك من الباحثين من يضيف:

. الامتداد في الزمان؛ بمعنى لغة السلف؛

. الامتداد في المكان؛ بمعنى ينطق بها في كلّ مناطق الوطن؛

. البعد المستقبلي؛ لغة العلم.

ويجب التذكير بنقطة مهمّة، وهي إنّ اللغة ليست أداة اتّصال فقط، بل هي ثقافة وشخصية ووطنية، وتتعلّق بقضايا الهُوية والعولمة والتطوّر، ولها وظيفة

---

4. محمد الراضي "أنماط السياسات اللغوية والوضع اللغوي في المغرب" مجلة لغة الحقّ ولغة القانون. الرباط: 2004، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الجزء 3، ص 414413.

5. أمينة اليملاحي "اللغة العربية بين التعدّد والرسمية" مجلة لغة الحقّ ولغة القانون" الرباط: 2004، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الجزء 1، ص 184183.

بيولوجية في الإنسان مثل الخلايا بل هي أساس طبيعي للصلات الاجتماعية الحميمية؛ على اعتبار أنّها مؤسّسة اجتماعية من نوع خاص. ولذا فهي وسيلة من وسائل الذات النفسية التي لها الخصوصية في التآلف والتخالف. ويقول المختصّون بأنّ للغة عدة وظائف منها التبليغ/ التعبير/ الإيعاز/ التواصل... وأهمّ وظيفة هي وظيفة التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية (مجتمع المعرفة) على اعتبار أنّها الوجه الآخر لعملة الثقافة فهي التي تدوّن بها ثمار العقول، وتحفظ تراث الأمّة، وتنقله إلى الأجيال، وهي الوجه الحقيقي لتساوي الفرص. وإنّ الشعوب التي تقبل على لغة الغير، سوف تصبح لاحقاً تابعة للغير في اللغة والثقافة والفكر، وهذا كلّه بسبب اللغة التي هي غير محايدة؛ فلها ثقافتها وتوجّهاتها ونمط عيشها فكما تتأثّر فبدورها تؤثّر، والأثر العكسي يظهر سريعاً نحو السلبية عندما تكون لغة ضعيفة وغير تقنية. إضافة إلى ما تنصّ عليه أبحاث علم الاجتماع اللغوي بأنّه من المستحيل تحقيق نمو دائم إن لم يكن مبنياً على أساس نهضة لغوية وثقافية **باللغة الوطنية في المقام الأول** ، وهذا ما لم تستوعبه بعض الجهات الموسومة عندنا بالنّخبة، وكذلك بعض المسؤولين في دولتنا.

5. حقوق اللغة الرسمية: إذا كان الله قد أقرّ باختلاف الألسنة والألوان، ويدخل ذلك في المعجزة الإلهية ﴿ومن آياته خلقُ السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين﴾ الروم 22. فإنّ للغة الرسمية حقوقاً وقد أقرّ بها المختصّون، ولها مقامات تختصّ بها، ولها تميّز تعتمده الدول المتحضّرة، باعتماد عوامل الهُوية والمساواة والتاريخ والمسار المشترك وعوامل البيئة، وحدّدوها في الآتي:

1. حقّ اللغة الرسمية في الوجود والاستعمال العفوي؛
2. حقّ اللغة الرسمية في التعميم؛
3. حقّ اللغة الرسمية في الحماية؛

4. حقّ اللغة الرسمية في استعمالها في التعليم؛
5. حقّ اللغة الرسمية في استعمالها في الإعلام؛
4. حقّ اللغة الرسمية في استعمالها في الإدارة.

وإنّ حدة التنافس الموجودة الآن يدفع بالدولة إلى سنّ سياسة لغوية لحماية اللغة الرسمية، وهذا حقّ من الحقوق التي تقرّ بها الأعراف العالمية، وبات حرياً بأن يُعنى مخطّط اللغة ومُهيئها بجوانب الحقوق والقوانين اللغوية، وهذا شيء طبيعي جداً، فإنّ هذه الحقوق رهينة بتطوّرها وتأهيلها كي تصبح وسيلة سهلة للتبادل المعاصر، وهذا لا يعني الانغلاق على الذات اللغوية، وإلاّ لا فرق بينه وبين الاستلاب اللغوي، فتطوّر اللغة يرتكز على الاعتراف الذي توليه لها مؤسّسات الدولة والتشريع الذي يلزم استخدامها في الأعمال والتجارة والعقود والإعلانات والاتّصال والثقافة، وكلّ ما يجسّد مناحي الحياة.

6. مركزية اللغة الرسمية: تحصل المركزية للغة الرسمية في الدولة/ الأمّة التي لها كيان قديم مركزي متطوّر، يستجيب لآليات التطوّر، وتتماشى معه اللغة بتغيّر سيرورته، وإنّ الجزائر الدولة/ الأمّة ترتبط بالوطن العربي/ الأمّة العربية، ومفهوم الأمّة ليست تجميعاً لشعوب أو خليطاً من الأعراق المشتّتة، بل أمّة لها كيان قديم، وكذلك كنّا. فلهذه الأمّة حقّ الخيار اللغوي، وقد وقع على اللغة العربية وفَصَلَ فيها الأجداد، فلا يمكن ولا يجوز التراجع، أضف إلى ذلك أنّ الشعب الجزائري مسلم، ودين الدولة الإسلام، ولغة الإسلام العربية، وهذا كافٍ للفصل في مركزية اللغة الأمّ (العربية).

وإنّ الدولة/ الأمّة هي الدولة القويّة وهي التي تعمل على تجسيد اللغة الواحدة لا لغات كونفدرالية جهوية، والهدف هو لغة واحدة لمجتمع واحد، **فالوَحْدَة في التوحّد اللغوي التراتبي** وهذا ما تفعله الدول المركزية التي لها السيادة، ومن هنا فنرى الأمم المتقدّمة في العصر الحاضر تُولي لغاتها القومية في التربية والتعليم كلّ الأهمية؛ بغية عدم الوقوع في التشتّت الاجتماعي، فاللغة المشتركة

(اللغة الرسمية) هي التي تُعتمد في التعليم وفي الإعلام وفي الإدارة، وهذا كفيل بخلق الانسجام الجماعي، أضف إلى ذلك أنّ المجتمع الذي لا ينجز نهضة في بلده بلغته الأمّ لا يجاري العولمة، ولا يطوّر نفسه، ويبقى يعيش على هامش الحضارة، فهو مجتمع حَكَمَ على نفسه بالتبعية والاستعباد. وأنّه لا سبيل جديد للمحافظة على الاستقرار الاجتماعي إلاّ باللغة الجامعة فقط، فجميل أن يتحكّم الإنسان في لغتين أو أكثر شرط أن تكون اللغة الأمّ هي الأساس، ثمّ تأتي اللغة الثانية/ الثالثة... إذا كانت لغة العلم المعاصر، ولكن الانسجام دائماً يعود إلى اللغة الأمّ "... المحافظة على الاستقرار اللغوي بين مجموعة الفئات التي تنتمي إليها الأمّة، وتسجّل به تراثها وتزداد الحاجة إلى المعايير كلّما كبرت الأمّة واتّسعت رقعتها الحضارية وامتدّ بها الزمان [1]". وهكذا يعدّ التدبير اللغوي/ التربوي للغات (التخطيط) انشغالاً يفرض راهنيته المستمرّة، ومن ذلك نرى الدول المتقدّمة لا تسمح بالتعامل بغير لغاتها، بل تعمل على خدمة وإعلاء لغتها بما أتت به من جهد، عكس ما نراه ونسمعه عندنا بأنّ اللغة الأجنبية أكثر من ضرورة؛ لغة غنيمة حرب/ مكسب نعتزّ به/ الفرنسية لغة راقية لا مفرّ منها... وهذا بدعوى أنّ اللغة الرسمية الآن (العربية) لا تُنتج العلوم والمعارف، فلا بدّ من اعتماد اللغات المنتجة للعلوم أو الناقلة للعلوم، وبخاصة اللغة الفرنسية. وآخرون يلومون أنفسهم بسوء الاختيار للغة الأجنبية العلمية، فلم نتبنَ اللغةَ المشعّةَ لعلم العصر، حيث إنّ العالم ينظر للغة الأجنبية بما تعطيه من ريادة وعلمية وملاحقة الجديد، وبما تقدّمه من منفعة للغة الوطنية، وهذا ما لم يحصل عندنا منذ الاستقلال؛ لأنّ لغة الاستعمار هي الباقية. ونلمس باستمرار لغة الهيمنة بفعل الانبهار اللامحدود، ويا حبّذا لو كانت هيمنة اللغة بفعل ما تدرّه تلك اللغة من تقنيات.

---

6. نعمة رحيم العزاوي، مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة. العراق: 2001، منشورات المجمع العلمي العراقي، ص 146.

7. موقع اللغة العربية في هذه المركزية: إنّ الجزائر أمّة ودولة مركزية بلغة رسمية واحدة منذ الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا، وبتراتب لغوي خاص: لغة رسمية (عربية) منذ عهد عمر بن عبد العزيز؛ أي في بداية 100 للهجرة ← لغة وطنية (المازيغيات) وكانت لها وظائف تواصلية عادية، وليست بلغة السيادة والإدارة ← لغات أجنبية، وقد تعدّدت (إسبانية/ تركية/ فرنسية) مع فترات ومقامات كلّ واحدة، وقد بقيت آثارها إلى الآن. الجزائر دولة أمّة نمت فيها التعدّدية اللغوية بشكل تراتبي علمي وفق بنيان دمِ المجتمع وتطلّعاته وتاريخه. ومن هنا كان يجب الفصل بين السلطة والدولة الوطنية (الأمّة) فالسلطة زائلة، والدولة الأمّة باقية، فالمواطن يتعامل مع السلطة بمفهوم الدولة الأمّة، وهذا هو الرهان الذي يجب أن نربحه، ومن الحكمة تطوير السلطة إلى الدولة الأمّة لبناء مؤسّسات تحافظ على المكتسبات وتساير الأحداث ولا تزول بزوال المسيّرين. ولكنّنا في واقعنا نجسّد قوة السلطة التي تتعامل مع الحدود الدنيا الضيّقة، ومع واقع متهرئ، فإذا حدث شغب/ مظاهرات تستظهر السلطة ورقة حالة الطوارئ، وتوقف العمل بالدستور، وتلغي كلّ أشكال الديمقراطية إلى غير رجعة أحياناً؛ لأنّ نظرتنا ضيّقة جداً، فالسلطة عندنا لها الأمر والنهي والمؤسّسات تخضع لأوامر السلطة، وهنا المفارقة بيننا وبين الدول المتقدّمة؛ فبريطانيا تقدّمت بالإصلاحات التي قدّمتها منذ القرن السادس عشر، وجسّدت فيها قوة الدولة البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس، وجسّدت قوة اللغة الإنجليزية التي أصبحت لغة علمية عالمية لا يعلى عليها في الوقت الحالي، ولا تحتاج إلى القوانين، وكذلك اللغة الألمانية التي جسّدت لغة واحدة من ثلاث لغات كانت متداولة، وأنّ فرنسا تحضّرت منذ الثورة الفرنسية التي جسّدت قوّة اليعاقبة les Jacobites في أنّهم أمّة فرنسية بلغة فرنسية موحّدة، وهي لغة جزيرة فرنسا، وجسّدها جول فيري Jules Ferry بما استخدمه من علمية وسلطة وإجبار. وعملت الحكومات الفرنسية على استبعاد كلّ اللهجات إن لم نقل مَحْوها، وأنّ الآسيويين منذ اهتمامهم بقضية التعليم ووطنية

الثقافة خرجوا من التخلّف، وبنوا أمجادهم بلغاتهم التي لا محيد عنها في تجسيد الوجود والهوية... وهذه الأمم المتحضرة لم تُعد النظر في ما خطّطه القدماء؛ لأنّهم كانوا يستهدفون بناء الدولة الأمّة، ويخطّطون للمستقبل وفق أداء الواجبات وأخذ الحقوق، بشريعة الديمقراطية التي تنبع من الدولة الأمّة.

إنّ كلّ الأمم تضع سلامة اللغة الرسمية/ اللغة الأمّ هي الأساس؛ حيث تجعل لها علامة أو مُعامِل أعلى يقع الاهتمام بها وفيها، والراسب في الجانب اللغوي راسب مهما حصّل من العلامات وهكذا يفعل الألمان والفرنسيون. وإنّ اللغة العربية رأسمال قوي للعرب وللمسلمين وللعالم، ولغة بينية بين المجتمعات العربية، وهي لغة التعليم والتعلّم في العالم العربي وعبر العالم، وهي أقوى لغة سامية على الإطلاق، وفي الوقت الحالي لغة التكامل الاقتصادي، ولغة الإعلام ولغة الشابكة. وأما قضية اللغة الرسمية؛ فهي لغة رسمية لاثنتين وعشرين دولة، ويضاف إلى دول أخرى اتّخذت العربيةَ لغةً رسمية إلى جانب لغتها، فتأتي في الرتبة الثانية بعد الإنجليزية التي هي لغة رسمية في 48 دولة. علماً أنّ الفرنسية لغة رسمية في 27 دولة، والإسبانية لغة رسمية في 20 دولة، ولكن نجدهما لغتين رسميتين كلغة ثانية.

ولقد بات حرياً الاهتمام باللغة الأمّ (العربية) ويعني تسويغ دولة واحدة، ولغة واحدة ووطن واحد باعتبار العربية لغة رسمية لها صفة المركزية والرمز والعلم، وأن تُولَى لها العنايةُ في التدريس في كلّ المراحل، وفي مراكز البحوث والدراسات المتقدّمة، ولا يعني الانغلاق والابتعاد عن الثقافات الأخرى، ولكن أن تكون للعربية السيادة؛ باعتبارها لغة الجميع والقاسم المشترك، وهذا المقام حصلت عليه بفضل مزاياها التالية: أداؤها لوظيفة التواصل في كلّ الميادين، أداؤها لوظيفة التربية والتكوين، أداؤها لعملية الإعلام، أداؤها لخصائص التثقيف، جمعها وشملها الوطني والعربي في وحدة وانسجام... كلّ ذلك يجعل منها اللغة التي

تعمل على التناغم المجتمعي، وعلى أنّها لغة الانسجام الثقافي والسياسي لبناء كيان وطني قوّي ومتماسك. ومع ذلك تحتاج إلى:

- النفاذ إلى مصادر المعرفة؛
- الحاجة إلى استيعاب المعرفة؛
- الحاجة إلى التطوير الداخلي.

وإنّه لا يمكن نكران بعض الصعوبات التي تعاني منها اللغة الرسمية، من مثل: غياب الشكل/ نقص في الترجمة والتأليف/ نقص في كتب قواعد معاصرة/ اضطراب في المصطلح/ ضعف إدارة المسألة اللغوية/ افتقارها إلى سياسة لغوية كافية/ تقصير المجتمع في حماية لغته/ العداء الداخلي والخارجي/ ضعف الإرادة السياسية... ولكن هذه الأمور سوف تُحلّ إذا وقع الاهتمام بها وتجسّدت لغةً مركزية بتأهيل متكلميها إبلاغاً وثقافة ومعرفة؛ بهدف تعزيز الهوية، والوعي بأنّ العربية في تنوّعها ومستوياتها هي كلّ يمثل الهوية اللغوية للمواطن العربي، إضافة إلى وضع الخطط اللغوية ووسائل النهوض، وإقامة المؤسّسات وسنّ التشريعات، وضرورة ربطها بالتنمية الاقتصادية وتنمية مجتمع المعرفة.

8. واجبات الدولة تجاه اللغة الرسمية: إنّ ارتباط اللغة بالقانون مجال خصب لتداخل المعارف وتظافرها، كما أنّ استعمال اللغة الرسمية من قبل الدولة يكسبها قيمة في نظر المواطنين، ولذا فإنّ اضطلاع الدولة بمهامها اللغوية مسؤولية لا مجال للخوض فيها، فمن أهمّ واجبات الدولة تدبير الوضع اللغوي للغة الرسمية عبر:

"1. تنمية اللغة أو اللغات الوطنية؛

2. إيجاد حلّ متوازن للعلاقة مع لغات الأقليات الداخلية إذا اقتضى الحال؛

3. تنمية اللغة الإنجليزية بوصفها لغة التواصل الدولي والبحث العلمي والتكنولوجي المتقدّم؛

4. تنمية اللغات الأجنبية الأخرى بقدر ما تمثّله من منفعة في العلاقات مع الدول القريبة أو الصديقة[1]".

إنّ من واجب الدولة التدخّل لحماية حقوق اللغة الجامعة، وحقّ الأفراد في استعمال اللغة الأجنبية التي يرغبونها، ولا يجب أن تكون الدولة تعمل بسياسة النعامة، فهي في العلن مع التعريب، وفي السرّ مع التفرنيس، مع العربية باعتبارها لغة رسمية لها قيمة قصوى في ما تحمله من مقدّس ولكنّها أقلّ قيمة حسب المبدأ الوظيفي؛ وهو مبدأ السلطة الفعلية الذي منح للفرنسية تلك المكانة، هذه اللغة (الفرنسية) التي لها فئات بورجوازية جديدة نقلتها إلى محل الصدارة في الإرادة والاقتصاد. ولقد لاحظنا تذبذباً في الرأي، فلغة الرمز والسياسة والتاريخ والإرث كلام قاله المعرّبون ذات يوم في خطاب منافحات عن الهُوية العربية والانتماء للعروبة، وهو خطاب لازَمَ مراحل التعريب وليس له محلّ الآن، ويمكن التلويح بورقة الحركات البربرية التي تنادي برفع الظلم عن مواطنة المازيغية على اعتبار أنّ مواطنتها سلبتها اللغة العربية... ولهذا من واجب الدولة الحسم في المسألة اللغوية، فكلّ الشعوب حسمت أمر اللغة، ما عدا الدول العربية والجزائر منها، فترى أنّه ليس من اللازم أن لا يوجد قرار قاطع، فندع المسألة للوقت، وهو كفيل بتجسيد العربية. وهذا ليس من كلام المختصّين، وهو في الحقيقة استمرار للتخلّف والتبعية والجهل؛ لأنّ القرار الصارم يترك الشعب يهتمّ بمسائل أخرى، بدل أن ندور حديثه وتفكيره في لغات المدرسة.

9. الوصفة العلاجية: ليكن منطلقنا من فعل الأجداد، أو بدءاً من الحركات الوطنية؛ فلقد سنّوا تعدّدية لغوية واضحة، وكان الأجداد ورجال الحركات الوطنية عن العربية دفاعاً قوياً رغم الحدّ الأدنى ممّا يملكونه من رصيد هذه اللغة، ففي الوقت الحالي نريد ضمان الرسمية بخطط وسياسات محكمة للقضاء على الميز

7. عبد السلام الشدادي "الوضع اللغوي المغربي بين إرث الماضي ومقتضيات الحاضر" مجلة المدرسة المغربية. المغرب: 2011 المجلس الأعلى للتعليم، العدد الخاص بـ (اللغات في المدرسة المغربية) ص 47.

اللغوي، ونريد تعريباً فاعلاً على أساس رسمية اللغة العربية، كما يجب حمايتها دون ادعاء أيّ صعوبات تقنية أو تربوية، ونريد أن نتباهى بالخصوصية اللغوية التي لا تعني الانعزال، فهل الذين نادوا بالاستثناء الثقافي L'exception culturelle على خطأ؟ فلمَ لم يقولوا لـ Jacques Toubon إنّك من أعداء التعدّدية، ولم يصنّفوه من إرهابي اللغة، لماذا لا نتعلّم من أولئك الذين يريدون للغتهم التنوير والتوسيع ونيل المساحات الكبرى خارج موطنها، فهم الاستثناء في أنّ البريد الإلكتروني يطلق عليه تقريباً مصطلح عالمي هو: e-mail ونجدهم يستعملون courriel أو courrier électronique وهم وحدهم الذين ينادون دائماً بمراعاة الخصوصية الثقافية. أليست فرنسا التي أنشأت وزارة خاصة للمحافظة على الهُوية الفرنسية بعد تزايد المجنّسين، واشترطت شرطاً واحداً وهو إتقان استعمال الفرنسية للاندماج في المجتمع الفرنسي، أليست اليابان متميّزة بتجانسها بفعل اللغة الوحيدة التي يتكلّمونها ويستعملونها، وذات الشيء تمتاز به تركيا رُغم ما يتواجد فيها من سيّاح... فما أحوجنا إلى الاهتمام باللغة الرسمية (العربية) كأداة تواصل وتفكير وانفتاح على التقانات المعاصرة، وما أحوجنا إلى مراجعة الذات للقضاء على عقدة التخلّف، واحترام قانون التنوّع الثقافي اللساني التراتبي. ما أحوجنا في هذه المرحلة إلى الانخراط بسلاح الهُوية القائمة على ثوابت الدين واللغة والتراث ومواكبة الجديد والانخراط في حركة الحداثة، وتشجيع البحث اللساني والبحث التربوي، وإعادة النظر في طرائق تدريس العربية؛ باعتماد طرائق علمية تفاعلية في إعداد معلم العربية، وإصلاح العربية في مناهجها التربوية وأدواتها التقنية والحاسوبية، وسنّ سياسة لغوية تراتبية، ودعم لغة واحدة، والاهتمام باللغة الوطنية، وجعل النصوص المُصاغة بالعربية مرجِعاً أولاً، وتجنيد المجتمع المدني لحماية المكتسبات اللغوية للعربية.

وتكون الوصفة بهذا السلّم التراتبي العلمي، ووفق مقتضيات ما تتطلّبه كلّ لغة:

اللغة الرسمية = العربية

↓

اللغات الوطنية (المازيغيات)

↓

اللغات الأجنبية (بصيغة الجمع) اللغات الأجنبية

ويمكن تحديد بعض الأطر في هذه الوصفة:

1. اللغة العربية: تعميمها والعمل بها في مختلف المرافق. ويقع التنصيص على أن تكون لغة التعليم في مختلف المراحل التعليمية، ولغة الإدارة، ولغة الإعلام. ويعمل على ترقيتها داخلياً وخارجياً.

2. المازيغيات: تعليمها خارج الزمن المحدّد للغة الرسمية في مناطقها، كلّ منطقة تتعلّم آداءها وثقافتها وتراثها، وفي وطننا هناك ستّة آداءات وهي: قبائلية . شاوية . ميزابية . ترقية . شنوية . شلحية. ولا يجب أن تكون هذه اللغات إجبارية خارج مناطقها، وتعمل الدولة على حماية تراث المازيغيات وثقافاتها.

3. اللغات الأجنبية: العمل باللغات التي لها تقدّم علمي، وأن يتأخّر تعليمها إلى ما بعد السنة الرابعة ابتدائي، ويكون لولي التلميذ الخيار في اللغة التي يرغب أن يتعلّمها ابنه. كما أن يكون الاهتمام بتعلّم لغات الأقطاب العلمية، وأن يقع الاهتمام بتدريس اللغات الشرقية. ولا يجب أن نقع فريسة للغة واحدة، بل أن نعمل بسياسة النفعية اللغوية؛ فحيث وُجدت مصلحتُنا في لغة فنأخذها إلى غاية نهاية النفعية.

. الخاتمــة: لا يجب أن ننسى أنّ اللغة الرسمية أداة تواصل، وامتلاك السلطة وممارستها ووسيلة لهيكلة المجتمع، وهي كذلك خزّان للرموز والقيم الجماعية، وعنوان للهُوية، فكان لا بدّ للحاكم السياسي أن يعمل على المحافظة على هذا الخزّان الرمزي؛ بوضع لغوي مركزي مستنده اللغة الأمّ/ اللغة الرسمية، وبتعددية لغوية تراتبية. وإنّه بعد مرور خمسين عاماً على الاستقلال لا نزال ندور في المسألة اللغوية، ولم نستطع الفصل في قضايانا اللغوية، فنلاحظ تساهل الدولة

في تطبيق القوانين، وعدم فتح الملف اللغوي للمناقشة، وجمود بعض المؤسّسات اللغوية ذات العلاقة بترقية اللغة العربية، وازدياد الدعم الخارق للغة الفرنسية، وغزو مساحة الإعلام بالجرائد المفرنسة... والقضية المهمّة في كلّ هذه الأمور هي التساهل والتسامح في استخدام الفرنسية من قبل السلطات الرسمية، فهل يمكن لرئيس دولة فرنسا أن يخاطب شعبه بغير الفرنسية، ألا تقوم القيامة عليه لو يفعل ذلك، وهل يمكن للتلفزيون الفرنسي أن يستضيف أحداً يتحدّث بالعربية أمام المستمعين الفرنسيين، فهذا من المستحيلات، وهل يمكن لمواطن من كطلان أن يتحدّث بالكطلانية في البرلمان الإسباني، واللغة الكطالانية لغة وطنية في إقليم الكطلان، ما حدث ذلك ولن يحدث أبداً... وإنّ عدم استخدام العربية في مواقعها احتقار للشعب الجزائري، وإهانة كبيرة تصل إلى درجة الإجرام، وإذا كنّا نريد الديمقراطية؛ فالديمقراطية الحقيقية تقتضي احترام لغة الشعب والعمل على تطويرها وأثبتت الممارسات النزيهة بأنّ كلّ الشعوب المتحضّرة لا تتسامح في لغتها تعليماً واستخداماً، وأنّه لا جدال في المسألة اللغوية إلاّ في ما يخصّ التدبير العام، أو ما له علاقة بالمنهج المتبع، وأنّ اللغة الرسمية/ الأمّ تُتعلّم إجباراً في المراحل الأولى بدءاً من الروضة إلى المرحلة الابتدائية؛ لأنّ هذا التعليم الأولي هو الأساس المتين والقاعدة لبناء شخصية متكاملة دون تشتّت عقلي، واختلاط ثقافي وقيمي، وهذه مستلزمات تأخذ بها الأمم الراقية، فهل نحن نسعى أن نرتقي أم نريد تجسيد البقاء في التخلّف؟

في الحقيقة لا نحتاج إلى قوانين ولا إلى مراسيم لحماية هُويتنا اللغوية، بل إنّ الأمر يدخل في الشأن العام، فالعربية لغة رسمية، وهي جزء لا يتجزّأ من ثقافتنا، وأما القانون فيصدر من باب التنظيم فقط، والإشكال الذي يطرح عندنا هو في مدى الاهتمام الوطني بثقافتنا وبلغتنا، وفي مدى اهتمام الجمعيات والمجتمع المدني بالعربية، ومدى تجنيدها للمجتمع للدفاع عن لغته. وفي الحقيقة إنّ التعاطي مع هذه المسألة يجب أن تكون بحذر ودراية وعلمية بأنّ وجود لغة

مشتركة في البلاد تعمل على وحدة الأمّة وتماسكها الاجتماعي، وتعمل على تسريع وتيرة التنمية، وتؤدّي الوظيفة الرمزية مع الهُوية الوطنية التي لا خلاف فيها. ولذا يقتضي منّا جميعاً الرجوع إلى الحقائق التاريخية ومقتضيات الشرعية الدستورية الصادرة عن الجزائريين بإرادتهم الحرّة، وفي ما نصّ عليه الدستور الجزائري، وترسيخ مبدأ (**معرفة العربية واجبة، وتولّي المناصب والترقية بها لازمة).**

. المقترحات:

- . وضع سلّم تراتبي وطني لمقام اللغات: عربية فمازيغية ثمّ اللغات الأجنبية؛
- . الاهتمام بقوّة باللغة الرسمية، والعمل على ترقيتها والرفع من مردوديتها؛
- تدبير شأن اللغة المازيغية ترقية وثقافة، وتدريسها ضمن أرومتها اللغوية: السامية الحامية؛
- . إدراج مادة الترجمة من وإلى العربية في كلّ الاختصاصات؛
- . تدريس مادة المصطلحات بالعربية في الفروع العلمية؛
- . إدخال تدريس مادة المعلوماتية بالعربية في المدرسة؛
- . العمل بالنفعية اللغوية في تعلّم اللغات الأجنبية؛
- . اختيار اللغة الأجنبية في الابتدائي من قبل الأولياء؛
- . التنويع في تدريس اللغات في المراحل الجامعية بناءً على الاستحواذ اللغوي للغة الأقطاب.

التعدّد اللساني وحرب اللغات

د. السنوسي مسيكة – جامعة ورقلة

ممّا لا شكّ فيه أنّ تعدّد واختلاف اللغات يعتبر خاصية أساسية لدى النوع البشري والذي يميّزه عن سائر المخلوقات غير الناطقة ولا العاقلة. و إن التعدد اللغوي مع كونه ثراءا لسانيا وثقافيا ومجتمعيا إلا أنه قد يتحول أحيانا كثيرة إلى وسيلة صراع بين جماعات أو دول أو إثنيات، فيصبح التعدّد اللغوي سببا لإبراز الاختلاف ولإنكار الآخر وتهميشه. فتحتدم الصراعات اللغوية وبذلك الإيديولوجية

للسمو بلغة ضدّ أخرى، وتُقَدّم الحجج العلمية، الإقتصادية، الثقافية وحتى السياسية لنصرة جبهة لغة ضد جبهة لغة أخرى مما قد يؤثّر سلبا أو إيجابا على السياسة اللغوية في بلد أو آخر.

إن دراستنا ستحاول استنطاق مفهوم "حرب اللغات" حسب وجهة نظر علماء اللسان وعلاقته باللغة الوطنية والهوية (العربية الاسلامية) في ظل التعدّد اللغوي والثقافي. كما ستعرض دراستنا إلى بعض النماذج التي تقترح حلولا للغة جامعة وفقا لوجهات نظر متعددة. فهل من الممكن أن توجد لغة جامعة في بلد تتعدد فيه الألسن؟ وما موقف المُنظِّرين في ظل حرب اللغات من الهيمنة اللغوية؟ وما هي الإعتبارات الموضوعية أو الذاتية التي يعتمدونها؟

في حين تعلو الأصوات الدولية لصالح عولمة إقتصادية، ثقافية، إجتماعية تحت راية شعارات ومصطلحات جديدة وبراقة اتخذت من التواصل السريع والفعال الذي تتيحه التكنولوجيات الحديثة كوسيلة -مصطلحات مثل المثاقفة، التعايش، التسامح، القرية الكونية، الثقافة العالمية، تصبح القضية اللغوية قضية رئيسة وشائكة. فمن جهة، تثبت اللغة الانجليزية لغة القوة الدولية الأولى، أمريكا - صاحبة السيادة الإقتصادية والتكنولوجية، وجودها كلغة مهيمنة على الساحة العالمية، فينادى بتوحيد شعوب العالم بأسره تحت مظلة لغة أحادية، للتكنولوجيا، الأعمال، الإقتصاد والدبلوماسية. ومن جهة أخرى ينادى بضرورة إعطاء مكانتها للغات واللهجات المحلية في حرب ضروس لنصرة الأقليات اللغوية، وبالخصوص في دول الجنوب. فكما يرى حسن حنفي إن "مخاطر العولمة على الهوية الثقافية إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية. (...) وتقذف عليها مفاهيم جديدة أشبه بالسوط على ظهر من لا يدخل بيت الطاعة في نظام العالم الجديد: حقوق الانسان، حقوق الأقليات، حقوق المرأة. وقوى الدعم الغربي لمراكز حقوق الشعوب. وانتشرت البحوث عن الأقليات العرقية والطائفية من أجل إبراز الخصوصيات والتعدديات

الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة، ووحدة الوطن، ووحدة التاريخ، ووحدة المصير."[1]

إن البحوث التي تجرى حول الأقليات وهوياتها أثمرت أحيانا كثيرة حركات ومطالبات للإعتراف بثقافاتها وخصوصياتها، ومن بين تلك الخصوصيات الاختلاف اللغوي المنبثق من ماض متأصل في التاريخ. فكان ذلك سببا رئيسا لخلافات ومواجهات بين بني الوطن الواحد أدى الى حروب لغوية يشتكي أطراف منها من التهميش والإذلال الممارس عليهم، ويحاول الطرف الآخر مهاودة الجبهة اللغوية المضادة بإتباع سياسات لغوية كفيلة بإرضاء الأغلبية. فكيف يا ترى تتصارع اللغات؟ وما معنى مفهوم حرب اللغات؟

يرى ڤي ڤوتييه[2] أن "اللغات لا تقوم بالحرب. البشر، بلى. (...) الأديان لا تقوم بالحرب، لكن هناك حرب أديان."[3] فاللغات حسب ڤوتييه تعتبر وسيلة لتبرير صراعات واختلافات أشد عمقا مما يستوجب إخفاءها تحت مسمى الاختلاف اللغوي. فالدين، الأرض واللغة كانوا من بين أهم الأسباب والدوافع لقيام حروب حادة بين بني البشر. ويتساءل ڤوتييه: ما الذي يا ترى يدفع لإعلان الحرب لأسباب لغوية؟ ويجيب موضحا أن هناك عدة حالات لوقوع مثل تلك الحروب: فقد يفرض المستعمر، الذي أصبح سيدا في البلاد، لغته على الشعب المستعمر وذلك من أجل بسط سيادته، وتفرض هذه اللغة إما بانتهاج سياسة لغوية لصالح لغة المستعمر (كما هو الحال في جزائر العهد الاستعماري)، وإما كذلك بطريقة تلقائية غير مخطط لها، كأن يضطر الشعب المغلوب على أمره الى استعمال لغة العدو لأجل نيل مصالحه أو تأمين نفسه. أما الحالة الثانية المسببة لاندلاع مثل هذه الحروب فتكون عند تشبث الجماعة اللغوية المغلوبة بلغاتها، لأنها ترى في

---

[1] حسن حنفي، صادق جلال العظم، *ما* العولمة؟، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص51.

[2] نحن من قمنا بترجمة جميع المقولات المأخوذة من مراجع باللغة الفرنسية.

[3] Guy Gauthier, « Une question controversée », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.7-9.

اللغة المقوم الوحيد للهوية (مثل الفرنسية في كيبك)، أو لأن ذلك يعتبر الطريقة الأمثل لمواجهة عدوها والكيل له بمكيالين. أما عن الحالة الثالثة التي يذكرها ڤوتييه فمفادها أن الاحتجاجات اللغوية تستقي من نبع الحقل الثقافي ويرى أصحابها أن الأحادية (سواء كانت لغوية أو ثقافية) لا ينجر عنها إلا عقم ثقافي وملل، ويؤيد جاك لانغ هذا الطرح حين يؤكد أن "الأحادية اللغوية تؤدي إلى الرتابة."[1]

مصطلح حرب اللغات استعمل لأول مرة من قبل لويس جان كالفي في كتابه حرب *اللغات والسياسات اللغوية* [2]. والمصطلح ليس إلا إستعارة، إذ يشرح عالم اللسان صاحب هذا المصطلح بأنه ليست هناك في الواقع حرب لغات ولكن هناك حرب ثقافات، جماعات، شبكات أو شعوب والتي نستشفها من خلال العلاقات القائمة بين اللغات [3]. يقول كالفي: " إذا اعتبرنا "حرب اللغات" مجرد مظهر لغوي لصراعات أخرى، قد تكون سياسية، إقتصادية، ثقافية أو إثنية، فمن الواجب إذن أن نتساءل عن الصراع المتواجد خلف مطالبة لغوية ما، وما الذي تعنيه هذه المطالبة اللغوية؟ (...) من هنا فان كل اقتراح لسياسة لغوية مختلفة في بلد معين هو عرض لسياسة مختلفة، وهو تصور مختلف للدولة."[4]

وقبل أن نخوض في الحروب اللغوية، فإننا نتساءل: هل التعدد اللغوي هو الأصل بالنسبة لبني البشر أم الأحادية اللغوية هي الأصل؟ وهل التعدد اللغوي ضرورة في المجتمع أم هو معضلة لسانية، ثقافية، إيديولوجية، سياسية؟ سنحاول الرد على هذا التساؤل من خلال استعراض أطروحات مختلفة باختلاف الثقافات والمرجعيات.

---

[1] Jack Lang, « L'amour de Babel », », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.128-130.

[2] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, Hachette Littératures, Paris, 1987, 1999.

[3] Louis-Jean Calvet, « La guerre des langues et les chances d'un véritable plurilinguisme », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.10-16.

[4] نفس المرجع.

يزعم المسيحيون في إنجيلهم -وهو ما يعرف بأسطورة بابل التي تقوم عليها دراسات تاريخ اللغة في الغرب، أن البشر جميعهم كانوا يشتركون في نفس اللغة فعندما هاجروا من الشرق وجدوا هضبة أغرتهم لبناء مدينة لكي يستقروا بها ولا يتشردوا من جديد، وأزمعوا على إنشاء برج عالي تخترق قمته السماء. فهبط الرب لرؤية المدينة والبرج فكان أن قال: "هاهم بنو البشر يكونون شعبا واحدا له لغة واحدة. إنهم ما داموا قد توصلوا إلى تحقيق هذا الإنجاز فإنه لن يثبطهم أي شيء عن تحقيق غيره، وإنهم لن يعرفوا المستحيل. فلنخلط لغاتهم حتى لا يفقه أحدهم ما يقوله الآخر." ثم قام الرب بتشتيتهم على ربوع الأرض وتوقفوا عن بناء المدينة. منذ ذلك الحين أصبح إسم المدينة بابل، Babel، والتي اشتق اسمها من الفعل "bâlal" الذي يعني بالعبرية "فرّق"، فتفرقت وتعددت اللغات.[1]

وتأتي رواية يهودية [2] مدعية أن بني البشر كانوا يتكلمون جميعهم نفس اللغة. فكان الجميع يتحدث عن الجو وتقلباته، ويعبر الرجال والنساء عن استيائهم بعضهم من بعض، وكانوا يشتكون من المرض ومن اقتراب الموت حتى سئم بعضهم من حديث بعض لأن الجميع كان يعلم مسبقا ما سيقوله الآخر، فلم يعد أحد منهم يعير اهتماما لكلام الثاني حتى عمّ الصمت الرهيب بين بني البشر لأن أحدا لا يريد سماع الآخر. ففكر الناس في بناء برج عالي للتخلص من اللامبالاة ومن الملل الذي عمّ بينهم. فراحوا يشيدون هذا الصرح في صمت الموتى. وكان الرب ينظر إليهم بابتسامة رحمة فقرّر إخراجهم من هذه الورطة بأن خلق لهم لغات ولهجات عديدة ومختلفة من أجل إيقاظ الفضول والإهتمام بين الناس من جديد بعد أن فقدوهما جراء لغتهم الموحدة. فمن طبع البشر أنهم فضوليون إزاء ما غاب عن إدراكهم وملولين مما ألفوه، فكما تقول العرب "إذا عُرِف السبب بطل

[1] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*

[2] انظر « Pourquoi Dieu a créé des langues multiples? », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, p.17.

العجب"، وكذا بالنسبة للغات فإذا تمكن الإنسان من لغة زاد فضوله لمعرفة لغات أخرى بكل ما تحمله من جديد ومن غريب.

هذا ما ادّعته الأساطير المسيحية اليهودية، أما القرآن فقد جاء بحقيقتين أساسيتين: أولاهما أن اللغة هي من تعليم الله عز وجل للانسان، وثانيهما أن تعدد الألسن هو آية من الآيات المعجزات الدالة على قدرة خالق الانسان والأكوان. فقد صرّح النص القرآني بهذا من خلال آيات عديدة بدؤها قصة تعليم الله عز وجل اللغة لآدم: "وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿ ٣١﴾قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ ٣٢﴾قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿ ٣٣﴾"[1] فهي دليل، كما يوضحه علاء الدين المدرس، على أن المولى عز وجل "ميزه (آدم) عن باقي المخلوقات بالعقل والارادة والقدرة على النطق والتفاهم مع بني جنسه من البشر، وعلمه البيان الذي يستدعي قدرة التعبير عما يجول في خاطره وأعماقه من أفكار ومشاعر، وما يراه أمامه من مشاهد، ويستوجب ملكة الإستيعاب وقدرة الفهم لما يطرح أمامه من أفكار ومفاهيم معنوية ومادية."[2]

ويستطرد المدرس حول مقصود الآية المذكورة أعلاه بأن "معنى ذلك أن الله سبحانه قد علم آدم اللغة البشرية تامة كاملة. وتتمثل هذه النظرية أو الأطروحة القرآنية، في أن اللغة لدى الانسان هي – في الأصل توقيف إلهي محض. وهو توقيف تعليمي تلقيني مطبوع. بالنسبة لآدم عليه السلام أبي البشر، ومن ثم

---

[1] سورة البقرة31-33.

[2] علاء الدين المدرس، عولمة اللغة و التاريخ وفق المنظور القرآني و مسطرته، عالم الكتاب الحديث، إربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان،2008، ص75.

أصبح ملكة فطرية مجبولة بالنسبة إلى بني البشر. وتكون فيهم ذاتيا، في حيز القوة والامكان والإعداد[1]"

وتؤكد الدراسات السوسيو لسانية أن التعدد اللغوي واقع لا مفر منه. حيث يشير لويس جان كالفي أنه من الصعب عدّ جميع اللغات المنطوقة على وجه البسيطة، فباعتبار أنه هناك 5000 لغة موزعة على 200 دولة فهذا يعطينا معدلا ب 25 لغة بكل بلد مما يوضح أن الوضع الأكثر شيوعا هو التعدد اللغوي وأنه لا وجود لدولة أحادية اللغة. لكن حسب كالفي "اللغات ليس لها جميعا نفس الوظائف، ولا نفس الدور الاجتماعي، ولا نفس الانتشار. فبعضها محصور على جماعات محدودة، أو بعض العائلات، أو قرية أو قبيلة. والبعض الآخر، وهي الأقل عددا، لديها مئات الملايين من المستعملين." [2] أما عن كيفية تقييم أهمية هذه اللغات المختلفة من حيث الاستعمال، فيرى كالفي أن بعض الصفات التي تطلق عليها (لغة أقليات، لغة جهوية، لغات صغرى أو كبرى، لغات أقل استعمالا، لغات ناقلة، لغات عالمية) لا تعطي صورة علمية موضوعية بل تخضع أحيانا كثيرة لإيديولوجيات أو لمنطق القوة والهيمنة. ولهذا تُصنَّف بعض اللغات كعالمية مثل لغات العمل داخل الهيئات العالمية – ONU،OUA، Unesco– في حين يتم تهميش اللغات العالمية الفعلية والمستعملة في مساحات جغرافية واسعة. ويضيف كالفي أن أي لغة أو لهجة كانت حتى وإن جاءت من أدغال إفريقيا أو الأمازون فهي قابلة للتحليل والدراسة بشرط أن يتم تجهيزها لغويا، لكن يجب الحذر من الاعتقاد أن جميع اللغات متساوية على المستوى الاجتماعي، فهذا التفكير ايديولوجي وغير عقلاني: "إنه من المثالية الاعتقاد بأن ما يقارب 5000 لغة لديها جميعا نفس الوزن، نفس القيمة التجارية، نفس الاستعمالات،

---

[1] نفس المرجع، ص82.

[2] Louis-Jean Calvet, « La guerre des langues et les chances d'un véritable plurilinguisme », pp.10-16.

نفس المستقبل: في الواقع يوجد ما يمكن أن نسميه ب "بورصة اللغات"، بتطوراتها، وتحولات قيمتها، الخ، كما هو الأمر بالنسبة لأسهم البورصة."[1]

ويؤكد عالم اللسان مرة أخرى أن كل لغة تسمح لمستعملها بكتابتها، قراءتها، تعليمها إذا تمت تهيئتها، لكن هذا لا يعني أن اللغة المهيئة قابلة لأن تلعب نفس الدور الذي تقوم به لغة وطنية أو عالمية موجودة فعليا، فلا بد أن تتناسب مع متطلبات المجتمع وتكون لها وظيفة اجتماعية."[2] ولعلى المثال الأقرب إيضاحا الذي يذكره كالفي هو اللغة العبرية التي أعيد إحياءها بعد أن أضحت ضمن قائمة اللغات الميتة وتمت تهيئتها من أجل لعب أدوار جديدة، فكانت إعادة بعثها نتاج تحولات إجتماعية، سياسية، دينية ووطنية خلّفت بناء دولة إسرائيل اليهودية. وأخيرا يرى كالفي أن "اللغات ليست صروحا مهددة بالسقوط والواجب ترميمها، ولا أنواع آيلة للزوال فيجب حمايتها، بل هي نتاج البشر وممارساتهم الإجتماعية، وهي نتاج التاريخ وتتحول بتحوله."[3]

وهنا إذن يطرح السؤال: هل يعد التعدد اللغوي معضلة لسانية؟ نحن نشارك جاك لانغ JACK LANG الرأي حين يعقب: "إن التعدد اللغوي ليس عقوبة، بل هو فرصة وحتمية أخلاقية، ثقافية، اقتصادية،..."[4]

نعم، فكما أن اختلاف الألسن واقع فهو كذلك حتمية . غير أن مواقف الشعوب أصحاب القرار المنظرين من تعدد اللغات هو ما يسبب غالبا الإشكالات المثارة حول هذه المسألة . فمنذ عدة قرون بدأت المقارنات بين اللغات ووظائفها، ولأن الإنسان لا يميل إلى من يخالفه فلم تكن "أغلب الدراسات تتمحور حول البحث عن المعلومة، بل كانت تنحى خاصة لإظهار أن كل اللغات ليس لها

---

[1] نفس المرجع

[2] نفس المرجع

[3] نفس المرجع

[4] Jack Lang, « L'amour de Babel », », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.128-130.

نفس القيمة، أنه هناك لغات دنيا لغات عليا ."[1] ولم تنحصر المقاربات المقارنات على اللغات في حد ذاتها بل ذهبت تقارن المؤلفات حسب الخصائص الجسمانية والفيزيولوجية كلون البشرة ونوعية الشعر . فكما يبينه محمود السعران: "لقد أغري بعض اللغويين بإيجاد روابط بين اللغة والجنس، واستغلت بعض المذاهب السياسية التعصب للجنس والزهو بلغته واتخذتها ذريعة لفرض سلطانها على شعوب تنتمي إلى أجناس أدنى من لغتهم فالعالم فريديريك موللر قد أنشأ كتابه على أساس من هذه الفكرة، فصنف اللغات طبقا للميزات الاثنولوجية، فاستعرض لغات الشعوب المجعدة الشعر واحدة فواحدة ثم لغات الشعوب الناعمة الشعر."[2]

فجدلية الجنس / العرق اللغة جدلية قديمة يتم استحداثها حسب الزمان والمكان فتعاد كتابة التاريخ ويتم التدليس والتمويه لغايات جيوسياسية أو عرقية أو دينية فتعلن الحرب على اللغات في حين تقدس لغات أخرى . وما "خرافة السامية" كما يبينه علاء الدين المدرس إلا مثالا حيا لما تقدم ذكره، ما مفهوم معاداة السامية الذي يستعمله الصهاينة اليوم إلا خرافة تراثية تم الترويج لها سياسيا وإعلاميا. إذ يزعم أصحاب أطروحة السامية، حسب ما جاء في كتاب العهد القديم، أن "سام هو أحد أبناء النبي نوح الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وتجعل من سام هو جدا للعبريين وحام جدا للكنعانيين (أي العرب) ويافث جدا للروم (أي الأوربيين !)."[3] الحقيقة كما يؤكده أن "تسمية السامية هي تسمية حديثة نسبيا، فقد حاول المستشرق النمساوي شلوتسر قبل قرنين من الزمن، وتحديدا في عام 1781، أن يحاكي ما جاء في التوراة من ذكر لسام وباقي إخوته طبيعة العلاقة بينهم ومع أبيهم، للربط بين الأقوام التي كانت تتكلم بلغات متقاربة يبدو

[1] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, p.75. 213

[2] محمود السعران، اللغة و المجتمع رأي و منهج، ط، الاسكندرية، دار المعارف، 1963، ص66

[3] علاء الدين المدرس، عولمة اللغة و التاريخ وفق المنظور القرآني و مسطرته، ص 175.

على صفاتها أنها ذات أصل لغوي مشترك فأسماها اللغات السامية، وعن الأقوام والشعوب التي كانت تتكلم بها بالأقوام السامية، وهم الأكديين (البابليين والاشوريين) والعرب والكنعانيين والعبريين والاراميين، وقال عنها أنها انحدرت جميعها من جد واحد هو سام بن نوح، ذلك استنادا إلى قائمة الأنساب التي ذكرتها التوراة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ."[1] يؤكد الدكتور لطفي عبد الوهاب كما جاء في كتاب علاء الدين المدرس أن "اللغة لا تصلح أساسا لأي تحديد عنصري لسبب بسيط هو أن الفئات البشرية لها قابلية غريبة لالتقاط اللغات إذا كان ذلك يخدم أهدافا مصلحية أو عمرانية."[2]

تحاول هذه الأطروحة الصهيونية أن تخرج الكنعانيين (العرب) من الأقوام السامية، وبذلك ترفض ترتيب اللغة العربية ضمن قائمة اللغات السامية حسب المدرس الذي يؤكد أن اللغة العربية القديمة وفق ما جاءت به الدراسات العلمية الموثوقة تعد أم اللغات السامية التي استعملها الكنعانيون والأكديون والأراميون والأقوام التي عاشت في المشرق العربي في التاريخ القديم.

ويحق لنا أن نتساءل: أهي حرب لغات؟ أم هي حرب ايديولوجيات وسياسات أو اثنيات وديانات؟

إن هذه الأطروحة تؤصل لرفض ما اكتشفه علماء اللغة والإنسان وهو أن "أرض مكة والجزيرة تتميز بقدرة الإنسان على النطق بجميع الحروف الحلقية التي وهبت لآدم عند خلقه، وكلما ابتعد الإنسان عن مركز مكة قل عدد الحروف التي يستطيع أن ينطق بها، مما ينعكس على شكل اللغة وملامحها وتطورها ..."[3] وهذا الاكتشاف يؤكد ما جاء في ديننا من أن لغة آدم هي لغة القرآن وهي لغة أهل الجنة، أي العربية . تلك اللغة المقدسة التي يتشرف بها الرسول صلى الله

---

[1] نفس المرجع، ص 176.

[2] نفس المرجع، ص179

[3] نفس المرجع، ص78.

عليه وسلم حين يقول "أحب العرب لثلاث: لأني عربي ولأن القرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي ."[1] وقد حث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم على ضرورة غلق باب الفتن التي يتسبب فيها التعصب لجنس أو عرق معين، فأشار إلى أن "العربية اللسان..." أي أن كل من يتكلم العربية فهو عربي، فلا ينظر إن كان فرنسيا أو تركيا أو هنديا . إنها دعوة من جهة للتعايش اللغوي ونبذ الأصولية اللغوية أو العرقية، ومن جهة أخرى لإظهار الأصل المشترك لبني البشر : "كلكم من آدم وآدم من تراب" كما في الحديث، و كذا في القرآن "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه."[2]

لقد بتّ القرآن في قضية الصراعات اللغوية التي تخفي غالبا صراعات ذات طبيعة أخرى (ايديولوجية، عرقية، إثنية، سياسية، الخ ...)، فدعا بني البشر إذا دب الخلاف بينهم إلى العودة إلى كتاب الله ليحكم بينهم، فجعل الإيمان والدين هما أساس الوحدة والركيزة الأساسية لبناء الدولة القومية الوطنية واللغوية . فالتسامح والتعايش اللغوي ينبثق من التعايش الإيماني.

ولقد سعت أوربا سعيا حثيثا لوضع لغة جامعة لشعوبها، لغة تضمن تواصلا ميسرا بين الأفراد من جهة وتحاول المحافظة على اللغات العديدة المتواجدة من جهة أخرى. ففي بداية القرن 20 اعتبر بعض علماء اللسان اللغات الطبيعية كلغات ناقصة وفكروا في وضع لغات جديدة تنوب عنها، فجاءت هذه اللغات بمعدل لغتين جديدتين في السنة مثل (volapük، l'interlingua ، l'Europanto) .ولعلى أهم هذه اللغات وأكثرها جدية هي الإسبرانتو - L'ESPERANTO -التي تعود إلى 120 سنة. وحول إمكانية هذه اللغة على أن تكون بديلا للغات الأوربية الأخرى (خاصة وأنها لا تعود إلى بلد معين)

---

[1] رواه الطبراني.

[2] سورة البقرة213.

وحول مقدرتها على سد حاجات التواصل الاجتماعي، الثقافي، الأدبي والعلمي بعين الخصوص، يشير برونو فلوشون [1] إلى أن الإسبرانتو وضعت كأداة للتواصل بين الأفراد وليس لتكون بديلا للغة أخرى، وهكذا فلكل فرد الحق في التكلم بلغته الأم لكن إذا استدعى الأمر أن يتواصل مع أحد يخالفه اللغة فبإمكانه استعمال الإسبرانتو لأنها لغة سهلة التعلم والاستعمال، وهي لا تنطوي على أي خلفيات ثقافية، إيديولوجية أو دينية . ويؤكد فلوشون على أن سهولة هذه اللغة لا يعني أنها فقيرة في كلماتها أو في التعبير عن أفكار أصحابها.

بيد أن كالفي يرى فكر الإسبرانتو تأسس على ركائز إيديولوجية صهيونية تريد محو الفروق اللغوية بين بني البشر بهدف الوصول إلى الغاية الأساسية الخفية وهي دمج اليهود الذين يعيشون في أحياء معزولة ويتكلمون لغة عتيقة داخل النسيج المجتمعي الأوربي . ويستشهد كالفي بما قاله Zamenhof وهو أحد أهم المناضلين من أجل تعميم استعمال هذه اللغة المصطنعة : "لا أحد بإمكانه أن يشعر بضرورة لغة محايدة بشريا وغير وطنية كما يشعر بذلك اليهودي المجبر على الصلاة للرب بلغة ميتة منذ عهد طويل (...) يهوديتي هي السبب الرئيسي الذي من أجله، ومنذ حداثة سني، جعلتني أكرس نفسي لحلم أساسي وهو حلم توحيد البشرية ."[2] فتوحيد اللغة وبالتالي البشرية ينبعث من الوضع المأساوي والمؤلم الذي يعيشه اليهود يوميا في أحياءهم المغلقة على لغة ميتة، أي العبرية.

لقد أثبتت التجربة أن الاسبرانتو لغة آلية عاجزة عن التعبير عن الروح البشرية الحية، فهي تبقى مجرد مزيج تركيبي للغات أوربية عديدة. كما أنها غير قادرة على زرع روح التعايش اللغوي بين مستعمليها لأنها مجردة من القيم الانسانية التي يقوم عليها التسامح بين بني البشر. إن التعايش اللغوي كما بيناه

[1] Bruno Flochon, « L'espéranto », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.107-111.
[2] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, p.276

سابقا يقوم على أساس الدين. ويشير المدرس إلى حقيقة ثابتة في مقارنة بين اللغة العربية واللغات الأوربية التي بسطت سيطرتها على العالم منذ حوالي ثلاثة قرون. فالبشر لم يجنوا من هيمنة هذه اللغات الأوربية سوى الأفكار الفلسفية، والأدبية، والاجتماعية والأخلاقية الهدامة ولم ينبهم إلا "عولمة إحتكارية استعمارية شيطانية... بجميع ما تشمل عليه المذاهب من وثنية وإلحادية ولا إنسانية طاغية. وكان أن أغرقت البشرية في بحر لا قرار له من المفاسد والرذائل و الشرور." [1]

بينما تميزت اللغة العربية، تلك اللغة المتجذرة في التاريخ، بنشرها لحضارة إنسانية وأخلاقية مثالية. فهي بجمالها وعراقتها وقدسيتها، ولأنها لغة الكتاب الذي لا عوج ولا ريب فيه، فقد نقلت قيم الخير والسلام والمحبة والإخاء وجمعت بين الأجناس والألوان تحت راية الدين الواحد والكتاب الواحد.

[1] حسن حنفي، صادق جلال العظم، *ما العولمة ؟*، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص51.

[1]نحن من قمنا بترجمة جميع المقولات المأخوذة من مراجع باللغة الفرنسية.

[1] Guy Gauthier, « Une question controversée », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.7-9.

[1] Jack Lang, « L'amour de Babel », », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.128-130.

[1] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, Hachette Littératures, Paris, 1987, 1999.

[1] Louis-Jean Calvet, « La guerre des langues et les chances d'un véritable plurilinguisme », in *Panoramiques N°48 :*

[1]علاء الدين المدرس، عولمة اللغة و التاريخ وفق المنظور القرآني و مسطرته، ص86.

Langues : une guerre à mort, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.10-16.

[1] نفس المرجع.

[1] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*.

[1] انظر « Pourquoi Dieu a créé des langues multiples? », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, p.17.

[1] سورة البقرة 31-33.

[1] علاء الدين المدرس، عولمة اللغة و التاريخ وفق المنظور القرآني و مسطرته، عالم الكتاب الحديث، إربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان،2008، ص75.

[1] نفس المرجع، ص82.

[1] Louis-Jean Calvet, « La guerre des langues et les chances d'un véritable plurilinguisme », pp.10-16.

[1] نفس المرجع.

[1] نفس المرجع.

[1] نفس المرجع.

[1] Jack Lang, « L'amour de Babel », », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.128-130.

[1] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, p.75. 213

[1] محمود السعران، اللغة و المجتمع رأي و منهج، ط، الاسكندرية، دار المعارف، 1963، ص66.

[1]علاء الدين المدرس، عولمة اللغة و التاريخ وفق المنظور القرآني و مسطرته، ص 175.

[1]نفس المرجع، ص 176.

[1]نفس المرجع، ص179.

[1]نفس المرجع، ص78.

[1]رواه الطبراني .

[1]سورة البقرة 213.

[1] Bruno Flochon, « L'espéranto », in *Panoramiques N°48 : Langues : une guerre à mort*, dir. Guy Gauthier, Corlet, 2001, pp.107-111.

[1] Louis-Jean Calvet, *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, p.276.

[1]علاء الدين المدرس، عولمة اللغة و التاريخ وفق المنظور القرآني و مسطرته، ص86.

دور اللغة الجامعة في تحقيق الأمن الثقافي للبلاد العربية

د. أحمد العلوي العبدلاوي
كلية الآداب سايس فاس المغرب

عندما نطرح المسألة اللغوية في دائرة النقاش، فإنها تستتبع بالضرورة طرح مجموعة من القضايا التي لا يمكن مقاربة هذه المسألة بدون الوقوف عليها، ومحاولة تحديد العلاقات التي تربط بينها، من قبيل التعدد اللساني أو التعدد اللغوي، والازدواجية اللغوية، واللغة الجامعة، واللغة الأم، واللغة الوطنية، واللغة الأجنبية، وقضية الأمن الثقافي، وقضية الهُوية، وقضية الوحدة الوطنية، إلخ...، وهي قضايا متداخلة ومتشابكة، لا يمكن الحديث عن إحداها دون استحضار القضايا الأخرى.

ولما كانت الإحاطة بكل هذه الموضوعات مما يصعب تناوله في عرض واحد، فقد استقر اختيارنا على موضوع يرتكز على الدور الذي تنهض به اللغة الجامعة في تحقيق الأمن الثقافي للبلاد العربية، مستفيدين مما تمدنا به الموضوعات الأخرى من معطيات في حدود ما يسمح به الموضوع المقترح.

فمعلوم أن اللغة مكون أساس من مكونات كل مجتمع إنساني، يميزه عن غيره من المجتمعات بما يتيحه له من إمكانات تواصلية، قد تضيق تارة فينحصر الخلاف في بعض المخارج الصوتية، أو في طريقة النطق بالعبارة الواحدة، ويتسع أخرى ليشمل الخلاف كل المكونات اللغوية صوتية كانت أو خطية أو بنائية، ولا يمكن أن يتم التواصل بين أفراد المجتمع الواحد إلا عن طريق اللغة الموحدة التي يفهمها الجميع، فتصبح أحد المقومات الأساسية لهوية ذلك المجتمع.

فاللغة أداء توحيد للمجتمع، لما تنهض به من أدوار تواصلية وثقافية ومعرفية وتاريخية وحضارية تضمن ترابطه وتماسكه وانسجامه واستمراره، وتنظم العلاقة بين أفراده، لأن اللغة "ليست للتفاهم أو للتوصيل فحسب، بل وظيفة اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، هي أنها جزء من السلوك الإنساني"[1]، لذا كانت الإساءة إلى أية لغة بمثابة الإساءة إلى ذات الناطقين بها وكرامتهم.

وقد أسيئ إلى لغة أهل البلاد العربية بما طالها من الإقصاء والتهميش، بعدما امتدت إليها يد الاستعمار الذي عمل جاهدا على إلغائها وتعويضها بلغته، ولكنه قوبل برد فعل شرس من لدن المجاهدين والمناضلين الغيورين على دينهم ووطنهم ولغتهم، ولم تقو الآلة الاستعمارية على فرض لغتها بصفة مطلقة على البلاد العربية التي استعمرتها، وإن نجحت في فرضها داخل الإدارة، ولكن المؤسف هو أن أغلب هذه البلدان لم تستطع، بعد نزوح المستعمر عنها، التخلص من لغته واعتماد لغتها القومية في جل القطاعات الحيوية داخل المجتمع، وظلت اللغة العربية بعيدة عن أداء دورها الحضاري الذي استطاعت أن تؤديه بكل جدارة واستحقاق يوم كانت قيادة العالم بيد أهلها، ومرجع ذلك إلى اقتناع نخبة من أفراد المجتمع العربي، التي أضحت مقاليد الأمور بيدها بعد الاستقلال، بعدم قدرة اللغة

[1] الدكتور محمود السعران، اللغة والمجتمع ـ رأي ومنهج ، دار المعارف ، ط 2 ـ 1963 ص 17 .

العربية على مواكبة العصر، وبأنها لا تقوى على ما تنهض به اللغات العالمية الأخرى.

ولكن، ما نلحظه هو هذه الصحوة الهوياتيه التي بدأت تنتشر في البلاد العربية، والتي هي استمرارية لدعوات الأحزاب الوطنية لاعتماد اللغة القومية في جميع دواليب الدولة، الإدارية والاقتصادية والتواصلية والتعليمية، لأن بلوغ الأهداف التنموية لا يمكن أن يتم إلا باعتماد اللغة الأصلية لأهل البلد، إذ لم يحدثنا التاريخ عن أمة تقدمت بلغة أمة أخرى، فاللغة وسيلة من وسائل التنمية التي لا تقتصر على الجانب الاقتصادي كما يعتقد البعض، وإنما يجب أن ينظر إليها في سياقها العام على الصعيدين الوطني والدولي، وما يمكن أن يقوم به الفرد والجماعة من خدمات لصالح بلدهم ولصالح البشرية، إذ الغاية هي تنمية قدرات الإنسان على مواجهة كل المستجدات والمشكلات والتحديات والاحتياجات التي قد يطرحها المستقبل.

لذا كان من أوجب واجبات الإنسان العربي تحصين الذات من الاختراق والاستلاب والتبعية، والاندماج في المجتمع لتحقيق ذاته، ولبناء وحدة حقيقية تقوم على وحدة القيم المشتركة التي "تحققها الثقافة الوطنية، القائمة على وحدة العقيدة، ووحدة اللغة، ووحدة المشاعر الوطنية، تجاه ثوابت الأمة ومقدساتها"[1].

ويبقى الإشكال الأكبر في هذه القيم المشتركة في الثقافة الوطنية للبلاد العربية هو وحدة اللغة، فإذا كان الانتماء العربي يفرض بالضرورة اعتماد لغة عربية موحدة في كل الأقطار العربية، فإن الواقع المعيش يحدثنا عن وجود تعددية لسانية تخرق وحدة هذه المجتمعات اللغوية، خاصة عندما يحتدم الصراع بين مكونات بعض المجتمعات المختلفة اللغة حول ترسيم لغتها، واعتمادها في جميع المرافق العمومية، وتصبح التعددية عاملا من عوامل التفرقة، بخلق فئات

[1] الدكتور محمد الكتاني، من المحاضرة الافتتاحية للملتقى الوطني الأول للغة العربية الذي نظمته الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية فرع فاس في فاتح مارس 2010 بفاس، بمناسبة يوم اللغة العربية حسب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو).

متصارعة تعمل على تفتيت الوحدة الوطنية، مما قد يؤدي إلى اعتماد لغة أجنبية لغة رسمية للبلاد، كما هو الحال في عدة دول إفريقية، وآخر مثال على ذلك هو دولة جنوب السودان ، التي اعتمدت بعد ا نفصالها عن منطقة الشمال سنة 2011، اللغة الأنجليزية لغة رسمية للبلاد، وتخلت عن جميع لغاتها العديدة والمؤنثة لفضائها اللغوي، بما فيها اللغة العربية المؤهلة أكثر من غيرها للقيام بهذا الدور، وذلك لأسباب سياسة لا حاجة للوقوف عندها.

وقد يؤدي هذا الصراع إلى اعتماد لغة أجنبية في المرافق العمومية للبلاد دون أن يُنص على ترسميها أو دسترتها، كما هو الحال في أكثر البلاد العربية، وذلك بفعل الصراع المفتعل بين نخبتين مختلفتي التكوين، نخبة تعلمت في مدارس أجنبية وتكونت لها معرفة بلغة الأجنبي وثقافته، في غياب شبه تام للمعرفة باللغة والثقافة الوطنيتين، ومُكن لها من طرف صاحب تلك اللغة الذي غالبا ما يكون هو المستعمر، ولو بعد رحيله، ونخبة تلقت تعليمها في المدارس الوطنية بلغتها الوطنية، مع اطلاعها على لغة المستعمر وثقافته، مما مكنها من الموازنة بين لغتها الوطنية واللغة الأجنبية، واستخلاص ما تتوفر عليه لغتها من رصيد لغوي كبير ، تتفوق به على رصيد لغات أكثر الدول العالمية تقدما، ومن قدرة على مواكبة كل المستجدات، والتعبير عن كل الأغراض بكل جدارة؛ ولا أدل على ذلك من قدرتها على إبلاغ الرسالة السماوية المحمدية إلى الناس كافة، وما تحمله هذه الرسالة من دلالات ومعاني وأبعاد، لعلمه عز وجل أنها الأقدار بين لغات الأرض على القيام بهذه المهمة.

والحقيقة أن التعددية اللسانية التي تعني تداول أكثر من لغة واحدة في البلاد الواحد ، ليست خطرا على اللغة الموحدة التي تضمن الوحدة الوطنية في البلاد، إذا تم استغلالها هذه التعددية واستثمارها استثمارا إيجابيا، إذ يمكن أن تتحول هذه التعددية إلى مصدر لتنمية المعرفة، وتوسيع سبل التواصل، وإغناء الرصيد الثقافي؛ فالحفاظ على التعددية اللغوية لا يعني التنازل عن سيادة اللغة

الوطنية التي ينبغي أن تكون لغة جامعة، تعمل على احتضان اللغات الأخرى، ومؤازرتها، والاستفادة مخزونها المعرفي، ومن خصوصياتها اللغوية والثقافية والحضارية، على أن تكون هذه اللغة الجامعة مؤهلة للقيام بهذا الدور، ويكون هناك رابط مشترك يربطها بكل المكونات اللغوية والاجتماعية الوطنية التي يتكون منها المجتمع في البلاد الواحد. وتتخلص هذه **المؤهلات** في الأمور التالية:

1 – أن تكون هذه اللغة هي الأكثر انتشارا واستعمالا داخل الوطن.

2 – أن تكون الأكثر ارتباطا بوجدان أفراد المجتمع والأكثر تجدرا فيه.

3 – أن تكون لها قواعد بنائية ونظام تركيبي متكامل.

4 – أن يكون لها معجم لغوي واسع.

5 – أن تكون ذات رصيد معرفي كبير ومؤهلة لإنتاج المعرفة وتوطينه.ا

6 – أن يكون لها تاريخ حضاري وحمولة ثقافية وفكرية متميزة.

7 – أن تكون صالحة للاستعمال في جميع المرافق الحيوية للبلاد من تعليم وإدارة واقتصاد.

8 – أن تكون الأقوى على التواصل مع أكبر عدد ممكن من الشعوب التي تتكلم اللغة نفسها.

9 – أن تكون الأكثر قدرة على تحدي اللغات الأجنبية الأخرى، بما تمتلكه من قدرات ذاتية تتفوق بها على غيرها، وتحصنها من الاستلاب والخضوع[1].

من خلال هذا الجرد ، يتبين أن اللغة الوطنية التي تجتمع فيها كل هذه المؤهلات في كل البلاد العربية هي اللغة العربية الفصحى، فهي اللغة الأكثر توسعا، والأكثر حُمولة ثقافية ومعرفية وحضارية، والأكثر تنظيما وتقعيدا، والأكثر قدرة على مواكبة مستجدات العصر، إضافة إلى ارتباطها بجميع الجنسيات العالمية بحكم أنها لغة القرآن، حيث لا تجد أمة إلا وفيها عدد من المسلمين الذين

[1] _ ذكر الدكتور عبد العلي الودغيري طائفة من هذه المؤهلات في المحاضرة الافتتاحية للملتقى الوطني الثاني للغة العربية الذي نظمه فرع فاس للجمعية المذكورة في فاتح مارس 2011.

لا يتم تعبدهم إلا بحفظهم على الأقل لبعض آيات القران الكريم باللغة التي نزل بها، و هي بذلك اللغة المؤهلة لأن تكون اللغة الجامعة التي يشترك في توظيفها واستعمالها، بل والاعتزاز بها كل المواطنين في البلد العربي، لما تضمنه من تماسك اجتماعي وتوحد مرجعي؛ وليس معنى اعتبار اللغة العربية لغة جامعة هو إقصاء وتهميش للغات واللهجات الأخرى التي تزخر بها البلاد العربية، مثل الكردية والأرمينية والآرامية وغيرها في شرق البلاد العربية، أو الأمازيغية بلهجاتها المختلفة في غربها، فلكل لغة أهميتها، ووظيفتها التواصلية، وقيمتها الاجتماعية في المناطق المعتمدة فيها، حيث لا تستطيع اللغة العربية أن تحل محلها وأن تقوم بالدور نفسه الذي تقوم به بين المتحدثين بها، كما أن لكل لغة منها رصيد ثقافي ومعرفي وحضاري، يختلف قوة وضعها بحسب ما تراكم لديها عبر تاريخها.

كما لا يعني ذلك الاستغناءَ مطلقا عن اللغات الأجنبية المستعملة في هذه البلاد، باعتبارها لغة التواصل مع العالم، ولغة العلم والمعرفة في نسختها الحديثة، بما يسمح بمواكبة التطور العلمي والمستجدات العصرية، ولكن يجب أن لا ننخدع بما يذهب إليه كثيرون في مجتمعاتنا، بأنه لا تقدم إلا باعتماد اللغات التي يصلنا بها ما انتهى إليه العلم الحديث، ولا شك أن أصحاب هذه اللغات هم من يدفع الى ترويج هذه الفكرة، ويجنون من ورائها أرباحا مادية ومعنوية كبيرة، وقد عبر عن ذلك الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول في قولته الشهيرة: "لقد صنعت لنا اللغة الفرنسية ما لم تصنعه الجيوش"، فاللغة من أهم الوسائل التي اعتمدتها فرنسا للهيمنة على الاقتصاد الوطني لمستعمراتها السابقة، فإبقاء هذه المستعمرات بعد استقلالها على اللغة الفرنسية في المجالات الاقتصادية، والمؤسسات الإدارية، جعل أغلب معاملاتها التجارية تتم مع فرنسا ، لسهولة التواصل بلغتها أولا، ولكونها ثانيا الحاضن للمنظمة الفرانكوفونية التي تنضوي تحت لوائها جميع الدول التي ذاقت مرارة استعمارها، والتي يتعين عليها بحكم انتمائها إلى هذه المنظمة أن تكون وجهتها الأولى لقضاء حاجياتها هي فرنسا، حتى إذا لم تجد ما

ترغب فيه عندها، حُق لها أن تُوَلي وجهتها إلى جهة أخرى؛ والشيء نفسه ينسحب على الدول التابعة لمنظمة الكمنويلت.

إننا في حاجة إلى ترشيد لغوي ، قائم على وضع كل لغة من اللغات المستعملة في البلاد، سواء كانت وطنية أو دخيلة، في مكانها الطبيعي من المنظومة اللغوية للوطن، بغية الوصول إلى "إقرار العدالة اللغوية التي تحترم الحقوق اللغوية للأفراد والجماعات "[1]، والتي تؤدي إلى استتباب **الأمن الثقافي، القائم على مجموعة من الأسس** المتضافرة لحصول السلم الاجتماعي داخل الوطن الواحد، أهمها :

1 – ترسيخ الاعتداد بالمكونات الهوياتية التي تشكل شخصية كل فئة مجتمعية وكيانها، والحفاظ على مقوماتها الثقافية التي ضمنتها أفكارها وعواطفها ورؤيتها، وعلى رأسها اللغة التي هي أساس كل ثقافة، بها يتم توطين المعرفة، ونشر الوعي بين أفراد المجتمع الواحد، على أن لا يتحول هذا الاعتداد إلى عنصرية وتطرف وإقصاء للغات وطنية أخرى، تكوّن في مجموعها رصيدا ثقافيا لا يمكن الاستغناء عنه.

2– التوافق بين مكونات البلد الواحد ذي التعددية اللسانية على اعتماد لغة واحدة جامعة، تكون أكثر تأهيلا من بين اللغات الوطنية للقيام بهذه المهمة، هذه اللغة التي بواسطتها يتقوى التماسك الاجتماعي بين جميع مكونات الأمة، خاصة إذا توفر لها ما يربطها بكل هذه المكونات من مرجعيات دينية وثقافية وتاريخية.

وهذا التوافق يجب أن يتم عن طريق التوعية بالدور الذي يمكن أن تقوم به اللغة الجامعة في التنمية الحضارية، والترابط المجتمعي، والوحدة الوطنية للأمة، بغرض توحيد الصف في وجه كل تقسيم أو تفتيت أو إضعاف للإحساس بالهوية المشتركة، وقد نجحت بعض الدول العالمية التي وحدت لغتها، مع ما تعرفه من

---

[1] الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، "أكاديمية محمد السادس للغة العربية الآن، لماذا؟ وكيف؟ "- ورقة قدمت ضمن أنشطة جمعية اللسانيات بالمغرب التي يرأسها الدكتور الفاسي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط في 23 يناير 2012.

تعدد لساني كبير، ومن اجتياح لغة أجنبية لفضائها الثقافي، في بناء صرح الأمة الموحدة، التي استطاعت أن تتخلص من الهيمنة الاستعمارية شكلا ومضمونا، وفي اكتساح العالم بعد ذلك بإنتاجاتها، وفرض لغتها في المحافل الدولية؛ وأكبر مثال على ذلك، دولة الصين، التي وحدت لغتها سنة 1949 مباشرة بعد نجاح "ماوتسي تونغ" في الوصول إلى الحكم، وذلك باعتماد أكثر اللغات تداولا وانتشارا في البلد، وهي اللغة التي كانت متداولة في العاصمة "بكين" وما جاورها، و كان ذلك أول قرار اتخذه بعد توليه السلطة، ليقينه بأن التنمية الشاملة لا يمكن أن تتم إلا بتوحيد اللغة داخل البلاد، هذه اللغة التي لن تكون إلا واحدة من اللغات الوطنية.

كما يجب أن يتم هذا التوافق بعد فتح نقاش حقيقي بين جميع الأطراف المؤثثة للمشهد الثقافي داخل البلد، تؤطره النخبة من المفكرين والأكاديميين، الذين يقومون بدراسة معمقة وموضوعية للساحة اللغوية، ويخرجون بنتيجة ذات أسس منطقية يقتنع بها الجميع، تنبني على قواسم مشتركة ، ترسم معالم مجتمع موحد متضامن، تربط بين أفراده اللغة الموحدة في المقام الأول.

3- التخلص من التبعية اللغوية، والتحرر من الاستلاب الثقافي، حيث تبقى الفئة المستلبة تابعة لأصحاب اللغة المهيمنة في جميع متطلبات حياتها الاقتصادية والسياسية والفكرية، لأن الفرد يفكر باللغة، ويعبر بها، ويبني بما تمليه عليه الثقافة المنحدرة عنها نمط حياته داخل أسرته وخارجها، وهذا ما نلحظه عند عدد من الأسر في وطننا العربي، التي تتعامل مع أبنائها ومع جيرانها وفي دائرتها الاجتماعية الضيقة باللغة الأجنبية، اعتقادا منها بأن من تكلم لغة الدول الغربية المتقدمة علميا، كان متقدما ومتحضرا أكثر ممن اعتد بلغته الوطنية، وتعامل بها، ودافع بالانتصار لها عن كرامته وكرامة أهلها، وغاب عن هؤلاء أن الأمم لا تتقدم بلغة غيرها، وإنما تتقدم على قدر الجهد الذي يبذله أبناؤها في بناء صرح العلم واقتحام دروب المعرفة.

4- الاحتراز من الدعوة إلى ترسيم الدوارج واللهجات المنبثقة عن اللغة الأم، وإحلالها محلها في الإعلام والإعلانات والتعليم، مع الإبقاء على اعتماد اللغة الأجنبية في الإدارة والاقتصاد والبحث العلمي، وهو ما نجد بعض الأصوات في بعض البلاد العربية، ومنها المغرب، تدعو إليه، بل بدأ تطبيقه فعلا في عدد من المنابر الإعلامية السمعية والبصرية والمكتوبة، وفي الإعلانات العمومية، بحجة أنها لغة التخاطب اليومي بين أفراد المجتمع، وأنها اللغة الأقرب إلى فهم العامة، واستعمالها سيقرب المسافة بينهم وبين المنتوج المقدم إليهم، وأنها الأقدر على الخروج بالبلاد من التخلف العلمي؛ وهي مغالطة كبيرة، يدحضها أن اللهجات ظاهرة متواجدة عند جميع الأمم وفي جميع العصور، وهي تدخل في إطار ما يطلق عليه اليوم بالازدواجية اللغوية، حيث يقرر "أندري مارتني" صاحب نظرية النحو الوظيفي، في كتابه "مبادئ في اللسانيات العامة"، أن الازدواجية توجد في كل المجتمعات، حتى تلك التي نعتبرها مجتمعات أحادية اللغة.

والمقصود بالازدواجية اللغوية وجود مستويين للغة الواحدة، مستوى رفيع منضبط لقواعد ثابتة، ومستوى وضيع غير منضبط لذات القواعد التي هي أصل فيه، ويميَّز بين المستويين في الثقافة العربية باللسان الفصيح أو اللغة العربية الفصحى، في مقابل اللسان العامي أو اللغة الدارجة، وكل مستوى له مجالات ومقامات يستعمل فيها، فالفصحى تستعمل عادة في المجالات الأدبية والعلمية والإدارية والخطابات الرسمية، أما العامية فتستعمل عادة في البيت وفي الشارع، حيث يعمل التداول السريع والمتكرر للغة على تغيير بنيتها في بعض الأحيان، أو اختزالها، أو إدراج ألفاظ دخيلة في متنها، أو توظيف الساقط من الكلام في الخطاب بها، مما يجعل منها لغة وضيعة سوقية مبتذلة لا يحسن التعامل الرسمي بها.

ثم إن العامة يفهمون اللغة الفصحى في مستواها التداولي، ويستسيغون الاستماع إليها، وهو ما تؤكده النسبة العالية لمتابعة الأخبار في القنوات الدولية

الناطقة بالعربية، مثل قناة الجزيرة وقناة العربية وغيره ما، باستثناء ما يتعذر عليهم فهمه من المصطلحات التقنية المتصلة بقطاع معين، مما قد لا يفهمه حتى بعض المثقفين الذين لا ينتمون إلى ذات القطاع.

أما كون العامية الأقدر على الخروج بالبلاد من التخلف، فهذا من الدعاوى التي تضحك، فهل هناك أمة في العالم وعبر التاريخ تقدمت علميا وحضاريا باستعمال اللغة العامية وتخلت عن لغتها الأم التي انبثقت عنها؟ الجواب طبعا بالنفي، وما تقدم العرب في عصورهم الذهبية إلا بلغتهم الفصحى.

ومن جهة أخرى ، فالعامية أو الدارجة او اللهجة ليست واحدة في البلد الواحد، بل هي مجموعة من الدوارج واللهجات المتفرقة بحسب المناطق التي تنتمي إليها وحدات اجتماعية ذات الأصول الفرعية المنحدرة عن الأصل اللغوي العام، مثل ما نجده في المغرب من استيطان اللهجة الجبلية في شمال المغرب، واللهجة الحسانية في جنوبه، واللهجة المدِينية في مدن الوسط، واللهجة العَروبية في باديتها، مع اختلافات بين لهجات المدن والبوادي فيما بينها، إضافة إلى اللهجات الثلاث المتفرعة عن اللغة الأمازيغية الموجودة في المغرب، وهي الريفية بالشمال، والشلحة في الوسط، والسوسية في الجنوب؛ وهذا ما يجعل ترسيم لهجة واحدة من كل هذه اللهجات المتعددة دون غيرها مما يتعذر التوافَق عليه بين جميع الأطراف، لأن كل طرف سينتصر للهجته، كما أن أيا من هذه اللهجات ليست لها خاصيات مميزة تؤهلها لتكون لغة مشتركة بين الجميع، وعليه، فإن التي تملك هذه الخاصيات، وليست ملكا خاصا لفئة مجتمعية دون أخرى، هي اللغة العربية الفصحى، فهي التي يمكن أن يتم حولها التوافق بين جميع الأطراف، بسبب الروابط الثقافية والتاريخية والوجدانية التي تربطها بكافة المكونات المجتمعية، لذا فهي اللغة المؤهلة لأن يتم حولها الإجماع الوطني، وأن يجمع بها شمل الأمة، وبذلك تستحق أن تسمى لغة جامعة.

5 – ضرورة إحداث مؤسسة حكومية تهتم بالشأن اللغوي، مع التركيز على اللغة الوطنية الجامعة في كل بلد عربي، يُختار لها باحثون أكاديميون وفاعلون في القطاعات الحيوية للبلاد، لا تكون مهمتها علمية محضة كما هو شأن المجامع والمعاهد العلمية التي أنشئت في عدد من الدول العربية، (مثل المجمع العلمي العربي بدمشق الذي أنشئ سنة 1919م، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1932م، والمجمع العلمي العراقي سنة 1947م، ومجمع اللغة العربية بالأردن سنة 1977م، ومجمع اللغة العربية بالجزائر سنة 1986م، ومكتب تنسيق التعريب بالمغرب سنة 1961 الذي تحول إلى معهد، وغيرها؛ ولا هي من قبيل حماية اللغة والدفاع عنها كما هو شأن الجمعيات المنتشرة في عدد من الدول العربية، مثل الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية بالمغرب، ومثيلتها بالإمارات العربية المتحدة وغيرها، وإنما مهمتها تشمل الجانبين معا، بالإضافة إلى مهمة توعوية تقوم على توضيح المكانة التي تحتلها اللغة في خدمة الوحدة الوطنية للأمة.

فمهمة هذه المؤسسة إذن تروم ثلاثة أهداف:

1 – العمل على تطوير اللغة على مستوى متنها وأدواتها ومواردها الذاتية والغيرية.

2– الكشف عن المخاطر والتحديات التي تواجهها اللغة في وطنها، والعمل على حمايتها من كل ما يتهددها، وإيصال صوت أبنائها الغيورين عليها إلى أصحاب القرار، لدفعهم إلى استصدار قوانين تحميها من كل التجاوزات التي تطالها، وتفعيل هذه القوانين على أرض الواقع.

3– العمل على استتباب الأمن الثقافي في البلاد، بوضع استراتيجية وطنية تقوم على سياسة تشاركية، تُستدعى لها جميع الفعاليات المهتمة بالشأن اللغوي، لدراسة الخصوصيات الثقافية والبنائية للغات الوطنية، والتأكيد على القيمة الثقافية المضافة التي يكفلها وجود تعدد لغوي داخل الوطن، مع التركيز على ضرورة

اعتماد لغة وطنية جامعة، تضمن وحدة الأمة، وتبعد شبح الصراع اللغوي بين أنصار اللغات المختلفة، وذلك بالوقوف على خصوصيات كل لغة على حدة، وما تمثله بالنسبة للطائفة التي تتكلم بها، وإيضاح الفروق اللغوية التي تميز هذه اللغات، لتقريب وجهات النظر بين الفرقاء اللغويين، بغرض اختيار لغة واحدة من بين تلك اللغات، تجمع أكبر عدد ممكن من الخصائص المشتركة بينها، وتكون ذات مؤهلات ذاتية ووطنية ودولية، ترشحها لتكون اللغة الوطنية الجامعة التي تجتمع عليها الأمة، وليفرض بناء على ذلك ترسيمها، وتفعيل العمل بها، واعتمادها في جميع المرافق العمومية، والقطاعات الإنتاجية، والتعاملات الإدارية، والمناهج التعليمية؛ وهذا ما يتعين على جميع البلاد العربية أن تقوم به، وتسهر على تطبيقه.

وعندما ما تتوصل أمة إلى ترسيم لغة وطنية مشتركة جامعة، ويتم تفعيل تداولها في كل القطاعات الحيوية، عندها يحق لها أن تفخر بكونها أصبحت تتمتع بكيان مستقل، وأنها تخلصت مع جميع مظاهر الاستلاب والتبعية، وأنها انخرطت فعلا في مدارج التنمية الشاملة، وأنها حققت وحدتها الوطنية في أسمى صورها، واستتب لها أمنها الثقافي الذي هو ركيزة أساسية من ركائز أمنها القومي.

هوامش

(1) _ الدكتور محمود السعران، اللغة والمجتمع ـ رأي ومنهج ، دار المعارف ، ط 2 ـ 1963 ص 17 .

(2) _ الدكتور محمد الكتاني، من المحاضرة الافتتاحية للملتقى الوطني الأول للغة العربية الذي نظمته الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية فرع فاس في فاتح مارس 2010 بفاس، بمناسبة يوم اللغة العربية حسب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو).

(3) _ ذكر الدكتور عبد العلي الودغيري طائفة من هذه المؤهلات في المحاضرة الافتتاحية للملتقى الوطني الثاني للغة العربية الذي نظمه فرع فاس للجمعية المذكورة في فاتح مارس 2011.

(4) _ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، "أكاديمية محمد السادس للغة العربية الآن، لماذا؟ وكيف؟ "ـ ورقة قدمت ضمن أنشطة جمعية اللسانيات بالمغرب التي يرأسها الدكتور الفاسي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط في 23 يناير 2012.

"التعدد اللساني والهوية الثقافية في الجزائر والعالم العربي"

أ. عبد الكريم بكري
استاذ في كلية الاداب جامعة وهران

نسعى من خلال هذا البحث الذي نخصصه للتعدد اللغوي في الجزائر و العالم العربي الى توضيح مفاهيم هذا المصطلح تحديد ابعاده الدلالية والثقافية والسياسية ونحاول ان ننطلق بعد ذلك الي رصد حال اللغة العربية ووقائع التعدد اللغوي في الجزائر و العالم العربي.

حيث إننا سنرى عندما نتقدم في مسار هذا البحث ان للتعدد اللساني مفاهيم وأوضاعا متباينة مستمد من تاريخ واقع الأمم وقوميات والكيانات .نحاول ان نعالج هذه القضايا اللغوية الاجتماعية في ضوء المعطيات التي ذكرناها و في حدود ما تمليه الخصوصية اللغوية في الجزائر التي عاشت فيها العربية الفصيحة مثلها مثل غالبية الدول العربية .منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنا واحتضنت في فضاءاتها لغات وافدة من مختلف الجهات الكرة الأرضية و أخرى نابتة ناشئة مع شعوبها على مر الازمنة .نعمل اذن على بلورة كل هذه القضايا اللغوية والثقافية لنتمكن من فتح باب أخر ندخل منه الى عوالم اللغات العالمية الحية لنرى كيف يمكننا ان نكتسب لغات جديدة ونحافظ على لغاتنا الاصلية انطلاقا من قاعدة صلبة وثابتة هي اللغة الجامعة الرسمية

والمداخلة في محملها إجابات عن الأسئلة تصاغ بين يدي هذا الموضوع من بينها.

1- ما حقيقة التعددية اللغوية، ما هي إبعادها وأثارها العلمية الثقافية والاجتماعية.

2- كيف تعايش اللغات المحلية و الوافدة مع اللغة العربية لغة أصلية.

3- ماهي المنهجية الواجب اتباعها لاكتساب لغات حية و استثمارها في سبيل اثراء ارصاداتنا العلمية والثقافية.

4- كيف يمكننا ان نعمل على تنويع وتلوين معارفنا اللغوية في إطار اللغة الأصلية.

ولقد ارتاينا قبل أن تفصل البحث في حقيقة القضايا التي تشكل نسيج التعدد اللغوي أن نقف عند التعارف والحدود التي وضعها المعجميون والمختصون في هذا الموضوع حيث يعرفها بعضهم بأنها:" استعمال الشخص الواحد لعدة لغات، ويرى آخرون بأن مصطلح التعدد اللغوي يعني وجود عدة لغات ،تتعايش داخل مجتمع معين ،وتستعمل في كل المستويات و المجالات[1].

بينما يطلق المهتمون بالجانب السياسي للتعدد اللغوي مصطلح، (دولة متعددة اللغات)، على الدول التي تضم في أحضانها لغتين أو أكثر بحيث تستعمل وتتداول في الشؤون الرسمية و الإدارية والاقتصادية بحيث لا يقل عدد الناطقين بها عن عشرة في المائة [2]. وهذا ما سوف نبحثه عندما ندرس الأوضاع اللغوية في بلجيكا و سويسرا بالخصوص.

ويجب أن نبين في هذه المقدمة أن للتعدد اللغوي إشكالا وأحوالا تختلف حسب طبيعة و مواقع هذه اللغات في الخرائط اللغوي.

ولذلك فإن كل تلك التعارف التي قد مناها لم تعد قادرة على وضع الحدود الفاصلة بين اللغات الحية الرسمية المتداولة في الدولة بين اللهجات واللغات المستعملة في إطار ضيق حيث يلاحظ أن كلمة (تعدد اللغوي) عند إطلاقها في عرف الكثيرين تغني كل اللغات واللهجات والعاميات المستعملة ولا يميزون بين اللغات من حيث مدى تداولها واستعمالها في الأوساط العلمية والأكاديمية. ولذلك

[1] Francophonie et mondialisation page 15-19 institut pour la francophonie 2001
[2] Les langues en Europe donnée générales office des publication officielle 2004

فإن هذا الجدول الذي يحصى عدد اللغات العالم وطريقة توزعها لم يفرق بين اللغات الحية المستعملة على نطاق واسع وبين اللغات المحلية المستعملة على نطاق محدود:

حيث نقرأ في هذا الجدول الحقائق التالية:

أن عدد لغات العالم (بالمفهوم الواسع للغة) يبلغ حوالي 6000 لغة تقريبا موزعة على نحو 200 دولة بمعدل 30 لغة في كل دولة[1].

	عدد السكان	اللغات المتداولة	النسبة المئوية
آسيا	2.5 مليار	2165	33%
إفريقيا	725 مليون	2011	30%
المحيط الهادي	30 مليون	1302	19%
أمريكا	760 مليون	1000	15%
أوروبا	982 مليون	225	03%
المجموع	6703	5 مليارات	

غير أن ما يجب أن نوضحه فيما يتعلق بمدى تداول هذه اللغات ودرجات تعاونها من حيث الاستعمال العلمي و الرسمي هو أننا نجد أن هناك عددا محدودا من اللغات الرسمية الحية في كل جهة أو قارة من القارات التي ذكرناها.

ففي أوروبا هناك 35 لغة فقط من بين 225 المبينة في الجدول تستعمل في المعاملات الرسمية و الدراسات العلمية منها مثلا: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية ،الروسية و غيرها.

---

1 http://www.upac flabele socio/diglossie

وفي إفريقيا نجد أن ما بين ما يقرب من 2000 لغة أو لهجة يقتصر الاستعمال الرسمي و العلمي فيها على لغات معينة لا تكاد تتجاوز العشرة من بينها:

الإنجليزية والفرنسية والعربية والبرتغالية و غيرها أما في أمريكا التي يبلغ عدد سكانها نحو 700 مليون لا يستعمل فيها على المستوى الرسمي إلا اللغات التالية هي :اللغة الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والفرنسية.

وما يجب أن نقرأه ونلاحظه في هذه المعطيات هو ارتفاع عدد اللغات المستعملة بطريقة أو بأخرى في كل من آسيا (2،5 مليار بنسبة 33%) و إفريقيا على رغم من عدد سكانها القليل نسبيا (725 مليون و2011 لغة بنسبة 30 %)

بينما لا تتجاوز نسبة اللغات المستعملة بمختلف أنواعها ومستوياتها في أوربا 03 %[1].

وليس يخفي ما في هذه الجدول وفي هذه الإحصاءات من قراءات و استنتاجات سنوردها عندما نتعرض للجوانب الايجابية والسلبية للتعدد اللغوي.

ولعل المثال الواضح الذي يمكن أن نقدمه نموذجا لتعدد اللغات الرسمية داخل الكيان السياسي الواحد هي سويسرا الفدرالية التي اضطرت إلى أن تعيش هذا الوضع اللغوي نتيجة لعوامل تاريخية وسياسية حيث إن الفدرالية لا تقوم على أساس لغة واحدة أو دين واحد أو ثقافة واحدة و أنما تقوم على العكس من ذلك على تعايش قوميات مختلفة في إطار كيان سياسي واحد يحاول أن يجعل من الاختلاف مصدر قوة وتكامل،حيث تقوم المنظومة القانونية على أساس مبدأ حرية الفرد واختيار اللغة التي يعبر بها أو يتعامل بها مع المجتمع و هذا يعني أن لكل فرد الحق ،في أن يستعمل إحدى اللغات الرسمية في الفيدرالية الألمانية الفرنسية الإيطالية

---

1 - نفسه

للاتصال بالمجتمع و بالسلطة و بالإدارة [1] وعلى الرغم مما للنموذج السويسري من إيجابيات و نحاجات في بعض المجالات فان له بعص السلبيات أيضا لعل أهمها ضعف درجة الانتماء للثقافة الموحدة و التاريخ الجامع مما أدى في بعض الفترات التاريخية إلى أزمات ومواجهات بين الأطراف المشكلة للمجتمع ذلك أن التعدد لساني كما يرى الدارسون لا يمكن فرضه بقوة القانون أو بأية قوة أخرى و إنما يأتي عن طريق إرادة صادرة من عمق المجتمع[2].

هذا الاستنتاج أو العبر يمكننا من النظر إلى التعدد اللغوي في ظل العولمة التي بدأت تلقي بظلالها على كثير من المواقع الاقتصادية والثقافية وصرنا نعيش تداعياتها وآثارها بنظرة متأنية متوازية واستشرافية بحيث نعمل على تعلم اللغات الحية لأننا ننتمي إلى هذا العالم الذي نعيش فيه والذي يقوم على التواصل و التعاون و التعارف وهذا يعني أننا لا ندعو إلى التعدد اللغوي بمفهوم العولمة المهينة التي تحاول أن تروج له أجهزة الإعلام أو بعض الجهات التي لها مصلحة في تمرير سياستها وأغراضها عبر أدوات اللغة وقنوات الثقافة هذه الاهتمامات وهذه المحاذير أيضا تجعلنا نلتفت إلى موضوع آخر أو عالم آخر يوازي التعدد اللغوي هو التعدد الثقافي الذي أصبح يحجز مكانا مركزيا في الأبحاث والمناقشات الدائرة في الأوساط الثقافية والسياسية حيث يرى المتحمسون لهذه السياسة الثقافية أن لتعدد الثقافة على العكس مما يراه البعض من شأنه أن يساهم في توطيد الصلات بين الشعوب وفي تخفيف حدة التوتر القائمة بين بعض الجمعيات والهيآت نتيجة للحواجز السياسية والجغرافية (على الرغم من تطور وسائل الإعلام) وعدم التعارف والتقارب بينها وهذه السياسة الثقافية العالمية هي التي تحاول أن تجسدها منظمات الأمم المتحدة كـ "اليونيسكو" وغيرها. ويقول الداعون لهذا الاتجاه أن التعدد الثقافي يهدف فيما يهدف وكما هو الحال في البعد

[1] Plurilinguisme et langue maternelle/ Christian édition ALFA 2007 P353-363

[2] نفسه

اللساني إلى المقاومة الأحادية الثقافية التي يسعى إلى فرضها الداعون إلى العولمة الثقافة الواحدة وهذا يعني فرض نمط واحد من حياة، و القضاء على الخصوصيات و الملامح التي تميز الشعوب[1] وعلى أي حال و فيما يتعلق بالتعدد اللغوي فإن المهتمين بهذا الموضوع قد بينوا الحدود الفاصلة بين اللغات التي يستعملها الفرد حيث يرون أن هناك أربعة مستويات للاستعمال اللغوي لدى المجتمعات.

– لغة الأم:و هي اللغة المتداولة في البيت والعائلة.

– لغة المدرسة وهي التي يتعلم بها المعلم العلوم المختلفة وتختلف عن لغة الأم.

– اللغة أو اللغات الاجتماعية هي اللغة التي يتعارف عليها ويفرضها المجتمع للتعبير عن حاجاته اليومية ومشاعره العاطفية العفوية خارج حدود القواعد و الضوابط اللغوية الرسمية[2].

– اللغة أو اللغات الأجنبية و هي اللغة التي يتعلمها الواحد منا لغرض من الأغراض العلمية أو الوظيفية وغيرها (هذا المستوى الرابع لم يذكره الدارسون و لقد رأينا إضافته إلى المستويات الأخرى لأنه يشكل نمطا مختلفا عن المستويات الثلاثة المذكورة....)

وفي ضوء هذه الفوارق بين المستويات الاستعمال اللغوي نحاول أن نركز النظر في الخريطة اللغوية التي تشكل الواقع اللغوي في الجزائر حيث نجد أن للمصطلح التعدد اللغوي في الجزائر و في البلدان المغرب العربي مفهوما آخر يختلف عم هو عليه الحال في بلجيكا و كندا وفي سويسرا كما رأينا

[1] Francophonie et mondialisation page 46
[2] Les langues en Europe données générales

إذا أردنا أن نقترب من حقيقة الواقع اللغوي في الجزائر فاننا تتأكد أن هناك لغة وطنية رسمية جامعة هي اللغة العربية حيث يسعى الجميع إلى الاستمرار في التمكين لها باعتبارها لغة التعليم و الإدارة و العلوم

وهناك لغة الأمازيغية و هي التي تمثل واحدة من مكونات المجتمع الجزائري إذ ظلت العلاقة بين اللغة العربية و اللغة الأمازيغية علاقة التواصل وتلاحم وليست علاقة صراع أو توثر على نحو ما تروج له بعض الجهات الغربية

وهناك لغة أجنبية بكل ما تعنيه كلمات أجنبية من اختلاف في التاريخ و الحضارة والثقافة والعادات والتقاليد

اللغة العامية واللغات العامية وهي في معظمها خلاصة لهجات متفرعة عن العربية الفصحى يستعملها الناس كما قلنا في حياتهم الاجتماعية يعبرون عن مشاعرهم وخواطرهم العفوية هذه هي المستويات اللغوية التي يتوصل من خلالها المجتمع الجزائري مع نفسه ومع الآخرين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وسوف نحاول أن نوجه الأنظار عبر الصفحات القادمة بشيء من التفصيل إلى آثار و مواقع هذه المستويات في الخريطة اللغوية الشاملة في الجزائر.

أولا: اللغة العربية:

نود قبل أن نوجه البحث إلى واقع اللغة الفصحى في الجزائر أن نذكر بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية لاتنين وعشرين دولة فهي تتصدر المواقع الأولى في الترتيب من حيث عدد الدول الناطقة بها لأنها لاتماثلها في هذا المقام إلا الانجليزية و الفرنسية وأنها إلى جانب ذلك اللغة الرسمية لمؤسسات إقليمية ودولية مثل :منظمة الأمم المتحدة ومنظمة "اليونيسكو"

وغيرها وهي كذلك اللغة التي احتضنت علوما واستوعبت مصطلحات نقلتها إلى مختلف أنحاء العالم[1].

نريد أن نقول إن اللغة العربية مؤهلة بامتياز لكي تكون أدائنا وقناتنا في التأصيل و التحصيل العلمي وما علينا إلا أن نرعاها بالدعم والتأهيل والتمكين في كل القطاعات لأن قضية اللغة ليست قضية شخصية وطنية أو هوية ثقافية إنما هي إلى جانب ذلك قضية تنمية اقتصادية وبشرية و لقد سبق أن دعونا في مناسبة مماثلة ومن هذا المنبر إلى توسيع مشاريع الترجمة والتعريب والتفاعل الجدي المدروس مع الفكر الإنساني ومع كل المستجدات المعرفية التي تحدث في الغرب في المجالات العلوم والتكنولوجيا... حيث يلاحظ أن اللغة العربية مازالت تنتظر من يصنع من مفرداتها المصطلحات والمسميات المستحدثة في مختلف المجالات العلمية وهذا ما تفعله الأمم الناهضة التي نهضت بفضل تثمين لغتها ففي فللندا (التي تحتضن الازدواج اللغوي) أنشئت كلية الطب ليتم التدريس فيها باللغة الفلندية (أي هم يعلمون على نقل العلوم الطبية من اللغات الأخرى إلى اللغة الفلندية) وأنشأت فيها كلية أخرى باللغة السويدية للأقلية الصغيرة،و انسجما مع الواقع اللغوي للبلاد. وكذلك فعلت اليابان مع ما كانت تقتضيه حاجة البلاد في ذلك الوقت حيت أرسلت البعثات إلى أوروبا وأمريكا لتعود إلى بلدها فتنقل العلوم والمعارف من الإنجليزية إلى اليابانية [2] ولكن دولا مثل السنغال والنيجر و غيرها رسموا الفرنسية فسكنوا فيها و أصبحوا ملكا لأهلها ولم تستفيد البلاد أي شيء من العلم و المعارف.

نسوق هذه الأمثلة لنرد على من يحاول أن يوهم الناس بأن المهم هو الحصول على العلم وتعليمه ونشره بأية لغة كانت ونقول له في الأخيرة ما قاله

---

[1] قضايا استعمال اللغة العربية مقال للأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري حول أزمة اللغة العربية في المغرب مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ص 70 و ما بعدها .

[2] نفسه ص 92-93

أحد الحكماء: (أعطوني العلماء أعبر لكم عمالم تنطق به الألسن من قبل)، (ما كانت قط اللغة الثرية لتكون لغة شعب جاهل معوز).

ومن هذا المنطلق و بهذه الرؤية ينبغي أن ننظر إلى اللغة اعتبارها خزانا الثقافة المجتمع والإسرار عبقريته فهي مسؤولة عن تسريع حركة التنمية في البلاد وإنعاش شرايين مختلف القطاعات الاقتصادية والعلمية بحكم تجذرها في الأذهان و النفوس.

إن تأه يل اللغة ودعم مكانتها بأعداد مت كئلميها يتطلب منا توفير وتهيئة الشروط اللازمة لحياة اللغة وانتشارها وتطورها وإتاحة الفرصة للناطقين بها من أجل الاندماج في القطاعات الحيوية في البلاد.

"وإذا كانت مسألة اللغة مسألة هوية، وتماسك اجتماعي وثر ات حضاري ،ورمز سيادة تاريخية، و تحرر من اللغات المهنية، فهي كانت ذلك مسألة تنموية وكرية واقتصادية وتنافسية اعتبار لكونها راف عم النمو المعرفي المبكر، وأداة نقل المعرفة والمعلومات إلى عموم القوى المنتجة"

ولقد ارتأينا وقد ودعنا قرن العشرين منذ ما يزيد من عقد من الزمن و نعيش القرن الواحدة والعشرين قرن الوثبات والطفرات، قلت: ارتأينا أن نقف قليلا عند ما تم إنجازه في مجال اللغة العربية، بلعتباره ا الأساس الحصين الذي ينطلق منه كل أشكال الانجازات والتواصل مع الآخرين إذا يبدو أن الاتفاق يكاد يكون تاما بأن الجهود التي بذلت منذ الاستقلال من أجل تطوير اللغة وإعطائها مكانتها اللائقة به قد عرفت تقدما ملموس ا يراه كل من عاش الفترة الاستعمارية، الفترة المظلمة في حياة اللغة العربية.

ويبدو أن ما يمنح ل غتنا العربية القدرة علي مواصله حضورها في كل المجلات المستويات هو العمل علي تنميتها من خلال البحث علي المنابع والروافد المساعدة على ازدهارها وإكسابه ا الحيوية اللازمة لمواكبة متطلبات

العصر الذي نعيشه ومقتضيات العصر الذي يل يهِ إدا أردنا أن تنظر إلي الموضوع برؤية استشرفيه قائمة علي التخطيط والإعداد.

ثانيا: اللغة الأمازيغية

إذا أردنا أن نحدد موقع اللغة الأمازيغية في اللسان الجزائري وفي اللسان المغربي بأبعاده التاريخية والجغرافية، فإننا نجد إن هذه اللغة ظلت بمضامينها الثقافية والاجتماعية تشكل إحدى ملامح المجتمع الجزائري وواحدة من خصوصياته حيث ظلت العلاقة بين اللغات الأمازيغية والعربية والعامية علاقة نواصل وتقارب ولم نكن في يوم من الأيام علاقة صراع أو توتر عل ى النحو الذي تدعيه ويروج له بعض الجهات إلي لا تفرق بين الحقائق العلمية والأغراض والنزعات الخاصة أن هذه اللغة بمختلف فروعها، وشعبها من فتئت تعيش وتساير الحياة اليومية للمواطن وتؤد ي دور التواصل بين أفراد الأسرة والجماعات ولم يحدث في تاريخ الجزائر والمغرب العر بيّ وعلي مدى العصور المتتالية أن لجأت إحدى هذه الدول (المرابطين الموحدين، الدولة الحيادية الز يانية) إلي فرض اللغة أو منع الناس من استعمال اللغة الأمازيغية بل تحول هذا التمازج الشعبي إلي ثقافة وآداب أنجبت علماء وأدباء كبار تركوا تراثا يكاد يضاه ي الثروات المشرقي ،بل أن لغة القرآن، اللغة العربية لم تشهد من الازدهار، مثل ما شهدته في عصر الكبريات الدول الأمازيغية التي حك مت المغرب وأن أعظم الأدباء العلماء المغاربة الذين تشبعوا بثقافة عربية واسعة وطارت شهرتهم في الآفا ق قد كانوا من الأمازيغ، كانوا علماء في اللغة والفقه والتاريخ.

بل أن التاريخ يشهد أن كثيرا من الفقهاء والأئمة كانوا يجتهدون ويتفرغون لتعلم اللغة الأمازيغيه أو الشلح يهِ أو غيرها ليتمكنوا من التواصل مع السكان وتعليمهم مبادئ الإسلام وقواعده[1].

[1] ينظر في هذا الموضوع :في المسألة الأمازيغية أ.د صالح العيد ص 25 و ما بعدها دار هومة للطباعة و النشر.

ويحدثنا التاريخ كذلك، أن عبد المؤمن بن علي (في عصر الموحدين) قد أمر بتدريس علوم الدين بالأمازيغية لمن لا يفهم العربية يقول "المنوني" في كتابه العلوم والآداب، والفنون على عهد الموحدين" تقوم سياسة التعليم علي عهد الموحدين، علي أنه يجب علي كل من انضوى تحت راية أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة.... ولقد جعله حتما لازما علي كل مكلف" الرج ال والنساء ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ وبلسانهم عقيدة بن تومرت البربرية[1] بقول الأستاذ الوذاغيري "لم يكن ذلك الشخص المنحدر من أصل أمازيغي يجد أدنى عضاضة في تعلم اللغة العربية والإقبال عليهم والتبحر فيها ليصبح من العلماء والأدباء... ولم يكن ذلك المنحدر من أصل عربي يرفض – في القابل من تعلم لهجة، أو أكثر من لهجات الأمازيغية[2].

وهكذا أصبح سكان الجزائر والمغرب العرى يعيشون تحت غطاء الإسلام عيشة تكامل وتأثر بين العربية والأمازيغية اما ان تكون قد تعرضت للتهميش والإقصاء حتى من الناطقين بها كما يذهب إلي ذلك صديقنا الباحث الاستاد صالح بالعيد فإن ذلك لا يدل الاعلي شيء واحد هو صلابتها وقدرتها علي الصمود والبقاء وكم لغة كانت في يوم الأيام اللغة المهنية الخاصة لعلوم وتفافات غزيرة تم الفرصة وتلاشت عبر العصور.

ولو لا أن كتب الله اللغة العربية الحفظ والبقاء لأجنها لغة القرآن، لما استطاعت أن تعيش وتقاوم كل الحروف والمؤامرات التي حيكت ضدها.

ونعود فنقول مع الأستاذ بالعيد: مما لاشك فيه أن النسيج الاجتماعي الجزائري موحد ومتنوع، فلست هناك تنائيه عرقية بين الناطقين بالعربية والناطقين

اللغة و الدين والهوية ل.عبد العلي الودغيري ص 79–85 مطبوعات النجاح 2000 و مجلة اللغة العربية و تحديات العصر مقال للدكتور عز الدين المناصرة:الهويات والتعددية اللغوية.

[1] محمد المنوني :العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 27–28 مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر ط :1977

[2] اللغة و الدين و الهوية ل.عبدا لعلي الودغيري ص 85 .

بالأمازيغية فقد لعب البربر الأمازيغيون دورا محوريا في ازدهار الخضار الإسلامية ونشر أنوارها[1].

ثالثا: العامية

لا نستطيع أن نتطرق إلي العامية أو اللسان الدارج دون أن ينظر إلي علاقتها وارتباط ها بالفصحى، فهي فضلا عن كونها فرعا من فروع اللغة الفصحى فهي ما فتئت تواصل احتكاكها وتلاحقها مع البيئات الانفرادية والتركيبية إلي تضرمنها لغة الضاد وهذا ما يؤكده علماء اللغة المختصون بأن وجود ازدواجية في نفس اللغة أو بين لغة لأصلية وبين لهجاتها هي ظاهر مطردة وعامة مع التفاوت والاختلاف في درجات التقارب بين اللغة الأصلية (الفصحى) وبين الفرعية (العامة) هذه الظاهرة اللغوية هي التي تسمى– « diglossia ولذلك فإننا لا يمكن أن نطلق علي هذا المستوى من الاستعمال مصطلح لغة ولا التعدد اللغوي وكل ما يمكن أن نقوله في هذه الحالة هو تعدد الاستعمال في إطار اللغة الواحدة.

فإن جئنا نعاين واقع هذا لاستعمال اللغوي فإننا نجذ أن : حتى الناطق العربي الأم ي وهو يتكلم بالدارجة لا تخلو لغته من كلمات عربية فص يحة ويسهل عليه حفظ القرآن الكريم وفهم الدروس الدينية وخطب الجمعية ونشرة الأخبار.

ومن الناحية الثانية فإننا نجد أن العالم أو المثقف لع ربي لا يستعمل الفصحى وحدها في الحياة العامة وحتى في المعاملات الإدارية والتجارية والمالية بل في كثير من الحوارات والمنافسات التي تجرى بين أهل العلم يستعمل فيها عادة ما يسمى ب:(عامية المثقفين).

ولقد رأينا في دراسة سابقة (ومن هذا المقام) كيف أن القبائل العربية التي هاجرت ألي البيئات المفتوحة بلهجاتها المختلفة تعايشت مع الشعوب تتكلم بألسنة

[1] الأمازيغية في خطر ؟ د.صالح بلعيد ص 62–63 منشورات جامعة مولود معمري .

مختلفة، منها القبطي ومنها البربري، ومنها الدرزي ومنها الفارسي حيث تسربت منها بعض الآثار اللغوية والصوتية لتترك بصماتها علي تلك اللهجات، غير أنه ظلت محتفظة بأصولها و شكلها العربي في الدلالة والتركيب والتصريف والصيغة والعدد (ماعدا المثنى) واسم الإشارة والموصول، والمضارع والماضي واسم المفعول والتذكير، والتأنيث وه كذا ظلت الشعوب العربية تحافظ علي سلامة لهجائها، وعلي صلاتها العائلية الحميمة بالفصحى وهذا علي الرغم من ابتلائها بعد ذلك بسياسة الإبعاد والتهميش إلي انتهجتها القوة الاستعمارية ضدها" [1] والذي يجمع عليه اللسانيون العرب اللذين درسوا العلاقة بين الفصحى والعامية هو أنهما لا يشكلان لغتين مختلفتين وإنما هما مستويان للغة واحدة يشتركان في نظامهما الصوتي، ونظامها الصرفي وبنيتهما التحتية نخلص من هذا إلي القول بأن هناك في الجزائر وفي العالم لعزى لغة واحدة بالمعني العلمي والاجتماعي للكلمة هي اللغة العربية وأن هناك وسيلة اتصال أخرى هي العامية والتي هي أداة تواصل مرتبطة ب الفصحى ومتفرعة عنها وليست مستقلة عنها وأنها هي أداة تعبير تعلو وتهبط حسب المستويات التي تستعمل فيها وما يجب أن نلاحظه ونستنتجه في الأخير هو أن رصيد الفرد (الجزائري بالخصوص) من الفصحى قد تزايد بصورة مطّردة وملحوظة منذ الاستقلال وهذا بفضل السياسة المتبعة في البلادة القائمة علي إجبارية التعليم وتعريب كل المواد في الابتدائية والثانوي وقطاع كثير من التعليم العالي.

رابعا: اللغات الأجنبية

نود أن نسارع إلي القول بأن التعدد اللغوي الذي نقصده في هذ الباب وتحت هذا العنوان هو السياسة إلي ينبغي أن نتبعها من أجل إتقان اللغات الأجنبية التي نرى فيها أو نجد فيها مصالحنا الاقتصادية والعلمية بحيث تكون

[1] ينظر بحث لنا تحت عنوان :نظرات في مستويات التخاطب بين المجتمعات في الجزائر و العالم العربي مجلة مجلس الأعلى للغة العربية و بحث آخر د.على القاسمي في مجلة نفسها تحت عنوان : العربية الفصحى و عمياتها

أداتا وقنا تا التمرير المعارف والخبرات إلي بلادنا وإلي مجتمعنا أو من أجل تواصل مع شعوب تجمعنا معها صلات روابط جغرافية أو تاريخية أو سياسية أي أن تعلم هذه اللغات يكون قائما على إستراتيجية وتخطيط بعيد ة المدى وتحقيق الأهداف إلي ينتظرها منه المسؤولون عن القطاعات الحيوية في البلاد وهذا يعني إننا نستمر في التمكين اللغة العربية باعتبارها لغة التعليم والإدارة والعلوم ووضع الخطط والإستراتجية اللازمة لكي تظل هي اللغة السائدة في جميع المستويات دون منازع وأن اللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية والإس بانية وغيرها هي أ وعية وأدوات تمثل الجسور والروابط التي تمكننا من الع بور إلي عوالم الانجازات العلمية والتكنولوجية ومن التواصل الثقافي والاقتصادي مع الشعوب الناطقة بهذه اللغات وهذا ما يتحقق ولو جزئيا عن طريقة البعثات العلمية إلـتي توفدها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلي مختلف البلدان الناطقة بهذه اللغات حيث يعلم الجميع أن حاجات القطاعات المختلفة في بلادنا (الشركات الإنتاجية، المؤسسات الاقتصادية، التعليم العالي) إنما بقت تغطية جانب كثير منها بفضل ما عاد ت به هذه البعثات من معارف وخبرات وما كان هذه البعثات أن تحقق أهدافها المرجوة منها لو لا ما تم تهيئة في المراحل التعليمية (الابتدائي المتوسط الثانوي) من برامج ومقررات في مجال تعليم اللغة الأجنبية.

ونحن عندما نريد أن نستشرف ملامح المستقبل في ما يتعلق تعلم اللغات الأجنبية و تداولها في المجتمع الجزائري نجد أن هناك تطورات وتغييرات طرأت على مواقع اللغات الأجنبية في بلدنا لعل أهمها ما يلاحظه الواحد منا من أن اللغة الفرنسية لم تعد قدرا محتوما على الجزائريين كما يضن البعض.

أولا: تعليم اللغات الأجنبية في مراحل التعليم الثانوي حيث نجد أن الحجم الساعي الأسبوعي المخصص للغتين الإنجليزية و الفرنسية يكاد يكون متوازنا (معدل ست ساعات لكل منهما في الأسبوع)

ثانيا: في التعليم الجامعي:تبيين قراءة أعداد الطلبة المسجلين في مختلف أقسام اللغات الأجنبية أن أعداد الطلبة المسجلين في قسم اللغة الإنجليزية (الليسانس ماجستير والدكتورة) يفوق بكثير الطلبة المسجلين في اللغة الفرنسية.

وهذه هي الأرقام التي أطلعتنا عليها كلية الآداب في جامعة وهران، واتخذناها نموذجا لأخذ فكرة عن مواقع اللغات الأجنبية في الجامعات الجزائرية.

عدد الطلبة المسجلين في مختلف الأقسام والمراحل بما في ذلك الماجستير والدكتورة:

قسم اللغة الأجنبية : 2053

قسم اللغة الفرنسية : 1706

قسم اللغة الإسبانية : 1320

قسم اللغة الألمانية : 1243

ومن شان هذه الأرقام أن نقدم لنا نظرة عن واقع ومستقبل اللغات الحية المتداولة في الجزائر لأنها تبين لنا في نفس الوقت التوجهات المتوقعة للمجتمع من حيث تواصله وتعامله مع الجهات التي تربطه بها علاقات اقتصادية وعلمية واجتماعية وهذا ما أصبح يطلق عليه بالاقتصاد اللغوي الذي يقتضي تعلم اللغات التي تتحول نتائج إتقانها إلى ثمار اقتصادية أو علمية أو مالية يجنيها المجتمع.

ولعلنا – وبعد هذه النظرات ألي ألقينا ها علي الخريطة اللغوية في الجزائر بالخصوص – نستطع أن نخرج بقراءات وتنتهي إلي استنتاجات أهمها: أهمية اللغة الوطنية الجامعية في توحيد المجتمع، وتواصله وانسجامه حيث يذهب المختصون إلي حد الربط بين النمو الاقتصادي في البلد وبين اللغة الواحدة الجامعية، أي عندما تكون غالبية أفراد المجتمع تستعمل لغة واحدة في القطاعات الحيوية ولقد قام أحد الباحثين بدراسته هذا العلاقة فوجد أنه عند ما يكثر تعدد اللغات ويزداد تشعبها في بلدنا ما فإن ذلك يؤدى إلي إضعاف وثيرة النمو الاقتصادي، وهذا يعنى أن النمو الاقتصادي يتناسب عكسيا مع تعدد اللغات،

فهو ينمو، وينتعش في البيئات التي يقتصر فيه علي استعمال لغة، أو لغتين ويتراجع وينكمش أمام اللغات إلتي تكثر وتحتشد في بيئة أخرى [1] والدراسة تعتمد علي أمثلة واقعة ظاهرة للعيان فالقارتان الأوربية والأمريكية، هما أغنى القارات لأن اللغات المستعملة فيها، مسنجمة ومتوحدة (يراجع الجدول الذي قدمناه في أول هذا البحث) وأن دولا مثل بلجيكا وكندا، وجنوب إفريقيا قد حققت تطورا نموا اقتصاديا ملموسا بعد أن عملت على التقليص من عدد اللغات المتداولة في بلدانها بل إن كثيرا من الخبراء ينتهون إلي نتيجة علميه وحتمية في هذا الموضوع، فهم يرون أن النمو الاقتصادي والتطور العلمي يمران حتما، بضرورة الانسجام والتوحد اللغويين.

أن هذه الإحكام أو الاستنتاجات إلي انتهي إليها المختصون مبنية علي ما يمكن تحقيقه بفضل اللغة الجامعة من آثار ايجابية من حيث تحقيق التواصل السلس بين أفراد المجتمع ومن حيث تسهيل المعاملات الإدارية والقانونية ومن حيث توحيد الهدف والشعور بالانتماء إلي وطن واحد مما يساعد علي توحيد الصف وتقوية روح التعاون والتكامل بين أفراد المجتمع حيث يلاحظ من الجهة المعاكسة أن التعدد أو لنقل التسيب اللغوي يؤدى حتما إلي تفلك الرابطة الوطنية وهلهلة النسيج الاجتماعي ويساعد علي بث روح الانغلاق والتقوقع.[2]

المراجع

1- Francophonie et mondialisation page 15-19 institut pour la francophonie 2001
2- Les langues en Europe donnée générales office des publication officielle 2004

[1] Les langues en Europ données générales

[2] التعدد اللغوي وانعكاساته علة النسيج الاجتماعي محمد الأوزاعي ص 12 وما بعدها منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب واللسانيات الاجتماعية جولييت غارمادي ترجمة د.خليل أحمد خليل ص 71 وما بعدها دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1990.

3- http://www.upac flabele socio/diglossie

4 - نفسه

5- Plurilinguisme et langue maternelle/ Christian édition ALFA 2007 P353-363

6 - تفسه

7- Francophonie et mondialisation page 46

8- Les langues en Europe données générales

9 - قضايا استعمال اللغة العربية

مقال للأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري حول أزمة اللغة العربية في المغرب مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ص 70 و ما بعدها .

10 - نفسه ص 92-93

11 - ينظر في هذا الموضوع :في المسألة الأمازيغية أ.د صالح العيد ص 25 و ما بعدها دار هومة للطباعة و النشر .

اللغة و الدين و الهوية ل.عبد العلي الودغيري ص 79-85 مطبوعات النجاح 2000 و مجلة اللغة العربية و تحديات العصر مقال للدكتور عز الدين المناصرة:الهويات و التعددية اللغوية .

12 - محمد المنوني :العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين ص 27-28 مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ط :1977

13 - اللغة و الدين و الهوية ل.عبدا لعلي الودغيري ص 85 .

14 - الأمازيغية في خطر ؟ د.صالح بلعيد ص 62-63 منشورات جامعة مولود معمري .

15 - ينظر بحث لنا تحت عنوان :نظرات في مستويات التخاطب بين المجتمعات في الجزائر و العالم العربي مجلة مجلس الأعلى للغة العربية و بحث آخر د.على القاسمي في مجلة نفسها تحت عنوان : العربية الفصحى و عمياتها

16- Les langues en Europ données générales

17–التعدد اللغوي و انعكاساته علة النسيج الاجتماعي محمد الأوزاعي ص12 و ما بعدها منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط المغرب و اللسانيات الاجتماعية جولييت غارمادي ترجمة د.خليل أحمد خليل ص 71 و ما بعدها دار الطليعة للطباعة و النشر بيرون 1990 .

معضلة التعددية اللسانية في غرب إفريقيا "المشاكل والحلول"

أ.د. علي يعقوب الجامعة الإسلامية – النيجر

مقدمة

لحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد.

فإن دول إفريقيا تتميز بتعدد أشكال وأنماط ، سواء كانت تعددية إثنية أو لغوية أو دينية فعلى صعيد التعددية اللسانية توجد في إفريقيا أكثر من ألفي لغة ولهجة، إلا أن هذا العدد يمكن تقليصه إلى نحو خمسين لغة رئيسية إذا ما تم تجميع اللغات واللهجات المتشابهة ، والاقتصار على اللغات الرئيسية وتنتمي هذه اللغات في مجملها إلى مجموعتين رئيسيتين هما: مجموعة اللغات الأفرو آسيوية، ومجموعة لغات النيجر الكونغو، وكلتاهما تتكون من مجموعات لغوية فرعية، ولم تكن هذه اللغات مع كثرتها تسبب معضلة في التفاهم والتواصل بين

شعوب القارة قبل الاستعمار الغربي لها، ولم تكن من أسباب الحروب والصراعات فيها، وبخاصة غربها، لأن اللغة الرسمية والتفاهم كانت واحدة، وهي لغة تنسجم مع السكان المحليين لأنها لغة دينهم، ألا وهو الدين الإسلامي ، وحتى اللغات المحلية كانت تكتب بالحرف العربي، ولكن لما جاء الاستعمار، حاربها ومنع التدريس بها والكتابة بها في جميع المجالات، ورسم بين سكانها حدودا وهمية وفرق بين الابن وأبيه والأخ وأخيه، واختار زمرة ودرسها لغته، وأسند إليها زمام الأمور، وفرض عليها لغته التي جاءت من وراء البحار، وصوّر لهم أن اللغات الإفريقية لا تصلح للحضارة والتقدم بل جعلها سببا للحروب والصراعات بين الأفارقة، حيث جعل كل يدعى أن لغته هي الأفضل، وهي المناسبة لتكون اللغة الرسمية للدولة، ولما يخفق ذلك يجعلون لغة من اللغات الأوروبية لغة رسمية، وقد يرفض ذلك بعض المواطنين، وبخاصة الذين يشكلون الأغلبية في الدولة وفي النهاية تشتعل نيران الصراعات والحروب، بين شعب دولة واحدة، بسبب اللغة القومية. وتأتي هذه الورقة البحثية بعنوان: **معضلة التعددية اللسانية في غرب إفريقيا "المشاكل والحلول** "وتركز الورقة على غرب إفريقيا، لتشخيص الداء ووصف الدواء. وقد قسمتها إلى مبحثين:

المبحث الأول : معضلة التعددية اللسانية في غرب إفريقيا "الأسباب والمشاكل" ويركز على ذكر أسباب تعدد اللسانية في غرب إفريقيا، وآثاره السلبي على دولها من حيث الأمن والاقتصاد والثقافة والسياسة.

المبحث الثاني: الحلول المقترحة لعلاج معضلة التعدد اللسانية في غرب إفريقيا ، ومنها إيجاد لغة قومية رسمية ، وبخاصة اللغة العربية في الدول ذات الأغلبية المسلمة مثل: النيجر ومالى والسنغال.

ثم **الخاتمة** التي ذكرنا فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : معضلة التعددية اللسانية في غرب إفريقيا

"**الأسباب والمشاكل**":

لم تكن التعددية اللسانية مع كثرتها تسبب العرقلة في التفاهم والتعايش السلمي بين شعوب القارة الإفريقية قبل الاستعمار الغربي لها، ولم تكن من أسباب الحروب والصراعات فيها، وبخاصة غرب إفريقيا لأن اللغة الرسمية والتفاهم كانت واحدة، وهي لغة تنسجم مع السكان المحليين لأنها لغة دينهم، الدين الإسلامي، ألا وهي اللغة العربية وحتى اللغات المحلية الكبرى كانت تكتب بالحرف العربي، ولكن لما جاء الاستعمار الغربي حاربها ومنع التدريس في جميع المراحل، والكتابة بها في جميع المجالات ورسم بين سكانها حدودا وهمية وفرق بين الابن وأبيه والأخ وأخيه واختار زمرة ودرسها لغته، وأسند إليها زمام الأمور وفرض على شعوبها لغته التي جاءت من وراء البحار، وصور لهم أن اللغات الإفريقية لا تصلح للحضارة والتقدم، بل جعلها سببا للحروب والصراعات بين الأفارقة، حيث جعل كل يدعى أن لغته هي الأفضل، وهي المناسبة لتكون اللغة الرسمية للدولة، وقد يرفض ذلك بعض المواطنين ، وبخاصة الذين يشكلون الأغلبية في الدولة ، ولما يخفق ذلك يجعلون لغة من اللغات الأوروبية لغة رسمية، أوفي النهاية تشتعل نيران الصراعات والحروب، بين شعب دولة واحدة، بسبب اللغة القومية.

تعتبر ظاهرة الحروب الأهلية من أبرز الظواهر الإفريقية؛ إذ لا يكاد يخلو إقليم من أقاليم القارة الإفريقية من صراع أو حرب أهلية عنيفة كان لها آثارها العميقة ليس فقط على الحياة السياسية، وإنما على كافة مناحي الحياة في القارة الإفريقية، وتتسم ظاهرة الصراعات الأهلية في القارة الإفريقية بأنها ظاهرة معقدة سواء فيما يتصل بخلفياتها وأسبابها، أو فيما يتصل بنتائجها وتداعياتها، فعلى صعيد الأسباب قد لعبت العديد منها دوراً في اندلاع الحروب الأهلية ، **ومن ذلك مشكلة اللغة القومية (أواللغة الجامعة)** التي تعتبر إحدى المشاكل الهامة في القارة ، إذ اللغة ليست بعدا أساسيا للدولة فحسب، وإنما هي أيضا مقياس ومعيار

دقيق لها وقد تكون اللغة نقطة الضعف الكبرى في بناء الدولة في الجزء الأكبر في إفريقيا، وبخاصة في دول جنوب الصحراء.

لأن وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحدة القومية وهي أكبر عامل يوِلد في نفوس الناس إرادة الانتظام في أمة واحدة، والشعوب تتميز بعضها عن بعض بأن لكل منها لغة خاصة بها تتكلم بها، وكما قالوا: اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، فمما لاشك فيه أن اللغة هي أقوى رباط معنوي بين أفراد، ومتى تفاهم الأفراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم، ونشأ فيهم شعور بالتعاطف، قلما ينشأ مثله بين أفراد يتكلمون بلغات مختلفة، وهذا التعاطف عامل عظيم في جعل المتكلمين لغة واحدة يؤلفون أمة واحدة، [1] لأنه لا يمكن لجماعة أن تشارك في الفكر والشعور والإرادة والعمل من دون وجود اتصال بينها، وذلك عن طريق اللغة وهذا مما يجعل للغة المشتركة أهمية كبيرة في تشكيل الوحدة الوطنية، لذلك نسمع في الدول التي تتعدد فيها اللغات يرددون شعار: شعب واحد ولغة واحدة، [2] وأشارت دراسات متعددة إلى أثر اللغة الواحدة في تقوية الإحساس بالهوية القومية والولاء، لذلك كان الهدف الأول للاستعمار الغربي في إفريقيا قتل اللغات الدول المستعمرة لنشر لغاتها وثقافاتها، لما في ذلك من تأثير كبير في تضعيف الروح الوطنية لدي المواطنين، والرضي بأفاعيل الدول الاستعمارية أو تفضيل لغة على لغة، أو تمزيق الشعوب الكبيرة بين عدة دول ذات حدود وهمية حتى لا يشكلوا لها مشكلة، إذا اجتمعت في دولة واحدة، **مثل:** تمزيقهم لشعب الفولاني، والهوسا، الماندينغو وسنغي وغيرها من الشعوب الكبيرة في عدة دول بغرب إفريقيا، ثم يعمدون إلى جعل اللغة الأقلية اللغة المعتبرة، أو يسندون الأمور إلى الناطقين بها، مثل ماكان في تشاد أيام الاستقلال حيث سلموا مقاليد البلاد إلى فئة الأقلية

---

[1] . انظر , محمد عبد الغني سعودي , قضايا إفريقية , عالم المعرفة 1980م ص 131 بتصرف

[2] . المصدر السابق , ص 132 بتصرف

العرقية واللغوية في جنوب البلاد مما أشعل فيها حربا أهلية دامت لسنوات طويلة ولم تنتهي بصورة نهائية إلا بتولي الأغلبية الشمالية السلطة.

ففي إحصائية لأشد الحروب الأهلية في العالم في الفترة (1945 . 1999م) بلغ عدد تلك الحروب (127) وكان نصيب إفريقيا منها أربعين، بمعدل (5،31%) وفي عام (2002م) بلغ عدد الحروب الأهلية في العالم ثلاثين حربا أهلية وكان نصيب إفريقية جنوب الصحراء وحدها (50%)1

وإن جل الحروب الأهلية والصراعات والحركات الانفصالية والثورات التي نشبت في إفريقيا وبخاصة في سنوات الاستقلال، كانت بسبب تعددية لسانية واختلاف اللغات، وحتى اختلاف الدين الذي يعتبر عامل مهم في الحروب لم يلعب دورا مهما في الصراعات الإفريقية مثلما لعبت قضية اللغة، فمثلا دولة نيجيريا التي يوجد بها أكثر م ن مائتي(200) لغة قامت سلطات الاحتلال بنشرثلاث لغات فقط وجعلت منها لغات قوية، وفرض المستعمر لغته دون مراعاة للظروف الاجتماعية والثقافية للدولة التي تعاني من مشكلة الوحدة القومية، كان الاستعمار البريطاني حكمها على أساس وحدتين كبيرتين من الناحية اللغوية والحضارية، هما الولايات الشمالية والولايات الجنوبية، ولم تختف آثار هذا التقسيم حتى الوقت الحاضر وتعتبر لغة الهوسا، أكثر اللغات انتشارا في الشمال، بينما تعبر الإيبو واليوربا أكثر اللغات انتشارا في الجنوب وقد قامت صراعات دموية في نيجيريا بسبب هذا التقسيم الذي يقوم على أساس لغوي بين الإيبو واليوربا وبين الإيبو والهوسا، وظهرت عدة اتجاهات تدعو إلى تقسيم الدولة على أساس، وعلى رأسها اتجاه أوجوكو (0jocko) في الجنوب الذي دعا إلى انفصال الجنوب عن الشمال، وأنشأ جمهورية بيافرا (Biafra) في الجنوب لقبائل الإيبو مع بعض الأقليات المنضوية تحتها، ولم تهدئ الأمور إلا بعض هزيمته في عام 1970م.

---

[1] . د. آدم بمبا , النزاعات الأهلية في إفريقيا قراءة في الموروث السلمي الإسلامي , سلسلة دعوة الحق ,العدد(243) 2010م رابطة العالم الإسلامي, ص 11

وكان غالبية سكان نيجيريا قبل عام 1966م قد وصلوا إلى مرحلة قبول ثلاث لغات محلية رئيسية وهي الهوساواليورباوالإيبو، ولكن حين قسمت البلاد إداريا إلى اثنتي عشرة ولاية ظهرت لغات كانت تعد لغات أقليات في ضوء التقسيم القديم إلى ثلاث ولايات فأصبحت في ضوء التقسيم الجديد ليست أقلية وبالتالي لا يمكنها أن تتنازل عن لغاتها للغات منافسة [1]، ومازالت تلك الأفكار والاتجاهات تظهر من حين لآخر، وهذا سبب التقسيمات الكثيرة للدولة إلى ولايات التي تزيد على ثلاثين ولاية لأن كل وحدة لغوية تطالب بأن يخصص لها ولاية ،إن مثل هذه الأفكار ليس لها وجود قبل الاستعمار الأوروبي للمنطقة.

ونجد مثل هذه الحالة في موريتانيا التي كانت دولة واحدة من حيث الشعب واللغة والدين قبل الاستعمار الفرنسي، ولكنه استطاع أن يفتت هذه الوحدة بزرع النعرات القومية واللغوية بين فآت المجتمع الموريتاني، الذي يجمعها دين واحد، ولغة ذات انتشار واسع في الدولة وهي اللغة العربية.

كذلك الحال في ليبيريا التي تأسست عام 1822م تحت وصاية الولايات المتحدة الأمريكية وكانت السياسة الأمريكية في ليبيريا هي استيعاب الأفارقة الوطنيين من أبناء القبائل ضمن الثقافة الأمريكية واقتلاعهم من جذورهم الأفريقية لاتخاذهم من قبل النخبة العنصرية السوداء كأدوات للسيطرة على القبائل الأخرى، وظلت النخبة العنصرية مسيطرة على زمام الأمور في ليبيريا، مما جعل بعض الوطنيين الأصليين يستولون على السلطة في انقلاب دموي في عام 1980م مما أوقع البلاد في عام 1989م في حرب أهلية أتت على الأخضر واليابس وخلفت آلاف القتلى والمشردين، وهذا كله بسبب تفضيل لغة على أخرى أو قومية على أخرى، ولم تتوقف إلا في عام 2003م بوصول قوات غرب إفريقيا إلى ليبيريا.[2]

---

[1] . محمد سعودي , المصدر السابق , ص 166 بتصرف

[2] . أنظر , الصراعات والحروب والنزوح ومشكلات الهجرة في إفريقيا ,د.إبراهيم محمد بلولة , مجلة البحوث والدراسات الإفريقية, العدد السادس 2010م , طرابلس , ليبيا , ص: 121 بتصرف

وقامت الحرب الأهلية في ساحل العاج التي تمتعت بحالة من الاستقرار السياسي منذ استقلالها حتى 1994م لما توفي رئيسها الأول فليكس هوفوبيه، دخلت البلاد في حلقات من عدم الاستقرار، والصراعات العرقية وبخاصة لما منع البعض عن خوض الانتخابات الرئاسية الأمر الذي أدى إلى توتر الأوضاع بسبب التحيز العرقي والديني، وقيام حركة التمرد في الشمال ذات الأغلبية المسلمة مع الجنوب ذات الأغلبية المسيحية والوثنية، ولم تتوقف إلا بتدخل الأمم المتحدة، وفي غينيا المجاورة جمرة فتنة بسبب العرق أو اللغة مخبوءة تحت الرماد وقد تشتعل في كل لحظة، والله المستعان!

ونجد أغرب تفتيت لغوي وعرقي في دولة غمبيا التي قبائلها هي نفس القبائل التي في السنغال، ولكنها مزقت من جسدها الأم، فأصبحت دولة محاطة بدولة من الشمال والجنوب وهي السنغال، لأن غمبيا مستعمرة إنجليزية والسنغال مستعمرة فرنسية!

ففي شرق إفريقية اندلعت أبشع حرب الإبادة لقبيلة من القبائل وهي قبيلة توتسي في رواندا، وحرب جنوب السودان ليست ببعيدة، وكذلك إقليم الكاسماس في السنغال الذي مازال يحمل السلاح في وجه الحكومة المركزية ويطالب بالانفصال عن السنغال بسبب العرق والدين.

وهكذا صارت التعددية اللسانية أوالعرق سببا من أسباب تفتيت القارة الإفريقيا، وسببا من أسباب اندلاع الصراعات والحروب الأهلية فيها بعد استعمارها من قبل الدول الغربية . التي نهبت ثرواتها. مما جعل للغة المستعمر قوة وسيطرة، وصارت هي اللغة الرسمية ولغة التعليم في جل الدول الإفريقية، وفي الحقيقة إن جل الدول الإفريقية تعاني من مشكلة تعدد اللغات المحلية، وليس هناك لغة قومية يمكن اختيارها لغة رسمية تنمى بواسطة نظام تعليمي، لأن كل قومية ترى بأن لغتها أولى بأن تكون هي الرسمية وإلا فستكون هناك صراعات قبلية وإقليمية.

قد كانت شعوب إفريقيا الغربية قبل الاستعمار الغربي لها متناغمة ومنسجمة على رغم من تباينها العقدية والقبلية واللغوية سواء داخل الممالك الإسلامية أم خارجها في علاقاتها مع الممالك الوثنية فكانت علاقات طبيعية سلمية عمادها التعاون المشترك في المصالح والتجارة، ولم تكن الصراعات الداخلية تحمل أبعادا قبلية أو دينية إلا نادرا [1] وقد سجل لنا البكري منذ عام (460هـ/1068م) صورة من هذا الانسجام والتعايش السلمي بين شعوب إفريقيا رغم اختلاف الدين واللغة، إذأشارإلى بعض الخصوصيات والامتيازات التي كان يتمتع بها المسلمون في ظل الملك الوثني، بوصفهم القادرين على القراءة والكتابة والترجمة[2] يقول "وترجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحب بيت ماله، وأكثر وزرائه"[3]

ومن أهم الممالك الوثنية التي عايشت الممالك الإسلامية المعاشة السلمية مملكة الأشانتي الوثنية . في غانا حاليا. التي اتسمت بعلاقات التعاون مع الممالك الإسلامية الواقعة في شمالها، وكان التجار المسلمون يحملون الأقمشة والجلود وغيرها من البضائع إلى عاصمة مملكة الأشانتي . كماسي . (Kumasi) وقد أثر عن ملوك الأشانتي تقريب العلماء المسلمين وإسناد مهام إدارية إليهم وجعلهم سفراء ووسطاء بينهم وبين نظرائهم المسلمين مثل: الشيخ إبراهيم البر ناوي، والشيخ محمد الغامبا، ويدونون لهم الوثائق والحسابات والمخاطبات باللغة العربية التي تعتبر اللغة الوحيدة التي تتم بها المراسلات الرسمية.

والأمر نفسه وارد في مملكة موسى (mossi) الوثنية، التي استقدم بعض ملوكها علماء من تمبكتو وأسند إليهم بعض مهام إدارية، وبخاصة في عهد الملك

---

[1] . المصدر السابق , ص 119 بتصرف يسير

[2] . المصدر السابق , ص119

[3] . البكري , عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد , المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب , الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ص175

نابا دولوغو (naba dulugu 1796. 1825م) ومن أشهرهم الشيخ مصطفى بغيوغو.[1]

وكذلك الحال في الخلافة الإسلامية في سكتو التي تربطها علاقة التعاون والتعايش السلمي مع المماليك الوثنية في الجنوب، مع مراعاة حقوق غير المسلمين الذين يعشون قي ظل الخلافة الإسلامية، وهذا ماصرح به أحد الباحثين، بقوله: "وعلى الرغم من كون الشريعة الإسلامية هي القانون الرسمي للدولة في ظل الخلافة الصكتية، فإن الدولة لم تهدف أبدا إلى فرض الشريعة على غير المسلمين، فكان الحكم بالشريعة خاصا بالمسلمين، وكيّفت الخلافة الأعراف المحلية للحكم بها بين غير المسلمين في الدولة الإسلامية"[2] .

وعلى كل فإن شعوب غرب إفريقية كانت تعيش في وئام وسلام قبل الاستعمار ولم تكن اللغة أوغيرها تسبب العراقيل في التفاهم والتعايش، وكانت اللغة العربية هي لغة التعامل التجاري والثقافي بين شعوبها سواء كانوا مسلمين أوغير المسلمين.

المبحث الثاني : الحلول المقترحة

نحن اليوم أمام معضلة عويصة وهي معضلة الصراعات الإفريقيا بسبب تعدد اللساني أوالعرق وانعدام اللغة الجامعة . وهذا الداء المعضل، لابد له من طبيب خبير بداء إفريقيا وتشخيص الداء ووصف الدواء الذي يستأصل الداء من جذوره هذا الداء الذي سبب جل الصراعات والحروب الأهلية في إفريقيا ، إذن لابد من عمل شيء في هذا المجال، وهو: **توحيد لغة التعامل وأن تكون لغة محلية**،إذ إن التعددية اللغوية تعتبر ظاهرة عالمية ، وليست حالة خاصة بإفريقيا فحسب، لأنه قلما توجد دولة على خريطة العالم تخلو من هذه الظاهرة، إلا أن غالبية دول العالم قد استطاعت القضاء عليها بطريقة ما، وذلك من خلال

---

[1] . آدم بمبا , المصدر السابق , ص 121 و122 بتصرف

[2] . بواسطة آدم بمبا , المصدر السابق , ص 125

العكوف على دراسة لغة وطنية معينة وتهذيبها وتطويرها حتى أصبحت لغة الدولة للتربية والتعليم والثقافة والتكنولوجية ، وهذا ما شاهدناهفي بلدان كثيرة مثل: الهند وإتحاد السوفييت سابقا والباكستان.

كذلك لا تعتبر التعددية اللغوية مشكلة صعبة العلاج ولا حجر عثرة أمام تقدم بلدان أفريقيا، لأنها ليست وحدها التي تموج فيها هذه الظاهرة، فلو نظرنا إلى الهند مثلا لوجدنا سكانها يتكلمون بأكثر من ثلاثمائة لغة مختلفة، ولكن مع هذا الكم الهائل من اللغات المحلية استطاع الشعب الهندي التخلص من اللغة الإنجليزية ورماها في مزبلة التاريخ، وتوجه إلى دراسة لغاته الوطنية بالعزم والحزم الأكيدين حتى حقق هذا الشعب الباسل انجازات تاريخية رائعة وذلك من خلال لغته الهندية.

ولحل هذه المعضلة في إفريقيا : يجب أن لا تتدخل الدولة رسميا لفرض هذه اللغة أو تلك، بل تترك ذلك لعملية الانتخاب الطبيعي، فإذا استطاعت لغة ما، أن تكسب أرضا واسعة، اختيرت لتصبح لغة قومية تستخدم في المدارس والثقافة وغيرها، لأن اللغة الأكثر تأثيرا تفرض نفسها [1] و كانت هذه فكرة كثير من الحكومات الإفريقية التي تولت مقاليد الحكم بعد استقلال الدول الإفريقية من هيمنة الاستعمار الغربي، ويتم ذلك بتشجيع كل اللغات الرئيسية حتى تصبح هناك فرصة متساوية لتثبيت وجودها ليتمكن من اختيار لغة قومية على أمل أنه في المستقبل يمكن أن تبرز أحداها كلغة سائدة يتقبلها السكان جميعا كلغة قومية لهم.[2] وقد حاولت حكومة جمهورية غانا الأولى (1957م)[3] برئاسة د.كوامي نكروما، تطبيق هذه الطريقة وتقول نائبة وزير التعليم الغاني في عام 1961م أمام البرلمان حينذاك: "إنه في نية الحكومة تشجيع كل اللغات الرئيسية في غاناحتى

---

[1] . محمد سعودي المصدر السابق , ص 172 بتصرف

[2] . المصدر السابق , ص 173 بتصرف

[3] . وهي الدولة الأولى التي استقلت عن الاستعمار الغربي في غرب إفريقيا عام 1957م

تصبح هناك فرصة متساوية لتثبيت وجودها ليمكن اختيار لغة قومية حينما يأتي الوقت الذي يتخذ فيه قرار بهذا الشأن" [1] ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة فقد واجه صعوبات جمة لتقرير أي لغات غانا تختار لتكون لغة رسمية، وودء المشروع في مهده، بسبب الصراع والعداوات بين الجماعات اللغوية، لأن الحكومة لم تترك حرية الاختيار التلقائي للغات كما قالت في ذلك الوقت، واليوم(2012) أصبحت لغة الأشانتي هي شبه المسيطرة في جل أقاليم البلاد، وأصبح جعلها اللغة الرسمية أو الجامعة أسهل بكثير من السابق، لأ ن تنفيذ هذا الأمر يقتضى وقتا طويلا، ولابد فيه من استحداث تغييرات أساسية تؤدي إلى تخفيف العزلة بين شعب الدولة، وذلك بشق الطرق، وتيسير المواصلات والمخالطة، وسائر ضروب الاتصال بين المتكلمين بمختلف اللهجات حتى يتيسر تخفيف الفوارق اللغوية بينها، وهذا يستغرق بطبيعة الحال وقتا طويلا.[2]

إن اللغة التي تختار لتحل محل لغات أخرى يجب أن تتميز بسعة الانتشار، وأن تكون قد تعدت حدود القبيلة الواحدة، بل والدولة الواحدة . إن أمكن ذلك .، واقترح بعض الباحثين تقسيم اللغات الإفريقية إلى أربعة أقسام رئيسية لجعلها لغات رسمية وهي:

1. اللغة العربية في القسم الشمالي للقارة وهو مجال انتشارها، وليس هناك مشكلة في هذا الإقليم لأنها لغة واحدة، ويمكن أن تمتد إلى أبعد من حدودها الحالية حيث إن المنطقة الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى . غرب إفريقية . كانت اللغة الرسمية فيها قبل الاستعمار الغربي هي العربية، إذا جعلها اللغ ة رسمية أسهل، وبخاصة أن للغة العربية مكانة تقديس واحترام بين المسلمين في إفريقيا عامة وغربها بخاصة، لأنها لغة العقيدة والفكر والحضارة والتاريخ وهي لغة العلماء والفقهاء والملوك والمراسلات للمنطقة قبل الاستعمار، وهي بالنسبة له م

[1] . المصدر السابق , ص 172

[2] المصدر السابق , ص 178

ليست لغة قبيلة معينة أو شعب معين، ولكنها لغة الأمة والإسلام، مهما اختلفت لغاتهم وألونهم وأوطانهم وأزمانهم[1] وهي اللغة الرسمية لديهم قبل الاستعمار.

إن اللغة العربية" لم يصبها الضعف إلا عندما خضعت القارة الإفريقية للاستعمار الأوربي، وفرض كل مستعمر لغته في الإدارة والتعليم. غير أن لغة المستعمر ظلت في الغالب لغة التفاهم والتواصل بين الصفوة المتعلمة تعليما غربيا على اختلاف لغاتها الأصلية. ولكن العامة في كل قطر ظلت تستعمل اللغات المحلية في أغلب الأحيان،»[(2)]

إن كانت اللغات الأوروبية الاستعمارية، صارت اللغات الرسمية فإحلال اللغة العربية محلها سيكون أيسر بكثير للأسباب المذكورة، وإن كان الاستعمار قد غرس في أذهان المثقفين بثقافتها في إفريقيا **قبل رحيله العداوة للغة العربية، ولذلك أبعدوا اللغة العربية عن** الساحة الفكرية والثقافية والسياسية، وجعل الدارس للغات الأوروبية،هو المثقف الحقيقي، **وأما الدارس اللغة العربية فيعد بمثابة أميا مهما بلغت رتبته العلمية والثقافية، ومن هنا أبعدو هعن أية مشاركة في** العمل الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، وجعلوا المكان المناسب له هو المسجد فقط، وأن الثقافة الإسلامية واللغة العربي ة إنما هما وسيلة إلى الشعوذة والدجل، وصوروا دارس اللغة العربية لدى الرأي العام الأفريقي بأنه درويش ينقصه التفكير العلمي والحس السياسي والثقافي! وأن اللغات الإفريقية إذا صارت لغات رسمية، ستسبب مشاكل وعراقيل بين شعوبها أو أن دولها لا تتقدم بسبب استعمال اللغات المحلية، لذلك يرون عدم استعمال اللغة العربي ة أوأية لغة من اللغات المحلية الأكثر شيوعا فـي أية دولة إفريقية حتى لغة ثانية، ويرون ذلك مضيعة للوقت! والأدهى من ذلك أن هؤلاء المثقفين بالثقافة الغربية يعتزون

---

[1] . انظر, اللغات في إفريقية , جامعة إفريقيا العالمية , 2006م

[2]– د.عز الدين عمر موسى ، دراسات إسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 2003، بيروت، لبنان, ص: 140بتصرف

بلغاتها، ويفتخرون بها علنا بل ويستميتون في سبيل الدفاع عنها معارضين كل فكرة تدعو إلى الاهتمام باللغات المحلية ومشككين في قدرة اللغات الإفريقية على النهوض بالعلوم الحديثة ،علما بأن قدرة اللغة على تحقيق انجازات كبيرة تتوقف على قدرة أصحابها، وارتفاع اللغة متوقف على ارتفاع أصحابها كذلك انحطاطها، إذا فلا عيب في لغاتنا وإنما العيب في هؤلاء المثقفين، لأنه لئن كانت اللغة قادرة على تحقيق الإنجازات بنفسها، فلماذا لم نرى شيئا من الإنجازات العلمية في القارة الإفريقية مثلما حدثت في أوربا، مع أن اللغة الفرنسية أوالإنجليزية الموجودة في الغرب هي الموجودة بعينها في أفريقيا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل تقدمت الدول الإفريقية مع اللغات الأوروبية الرسمية فيها بعد خمسين سنة من الاستقلال؟! وهل سلمت من الصراعات والحروب الأهلية؟ والجواب بسيط وهولا لا تقدم ولا سلامة من الصراعات!!

لذلك فلابد من التفكير بجدية في القضية، وأيضا لابد من إتاحة فرصة ووقت للغة العربية، وبذل المجهود في تدريسها في المدارس الإفريقية، وتوفير الوظائف لخريجيها، مما سيشجع الشباب لدراستها والاهتمام بها، لعل وعسى أن تقدم حلولا جذرية لهذه الصراعات اللغوية والعرقية، لأن اللغات الغربية لم تقدم لها حلولا.!

2. **لغة الهوسا** في غرب إفريقية (ووسطها): لها سعة الانتشار في بعض دولها الناطقة بالفرنسية والانجليزية هذا ما يؤهلها لأن تقوم بهذه الوظيفة، وبخاصة في النيجر ونيجريا وشمال غانا وتوغو وبنين والكمرون.

3. **اللغة السواحيلية** في شرق إفريقية، وقدتم ذلك في كينيا وتنزانيا، وتمتد إلى أوغندا وزائير وموزنبيق[1] وجزر القمر.

4. **لغة بانتو** في الجنوب مثل: الغابون وأنغولا وزمبيا وغيرها.

[1] . المصدر السابق ص179 بتصرف

ونرى أن نزيد تقسيما آخر وبخاصة في دول غرب إفريقيا وهو: **لغة بمبار** (ماندیغو) في مالى وساحل العاج وغينيا وغرب بوركينا فاسو، **ولغة الولف** في السنغال وغامبيا، **والفولانية** في جل دول غرب إفريقية ووسطها وشرقها.

ويواجه هذه الاقتراحات بعض المشاكل من أهمها المشكلة القبلية، لأن الحساسية والمنافسة الثقافية والسياسية بين القبائل في إفريقية، تلعب دورها في تعقيد مهمة اختيار إحدى اللغات لتحل محل اللغات الأخرى كلغة قومية، مثل ما حدث في أوغندا وغانا والنيجر ونيجريا وغيرها، لما أرادت حكوماتها أن تجعل بعض اللغات المحلية رسمية قامت مظاهرات تندد وتعارض ذلك بل حتى في الإذاعات المحلية، واضطرت الحكومات إلى إلغاء المشروع. والله المستعان.

الخاتمـــة

وفي الختام قد توصلنا إلى النتائج الآتية:

1. أن تعددية اللسانية تلعب دورا كبيرا في الصراعات والحروب الأهلية في إفريقية.

2. يمكن إيجاد اللغات الرسمية(الجامعة) للقارة غير اللغات الاستعمارية.

3. أن اللغة العربية من اللغات التي يمكن أن تكون لغة رسمية لدول غرب إفريقية وبخاصة الواقعة في ساحل والصحراء.

4. أن تنمية إفريقية لا تمم إلا بإنهاء الصراعات والحروب الأهلية فيها، وأسبابها.

ونوصي على ضوء النتائج بالآتي:

1. لابد من تفكير جاد في إيجاد لغات محلية تكون رسمية لدول إفريقية.

2. توحيد اللغات سيكون سببا لإنهاء الصراعات والحروب الأهلية في إفريقيا.

3. اقرب لغة إلى الأفارقة . وبخاصة الدو ل ذات الأغلبية المسلمة. اللغة العربية فجعلها اللغة الرسمية أسهل من غيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. آدم بمبا (دكتور)، النزاعات الأهلية في إفريقيا قراءة في الموروث السلمي الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق العدد(243) 2010م ، رابطة العالم الإسلامي
2. البكري ، عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة
3. عز الدين عمر موسى (دكتور)، دراسات إسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2003، بيروت، لبنان.
4. محمد عبد الغني سعودي (دكتور)،، قضايا إفريقية ، عالم المعرفة 1980م الكويت
5. مجلة البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد السادس 2010م ، طرابلس ، ليبيا .

التخطيط اللغوي في الجزائر وأثره على المناهج التعليمية الحديثة

أ.د. تحريشي محمد، العربي عمر– جامعة بشار

إن العصر الحالي هو عصر المعلومات الذي جاء نتيجة للتطور المتسارع في تقنية الاتصالات والمعلومات، وما صاحبه من تطور في تقنية الحاسوب، كما أن التطور في تقنية المعلومات وصناعة البرمجيات، ادى الى تقليل تكلفة الاتصال بين الدول والى تقديم خدمات كثيرة وبسرعة كبيرة، مثل التسويق والاعلان والتبادل التجاري، اضافة الى المعلومات العلمية والأبحاث الجارية في مجالات عديدة.

لكن رغم هذا التطور السريع أخفق العرب في مرحلتنا المعاصرة، في أن يحقّقوا الوحدة في المجال السياسي والاقتصادي، فينبغي لهم على الأقل أن يجدّوا في الحفاظ على وحدة لسانهم بلغتهم الفصيحة، وقد صارت اللغة أهم مقوّم من مقوّمات الدولة الحديثة، فهذه البلبلة اللسانية في الوطن العربي والفوضى في استخدام اللغة في أخطر أماكنها (التعليم والتعلّم)، ثم وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية– تحتّمان الوقفةَ الجادّة من علماء اللغة والمثقفين والمؤسسات على اختلافها أن تكون واعية للخطر المرعب الذي يجتاح وطننا وألسنتنا. فمن القرن الماضي والمخطّطات تتوالى لاحتلال أوطاننا ثم احتلال رؤوسنا وقلوبنا، وجعلنا أسواقاً استهلاكية اقتصادياً وثقافياً وعلمياً، نتلقّى ولا نُبادر، نستهلك ولا نُنتج.

ينبغي للتّخطيط اللغوي أن يكون على نطاق الجامعة العربية ومؤسساتها بمساعدة المؤسسات اللغوية والجامعات، والتّخطيط اللغوي ينبغي أن يكون شاملاً لا جزئياً، يكون في مجال التعليم على اختلاف مراحله، ثم على نطاق الإعلام ووسائله، ثم على نطاق الإدارة وأجهزتها، ثم على نطاق الجامعات والتعليم العالي، ثم على نطاق اتّحادات الأدباء والمعلمين والنقابات المختلفة. هذا التخطيط يجب أن يشرف عليه علماء قديرون يعملون بروح الإيثار، لا التحيز إلى أي شكل من أشكال الفرقة التي تنخر الأمم وتفرِّقها. ولا يفوتنا أن نذكر صدور قوانين أو قرارات في أقطار عربية دعت إلى العمل على سلامة العربية كقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية كقانون التعريب في الجزائر الذي حدّد بومدين رئيس الجزائر سنة 1970 نهاية لتطبيقه، وما زال يواجه المصاعب والعثرات.

إن كل هذه القوانين واللوائح طيبة ومسؤولة لكنها تبقى جزئية من جهة ومقصورة على ذلك القطر من جهة أخرى، ثم هي محدودة التنفيذ لحاجتها إلى الوسائل المناسبة لتطبيقها تطبيقاً شاملاً، هذا إذا لم تكن الأحداث قد غطّت عليها ونسيتها. يبقى التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية الموحّدة في عموم الوطن العربي هما الغاية المنشودة. فالتخطيط اللغوي لا يتحقّق الغرض المنشود منه إذا لم تسِر اللغة وإصلاحها والجهود في ذلك سيراً متوازياً في كل مجالات الحياة العلمية والأدبية واليومية، وعلى جميع مجالات ممارستها في وسائل النشر وقاعات الدرس والبيت والسوق ومكاتب الدوائر الرسمية... الخ. والتجارب الأوروبية في دعم اللغة

الوطنية داخل الدولة من خلال التعليم والإعلام والإدارة ثم في الحياة اليومية تُعدّ نماذج جادَّة في هذا الاتجاه"[1].

لقد أصبح التفكير بالسياسة اللغوية الموحّدة والتّخطيط اللغوي واضحاً في مؤتمرات الأطباء والجامعيين والندوات واجتماعات الخبراء التي تُعقد على مستوى الوطن العربي، وصدور التوصيات والمقررات في قضية تعريب التعليم، واستعمال العربية في مجالات الحياة العامة ووسائل الاتصال والجامعات والمعاهد، ولكن لم يكن هناك آليات واهتمام كاف وراء هذه المقررات لتنفيذها أو لتنفيذ الكثير منها؛ لانعدام التخطيط اللغوي الشامل وغياب وسائل التنفيذ.

1. تعريف التخطيط اللغوي:

يعد التخطيط اللغوي فرعاً من علوم اللغويات الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ومدى تأثر كل منهما بالآخر. ويعنى التخطيط اللغوي بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة، كتوليد المفردات وتحديثها وبناء المصطلحات وتوحيدها، أم مشكلات غير لغوية ذات مساس باللغة واستعمالها.

يقول العالم هاوجن (Haugen, 1965:2009) إن أول من استعمل مصطلح التخطيط اللغوي هو العالم فنراخ (Weireich) عنواناً لندوة عقدت في جامعة كولمبيا عام 1957. والحقيقة أن أول من كتب بطريقة علمية في هذا العلم وألف فيه هو العالم هاوجن في مقالته الموسومة بـ: "تخطيط اللغة المعيارية في

---

1 . البحث اللغوي 124.

النرويج الحديث"، عام 1959م. ولقد عرف آنذاك هاوجن التخطيط اللغوي بأنه عملية تحضير الكتابة وتقنينها وتقعيد اللغة وبناء المعاجم ليستدل ويهتدي بها الكتاب والأفراد في مجتمع غير متجانس لغوياً.

بدأ هذا العلم يظهر إلى حيز الوجود في مطلع الخمسينيات من هذا القرن، وكان أحد الأهداف الرئيسة لهذا العلم هو إبراز دور اللغة في بناء الدول بعد مراحل الاستعمار التي تعاقبت على دول العالم الثالث كما ظهر في أعمال فشمان، وفيرجسون وداس جوبتا عام 1968، تحت عنوان: "المشكلات اللغوية في الدول النامية".

كان اهتمام التخطيط اللغوي منصباً على معالجة المشكلات اللغوية التي نجمت عن طمس الهوية اللغوية والقومية لبعض الدول المستعمرة، حيث حلت بعض اللغات العالمية كالإنجليزية والفرنسية محل اللغات القومية، والوطنية، والمحلية. وخير مثال على ذلك ما حدث في دول إفريقية وآسية فقد تم إقصاء هذه اللغات عن أداء الوظائف المرتقبة منها. لذا كان تركيز التخطيط اللغوي على العمل الجاد والمنظم نحو إيجاد حلول مدروسة لتلك المشكلات اللغوية حسب حجمها ونوعيتها، ثم اتجهت الجهود بعد ذلك في السبعينيات إلى مأسسة التخطيط حيث قامت مؤسسات على مستوى دولي ووطني ومحلي لتشرف على عملية التخطيط اللغوي، كرسم السياسات اللغوية، والخطط اللازمة لتنمية اللغات وتطويرها، واختيار لغات واسعة الانتشار للتجارة والعلاقات الدولية. وبدأ ذلك الاهتمام واضحاً في كتاب روبن ويرنود عام 1971م بعنوان: "هل يمكن تخطيط اللغة"؟

ولقد كان الإثبات هو الجواب وذلك من خلال المقالات التي تضمنها الكتاب. ومما يجب ذكره أن علم التخطيط اللغوي هو نتاج تضافر جهود علماء الاجتماع، والتربية، والإنسان، والاقتصاد، واللغة، والسياسة، فهو علم يقوم على نظام تكاملي (Interdisciplinary) تشترك فيه جل العلوم الإنسانية، لأنه يتعامل مع اللغة، واللغة إرث الجميع وليست ملكاً لأحد، وهكذا فلا بدّ من تضافر علوم شتى وتعاونها لإنجاح مهمات المخطط اللغوي.

ومن الجدير ذكره أن ظهور علم التخطيط اللغوي قد تزامن مع تقدم العلوم الاجتماعية والاقتصادية، مما أدى إلى تأثر علماء التخطيط اللغوي بتلك العلوم وخصوصاً تلك التي تبحث طرق تطوير دول العالم النامية وتحديثها اقتصادياً، واجتماعياً، وتربوياً، وثقافياً، وعلمياً، ولغوياً. وهكذا نرى أن هذا التزامن أدى إلى تأثر علم التخطيط اللغوي بمعطيات العلوم المعرفية المتعددة كالاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والتربية، والنفس واللغويات. وليس من الغريب أن نرى هذا التكامل بين العلوم لأن مدارها هو الإنسان، وهذا الإنسان لا يستغني عن لغة يعبر بها عن أفكاره، وحاجاته، وثقافته، وحضارته. وما هدف التخطيط اللغوي إلا حل المشكلات اللغوية وغير اللغوية التي تعترض الإنسان بوصفه فرداً، والشعوب والدول بوصفها مجموعات بشرية تتفاعل بعضها مع بعض. إن الارتباط الحيوي والعضوي بين الإنسان واللغة هو الذي أعطى دراسة اللغة ومشكلاتها الأهمية القصوى الخاصة بها أو المتعلقة بمستخدميها. ومن الجدير ذكره أن الدراسات المتعلقة بالمشكلات اللغوية وحلولها في مختلف البلدان قد أفرزت أدباً جماً وقدمت

أطراً نظرية تجعل من التخطيط اللغوي علماً له أصوله وتطبيقاته وفوائده الجمة. ولقد فصل موشي ناهير (Nahir Moshe) تطبيقات التخطيط اللغوي فيما يلي:

أ- التنقية اللغوية: (Language Purification)

وتهدف جهود المخططين اللغويين في هذا المضمار إلى تنقية اللغة من الغرائب والشوائب والدخيل، ومثال ذلك ما حدث للغة الفرنسية عن طريق ما قام به مجمع اللغة الفرنسية، حيث كان الهدف هو المحافظة على هوية الشعب الفرنسي ووطنيته (Frenchness). ولتحقيق ذلك قام المجمع بتأليف المعاجم والمصطلحات لمراعاة السلامة اللغوية. وحتى تتم الفائدة قام المجمع الفرنسي بتعميم نتاجاته على المدارس والجامعات، وتم إلزامها بتنفيذ قراراته. وبعد أن فرغ المجمع من هذه المهمة، اتجه إلى تطوير المفردات والمصطلحات، وتحديثهما، وتوليدهما حتى تواكبا ركب التفجر المعرفي.

ب- إحياء اللغات الميتة أو المهجورة: (Language Revival)

ومثال ذلك ما حدث للغة العبرية في الكيان الصهيوني عن طريق إنشاء مجلس لغوي تطور فيما بعد إلى مجمع لغوي أخذ على عاتقه إحياء لغة مهجورة لقرون طويلة توحد أشتات اليهود غير المتجانسين لغوياً، ولقد تم ذلك عن طريق تدريس العبرية من خلال العبرية نفسها حيث استعملت نصوص ميسرة ومفردات مفسرة، وبعد شيوع استعمال العبرية. اتجهت أنظار المجمعيين إلى تقييس اللغة العبرية (Standardization) وتأطيرها (Condification) وتحديثها (Modernization)، حيث تم انبعاثها من جديد بعد قرون من الترك والهجران.

ج- الإصلاح اللغوي: (Reform Language)

ومثال ذلك ما حدث للغة التركية، فلقد كانت تكتب بحروف عربية، ثم اتخذ مصطفى كمال أتاتورك عام 1927م قراراً بتتريك اللغة التركية عن طريق نقل حروفها إلى اللاتينية وتنفيذاً لهذا القرار تم إنشاء مجلس لغوي يتولى إنجاز هذه المهمة، وتم تنقية اللغة التركية جزئياً من اللغة العربية والفارسية، وذلك من خلال تأليف المعاجم، وتوليد المفردات، وتطويرها، وبناء المصطلحات وذلك بالتعاون بين وزارة الإعلام، والمدارس، والجامعات التركية لاستيعاب نشر ما تم تتريكه وتمثله.

التخطيط اللغوي تدبيرٌ للتحول اللغوي، سواء أمس التحوّل المنظومة اللغوية أو الخطاب اللغوي أو كليهما. ويتكلف ببرمجة التحوّل أجهزة تُقام خصيِّصاً لأغراض التخطيط، وتُفوّض رسمياً لذلك.

2. خصائص التخطيط اللغوي :

يبدأ التخطيط بتعيين المشكل اللغوي، وتحديد المحيطات المجتمعية التي تتطلّب نشاطاً تخطيطياً، وتدبيراً للثروات اللغوية. بعبارة أخرى، إن الوظيفة الأولى والأساس في التخطيط حلُّ المشاكل اللغوية، وإيجاد معالجة ملائمة تكون الأفضل والأحسن، بالمقارنة مع غيرها. أي إن ما يُحدد اختيار خطة أو أخرى قيمتها وفعاليتها. وغالبا ما يُعرّف المشكل اللغوي باعتبار الاختيار اللغوي: حاجة بعض قطاعات الحكومة إلى تقرير اللغة أو التنوعات اللغوية التي ستُستعمل في المنظومة التربوية وسيطاً للتعليم، أو الإعلام، أو العدل، أو غير ذلك. وقد يُعرّف المشكل باعتبار تغيير نسق لغوي، أو تعديله بهدف عصرنة المعجم، مثلا، أو

النحو أو النطق أو الخطاب. كما قد يتحدّد بالنظر إلى الحاجات المجتمعية، والأهداف السوسيواقتصادية من نوع نشر معلومات تتصل بقضايا التصنيع أو الفلاحة أو التخطيط العائلي.

بين باحثون من مثل داس كَوبطا (1971) das gupta أن تعريف المشاكل اللغوية ينبغي أن يتجاوز اعتبار الظواهر اللغوية إلى الدوافع السوسيوسياسية أو الأسباب الكامنة وراء إقصاء المشاكل اللغوية. بمعنى أن معرفة السبب يدخل ضمن تصنيف المشاكل. بل إن عدم ربط التحولات، التي يعرفها النسق اللغوي أو الخطاب، بقضايا وبواعث مجتمعية يحول دون نجاح التخطيط، ويُعرضه للفشل. ونعرض، فيما يلي لبعض الاعتبارات كخصائص ومحددات للتخطيط.

من خصائص التخطيط البرمجة المُسبقة، بمعنى أن الاستراتيجيات والمشاريع ينبغي أن تُحدد بتفصيل مُقدماً حتى لا تعرف الخطط الشك أو المجازفة. ويكون ذلك بإمكان إعادة صياغة الأوضاع الجديدة بحسب ما تكشف عنه الاحتياجات، ومراقبة ما تم إنجازه، ومحاولة تقييم فعاليته وتأثيره.

حدد عدد من الباحثين خطوات التخطيط. فقد حصرها روباين (1971) rubin في جمع المعطيات، وتقرير الأهداف، ووضع الاستراتيجيات والمشاريع، ثم التنفيذ، والمراجعة. وإذا كان التخطيط يدمج المراحل في مستويات، وبدرجات مختلفة، فإن اعتبارها يرفع من إمكانات النجاح.

ينبغي أن يجمع المخطط في المرحلة الأولى قدراً من المعلومات تخص الوضع الذي سيُؤثر فيه. كلما كانت المعلومات كثيرة ارتفع احتمال التأثير الجيد. وتشمل المعطيات حاجات الهدف و/أو الزبون، والأوضاع السوسيولسانية، ونماذج

الاستعمال،والأنظمة السوسيواقتصادية والسياسية القائمة.

تدخل في الخطوة الثانية مستويات متعددة من صنع القرار (decision-making)، منها مواقف الموظفين المختلفين، وصانع الخطة (policy-maker)، الذي قد يُعطي الأولوية لبعض المشاكل. ومعلوم أن أخذ القرارات يرتبط بمقدار المال المُخصص للخطة. أحياناً، يشترط صانع السياسة معرفة الدراسات وتحديد القيم والمواقف المُتضمنة فيها، لكن غالباً ما تُؤخذ القرارات دون ذلك ممّا يجعل من الصعب وضع الاستراتيجيات الملائمة، وصياغة الأدوات والموارد البشرية اللازمة لتحقيق الأهداف.

تأخذ الأهداف مكانها على مستويات متعددة. أولا، يُمكن للمشرع تقرير بعض الأهداف العامة، واقتراح جزء من الخطة للتنفيذ، ويتكفل المعهد أو المكتب بتخصيص أدق للأهداف آخذاً بعين الاعتبار مقدار الاعتمادات المالية، وقدرات هيئة الموظفين أو الأساتذة أو المُستخدمين. أخيراً ينبغي أن يُحدد المنفذون الأهداف باعتبار الوضع المحلي.

يعتبر التنفيذ خطوة ثالثة في التخطيط. وتتضمن سيرورة التنفيذ : (أ) تعبئة الموارد والتدابير المالية والإدارية العامة؛ (ب) تنشيط وتدبير السيرورات التي ترتبط بالبرنامج وأهدافه؛ (ج) السلسلة (sequencing the) ودرجات التنسيق المتساوية (co- ordination) لكل مظاهر السياسة من إعداد الكتب. ويُعد التنفيذ الملائم متغيِّراً خطيراً في نجاح الخطط.

أما الخطوة الرابعة، فهي التقييم. وتتضمن تحليل الاتجاهات، ومعرفة إن كانت الخطة قد اشتغلت في الواقع أم لا، وهل تتلاءم مع المشروع اللاحق، وما الذي يُمكن أن يُعدل فيها. وإذا كان التقييم خطيراً، بدوره، فإنه أصعب إجراء في

التخطيط.

واضح أن التخطيط من خلال الخطوات المذكورة غير مُجار للنموذج. ذلك أن الأهداف قد لا تكون مرتبة، والمعلومات غير متوفرة جميعها في المراحل الأولى، والاستراتيجيات غير تامة التخصيص مُقدماً. إلا أن النموذج يوجد ليساعدنا عند الحاجة. ثم من الأفضل عدم التفكير في التخطيط كسلسلة من الخطوات، واعتبار أن هذه الأخيرة يُمكن أن يكون لها دور في مستويات مختلفة من التخطيط. مثلاً، يُمكن وضع الأهداف في مستوى عال يستجيب لإحساس عام بوجود المشكل. وقبل الشروع في وضع الاستراتيجيات، من الأفضل إضافة المعلومات والمعطيات. أما التقييم، فيُمكن أن يُدمج كجزء من التنفيذ.

3. سياسة التخطيط اللغوي :

لا يُعتبر صنع السياسة (policy-making) في التخطيط اللغوي تخطيطاً. لنبين ذلك بمثال: غالباً ما يقول الناس، مُقيمين سيرورات التخطيط: لقد فشلت الخطة، لكن الحقيقة أن وسائل تنفيذ الخطة، وإنجاز الأهداف كان ضعيفا، كما أن معلومات المراجعة(background) غير ملائمة. وربما يعود الفشل لعدم ربط الخطة بأنساق سوسيوثقافية. تعد الأسباب من هذا النوع كافية لجعل الخطة مجرد سياسية لا خطة، كما قد يُعتقد. فحين يكتفي المخطط بالدعوة إلى استبدال لفظ بآخر، دون تبرير مُقنع، فإن ذلك يدخل في إطار السياسة، لا التخطيط، وكذلك، نعتبر أن تدريس اللغات أو المواد أو المعاجم دون تحديد المهارات والأهداف المطلوبة من باب السياسة لا التخطيط، وتوقع فشل النتائج المتوقعة منه ليس

غريباً .

من الاعتبارات الواردة كذلك إيضاح الأهداف الحقيقية. هل تُريد الدولة المساهمة في تغيير الاستعمال اللغوي، أم تريد خدمة شيء آخر؟ أحياناً ما تكون هناك أهداف مُستترة. لذلك ينبغي أن يُميز المخططين بين الأهداف الحقيقية والأهداف المُقترحة، لأن من شأن، ذلك إنجاح التخطيط.

ويُقسم الباحثون الأغراض من تقييم الأهداف إلى ثلاثة : أغراض لسانية (linguistic)، وأخرى شبه لسانية (semi-linguistic)، وثالثة بعد لسانية (extra-linguistic). تتضمن الأغراض شبه اللسانية الحالات التي تخدم فيها التحولات في اللغة ليس فقط الأغراض اللسانية، بل أيضاً الأهداف المُجتمعية أو السياسية.

لماذا يتبنى الناس لغة أو مصطلحاً ما ؟ تكمن الإجابة عن هذا السؤال في مقاربة "وسيلة–هدف" التي تلخص دوافع مشجعي التبني وأهدافهم، من جهة، ودوافع المتبنين وأهدافهم، من جهة أخرى. فقد يُشجع الدارسون أو المخططون تحولات معينة بهدف إنجاز أغراض وطنية عامة، كما قد ينشروها لتحقيق أغراض شخصية، على غرار ما يحدث مع هؤلاء الذين يدافعون عن معيار لغوي خاص لاعتقادهم أنهم المؤهلون الوحيدون لمعرفة اللغة وحراستها. ومن الصعب معرفة الأسباب التي يمكن أن تجعل المستهدفين يتبنون لغة مثل الفصحى، مثلاً. إلا أن عنصر المصلحة الشخصية (self-interest) ونتائج ما بعد التبني، وما يترتب عنها من تحولات في سلوكات المتبنين المفترضين تفسر دوافع التبني وأسبابه. فمثلاً، تبنى الإسرائيليون الإنجليزية بهدف التواصل مع زبنائهم في الولايات المتحدة الأمريكية وكوستاريكا وكينيا واليابان والسويد، في حين يقل إقبال

الأمريكيين على تبني لغة ثانية لعدم حاجتهم لذلك. ويمكن من فحص سلوكات ما بعد التبني اعتبار العلاقة بين محو الأمية وبين ما يترتب عن ذلك من وجود أناس غير أميين. لقد بين الدارسون لهذه العلاقة أن طلب محو الأمية يأتي بعد إحداث فوائد ومصالح مالية مباشرة للمعنيين. بعبارة أخرى، إذا كان محو الأمية عند الفرد في القرية سيمكنه من الاستفادة من النقل والسلف وتحسين مستوى عيشه، وقراءة ما يمكّنه من تحسين إتاحة، فإن إقباله على التعلم يكون مضموناً.

كيف؟ ناقش كوبير (1984) النموذج الكلاسيكي الذي اقترحه رجيرز rogers(1962) للتبني بناءاً على أن سيرورة النشر تتوقف على: (1) فكرة جديدة؛ (2) فرد أ يعرف المستجد؛ (3) فرد ب لا يعرف المستجد (4) وجود علاقة مجتمعية بين أ و ب تتحدد بتكلم أ مع ب عن المستجد، ونتائج ذلك.

وذهب إلى أن مثل هذا النموذج لا يعتبر عامل التلقائية والتعليم غير المباشر وتبادل التأثير والمتغيرات السوسيوسياسية المعقدة، ودافع عن نموذج يكون فيه أ مصدراً للتأثير وعاملاً لحصول المعرفة والإدراك والاستعمال عند ب. اعتبر أن اللقاء بين أ و ب يمكن أن يكون عبر وسائل الإعلام أو الاتصال الشخصي أو عن طريق لقاء لا يتعلق بفرد ب، بل ج، لكن يكون فيه ب حاضراً ومستمعاً.

وهنا لا يكون نشر المستجد بالتعريف به أو استعماله، بل يكفي التحدث عنه، كم يحصل عندما يشجع والد ولداً على تعلم لغة ما.

4. نقد التخطيط اللغوي

تعرّض التخطيط اللغوي في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي إلى مجموعة من الانتقادات أهمها:

1. إن التخطيط اللغوي ونشاطاته أصبح موجّهاً إلى خدمة طبقة النخبة والدول المهيمنة، وما جرى في عهد الاستعمار القديم والحديث إلاّ دليلٌ على ذلك، فحلت اللغات الأجنبية بما فيها الإنجليزية والفرنسية والإسبانية محل اللغات الوطنية، في الوقت الذي يزعم فيه أهل التخطيط اللغوي بأنهم حياديو الفكر، وموضوعيو التوجه، وأنّ اهتماماتهم منصبة على الجانب النفسي الفني اللغوي البحت.

2. يزعم ممارسو التخطيط اللغوي أن التعددية اللغوية واللهجية شر على الأمة والوطن، لذا فإن فرض لغة أجنبية واحدة موحدة هو لمصلحة الأمة والوطن، حيث اقترحوا فرض لغة أجنبية في البلاد التي فيها تعددية لغوية أو لهجية كالهند والباكستان ودول جنوب قارة إفريقيا وآسيا.

3. ينظر ممارسو التخطيط اللغوي إلى اللغة على أنها موضوع مادي لا معنوي قابلة للتقييم والتقويم والتعديل والإصلاح والاستبدال، ناظرين إلى اللغة على أنها أداة كالمحراث والمكنسة الكهربائية والثلاجة والمكيف، يمكن إصلاحها وتعديلها واستبدالها، ناسين أو متناسين ما للغة من قيمة معنوية، فلقد قال نلسن مانديلا ذات مرة: "بأنك إذا تحدثت إلى شخص بلغة يفهمها فإنك تأسر عقله، وإذا تحدثت إليه بلغته فإنك تأسر قلبه"، وما اللغات الوطنية إلاّ آسرة للقلوب والعقول معاً.

ولقد عاد البريق إلى التخطيط اللغوي في بداية القرن الحالي، وبعد ظهور أدبيات التخطيط اللغوي في كتب ومجلات علمية عالمية محكمة، وذلك للأسباب التالية:

1. انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة، وظهور جمهوريات الاتحاد السوفياتي الحديثة.

2. إعادة تشكيل بعض البلدان الأوروبية، كإعادة تقسيم تشيكوسلوفاكيا وبروز دول من مثل البوسنة والهرسك وصربيا.

3. ظهور الأقليات العرقية والمطالبة في حقوقها اللغوية كما في كاتلونيا، والولش، والباسك، والأرمن، والأكراد، وغيرهم.

4. العولمة وإعادةتشكيل العالم تحت مظلات "الأمركة" و"الإنجلزة" و"الأوربة".

5. الهجرات القسرية والطوعية التي حدثت في العالم إما نتيجة للحروب أو الكوارث الطبيعية والبشرية.

6. تآكل بعض اللغات واللهجات المحلية تحت تأثير العولمة اللغوية والثقافية وأكل لغات البشر من قبل لغات آكلة للغات الوطنية.

7. تغول اللغة الإنجليزية التي غدت شجرة عملاقة تخنق كل الشجيرات الصغيرة التي تنمو بجانبها وأن المستقبل للإنجليزية لا لغيرها، ولقد تم وصف اللغة الإنجليزية، كما ظهر في ملاحظة رئيس المجلس الثقافي البريطاني، بأنها قوة خارقة مصدر قوتها ممنوح من الله والشيء الأفضل بعد ذلك هو بعثه "تمدين

وتحضير" المجتمعات" منحها الله للرجل الأبيض". لقد ساد الشعور في أوج الأمبريالية أن اللغة الإنجليزية "لديها لياقة متفوقة، وغنى، وقدرة على القيام بأية وظيفة تُناط بها في الحضارة العالمية المعاصرة (Phillipson, 1992) وهكذا فأصبح العالم مقسماً إلى مناطق نفوذ لغوية آنجلوفونية وفرانكوفونية.

8. ظهور الاتحاد الأوروبي، المتحد سياسياً واقتصادياً والمختلف لغوياً وأهمية اللغة الإنجليزية في البلاد المكونة أو الداخلة لعضوية الاتحاد.

وفي عشية التغيرات الجديدة في التوجهات الفكرية للتخطيط اللغوي أصبحت النظرة الجديدة للغة تنحصر بما يلي:

1. اللغة مصدر من مصادر الدخل القومي ومقومات الدولة.

2. اللغة حق طبيعي للأفراد، وظهرت أصوات تنادي بالحقوق اللغوية للشعوب والأقليات.

3. اللغة مشكل يعيق تقدم الأمة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

وهكذا نرى بأن التخطيط اللغوي المؤدلج أو الممذهب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. التخطيط اللغوي الوطني الذي يرسم السياسة اللغوية للأمة مركزاً على اللغة الوطنية من حيث مكانتها، ووظيفتها، وقيمتها في نفوس أهلها وطريقة تعليمها وتعلمها، وهذا حال التخطيط اللغوي العربي المنصب على اللغة العربية ومكانة اللغات الأجنبية في البلاد العربية بحيث تكون بوضع تكاملي لا تنافسي.

2. التخطيط اللغوي الإمبريالي الاستعماري القائم على إحلال اللغات ذات النفوذ الواسع محل اللغات الوطنية، وما جرى في دول شمال إفريقيا وآسيا إلا مثال صارخ للهيمنة اللغوية القاتلة للغات البشر الأصيلة.

3. التخطيط اللغوي الحيادي الموضوعي المنصب على حل المشاكل اللغوية وغير اللغوية، ويمارس هذا النوع علماء التخطيط اللغوي غير المنحازين إلى فئة لغوية دون أخرى، ويمثل هذا التيار علماء التخطيط اللغوي المنتشرون في أنحاء العالم كافة، لا الساسة الذين يرسمون التوجهات السياسية اللغوية.

5. دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية

إن التخطيط اللغوي العربي ينبثق من أيديولوجيا عربية إسلامية مفادها ومحورها أن اللغة العربية لها دور رئيس في بناء الأمة والأوطان في كافة الصُعد والميادين. وأن اللغة العربية مصدر رئيس من مصادر الدخل القومي ومقومات وجود الأمة العربية الإسلامية، وأن اللغة العربية حق مكتسب لا شكل يعيق التقدم والازدهار، وأن السياسة اللغوية العربية تقدر عالياً دور اللغات الأجنبية لا طغيانها على اللغة العربية وأنها في وضع تكاملي لا تنافسي.

لقد كشفت أدبيات التخطيط اللغوي أنه لا توجد نظرية واحدة بعينها كافية لتقديم إطار عام يفلسف التخطيط اللغوي العربي بشكل عام وعملية التعريب بشكل خاص.

إن توافر أنموذج شامل مبنياً على أسس علمية مدروسة يمكننا من رسم السياسة اللغوية والأخذ بعين الاعتبار العوامل اللغوية وغير اللغوية التي تؤثر

سلباً أو إيجاباً في عملية التخطيط ورسم السياسة اللغوية. إذ تعذر وجود نظرية مجربة أو محاولات فاعلة نستمد منها الأسس النظرية التنظيمية التفسيرية للتخطيط اللغوي يجعلنا ننصرف إلى دراسة العلوم الإنسانية المجاورة والمتقاطعة مع اللغة العربية والتعريب، لعلها تقدم لنا بعض التطورات التي تصح لأن تكون أساساً لمنهجية علمية لتخطيط ترويج العربية وانتشارها ولإنجاح المشروع التعريبي. وأقرب العلوم إلى التخطيط اللغوي هي:

1. الإدارة 2. التسويق.

3. السياسة 4. عمليات اتخاذ القرار وصنعه.

إن دراسة هذه العلوم تزودنا بمبادئ وتضمينات وتوصيات يستفاد منها كأنموذج يكون بمثابة إطار عام يسترشد به في عملية التعريب وتنفيذه، وهكذا فإن تخطيط التعريب ورسم السياسة اللغوية للغة العربية أصبح علماً قائماً يهدف إلى وضع إطار نظري يهدف إلى ما يلي:

1. وصف الوضع اللغوي وغير اللغوي القائم في البلاد العربية، ومعرفة الوضع اللغوي الاجتماعي السائد لمعرفة العوامل المؤثرة لتشخيص المعوقات والمعيقات التي تقف في وجه اللغة العربية والتعريب.

2. تفسير الاتجاهات المتغايرة نحو العربية والتعريب وتقديم الأسباب الواجبة أو المانعة لإنجاح تعميم العربية والتعريب.

3. التنبؤ بمستقبل العربية والتعريب وتوقع الهنات والعثرات أو النجاحات لنتاجات تعميم العربية والتعريب.

4. استخلاص المبادئ العامة التي تكون بمثابة حقائق وثوابت لعملية تخطيط العربية والتعريب تصلح للتطبيق في العالم العربي أو البلاد الأخرى التي تسعى لتبني لغاتها القومية.

5. التأسيس لعلم رسم السياسات اللغوية العربية يشتمل على التخطيط لمكانة التعريب واللغة العربية، وتحديثها وتطويرها وبناء مصطلحاتها، وتخطيط تعلمها واكتسابها.

6. نموذج التخطيط اللغوي المقترح لخدمة العربية

يشمل هذا النموذج الجوانب التالية:

1. الجانب الإداري للسياسة اللغوية العربية والتعريب وتشمل المنفذين والمهتمين بالعربية والتعريب من مثل: النخبة، أصحاب النفوذ، رجالات الدولة، مجلس الوزراء، صانعي القرارات، راسمي السياسات، الجامعات، المدارس، القطاع العام والخاص.

ويتمثل الجانب الإداري في معرفة التيار المنادي بنصرة العربية والتعريب والتيار الذي يحارب العربية والتعريب، وتيار الإمعة وهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ويقتضي الجانب الإداري للتخطيط اللغوي معرفة الداعين لتبني العربية ولماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ وأين ؟ ويركز الجانب الإداري على القضايا الإعلامية والتوعية التي تصل إلى كل ذي علاقة بالعربية.

2. الجانب التسويقي للعربية والتعريب.

يقول علماء التسويق إن عناصر التسويق هي:

1. المنتج 2. الترويج

3. المكان 4. الثمن والتكلفة

5. الأشخاص.

وهكذا فإن تسويق العربية يقوم على نوعية المنتج اللغوي، وطريقة ترويجه والمكان الذي تروج فيه اللغة والمنتجات اللغوية، وتكلفة المنتج اللغوي والأشخاص المسوقين لهذا المنتج اللغوي.

3. الجانب السياسي للخطة اللغوية للعربية والتعريب: وتشتمل على من يربح ومن يخسر في استعمال العربية وشيوعها؟ ومتى يربح ومتى يخسر؟ ولماذا يربح ولماذا يخسر؟ من يؤثر ومن يتأثر، ومن ينفر ومَن يحبب بمشروع العربية والتعريب، كيف نكسب الدعم للعربية وكيف نقبل المعارض؟

4. الجانب المتعلق بوضع القرار المتعلق بالعربية والتعريب ويشمل هذا الجانب: على مَن يصنع القرار اللغوي، ماذا يصنع؟ وكيف يقرر؟ ومتى يخالف ومتى يوافق في السياسات اللغوية؟ ما وسائل القوة والإقناع عند رسم السياسة اللغوية المتعلقة بالعربية والتعريب؟ وما النتائج المترتبة على مشروع تعميم العربية والتعريب؟ وما الكلفة والفائدة للأمة والأوطان؟

إن الدارس لوضع العربية والتعريب يجد أن هناك ثلاثة فرق لها وجهات نظر مختلفة هي على النحو التالي:

1. يرى الفريق الأول أن للعربية والتعريب ضرورة دينية وطنية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية لا بد من إنجاحها، وهذا الفريق يشمل في ثناياه التيار الديني والتيار القومي والعروبي.

2. ويرى الفريق الثاني أن العربية والتعريب حجر عثرة في وجه التقدم الاقتصادي والثقافي والعلمي والاجتماعي، وهذا التيار بمثل المتغربنين الداعين إلى تقليد الغرب واتباع سننه، ففي نظرهم لا يكون تقدم الأمة إلاّ بتتبع خطوات الغرب وتبني لغات أجنبية واسعة الانتشار كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما، واستعمال لغات الشعوب المتقدمة اقتصادياً وسياسياً سوف يؤدي إلى تقدم دولهم النامية. ويشمل هذا التيار المنبهرين بالغرب أو ما يسمون "بالمتأمركين" أو "المتأنجلزين" أو "المتفرنسين".

3. أما الفريق الثالث فهو الذي لا يدرك ما للعربية والتعريب من أهمية، فلا يبالي بالعربية والتعريب، ويشمل هذا الفريق قطاعاً كبيراً من المجتمع العربي يغلب عليه الجهل والأمية أو الأنانية الفردية.

إذن يجب أن تنصبّ جهود المخططين اللغويين على الفريق الثاني والثالث حتى نضمن للعربية الانتشار والنجاح. كيف نقنعهم بجدوى وأهمية العربية؟ كيف نجيرهم لصالح قضية العربية والتعريب؟ كيف نبصرهم بفوائد تعميم العربية والتعريب ليتحولوا من مناهضين إلى مناصرين؟ كيف نقضي على جهل الفريق الثالث وأميّته وأنانيته حتى يصبح عارفاً بأهمية العربية مؤمناً بها ساعياً لتبليغ رسالة العربية، فإذا أصبحت شعبية العربية والداعون إلى التعريب هي الأغلبية،

وإذا كانت كذلك فنكون قد وفرنا الأسس الضرورية لإنجاح مشروع النهوض بالعربية والتعريب على مستوى الفرد والأمة.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المشروع النهضوي بالعربية لا يقتصر على الأفراد والمجموعات، بل يتعداه إلى المؤسسات الحكومية والخاصة، والجامعات والمعاهد والأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، والبرامج الانتخابية والحزبية.

إن مراجعة تجارب الأمم المختلفة في التخطيط اللغوي يثير الأسئلة التالية:

1. ما مدى معرفة الشعوب العربية ووعيها بقضية العربية والتعريب وما ينتج عن المجامع اللغوية من مصطلحات ورموز ومنحوتات البدء ومفردات وتراجم لكتب علمية؟ وهنا يأتي دور الإعلام المرئي والمكتوب في العالم العربي في تخصيص درجة من الوعي اللازم لنشر فكر المشروع النهضوي التعربي. كم من الوقت والمساحة يعطي هذا الإعلام للعربية والتعريب؟

2. ما مدى رغبة الشعوب العربية في تعميم العربية؟

وهل هذه الرغبة مجرد نزوة عابرة أم حاجة ملحة يُسعى إلى تحقيقها؟ كيف نزيد من رغبة الشعوب العربية والإسلامية بقضايا العربية والتعريب؟

3. هل الشعوب العربية على علم بجهود المجامع العربية وقادرة على تقديم منتجات المجامع، وإذا كانت قادرة، لأي مدى نستطيع التقدم بأي النواحي؟

4. هل تمت محاولات على نطاق ضيق أو واسع لجعل المشروع النهضوي المتعلق بالعربية والتعريب يُصار إلى حيز التنفيذ؟ هل قامت الجامعات

والمؤسسات بتطبيق ما تم عمله بخصوص العربية والتعريب، هل حرصت الجامعات والمؤسسات على نشر الوعي اللغوي، هل نادت بالتنمية اللغوية؟

5. إلى أي مدى رفضت الشعوب العربية التعريب أو قبلته؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة يمكننا من تحقيق وعي قومي لازم لإنجاح مشروع النهوض بالعربية بأبعاده اللغوية والوطنية.

فإذا كان المشروع النهضوي بالعربية والتعريب هدفاً فردياً أو قومياً فسوف نلحظ الإمداد اللازم المدروس لنجعله ضمن برامج وزارات التخطيط المنتشرة في العالم العربي، ويصبح التخطيط اللغوي للعربية لا يقل أهمية عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والزراعي وغير ذلك. إن خير مثال نذكره للعبرة هو ما يجري في إسرائيل اليوم من جهود تعبوية لا تقل عن الجهود العسكرية والاقتصادية في نشر استعمال العبرية بين مواطنيها، فهناك وعي لغوي في إسرائيل لا يقل عن الوعي السياسي والاقتصادي، وهذا هو السر في بعث العبرية بعد أن كانت لغة ميتة لآلاف السنين حتى عام 1948م.

إن قضية اللغة الإنجليزية وسياستها في أمريكا مربوطة بوزارة الدفاع الأمريكية لأن أمريكا وأوروبا آمنت أن التوسع الاستعماري لابد له من توسع لغوي، وما هذه التجارب إلاّ دروس نتعظ بها.

كما أن التطور الذي نشهده حاليا في مجال تقنيات الإعلام والاتصال خاصة في المجال التعليمي ليعد سلاح ذو حدين ولذلك ينبغي علينا سلوك استراتيجيات واضحة من أجل تخطيط سليم.

الخاتمة :

لقد تبين من كثير من التجارب أن الإصلاح الذي لا يعتمد خطط واضحة غالباً ما يكون مآله الفشل. لذلك، حاولنا عرض بعض خصائص، واعتبارات التخطيط اللغوي، سعياً إلى ترسيخ مبادئه، كونه، يمكن من رسم سياسات الإصلاح اللغوي الفاعل.

إن العربية لغة وجود ورمز هوية وعامل توحيد ولغة تخاطب عالمي وأن قوة شخصية الفرد من قوة لغته وأن كثير من الشباب ليست في أذهانهم صيغ لغوية اصطلاحية ثابتة تتناول مكونات الهوية. إن قوة اللغة وتمكن أهلها تزيد في فهم المتلقي وتحريكه، فإذا فهم المتلقي ما يقرأ وتمكن من التعبير بلغة قوية جزلة تجعل له حراكاً ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً لا نظير له.

فيجب علينا أن نعظم العربية في النفوس وتقدم العربية وعلومها بطريقة يسره وسهلة وبلغة واضحة حديثة معاصرة قريبة إلى قلوب طلبتنا، لتأخذ من قلوبهم مكاناً ومن فكرهم حيزاً، وأن من ملك العربية ملك خيراً كثيراً، وكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، حيث أنه لا يفهم ما يقرأ ولا يتفاعل مع النص القرآني حق التفاعل والتدبر.

أن إدراكنا أن العربية مصدر من مصادر الدخل الفردي والقومي لا مشكل من مشكلاتنا يجعل العربية تتبوأ مكانة مرموقة في النفوس وما بين الدولُ. إن الأزمة التي تعاني منها العربية اليوم هي أزمة في نفوس أهلها لا بها، فإذا واجهنا التحديات الآنفة الذكر بتخطيط لغوي رصين واضح بيّن الأهداف والوسائل

والنتائج في خطة لغوية قابلة للتطبيق نكون قد نجحنا في حل الأمة المزعومة لأن الحروب القادمة هي حروب لغوية لا عسكرية.

إن التخطيط للغة هو التخطيط للجميع وإذا أردت تخطيطاً لغوياً ناجحاً فعليك بالتخطيط لكل المجتمع، وأن دور التخطيط اللغوي في خدمة العربية يقوم على خطة استراتيجية لغوية تأتي من وضوح الرؤية والرسالة بما يتعلق بالعربية والتعريب ابتداء من رأس هرم الدولة وانتهاء بالفرد والمجموعات.

المراجع :

1- الألباني، محمد ناصر الدين (1979)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الكويت: الدار السلفية.

2- أنيس، إبراهيم (1970). اللغة بين القومية والعالمية. القاهرة: دار المعارف.

3- بنت الشاطئ، عائشة (1971). لغتنا والحياة. القاهرة: دار المعارف.

4- الجوهري، عبد الهادي وآخرون (1986)، دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي. جامعة القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.

5- الحاج، فايز (1992)، تجارب عن القوة الشفائية للقرآن الكريم. محاضرة في جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، فرع أبها.

6- السيد، محمود (د.ت) في قضايا اللغة التربوية. الكويت: وكالة المطبوعات.

7- شاهين، عبد الصبور (1985). "قدرة العربية على استيعاب علوم العصر"، الأمة، ع. 61.

8- شاهين، عبد الصبور (1986). العربية لغة العلوم والتقنية. القاهرة: دار الاعتصام.

9- الصيادي، محمد المنجي (1985). التعريب وتنسقه في العالم العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

10- عطار، أحمد عبد الغفور (1979). دفاع عن الفصحى. جدة: دار الشروق.

11- العليمات، فاطمة (2008). أثر مجمع اللغة العربية الأردني "في قضايا اللغة العربية"، عمان: منشورات وزارة الثقافة.

12- غنيم، كارم (1989). "اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة". عالم الفكر، م.19، ع.4، ص 37- 80.

13- مغالسة، محمود (2007). النحو الشافي الشامل، عمان: دار المسيرة.

14- فيصل، شكري (1987). "التحدي اللغوي"، التحديات الحضارية والغزو الثقافي. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

15- المبارك، مازن (1973). اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

16- محمود، علي عبد الحليم (1984). "أضواء على مفهوم الغزو الفكري"، في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

17- ناصر الدين، الأمير نديم (1968). دقائق العربية. بيروت: مكتبة لبنان.

18- وافي، علي عبد الواحد (1983). اللغة والمجتمع. الرياض: عكاظ.

مسألة عولمة اللغة الإنجليزية في العالم

أ/ يوسف حميطوش - جامعة الجزائر 3

تعد المسألة اللغوية من المسائل المطروحة في عصر العولمة، بعد انتهاء الحرب الباردة وبداية عولمة المنظومة و القيم السياسية والإقتصادية الغربية؛ كالديمقراطية وحقوق الإنسان وإقتصاد السوق، فامتدت هذه إلى كل دول العالم الإشتراكية سابقا، وكذا دول العالم الثالث، بشكل أصبح القرن

العشرين يعبر عن نهاية التاريخ على حد تعبير المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما.

ولم يقتصر هذا على الجانبين السياسي والاقتصادي فقط، بل امتد إلى الجانب الثقافي واللغوي، من خلال تزايد استعمال اللغة الإنجليزية في مختلف الميادين.

وعليه،ما هي أسباب هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم في اطار العولمة اللغوية والثقافية؟ و ما هي تجليات هذه الهيمنة؟

سأحاول في هذه المداخلة، التطرق إلى تعريف حول العولمة، ثم إلى الأسباب التي أدت إلى هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم، وان كان ذلك يخفي هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، ومن ثم سأحاول ابراز تجليات هذه الهيمنة.

تعريف حول العولمة:

يجب الإشارة في البداية إلى أن هناك العديد من التعاريف للعولمة، وهي تختلف حسب تخصص المفكرين والباحثين ومجالاتهم العلمية، وكذا لاختلاف اتجاهاتهم و معتقداتهم. فهناك من عرف الظاهرة من الزاوية الاقتصادية، وهناك من عرفها من الزاوية السياسية، وآخرون من الزاوية الفلسفية...الخ[1].

وسوف أقتصر في هذا البحث على بعض التعاريف. فتعرف على أنها:" ترابط المجتمعات والدول وتكاملها على الكرة الأرضية سياسيا واقتصاديا وثقافيا مكونة قرية كونية واحدة. فالذي يحدث في مكان ما على سطح البسيطة يثير اهتمام الجميع و يؤثر في مجريات الأمور في جميع المجالات"[2].

---

[1] أنظر تعاريف العولمة في مختلف التخصصات العلمية في: – محيى محمد مسعد، ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق، ط1،مصر: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية،1999،ص..41–51.

[2]

كما تعرف على أنها: " ظاهرة لنظام عالمي جديد ينزع إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون بين جميع دول العالم في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية وغيرها، بحيث تختفي في هذا النظام صفة سيادة الدولة لأن حريتها في التصرف بحسب مشيئتها تكون مقيدة أو ناقصة في ظل هذا النظام الجديد"[1]،

ومهما يكن فالعولمة ماهي إلا مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي الغربي، وهي تمثل أعلى مراحل النظام الرأسمالي الذي بدأ مع الرأسمالية التجارية– الفكر المركانتيلي– في القرن الخامس عشر، ثم تطور مع الرأسمالية الزراعية في القرن السادس عشر السابع عشر مع الفكر الفيزيوقراطي، ثم مع الرأسمالية الصناعية في القرن الثامن عشر إلى غاية منتصف القرن الماضي، وأخيرا مرحلة العولمة مع الرأسمالية الخدماتية الاتصالية والمعرفية ، والتي ترتكز على سلطة المعرفة والأفكار.

وتعد كتابات المفكرين الغربيين الكبار على غرار فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ [2]، وصامويل هانتغنتون في كتابه "صدام الحضارات"، وآلان توفلير في كتابه "الموجة الثالثة"، وبول كينيدي في كتابه "صعود وأفول الإمبراطوريات"، تعبيرا وتحليلا للظاهرة الجديدة "العولمة" التي عرفها العالم، ولفهم طبيعتها ومساراتها المستقبلية. كما أن أطروحات هؤلاء المفكرين ما هي إلا مرافقة للتصور الغربي الجديد وكذا للعقيدة والفلسفة الغربية الجديدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار أن هؤلاء ما هم إلا منتوجات للفكر الرأسمالي الغربي، وفي نفس الوقت مروجوا الليبرالية الجديدة.

---

[1] فضيل أبو النصر، الإنسان العالمي:العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل، لبنان:بيسان للنشر والتوزيع والإعلام،2001، 148.

[2] فالولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوة عسكرية و سياسية و إقتصادية في العالم، ربطت سياستها الخارجية أكثر بعد انتهاء الحرب الباردة بحقوق الإنسان و الديمقراطية، وتبنت فكرة نهاية التاريخ.

Richard Falk ,Interpreting the interaction of global markets and human rights, in Alison Brysk, Globalization and Human Rights, Berkeley, CA: University of California Press, 2002 ,p 66.

ولقد عرف عصر العولمة صراع بين اللغات، على أساس أن اللغة في حد ذاتها هي انعكاس للايديولوجيا والمصالح القومية، واللغة تصعد وترتقي وتهبط وتتراجع وفقا للقوة العسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية. فما هي أسباب هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم؟

أسباب هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم:

إن هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم يرتبط بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية سياسيا على مستوى العلاقات الدولية، واقتصاديا وفي ميدان تكنولوجيا الاتصال وتكنولوجيا المعلومات وثقافيا.

ففي **الميدان السياسي**، تبرز قوة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال كونها القوة العسكرية الأولى في العالم، وبلغت النفقات المخصصة لقطاعالدفاع 279 مليار دولار، أي بنسبة ثلث نفقات الدفاع في العالم، وتمتلك وزارة الدفاع الأمريكية 47% من الأسلحة النووية العملياتية في العالم، وتمتلك أكثر من نصف القوة العسكرية البحرية في العالم.

وانطلاقا من قوتها العسكرية، فرضت الولايات المتحدة الأمريكية مفاهيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحرب على الإرهاب، وانتشرت هذه في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وأصبحت تحتكر اللجوء إلى استخدام العنف في العلاقات الدولية حسب ما يتناسب مع مصالحها[1].

وكل دولة ترفض تبني هذه المفاهيم، تعتبر في نظرها على أنها غير ديمقراطية، وأنها من الدول المارقة والمشكلة خطرا على مصالحها وبالدول الداعمة للإرهاب. وان كان الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا يرى أن الولايات المتحدة

[1] Philip S.Golub, Métaphores d'une politique impériale,Le Monde Diplomatique,mars 2003,p.17.

الأمريكية والدول التي تتحالف معها بسلوكها العدواني ضد الدول الأخرى هي التي تعد من الدول المارقة[1].

ولتجسيد هذه المفاهيم السياسية المواكبة للعولمة، تم استعمال هيئة الأمم المتحدة كأداة في يد الدول الغربية، وان كانت هذه المنظمة في الأصل تتولى الحفاظ على السلم و الأمن الدوليين، ومنع اللجوء إلى القوة لحل النزاعات الدولي[2]، فعرفت هذه المنظمة التحولات بفعل استغلالها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

فتعد هذه المنظمة حاليا من أهم الفاعلين في حركة العولمة، حيث أصبحت تستخدمها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا لإستصدار قرارات ملزمة من مجلس الأمن ضد الدول المعارضة لسياستها والتدخل في السياسات الداخلية للدول ، وكمثال على ذلك القرار الذي صدر ضد إيران حول ملفها النووي، والقرار الخاص بإنشاء لجنة تحقيق في إغتيال رئيس الحكومة اللبناني السابق رفيق الحريري رغم رفض جزء من الطبقة السياسية اللبنانية المعارضة للحكومة، والقرار الذي أصدرته ضد الصومال ، والقرار الخاص بالسماح باستخدام القوة العسكرية ضد ليبيا في 2011 م . وقد إزدادت هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على هذه المنظمة بعد أحداث سبتمبر 2001 م، واعتبرت نفسها على أنها الحامية والضامنة للقانون الدولي، ومن ثم فهي تبادر باعلان الحروب على الدول المعارضة لسياستها، وتتولى الحفاظ على السلم.

ان تزايد تأثير الولايات المتحدة الأمريكية على منظمة الأمم المتحدة، قد تم مع انتهاء الحرب الباردة، وتراجع المواجهة مع الإتحاد السوفياتي في المنظمة، وتبني سياسة خارجية جديدة بدأها الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر (1977

[1] Jacques Derrrida,Y'a-T-il Des Etats voyous ?,Le Monde Diplomatique, janvier 2003,p.10.

[2] عبد العزيز محمد سرحان، المنظمات الدولية، مصر: دار النهضة العربية،1990،ص..363-369.

_1981م)، وتدعمت مع كل ؛ من الرئيس رونالد ريغان (1981_1990م)، وجورج بوش الأب (1989_1993م).

وتراوح موقف الولايات المتحدة الأمريكية في هده الفترة في مجلس الأمن باتخاد قرارات لأسباب إنسانية وأخرى تنعكس المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية. وتمت هذه المقاربة المتناقضة بين الأسباب الإنسانية والمصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية في فترة عرفت فيه منظمة الأمم المتحدة مجموعة من الحروب والنزاعات في العالم، وبشكل جعلت مجلس الأمن بدون أية فعالية من دون أي تدخل أمريكي[1].

وعليه، فهيئة الأمم المتحدة هي منظمة حبيسة الولايات المتحدة الأمريكية*، ولم تتمكن من أن تقوم بعمل فعال، على أساس أن مجلس الأمن هو الجهاز الأساسي في المنظمة، ويرتبط بحق النقض، أي حق الفيتو، الذي تستعمله الولايات المتحدة الأمريكية.

وبجانب هذه المنظمة الدولية، نجد بروز المنظمات غير الحكومية كفاعل هام في العلاقات الدولية.

وتتمتع المنظمات غير الحكومية، وفقا للمادة 71 من ميثاق الأمم المتحدة، بالنظام الإستشاري لدى المجلس الإقتصادي والإجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة، وبلغ عدد_المنظمات الدولية غير الحكومية في 2004 م 38 آلف، 2000 منها لها الإعتماد لدى المجلس الإقتصادي والإجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة[2].

وتتولى هذه المنظمات غير الحكومية نشاطات واسعة في مختلف مجالات الحياة؛ كالتعليم، والبيئة، والصحة، وحقوق الإنسان. وهي تتجاوز حدود الدول في

---

[1] David M. Malone, US-UN Relations in the UN Security Council in the Post-Cold War Era,in Rosemary Foot and S. Neil MacFarlane, U.S. Hegemony and International Organizations: The United States and Multilateral Institutions, Oxford: Oxford University Press, 2003,p.73.

* لقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل في البداية في مسألة البوسنة والهرسك، وتركت الأمر للأوروبيين على أساس أنه مشل أوروبي، و لكنهم عجزوا عن وقف الحرب، مما استوجب تدخل الولايات المتحدة الأمريكية.

[2] Samy Cohen,ONG, alteermondialistes et Sociéte civile, Revue française de science politique ,France, 2004/3 (Vol. 54),p.380.

نشاطاتها وعملها، وترتبط العديد من المنظمات غير الحكومية في عملها بالحكومات الغربية من حيث؛ التمويل والإشراف والتحرك.

ودائما في هذا،فقد تعود الأمريكان ولمدة طويلة على العمل مع المنظمات غير الحكومية الوطنية، وعلى إنشاء شبه المنظمات غير الحكومية بغرض الدفاع عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية. لذا، فهي تعبر عن ارادة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية في القيام بالديبلوماسية عن طريق الوكالة بالتأثير الخفي بواسطتها أكثر منه عن طريق الإطار الرسمي[1].

فالرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب أعلن باسم "النظام الدولي الجديد" حرب الخليج الثانية ضد العراق، وبعد إثنى عشر سنة أعلن جورج بوش الإبن الحرب على العراق باسم العدوان الأحادي، وهو سلوك يميز الولايات المتحدة الأمريكية في ميادين التسليح والعدالة الدولية والبيئة والتجارة وحقوق الأفراد[2]، وهذا بغرض فرض تصورها للعالم حسب مصالحها، وكذا نمط الحياة الأمريكية. وفي هذا فقد لعبت اللغة الإنجليزية دورا كبيرا في نقل هذه الرسالة العدوانية من خلال وسائل الإعلام الأمريكية للعالم كله.

وبعبارة أخرى، ترتبط توسيع هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بقدراتها على انتاج خطابات تفسيرية وتعبوية للحفاظ على مصالحها، وعلى فرض المعايير الإدارية والقانونية والتقنية[3] والثقافية، وهذا يتم من خلال اللغة الإنجليزية الناقلة للرسالة الخطابية والفكر الأمريكي الأمريكي الأحادي، خاصة عندما تكون له تداعيات إيديولوجية واستراتيجية، و نظرية نهاية التاريخ لها كوظيفة مرافقة العقيدة والمذهب الأمريكي للعولمة السعيدة[4].

---

[1] Marc-Antoine Pérouse De Montclos, ONG humanitaires et politiques migratoires des états :une analyse financiére et stratégique,Revue Outre-Mer,2006/4, numéro 17,p.39-40.
[2] Sami Nair,Le monde selon Washington,Le Monde Diplomatique,mars 2003,p.14.
[3] Jean De Maillard,Les alliés des Etats-Unis aux avant-postes :Nouveaux bunkers de l'occident, Le Monde Diplomatique,janvier 2003,p.7.
[4] Ibid,p.7.

وترتكز هذه العقيدة أو المذهب الأمريكي على التأمين المطلق للتراب الأمريكي أولا وللمصالح الأمريكية، وعلى الدفاع على النسق الغربي؛الديمقراطية وليبرالية الأسواق وتوسيعه للعالم كله مهما كان الثمن.

وهذه السياسة ليست جديدة بل ان إدارة بيل كلينتون لجأت إلى سياسة "رسم العالم" التي كانت مقتصرة في البداية على التكنولوجيات الحديثة للإعلام والإتصال لضمان الهيمنة في المجال الإعلامي، وامتدت اليوم إلى المجالات الإقتصادية والمالية[1] والثقافية، بما فيه هيمنة اللغة الإنجليزية.

وللإشارة أيضا، ترتبط سيطرة اللغة الإنجليزية بالماضي التاريخي الاستعماري الإنجليزي في مختلف أنحاء العالم، حيث أن الأمبراطورية البريطانية كانت مترامية الأطراف في كل من آسيا وافريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى، وربطت هذه الدول بعد الاستقلال بعلاقات التبعية، من خلال منظمة الكمنولث. وبالتالي فان بريطانيا كما يرى دافيد كرادول قد خلقت الظروف الأولية لكي تكون الإنجليزية كلغة عالمية[2].

أما في **الميدان الإقتصادي** فتمثل الولايات المتحدة الأمريكية 22% من الناتج الداخلي الخام عالميا [3]. وتعد ثاني مصدر عالميا بعد ألمانيا، وأول بلد مستورد في العالم في 2008م[4]. وبمجرد ركود أو انكماش أو تطور الإقتصاد الأمريكي، فان ذلك سينعكس على كل دول العالم، بفعل الإقتصاد المترابط عالميا، ومن ثم فان لغة الإقتصاد الدولية اليوم هي اللغة الإنجليزية، ولغة العمل والتعامل في التعاملات اليومية في بورصة لندن ونيويورك وأمستردام، ويتم بها أيضا في تحديد أسعار المواد الأولية في العالم من نفط و نحاس وذهب.

---

[1] Ibid,p.7.
[2] David Gradoll,The Future of English,UK:The British Council,2000,p.8.
[3] Manon Tessier et Michel Fortmann, Les Etas Unis :Mutation d'une puissance dans l'après guerre Froide, revue internationale et stratégique, 2001/1 (n° 41) ,p.163.
[4] Eric Vergnaud,La place des Etats-Unis dans le monde,www.youtube.com /watch ?v=Afvofrqlgpw

وترتبط هذه بدورها بالورقة النقدية الخضراء الدولار، التي تعد عملة التعاملات التجارية الدولية وللتداولات الدولية للسلع والبضائع والأسهم والسندات، وتستعملها الولايات المتحدة لنشر قيمها وثقافتها الأنجلوساكسونية ولغتها الإنجليزية، وفي مواجهة اقتصاديات الدول الأخرى بتخفيض قيمة عملتها الدولار أو برفعها. كما تلجأ إلى الإصدار النقدي للعملة الخضراء، لدفع ما تستورده من واردات[1].

وتعد العولمة مصدر رخاء الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتقدمة، وفي هذا يرى أبا دوراي: " تشكل العولمة في الولايات المتحدة الأمريكية... وفي الدول المتقدمة أو ما يقاربها الأكثر ثراء في العالم كلمة طنانة وإيجابية لدى أفراد النخبة في الشركات الكبرى ولدى حلفاء النخبة السياسيين"[2].

كما تبرز هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال قوتها ونفوذها في المؤسسات المالية الدولية على غرار صندوق النقد الدولي الذي يتولى معالجة الخلل والعجز في ميزان المدفوعات وفي الميزان التجاري للدول الأعضاء. وكذا البنك الدولي الذي يتولى منح القروض المتعلقة بالتعمير والمشاريع الكبيرة. وأخيرا المنظمة العالمية للتجارة التي تأسست في 1994م، والتي حلت محل الجات، وهي تشكل البعد الثالث للنظام الاقتصادي العالمي وتهتم بإدارة التبادل التجاري الدولي، وتحكم مسيرة وسير النظام الاقتصادي العالمي بجانب صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي. وهي مؤسسات يجمع بينها الخلفية التاريخية والإيديولوجية الليبرالية والمصالح الرأسمالية العالمية الكامنة وراء إنشائها ، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية[3] التي لعبت دورا كبيرا في انشاء هذه المؤسسات الثلاثة، وفي تمويلها وفي فرض اللغة الإنجليزية في العمل[4].

---

[1] Frédéric F.Clairmont,Vivre à crédit ou le crédo de la premiére puissance du monde , Le Monde Diplomatique,avril2003,p.21.

[2] جورج كلاك،قضايا عالمية:تحديات العولمة،مجلات أمريكية، فيفري 2006،ص.4.

[3] منير الحمش،" مؤسسات إقتصاد العولمة"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 95 ، ماي 2000، ص..21-32.

[4] David Gradoll,op.cit. ,p.9.

وتعمل على نشر مبادئ وقيم الرأسمالية الغربية، والتغلغل في مختلف دول العالم الثالث، وعلى تدمير اقتصاديات الدول النامية، وهذا بغرض التحكم فيها وفي ثرواتها.

فصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي يفرضان على الدول التي تلجأ إليهما للحصول على القروض برامج التثبيت الهيكلي **، وبرامج التكييف والتصحيح الهيكلي***، ومن ثم فرض الرقابة على السياسات الإقتصادية والإجتماعية للدول مما يترك آثارا جد سلبية في الميدانين الإقتصادي والإجتماعي [1]، خاصة و أن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية تسيطر على الموارد المالية للصندوق، ومن ثم توجه سياسته وقراراته، من خلال التصويت. فمساهمة الولايات المتحدة الأمريكية مثلا في الصندوق تقدر ب 56 مليار دولار، أي بحوالي 17 من الأصوات في مجلس إدارة الصندوق[2].

كما أن المنظمة العالمية للتجارة يتمثل هدفها في وضع ونشر أفكار وممارسات إقتصاد السوق، وتعمل على إلغاء الحدود الإقتصادية للدول، ونقل سيادة الدول إليها، أي إلى المنظمة العالمية للتجارة [3]، وهي تعد أحد المؤسسات الدولية لتحويل الدول التي هي في محيط الرأسمالية العالمية إلى الليبرالية، خاصة في ظل التأثير الرباعي؛ الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأوروبا واليابان على المؤسسة وعلى دول العالم الثالث، فيما يتعلق بالخدمات والملكية الفكرية والمعايير الصحية والإستثمار[4].

** تهدف برامج التثبيت الهيكلي إلى إستعادة التوازن في الإقتصاديات الكلية، و ذلك باتباع سياسة نقدية ومالية وأسعار صرف معينة، وهذا للتخفيض من الإنفاق العام، وقمع الإستهلاك، وزيادة الإنتاج والتصدير.

*** تهدف إلى معالجة الإختلالات الإقتصادية بشكل يسمح بتحسين ميزان المدفوعات ويقضي على العجز.

[1] محمد ف.يوسف،"برامج التصحيح الهيكلي و مستقبل حقوق الإنسان"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 95 ، ماي 2000،ص.8.

[2] Au dessous des cartes :FMI,chaine tv ARTE,,2 avril 2011.

[3] Richard Falks,op.cit., p 62

[4] Franck Petiteville, L'hégémonie est-elle soluble dans le multilatéralisme ? Le cas de l'OMC, Revue Critique Internationale, numéro 22,janvier 2004,P.69.

وتعبر العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية كأقوى دولة في النظام الراسمالي والمنظمة العالمية للتجارة عن القاعدة السياسية والإطار الشرعي للعلاقات الإقتصادية الدولية للولايات المتحدة الأمريكية. فالمنظمة العالمية للتجارة كسوق كبير تتجاوز اتفاق التبادل الحر لمنظمة نافتا بين الولايات المتحدة الأمريكية و كندا والمكسيك[1].

وتستعمل هذه المؤسسات المالية الدولية الثلاثة اللغة الإنجليزية كلغة التعامل والعمل والإتصال بينها وبين الدول الأخرى، وفي تحرير التقارير والإعلانات، وهذا ما تقرر في قوانينها التأسيسية، والتي خضعت للتأثير المباشر للولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت كأول قوة إقتصادية ومالية في العالم بعد الحرب العالمية الثانية.

كما برز دور الشركات المتعددة الجنسيات كعنصر فعال في عصر العولمة، وهي تلعب دورا بارزا وخطيرا في مسائل الاقتصاد والتجارة والإستثمار[2].

كما ظهرت الأسواق العالمية العابرة للحدود وغير الخاضعة لتمويل معين أو لسيطرة دولة ما. ويمكن لهذه الأسواق أن تمارس تأثيرا أو ضغطا كبيرا، وفي أن تفرض قيودا كبيرة على الدول [3]. فخلال الأزمة المالية الآسيوية في 1997-1998م****، أدى نقل الشركات المتعددة الجنسيات لأموالها من بعض البلدان الآسيوية، كإندونيسيا مثلا إلى ظهور أزمات إقتصادية وسياسية، وإلى إنهيار النظام السياسي في هذه الدولة . وقد إمتدت آثار هذه الأزمة إلى العديد من دول العالم كالبرازيل وروسيا ولمدة زمنية.

---

[1] Gautam Sen, The United States and the GATT/WTO System, in Rosemary Foot and S. Neil MacFarlane, U.S. Hegemony and International Organizations: Th _ United States and Multilateral Institutions, Oxford: Oxford University Press, 2003, p.115.

[2] لمياء محمد أحمد السيد،العولمة و رسالة الجامعة: رؤية مستقبلية، مصر:الدار المصرية اللبنانية، 2002، ص.53.

[3] نفس المرجع،ص.57.

**** [6] أول أزمة سياسية للعولمة، بعد أن شكلت الأزمة المالية الآسيوية في منتصف 1997م أول أزمةإقتصادية.
Richard Falks,op.cit., p 61.

كما أن هذه الشركات المتعددة الجنسيات في توسعها ، على حساب الدول الفقيرة والتي تتمتع بثروات طبيعية، تقوم بفرض نماذج اقتصادية واجتماعية تشجع على قبول معايير

والقيم الثقافية للرأسمالية الليبرالية الجديدة [1] وعلى اللغة الإنجليزية كلغة العمل، وخاصة في المنظومة التعليمية، على أساس أن المنظومة القائمة في بلد ما ليست في المستوى ولا تتلائم مع متطلبات هذه الشركات، مما يدفع إلى فتح المدارس والجامعات الخاصة، بشكل يدفع ذوي المال إلى التمدرس فيها، وبالمقابل يتمدرس أبناء الفقراء في المدارس العمومية ، فتبرز ازدواجية التعليم في هذه الدول.

وقد ازداد عدد هذه الشركات من 7 آلاف في أواخر الستينات إلى 60 آلف في عام 2000م، وتتوزع بين الولايات المتحدة الأمريكية بـ 43.8%، وأوروبا الغربية بـ31.6%، واليابان بـ15.4%، و 9.2% للدول الأخرى[2]، ومن 50 شركة عالمية متعددة الجنسيات كبيرة، فان 33 منها أمريكية، وتستحوذ على نسبة 71.8% من المجموع الكلي لرؤوس الأموال في الأسواق العالمية، و 8.7% لـ5 شركات بريطانية، و 3.6% لـ3 شركات سويسرية، و 7% لـ3 شركات يابانية، و2.9% لشركتين ألمانيتين، و 1.2% لشركة فرنسية، و 4.8% لثلاث شركات من دول أخرى[3].

وتستعمل هذه الشركات العالمية الكبرى اللغة الإنجليزية، وهي تعبر عن الهيمنة الإقتصادية والسياسية الأمريكية، ووراء هذا عن الهيمنة الثقافية الأمريكية، خاصة أن هذه الشركات لها فروع في كل دول العالم.

---

[1] محيى محمد مسعد، ظاهرة العولمة: الأوهام و الحقائق،ط1،مصر: مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية،1999،ص.

[2] **Giannoli Alexandre,Les firmes multinationals, Les *firmes multinationales* – Le processus de multinationalisation, *www.surfeco21.com/?p=67.***

[3] Frédéric F.Clairmont,Ces firmes géantes qui se jouent des Etats'Le Monde Diplomatique, décembre1999.

أما **في ميدان تكنولوجيا الإتصال وتكنولوجيا المعلومات**، فان العالم اليوم يعيش مرحلة جديدة من التطور التكنولوجي، و هذا بفعل:

1- ثورة المعلومات أو **الإنفجار المعرفي الضخم** ، الذي يتشكل من الكم الضخم من المعرفة والمعلومات في مختلف الميادين والتخصصات وبمختلف اللغات.

2- ثورة وسائل الإتصال المتمثلة في **تكنولوجيا الإتصال الحديثة** أصبحت التكنولوجيات[1] سلاحا هاما وفعالا، خصوصا الأقمار الصناعية والألياف البصرية والهوائيات المقعرة ، وتجارة إتصالات المعلومات، وشركات الكابلات تسيطر على نقل أكبر 500 قناة تلفزيونية في العالم[2].

3-الثورة في الحاسوبات الإلكترونية التي إخترقت كل مجالات الحياة، وما ساعدها في ذلك هو شبكة الإنترنت. وتعد الولايات المتحدة الأمريكية الرائدة في هذا المجال، ويتم تخزين المعلومات الواردة من 21 آلف شبكة معلومات بشكل منظم و منسق ويسهل عملية استرجاعها من خلال الحاسوبات الإلكترونية[3].

و قد سارت ثورة تكنولوجيا الإتصال بالموازاة مع ثورة تكنولوجيا المعلومات، وهذا بفعل الإنفجار في المعلومات، وما يجمع بينهما هو النظام الرقمي[4].

ونجد في ميدان المعلومات التدفق الأحادي للمعلومات من الشمال إلى الجنوب، وتحتكر بعض الوكالات الغربية؛ كوكالة الأنباء الفرنسية، وأوسوشيتد براس الأمريكية وروتيرز البريطانية تدفق المعلومات والأخبار العالمية، بفضل مراسليها المتواجدين تقريبا في كل دول العالم.

---

[1] Ian Capps, What the new technology really means for communication profes- sionals, *Public Relations* Quarterly (1993),p.1

[2] Ibid.,p.1.

[3] محيى محمد مسعد، المرجع السابق الذكر،ص.24.

[4] نفس المرجع،،ص.25.

وتمتلك الولايات المتحدة الأمريكية أكبر شبكات الاتصال والإعلام في العالم، فمثلا مقر شبكة س.أن.أن CNN. الإخبارية هو في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد عملت هذه الشبكة أثناء غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق على اظهار واعتبار العراق في جميع أنحاء العالم على أنها دولة عدائية، وأن القضية هي قضية عدوان[1]، وهذا ضمن استغلال الصورة.

وقد برز في عصر العولمة مجتمع المعلومات كتمييز عن المجتمعين السابقين؛ الزراعي والصناعي، وهو ما يعبر عنه آلان توفلير بالموجة الثالثة للثورة المعلوماتية، كتمييز عن الثورتين السابقتين الزراعية والصناعية.

أما **ثقافيا**، فهي تعمل على توظيف العامل الثقافي لخدمة جميع الأغراض الأخرى ، وعلى نشر الثقافة الغربية، ضمن عولمة الثقافة الأمريكية الغربية الرأسمالية، و على انكار واستبعاد الآخر ، أي ثقافة دول العالم الثالث.

وفي هذا السياق يمكن التأكيد أن الشركات المتعددة الجنسيات ، الأمريكية خاصة، المسيطرة على أدوات التقانة والاتصال الحديثة تلعب دورا بارزا في تغيير اتجاهات الأفراد سواء داخل المجتمع الغربي ذاته أو في المجتمعات التابعة والاستهلاكية. وكان التأثير الكبير على الفئات الشعبية في المجتمعات التقليدية التي تتغلغل فيها الثقافات الغربية الموجهة، وكذا بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية ، و تراجع دور العامل الثقافي والاجتماعي في المجتمعات التقليدية والنامية [2]، فسمحت وسائل الإعلام من تحقيق الاختراق الثقافي الأمريكي، ومن ثم الترويج للقيم الثقافية والفردية والإستهلاكية، فنشرت ثقافة الماكدونالد والكوكاكولا ولباس الجينز–

[1] روبرت أ.كيوهين و جوزيف س.ناي،"القوة والإعتماد المتبادل في عصر المعلومات"،مجلة شؤون الأوسط،لبنان، العدد98، أغسطس 2000 م، ص.80.

[2] عامر عياد، نحن و الثقافة المعولمة، الثلاثاء 18 آذار 2008 م.

الذي يعبر باللغة الإنجليزية–الذي يستخدم في كل اللغات بنفس اللفظ، أي الجينز، وهي منتوجات أمريكية اخترقت كل دول العالم [1].

ونفس الأمر بالنسبة لوالت ديزني WALT DISNEY، فكلها تعمل على نشر نموذج الحياة الأمريكية، وعلى فرض السيطرة والهيمنة الأمريكية.

وتعد روما المرآة البعيدة والنموذج للنخب السياسية بعد الأحادية القطبية والتي تدعمت بعد 11 سبتمبر 2001م. وفي هذا يذهب الصحافي في افتتاحية واشنطن بوست شارل كروت امر CHARLES KRAUTHAMMER، والذي يعد أحد الإيديولوجيين الكبار في اليمين الأمريكي الجديد إلى القول: "منذ روما لم يتمكن أي بلد من أن يهيمن عسكريا واقتصاديا وتقنيا وثقافيا في العالم". ويستمر قائلا: "منذ أن دمرت روما قرطاج، ولا قوة في العالم وصلت إلى ما وصلت إليه الولايات المتحدة الأمريكية التي تهيمن على العالم". فأصبحت روما مرجعية ثقافية وحضارية.

ودائما في هذا، فحتى جوزيف. س.ناي مدير مدرسة كينيدي للدراسات بجامعة هارفارد اعتبر: "أنه منذ روما ليست هناك من أمة وقوة احتوت الأخرى". وحتى المفكر البريطاني بول كينيدي ذهب إلى القول أن: "الولايات المتحدة الأمريكية ستذهب بعيدا وستتجاوز الأمبراطورية البريطانية وفرنسا النابوليونية واسبانيا في عهد فيليب الثاني وأمبراطورية شارلمان وأمبراطورية روما، وكلها لا تقارن مع الهيمنة الأمريكية" [2].

تجليات هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم :

---

[1] Edward W.Said,Une autre façon de voir les Etats-Unis,Le Monde Diplomatique,mars 2003,p.20.
[2] Philip S.Golub,Les dynamiques du du désordre mondial.Tentation impériale,Le Monde Diplomatique, septembre2003,p.8.

تتجلى هيمنة اللغة الإنجليزية في أنها اكتسحت مختلف مناطق العالم والميادين، والأمر لا يرتبط بها كلغة بل بالقوة التي وراءها، على غرار القوة العسكرية والاقتصاد المتطور والتجارة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية ثم المملكة المتحدة.

وقبل التطرق للتجليات نشير عامة إلى أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأولى عالميا في الميادين التالية:

1- في المنظمات والملتقيات الدولية.

2- في النشر في المجلات العلمية.

3- في البنوك العالمية والأعمال والاقتصاد والتجارة.

4- في الإعلانات للعلامات العالمية.

5- في الإنتاج السمعي البصري والثقافي؛ كالأفلام والموسيقى.

6- في السياحة الدولية.

7- في التعليم العالي.

8- في الأمن العالمي.

9- في القانون الدولي.

10- في الترجمة.

11- في نقل التكنولوجيا.

12- في الإتصال والإنترنت[1].

فسياسيا، فحتى الحرب العالمية الأولى كانت اللغة الفرنسية هي اللغة المهيمنة والمسيطرة في العلاقات الدولية والديبلوماسية، وأثناء مفاوضات فرساي تفاجأ الفرنسيون برؤية الأمريكان والبريطانيين يتكلمون باللغة الإنجليزية، وبرروا ذلك من جهة بعدم اتقن وتكلم الرئيس الأمريكي وودرو ولسن جيدا للغة الإنجليزية وعدم تحكمه فيها جيدا، ومن جهة ثانية من أن فرنسا لم تنتصر في الحرب إلا

[1] David Gradoll, op.cit.,p.8.

بفضل الولايات المتحدة الأمريكية. فالبريطانيون والأمريكيون فرضوا الإنجليزية كلغة ثانية رغم رفض الفرنسيين، على اعتبار اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة في الديبلوماسية، ومن ثم أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية في اتفاقية فرساي، وكذا في عصبة الأمم. ومنذ تلك الفترة واللغة الإنجليزية تتفوق على اللغة الفرنسية وتستعمل في المنظمات الدولية والإقليمية[1].

وتعد اللغة الإنجليزية اللغة الدبلوماسية في المحافل الدولية، وأصبحت تهدد اللغة الفرنسية ولذلك قررت الحكومة الفرنسية منع استخدام اللغة الإنجليزية قي الإعلانات وفي تحديد عدد الأفلام الناطقة بالإنجليزية[2].

وحتى في مجلس أوروبا، تم إعادة النظر في السياسات المتعلقة بالترجمة، فسابقا كانت تتم الترجمة من كل دول الأعضاء إلى الفرنسية والألمانية والإنجليزية، ولاحقا لداعي اقتصادية تقرر الترجمة إلى اللغة الإنجليزية فقط. ولكن بفعل احتجاجات الأطراف الفرنسية والألمانية تقرر العودة إلى الترجمة إلى اللغات الثلاثة الفرنسية والإنجليزية والألمانية وفي المجمع الأوروبي للعلوم فتستعمل لغتين رسميتين الفرنسية والإنجليزية، ومع الزمن سيطرت أكثر فأكثر لدواعي اقتصادية الإنجليزية[423].

وفي الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية بين الدول تستعمل لغات الدولتين بجانب اللغة الإنجليزية كمرجعية.

كما أن كريستال Crystal يرى أن 85% من المنظمات الدولية اليوم تستعمل اللغة الإنجليزية في العمل، و 49% اللغة الفرنسية و 10% اللغة العربية والإسبانية والألمانية. وأما عن المنظمات الأوروبية فـ 99% تستعمل اللغة الإنجليزية

---

[1] Ulrich Ammon,L'anglais,puissance mondiale?dossier: les langues européennes, revue forum,2001.

[2] كل شئ عن اللغة الإنجليزية

File:///Documents and setting/electro depot/mes documents/l'anglais/620871.html

[3] Eva Kusher, L'anglais comme langue globale : problémes, dangers, opportunités, Revue Diogène, fevrier2002, numéro 198 ,p .25.

في العمل و 63% اللغة الفرنسية و 40% باللغة الألمانية [1]. وتعد اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في 45 دولة في العالم[2].

أما عن _**التجليات الإقتصادية** ، فان القوة الاقتصادية هي التي تفرض لغة ما، فالسوق الانجلوفوني والقوة الاقتصادية الانجلوفونية تتجاوز اقتصاد الدول الأخرى، وكل فاعل يريد لعب دور في السوق عليه استعمال اللغة الإنجليزية، والدول الانجلوفونية هي بالمقابل اقل ارتباطا وتبعية بالأسواق المشكلة من قبل المجموعات اللسانية الأخرى.

ومن ثم فالمجموعة اللسانية، وتحديدا قوتها الاقتصادية هي التي تحدد قوة اللغة[3].

وانطلاقا من 1951م أصبحت الإنجليزية اللغة الرسمية في الطيران الدولي[4].

تستعمل اللغة الإنجليزية في الإتصال بين ربان السفن، وبين طواقم الطائرات، وأبراج المراقبة في مختلف المطارات[5].

كما تتجلى **هيمنة اللغة الإنجليزية في الميدان العلمي والتعليمي.**

ففي **الميدان العلمي** ، تعد الإنجليزية اللغة العالمية في مختلف العلوم، وحلت محل اللغة الألمانية المهيمنة في الكيميا ء سابقا، أما اليوم فالعلماء لكي ينجحوا في حياتهم المهنية لابد أن ينشروا مقالاتهم في المجلات باللغة الإنجليزية، التي ستضمن حركية النتائج في كل العالم[6].

---

[1] David Gradoll, op.cit. ,p.8.
[2] Bernard Cassin, Un monde polyglotte pour échapper à la dictature de l'anglais, Le Monde Diplomatique, Janvier 2005
[3] Conseil international des sciences sociales,Rapport mondial sur les sciences sociales, France :éditions UNESCO,2010,pp ..5-18.
[4] www.profacility.com
[5] Bernard Cassin ,op.cit.,
[6] Eva Kusher, L'anglais comme langue globale:problémes, dangers,opportunités, Revue Diogène, fevrier2002, numéro 198,p.25.

وتعد أيضا اللغة المستعملة أكثر وبصفة متزايدة في مختلف التخصصات العلمية وفي البحث العلمي. وفي هذا وحسب تقرير منظمة اليونيسكو، ووفقا للمتغيرين اللغوي والجغرافي، فان 75% من المجلات المتخصصة المنشورة في العالم هي في أمريكا لشمالية وأوروبا، و 85% منها تكتب وتنشر باللغة الإنجليزية، مما يعبر عن سيطرة اللغة الإنجليزية في الميدان العلمي، وربع منها تنشر في الولايات المتحدة الأمريكية، واثنان من ثلاثة – 2 من 3 – من المجلات المتخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وألمانيا وهولندا.

ودائما في هذا، وحسب التوزيع الجغرافي للمجلات المسجلة في قاعدة سكوبوس SCOPUS، فتحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى بـ 1712 مجلة علمية، ثم المملكة المتحدة بـ 1040 مجلة، ثم هولندا بـ 343 مجلة، ثم ألمانيا بـ 191 مجلة، ثم كندا بـ73 مجلة، ثم فرنسا بـ 63 مجلة.

وعن المجلات المحكمة دوليا، فمن 3046 مجلة علمية في العلوم الإنسانية في 2004م، نجد 85.3 % باللغة الإنجليزية، و 5.9% باللغة الفرنسية، و 5.4% باللغة الألمانية، و 4% باللغة الإسبانية[1].

ويرى كل من إيف جينغراس وسيبستيان مسباح– نانتسون في مقال "أين تنتج العلوم؟ "انطلاقا من قاعدة البيانات social science citation index لطومسون روتيرز Thomson Reuters أنه تقريبا من 227 مقال علمي نشر بين 1998 و 2007م، فان 94.45% نشرت باللغة الإنجليزية، و 2.14% باللغة الألمانية، و 1.25% باللغة الفرنسية، و 0.4% باللغة الإسبانية.

فيتضح أن الإنتاج العلمي باللغة الإنجليزية مرتفع مقارنة باللغات الأخرى، وهذا يعود إلى الإنفاق المالي المرتفع الذي تخصصه الحكومة الأمريكية والمقدر

[1] Conseil international des sciences sociales, op.cit. ,pp ..5-18.

بـ150 مليار دولار، ويضاف إليه 270 مليار دولار من خلال القطاع الخاص والأوقاف التعليمية. فضلا عن العلاقة بين مؤشر الإنتاج العلمي واستثماره، أي نتائج البحوث، من قبل الشركات الأمريكية[1].

ودائما في نشر الكتب حسب اللغات فنجد اللغة الإنجليزية هي المهيمنة والمسيطرة، وهو ما يبرز في الإحصائيات التالية:

28% اللغة الإنجليزية.

13.3 % اللغة الصينية.

11.8% اللغة الألمانية.

7.7 % اللغة الفرنسية.

6.7 % اللغة الإسبانية.

5.1 % اللغة اليابانية.

4.7 % اللغة الروسية.

4.5 % اللغة البرتغالية.

4.4 % اللغة الكورية.

4.0 % اللغة الإيطالية.

2.4 % اللغة الهولندية.

1.6 % اللغة السويدية.

5.8 % باللغات الأخرى.

وتنشر 60 دولة في العالم الكتب باللغة لإنجليزية، وتنشر بريطانيا أكثر العناوين مقارنة بالدول الأخرى[2].

وهذا الجدول [1] يبين التخصصات العلمية التي يعتمد فيها الأكاديميون الألمان على اللغة الإنجليزية في البحث والعمل وليس على اللغة الألمانية.

---

[1] Ibid,pp..5-18. – مصطفى الخلفي، العلوم الإجتماعية و الهيمنة اللغوية الإنجليزية، 2-7-2010م
Documents and setting /Electro depot/Mes documents /l'anglais/ details.htm

[2] David Gradoll,op.cit ,p.9

التخصصات	النسبة المئوية %
الفيزياء	98
الكيمياء	83
البيولوجيا	81
علم النفس	81
الرياضيات	78
علم الأرض	76
العلوم الطبيعية	72
علم الإجتماع	72
علم الفيزياء	56
علم الغابات	55
العلوم البيطرية	53
الإقتصاد	48
علوم الرياضة	40
اللسانيات	35
التربية	27
الأداب	23
التاريخ	20
الكلاسيك	17
علم الدين	12
القانون	8

أم عن **التجليات التعليمية** للغة الإنجليزية، فلقد استخلفت اللغة الإنجليزية في الكثير من الدول اللغة الأجنبية التي يفضل التدريس بها في المدارس، ففي تشكوسلوفاكيا كانت اللغة الأجنبية الأولى في التعليم اللغة الألمانية، وبعد الحرب

[1]Ibid,p.9.

العالمية الثانية أصبحت اللغة الروسية، وفي سنوات الثمانينات وقبل انتهاء عهد الشيوعية عادت اللغة الألمانية، رغم المعارضات النفسية للأفراد، بسبب العلاقات التجارية القائمة مع ألمانيا الشرقية، ولكن لاحقا أصبحت الإنجليزية اللغة الأجنبية المهيمنة والمسيطرة[1].

ونفس الأمر في فرنسا، فحسب ألان مينك Alain Minc فانه حسب كلود تيلو Claude Thélot في 1989م فان أول طموح هو جعل تعليم اللغة الإنجليزية إجباري من التعليم الإبتدائي.

وفي نفس الإتجاه فان رئيس لجنة النقاش الوطني العام حول مستقبل المدرسة، أعد لوزير التربية الوطنية الفرنسي فرانسوا فيون تقريرا اعتبر فيه تلقين اللغة الإنجليزية اجباري من السنة الثانية الإبتدائي، إلا أن الوزير فرانسوا فيون كان حذرا وأخذ بفكرة تعليم لغة أجنبية، دون تحديد للغة الإنجليزية[2]، وان كان وراء هذا، الصراع الكامن و غير الظاهر بين الفرنسية والإنجليزية.

أما عن التجليات الإتصالية للغة الإنجليزية:

فعن السكان، نجد أن عدد السكان الأصليين الذين يتكلمون الإنجليزية يقدر عددهم بـ 350 إلى 450 مليون نسمة، ولا يشكلون المجموعة اللسانية الكبيرة في العالم مقارنة بالذين يتكلمون اللغة الصينية ويقدر عددهم أكثر من مليار نسمة. ونفس الأمر بالنسبة للهنديين والأسبان، وحسب دافيد كريستال فانه يقدر المجموع الكلي للأنجلوفون (أي الذين يتكلمون باللغة الإنجليزية) الأصليين وغير الأصليين ما بين 670 مليون إلى مليار و800 مليون نسمة، مما يعني حوالي ربع سكان العالم، ومن ثم فهم أكثر عددا مقارنة بسكان اللغات الأخرى كاالغة الألمانية التي يقدر عدد الناطقين بها ما بين 137 إلى 267 مليون نسمة[3].

---

[1] Eva Kusher, op.cit,p.22/
[2] Bernard Cassin,op.cit.
[3] Ulrich Ammon,op.cit

و700 آلف فرد يتجهون إلى المملكة المتحدة لتعلم اللغة الإنجليزية[1].

فحول اللغة الإنجليزية التي هي لغة فوق مركزية، ولتي لها ناطقون أصليون لهم اتجاه قوي نحو الأحادية اللغة، تنجذب إليها عشرات اللغات المميزة كالفرنسية والعربية والصينية والهندية والإسبانية والتي لها أفرادها الناطقون بها، ولما يكتسبون لغة أخرى، فلهم اتجاه على اكتساب إما اللغة الإنجليزية (أي الإزدواجية العمودية)، أو لغة في نفس المستوى (أي الإزدواجيةالأفقية)، وحول هذه اللغات المركزية المميزة تتجاذب وتتمحور حولها من مائة إلى مئتين من اللغات المركزية، والتي تتمحور حولها بدورها من أربعة إلى خمسة آلاف لغة محيطية.

وفي كل مستوى من المستويات في النسق يتبلور اتجاهين؛ الأول نحو الازدواجية الأفقية باكتساب لغة في نفس الوقت مستوى اللغة، والأخر الإزدواجية العمودية باكتساب لغة في مستوى أعلى، وهذين الاتجاهين يشكلان الركيزة للنموذج.

وفي نفس الوقت الذي تعد فيه العولمة محل انتقادات عديدة، فان الجانب اللغوي لها يحتوي على خطابات معارضة ومنتقدة لها، انطلاقا من إدانة اللغة الفوق المركزية الإنجليزية إلى الدفاع عن اللغات الهامشية أو المحيطية، وإلى التعدد اللساني بالدفاع عن اللغات فوق المركزية كالفرنسية والانجليزية والصينية.

وهذا التنظيم العالمي للعلاقات ما بين اللغات هو قديم، وهو نتاج للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية طيلة القرن العشرين، والانجليزية اليوم هي اللغة فوق مركزية في العالم كما هو الحال بالنسبة للغة اللاتينية سابقا في أوروبا[2].

وهي حاضرة أيضا كلغة اتصال في الهند بجانب اللغة الهندية، كلغة مهيمنة ومسيطرة في العالم لأسباب تقنية واقتصادية وعلمية، وحتى في دول العالم الأخرى بما فيها اليابان والصين فان رجال الأعمال يتكلمون باللغة الإنجليزية[3].

---

[1] www.profacility.com
[2] Louis-Jean Calvet,Les effets linguistiques de la mondialisation,Aix En Provence ,2002.
[3] Eva Kusher, , op.cit,p.23.

والإتصال في قطاع الطيران يعطي مثالا حيا عن دور اللغة الإنجليزية في العالم، سواءا في ميدان رقابة حركة الطيران أو في التكنولوجيا أو في تسيير المطارات والعلاقات مع الزبائن، ففي داخل الطائرة فان الإعلانات تتم بلغة بلد الطائرة وتعاد تلك الإعلانات باللغة الإنجليزية[1].

وتهيمن اللغة الإنجليزية على أغلبية مواقع الانترنت في العالم، وعلى تدفق المعلومات في هذه الشبكة التي تتم كثيرا باللغة الإنجليزية.

ومنذ نشأة شبكة الإنترنيت في الولايات المتحدة الأمريكية تم الإعتماد على نظام الترميز ASCII المبني على سبع خانات الذي لا يعمل إلا بالحروف والرموز الإنجليزية، وهذا ما أدى اعتماد هذه الطريقة في نظام أسماء النطاقات الذي بدوره أصبح لا يدعم ولا يعمل سوى بالحروف والأرقام والرموز الإنجليزية، وان كان هناك اتجاه اليوم على الإعتماد على نظام أسماء بلغات أخرى غير الإنجليزية[2].

وحتى في جانب تدفق الأنباء العالمية المصورة؛ فنجد الوكالات العاملة باللغة الإنجليزية؛ كوكالة فيز نيوز Vis News الإنكليزية، والوكالة الأنجلو-أمريكية World-Wide TV[3].

أما عن **التجليات الثقافية** : فلا تقتصر قوة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية فقط على العوامل المادية كالقدرات العسكرية والعلمية وإنتاج السلع والخدمات والرقابة على تدفق الطاقة، بل على أساس التحكم في العقول ومن ثم الرموز الثقافية، وخاصة الرموز اللسانية.

---

[1] Ibidem

[2] كل شئ عن اللغة الإنجليزية
File:///Documents and setting/electro depot/mes documents/l'anglais/620871.html

[3] موسى جواد الموسوي و آخرون،الإعلام الجديد...تطور الأداء و الوسيلة و الوظيفة،الكتاب الأول،بغداد:الدار الجامعية للطباعة والنشر،2011،ص.35.

فاللغة الإنجليزية تتموقع أو تقع في مركز النسق العالمي أين تلعب دورا على غرار دور الدولار في النظام النقدي الدولي، فهناك لغة فوق مركزية التي هي اللغة الإنجليزية التي تتمحور حولها عشرات اللغات فوق المميزة في العالم، والتي بدورها محاطة وتتمحور حولها حوالي 200 لغة، والتي بدورها تتمحورحولها حوالي 6000 لغة.

وإذا كان الدولار له هدف مزدوج كوسيلة تنظيم وكعملة احتياط دولية مهيمنة للورقة الخضراء والتي تسمح باستمرار الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة في العالم، فان اللغة الإنجليزية كاللغة فوق مركزية يسمح لها موقعها المريح من التأثير، فهي تعد كريع إيديولوجي يتجاوز الحدود، لكونه يدفع أغلبية النخب في العالم كله إلى الخضوع و الولاء للغة الكبار التي هي الإنجليزية، وللمفاهيم التي تعبر عنها ولتصورها للعالم الذي تحمله. وكما يرى كلود هاجيج فان: "شهرة النخب الصناعية والاقتصادية المدفوعة بالحذلقة،أدى بالطبقات الوسطى إلى الإقتداء وإلى الإرادة في تعلم الإنجليزية".

وريع الدول الأنجلوفونية هي اقتصادية أيضا، وعلى الدول الأخرى تمويل تكاليف التعلم والترجمة من وإلى اللغة الإنجليزية، وأصبح تعليم هذه اللغة من حيث المنهجية ومساءل التقييم لطاقم التكوين والأستاذة صناعة حقيقية وأداة تصدير للولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة. وبالنسبة للجنة الأوروبية فهي تستخدم اللغة الإنجليزية وتشجع المؤسسات والشركات التي تستخدم اللغة الإنجليزية وعلى تحمل الآخرين لتكاليف الترجمة.

وهذه العوامل الإيديولوجية والاقتصادية تتقوى سنويا وتساهم في تقوية الأحادية اللسانية في الكون[1]، وأخيرا تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على نشر ثقافة الإستهلاك، والتي يعتبرها الكثير بأنها ثقافة العالم[2].

---

[1] Bernard Cassin, op.cit..

[2] Manon Tessier et Michel Fortmann, Les Etas Unis :Mutation d'une puissance dans l'après guerre Froide, revue internationale et stratégique, 2001/1 (n° 41) ,p.163

كما ترتبط سيطرة الإنجليزية بتأثير أغاني الريف الأمريكي على الشباب في العالم.

وخلاصة، يمكن القول أن العولمة ما هي إلا مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي، وهي تعبر عن تطور النظام الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية.

ووراء هذه العولمة برزت عولمة اللغة الإنجليزية التي تجاوزت اللغات الأخرى في العالم، و الأمر لا يرتبط باللغة الإنجليزية في حد ذاتها بل بقوة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم في مختلف المجالات، ومن ثم فمن الطبيعي أن تسيطر اللغة الإنجليزية للولايات المتحدة الأمريكية على غرار اللغة اللاتينية في عهد الأمبراطورية الرومانية.

[1] أنظر تعاريف العولمة في مختلف التخصصات العلمية في:

–محيى محمد مسعد، ظاهرة العولمة: الأوهام و الحقائق ،ط1،مصر: مكتبة و مطبعة الإشعـاع

الفنية،1999،ص..41–51.

1

[2] فضيل أبو النصر، الإنسان العالمي:العولمة و العالمية و النظام العالمي العادل،لبنان:بيسان للنشر و التوزيع والإعلام،2001، 148.

[3] فالولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوة عسكرية و سياسية و إقتصادية في العالم، ربطت سياستها الخارجية

أكثر بعد انتهاء الحرب الباردة بحقوق الإنسان و الديمقراطية، وتبنت فكرة نهاية التاريخ.

Richard Falk ,Interpreting the interaction of global markets and human rights, in Alison Brysk, Globalization and Human Rights, Berkeley, CA: University of California Press, 2002 ,p 66.

[4]Philip S.Golub, Métaphores d'une politique impériale,Le Monde Diplomatique,mars 2003,p.17.

[5] Jacques Derrrida,Y'a-T-il Des Etats voyous ?,Le Monde Diplomatique, janvier 2003,p.10.

[6] عبد العزيز محمد سرحان ، المنظمات الدولية ، مصر: دار النهضة العربية،1990،ص..363-369.

[7]David M. Malone, US-UN Relations in the UN Security Council in the Post-Cold War Era,in Rosemary Foot and S. Neil MacFarlane, U.S. Hegemony and International Organizations: The United States and Multilateral Institutions, Oxford: Oxford University Press, 2003,p.73.

* لقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل في البداية في مسألة البوسنة و الهرسك، و تركت الأمر للأوروبيين على أساس أنه مشل أوروبي، و لكنهم عجزوا عن وقف الحرب، مما استوجب تدخل الولايات المتحدة الأمريكية.

[8]Samy Cohen,ONG, alteermondialistes et Sociéte civile, Revue française de science politique,France,2004/3 (Vol. 54),p.380.

[9]Marc-Antoine Pérouse De Montclos, ONG humanitaires et politiques migratoires des états :une analyse financiére et stratégique,Revue Outre-Mer,2006/4, numéro 17,p.39-40.

[10]Sami Nair,Le monde selon Washington,Le Monde Diplomatique,mars 2003,p.14.

[11]Jean De Maillard,Les alliés des Etats-Unis aux avant-postes :Nouveaux bunkers de l'occident, Le Monde Diplomatique,janvier 2003,p.7.

[12]Ibid,p.7.

[13]Ibid,p.7.

[14]David Gradoll,The Future of English,UK:The British Council,2000,p.8.

[15]Manon Tessier et Michel Fortmann, Les Etas Unis :Mutation d'une puissance dans l'après guerre Froide, revue internationale et stratégique, 2001/1 (n° 41) ,p.163.

[16]Eric Vergnaud,La place des Etats-Unis dans le monde,www.youtube.com /watch ?v=Afvofrqlgpw

[17]Frédéric F.Clairmont,Vivre à crédit ou le crédo de la premiére puissance du monde , Le Monde Diplomatique,avril2003,p.21.

[18] جورج كلاك،قضايا عالمية:تحديات العولمة،مجلات أمريكية، فيفري 2006،ص.4.

[19] منير الحمش،" مؤسسات إقتصاد العولمة "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 95 ، ماي 2000،ص..21-32.

[20]David Gradoll,op.cit. ,p.9.

** تهدف برامج التثبيت الهيكلي إلى إستعادة التوازن في الإقتصاديات الكلية، و ذلك باتباع سياسة نقدية و مالية و أسعار صرف معينة، و هذا للتخفيض من الإنفاق العام، و قمع الإستهلاك، و زيادة الإنتاج و التصدير.

*** تهدف إلى معالجة الإختلالات الإقتصادية بشكل يسمح بتحسين ميزان المدفوعات و يقضي على العجز.

[21] محمد ف.يوسف،"برامج التصحيح الهيكلي و مستقبل حقوق الإنسان"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 95 ، ماي 2000،ص.8.

[22]Au dessous des cartes :FMI,chaine tv ARTE,,2 avril 2011.

[23]Richard Falks,op.cit., p 62

[24]Franck Petiteville, L'hégémonie est-elle soluble dans le multilatéralisme ? Le cas de l'OMC, Revue Critique Internationale, numéro 22,janvier 2004,P.69.

[25]Gautam Sen, The United States and the GATT/WTO System, in Rosemary Foot and S. Neil MacFarlane, U.S. Hegemony and International Organizations: The United States and Multilateral Institutions, Oxford: Oxford University Press, 2003, p.115.

[26] لمياء محمد أحمد السيد،العولمة و رسالة الجامعة: رؤية مستقبلية، مصر:الدار المصرية اللبنانية، 2002، ص.53.

[27] نفس المرجع،ص.57.

**** [6] أول أزمة سياسية للعولمة، بعد أن شكلت الأزمة المالية الآسيوية في منتصف 1997م أول أزمة إقتصادية.

Richard Falks,op.cit., p 61.

[28] محيى محمد مسعد، ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق،ط1،مصر: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية،1999،ص.

[29]Giannoli Alexandre,Les firmes multinationals, Les FIRMES MULTINATIONALES – Le processus de multinationalisation, *www.surfeco21.com/?p=67.*

[30]Frédéric F.Clairmont,Ces firmes géantes qui se jouent des Etats'Le Monde Diplomatique,décembre1999 .

[31]Ian Capps, What the new technology really means for communication profes-sionals, **PUBLIC RELATIONS** Quarterly (1993),p.1

[32]Ibid.,p.1.

[33] محيى محمد مسعد، المرجع السابق الذكر،ص.24.

[34] نفس المرجع،،ص.25.

[35] روبرت أ.كيوهين و جوزيف س.ناي،"القوة و الإعتماد المتبادل في عصر المعلومات"،مجلة شؤون الأوسط،لبنان، العدد98 ، أغسطس 2000 م،ص.80.

[36] عامر عياد، نحن و الثقافة المعولمة ، الثلاثاء 18 آذار 2008 م.

[37]***EDWARD W.SAID,UNE AUTRE FAÇON DE VOIR LES ETATS-UNIS,LE MONDE DIPLOMATIQUE,MARS 2003,P.20.***

[38]***PHILIP S.GOLUB,LES DYNAMIQUES DU DU DESORDRE MONDIAL.TENTATION IMPERIALE,LE MONDE IPLOMATIQUE, SEPTEMBRE2003,P.8.***

[39]David Gradoll, op.cit.,p.8.

[40]Ulrich Ammon,L'anglais,puissance mondiale?dossier :les langues ropéennes, revue forum,2001.

[41] كل شئ عن اللغة الإنجليزية File:///Documents and setting/electro depot/mes documents/l'anglais/620871.html

[42]Eva Kusher, L'anglais comme langue globale : problémes, dangers, opportunités, Revue Diogène, fevrier2002, numéro 198 ,p .25.

[43]David Gradoll, op.cit. ,p.8.

[44]Bernard Cassin, Un monde polyglotte pour échapper à la dictature de l'anglais, Le Monde Diplomatique, Janvier 2005.

[45]Conseil international des sciences sociales,Rapport mondial sur les sciences sociales,France :éditions UNESCO,2010,pp ..5-18.
[46]www.profacility.com
[47]Bernard Cassin ,op.cit.,
[48]Eva Kusher, L'anglais comme langue obale:problémes, dangers,opportunités, Revue Diogène, fevrier2002, numéro 198,p.25.
[49]Conseil international des sciences sociales, op.cit. ,pp ..5-18.
[50]Ibid,pp..5-18.

-مصطفى الخلفي، العلوم الإجتماعية و الهيمنة اللغوية الإنجليزية،2-7-2010م

Documents and setting /Electro depot/Mes documents /l'anglais/ details.htm
[51]David Gradoll,op.cit ,p.9.
[52]Ibid,p.9.
[53]Eva Kusher, op.cit,p.22/
[54]Bernard Cassin,op.cit.
[55]Ulrich Ammon,op.cit
[56]www.profacility.com
[57]Louis-Jean Calvet,Les effets linguistiques de la mondialisation,Aix En Provence ,2002.
[58]Eva Kusher, , op.cit,p.23.
[59]Ibidem

[60] كل شئ عن اللغة الإنجليزية

File:///Documents and setting/electro depot/mes documents/l'anglais/620871.html

[61] موسى جواد الموسوي و آخرون،الإعلام الجديد...تطور الأداء والوسيلة والوظيفة،الكتاب الأول،بغداد:الدار الجامعية للطباعة و النشر،2011،ص.35.
[62]Bernard Cassin, op.cit..

[63]Manon Tessier et Michel Fortmann, Les Etas Unis :Mutation d'une puissance dans l'après guerre Froide, revue internationale et stratégique, 2001/1 (n° 41) ,p.163.

نحو منظومة محوسبة لإستكناه التعدد اللساني: تنظير وتجريب فى تقطيع الصوت العربي الأكوستيكي ودوره فى تفهم أسرار لغات الإنسان.

أ. د. محمد ثناء الله الندوي جامعة عليكره – الهند

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ(الروم:22) صدق الله العظيم

1. مدخل: التعدد اللساني

التعدد اللساني ظاهرة إنسانية اجتماعية ملموسة، مصنفة حسب المرجعيات الإنتروبولوجية والعرفانية والتعبيرية إلى عائلات لغوية، مثل اللغات الأفريقية الآسيوية واللغات الهندية الأوروبية، ومتأصلة حسب الأصول والخصائص المتشابهة ، رغم تكثف المنافحات الكلامية والمناكفة الإيديولوجية مصحوبة برهانات التأصيل والتذويب والتهميش داخل منطق الأنطولاهوطيقي وصنوه لدى الأنتروبولوجي التجريبي . ومهما اختلفت الآراء فى تفسير التعدية اللسانية (أسطورة بابل وسواها) [1] فى سياق حرب اللغات والسياسات اللغوية بين 6909 لغة حية (حسب تقرير SIL Ethnologue لعام 2009)،[2] فإن الظاهرة نفسها تؤسس احترام الآخر، لآخر ما يرهصه الخطاب الألسني التطبيقي وتحليل ظاهرة الصوت الإنساني المحوسب.

---

[1] أنظر:

Paul Bloom, *The Power of Babel: A Natural History of Language* (Times Books, 2001), p. 35.

وأنظر: لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د. حسن حمزة المنظمة العربية ***للترجمة*** – لبنان، 2008.

[2] Ethnologue: Languages of the World, Fifteenth edition, ISBN 1 55671 159 X

مهما تألبت كتل المشاعر العرقية الزمكانية ضد المنطق الإنساني الشمولي للحروف والمنمذذ فى مناحيه الوجودية والعلمية فى ظلال التجريب العلمي الذي جعله قاب قوسين أو أدنى من العلوم الصلبة، لا يسعنا إلا الإصغاء إلى ما يوحى إلينا فيه من علياء الإليكترونيات المتخلية عن أية مرافقات لاهوتية لها شريعتها وصرامتها فى التجويز والتحريم ، فالتجانس الأنطولوجي الذي لا يمكن أن يتخلى عنه الإنسان– المتحرك فى شوارع دلهى أو موسكو أو الجزائر، والمتكلم بالسنسكريتية أو الهندية أو الروسية أو العربية، مثلا – استطاع أن يعزز بنجاح جدلياته المواقفية للنظرة التوحيدية، وكان العون الكبير له من حقل المقاربات الصوتية بين اللغات فى الفونيمات والألفاظ والتراكيب، وهل من نافلة القول أن ما أفرزه التجريب اللغوي المحوسب فى إطار اللسانيات العربية الذى فك أسرارا كانت من المضنون به على غير أهله بالمصطلح القروسطي، لا يعاضد النظرة القائلة بأن أي تأطير رئيوي فى مملكة الحروف يرصد العقل العربي بمعزل عن سياق تاريخي ولغوي وعقيدي توحد ثالوثه فى الإسلام يعانى – لا محالة – عن الجدب المنهجي فى محكمة التاريخ والواقع، ومن شأنه أن لا يقيم وزنا للأحادية المدروسية أو التركيز النقطوي المؤسس لجدليات تعمل أوزارها فى الهدم أكثر من عملها فى البناء، [1] إذ لا يقيم كثيرا لسريان الاستعمال اللغوي المتوأم برصيد معرفي من طبيعته أن تنحصر المحليات فى بوتقة شموليات، ولكن هل معنى ذلك أن تتخلى شعارات المتحدر السلالي الإقليمي عن قيادة تأسيس لغوي جديد هندسه الإسلام فى هيكلة بنيوية أتى به وعمل صوب تكوين انسجامي انعزلت فيه ديالكتيك المرتكز الجغرافي عقيدة واجتماعا ؟ إن ظواهر اللغة والصوتيات العربية (فى سياق الإسلام)

---

[1] أنظر:

Z. S. Harris, *A theory of Language and Information: A Mathematical Approach*, (New York: Oxford University Press, 1991); J. B. Plotkin and M. A. Nowak, "Language evolution and information theory," in *Journal of Theoretical Biology*, vol. 205, iss. 1, pp. 147-159, 2000; B. Colombat, J. Fournier, and C. Puech, *Histoire des idées sur le langage et les langues* (Paris: Klincksieck, 2010)

وأصولها وفروعها المترامية الأطراف تتماثل أمام خبراء اللغة والصوتيات والاجتماع مادة ثرية للتحليل والاستنتاج في سياق مثل هذا المنطق ومنطوقه و مسكوته.

إذا كانت التجارب المختبرية الحديثة في الصوتيات والمشهود لها بالتصاعد أفقيا وعاموديا فى المجالات الرئيسية والفرعية مثل النطقية والفيزيائية والتجريبية والتوظيفية عاونتنا فى جهة فى تفهم أعمق وأشمل لأساسيات مثل الجهاز الصوتي ومناطقه الثلاثة وأجزآءها (الرئتين والحنجرة وغضاريفها الحلقية والهرمية والمخروطية والقرنية، ولسان المزمار والحبل الصوتي والحلق والتجويف الأنفي واللهاة والحنك والأسنان واللسان (كل مخارج الأصوات الطبيعية) [1] فهى فى الأخرى كانت مددا صلبا فى سبر أغوار المواقف الكلاسية لعلماء اللغة والقراءة والقواعد والأدب الذين لم تمنعهم آليات اليوم (البعيدة عن متناولهم بحكم الدهر الذى يقلب الليل والنهار) من استلهام النتائج اللغوية العلمية القليلة الميوعة مقارنة مع المستلهم آليا فى مستعمرات إليكترونية ، ترى كم تتقارب مواقف إبن سينا (فى "أسباب حدوث الحروف") [2] وإبن جنى (الخصائص وسر صناعة النحو

[1] Cf. Berns, M., & Matsuda, P. K., "Applied linguistics: Overview and history". In K. Brown (Ed.), *The Encyclopedia of language and linguistics* (2nd ed.; pp. 394–405). Oxford, 2006); Elsevier; Cook, G., "Applied Linguistics" in the series *Oxford Introduction to Language Study*, Oxford: Oxford University Press, 2003; Davies, A. & Elder, C. (eds.) *Handbook of Applied Linguistics*, Oxford/Malden, MA: Blackwell; Hall, 2004; C. J., Smith, P. H. & Wicaksono, R., *Mapping Applied Linguistics. A Guide for Students and Practitioners*. London: Routledge, 2011; Johnson, Keith & Johnson, Helen Encyclopedic Dictionary of Applied Linguistics, Oxford/Malden, 1999; McCarthy, *Michael Issues in Applied Linguistics*, Cambridge University Press, 2001; Pennycook, Alastair Critical *Applied Linguistics: A Critical Introduction*, London: Lawrence Erlbaum Associates, 2001; Schmitt, Norbert, *An Introduction to Applied Linguistics*, London: Arnold, 2002; C. D. Manning and H. Schütze, *Foundations of Statistical Natural Language Processing*, MIT Press, 2002.

[2] أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (370هـ980م/ 427هـ /1037م.): ***أسباب حدوث الحروف*** ، تصحيح:محب الدين الخطيب التصنيف: طبعه مطبعة المؤيد–مصر سنه 1915م–1332هـ

)[1] – فى الصوتيات مثلا – من مواقف ديفيد ابروكمبى (فى مبادئ عمل الأصوات) وبيتر ليد فوجد (فى مبادئ علم أصوات الكلام الأكوستيكي)[2] ؟

اللغوي الحديث يسبر أغوار القضايا اللغوي على الأسس الفيزيائية التى تعاونه على أداء الصوائت أداءا جيدا (أجود؟)، على أنه يؤيد بعض الحقائق التى توصل إليها الكلاسيون العرب بالطرق التقليدية فى وصف الأصوات، ولكن أهمية الأخافشة الجدد حملة الأوزار الحاسوبية (من غير وزر للآخرة أو زينة للحياة الدنيا!) تكمن فى أنهم يكشفون عن بعض الحقائق الصوتية التى لم تكن معروفة من قبل، والتى يستفاد منها بكثير فى مجموعة من النظم الفنية والعلمية والطبية مثل هندسة الصوت وعلاج بعض حالات عيوب النطق [3] والصمم وتعليم العربية لغير الناطقين بها ، من بين الأخرى.

2. تفهم ظاهرة التعدد اللساني بين الإحتذاء والإبتكار

ثمة قسط من جهود علماء اللغويين والألسنيين والمعجميين العرب والمسلمين محاول لتفهم تفهم ظاهرة التعدد اللساني، فى سياق اللغات السامية (العبرية، السريانية، العربية)، وجل النتائج التى توصلوا إليها تتمثل فى أمثلة البدل والقلب. مثلا يقول السيد كرامت حسين الكنتوري: " من التغير اللغوي التغير فى حروف اللفظ من غير تغيير فى ترتيبها، ويسمى بدلا، وهو شائع فى الألسنة كلها..... ولا يذهبن عنك أن بدل الحروف فى الألفاظ له مدخل عظيم فى تكثير الألفاظ المترادفة وفى تصنيف المعنى المراد من المصدر الأصلي إلى معان كثيرة".[4] وحرف الضاد العربية موجودة فى السريانية والعبرانية، على أن العبرانيين

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني (322 هـ/ 392 هـ) : كتاب الخصائص، عالم الكتب، 2006.، سر صناعة الإعراب، المكتبة التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع، 2007.

[2] أنظر بيتر لاديفوجد: مبادئ علم أصوات الكلام الأكوستيكي، ترجمة: جلال شمس الدين، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر، 1994.

[3] أنظر: مصطفى صلاح قطب : الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام، دار الصحوة،2009.

[4] السيد كرامت حسين الكنتوري: فقه اللسان ، المقدمة (لكهنؤ: مطبعة منشى نول كشور، 1915م) ص 81.

جعلوا الضاد صادا، والسريانيون جعلوها عينا، مثل الأرض والضان وضاق وقبض، فإنها فى العبرية: أرص وصان وصاق وقبص. [1] ويذكر الكنتوري أمثلة عدة محيلا إلى يوسف داؤد الموصلي (فى كتابه: اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية)، منها:[2]

بحن فى العبرية	محن فى العربية
زمن فى العربية	زبن فى السريانية
كنس فى العبرية	كنز فى العربية
رصح فى العبرية	رضخ فى العربية
صهب فى العبرية	الذهب فى العربية
حلق فى العبرية	خلق فى العربية
حلص فى العبرية	خلص وخلع فى العربية
ضحك فى العربية	صحق فى العبرية
صدن فى العبرية	صدل فى العربية (خلق النون والميم من اللام)

ومن بين الأمثلة من تبدل الحروف إلى حروف أخرى فى العربية والسريانية:

الحاء = الخاء (حبول = خبول)

اللام = النون (صلم = صنم)

العين = العين، الغين، الضاد (عيم = غيم)

[1] المصدر نفسه، ص 6

[2] المصدر نفسه، ص 94

الصاد = الضاد (عرص = عرض) [1]

وعلى هذا نقيس أمثلة من التبدل فى لغات مثل التركية و البشكرية، إذ الأتراك يقلبون الخاء إلى الهاء، و الدال إلى التاء، و البشكريون يقلبون العين إلى الغين، من بين تبديلات أخرى.

دراستنا المحوسبة للموضوع تستكنه الأمر تجريبا وتحليلا.

من أهم ما يلفت انتباه البحث في المختبر اللغوي: توليد الأصوات من وحدات فونيمية ومركبات ومزدوجات صائتية، إذ نعرف من التجارب أنه من الممكن (الواقع) توليد الأصوات: الكلمة والكلام المختلفين كما وكيفا، بوجه حلال وآخر حرام، وهذا الآخر يلفت أنظار مقننن اللاهوت والناسوت، إذ لديه كلام شرير على لسان مولود بالفطرة و مربى حي بن يقظان! وبالعكس.

2. القضايا وهيكلها الأنطوابستمولوجي:

أ. ظاهرة الصوت:

القضية الأساسية هى الصوت، وصوت الأنسان فى هذا المشروع، من البين أن الصوت لا يختص بالإنسان المخلوق فى أحسن تقويم، فهو للعاقل وغير العاقل، وهل ننظر إلى إبن جنى [2] لتبين هذه الحقيقة، وهل نحيل إلى بيتر ليد فوجد [3] وغيره، [4] لكئ نعرف أن الصوت: صورةٌ من صور الطاقة التي تؤثّر

---

[1] الكنتوري، المصدر السابق، ص 98–102.

[2] سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 9

[3] مبادئ علم أصوات الكلام الأكوستيكي، ص 7

[4] مثل بيتر ب دينس: المنظومة الكلامية، ص 37.

كثر الاهتمام بالدراسات الصوتية بالعربية في هذا العصر، ومن أبرز المهتمين به: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، محمود السَّعران: علم اللغة، تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، كمال محمد بشْر: علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات، أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، علي عبدالواحد وافي: فقه اللغة؛ علم اللغة، صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، محمد أحمد أبو الفرج: فقه اللغة، محمد المبارك: فقه اللغة، عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية؛ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، محمود حجازي: علم اللغة العربية، الطّيب البكوش: التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث، عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللّسان الحديث، رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية، إبراهيم السَّامرائي: دراسات في اللغة؛ فقه اللغة المقارن، عبد الصَّبور شاهين: المنهج الصَّوتي للبنية العربية، صالح

على حاسّة السمع فتسبّب الإحساس بالسمع ؟، أو هو: ذلك الأثرُ الناشئُ من اهتزازِ جسمٍ، أو اصطدامِهِ بآخر، والمؤدّي إلى اضطرابٍ في الوسط الناقل الهواء مثلا والمتكون من :جزئيات دقيقة ويحتوي أنش مكعب علي أكثر من أربع مئة (400) بليون جزئ، هذا الاضطراب يؤدّي إلى حركةٍ موجيّ ة تنتقل على شكل ضغوط، وبخلخلات إلى جهاز الاستقبال " الأذن " ، وكل صوت من أصوات اللغة عند إنتاجه يتكوّن من موجة صوتيّة تنتشر في الهواء بسرعة ثلاثِ مئةٍ وأربعين(340) مترا في الثانية، وهذه السرعة تختلف باختلاف الوسط الناقل للصوت، فسرعته في الحديد : 5850، وفي الماء: 450، وتتكون الموجة من عدد من الذبذبات المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى، ويتوقف عدد هذه الذبذبات عند الإنسان على زيادة سرعة الحبلين الصوتيين، وتتوقف سرعتهما على مرونتهما، وعلى عوامل أخرى ليس هنا محل ذكرها، فإن كان إصدار الأصوات مستمراً تكون لدينا ما يسمى: قطار الموجات . ولكي يتمّ الإحساس بالصوت لابدّ من توافر شروط ثلاثة هي:

1. المصدر
2. الوسط
3. جهاز الاستقبال

فالصوت على هذا ينتج من حركاتٍ يقوم بها جسمٌ ما، في حيّز ما، وبتأثير قوّة محرّكة يصل الصوت بعدها إلى جهاز السمع، ولعلّه من نافلة القول الإشارة هنا إلى أنّ: ليس كلّ الأصوات يمكن الإحساس بها أيّ: سماعها، إذ أنّه لا يسمع صوت إلاّ إذا كان تردّده لا يقلّ عن حدٍّ أدنى، ولا يزيد عن حدٍّ أقصى وهما في المتوسط من (20 إلى 20.000) ذبذبة، أو اهتزازةٍ في الثانية. والصوت

القرمادي: دروس في علم أصوات العربية (مترجم)، فاطمة محمد محجوب: دراسات في علم اللغة، يوسف الخليفة أبوبكر: أصوات القرآن.

بصفةٍ عامّة، وأعني به المعنى العام أيّ: اللغوي وغيره سواءٌ أكان مصدره حيّاً كالإنسان مثلاً، أو لا مثل الآلات يتميّز بمظاهر هي:

1. الارتفاع
2. العلو ّ
3. الدرجة
4. الشدّة

إنّ وتر الصوت عند الصمت في نقطة الصفر حتّى إذا بدأ في الذبذبة تحرّك بمدىً يتساوى بما بين نقطة الصفر وغاية الابتعاد، وكلّما اتسع المدى كان الصوت عالياً، وإن ضاق كان الصوت منخفضاً، وعند الإنسان يتوقف الاتساع والضيق على كمّيّة الهواء المارّ بين الوترين الصوتيين، وعلى اتّصال المصدر بأجسامٍ رنّانة ، حيت أنّها تساعد على علوّ الصوت، ووضوحه، وشدّته، ثمّ إنّ لاقتراب المصدر من الأذن أثرُ ٌ كبيرٌ في علوّ الصوت وارتفاعه، معنى هذا: أنّ العلوّ يتوقّف على الشدّة ، الشدة تقاس بالواط في السنتيمتر المربع الواحد ' كما تقاس بالديسبل Decibel، وهو أكثر ملاءمة، ويكتب اختصاراً (db)، والفرق بين وحدة القياس الأولى والثانية أن الأولى وحدة قياس ثابتة في حين أن الثانية ليست كذلك.

ب. الصوت الإنسانى

الصوت لدي الإنسان ينشأ كغيره من ذبذبات مصدرها الحنجرة فالهواء يندفع من الرئتين مارّاً بالحنجرة، فيمرّ بالوترين محدثا الاهتزازات التي بعد خروجها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الوسط على شكل موجات حتى تصل إلى جهاز الاستقبال، ولكلّ إنسان صفة صوتيّة تميّز صوته عن غيره، وليس لصوتِه درجةٌ واحدةٌ، أو شدّةٌ واحدةٌ، فهو متعدّدُ الدرجةِ والشدّةِ، وحتّى في الكلام المتّصل، ودرجةُ الصوتِ عند الإنسانِ مرتبطةٌ بجنسه، وعمره، فصوتُ المرأة أحدّ أو أرقّ من الرجل ، لأن الوترين الصوتيين عندها قصيرة، وأقلُّ ضخامة مما يؤدّي إلى

زيادة سرعة اهتزازتهما، وبالتالي زيادة عدد الذبذبات في الثانية، وعند بلوغِ الرجلِ يتضخّمُ الحبلان، ويطولان، وهنا تقلّ الذبذبات ، ولا يوجد فرق بين الحناجر الإنسانيّة، وما نلاحظه من جمالِ الصوتِ عند المطربين عائدٌ إلى الموهبة الّتي مكّنته من السيطرةِ على التّنفس، على تنظيم الهواءِ في جريانه وصدوره من وإلى الفم والأنف، فالاستعداد الشخصي هو العنصر الأساس في جمال الصوت، وكذلك المران.

العوامل المؤثّرة في درجات الصوت عند الإنسان هى:

طول الوترين: الطول يؤدّي إلى قلة الذبذبات، وقلّتها تؤدّي إلى عمق الصوت.

1. **شدّ الوترين** : إذ الملاحظ بالتجربة، والدراسة المعمليّة أنّ الصوت المنبعث من ذبذبة وترين شدّهما محكم يكون صوتاً حادّاً، ويلاحظ أنّ غلظ الوترين عند الرّجال يؤدّي إلى قلّة نسبة التوتّر فيهما.

3. **عضلات الحنجرة:** تتوقّف درجة الصوت على مدى مرونتها، فكلّما ازدادت مرونةً كثرت الذبذبات، وعندها تزداد حدّة الصوت.

4. السيطرة على الهواءِ الخارج من الرئتين، مع تنظيم اندفاعه، ونسبة المندفع منهما.[1]

شدّة الصوت الإنساني: تتوقف على سعةِ الرئتين، وسلامتِهما، ونسبةِ ضغطِ الهواءِ المندفعِ منهما، وعلى الفراغاتِ الرنّانةِ التي يجتازُهَا الهواء بعد الحنجرة، والملاحظ أنّه يختلف حجمها من إنسان لآخر مما يؤدّي إلى تمايزِ الأصوات،

---

[1] أنظر:

F. Jeffrey Bell (tr), A.H. Garrod (ed), *Johannes Müller on certain variations in the vocal organs of the Passeres that have hitherto escaped notice*, Oxford, Clarendon Press,1878; Titze, I. R, *The human instrument*. Sci.Am. 298 (1):94-101. PM 18225701 (2008), Titze, I.R. *Principles of Voice Production*, Prentice Hall (1994)., ISBN 978-0137178933.

أي: أنّ الذبذبات في الحنجرة عددها واحد، لكنّ تلك الفراغات هي التي تكسب الأصوات لونا خاصّاً يمكّننا من تمييز الصوتِ من إنسانٍ لآخر.

ومن خلال الدراسة التي قمت بها للصوائت لاحظت أن الشدة الصوتية لدي جنس الإناث في المتوسط العام أقل من الرجال، وكان ذلك بفارق لايفل عن: ديسبيل، باستثناء بعض حالات معينة كصغر العمر، أو كون الأنثى مطربة تمارس الغناء، إذ لاحظت أن شدة الصوت عندهن كانت دائما أعلى من الجميع وهذا يعود حسب رأي عند المطربات إلى الاستعداد والمران وإلى التحكم في غرف الرنين وتكيفِها حيث النغمة المراد إصدارها، وكذلك للوضع الصحي والنفسي لصاحب الصوت.

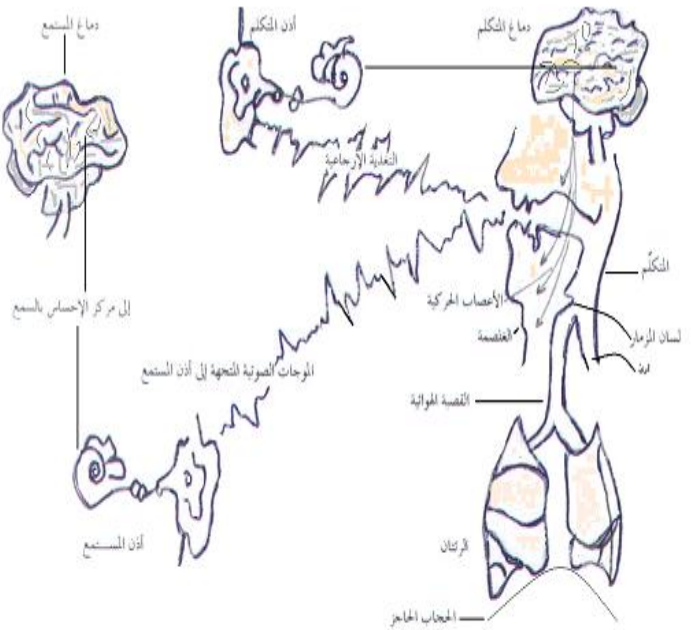

شكل رقم (1) يوضح المنظومة الكلامية
ومراحل الإنتاج، والانتقال، والإدراك

شكل رقم (2) موجة الصوت الإنساني

ج. الكمّيـة

الكمية فى الأصوات مرتكز أساس يعول عليه البحث عن التوليد والتلفيق فى الأصوات. ما هى الكمية؟ هى: مدة الصوت المنطوق في سياق وزمن معيّنين، أو هي: الزمن الذي يستغرقه إنتاج صوت في سياق وزمن معيّنين ، فهى متمثلة فى الزمن الذي استغرقه إنتاج صوت ما من حين الشروع في إنتاجه إلى حين الانتهاء منه، والكمية مهمة بنوعيها الموضوعيّ (الذي يختص بحساب الزمن المحسوب بجزء من الثانية للأصوات عموما) واللغوي أو الذاتي أو الوظيفي (الذي يدرك الفرق –مثلا– من حيث الكمية بين الصوت الصائت الوارد بعد القاف في الآتي: <<حق. قالَ. قالْ >> وبعد السين في <<رسُل. رسولُ الله. سؤ>>، وبعد العين في <<سعِد. سعيدٌ. سعيدْ>>.

من أهم ما يمثل الدور الرئيسي فى هندسة التأليف أو الاختلاق الصوتى: الكمية المقطعية التى يتم فيها الاهتمام بدراسة الطول النسبي للمقطع الصوتي بأنواعه، فرغم ما يراه ديفيد إبركرومبي أن دراسة هذا النوع من الكمية ليست له علاقة بالتصنيف الصوتي، ولكنه يعترف بأهميته المتجلية في الدراسة الفونولوجية

لتركيب المقطع حيث يرى أنه ليس لطول المقطع من وجهة نظر التصنيف الصوتي العام أية علاقة بالموضوع، ولكن قد تكون له لأهمية فونولوجية من وجهة نظر تركيب المقطع.

أرى المكتبة العربية تخلو (أو تكاد) من الدراسات العلمية للكمية المقطعية قام بها الأصواتيون العرب، فى حين بعض الدراسات حول هذا الموضوع تبين العلاقة بين أطوال القطوع في المقطع في اللغات الأخرى ومنها الإنجليزية على سبيل المثال، حيث أوضحت هذه الدراسات مثلا أن أحاديات المقاطع أيا كان نوعها تكون بنفس الطول في الظروف المتشابهة، وأن هناك تنوعا في الطريقة التي يتكون بها.

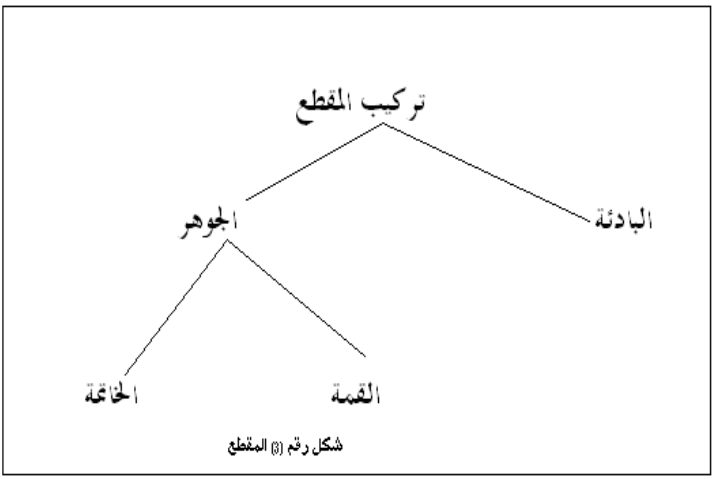

شكل رقم (3) المقطع

3. توليد (تخليق/ تلفيق) الأصوات

أ. خطة عمل

يحق لي أن لا أشك أن توليد الأصوات أو تخليقها الآلي (أو نصف الآلي) فتح لنا بابا قلما يطرق من قبل، و من شأنه أن يؤدي إلى قلب الكثير من

الحقائق التي تم التوصل إليها على مدي السنين الماضية في كافة مستويات علم الأصوات بفروعه إن لم يكن في علم اللغة بصورة عامة.

كشفت لنا دراساتنا الصوتية في المختبر الواهبة جلها لمعرفة تأثير الصوائت على الصوامت والعكس في اللغة العربية، وذلك بالنظر إلى نوع الصائت الموجود قبل وبعد الصامت أيهما كان المؤثر، أن الكمية الزمنية والمقطعية للوحدات الصوتية تفتح أبوابا من هندسة (سحر؟) الأصوات التي تحل مشاكل و تخلق أخرى في ساحات عديدة، إذ خلقنا – في خطوات منهجية– أصواتا من صائت أو صامت قاله شخص، أي الصوت المولد لم يقله أصلا المتكلم، وإن كان بصوته، وكان توليدا (اختلاقا) من صوت آخر قاله في سياق سابق، ربما في لغة لا يعرفها أصلا، فهل يعقل أن شيكسبير _ غير لارنس آف أريبيا!_ يلقى كلمة باللغة العربية عن يعرب وقحطان وحى بن يقظان! أو إبن عز ريت البار يدخل في الحوار مع براهمة الهند في مواضيع النروانا والجنة والنار!

ب. خطوات

الخطوات التي اتبعتها لدراسة الصوت وتوليد الصوامت والصوائت تتمثل في التالي:

1 _ تسجيل صوت ما بعدد أوضاع الصوامت ، وحيث أن هذه الأوضاع كثيرة تتجاوز المئة ، فإني رأيت الاكتفاء ببعض الأوضاع، وقد وجدت بالاستقراء أن ما توصلت إليه ينطبق على سائر الأوضاع، وكمثال لما أقوم به الصوت السين أسجل الكلمات التي يرد فيها وقد سبق بحركة، أعني السين مسبوقا بالفتحة متلوا بها ، ثم بالضمة ثم بالكسرة ثم بالسكون ثم بالألف ثم بالواو ثم بالياء ثم بالإلف الطويلة ثم بالواو الطويلة ثم بالياء الطويلة فيكون للسين عشرة أوضاع مع الفتحة ومثلها مع الضمة ومثلها مع الكسرة ومثلها مع الألف ومثلها مع الواو ومثلها مع الياء، ومثلها مع الألف الطويلة ثم مع الواو الطويلة ثم مع الياء

الطويلة، وليس من اليسير – فعلا– تتبع كافة هذه الأوضاع لكثرتها على مستوى الصوت الواحد ثم على مستوى مجموع الأصوات.

2 ـ تحديد الكمية الزمنية لإنتاج الصوت، و تسمى الزمن الذي استغرقه الصوت بعمود الزمن، وحصره بين نقطتين، نقطة الصفر: نقطة بداية إنتاج الصوت، وأضع لها علامة (أ) وأضع لآخر نقطة في سلم عمود الزمن علامة بحسب تسلسل عدد النقاط المثبتة على عمود الزمن.

3 ـ تتبع إنتاج الصوت في عمود الزمن الخاص به من نقطة الصفر مرحلة مرحلة حتى نهايته مع بقية الزمن وسائر الأصوات التي تليه ، كل ذلك والصوت في صورته الطبيعية، مع تسجيل ما أتحصل عليه من أصوات مولدة، وتدوين الملحوظات.

4 ـ قلب الكلمة فيصبح الأول آخرا والأخير أولا، ثم أتبع نفس خطوات النقطة السابقة.

5 ـ إجرآء برمجية محوسبة من خلال الرسم الطيفي وسواه لمعرفة الكمية.[1]

4. هيكل الإجرآات التطبيقية المحوسبة

فيما يلى الخطوات الأساسية التي استوجبت البرمجية اتخاذها لاستكناه فيزياء الصوت:

الصوت Sound

1. زمن البداية Starting time :
2. زمن النهاية
3. عدد العينات **Number of samples** :
4. فترة العينة **Sample periods** :

[1] للرسم الطيفي أنظر: آرنست بولجرام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب – القاهرة ، الطبعة الثانية 2002.

5. معدل العينة **sample rate**) :
6. العينة الأولى عند **First sample at** :

سعة الصوت Amplitude :

1. نهاية صغرى **Minimum** :
2. نهاية كبرى **Maximum** :
3. المتوسط **Mean** :
4. الجدر التربيعي للمتوسط Root جذر mean- متوسط square-

مربع :

5. كامل الطاقة Total energy :
6. الطاقة في الهواء energy in air :
7. قدرة المتوسط Mean power
8. الشدة في الهواء (intensity) in air :
9. الانحراف المعياري Standard deviation :

تساؤل Query :

1 – زمن البداية Get starting time :
2 – زمن النهاية Get finishing time :
3 – زمن الصوت Get duration
4 – عدد العينات Get number of samples :
5 – دورة(فترة تذبذب) العينة Get sample period :
6 – معدل أو نسبة العينة Get sample rate :
7 – زمن الصوت من الدليل..Get time from index :
8 – الدليل من الزمن Get index from time :----------
9 – القيمة عند الزمن Get value at time —undefined--
10 – الأرقام القياسية للقيمة Get value at index:----------

11 – نهاية صغرى Get minimum :

12 – زمن النهاية الصغرى Get time of minimum :

13 – نهاية كبرى Get maximum… :

14 – زمن النهاية الكبرى.Get time of maximum :

15 – النهاية القصوى المطلقة :.Get absolute extremum

16 – undefined-- :.. Get nearest zero crossing --------

17 – المتوسط Get mean

18 – الجذر التربيعي للمتوسط Get root-mean-square :

19 – انحراف معياري Get standard deviation :----------

20 – طاقة الصوت..Get energy :

21 – القدرة Get power : ----------

22 – طاقة الصوت في الهواء Get energy in air:

23 – قدرة الصوت في الهواء power in air :

24 – شدة الصوت Get intensity (Db) :

ج. تجريب

لقد قمنا بإجراء عدة تجارب على مفردات في العربية، وكان التركيز في كل مرة على صوت محدد، ولقد تحصلت للآن في تجارب نا على ما مجموعه أربعة عشر صوتا منها ما هو صامت ومنها ما هو صائت ، جميعها أصوات مولدة ، هي أصوات تحمل خصائص صوتية لشخص ما ولكنه لم يقلها.

وكنا قد أخذنا حذرنا ونحن نجري التجارب ألا يكون قبل أو بعد الصوت المولد نظيره في الكلمة، حتى لا يقال أن المولد من باب التأثير السمعي للأصوات.

ونؤكد أن التجارب التي أجريناها للحصول على هذه الأصوات المولدة كانت كثيرة، ولم نلتزم فيها بمتكلم أو مقرئ أو مطرب واحد، وإنما كانوا متعددين،

رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ، وفي بيئات متعددة، كما أنهم كانوا من جنسيات متعددة شملت ست عشرة جنسية منها الهند.

وفي ما يلي أقدِّم نموذجين للتجارب التي أجر يناها على السين في كلمة سواء ، والشين في غشاوة :

أولا سواء : في واقع الأمر إن الذي أجريناه على سواء كان عدة تجارب لتحقيق عدة أهداف ، وما يهمنا بشأن الموضوع الذي نحن بصدده هو أ ننا قمنا بتحديد الزمن الذي استغرقه إنتاج الصوت السين، ثم تتبع نا زمن إنتاج السين من نقطة البداية وحتى آخر نقطة في عمود الزمن الخاص بها، وكن ا ندون الملحوظات التي نحصل عليها كتغير في طبيعة الصوت، أو الحصول على صوت جديد (مخلوق) وقد وقفنا بشأنها على الآتي:

كان حجم السين (102)، وبدءً من النقطة الأولى كانت السين تسمع بوضوح مع بقية أصوات الكلمة ،وبدءً من الزمن (27) من سلم إنتاجها صارت الكلمة تسمع على النحو التالي (إِسْواء) أي بإضافة كسرة . همزة وصل مكسورة . وتاء ساكنة ، واستمر الأمر كذلك حتى الزمن (73) حيث صارت الكلمة تسمع: (تَواءٌ) حيث تولدت من السين تاءً، واستمر الأمر على ذلك حتى آخر السلم الزمني للسين. الملاحظ مما سبق ذكره أن السين في الجزء الأول منها وحتى الآخر، وعند أية نقطة زمنية تسمع سينا.

وعند الشروع في المرحلة الثانية من زمن أدائها يضاف إليها صوتا الكسرة أو ما يسمى بهمزة الوصل المكسورة قبل الوقوف على حقيقة همزات الوصل عموما والتاء ويستمر سماعهما مع السين كامل زمن الجزء الثاني والممتد إلى الزمن (73) من السلم الزمني للصوت السين.

ثانيا غشاوة : _ كما في سواء مرت التجربة هنا بعدة مراحل، وما يهمنا بشأن موضوعنا هو قيامي بتحديد الزمن الذي استغرقه إنتاج الشين أولا، ثم أني

تتبعت زمن إنتاج الشين من نقطة الصفر وحتى آخر نقطة، وقد وقفت بشأنها على الآتي :

كان حجم الشين (101) ، ولوحظ أن الشين تظل واضحة عند أية نقطة في عمود زمن الشين حتى نصل إلى الزمن (28) وعندها ينضاف إليها صوتا الكسرة والتاء الساكنة حيث يسمع (اتشاوه) بدلا من (شاوه) ويستمرا لفترة زمنية تشكل أكثر من ثلث الفترة الزمنية لأداء صوت الشين تقريبا وذلك حتى النقطة (70) من عمود إنتاجها، وعندها تظهر الكاف ويكون المسموع (كاوه) ويستمر سماعها بوضوح حتى النقطة (78) من العمود الزمني للشين. وبدءً من هذا الزمن تظهر (التاء)، ويستمر سماعها بوضوح حتى آخر زمن أداء الشين، وخلاصة القول أن صوت الشين كان على النحو التالي:

- – كامل الزمن { ش }.
- – من أول زمنها وحتى (27) وعند أية نقطة قبل الزمن المشار إليه وحتى الآخر { ش }.
- – مرورا بأية نقطة من (28) إلى (69) مع الزمن الباقي: {اِتْش}.
- – مرورا بأية نقطة من (70) إلى (77) مع الزمن الباقي: { ك }.
- – من (78) وحتى الآخر { ت }.

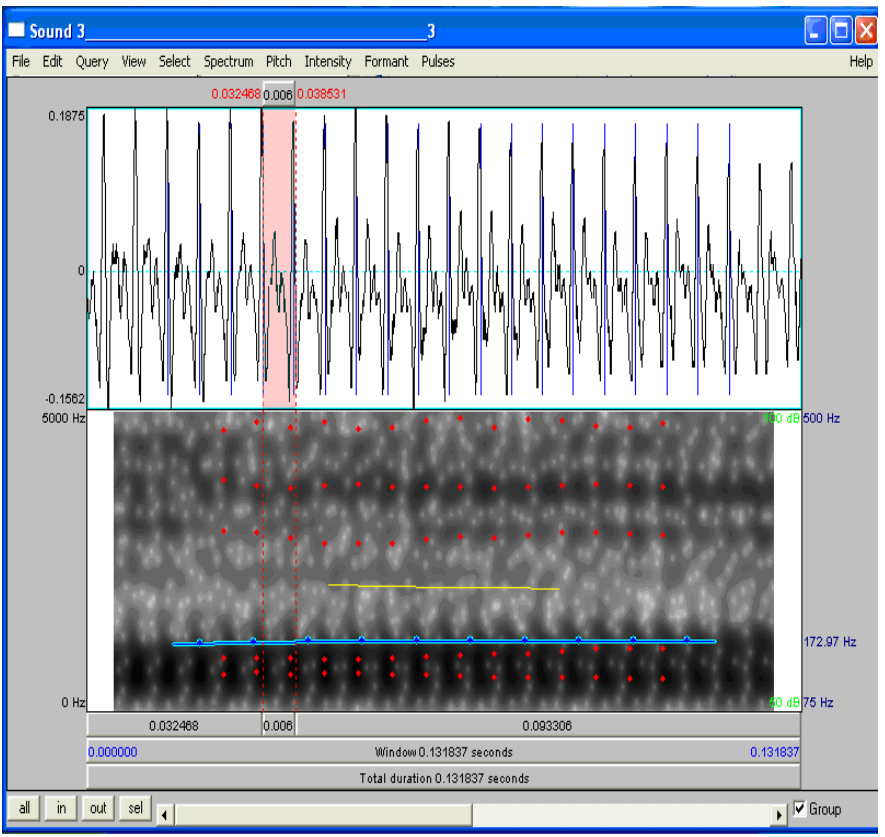

شكل رقم (4) الحساب الموجي للكلمات

للوقوف على مصداقية ما توصلت إليه بشأن السين والشين، وحتى رتمكن من وضع قاعدة لذلك، وأن ذلك ظاهرة عامة ، قم نا بفصل الكلمتين محل التجربة من تسجيل للمقرئين : عبد الباسط عبد الصمد، ومحمد خليل الحصري، والشيخ أحمد العجمي، والمقرئ عمرو مسعود عبازه، وأسماء الرداد، وفاطمة أحمد عثماني، وأنيسة أحمد العزابي وغيرهم، وكانوا من بلدان وجنسيات مختلفة ممن يتخذ العربية لغة رسمية، أو ثانوية، وكان الأمر عند الجميع على السواء. وفي مرحلة ثانية تتبعنا كافة أوضاعهما من حيث نوع الحركة التي قبلهما والتي بعدهما

في كلمات أخرى وكانت النتائج هي هي مع فارق الزمن الذي يبدأ فيها تولد الصوت الجديد، لعدم اتحاد الجميع في الكمية. وفيما يلي كشف بالكلمات التي كانت محل التجربة لتعزيز ما توصلنا إليه بشأن السين والشين:

م	الكلمة	الصَّوت	ما قبل الصَّامت وما بعده من الصَّوائت رمزاً
1	سالم	س	{[س + ا] = [ص + ح2]}
2	استعداد	س	{[ِ + س + ا] = [ح + ص+ ص]}
3	سلاسل	س	{[س+َ]=[ص +ح]}([ا+س+تِ]=[ح2+ص+ِ])
4	سميَّه	س	{[س + ُ] = [ص + ح]}
5	أُسد	س	{[ُ + س + ُ] = [ح + ص + ح]}
6	ليس	س	{[ِ + س + َ] = [صم + ص+ح]}
7	وَسِيقَ	س	{[َ + س +ح2] = [صم + ص +ح2]}
8	قساوة	س	{[َ + س + ا] = [ح + ص + ح2]}
9	مشكاة	ش	{[ِ + ش] = [ح + ص + ص]}
10	النشور	ش	{[ُ + ش + و] = [ُ + ص + ح2]}
11	شَرفٌ	ش	{[ش+ َ] = [ص + ح]}
12	يشْفينِ	ش	{[َ + ش] = [صم + ص + ص]}
13	اشُدَّه	ش	{[َ + ش+ ُ] = [ح + ص+ح]}
14	شيعته	ش	{[ش + ي] = [ص + ح2]}
15	يشاء	ش	{[َ + ش + ا] = [صم + ص + ح2]}
16	تشْهد	ش	{[َ + ش] = [ح + ص]}

تعرف المستمعون على الأصوات المتولدة من السين والشين، وكذلك الملفات الصوتية الآتية: (اِتْسواءٌ)، و(تواء)، و(اِتْشاوه)، و(كاوه) و(تاوه).

حيث أن الجميع تعرفوا على أصوات كل مركب، وقاموا بنطق المسموع، وكذلك كتابته.

وفيما يلي قائمة بالأصوات المولدة التي تمكنت من توليدها في جدول مع الصوت الأصلي الذي تم توليد أو تخليق الصوت منه:

م	الصوت المولد	الصوت المولد منه	م	الصوت المولد	الصوت المولد منه
1	الباء	ل ومنها : ن + م	2	التاء	س + ف + ش + خ
3	الراء	س + غ	4	الطاء	ص
5	الغين	هـ	6	الفاء	خ
7	القاف	خ	8	الكاف	س
9	اللام	ن + م	10	الميم	ب
11	النون	هـ	12	الهاء	ب
13	الياء	ج + ك +خ + ش	14	الفتحة	ل

جدول رقم (4)

6. موقف الدراسة من التسجيلات الصوتية

من المتحقق سمعا عاديا أن لكل إنسان بصمته الصوتية الخاصة به، وكشفت الدراسات الصوتية مع تقدمها أنهـ لا يمكن أن يلتقي صوت لإنسان مع صوت لإنسان آخر في خصائصه الصوتية التي تميز صاحبها عن غيره، وبذلك

نتمكن من التعرف على أصحابها بمجرد سماع أصواتهم حتى من غير رؤيتهم، كما في سماعنا لأصواتهم في الهواتف، والمذياع، والمرئية، والملفات الصوتية أو أشرطة التسجيل، وتسمى هذه الخصائص التي تمكننا من التعرف على الأشخاص بمجرد سماع أصواتهم بالخصائص الإشارية[1] على مستوى الفرد.

ونتيجة لذلك نادى الكثيرون على المستوى العالمي كافة بجعل التسجيلات الصوتية إحدى الأدلة التي يعتمد عليها في التحقيقات الأمنية، وفي القضاء، ويرون أن الصوت أحد الوثائق التي يعتمد عليها في مجال إدانة أو تبرئة شخص ما، ونحو ذلك، والأمثلة كثيرة على المستوى الفردي والإقليمي والدولي.

ولكن من خلال الدراسات التي أجريناها ظهرت حقيقة ثابتة غير قابلة للشك، غير قابلة للنقاش وهي: أن التسجيلات الصوتية لا يمكن أن تكون من الأدلة التي يعتمد عليها في التحقيقات الجنائية والقضائية وما في حكمها، وأؤكد على أن لا تكون دليلا يعتمد عليه ولو بشكل ثانوي، وبخاصة بعد أن توفرت الكثير من البرامج العلمية التي تستخدم في الحاسب الآلي في مجال التسجيل، وإضافة المؤثرات الصوتية وتغيير تردده، وشدته ودرجته، وقراءة النص معكوسا، وفصل الكلمات، وفصل الأصوات عن بعضها ، فركبنا تراكيب من تركيب كلمات لم يقلها أصحابها قط ومنها جملا لم يقلها صاحب الصوت معبرة عن مفاهيم لم يفكر فيها صاحب الصوت، وعند مواجهة أصحابها بها وفوجئوا بها أصابهم شئ من الذهول، والحيرة، الصوت صوتهم رغم يقينهم أنهم لم يقولوا النص، لم يفهموا كيف حدث هذا!

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

[1] الإشارات الفطرية لدى ديفيد ابركرومبى ، فى مبادئ علم الأصوات العام ، ترجمة وتعليق : محمد فتيح ، ط1، القاهرة 1988، ص : 17.

وزيادة في التأكد قم نا بإسماع المفردات محل الاختبار أو النص على مجموعة من المستمعين، وكانوا يعرفون أصحابها، فكان أن تعرف الجميع على أصحابها.

صاحب الصوت يتعرف على صوته ويقر أن الصوت صوته، والآخرون يتعرفون على صاحبه.

7. النتائج و التوصيات

كشفت هذه الدراسة والتجريب عن طوبولوجية التأليف الصوتي في أي لغة (واللغة العربية في هذا البحث بالضبط)، كما برهنت فاعلية الفونيمات والصوائت والصوامت والمزدوج الصائتي فى نوع فتى من هندسة الصوت التى تؤلد صوتا من صوت آخر وصوتا من الصوت المولد، وهكذا دواليك، ويمكن الإستفادة من تخليق الأصوات فى العديد من المجالات العلمية والتطبيقية، فى ضوء ما أمدتنا به دراستنا للصوت العربي من المنحى الأكوستيكي فى الوصول إلى نتائج هامة، منها:

1. تفهم ظاهرة المشاركات اللغوية بين اللغات السامية (العبرية، السريانية، العبرية)
2. تفهم ظاهرة الإئتلاف والاختلاف اللغوي: كيف تتحول العين إلى الغين لدى مسلمي روسيا (البشكر والبلغار)، والخاء إلى الهاء لدى الأتراك.
3. التأليف الصوتي عبر التقطيع الأكوستيكي: تأليف أصوات بلغة خاصة من مادة صوتية من لغة أخرى.
4. معرفة ما يؤدى إليه التأليف الصوتي فى مجموعة من النظم الفنية والعلمية والطبية مثل:
   1. حوسبة فيزياء الكلمات
   2. حوسبة المعجمية
   3. هندسة الصوت

4. الترجمة الآلية الفورية

5. علاج بعض حالات عيوب النطق والصمم: إيجاد حل لمن يصعب عليه نطق بعض الأصوات من خلال إيجاد تقنيات معينة تستقبل الصوت ثم تعيد ترشيحه وإرسال الصوت المطلوب بصوت المتكلم.

6. تعليم العربية لغير الناطقين بها، من بين الأخرى.

ومن أهم التوصيات ما يلي:

1. الدراسة تلغي شرعية الاعتماد على التسجيلات الصوتية كدليل أو أحد الأدلة التي تدين الأفراد ، ومن يضمن نزاهة الجميع؟ وبالتالي ضرورة سد الطريق أمام من يتسول له نفسه السعي لئلا تترجح كفة العدالة ، كما تدعو الأفراد والجهات العالمية للإطلاع على الموضوع، وتتبع الانتهاكات التي قد تكون وقعت أو تقع مستقبلا.

2. نؤكد ضرورة الاهتمام بمثل هذه الدراسات ومواصلة التجريب فى اللغات واللهجات فى المعاهد و المؤسسات العلمية فى جامعات العالم العربي، وتوفير البنية الفوقية والتحتية فيها.

8. كشف البرامج الحاسوبية المستخدمة

اعتمدنا في دراسة الأصوات، سواء في التسجيل، أو فصل الأصوات عن بعضها، وفي حساب الكمية الزمنية، وفي تحديد الشكل الموجي والطيفي للصوت على برامج إلكترونية منها:

1. Cool Edit 200.
2. Creative sound Blaster audio PCI 64V
3. Gold Wave.
4. MAIN ACTOR FOR WINDOWS V3.6-VIDEO EDITOR
5. MICRO SOFT POWER POINT.
6. V C D Cutter.

7. PRAAT، Version 4.1.28.
8. SFS Win Version 1.28.
9. SFS/E Win Version 1.24.
10. E System Version 1.03.

8. قائمة المصادر والمراجع

ا. العربية:

1. أبو الفتح عثمان بن جني (322 هـ/ 392 هـ) : كتاب الخصائص، عالم الكتب، 2006.

2. سر صناعة الإعراب، المكتبة التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع، 2007.

3. أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (370هـ980م/427 هـ /1037م.): ***أسباب حدوث الحروف،*** تصحيح: محب الدين الخطيب التصنيف: طبعه مطبعة المؤيد– مصر سنه 1915م–1332هـ

4. آرنست بولجرام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب – القاهرة ، الطبعة الثانية 2002.

5. بيتر لاديفوجد : مبادئ علم أصوات الكلام الأكوستيكي، ترجمة : جلال شمس الدين، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر، 1994.

6. الكنتوري ، السيد كرامت حسين: فقه اللسان ، المقدمة (لكهنؤ: مطبعة منشى نول كشور، 1915م)

7. لويس جان كالفي : حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د. حسن حمزة ، المنظمة العربية ***للترجمة*** – لبنان ، 2008.

8. محمد فتيح (ترجمة و تعليق): الإشارات الفطرية لدى ديفيد ابركرومبى، فى مبادئ علم الأصوات العام ،ط1، القاهرة 1988.

9. مصطفى صلاح قطب: الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام، دار الصحوة،2009.

ب. الغربية

10. Berns، M.، & Matsuda، P. K.، "Applied linguistics: Overview and history". In K. Brown (Ed.)، *The Encyclopedia of language and linguistics* (2nd ed، Oxford، 2006.

11. Colombat، B J. Fournier، and C. Puech، *Histoire des idées sur le langage et les langues* (Paris: Klincksieck، 2010)

12. Davies، A. & Elder، C. (eds.) *Handbook of Applied Linguistics*، Oxford/Malden، MA: Blackwell; Hall، 2004

13. Elsevier; Cook، G.، "Applied Linguistics" in the series *Oxford Introduction to Language Study*، Oxford: Oxford University Press، 2003

14. Ethnologue: Languages of the World، Fifteenth edition، ISBN 1 55671 159X

15. Harris، Z. S. *A theory of Language and Information: A Mathematical Approach*، (New York: Oxford University Press، 1991)

16. Jeffrey Bell، F. (tr)، A.H. Garrod (ed)، *Johannes Müller on certain variations in the vocal organs of the Passeres that have hitherto escaped notice*، Oxford، Clarendon Press،1878

17. Johnson، Keith & Johnson، *Helen Encyclopedic Dictionary of Applied Linguistics*، Oxford/Malden، 1999

18. Manning، C. D. and H. Schütze، *Foundations of Statistical Natural Language Processing*، MIT Press، 2002

19. McCarthy، *Michael Issues in Applied Linguistics*، Cambridge University Press، 2001. Pennycook، Alastair Critical *Applied Linguistics: A Critical Introduction*، London: Lawrence Erlbaum Associates، 2001

20. Paul Bloom، *The Power of Babel: A Natural History of Language* (Times Books، 2001)

21. Plotkin، J. B. and M. A. Nowak، "Language evolution and information theory،" in *Journal of Theoretical Biology*، vol. 205، iss. 1.

22. Schmitt، Norbert، *An Introduction to Applied Linguistics*، London: Arnold، 2002.

23. Smith، C. J.، P. H. & Wicaksono، R.، *Mapping Applied Linguistics. A Guide for Students and Practitioners*. London: Routledge، 2011

24. Titze، I. R، *The human instrument*. Sci.Am. 298 (1):94-101. PM 18225701 (2008)

25. Titze، I.R. *Principles of Voice Production*، Prentice Hall (1994)، ISBN 978-0137178933.

التعدد اللساني في اسبانيا بين الصراع الأيديولوجي وحتمية التعايش

أمينة بوكيل – جامعة قسنطينة

المقدم.ة:

يطرح التعدد اللساني في العالم العديد من الإشكاليات التي تتصل بطبيعة العلاقة بين اللغات المختلفة ووظيفتها في المجتمع الواحد، وحقيقة قائمة في العديد من دول العالم والتعايش بين اللغات المختلفة لا يتحقق إلا وفق درجة القابلية للتعاون بين المجموعات البشرية المختلفة وفق سياسة لغوية محكمة التخطيط وواضحة المعالم، وبالتالي "لا تشكل اللغات بحد ذاتها مصدر النزاع إلا عندما

يحولها الناس إلى وسيلة لرفض التعاون المتبادل ولا تتحول اللغات في منطقة ما إلى مصدر للنزاع إلا على يد الناطقين بها، وما دام التواصل بين الناس ذوي اللغات والثقافات المتعددة يقوم على الاستعداد للتعاون فإن اللغات المعنية سرعان ما تجد لنفسها قنوات للتجانس الوظيفي، إن تعدد اللغات في منطقة ما يصبح قادرا على أداء وظيفته شريطة التعامل العقلاني مع هذه اللغات من قبل الناطقين بها."[1].

لكن حين ينعدم هذا الوعي وتتحول اللغة إلى وسيلة فرض سياسة ما ومصدر نزاع وتوتر بين ما هو منتشر وما هو منحصر،بين ما هو ملك للأغلبية وبين ما هو ملك للأقلية،وعادة ما ينتج هذا التوتر عن تقييمات فردية ذاتية لحالة من حالات الاتصال اللغوي ،علما أن هذه التقييمات تتحكم فيها ظروف سياسية واجتماعية،ولا تتحول هذه الوضعية إلى حالة تنازع وتناحر إلا حينما تقوم لغة الأغلبية بممارسة ضغوط سياسية وثقافية على لغات أخرى مما قد يؤدي إلى إصابة هذه اللغات بنوع من التآكل الثقافي واللساني وفي حالت أخرى إلى انحلال هذه اللغات في خضم التفاعل مع اللغة المهيمنة[2].

وبالتالي قد تواجه الدول المتعدد لسانيا تحديات كثيرة وتهديدات مختلفة،وتكمن الإشكالية في إيجاد أنجع الوسائل للتعامل الديمقراطي مع التنوع الداخلي وسبل ضمان الاستمرارية في الاستفادة من هذا التنوع واستثمار معطياته.

وقد عالجت اللسانيات الاجتماعية هذه الظاهرة محددة مفهومها بأنه عبارة عن استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية واحدة في سياق تواصلي[3].

---

[1] هارلدهارمان: تاريخ اللغات ومستقبلها،ترجمة:سامي شمعون،ط1،المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2006م، ص49

[2] المرجع نفسه،ص327.

[3] Jean Dubois et d'autres : Dictionnaire linguistique, Larousse, Paris,2002,p368.

ولا يمكن أن نستثني "اسبانيا" عن هذه الدول التي تعرف هذا الواقع اللساني المتعدد، وبالتالي فإن التعدد اللساني هو جزء من الواقع اليومي للمواطن الاسباني من خلاله تتجلى الهوية الاسبانية عبر التاريخ.

وتضافرت عدة تاريخية وجغرافية في جعل الخريطة اللسانية الاسبانية متعددة العناصر ومتنوعة التضاريس، فما هي ملامح السياسة اللغوية في تسيير التعدد اللساني في اسبانيا؟ هل هناك صراع لساني حقيقي كيف تجلى ذلك في الأدب الاسباني؟

1/الوضعية اللغوية في اسبانيا بين ارث الماضي وأسئلة الحاضر:

كرست العوامل الجغرافية والتاريخية التعدد اللساني في اسبانيا،فمن ناحية الجغرافيا أسهمت كبر المساحة (تعد اسبانيا الدولة الثانية من ناحية المساحة بعد فرنسا في الاتحاد الأوروبي حيث تقدر مساحتها ب . 504030 كلم²) هذا ما جعلها منطقة جذب لهجرات مختلفة عبر التاريخ، وكانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية في فترة الاحتلال الرماني فهي لغة البلاط والقانون والكتابة منذ سنة 281 م واستمر هذا الحال حتى مع مجيء القوطيين [1] في القرن الخامس ميلادي[2].

ومع فتح الأندلس تغيرت الخريطة اللسانية في اسبانيا مع انتشار اللغة العربية في جنوب اسبانيا، واحتكاك بالثقافة العربية التي تركت آثرها في اسبانيا على مدى عصور، فعلى المستوى اللساني دخلت إلى اللغة الاسبانية فيما بعد العديد من المفردات التي لم تكن موجودة من قبل وأغلب هذه الكلمات تبتدئ ب " al " مثل (Albañil –alberca –alcista –aldea..) وهناك أكثر من 4000 كلمة في القاموس الاسبانية من أصل عربي[3].

---

[1] القوطيون هم مجموعة من الأقوام من أصل جرماني اعتنقوا المسيحية، هاجروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية

[2] David Pharies: Breve Historia de la lengua Española, University Chicago Press, 2007, p37.

[3] Julio Gabo Pérez: Contacto intralingüístico e intercultural en el mundo, Universidad de Valéncia, 2001, p33.

ولم يتوقف تأثير الثقافة العربية مع سقوط الأندلس بل استمر في الأدب الاسباني الوسيط من خلال الشعر الغنائي والملحمي وأدب الرحلة، واستمر الحضور العربي اللساني في القرن التاسع عشر مع الاحتلال الاسباني لجزء من المغرب من جهة ومع المهاجرين العرب في اسبانيا من جهة أخرى.

أما اللغة الاسبانية فقد ازدهرت في الشمال في مملكة "قشتالة "وانتشرت بعد سقوط الأندلس خاصة في عهد "أفلنسو" بعد القرن الثالث وحتى القرن الخامس العشر،وأصبحت اللغة القشتالية (الاسبانية) اللغة الرسمية ولغة إبداع وشعر غنائي وملحمي [1]، وانتشرت هذه اللغة في العالم الجديد تحت تشجيع الكنيسة الكاثوليكية من خلال تعليم "الأهالي" اللغة الاسبانية لاسيما في عهد الملك كارلوس الثالث.

وفي بداية القرن العشرين في فترة الجمهورية الثالثة (1931-1936) ازدهرت قضية التعدد اللساني وعادت إلى الساحة من خلال اعتراف الحكومة باللغات الأخرى (الكتالانية -الباسكية -الجلقية) وأصبحت لغات تستخدم في الإدارة والتعليم والثقافة وحققت الحكومة تعايش لغوي وانسجام اجتماعي.

إلا أن هذا الوضع لم يدم بعد اندلاع الحرب الأهلية (1936-1939) في فترة الديكتاتور "فرانكو" حيث كانت سياسته تسعى لتوحيد اسبانيا من خلال لغة واحدة ومنع أي مظهر من مظاهر التعدد اللساني حيث اضطهد الأقليات اضطهادا عسكريا وسياسيا واقتصاديا[2]، وقد وصل الصراع اللغوي أوجه في هذه الفترة حيث فرضت اللغة الاسبانية في كل المجالات مما عمق مشاعر الرفض والاستنكار عند الأقليات التي بدورها قادت مقاومة شرسة ضد سياسته وبرز كتاب باللغات الأخرى المضطهدة معبرين عن قضيتهم ومطالبين بحقهم باستخدامها، وقد حاول فيما بعد دستور 1978 بإعادة التعايش اللغوي الذي كان من قبل.

---

[1] المرجع نفسه،ص42

[2] المرجع نفسه،ص42

وأفرزت هذه الفترات التاريخية خريطة لسانية متعددة العناصر:

1-**اللغة الاسبانية:** برزت في القرن العاشر وانتشرت بعد سقوط الأندلس، وهي اللغة الرسمية في اسبانيا ولغ أكثر من ثلاثمائة مليون نسمة في أمريكا الجنوبية وفي آسيا، وتحتوي الاسبانية على مجموعة لهجات متنوعة تختلف من الناحية الصوتية من منطقة إلى أخرى، وقد نجحت آداب اللغة الاسبانية في تحقيق مكانة هامة بين الآداب العالمية حيث حصدت الكثير من الجوائز العالمية وترجمت إلى عشرات اللغات نذكر منهم: -Gabriel Garcia Marquez... Octavio Paz-Pablo Neruda-Jorge Borges

2-**اللغة الكتالنية:** اشتقت هذه اللغة من اللغة اللاتينية في شمال شبه الجزيرة الإبيرية، هناك حوالي 7 ملايين يتحدثونها في اسبانيا، منتشرة في مقاطعة "كتالونيا"(Catuluña) وبدرجة أقل في "فالي دي أران" (El Valle de Arán) وفي "أراجون" (Aragón)، يرجع تاريخ هذه اللغة إلى القرن الخامس ميلادي وقد أصبحت لغة رسمية لهذه المقاطعات بدأً من القرن الخامس عشر، منعت في فترة "فرانكو" لتصبح الآن لغة تستخدم في الإدارة والإعلام والتعليم.

3-**اللغة الجلقية:** هي عبارة عن تطور لهجة لاتينية في الشمال الغربي من اسبانيا ،لها علاقة وطيدة باللغة البرتغالية، يتحدث بها حوالي خمسة ملايين نسمة ،تتوزع في عدة مناطق منها "أوْستوريا" (Austria) في "ليون"(León) وفي بعض مناطق أمريكا الجنوبية.

4-**اللغة الباسكية:** يختلف مؤرخي اللغات في اسبانيا في أصولها اللغوية الغامضة ويرجحون أن موطنها الأصلي هو مقاطعة "نفارا" (Navarra)، ويعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، وأنشئ في العصر الحديث أكاديمية خاصة بهذه اللغة من أجل حمايتها وترقيتها لتتحول من طابعها الشفوي إلى لغة كتابية ووسيلة

للتواصل وهي لغة رسمية في بلاد الباسك ويمثل سكانها 2٪ من مجموع سكان اسبانيا.

2/ملامح السياسة اللغوية في تسيير التعدد اللساني باسبانيا:

تحافظ السياسة اللغوية على انسجام المجتمع في حالة التعدد اللساني والتي تمثل "المواقف الرسمية التي تتخذها الحكومات اتجاه استعمال اللغو ورعايتها، سواء كانت هذه المواقف مدعومة بالفعل كإقرار القوانين أو تمويل البرامج، أو كانت مدعومة بالخطب والقرارات المنمقة على الورق"[1].

إذن السياسة اللغوية هي عبارة عن التعامل الرسمي للأجهزة الحكومية مع اللغة أو اللغات المستعملة داخل كيان سياسي معين، وحسب "دينس أجير" فإن هناك نوعين من السياسة اللغوية:

1- وهو النوع الذي يركز في تصوره وأهدافه على ضرورة الوحدة الوطنية والوفاق الاجتماعي، ولأجل تحقيق هذا يتم التركيز على لغة واحدة فقط لتصبح هي اللغة الوحيدة الرسمية وحتى وان كان هناك لغات أخرى فإنها تبقى على هامش التداول، وتقوم هذه السياسة على قيم وطنية ومثالية في سبيل الحفاظ على وحدة الأمة وانسجام المجتمع، ولكي تتحقق هذه القيم لا بد من قهر اللغات الأخرى وتهميشها.

2- أما النوع الثاني فانه ينطلق من تصور لمفهوم الوفاق الاجتماعي حيث أن قوة أي مجتمع تكون في تنوعه اللغوي والثقافي وبالتالي لابد تحقيق توازن لغوي يحفظ حقوق كل اللغات الموجودة في المجتمع، إلا أن مثل هذا النوع عادة ما يلقي نظري خاصة في حالة وجود تنافس لغوي في المجتمع[2].

---

[1] Suzettte Haden Elgin: The language imperative, Perseurs Publishing, Cambridge, 2000, p177.

[2] Denis Ager: Motivation in language planning and language policy, Multilingual Matters Ltd, 2001, p177.

وفي اسبانيا حدد الدستور الاسباني سنة 1978 ملامح سياسته اللغوية بما يلي:

1- اللغة الاسبانية هي اللغة الرسمية لاسبانيا وواجب على كل اسباني معرفتها ومن حقه استخدامها.

2- هناك لغات رسمية أخرى في حدود مناطق الحكم الذاتي.

3- لا بد من الحفاظ على التنوع اللساني في اسبانيا الذي هو ثراء ثقافي يستحق التقدير والحماية[1].

من خلال هذه النقاط الثلاث نلاحظ أن السياسة اللغوية الاسبانية تتجه نحو اتجاهين رئيسين:

1/يتمثل الاتجاه الأول في تأكيد على الطابع الرسمي للغة الاسبانية ووظيفتها الأساسية في التواصل في كل المجالات الخاصة والعامة،في الإعلام والبرلمان لأنها هي اللغة الجامعة التي تحافظ على انسجام المجتمع وحدة الأمة[2].

2/أما الاتجاه الثاني هو الاعتراف بوجود لغات أخرى إلى جانب اللغة الاسبانية ،وهي دليل على ثراء وتنوع الثقافة الاسبانية لكن لا تكون إلا في حدود المقاطعات ذات الحكم الذاتي إلى جانب اللغة الاسبانية

ومن مظاهر هذا الاعتراف هو أن هناك بعض معاهد"سيرفانتس" في خارج اسبانيا تدرس اللغة "الكتالنية"،وما عزز هذا التعايش اللغوي هو أن اللغات الثلاث (الاسبانية-الكتالنية-الجلقية) من عائلة واحدة اشتقوا من اللغة اللاتينية وهناك الكثير من القواعد النحوية والصرفية المشتركة.

---

[1] Ángel López García: La lengua común en España Plurilingüe, Iberoamericana Editional,2009,p20.

[2] Kirsten Süselbeck y Otros: Lengua, nación e identidad, La regla del plurilingüismo en España y América, Iberoamericana ediional, 2000, p118.

لكن الإشكال الذي يطرح هو في منطقة "الباسك" فقد يبدو أن هناك صراعا لغويا تحركه السياسة من خلف الستار، لأن أي صراع لغوي لا ينتج إلا في حالة احتكاك بين لغتين أو أكثر نتيجة التنافس الذي تحركه السياسة .

وبالتالي تتحول اللغة إلى أداة في يد السياسيين ذات برنامج سياسي محدد الأهداف، والصراع الأيديولوجي هو الذي يخيم على الواقع اللساني خاصة في مناطق الحكم الذاتي[1]، ولا نبالغ إذا قلنا أن التعدد اللساني في هذه الحالة يتحول إلى معضلة وعامل يسهم في تفكك المجتمع وانحلاله، لأن الحديث عن "اللغة الجامعة" مثلا في منطقة الباسك هو "طابو" أو موضوع يهدد الهوية الباسكية، وما زاد من تعقيد الوضع هو أن اللغة الباسكية لا تنتمي إلى نفس المجموعة اللغوي التي تنتمي إليها اللغة الاسبانية واللغات الأخرى.

وقد احتدم هذا الصراع في فترة الحرب الأهلية بعهد "فرانكو" باستخدامه سياسة لغوية صارمة من خلاله فرض اللغة الاسبانية في كل المقاطعات وفي كل المجالات من خلال شعار واحد "لغة واحدة – أمة واحدة"، ولهذا كانت هناك ردة فعل من طرف سكان هذه المنطقة ببروز حركة انفصالية اتخذت من عنصر اللغة بندا هاما في مشروعها السياسي رافضين رفضا قاطعا قضية التعدد اللساني في بلاد الباسك،ويدافعون بشراسة عن اللغة الباسكي مبررين ذلك لغة قديمة جدا لها إمكانيات تخولها لتكون لغة تواصل في كل المجالات دون استثناء [2]، أما الإجراءات التي نجمت عن دستور 1978 فهي محدودة لا ترقى إلى طموح الشعب الباسكي، بل إنها ترسخ سياسة لغوية تكرس الاحتلال الاسباني من لغته التي يرون فيها أداة امبريالية وغالبا ما يشبهون هذا الوضع بواقع اللغة العربية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي[3].

---

[1] Armando de Miguel: El idioma española, Edition Complutense, Madrid, p57.

[2] Martin de Llglade : Conflicto lingüístico en Eurskadi, Ediciones Vascos argitaletxea,p18.

[3] المرجع نفسه،ص44

ولذلك لا بد من إنشاء منطقة مقاومة للغة الاسبانية من خلال تعزيز الوعي بأهمية هذه اللغة بأنها رمز للهوية الباسكية وذلك من خلال نشر التعليم المجاني بهذه اللغة واستخدامها بشكل واسع في الإعلام.

وهناك إشكالية أخرى تعيق تحقيق سياسة لغوية أخرى تعيق تحقيق أهداف السياسة اللغوية الاسبانية متوازنة، وهو قضية توزيع السكان في مناطق المقاطعات الأهلية التي تمثل الحدود اللسانية التي قسمتها الحكومة،لأن في الواقع المجموعات البشرية تتحرك بصورة أسرع من القرارات السياسية، ولا يمكن التحكم في الهجرة الداخلية من وفرض لغة معينة في مقاطعة معينة من جهة أخرى، لأن مع كل هجرة تصاحبها عادات وسلوكات لغوية معينة تستمر في البيئة الجديدة حتى في المناطق الأحادية اللغة مثل "مدريد"

3/تجليات التعدد اللساني في الأدب الاسباني:

فطن العديد من النقاد الأسبان إلى أهمية التعدد اللساني نظرا لإقبال الكثير من المبدعين على الاستعانة به في بناء أعمالهم الأدبية من خلال استخدام عدة ملفوظات متجاورة تنتمي إلى لغات مختلفة في فضاء إبداعي واحد ولهذا التعدد دلالة على مستوى النص حيث تتضمن رؤية المبدع لهذه اللغة ووظيفتها التواصلية والدلالية، لأن اللغة تحتل في العملية الإبداعية مكانة هامة لأن النص لا يكتسب قيمته وتميزه بين باقي الخطابات الأخرى إلا في إطار اللغة.

لم يتجلى التعدد اللساني في المجتمع الاسباني فقط بل أيضا في الأدب الاسباني بدأً من العصر الوسيط برز التعدد اللساني كأحد الأساليب التعبيرية في الشعر التي توحي بالتنوع الثقافي وتبين إلى أي مدى الشاعر مثقف ونجد ذلك عند "لويس دي قونقو" (Luis de Góngo)[1] حيث تمثل نصوصه الشعرية فضاء متعدد اللغات ففي إحدى قصائده اعتمد على رباعيات بلغات مختلفة

[1]لويس دي قونقو شاعر اسباني من العصر الوسيط ،ولد سنة 1561م بقرطبة وتوفي بها سنة 1627م

(الاسبانية–اللاتينية–الايطالية –البرتغالية) يبين من خلالها المؤثرات الثقافية [1] ،أما في العصر الحديث نجد "يوريس فلالونقا" (Llorec Villalonga)[2] كان يكتب باللغتين الاسبانية والكتالانية والعديد من أعماله الروائية تشهد عن هذا التنوع اللغوي و التنقل من لغة إلى أخرى[3].

وبرز "التعدد اللساني " في شعر "فريدريك غارسيا لوركا" من خلال توظيفه عدة ملفوظات عربية ذات دلالات موحية في بناء عالمه الشعري نهلها من مصادر عربية أصيلة كيف لا وهو الشاعر الغرناطي العاشق للثقافة العربية بحكم التاريخ والجغرافيا ،فكثيرا ما كان يختار عناوين قصائده ودواوينه في شكل كلمات عربية مثل في ديوانه "tamrit Divan del" التي هي من أصل "تمر" ،واختار عنوان « Gasida »شعره من كلمة "قصيدة" كما عنون إحدى قصائده " Gazal" من كلمة غزل العربية، ولهذا التوظيف دلالات لاسيما في هذه الفترة التي كان فيها الشعراء الأسبان يبحثون عن هويتهم الشعرية بين قهر السلطة والتقاليد الفنية.

الخاتم.ة:

وجد التعدد اللساني منذ بدء التواصل الإنساني، ومع انفتاح الحدود وعولمة التبادلات وتطور وسائل الاتصال وتزايد حركة الهجرة بين الدول ،بات التعامل مع الواقع اللساني المتعدد من الرهانات الاجتماعية والثقافية الأساسية في المجتمع الاسباني، فكان لابد من السعي الدائم لتحقيق التوازن بين اللغة الجامعة التي تمثل صمام أمان الوحدة الاجتماعية وبين اللغات الأخرى التي تمثل بدورها ثراء الثقافة الاسبانية، وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نستخلص ما يلي:

---

[1] Ernest Rudin : literatura y bilingüismo, Editions Reichenberger, 1993, p128.

[2] يورنس فلالونق أديب اسباني ولد سنة 1897 بمايوركا كتب العديد من الروايات باللغتين الاسبانية والكتالنية.

[3] Pilar Arnar: Escribir entre dos lenguas escritores catalanes y la elección de la lengua, Edición Reichenberger, 2002, p59.

- ❖ أسهم الموقع الجغرافي والعامل التاريخي في إيجاد واقع لساني متعدد لا يمكن إقصاؤه.
- ❖ سعت السياسة اللغوية الاسبانية إلى تحقيق التوازن بين اللغة الجامعة (الاسباني) وبين اللغات الأخرى من أجل تحقيق الانسجام الاجتماعي.
- ❖ يبدو الصراع اللغوي في بلاد الباسك لعوامل تاريخية عمقت الشرخ اللغوي ولتحول اللغة إلى أداة ضغط سياسية.
- ❖ يتجلى التعدد اللساني في العديد من النصوص الأدبية وعبر فترات مختلفة وتختلف دلالته من كاتب إلى آخر.
- ❖ تبقى الخريطة اللسانية في اسبانيا مفتوحة الأفاق وأمام احتمالات متعددة.

المراجع:

قائمة المراجع المترجمة

هارمان، هارلد: تاريخ اللغات ومستقبلها، ترجمة:سامي شمعون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2006م

- ❖ **قائمة المراجع الأجنبية**

❖ Ager, Denis: Motivation in language planning and language policy, Multilingual Matters Ltd, 2001.

❖ Arnar, Pilar: Escribir entre dos lenguas escritores catalanes y la elección de la lengua, Edición Reichenberger, 2002.

❖ De Llglade , Martin: Conflicto lingüístico en Eurskadi, Ediciones Vascos argitaletxea.

❖ De Miguel, Armando de Miguel: El idioma española, Edición Complutense, Madrid.

❖ Dubois, Jean et d'autres : Dictionnaire linguistique ,Larousse, Paris,2002.

❖ Elgin, Suzettte Haden Elgin: The language imperative, Perseurs Publishing, Cambridge, 2000.

❖ García, Ángel López: La lengua común en España Plurilingüe, Iberoamericana Editional, 2009.

❖ Pérez, Julio Gabo: Contacto intralingüístico e intercultural en el mundo, Universidad de Valéncia, 2001.

❖ Pharies ,David: Breve Historia de la lengua Española ,University Chicago Press, 2007

❖ Rudin ,Ernest : literatura y bilingüismo, Ediciones Reichenberger, 1993,

❖ Süselbeck ,Kirsten y Otros :Lengua, nación e identidad, La regla del plurilingüismo en España y América, Iberoamericana ediional, 2000

دور التّعدّد اللّسانيّ في بناء الحضارة العربيّة
أبو الرّيحان البيرونيّ أنموذجًا

د/ لعبيدي عبد الله – جامعة البليدة

يزخر التّراث العربيّ بنماذج متنوّعة من التّعدد اللّسانيّ ظهر نتيجة للاحتكاك بالحضارات الأجنبيّة كالحضارة الهنديّة والفارسيّة... إلخ، الذي كان له الأثر البارز في جميع المجالات (العلميّة، الثّقافيّة، الأدبية، الفنيّة...إلخ). ولا شكّ في أنّ هذا الاحتكاك قد أفرز طاقات علميّة متميّزة، أسهمت في تقديم موروث علميّ وحضاريّ متميّز.

ويعدّ "أبو الرّيحان البيرونيّ (ت 404هـ) واحدًا من العلماء الذين انفتحوا على الهند لغة وثقافة وحضارة، فنَقَل لنا من خلال كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة" _بكلّ موضوعيّة وصدق_ كثيرًا من جوانب

الثّقافة الهنديّة التي لم يكن للعرب أن يحيطوا بها علمًا لولا ما وصلوا إليه من مدى في التّسامح اللّسانيّ، والحوار الثقافيّ بين الشّعوب والحضارات.

وسأحاول من خلال هذه المداخلة إبراز نقاط ثلاث هي:

أوّلاً _ تعدّد اللّغات والحضارة العربيّة.

ثانيًا _ التّسامح اللّسانيّ والثّقافيّ.

ثالثًا _ البيرونيّ أنموذج التّسامح اللّسانيّ والحوار الثّقافيّ.

أوّلاً _ تعدّد اللّغات والحضارة العربيّة:

في الحقيقة إنّ الحديث عن الحضارة العربيّة حديث شاقّ وشيّق؛ شاقّ لأنّه متشعّب، لارتباطه بجوانب تاريخية وعلمية وفلسفية وإيديولوجية وغير ذلك مما لا يمكن رصده والوقوف عليه إلى من خلال دراسات مطوّلة ومتأنّية، ترتكز إلى استقراء شامل وطرح نظريّ عميق. وشيّق لأنّه يكشف لنا عن كثير من القضايا الجوهرية الهامّة المخبّأة التي ما زال يحيطها الغموض.

والواقع أنّنا لا يمكن أن ننكر الدّور الذي أدّاه التّسامح اللّسانيّ قديمًا في بناء الحضارة العربية قديمًا. وحسبنا أن نعرض في سياق تاريخيّ نماذج من هذا التّسامح اللّسانيّ والحضّ عليه.

إنّنا إذا ما تعقّبنا هذه الظّاهرة من الماضي العربيّ الحضاريّ البعيد فإنّنا نلمس اهتمامًا بالغًا بتعلّم اللّغات وترجمة بعضها إلى بعض، ومن ذلك نذكر ما يلي:

_ إنّ أبرز إقرار على التّعدّد اللّسانيّ يستشفّ من القرآن الكريم، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ[1]﴾ قال الأحوذيّ: «أي لغاتكم[2]».

---

[1] سورة الرّوم، من الآية: 22.

[2] تحفة الأحوذيّ بشرح جامع التّرمذيّ (209–279هـ): عبد الرّحمن عبد الرّحيم المباركفوريّ (1283–1353هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1990م/ 1410هـ: 7/ 19.

ومن السّيرة النّبويّة فإنّ الرّسول ε قد أمر زيد بن ثابتٍ بأَن يتعلّم له كلمات مِن كتاب يهود. قال زيد: «فما مرّ بي نصف شهر حتّى تعلّمته له، فلمّا تعلّمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم[1]».

وبالجملة فإنّه لم يرد في الشّرع تحريم تعلّم لغة مِن اللّغات سريانيّة أو عبرانيّة أو هندِيّة أو تركيّة أو فارسيّة[2].

كما سجّل لنا التّاريخ ظهور التّعدد اللّسانيّ بجلاء وذلك في العصر العبّاسيّ، حيث برز كآليّة لبناء خلفيّات معرفيّة شكّلت المنطلقات الجوهريّة في معرفة الآخر وتقدير الذّات، والإضافات النّوعيّة في شتّى المعارف والفنون.

حيث إنّ التّعدّد اللّسانيّ قد عاشته مئات من العلماء خلال عصر المأمون (170–218هـ)، الذي أنشأ "بيت الحكمة"، حيث جعل على رأسها حنين ابن إسحاق النّصرانيّ الذي أشرف على ترجمة كتب اللّغات الأعجميّة إلى العربيّة. ممّا أدّى إلى ازدهار حركة التّرجمة والنّقل[3].

ونورد في هذا الصّدد شهادة "الجاحظ" في "الحيوان"، إذ يقول: «وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان، وحوِّلت آداب الفُرس، فبعضها ازداد حسنًا، وبعضها ما انتقص شيئًا[4]».

ويقول الباحث الألمانيّ "لوكليرك": «لم يكد ينقضي القرن الثّامن حتّى كان العرب قد ملكوا جميع علم اليونانيّين، وحتّى أضافوا إليه الكثير ممّا ابتكروه أو نقّحوه أو جرّدوه، وحتّى اجتمع لهم في خزانة قرطبة وحدها زهاء 600 ألف مجلّد في مختلف العلوم والفنون[5]».

---

[1] المصدر نفسه: ص نفسها.

[2] المصدر نفسه: 7/ 19.

[3] ينظر: حركة النّقل والتّرجمة حتّى العصر العبّاسيّ: منجية منسية، ضمن: "التّرجمة ونظريّاتها: مجموعة من الأساتذة، بيت الحكمة، تونس، 1989م/ 1409هـ: 145 وما بعدها.

[4] الحيوان:أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150–255هـ) تح وش:عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، دت:75/1.

[5] "تعريب العلوم ووضع المصطلحات": خضر بن عليان القرشيّ، ضمن مجلّة اللّسان العربيّ، مكتب تنسيق التّعريب، الرّباط، ع 19: 142

وإنّ هذا التّعدّد اللّسانيّ بما يحمله من قيم حضاريّة واجتماعيّة وثقافيّة وفلسفيّة وإنسانيّة هو الذي أتاح لأوروبّا _فيما بعد_ معايشة نهضتها بفضل ما نقله علماؤها إلى اللاّتينيّة وإلى لغات أخرى عن كتب عربيّة في مختلف العلوم والفنون والمعارف.

ويعدّ هذا تدليلاً على الموقف الذي أخذه الفكر العربيّ سابقًا تجاه قضيّة الانفتاح على الآخر في ما يخصّ التّسامح اللّسانيّ، ممّا تسبّب في إنقاذهم الحضارة الإغريقيّة من الضّياع والنّسيان، حيث توصّلوا إلى استخلاص العلم ووضع مصطلحاته، وامتلاك مفاتيحه، فأغرقوا العالم من الصّين إلى بلاد الأندلس بعلومهم المختلفة، ولم يؤثّر ذلك في مكانة اللّغة العربيّة بل أصبحت بذلك لغة العلم والأدب والفنّ بشهادة الألمانيّة "زيغريد هونكه" التي تساءلت في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": «من هم حملة رسالة السّماء عبر التّاريخ؟ »، مؤكّدة أنّهم العرب، أبناء الصّحراء. وتروي إلى مواطنيها كيف أنّ العرب الذين انطلقوا من صحراء خالية استطاعوا إنقاذ الحضارة الإغريقيّة من الضّياع والنّسيان، وكيف أنّهم توصّلوا إلى استخلاص العلم، حيث أغرقوا العالم من الصّين إلى بلاد الأندلس بعلومهم المختلفة، حيث أصبحت اللّغة العربيّة لغة العلم والأدب والفنّ[1].

ورغم المآخذ التي سجّلها بعض المحدثين في عصرنا على النّشاط التّرجميّ والمصطلحيّ العربيّ القديم، إلاّ أنّهم يجمعون على أنّها قد وفّت بالمتطلّبات الحضاريّة والمقتضيات العلميّة المناسبة لعصرهم، ورسخوا أقدامهم في المجال المعرفي والحضاري.

ويمكن أن نشير في هذا الصّدد إلى أنّ الوضع الذي عاشته الحركة الثّقافيّة العلميّة العربيّة بداية من أواخر القرن الثّاني الهجريّ (ق 2هـ) (الثّامن

[1] ينظر: زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانيّة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، ط10، دار صادر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 2002م/ 1423هـ.

الميلاديّ) "حركة الإنشاء" في انفتاحها على اللّغات الأخرى والثّقافات المتنوّعة شبيه في جوهره بما عني به العرب في العصر الحديث، في بدايات القرن الثّالث عشر الهجريّ (بداية القرن 19م) أثناء "حركة الإحياء" العلميّة العربيّة التي انبعثت في مصر بتشجيع من "محمّد عليّ باشا" (1183هـ/ 1769م_1266هـ/ 1849م)، والتي اعتمدت في النّشاط التّرجميّ والمصطلحيّ بغية اللّحاق بركب التّطوّر.

_ فقد اعتمدت كلتاهما على التّرجمة من اللّغات الأعجميّة.

_ ثمّ إنّ الحركتين تتشابهان في نزعتيهما إلى التّأسيس، ذلك أنّ روّاد الحركة الأولى كانوا ينشئون ثقافة علميّة عربيّة مستحدثة مستمدّة من الثّقافة العربيّة في الجاهليّة ثمّ في القرنين الهجريّين الأوّل والثّاني (ق 2/1هـ) من مفاهيم ومصطلحات، لم يكن للعرب ولغتهم سابق علم بها...

ولم يكن روّاد حركة "الإحياء" أقلّ تأسيسًا من الأقدمين؛ لأنّهم هم أيضًا كانوا يقدّمون إلى النّاس ثقافة علميّة جديدة مستحدثة ذات أصول قديمة يونانيّة وعربيّة[1].

وإنّ هاتين الحركتين لتختلفان في أمرين هامّين، هما:

1 _ اختلاف أثر العامل الزّمنيّ في مصدريهما المعتمدين في الاستحداث والتّأسيس؛ ذلك أنّ الحركة الأولى قد اعتمدت مادّة علميّة منتهية في الزّمن، قد اتّخذت حيّزها في التّاريخ، وتحدّدت ملامح إسهامها في النّشاط الفكريّ البشريّ، وعرفت مصادرها ومواردها، ونعني بها المادّة العلميّة الهيلينيّة، بمصادرها اليونانيّة الأصول، وروافدها البيزنطيّة والجندنيسابوريّة الفارسيّة والسّريانيّة الشّاميّة (من ق 6 ق. م. إلى ق. 7 بعده).

أمّا الحركة الثّانية فقد اعتمدت مادّة كانت ولا تزال في بدايات مدّها وعطائها، متفتّحة على المستقبل، مقبلة على مراحل من التّطوّر الهائل، وهذا

[1] "من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلميّ ووضعه وتقييسه في اللّغة العربيّة" : إبراهيم بن مراد: ضمن: كتاب "الثّقافة بوصفها تعبيرًا"، إعداد: مجموعة من الأساتذة، مطبوعات "م ع ت ث ع"، تونس، 1992م/ 1412هـ: 101.

منبئ بأنّ المشكلات المنهجيّة والقضايا المعرفيّة التي اعترضت المحدثين لا تقلّ حدّة واستعصاء عمّا اعترض منها القدماء.

2 ـ التّفاوت في تأثير كلّ من الحركتين في الواقع العلميّ والثّقافيّ العربيّ، ذلك أنّ الحركة الأولى سرعان ما جنت ثمارها، فبدأ التّأليف العلميّ العربيّ المبتكر باللّغة العربيّة في النّصف الثّاني من القرن الثّالث الهجريّ (ق 3هـ)، ولمّا تنته حركة التّرجمة بعد.

ويرجع سبب التّفاوت بين الحركتين إلى:

1 ـ أثر العامل الزّمنيّ: وقد سبقت الإشارة إليه.

2 ـ سبب سياسيّ: وهو أنّ الحركتين جميعًا كانتا من عمل الدّولة، ولكنّ الفرق بين الدّولة في القرن الثّاني والثّالث الهجريّ (ق 3/2هـ)، والدّولة في القرن الثّالث عشر الهجريّ (ق 13هـ) كان كبيرًا؛ حيث كانت الدّولة العبّاسيّة عربيّة مركزيّة، لها من القوّة والغلبة ما جعلها دولة العالم العظمى، وجعل ما يصدر في بغداد من إنتاج فكريّ واسع الانتشار سريعه في الأمصار المعرّبة.

أمّا الدّولة في القرن الثّالث عشر الهجريّ (ق 13هـ) فقد كانت دويلة بين الدّول العربيّة والأعجميّة، تابعة لدولة مركزيّة أعجميّة، فإنّ "محمّد عليّ" كان في مصر واليًا على ولاية تابعة للخلافة العثمانيّة والتّركيّة[1].

ويمكن أن نستشف من هذا النشاط الترجمي والمصطلحي في تعريب العلوم وبعث حركة التأليف ملمحين أحدهما حضاري والآخر ثقافي:

ـ الوجه الحضاريّ:

إذ غنيّ عن البيان أنّ التّقدّم الحضاريّ وما يرافقه من استحداث مفاهيم ومخترعات جديدة يستدعي إيجاد مصطلحات جديدة تعبّر عنها[2].

---

[1] من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلميّ: إبراهيم بن مراد: 103.

[2] "اللّغة العربيّة في مواكبة الفكر العلميّ"، محمّد سويسي ، ضمن: كتاب "من قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة"، إعداد: مجموعة من الأساتذة، تونس، مطبعة "م ع ت ث ع"، 1990م/ 1410هـ: 147.

ـ الوجه الثّقافيّ: ويتعلّق بأمور منها:

أ ـ حسن استغلال القوى الموجودة في اللّغة، واستفادة كلّ ما فيها من إمكانيّاتها وملكات التّعبير، مع تنسيق الألفاظ واختيار المعاني المناسبة، حيث تصير منسجمة ودالّة دلالة واضحة تامّة.

وحسبُ اللّغة العربيّة أنّها تمتلك مثل هذه الملكات، يقول "ابن جنّي": «إنّني إذا تأمّلت في هذه اللّغة الشّريفة الكريمة اللّطيفة وجدت فيها من الحكمة والدّقّة والإرهاف والرّقّة ما يملك عليّ جانب الفكر، حتّى يكاد يطمح به أمام غلوة السّاحر[1]».

ب ـ إنّنا نعيش عصر تداخل الثّقافات وسرعة هائلة في زيادة المعرفة، وذلك في كلّ الحقول والمجالات المتعلّقة بالإنسان، وبالتّالي نموّ متزايد في محتوى اللّغة أيّة لغة[2].

وإذا كانت الأمّة التي تعتمد على "إنتاجها" وحده دون أن "تستورد" شيئًا من غيرها لا وجود لها على وجه البسيطة، فإنّ كلّ لغة معرّضة للتّأثّر بلغة أو لغات أخرى لأسباب معيّنة. «وقد أثبتت التّجربة فشل محاولات التّصدّي والوقوف أمام بعض التّغيّرات اللّغويّة[3]».

ثانيًا ـ التّسامح اللّسانيّ والثّقافيّ:

إنّ "ا لتّسامح" لغة: هو اللّين والتّساهل، والعفو والتّجاوز [4]، وقال الفيروزآباديّ: «وتسامحوا: تساهلوا[1]». وجاء في التّعريفات: «السّماحة: هي بذل ما لا يجب تفضّلاً[2]».

---

[1] الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جنّيّ، تح: محمّد عليّ النّجّار، دار الهدى للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، دت: 1/ 12.

[2] "عالميّة اللّغة العربيّة" : محمّد مصطفى بن الحاج، ضمن: كتاب "من قضايا اللّغة العربيّة" ، إعداد: مجموعة من الأساتذة، مطبوعات "م ع ت ث ع"، تونس، 1990م/ 1410هـ: 308.

[3] ينظر: مجلّة "البيان"، ع 271، أكتوبر 1988م/ 1408هـ: 78.

[4] ينظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال ا"لدّين محمّد بن مُكَرَّم، ابن منظور (711–630هـ)، تن وتع: عليّ شيري، ط1، دارإحياء التّراث العربيّ للطّبّاعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1988م/ 1408هـ.

ويقصد به عند علماء القانون الدّوليّ المعاصر: القدرة على تبنّي اتّجاه ليبيراليّ نحو آراء وأفعال الآخريّن، وترك مساحة للاستنكار والخلافات مع الآخرين[3].

والتّسامح في الفكر الغربيّ من المفاهيم والمصطلحات التي ولدت في عصور الإصلاح الدّينيّ التي أعقبت القرون الدّمويّة[4].

وتشير دائرة المعارف البريطانيّة إلى أنّ مفهوم التّسامح مرتبط بالتّعدّديّة وقبول الاختلاف والسّماح بحريّة الرّأي، ثمّ يؤدّي بعد ذلك إلى العفو والتّجاوز[5].

والتّسامح اللّسانيّ والثّقافيّ بهذا المعنى قبول التّنوّع اللّسانيّ والثّقافيّ؛ قصد تدعيم بناء الصّرح الحضاريّ والإنسانيّ، فـهو بذلك دعامة من دعائم نسج العلاقات الإنسانيّة[6]. وهذا في الواقع مسلك لفهم صحيح لثقافة الآخر، فهم يجب التّركيز فيه على العناصر الكلّيّة للأفكار.

ومعلوم أن هذا التّسامح اللّسانيّ من شأنه أن يجسّد التّعاون الثّقافيّ الفاعل بين أطراف متعدّدة ومتنوّعة، بحيث يبقى التّواصل الثّقافيّ والفكريّ هدفًا نبيلاً بين أفراد الأسرة الإنسانيّة، كأنّه يمثّل مسار الحركة الثّقافيّة للبشر.

ولعلّ من أهمّ الطّرق المؤدّية إلى ذلك تأليف الكتب بلسان كلّ طرف من أطراف الحوار[7].

---

[1]القاموس المحيط: محمّد بن يعقوب أبو طاهر مجدّ الدّين الفيروزآباديّ (1329–1415م)، ط1، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، دت: مادّة (سمح).

[2]التّعريفات: عليّ بن محمّد بن عليّ الحسينيّ الجرجانيّ الحنفيّ (ت 816هـ)، تح وتع: نصر الدين تونسي، ط 1، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2009م/ 1430هـ.

[3]معجم في القانون الدولي المعاصر:عمر سعد الله،ط1، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر 2005م/1425هـ:115.

[4]ينظر: التّسامح والتّعصّب في فكر رواد عصر النّهضة، 2004م/ 1424هـ: 15.

[5]نرجع: دائرة المعارف البريطانيّة. وينظر: نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين: حسن بن محمد سفر، (د. معلومات): 6.

[6]ينظر: دستور التّسامح في الإسلام: المكّيّ النّاصريّ، (د. معلومات): 60.

[7]حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني: عمار جيدل، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م/ 1413هـ: 52.

وهذا الأمر يجرّنا للحديث عن مسألة خطيرة تتنزّل في نسق لسانيّ/ دينيّ/ اثني، وتتعلّق بمسألة التّفاضل بين اللّغات، وقد أجاب عنها "ابن حزم" منذ عشرة قرون، في قوله: «وقد توهّم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللّغات. وهذا لا معنى له؛ لأنّ أوجه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للّغة، ولا جاء نصّ في تفضيل لغة على لغة؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، فأخبر تعالى أنّه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلاّ ليفهم ذلك قومه _عليه السّلام_ لا لغير ذلك. وقد غلط في ذلك جالينوس، فقال: إنّ لغة اليونانيّين أفضل اللّغات؛ لأنّ سائر اللّغات إنّما هي تشبه إمّا نباح الكلاب أو نقيق الضّفادع.

قال عليّ ψ: «وهذا جهل شديد لأنّ كلّ سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النّصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق».

وقال قوم: «العربيّة أفضل اللّغات؛ لأنّه بها نزل كلام الله تعالى ». وقال عليّ ψ: «وهذا لا معنى له؛ لأنّ الله _عزّ وجلّ_ قد أخبرنا أنّه لم يرسل رسولاً إلاّ بلسان قومه، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ [1]﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلأَوَّلِينَ [2]﴾. فبكلّ لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التّوراة، والإنجيل، والزّبور، وكلّم موسى _عليه السّلام_ بالعبرانية، وأنزل على إبراهيم _عليه السّلام_ بالسّريانيّة، فتساوت اللّغات في هذه تساويًا واحدًا[3]».

وبعد هذا، فكيف ينساق الإحساس البشريّ عمومًا إلى استشعار التّفاضل بين الأمم في كلّ عصر وبين كلّ الشّعوب، ثمّ كيف تتكاثف الظّلال على حقيقة

---

[1] سورة فاطر، من الآية: 24.

[2] سورة الشعراء، الآية: 196.

[3] الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الظّاهريّ (384-456هـ)، مطبعة الإمام بمصر، دت: 32/1.

الظّاهرة اللّغويّة فيحتجب الوعي بأولى بديهيّاتها، حتّى يخال النّاس أنّ الألسنة بذاتها أصناف منها القادر ومنها العاجز...[1].

إنّنا إذا انطلقنا من مبدإ عرفيّة جميع اللّغات، فإنّ ذلك يقوّي العقد الجماعيّ بين مجموعة الألسن البشريّة، الذي على أساسه يكون الفهم المتبادل مع الآخر، ممّا يستدعي القراءة المتأنّية لمنتجه وفق ما هو عليه في مصادره، ووفق آليّات الفهم التي يتبنّاها، وبطبيعة الحال مع توافر مجموعة من العناصر، نوجزها فيما يلي:

أ _ قراءة الآخر من خلال مصادره دون وساطة.

ب _ بناء القراءة على ما يتبنّاه السّواد الأعظم من المجموعة، دون القلّة القليلة.

ج _ أن تكون المقارنة بين القضايا المتجانسة، فلا نقارن أصولاً في مجموعة حضاريّة بفروع عند مجموعة حضاريّة أخرى؛ ذلك أنّ الموضوعيّة تفرض أن يقابل الأصل بالأصل والفرع بالفرع.

د _ أن تكون القضايا المتحاور حولها متجانسة من حيث الطّبيعة، فلا يقارن أمر نظريّ بآخر عمليّ أو العكس[2].

ثالثًا _ البيرونيّ أنموذج التّسامح اللّسانيّ والحوار الثّقافيّ

لقد سبقت الإشارة إلى أنّ الحضارة العربيّة قد أولت اهتمامًا بالغًا في الانفتاح على الحضارات الأخرى بما تحمله من روافد لسانيّة ومعرفيّة وأدبيّة وثقافيّة واجتماعيّة وفنّيّة، وقد تجسّد هذا الفعل بالذّات خلال أواخر القرن الرّابع وأوائل القرن الخامس الهجريّ. فلقد نقل لنا المؤرّخون أنّ الحياة الثقافيّة في هذه الفترة قد تطوّرت تطوّرًا هائلاً؛ بحيث نبغ في هذه الفترة مجموعة ضخمة من

---

[1] "صياغة المصطلح وأسسها النّظريّة" : عبد السّلام المسدّي، ضمن: كتاب "تأسيس القضيّة الاصطلاحيّة"، إعداد: مجموعة من الباحثين الجامعيّين، المؤسّسة الوطنيّة للتّرجمة والتّحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، تونس، 1989م/ 1409هـ: 17.

[2] حوار الحضارات: عمار جيدل: 51.

العلماء في الكثير من العلوم، حيث احتلّ منهم الكثيرون مراكز الصّدارة، ومن بينهم العالم الجليل "أبو الرّيحان البيرونيّ" الذي نسب إليه "جورج سارتون" "George Sarton" _وهو أكبر مؤرّخ لتاريخ العلم في العصر الحديث_ العصر الذي عاش فيه إليه، حيث سمّاه بـ "عصر البيرونيّ"[1].

ولقد شهد عصر "أبي الرّيحان البيرونيّ" نشاطًا ثقافيًّا متميّزًا، وتعدّدًا لسانيًّا واضحًا بفضل التّرجمة إلى اللّغات الأجنبيّة خاصّة من اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة إلى العربيّة، ونضج ملكات المسلمين في البحث والتّأليف، وتشجيع الخلفاء والسّلاطين في مشارق الأرض ومغاربها.

ويبدو أنّ الظّروف السّائدة المضطربة سياسيًّا، والتّنافس بين الدّويلات، كانت عاملاً مهمًّا في ازدهار الثّقافة، وانتشار العلم، نظرًا لتنافس الأقاليم، ومحاولة تقريب العلماء والتّفاخر بهم، وتحويل مراكز الثّقل الثّقافيّ من "بيت الحكمة" إلى مناطق أخرى من العالم الإسلاميّ.

ويظهر ذلك جليًّا عندما قضى "محمود بن سبكتكين [2] الغزنويّ" [3] على بلاطات خوارزم وبخارى وسجستان، واقتنص أدباءها ومفكّريها وضمّهم إلى

---

[1] مجلّة المؤرّخ العربيّ: تعداد العراق، ط3، ع4، 1980م/ 1400هـ: 297.

[2] "سبكتكين" هو مؤسّس "الدّولة الغزنويّة" عامًا 366هـ، بعد موت سيّده "أبي إسحاق إبراهيم ابن البتكين" الذي كان "سبكتكين" مملوكًا عنده، حين كان قائدًا عامًّا على "خراسان" في عهد "السّامانيّين". وعندما توفّي "عبد الملك الأوّل ابن نوح" (343–350هـ) انتقل "البتكين" ومعه "سبستكين" إلى "غزنة" وأعلن ملكه عليها. ولمّا توفّي "البتكين" ظلّ "سبستكين" مخلصًا لأبي إسحاق إبراهيم الذي عاجلته المنيّة، وآنذاك اتّفق جيشه على تولية "سبستكين" عام 366هـ، وأكّدوا له طاعتهم وانصياعهم فأحسن السّياسة والسّيرة فيهم، وبدأ يفتح المناطق معتبرًا نفسه جنديًّا كباقي الجنود، حتّى وافته المنيّة في شعبان عامًا 387هـ، بعد عشرين عامًا من الحكم ليخلفه ابنه "محمود". ينظر: تاريخ أبي نصرالعتبيّ، القاهرة، 1386هـ: 1/ 55–57، وقد نقل عنه "ابن الأثير" في: الكامل في التّاريخ، مراجعة وتصحيح: يوسف دقاق، ط3، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1998م/ 1418هـ: ج7، و"ابن كثير في: البداية والنّهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير(701–774هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، 1994م/ 1414هـ: ج1، وقد نقل عن "العتبيّ" حرفيًّا. وكتاب نظام الملك الطّوسيّ: سير الملوك أو سياسة نامة، تر: يوسف بكار، دار المناهل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2007م/ 1428هـ.

[3] تنظر ترجمته وأخباره في: إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: لسان الدّين ابن الخطيب (ت 776هـ): تقديم وتحقيق: لعبيدي بوعبدالله، دار الأمل للدّراسات والنّشر، الجزائر، 2011م/ 1431هـ: 321/3 وما بعدها. واسم "غزنة" الصّحيح عند العلماء _كما يرى ذلك ياقوت الحمويّ_ هو "غزنين"، وعند العامّة: "غزنة"، كانت مدينة عظيمة، وولاية واسعة في طرف "خراسان"،

بلاطه، وكان "أبو الرّيحان البيرونيّ" واحدًا منهم، فنضج البحث العلميّ، وتنوّع الباحثون، إذ كانت عطاياه كفيلة بدفعهم إلى الابتكار والإبداع، وقد ضمّ بلاطه نخبة من الأدباء والعلماء [1] أهمّهم "الفردوسيّ" شاعر الملحمة الأكبر و"البيرونيّ" و"الثّعالبيّ" و"البيهقيّ" و"البستيّ"[2].

ومن علماء هذا العصر أيضًا "النّيسابوريّ" و"الدّارقطنيّ" في الحديث، و"أبو عليّ الفارسيّ" و"ابن دريد" و"النّحّاس" و"ابن فارس" و"ابن جنّيّ" و"الزّجّاج" في اللّغة والنّحو، و"المتنبّي" و"ابن حجّاج" و"ابن طباطبا" و"أبي فراس" في الشّعر، و"ابن السّريج"، و"إبراهيم المروزيّ" في الفقه، و"ابن زولاق" و"المستجي" و"الشابشتي" و"الطّبريّ" في التّاريخ، و"الإصطخريّ" و"المقدسيّ" و"البكريّ" و"ابن الهيثم"، و"البوزجانيّ"[3] و"الخوارزميّ" و"الخازن"، و"القرطبيّ" و"عمر الخيّام" و"ابن سينا" في الرّياضيّات والفلك والطّبيعة والجغرافيا والطّب وسائر العلوم الأخرى، و"البلخيّ" و"الكعبيّ" و"الحسن الأشعريّ" في علم الكلام، و"ابن مقلة" في الخطّ، و"ابن نباتة" في الخطابة وغيرهم، كلّ أولئك أسهموا في تقدّم الحركة العلميّة وتنشيطها.

وفي هذه العصر هذّبت العلوم الدّينيّة وأكملت. وقام "الفارابيّ" بإيعاز من السّامانيّين بتصحيح التّراجم الفلسفيّة وأحكم عمله، وهذا ما قام به "ابن رشد" بعد هذا العصر من شرح لمؤلّفات "أرسطو" وطرح ما فيها من غموض.

وحدًّا بينها وبين "الهند"، ظلّت مقام بني السّلطان "محمود الغزنويّ" إلى أن انقرضوا. ينظر: المنجد في اللّغة والأعلام، ط 35، دار المشرق، بيروت 1996م/ 1416هـ: 506.

[1] تنظر مثلاً: سيرة السّلطان جلال الدّين منكبرتي: 51، 204–208، نقلا عن كتاب: الزّمخشريّ: أحمد محمّد الحونيّ، ط 1، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 1966م: 16.

[2] ينظر: الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجريّ: آدم متز، تر: محمّد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، 1999م/ 1419هـ: 319.

[3] هو محمّد بن يحيى أبو الوفاء البوزجانيّ: من كبار الرّياضيّين في القرن 4هـ، وهو أستاذ "أبي نصر بن عراق"، انتقل من "نيسابور" إلى العراق عام 348هـ، وقام بالتّدريس، وصنّف كتبًا كثيرة في العلوم العدديّة والحسابيّة، وله كتاب "المجسطي"، وفسّر كتاب "ديو فنطوس" في الجبر والمقابلة. توفّي عام 388هـ. ينظر ابن العبريّ: تاريخ مختصر الدّول، بيروت، دت: 181.

كما قام "ابن سينا" بتنقيح الطّبّ اليونانيّ الذي كانت ثمرته كتابه "القانون"، وقام "ابن الهيثم" بتصحيحات في "علم الطّبيعة".

ولم يفت "البيرونيّ" أيضًا أن يصحّح "الهيئة" و"الجغرافيا"، ويدوِّن شؤون المجتمع الهنديّ الثّقافيّة...، ويشرحها شرحًا علميًّا، لأوّل مرّة في تاريخ الثّقافة الهنديّة من خلال كتابه "تحقيق ما للهند" الذي نحاول الاستعانة به لنتلمّس بعضًا من ملامح تحاوره الثّقافيّ والعلميّ مع الآخر.

وقبل ذلك لا بد من الإشارة إلى انفتاحه على اللّغات الأخرى. حيث إنّ البيرونيّ قد شغف بتعلّم اللّغات منذ حداثة سنّه؛ فها هو يحكي عن نفسه في كتابه "الصّيدنة في الطّبّ"، فيقول: «قد حظيت في غريزتي منذ حداثتي بفرط الحرص على اقتناء المعارف بحسب السّنّ والحال، ويكفي شاهدًا عليه أنّ روميًّا حلّ أرضنا، فكنت أجيء بالحبوب والبذور والثّمار والنّبات وغيرها، وأسأله عن أسمائها وأحرّرها[1]».

وهذا الأستاذ يونانيّ حلّ في موطنه الأوّل خوارزم، _وهو غير معروف_، وكان "أبو الرّيحان" يجمع له كثيرًا من النّباتات والأزهار ويسأله مستقصيًا باحثًا[2].

وبعد أن اطّلع على كلّ ما وصلت يده من طبّ وفلسفة ورياضة وفلك وأديان، وتأثّره بآراء الفارابيّ والكنديّ والمسعوديّ، واطّلاعه على كلّ ما وجده في مكتبة نوح بن منصور السّامانيّ. تفطّن إلى شيء لم يلحظ عند غيره من علماء المسلمين، هو إدراكه أنّه لا بد _ليقول كلمة العلم في حضارة الإنسان وثقافته_ أن يتعلّم أكبر عدد من اللّغات.

---

[1] الأدب الفارسيّ: عليّ الشّابّيّ، دار النّشر، تونس، 1965م: 264.

[2] الموسوعة الإسلاميّة للعلوم الاجتماعيّة: صلاح مصطفى الفوّال: "المدخل إلى علم الاجتماع الإسلاميّ، دار غريب، القاهرة، 2000م/ 1420هـ: 165.

فقد كان يحسن السّريانيّة والسّنسكريتيّة والفارسيّة والعبريّة. وكان يمتاز على معاصريه بروحه العلميّة وتسامحه وإخلاصه للحقيقة. وكان يلتزم الرّجوع إلى المصادر الأصليّة فيما يكتب التزامًا صارمًا.

فها هو يتحدّث عن تاريخ الطّبّ عند اليونان، فيذكر كبارهم من أمثال بخورس وأبقراط وجالينوس وأسقليوس، حتّى تمنعه ضعف الرّوايات التي بين يديه من المضيّ في الحديث عن تلاميذهم؛ حيث يقول: «ولنضع في هذه الجدول ما في مقالة إسحاق، من غير أن نذكر تلامذتهم، فلا فائدة فيه؛ إذ لم ننقله عن خطّ سريانيّ أو يونانيّ، يعطينا أمانًا من التّصحيف...[1]».

ويعدّ كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة" خلاصة الرّحلة التي قام بها إلى الهند. ولا شكّ في أنّ لهذه الرّحلة أهمّيّة كبيرة في دراسة الجانب الثّقافيّ والاجتماعيّ للهند [2]، فهو بمثابة ثمرة الحوار الثّقافيّ و التّسامح اللّسانيّ.

إذ "البيرونيّ" بعد أن نهل العلوم من منابعها المختلفة من "خوارزم" قرّر أن يرحل إلى مناطق أخرى ليستمدّ المعارف من مشاهداته، ويرى ألوانًا من الحضارات، ويلتقي بالثّقافة المختلفة وجهًا لوجه، بعد أن التقى في متون الكتب صُوَرًا من حياة الشّعوب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ رحلاته تختلف تمامًا عن رحلات من سبقه من الرّحالة، فقد كانت طليعة روّاد العرب تتألّف من تجّار يسيحون للتّجارة، وكان يعوز هؤلاء الاستعداد الضّروري للتّأمّل العلميّ، وإن لم تخل رحلاتهم التّجاريّة من طرائف مفيدة في بعض الأحيان.

---

[1] أبو الرّيحان أعظم عقليّة عرفها التّاريخ: رحاب مكّاويّ، دار الفكر العربيّ، بيروت، 1998م/ 1428هـ: 35.

[2] ينظر: الموسوعة الإسلاميّة للعلوم الاجتماعيّة: صلاح مصطفى الفوّال: 166.

فالعديد من المؤرّخين والملاّحين والجغرافيّين والرّحالين والتّجّار من العرب والفرس أمثال "سليمان التّاجر السّيرافيّ" [1] و"أبو دلف" [2] و"برزك بن شهريار" و"أبو الحسن المسعوديّ" [3] (ت346هـ/957م)، و"الإصطخريّ" (ت340هـ/ 901م)[4] و"المقدسيّ"[5] وآخرون قاموا بزيارات للهند، وتركوا التّفاصيل عن حياة الهند الاجتماعيّة وتجارتها واقتصادها وأديانها وآدابها وتقاليدها وحضارتها.

وأمام هذا الاهتمام التّاريخيّ بهذه البلاد، سواء من قبل التّجّار أو طالبي الحكمة، قبل الإسلام وبعده، وما كتبه الرّحالة المسلمون_ أمام كلّ هذا فقد اهتمّ السّياسيّون في الدّولة الإسلاميّة بضرورة فتحها، واستطلاع أسرارها، منذ أيّام "الوليد بن عبد الملك" الأمويّ إلى ما بعد "محمود ابن سبكتكين الغزنويّ" في مطلع القرن الخامس الهجريّ.

ويبدو أنّ اختراق المجتمع الهنديّ من الجانب الفكريّ ومحاورة الهنود في عقائدهم وعاداتهم كانت من وسائل "محمود بن سبكتكين" مستفيدًا من تجارب الأقدمين، وقد ندب لهذه المهمّة شخصيّة "أبي الرّيحان البيرونيّ" (ت440هـ/ 1048م) الذي يعتبره القمّة في الفقه المقارن، فقد رافق "محمودًا" إلى الهند، فعرفها من الدّاخل، وعرف لغتها السّنسكريتيّة [6]، وعاد إلى الهنديّ يسأله، وإلى النّصّ

---

[1] تنظر ترجمته وأخباره في: الرّحّالة المسلمون في العصور الوسطى: زكي محمّد حسن، دار الرّائد العربيّ، بيروت، دت: 23. وما بعدها.

[2] تنظر ترجمته وأخباره في: يتيمة الدّهر: أبو منصور الثّعالبيّ (350–429هـ)، مطبعة الصّاوي، القاهرة، 1934م/ 1353هـ: 3/ 321. الأعلام: خير الدّين بن محمود الزّركليّ (1310–1396هـ): ، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م/ 1412هـ: 2/ 341. الرّحلة والرّحّالة المسلمون: أحمد رمضان أحمد: 80.

[3] ينظر: الرّحّالة المسلمون في العصور الوسطى: زكيّ محمّد حسن: 36.

[4] تنظر ترجمته في: الرّحلة والرّحّالة المسلمون: أحمد رمضان أحمد: 80.

[5] ينظر: أبو عبد الله محمّد بن أحمد المقدسيّ: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، دت: 08–09.

[6] اللّغة "السّنسكريتيّة" " Sanskrite": هي لغة الهند القديمة، و"السّنسكريتيّة" تعني: "اللّغة المهذّبة" أو "التّامّة"، وهي الآن في "الهند" لغة الصّفوة والخاصّة منهم والعلماء، أمّا عامّة الشّعب فيتكلّمون لغة "البركريت" " Barkrit"، والثّابت أنّ "البيرونيّ" تكلّم اللّغتين (السّنسكريتيّة والسّريانيّة) في إجادة، بل وألّف بعض كتبه بهما. ينظر: الموسوعة الإسلاميّة للعلوم الاجتماعيّة: صلاح مصطفى الفوال: 168.

يتفحّصه ما أمكن؛ وبهذا استحقّ لقب "رائد الدِّراسات الهنديّة"، و"صاحب الفكر الموسوعيّ".

لقد درس "البيرونيّ" الخطّ الهنديّ والكتابة وقارن بين "السّنسكريتيّة" و"العربيّة" و"الفارسيّة"، ونقل المصطلحات الهنديّة إلى العربيّة بكلّ أمانة، وما قدّمه عن الهند ما يزال نافعًا في تاريخ الأديان ونظام المجتمع، على حدّ تعبير الهنود أنفسهم؛ لأنّ المعتقدات الدّينيّة في الهند هي أساس جميع النّظم الاجتماعيّة؛ فما في الهند من نظم اجتماعية ليس في الحقيقة إلاّ نظمًا دينيّة؛ لهذا بقي المجتمع الهنديّ بالنّسبة للمسلمين مجتمعًا صعب الاختراق وتفكيك رموزه المعقّدة.

ومع بروز نجم "البيرونيّ" في سماء العلم والمحاجّة وبقائه 40 عامًا في "الهند" _على نحو ما ذكره بعض المؤرّخين [1] _ زاد في عمر الدّولة الإسلاميّة في هذه القارّة، وأعطاها صورة مشرّفة عن التّسامح العقائديّ واللّسانيّ والثّقافيّ في منطقة تتّسم بأبعاد ثقافيّة خاصّة، وتركيبة لسانيّة مختلفة، ومجتمع لا يقبل إلاّ بالوثنيّة دينًا.

وعلى هذا الأساس اعتبر "البيرونيّ" أحسن سفير في العلاقات الثّقافيّة بين الهند والعالم الإسلاميّ، وهذا باعتراف المثقّفين الهنود أنفسهم؛ نظرًا لما يتميّز به من الدّقّة، والاتّجاه نحو الموضوعيّة في المعرفة والكتابة والنّظر. فلقد اعتمد في دراسته للمجتمع الهنديّ على مناهج نستطيع تقريبها من المناهج الحديثة في ميدان الأنتروبولوجيا والتّاريخ؛ ممّا يدلّ على روحه النّقديّة، دون تحيّز أو تعصّب بعيدًا عن الجدل، مع تقديم الوصف النّزيه، بكلّ التّفاصيل للثّقافات الهنديّة والحياة الاجتماعيّة والدّينيّة. وقد اعتبره "إدوارد سخاو" "Idward Sachau" [2] ناشر كتابه

---

[1] يذكر "قدري حافظ طوقان" في كتابه "تراث العرب العلميّ"، مكتبة مصر، 1956م أنّه مكث 40 عامًا في "الهند"، وعلى ما يبدو فقد بنى هذا على بيان "البيهقيّ" و"الشّهرزوريّ"، حيث قالا بأنّ "البيرونيّ" جال في "الهند" حوالي 40 عامًا.

[2] هو "كارل إدوارد سخاو" (1261هـ/ 1845م_ 1349هـ/ 1930م) مستشرق ألمانيّ، تعلّم العربيّة في بلاده، وعيّن عام 1869م أستاذًا للّغات السّامية في جامعة "فينا"، وفي عام 1876م، أستاذًا للّغات الشّرقيّة في "برلين"، ساح في "الشّام" و"العراق"، ونشر كتابًا

"تحقيق ما للهند" أنّه "أكبر عقليّة عرفها التّاريخ"، وكذلك "جورج سارتون" "George Sarton" الذي قال عنه أنّه "«أحد العلماء العظام في الإسلام!»".

وقد تجاوزت مصنّفاته 182 مؤلّفًا [1]، أشهرها كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" وكتاب "تحقيق ما للهند".

وبخصوص مضمون كتابه "تحقيق ما للهند" فلقد دوّن "البيرونيّ" معلوماته حول الهند في ثمانين بابًا، توجد فيها حقائق عن الدّيانة الهندوسيّة وفلسفتها وآدابها، مع ذكر جغرافيا الهند والهيئة، والعادات والتّقاليد والأعراف والقوانين، بالإضافة إلى فكرة تناسخ الأرواح، وفكرة الجزاء والعقاب، والجنة والنّار، والأصنام والعقائد الخالصة. كما ذكر علومًا هنديّة، بما فيها النّجوم والرّموز الكتابيّة والتّمائم والسّحر والشّعوذة، إلى جانب النّحو والعَروض[2].

ويحسن بنا أن نعرض أنموذجًا من الانفتاح الثّقافيّ والتّأثّر العلميّ نقله إلينا البيرونيّ في مجال الفنون اللّغويّة والأدبيّة:

حيث يشير إلى أنّ للهنود علمًا يسمّى جَنْدُ [jandu]، «وهو وِزَان الشّعر المقابل لعلم العروض[3]». كما يشير إلى أنّ للشّعر عند أهل الهند مكانة متميّزة بحيث «لا يستغنون عنه، فإنّ كُتُبَهم منظومة، وقصدهم فيها أن يسهل

بالألمانيّة عن رحلاته، وأنشأ المدرسة الشّرقيّة ببرلين. وممّا نشره بالعربيّة: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، "تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة"، كلاهما للبيرونيّ، وأربعة مجلدات من "طبقات ابن سعد"، وأكمله غيره، و"المعرّب من الكلام الأعجميّ للجواليقيّ".

[1]من أهمّ مؤلّفات "البيرونيّ": "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، "تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة"، "مقالة استخراج الأوتار في الدّائرة بخواصّ الخطّ المنحني فيها"، "الجماهر في معرفة الجواهر"، "الرّسائل المتفرّقة في الهيئة"، "الصّيدنة في الطّبّ"، "القانون المسعوديّ في الهيئة والنّجوم"، "كتاب في استيعاب الوجوه الممكنة في صناعة الاصطرلاب". "رسالة في فهرست كتب محمّد بن زكريّا الرّازي". "مقالة في النّسب التي بين الفلزات والجواهر في الحجم"، "غرّة الزّيجات"، "ترجمة كتاب بانتجل في الخلاص من الارتباك". "حكاية الآلة المسمّاة السّدس الفخريّ". "كتاب في إفراد المقال في أمر الظّلال"، "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن"، "تمهيد المستقرّ في تحقيق معنى الممرّ"، "التّفهيم لأوائل صناعة التّنجيم". ينظر :

:D.j Boilot : L ’œuvre d’al-Beronie, Essai bibliographique de l’institut Dominican d’études orientales, Le Caire, 1955 :169، 168، 158، 104، 98، 95، 73، 64، 63، 46، 45، 38، 15 .

[2]ينظر: أبو الرّيحان البيرونيّ: عليّ أحمد الشّحات، دار المعارف، مصر، دت: 85.

[3]تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة: أبو الرّيحان محمّد بن أحمد البيرونيّ (362–440هـ): ، ط 2، عالم الكتب، بيروت، 1983م/ 1403هـ: 96.

استظهارها، ولا يُرْجَع في العلوم إلى الكتاب إلاّ عن ضرورة؛ وذلك لأنّ النّفس توّاقة إلى كلّ ما له تناسب ونظام، ومشمئزّة ممّا لا نظام له، ومن أجل هذا ترى أكثر الهند يُهْتَرُون لمنظومهم، ويحرصون على قراءته وإن لم يعرفوا معناه، ويفرقعون أصابعهم فرحًا به واستجادة له، ولا يرغبون للمنثور وإن سهلت معرفته... وأوّل من استخرج هذه الصّناعة كان "بِنْكَلُ" [pinkalu] و"جَلْتُ" [jaltu]...[1]».

ويبدو كذلك أنّ تعلّق الهنود بالشّعر نابع من رغبة أكيدة وولع شديد، حتّى إنّ جميع كتبهم المقدّسة التي ذكرها "البيرونيّ" كتبت شعرًا وربّما من هذا الأساس كان دافع دراسة هذه الأوزان وتاريخها عند "البيرونيّ" مهمّا جدًّا.

ويذكر "البيرونيّ" بأنّ هؤلاء يصوّرون في تعديد الحروف شبه ما صوّره "الخليل بن أحمد الفراهيديّ"[2] والعروضيّون منّا للسّاكن والمتحرّك[3].

كما أنّهم جعلوا بنية الوزن مكوّنة من "لَكُ" [laku] وهو الخفيف والثّاني "كُرُ" [kuru] وهو الثّقيل، يقول "البيرونيّ": «لكنّ الأغلب على الظّنّ .. أنّ الأوّل متحرّك فقط، والثّاني مجموع متحرّك وساكن كالسّبب في عروضنا[4]».

كما أنّ البيت في الشّعر الهنديّ يتألّف من وحدات تسمّى "الأرجل"، يقول: «وكما أنّ أبيات العربيّة تنقسم لنصفين بعروض وضرب، فإنّ أبيات أولئك تنقسم

---

[1] المصدر نفسه، ص نفسها.

[2] هو أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ الأزديّ، ولد عام 100هـ. من أئمّة اللّغة والأدب، واضع علم العَروض، تتلمذ عليه "سيبويه" (ت180هـ). ولد بالبصرة وتوفّي بها عام 170هـ. تنظر ترجمته وأخباره في: الفهرست: أبو الفرج محمّد بن إسحاق النّديم (ت 438هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1978م/ 1398هـ: 43/1. سير أعلام النّبلاء: أبوعبد الله شمس الدّين محمّد بن أحمد الذّهبيّ (673–748هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، ومحمّد نعيم العرقسوسيّ، ط 9، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دت : 137/6. البداية والنّهاية: 111/10، 163. كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، حاجّي خليفة (1017–1067هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م/ 1412هـ: 537، 538، 1136، 1438، 1441، 1442، 1467. معجم المؤلّفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، دت: 112/4. الأعلام: 2/ 314.

[3] تحقيق ما للهند: 96.

[4] المصدر نفسه: 97.

لقسمين يسمّى كلّ واحد منهما "رجلا"، وهكذا يسمّيها اليونانيّون "أرجلاً" [1]».

ويضيف قائلاً: «وينقسم البيت لثلاث أرجل ولأربع وهو الأكثر[2]».

وأمّا عن بحورهم الشّعريّة فإنّ "البيرونيّ" ينقل لنا بأنّ «الهنود يحوز شعرهم وشعوبها وأقسامها أبحرًا كثيرة جدًّا[3]».

ويبدو من كلام "البيرونيّ" أنّه يلمّح إلى وجود آثار العروض الهنديّ في فكر "الخليل بن أحمد"، مع أنّ هذا في الواقع لا ينقص من عبقريّة "الخليل بن أحمد الفراهيديّ" _رحمة الله عليه_ شيئًا، ولا يحطّ من قدره. وهو رأي ربّما يكون قد اقتنع به بعض معاصريه، وهو في الحقيقة غير مستبعد؛ استنادًا إلى بعض الحقائق التّاريخيّة، نذكر منها:

1 _ إنّ "ابن النّديم" ذكر عدّة كتب هنديّة أدبيّة ترجمت إلى العربيّة منذ عصر مبكّر، مثل كتاب "أدب الهند والصّين" و"السّندباد الصّغير" وكتاب "السّندباد الكبير"، وكتاب "منطق الهند"[4].

2 _ إنّ الاحتكاك بين الهنود والعرب في هذا المجال لم يكن مقتصرًا على الجانب التّجاريّ أو العسكريّ فحسب، بل تعدّى ذلك إلى الاحتكاك العلميّ والمعرفيّ بمختلف أنماطه، حيث أتيح لكثير من العلماء _و"البيرونيّ" واحد منهم_ أن يتعرّفوا إلى الثّروة الفكريّة للهند، من آداب وفلسفة ومعرفة، واطّلعوا على كتبهم في الحكمة ومختلف العلوم.

ولقد اعترف القدامى والمحدثون بتقدّم الهند في هذه العلوم منذ القديم، من أمثال "أبي عثمان الجاحظ" (ت255هـ/ 868م)، الذي يقول في "البيان والتّبيين":

---

[1] _ المصدر نفسه: 100.

[2] المصدر نفسه: ص نفسها.

[3] المصدر نفسه: ص نفسها.

[4] لفهرست، تحت عنوان: أسماء كتب الهند في الخرافات والأسمار: 438.

«اشتهرت الهند بالحساب وعلوم النّجوم وأسرار الطبّ والنّحو والتّصاوير الكثيرة العجيبة[1]». وعلى هذا الأساس ترجمت المؤلّفات الهنديّة وغيرها إلى العربيّة.

كما أوردت بعض الرّوايات أن شاعرًا هنديًّا زار بلاط "يحيى بن خالد البرمكيّ"[2] وزير "المأمون"[3] وأنشد قصيدة في مدحه تعني إحدى أبياتها: «إنّه كلّما نتحدّث عن أسخياء العالم فلا بدّ أن نذكر اسمك أيضًا[4]».

ولا شكّ في أنّ هذا الاحتكاك العلميّ والأدبيّ قد يؤدّي بطريقة أو بأخرى إلى التّلاقح الثّقافيّ الذي لا يخلو في جميع صوره من التّأثير والتّأثّر!

3 _ ثمّ إنّ "الخليل بن أحمد" في "كتاب العين" نجده قد قسّم الحروف الهجائيّة إلى مجموعات صوتيّة، بدأها بالحروف الحلقيّة، وختمها بالحروف الشّفويّة. وهذا التّرتيب موافق من بعض الوجوه ترتيب حروف الهجاء في "السّنسكريتيّة" حسب "البيرونيّ"[5]. وإلى هذا الرّأي ذهب "جرجي زيدان"[6].

---

[1] البيان والتّبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150–255هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، مصر، دت: 2/ 166.

[2] هو أبو الفضل يحي بن خالد بن برمك. سيّد "بني برمك". ولد عام 120هـ، وهو مؤدِّب "هارون الرّشيد" ومعلّمه ومربّيه. وفاته عام 190هـ. أخباره كثيرة. ينظر: تاريخ مدينة السّلام، وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواردِيها: أبو بكرأحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، الخطيب (392–463هـ)، تح: بشّارعواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 2001م/ 1421هـ: 128/14. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان: أبو العبّاس أحمد بن محمّد، ابن خلّكان (608–681هـ)، تح: إحسان عباس، دار الثّقافة، بيروت، دت: 243/2. البداية والنّهاية: 204/10. كشف الظّنون: 1594. الأعلام: 144/8.

[3] هو أبو العبّاس عبد الله بن هارون الرّشيد بن محمّد المهديّ بن أبي جعفر المنصور، ولد عام 170هـ، سابع الخلفاء من بني العبّاس في العراق. نفذ أمره من "إفريقية" إلى أقصى "خراسان" وما وراء النّهر والسّند. وَلِيَ الخلافة بعد خلع أخيه "الأمين" (عام 198هـ). فتمّم ما بدأ به جدّه المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. وأخباره كثيرة، توفّي عام 218هـ. تنظر ترجمته وأخباره في: تاريخ الطّبريّ (تاريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (224–310هـ)، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1988م/ 1408هـ: 650/4–656، 5/42–71، 122–148، 161–206. الثّقات: أبو حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التّميميّ البستيّ (ت354هـ)، تح: السّيّد شرف الدّين أحمد، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1975م/1395هـ: 328/2. تاريخ بغداد: 183/10. معجم البلدان: أبو عبد الله شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الحمويّ (574–626هـ)، دار الفكر، بيروت، دت: 28/4، 44/5. سير أعلام النّبلاء: 364/9–390. نزهة الألباب في الألقاب: أبو الفضل أحمد بن عليّ، ابن حجر العسقلانيّ (773–852هـ)، تح: عبد العزيز بن محمّد بن صالح السّديديّ، ط 1، مكتبة الرّشيد، الرّياض، 1989م/ 1409هـ: 147/2. كشف الظّنون: 34/1، 905. الأعلام: 142/4.

[4] ينظر: "الجوانب الدّينيّة والاجتماعيّة للعلاقات الهنديّة والعربيّة": شيث محمّد إسماعيل الأعظمي، تر: فرحانة صدّيقي، ضمن مجلّة "ثقافة الهند"، المجلّد 52، فيفري، 2001م/ 1421هـ: 503–505.

[5] ينظر: تحقيق ما للهند: 95–106.

[6] تاريخ آداب اللّغة العربيّة: جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، مصر، دت: 122.

وبعد، فإنّ الجهد الكبير الذي بذله " أبو الرّيحان البيرونيّ" في كتابه "تحقيق ما للهند" فيما يتعلّق بالحياة الثّقافيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والفكريّة والفلسفيّة والاقتصاديّة كان نتيجة للفترة التي قضّاها في الهند عالمًا ومتعلّمًا وباحثًا عن الحقّ والحقائق لمدّة 13 عامًا، حيث تعلّم السّنسكريتيّة، وقام بتلخيص ونقل كتب عديدة إلى العربيّة، وتجوّل بالبنجاب وحدود كشمير؛ قال الطبيب غلام جيلانيّ في تاريخ الأطبّاء باللّغة الأرديّة: أن «البيرونيّ غيّر ملابسه متنكّرًا بأحد معابد أجمير الهندوسيّة، ومكث لمدّة طويلة متعلّمًا وباحثًا عن الحقّ والحقائق، حتّى تمكّن من جمع المعلومات لتأليف كتاب الهند والهنود».

ويؤكّد لنا هذا الكلام البيرونيّ نفسه، وهو يجول في الهند بقوله: «إنّي كنت أقف بين منجّميهم مقام التّلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم، وقصوري عمّا هم فيه من مواضعاتهم. فلمّا اهتديت قليلاً لها أخذت أوقفهم على العلل، وأشير إلى شيء من البراهين...».

وفي موقع آخر يقول: «ولقد أعيتني المداخل فيه _أي الكتاب_ مع حرصي الذي تفرّدت به في أيّامي وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المضانّ، واستحضار من يهتدي لها من المكامن ومن لغيري».

إنّ هذا الجهد العلميّ ينمّ عن حوار ثقافيّ وتعايش علميّ راق، قد كشف لنا عن المدى الذي بلغه هذا الحوار بين العرب وغيرهم عمومًا، والهند على وجه الخصوص.

كما أنّه يكشف لنا عن الدّور الذي أدّته التّراكمات المعرفيّة المتنوّعة في تشييد الحضارة الإنسانيّة الشّاملة [1]، والمحافظة على الكيانات اللّغويّة والثّقافيّة [2]،

---

[1] ينظر في هذا الصّدد ما يتعلّق بالتّعايش الثّقافيّ في: الصّراع الحضاريّ في العالم الإسلاميّ (مدخل تحليليّ في فلسفة الحضارة عند مالك ابن نبي): شايف عكاشة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1988م/ 1408هـ: 73 وما بعدها.

[2] نظر: قلق الغرب، قراءة نقديّة لنظريّة صدام الحضارات:غالب كجك، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان،2005م/1425هـ: 51.

وإزاحة جميع العوائق اللّسانيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة الفاصلة التي قد تعرقل سيرورات العلوم التي تنفع البشريّة.

دون أن نغفل القول بأنّ "البيرونيّ" كان مجسّدًا من الطّراز الأوّل لحوار الحضارات والانفتاح الثّقافيّ و التّسامح اللّسانيّ، فلقد نقل لنا بكلّ أمانة ونزاهة وصدق ثقافة الهند، ورصد كلّ شؤون حياتها الاجتماعيّة والفكريّة والثّقافيّة والاقتصاديّة والدّينيّة والعمرانيّة والرّياضيّة والجغرافيّة، على اعتبار أنّ مصطلح "الحضارة" و"الثّقافة" شاملان لكلّ مظاهر الحياة من جهة. ومن جهة أخرى فإنّ الحوار الثّقافيّ والتّعدّد اللّسانيّ بهذا المعنى عمل من أجل فهم أعمق ومتطوّر لهويّة كلّ ثقافة، قصد إبعاد سوء الفهم المولّد للكراهيّة والعداوة، التي يكون مصدرها في كثير من الأحيان الجهل بالآخر.

[1] ـ سورة الرّوم، من الآية: 22.

[1] ـ تحفة الأحوذيّ بشرح جامع التّرمذيّ (209–279هـ): عبد الرّحمن عبد الرّحيم المباركفوريّ (1283–1353هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1990م/ 1410هـ: 7/ 19.

[1] ـ المصدر نفسه: ص نفسها.

[1] ـ المصدر نفسه: 7/ 19.

[1] ـ ينظر: حركة النّقل والتّرجمة حتّى العصر العبّاسيّ: منجية منسية، ضمن: "التّرجمة ونظريّاتها: مجموعة من الأساتذة، بيت الحكمة، تونس، 1989م/ 1409هـ: 145 وما بعدها.

[1] ـ الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150–255هـ)، تح وش: عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، دت: 1/ 75.

[1] ـ "تعريب العلوم ووضع المصطلحات": خضر بن عليان القرشيّ، ضمن مجلّة اللّسان العربيّ، مكتب تنسيق التّعريب، الرّباط، ع19: 142.

[1] ـ ينظر: زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانيّة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، ط10، دار صادر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 2002م/ 1423هـ.

[1] ـ "من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلميّ ووضعه وتقييسه في اللّغة العربيّة": إبراهيم بن مراد: ضمن: كتاب "الثّقافة بوصفها تعبيرًا"، إعداد: مجموعة من الأساتذة، مطبوعات "م ع ت ث ع"، تونس، 1992م/ 1412هـ: 101.

[1] ـ من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلميّ: إبراهيم بن مراد: 103.

[1] ـ "اللّغة العربيّة في مواكبة الفكر العلميّ"، محمّد سويسي ، ضمن: كتاب "من قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة"، إعداد: مجموعة من الأساتذة، تونس، مطبعة "م ع ت ث ع"، 1990م/ 1410هـ: 147.

[1] ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جنّيّ، تح: محمّد عليّ النّجّار، دار الهدى للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، دت: 1/ 12.

[1] ـ "عالميّة اللّغة العربيّة": محمّد مصطفى بن الحاج، ضمن: كتاب "من قضايا اللّغة العربيّة"، إعداد: مجموعة من الأساتذة، مطبوعات "م ع ت ث ع"، تونس، 1990م/ 1410هـ: 308.

[1] ـ ينظر: مجلّة "البيان"، ع 271، أكتوبر 1988م/ 1408هـ: 78.

[1] ـ ينظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال ا"لدّين محمّد بن مُكَرَّم، ابن منظور (630–711هـ)، تن وتع: عليّ شيري، ط1، داراإحياء التّراث العربيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1988م/ 1408هـ.

[1] ـ القاموس المحيط: محمّد بن يعقوب أبو طاهر مجدّ الدّين الفيروزآباديّ (1329–1415م)، ط 1، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، دت: مادّة (سمح).

[1] ـ التّعريفات: عليّ بن محمّد بن عليّ الحسينيّ الجرجانيّ الحنفيّ (ت 816هـ)، تح وتع: نصر الدين تونسي، ط 1، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2009م/ 1430هـ.

[1] ـ معجم في القانون الدولي المعاصر: عمر سعد الله، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005م/ 1425هـ: 115.

[1] ـ ينظر: التّسامح والتّعصّب في فكر رواد عصر النّهضة، 2004م/ 1424هـ: 15.

[1] ـ تراجع: دائرة المعارف البريطانيّة. وينظر: نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين: حسن بن محمد سفر، (د. معلومات): 6.

[1] ـ ينظر: دستور التّسامح في الإسلام: المكّيّ النّاصرّي، (د. معلومات): 60.

[1] ـ حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني: عمار جيدل، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م/ 1413هـ: 52.

[1] ـ سورة فاطر، من الآية: 24.

[1] ـ سورة الشعراء، الآية: 196.

[1] ـ الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الظّاهريّ (384–456هـ)، مطبعة الإمام بمصر، دت: 1/ 32.

[1] ـ "صياغة المصطلح وأسسها النّظريّة" : عبد السّلام المسدّي، ضمن: كتاب "تأسيس القضيّة الاصطلاحيّة"، إعداد: مجموعة من الباحثين الجامعيّين، المؤسّسة الوطنيّة للتّرجمة والتّحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، تونس، 1989م/ 1409هـ: 17.

[1] ـ حوار الحضارات: عمار جيدل: 51.

[1] ـ مجلّة المؤرّخ العربيّ: تعداد العراق، ط3، ع4، 1980م/ 1400هـ: 297.

[1] ـ "سبكتكين" هو مؤسِّس "الدّولة الغزنويّة" عامًا 366هـ، بعد موت سيّده "أبي إسحاق إبراهيم ابن البتكين" الذي كان "سبكتكين" مملوكًا عنده، حين كان قائدًا عامًّا على "خراسان" في عهد "السّامانيّين". وعندما توفّي "عبد الملك الأوّل ابن نوح" (343–350هـ) انتقل "البتكين" ومعه "سبستكين" إلى "غزنة" وأعلن ملكه عليها. ولمّا توفّي "البتكين" ظلّ "سبستكين" مخلصًا لأبي إسحاق إبراهيم الذي عاجلته المنيّة، وآنذاك اتّفق جيشه على تولية "سبستكين" عام 366هـ، وأكّدوا له طاعتهم وانصياعهم فأحسن السّياسة والسّيرة فيهم، وبدأ يفتح المناطق معتبرًا نفسه جنديًّا كباقي الجنود، حتّى وافته المنيّة في شعبان عامًا 387هـ، بعد عشرين عامًا من الحكم ليخلفه ابنه "محمود". ينظر: تاريخ أبي نصرالعتبيّ، القاهرة، 1386هـ: 1/ 55–57، وقد نقل عنه "ابن الأثير" في: الكامل في التّاريخ، مراجعة وتصحيح: يوسف دقاق، ط 3، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1998م/ 1418هـ: ج7، و"ابن كثير في: البداية والنّهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير(701–774هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، 1994م/ 1414هـ: ج1، وقد نقل عن "العتبيّ" حرفيًّا. وكتاب نظام الملك الطّوسيّ: سير الملوك أو سياسة نامة، تر: يوسف بكار، دار المناهل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2007م/ 1428هـ.

[1] ـ تنظر ترجمته وأخباره في: إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: لسان الدّين ابن الخطيب (ت 776هـ): تقديم وتحقيق: لعبيدي بوعبدالله،

دار الأمل للدّراسات والنّشر، الجزائر، 2011م/ 1431هـ: 321/3 وما بعدها. واسم "غزنة" الصّحيح عند العلماء _كما يرى ذلك ياقوت الحمويّ_ هو "غزنين"، وعند العامّة: "غزنة"، كانت مدينة عظيمة، وولاية واسعة في طرف "خراسان"، وحدًّا بينها وبين "الهند"، ظلّت مقام بني السّلطان "محمود الغزنويّ" إلى أن انقرضوا. ينظر: المنجد في اللّغة والأعلام، ط35، دار المشرق، بيروت 1996م/ 1416هـ: 506.

[1] _ تنظر مثلاً: سيرة السّلطان جلال الدّين منكيرتي: 51، 204–208، نقلا عن كتاب: الزّمخشريّ: أحمد محمّد الحونيّ، ط 1، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 1966م: 16.

[1] _ ينظر: الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجريّ: آدم متز، تر: محمّد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، 1999م/ 1419هـ: 319.

[1] _ هو محمّد بن يحيى أبو الوفاء البوزجانيّ: من كبار الرّياضيّين في القرن 4هـ، وهو أستاذ "أبي نصر بن عراق"، انتقل من "نيسابور" إلى العراق عام 348هـ، وقام بالتّدريس، وصنّف كتبًا كثيرة في العلوم العدديّة والحسابيّة، وله كتاب "المجسطي"، وفسّر كتاب "ديو فنطوس" في الجبر والمقابلة. توفّي عام 388هـ. ينظر ابن العبريّ: تاريخ مختصر الدّول، بيروت، دت: 181.

[1] _ الأدب الفارسيّ: عليّ الشّابّيّ، دار النّشر، تونس، 1965م: 264.

[1] _ الموسوعة الإسلاميّة للعلوم الاجتماعيّة: صلاح مصطفى الفوّال: "المدخل إلى علم الاجتماع الإسلاميّ، دار غريب، القاهرة، 2000م/ 1420هـ: 165.

[1] _ أبو الرّيحان أعظم عقليّة عرفها التّاريخ: رحاب مكّاويّ، دار الفكر العربيّ، بيروت، 1998م/ 1428هـ: 35.

[1] _ ينظر: الموسوعة الإسلاميّة للعلوم الاجتماعيّة: صلاح مصطفى الفوّال: 166.

[1] ـ تنظر ترجمته وأخباره في: الرّحّالة المسلمون في العصور الوسطى: زكي محمّد حسن، دار الرّائد العربيّ، بيروت، دت: 23. وما بعدها.

[1] ـ تنظر ترجمته وأخباره في: يتيمة الدّهر: أبو منصور الثّعالبيّ (350–429هـ)، مطبعة الصّاوي، القاهرة، 1934م/ 1353هـ: 3/ 321. الأعلام: خير الدّين بن محمود الزّركليّ (1310–1396هـ): ، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م/ 1412هـ: 2/ 341. الرّحلة والرّحّالة المسلمون: أحمد رمضان أحمد: 80.

[1] ـ ينظر: الرّحّالة المسلمون في العصور الوسطى: زكيّ محمّد حسن: 36.

[1] ـ تنظر ترجمته في: الرّحلة والرّحّالة المسلمون: أحمد رمضان أحمد: 80.

[1] ـ ينظر: أبو عبد الله محمّد بن أحمد المقدسيّ: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، دت: 08–09.

[1] ـ اللّغة "السّنسكريتيّة" " Sanskrite": هي لغة الهند القديمة، و"السّنسكريتيّة" تعني: "اللّغة المهذّبة" أو "التّامّة"، وهي الآن في "الهند" لغة الصّفوة والخاصّة منهم والعلماء، أمّا عامّة الشّعب فيتكلّمون لغة "البركريت" " Barkrit"، والثّابت أنّ "البيرونيّ" تكلّم اللّغتين (السّنسكريتيّة والسّريانيّة) في إجادة، بل وألّف بعض كتبه بهما. ينظر: الموسوعة الإسلاميّة للعلوم الاجتماعيّة: صلاح مصطفى الفوال: 168.

[1] ـ يذكر "قدري حافظ طوقان" في كتابه "تراث العرب العلميّ"، مكتبة مصر، 1956م أنّه مكث 40 عامًا في "الهند"، وعلى ما يبدو فقد بنى هذا على بيان "البيهقيّ" و"الشّهرزوريّ"، حيث قالا بأنّ "البيرونيّ" جال في "الهند" حوالي 40 عامًا.

[1] ـ هو "كارل إدوارد سخاو" (1261هـ/ 1845م_ 1349هـ/ 1930م) مستشرق ألمانيّ، تعلّم العربيّة في بلاده، وعيّن عام 1869م أستاذًا للّغات السّامية في جامعة "فينا"، وفي عام 1876م، أستاذًا للّغات الشّرقيّة في "برلين"، ساح في

"الشّام" و"العراق"، ونشر كتابًا بالألمانيّة عن رحلاته، وأنشأ المدرسة الشّرقيّة ببرلين. وممّا نشره بالعربيّة: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، "تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة"، كلاهما للبيرونيّ، وأربعة مجلدات من "طبقات ابن سعد"، وأكمله غيره، و"المعرّب من الكلام الأعجميّ للجواليقيّ".[1]

ـ من أهمّ مؤلّفات "البيرونيّ":

"الآثار الباقية عن القرون الخالية"، "تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذِّهن أو مرذولة"، "مقالة استخراج الأوتار في الدّائرة بخواصّ الخطّ المنحني فيها"، "الجماهر في معرفة الجواهر"، "الرّسائل المتفرّقة في الهيئة"، "الصّيدنة في الطّبّ"، "القانون المسعوديّ في الهيئة والنّجوم"، "كتاب في استيعاب الوجوه الممكنة في صناعة الاصطرلاب". "رسالة في فهرست كتب محمّد بن زكريّا الرّازي". "مقالة في النّسب التي بين الفلزات والجواهر في الحجم"، "غرّة الزّيجات"، "ترجمة كتاب بانتجل في الخلاص من الارتباك". "حكاية الآلة المسمّاة السّدس الفخريّ". "كتاب في إفراد المقال في أمر الظّلال"، "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن"، "تمهيد المستقرّ في تحقيق معنى الممرّ"، "التّفهيم لأوائل صناعة التّنجيم". ينظر:

D.j Boilot : L ’œuvre d’al-Beronie, Essai bibliographique de : l’institut Dominican d’études orientales, Le Caire, 1955 : 15، 38، 45، 46، 63، 64، 73، 95، 98، 104، 158، 168، 169.

[1] ـ ينظر: أبو الرّيحان البيرونيّ: عليّ أحمد الشّحات، دار المعارف، مصر، دت: 85.

[1] ـ تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في الذّهن أو مرذولة: أبو الرّيحان محمّد بن أحمد البيرونيّ (362–440هـ): ، ط 2، عالم الكتب، بيروت، 1983م/ 1403هـ: 96.

[1] ـ المصدر نفسه، ص نفسها.

[1] ـ هو أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ الأزديّ، ولد عام 100هـ. من أئمّة اللّغة والأدب، واضع علم العَروض، تتلمذ عليه "سيبويه" (ت180هـ). ولد بالبصرة وتوفّي بها عام 170هـ. تنظر ترجمته وأخباره في: الفهرست: أبو الفرج محمّد بن إسحاق النّديم (ت 438هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1978م/ 1398هـ: 43/1. سير أعلام النّبلاء: أبوعبد الله شمس الدّين محمّد بن أحمد الذّهبيّ (673–748هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، ومحمّد نعيم العرقسوسيّ، ط 9، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دت: 137/6. البداية والنّهاية: 111/10، 163. كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، حاجّي خليفة (1017–1067هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م/ 1412هـ: 537، 538، 1136، 1438، 1441، 1442، 1467. معجم المؤلّفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، دت: 112/4. الأعلام: 2/ 314.

[1] ـ تحقيق ما للهند: 96.

[1] ـ المصدر نفسه: 97.

[1] ـ المصدر نفسه: 100.

[1] ـ المصدر نفسه: ص نفسها.

[1] ـ المصدر نفسه: ص نفسها.

[1] ـ الفهرست، تحت عنوان: أسماء كتب الهند في الخرافات والأسمار: 438.

[1] ـ البيان والتّبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150–255هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، مصر، دت: 2/ 166.

[1] ـ هو أبو الفضل يحي بن خالد بن برمك. سيّد "بني برمك". ولد عام 120هـ، وهو مؤدِّب "هارون الرّشيد" ومعلّمه ومربّيه. وفاته عام 190هـ. أخباره كثيرة. ينظر: تاريخ مدينة السّلام، وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها

وواردیها: أبو بكرأحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، الخطيب (392–463هـ)، تح: بشّارعواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 2001م/ 1421هـ: 128/14. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان: أبو العبّاس أحمد بن محمّد، ابن خلّكان (608–681هـ)، تح: إحسان عباس، دار الثّقافة، بيروت، دت: 243/2. البداية والنّهاية: 204/10. كشف الظّنون: 1594. الأعلام: 144/8.

[1] ـ هو أبو العبّاس عبد الله بن هارون الرّشيد بن محمّد المهديّ بن أبي جعفر المنصور، ولد عام 170هـ، سابع الخلفاء من بني العبّاس في العراق. نفذ أمره من "إفريقية" إلى أقصى "خراسان" وما وراء النّهر والسّند. وَلِيَ الخلافة بعد خلع أخيه "الأمين" (عام 198هـ). فتمّم ما بدأ به جدّه المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. وأخباره كثيرة، توفّي عام 218هـ. تنظر ترجمته وأخباره في: تاريخ الطّبريّ (تاريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (224–310هـ)، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1988م/ 1408هـ: 650/4–656، 42/5–71، 122–148، 161–206. الثّقات: أبو حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التّميميّ البستيّ (ت354هـ)، تح: السّيّد شرف الدّين أحمد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1975م/1395هـ: 328/2. تاريخ بغداد: 183/10. معجم البلدان: أبو عبد الله شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الحمويّ (574–626هـ)، دار الفكر، بيروت، دت: 28/4، 44/5. سير أعلام النّبلاء: 364/9–390. نزهة الألباب في الألقاب: أبو الفضل أحمد بن عليّ، ابن حجر العسقلانيّ (773–852هـ)، تح: عبد العزيز بن محمّد بن صالح السّديديّ، ط 1، مكتبة الرّشيد، الرّياض، 1989م/ 1409هـ: 147/2. كشف الظّنون: 34/1، 905. الأعلام: 142/4.

[1] ـ ينظر: "الجوانب الدّينيّة والاجتماعيّة للعلاقات الهنديّة والعربيّة": شيث محمّد إسماعيل الأعظمي، تر: فرحانة صدّيقي، ضمن مجلّة "ثقافة الهند"، المجلّد 52، فيفري، 2001م/ 1421هـ: 503–505.

[1] ـ ينظر: تحقيق ما للهند: 95–106.

[1] ـ تاريخ آداب اللّغة العربيّة: جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، مصر، دت: 122.

[1] ـ ينظر في هذا الصّدد ما يتعلّق بالتّعايش الثّقافيّ في: الصّراع الحضاريّ في العالم الإسلاميّ (مدخل تحليليّ في فلسفة الحضارة عند مالك ابن نبي): شايف عكاشة، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1988م/ 1408هـ: 73 وما بعدها.

[1] ـ ينظر: قلق الغرب، قراءة نقديّة لنظريّة صدام الحضارات: غالب كجك، ط 1، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2005م/ 1425هـ: 51.

تجارب ناجحة لبلدان ذات تعدّد لغوي

(عبد الجليل مرتاض. جامعة تلمسان)

بين التصور الاجتماعي واللساني للغة

لا نريد هنا أن نخوض في هذا الموضوع خوضاً بعيداً قد يُخْرِج ما نحن بصدده عن طوره وهدفه، ولذلك ارتأينا أن نشير مبدئياً إلى التصور الاجتماعي للغة بين بعض علماء اللسان، فاللساني الفرنسي أنطوان مايي حدّد اللغة في نصوص عديدة له بأنها تمثّل الطابع الاجتماعي أي ظاهرة اجتماعية، ولا يخفى هنا ما لإميل دوركايم من تأثير على مايي، لأن دوركايم صرّح بأن اللغة توجد مستقلة عن كل ناطق من ناطقيها، ويعني بذلك أن اللغة مؤسسة عمومية لا

خصوصية أي مقترحة بالزمر الاجتماعية التي تتكلمها، ومن البداهة أن هذا التصور الاجتماعي للغة ليس تصوُّراً وهمياً ولا جدلياً، وإلا كان عدد اللغات يساوي عدد المتكلمين.

وحين اطَّلع مايي على كتاب دي سوسور مباشرة بعد صدوره قدّم حوله عرضاً في نشرة الجمعية اللسانية، ذكر فيه أن سوسير فصل التغيّر اللغوي عن كل عامل أو مؤثّر خارجي، وهو – أي دي سوسير– يكون بذلك قد جرّد التغير اللغوي من واقعه المعيش أو ملابساته التي قد تعتمل فيه اعتمالاً، وموقف هذا اللساني الفذّ بالنسبة لمايي غير قابل للتفسير، ويعزّز مَوْقِفَ دي سوسير، من كون اللغة مستقلة عن ظروف المجتمع الخارجية، جملةُ كتابه الأخيرة التي لا تَعْزُب عن أيّ لساني حديث.

وبمقارنة بسيطة، عندما "يضع سوسير اللسانيات الدخيلة في مقابل اللسانيات الخارجية، فإن مايي يجمعهما، وحين يميز سوسير بين المقاربة الآنية والمقاربة الزمانية، فإن مايي يسعى إلى تفسير البنية بواسطة التاريخ،... ففي حين يسعى سوسير إلى صياغة نموذج مجرد من اللغة، نجد مايي تتنازعه الظاهرة الاجتماعية والنظام حيث يشد بعضه البعض الآخر، فبالنسبة إليه، لا يمكننا فهم الظواهر اللغوية دون الإحالة على الاجتماعي، ومن دون الإحالة على الزمانية والتاريخ"[1].

ولن يقف أنطوان مايي عند هذا الحد وحسب، بل سوف يستنتج من اعتباره اللغة ظاهرة اجتماعية أن اللسانيات نفسها علم اجتماعي بدعوى أن العامل الوحيد الذي يدلّنا عن أي تغيُّر لغوي إنما هو التغير الاجتماعي، وهو بهذه الرؤية التي أصبحت بعد عقود رؤية كلاسيكية تقليدية لا يؤمن بوجود بنية داخلية في اللغة لا صلة لها بمن يتكلمها، ومن ثم فإن اللغة ليست بنية مستقلة عن التاريخ، مادام أنه يربط بينهما ارتباط الدالّ بمدلوله خلافاً لدي سوسير الذي لا ينكر الأمرين (البنية

[1] علم الاجتماع اللغوي، ص: 12. لويس جان كالفي، ترجمة: محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، 2006.

والتاريخ)، ولكنه وُفِّق إلى حدّ لا يصحبه غموض كبير في التمييز بينهما، بمعنى أن مسعى مايي كان عبارة عن برنامج، في حين أنّ مسعى دي سوسير كان مسعى اصطلاحياً، وهو الذي اشتكى في مدخل كتابه "يجب الملاحظة هنا أنّنا عرّفنا أشياء لا كلمات، هذا وليس لثبوت التمييز من أن يُخشى بعض المصطلحات الغامضة التي لا تتطابق بين لغة وأخرى،... إنه ليس هناك من كلمة تتطابق تماماً ولا كلياً مع أحد المفاهيم التي ألمحنا إليها سابقاً، وهكذا فإن كل تعريف لكلمة باطل، كما أن المنهج الذي ينطلق من الكلمات لتحديد الأشياء لهو خاطئ"[1].

احتكاك لغوي أم احتكاك تجمُّعي؟

يوجد على سطح معمورتنا ما يربو على خمسة آلاف لغة متباينة في نحو مائة وخمسين بلداً مختلفة هوياته وجنسياته وسياساته اللغوية، غير أن حساباً بسيطاً "يبيّن لنا بأنه من الوجهة النظرية هناك ثلاثون لغة تقريباً لكل بلد، ولئن كان الواقع ليس تماماً على هذا النحو [2]... فإن العلم مع ذلك يظل متعدد اللغات في كل الأمصار، وأن (لجماعات) اللغوية تتعايش وتتناضد باستمرار، وهذا التعدد اللغوي يجعل اللغات دائماً في احتكاك، وقد يكون هذا الاحتكاك على مستوى الفرد (المزدوج اللغة أو الذي هو في طور اكتساب الازدواجية) أو الجماعة"[3].

والواقع أننا نفضل مصطلح "الاحتكاك التجمعي" على مصطلح "الاحتكاك اللغوي"، لأن تخالط التجمعات نتيجة لملابسات وظروف إرادية أو قسرية هو الذي يقود حتماً إلى تعدّد لساني ينتج عن تهجين ينمّ عن الافتقار بمعرفة تجمُّعٍ لغة التجمّع الآخر، لأن الاحتكاك اللغوي لا معنى له دون مساواة التجمعات من واردة ومُستَقْبِلة سيادة أو حضارة أو هما معاً، فاحتكاك اللغة العربية بغيرها من اللغة

---

[1] محاضرات في الألسنية العامة، ص: 25 – 26. دي سوسير. ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة بيروت، 1984.

[2] بعض البلدان تتوفر على عدد قليل من اللغات وبلدان أخرى تحتوي على عدد أكبر منها.

[3] علم الاجتماع اللغوي، ص: 27. لويس جان كالفي.

المفتوحة، لئن أفقدها سيادتها السياسية التي سادت ردحاً من الزمن، لم يفقدها ثقافتها الراسخة العريقة.

لا يوجد احتكاك لغوي متوازن

لا يجوز لنا القول بوجود احتكاك لغوي على قدم المساواة بين لغات ولهجات العمال المغاربيين بالفرنسية، لأن الفرنسية لم تتأثر سلباً من جرّاء هذه الموجات البشرية، لكن الذي حدث ظهور لغة ثالثة مزيج في تداخلاتها الصوتية والتركيبية والإفرادية، وشيئاً فشيئاً أصبحت هذه اللغة معرَّبة أو مُمَزَّغةً أو مُشَلْحنةً أو مُرَيَّفة، وأصبح المغترب المغاربي لا يجد حرجاً في تسمية " La pelle (المِسْحاة)" بـ"البالَة" و" La pioche (الفأس)" بـ"لَيْبُوش"، و" La machine" بـ"الماشينة"، (وربما أطلقوا "الماشينة" على القطار، لأنهم يقولون "طريق الماشينة" قاصدين بذلك "السكة الحديدية"، ويسمّون العامل "الزّوفْرِي" من الجمع الفرنسي "les ouvriers" ، ويسمّون صراحة أي حافلة نقل "الكَارْ le car"، ويَدْعُون أي ماعون أو آنية لادِّخار وُجبات غدائهم صراحة أيضاً "المرميطة la marmite"،... وسائر الأدوات أو الآلات التقليدية التي يتعاملون بها في ورشاتهم ومواقع عملهم لا يَلْفِظُونَهَا إلا بفرنسية مهجنة صوتياً وإفرادياً، وغدوا يقحمونها آلياً في تراكيبهم المعتادة في بلدانهم لكن بتطعيمات لغوية فرنسية مشوّهة.

الاحتكاكات اللغوية غير جديدة

والاحتكاك اللغوي ليس حدثاً لغوياً جديداً، فاللغة العربية بعد مجيء الإسلام – خاصة– احتكت "بأمهات اللغات القديمة وتأثرت بها، ومن بين هذه اللغات: الفارسية واليونانية، والنبطية والآرامية، والعبرية، والحبشية، والهندية، ومن ثَمَّ نعرف السبب الأساسي في أننا نجد في اللغة العربية كلمات أو أصولاً لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات، حتى لقد قيل: إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة على الفارسية، وإن معظم الألفاظ

المتصلّة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية، وإن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشؤون الزراعة منقول عن النَّبَطِية، وإن كل ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية، وإن ما يدل على التوابل والأفاويه والعقاقير والأطياب والأحجار الكريمة فأصله في الغالب سنسكريتي أو هندي"[1]، وحين يقف المرء على "الإتقان في علوم القرآن" و"المزهر" للسيوطي، و"الأصل والبيان في معرب القرآن" لحمزة فتح الله وغيرها من المراجع الموثوقة، يقف على استعمال القرآن كثيراً من هذه الكلمات من أصل غير عربي، ومع ذلك لم يُقْدَحْ في أنه أُنْزِلَ بلسان عربي مبين.

الاحتكاك اللغوي لا يعدو المستوى القاموسي

غير أنه ينبغي ألا تَجْرفنا الإشارة السابقة حتى لا نميز بين المواقع التي يقع فيها الاحتكاك اللغوي وتلك التي لا تقبله، إذ الاحتكاك اللغو بين اللغات ينبري في المستوى القاموسي ولا يتعداه، وهذه الحصانة اللسانية الداخلية في كل لغة أياً كان عدد الناطقين بها ضمن تجمعات سكانية، هي التي تطيل، بل تديم التعدد اللساني على مستوى بلد واحد حتى ولو كانت مشاربه كلها متجانسة مثل الدين، والهوية، والوطن، حتى كأن اللغة –فعلاً– بنية مستقلة عن الناطقين بها، وإلا لما قُيِّض لها أن تصمد أمام بنيات لغوية أخرى أكثر رعاية وحظاً من الثقافة وسعة الانتشار والاستعمال، وبعبارة أخرى قواعد كل لغة تمثّل صِمَام الأمان لدوامها وتفرّدها خلافاً لمفرداتها، بمعنى أن عالم المداليل عوالم مشتركة بين كل اللغات بعكس عالم القواعد الذي هو عالم متفرّد ومستقل خاص بكل لغة على حدة، وحتى اللغات التي تنبثق من صلب واحد تأبى إلا أن يستقلّ كل منها ببنية قواعدية تميّزها عن سائر أخواتها.

كيف تحدث لغة ناقلة؟

[1] حامد عبد القادر، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء: 3، المجلد: 35، دمشق، سنة 1960، ص: 369.

مهما كَثُر أو قلَّ التعدد اللساني على مستوى بلد واحد أو أكثر، فإن البنية الداخلية لكل لسان لا تقبل المساومة، إلا إذا تباينت كل لغة عن مسقطها مما يضطر أصحاب اللغات التنازل لبعضهم بعضاً من أجل التواصل بلغة ناقلة أو تقريبية مثلما حدث في موانئ البحر الأبيض المتوسط إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث سادت لغة هجين عرفت بـ" Lingua franca"، وهي "شكل لغوي قاعدته اللغة الإيطالية مع مفردات مقترضة من لغات المحيط المتوسطي الأخرى، وقد ابتعث موليير في مسرحيته le bourgeois gentilhomme (الثري النبيل) مقطعاً من هذه اللغة الهجين" [1]، لأن هذا التجمع المتوسطي لم يكن يتوفر على لغة واحدة مشتركة، لكن هذا النوع من اللغات تقتصر على قواعد سانتكسية ومورفولوجية بسيطة جداً لا تتجاوز الوظيفة التواصلية التجارية غالباً، والشيء نفسه حصل في البيدجان le pidgin (لغة هجين) التي نمت وترعرعت في العلاقات التجارية بين الإنجليز والصينيين على امتداد سواحل، بحر الصين" [2] مقترضة مفرداتها من الإنجليزية وتراكيبها من الصينية.

معالم التعدد اللساني

وبما أننا نتحدث عن تجارب الشعوب في التعدد اللساني السلمي الذي يقيها من كل صراع بيزنطي هي في غنى عنه، أو لأنه سبق لبعضها أن ذاقت منه الأمرَّين، وآل بها في نهاية الأمر إلى ركن مسدود، فإننا نورد هنا، ستة معالم للتعدد اللساني الذي لا تكاد، فيما نعلم، دولة قديمة أو حديثة تخلو منه، بل ما دَمَقْرَطَتْ وتقدمت هذه الدول في تنميتها الشاملة وبلغت شأواً بعيداً في تطورها وتنوّرها، إلا بنبذ أي صراع لغوي محلّي، والاشرئباب إلى استشرافات مستقبلية تتوقّعها، فتحتاط لما يثبّط عزيمتها وتنميتها، وتهيّئ ما يُسْعد غدها ومسيرتها.

---

[1] علم الاجتماع اللغوي، ص: 31. لويس جان كالفي.

[2] المرجع نفسه، ص: 32.

وتبرز هذه المعالم الستة فيما يلي[1]:

1) المعلم الأول؛ يوجد في اليابان وكوريا وفيتنام، ويتجلّى في سيادة لغة واحدة، وهذه الدول استبعدت من شبكتها اللغوية التواصلية نطقاً وكتابة كلَّ ما ترسَّب سابقاً من بقايا لسانية استعمارية.

2) المعلم الثاني؛ ويبرز في وجود لغة واحدة تسود دولاً متجاورة، وهذا المعلم يكمن في دول أمريكية اللاتينية الناطقة باللغة الإسبانية،والشيء نفسه ينسحب على الدول العربية من المحيط إلى الخليج، لأنه حتى الفئات التي تتكلم لغات ولهجات محلية هنا وهناك مندمجة في الإطار التواصلي العامّ باللغة العربية.

3) المعلم الثالث، وهو ملحوظ في دولة واحدة تُمَارَس فيها لغات عديدة على أن أن تسود هذه اللغات مجتمعةً لغةٌ رسمية واحدة للدولة، ففي تنجانيقا "يوجد عدد لا حصر له من اللغات تستخدمه الشعوب المنتمية إلى تلك الدولة، وحيث يكاد نصف أهالي الدولة يتكلمون اللغة السواحلية، هذه اللغة تتكون من خليط من اللهجة المسمَّاة لغة "البانتو" مع تدخل واضح وسيادة ساحقة للغة العربية..."[2].

4) المعلم الرابع، ويكمن في وجود لغات عديدة غير مترابطة على مستوى دولة معينة، حتى وإن وُجدَتْ بينها لغة واحدة تملك زماماً وتقاليد أدبية ثابتة ومقنَّنة، بمعنى أنَّ هذا المعلم يشير إلى أن هذه اللغة لا يتحدث بها سكان دولة واحدة سواسية، وهذا بيّن عندنا في الجزائر، وكذا في المغرب الأقصى، وبدرجة أقل في ليبيا وفي مصر، وفي كثير من دول أمريكا اللاتينية مثل الباراغواي، وبوليفيا، والمكسيك، وغواتيمالا، والإكوادور،...

5) المعلم الخامس، ويقوم على مبدأ التعدد اللغوي "من باب لا غالب ولا مغلوب أو لا مقبول ولا مرفوض" حيث التعايش اللغوي يسود دون أن يهيمن، حيث لكل

---

[1] ينظر: حامد ربيع: العلاقة الاتصالية بين المفهوم القومي والتطور الاجتماعي، "اللغة العربية والوعي القومي"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:1/1984، ص: 254 – 259.

[2] المصدر نفسه، ص: 256.

لغة متداولة تقاليدها الأدبية الراسخة إزاء اللغة الأخرى، وهذه الظاهرة متفشية في جميع دول إفريقيا السوداء، وهي ظاهرة نجمت عن التعدد الهائل للهجات المحلية التي وصل في بعض الدول الإفريقية السوداء إلى أكثر من ثمانين لهجة، وعَدَمُ قدرة سيادة لهجة على حساب العشرات من اللهجات الأخرى، فتح المجال واسعاً أمام اللغات الأجنبية، ولا سيما الفرنسية، والإنجليزية، لتسود هذه البلدان الإفريقية التي لا تبرح مغزوَّة معنوياً رغم تحرّرها جسدياً وأرضياً، وستبقى ما حَبِيَتْ متبوعةً فكرياً وإبداعياً، وهذا النموذج يعدّ أسوأ تجربة من تجارب الشعوب ذات التعدد اللساني، حيث لغة الولوف وحدها تستعمل فيها عشرون لغة مختلفة.

ومن الواضح أن هذا النموذج المنسحب على قارتنا السمراء سَيُودي لا محالة إن عاجلاً أم آجلاً، لأن هذه اللغات الإفريقية التي حددها العلماء ما بين سبعمائة وألف، لا تسمح لها تقاليدها الشفوية من الخلود أمام لغات ثقافية عالمية غزتها في قعر أوديتها وجبالها، وأعتقد أن الاختلاف على لغة محلية أفضل لتجمّع سكاني متعدد اللغات من الإجماع على تعاطي لغة أجنبية، خاصة إذا كانت هذه الأخيرة مما ترسب من ماض استعماري بغيض، ونحن في الجزائر لولا أن جمعتنا لغة القرآن لما كنا أحسن حالاً من بعض هؤلاء الأفارقة السود، ومع ذلك فإن اللغة العربية على مستوى الممارسة في دواليب الدولة لا تزال تشعر بغربتها أمام نفوس ذات عقد نفسية تحسب أن الحديث بلغة الآخر دلالة على السموّ والرُّقي.

6) المعلم السادس، ويتجلى في تعدد اللغات المحلية، بحيث كل لغة تسود فيها تقاليدها الأدبية الرفيعة، ويلاحظ بشكل واضح هذا المعلم في الهند وباكستان وحتى في سيلان وماليزيا وقبرص، وإذا كان المعلم الخامس له ما يبرّره تاريخياً وسوسيولسانياً إلى حدّ كبير، فإن هذا المعلم في الدول المذكورة، خاصة في الهند وباكستان لا يخلو من غرابة ونقيض صارخين.

إن الهند تملك فعلاً كثيراً من اللغات واللهجات بعضها يرقى إلى تقاليد أدبية عالية، لكن دستورها ينص على استخدام الانجليزية لغة رسمية في دواوينها

الحكومية، ورغم تنصيص دستورها على تحديد مدة استخدام الانجليزية بعشر سنوات كفترة انتقالية، فإن هذه الفترة مُدَّت لأكثر من مرة، ولا ندري متى ستنتهي، لأن الإنجليزية أضحت محوراً للتعامل الشعبي وغير الشعبي في شبه هذه القارة وما جاورها، وهذا لا يعني أن الهند العظيمة بوزنها الثقافي التاريخي العظيم ستخنع للأمر الواقع، بل جهود الدولة الحديثة متواصلة لاعتماد الهند وستانية، إلى جانب حهود دولة آسيوية أخرى في استرجاع مكانة لغاتها الأصيلة، كالأردية في باكستان، والبنغالية في نبغلادش، والبرمية في برما، والسنهالية والتاملية في سيلان (سيري لانكا).

وبيَّنت لنا تجارب شعوب عدة أن التعدد اللساني، إن لم يكن نعمة ظرفية، فهو ليس لعنة أبدية، وأن الحكومات الرشيدة هي التي تواجه واقعها اللغوي بسياسات لغوية مخبرية هادئة دون إقصاء لِلُغَةٍ من اللغات المستعملة في محيطها، بل توفّر لها الشروط المادية والعلمية لتحديثها وإثرائها، لكن ليس بالطريقة التركيّة القائمة على الإلغاء المطلق، بما في ذلك تَبَنّي أسماء ذات أصول تركية، وكان أول من غيّر اسمه صاحب الدعوة مصطفى كمال الذي تحول إلى "أتاتورك".

وبصرف النظر عن تجربة دول البلقان في عهد يوغوسلافيا الموحدة التي تحتاج إلى بحث مستقل، فإن شعوباً أوروبية وآسيوية أخرى عرفت، وبعد صراع لغوي طويل، كيف تعالج تعددها اللغوي علاجاً يمكن اتخاذه نموذجاً للدول التي تعيش الظاهرة نفسها.

إن النرويج في شمال أوروبة ورثت معضلة لغوية من جراء السيطرة الدانماركية التي دامت زهاء ثلاثة قرون، وبعد استقلالها وجدت نفسها أمام وضعية لغوية معقدة، لأنها ورثت تنوعات لغوية ولهجات، واختلف الساسة النرويجيون على اللغة المشتركة، فاليمينيّون انتصروا للغاتٍ قريبة من الدانماركية نظراً لجاهزيتها وهيمنتها الطويلة، في حين أن اليساريين مالوا إلى اللغات الشعبية، وفي نهاية

المطاف اتُّخِذت اللغتان معاً، وهما لا تزالان تتعايشان، وسُمِح للمدارس أن تختار الكتب المدرسية بهذا الإملاء أو ذاك[1].

وإذا كانت النرويج سعت إلى تبنّي لغتين في دواليبها ومدارسها، حتى وإن بيَّنت بعض الاستطلاعات أن الشعب أو أغلبيَّته يفضّل تمازج لغتين في لغة واحدة، وهذا لا يمكن أن يُنْجَزَ على المستوى اللساني الداخلي لكل لغة منهما، فإن ماليزيا بعدما نالت استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية من القرن الماضي، لم تتردد لحظة في اتخاذ الماليزية لغة وطنية، لكن هذه اللغة المشتركة في تلك الفترة عبارة عن لغة تقريبية أو كريول أو سابير تستخدم لغة تبادل واتصال تجاري واقتصادي في موانئ ماليزيا وأسواقها بين مختلف سكان الجزر، في حين أن اللغة المسماة le javanais (الجافانية) تُعَدّ الأكثر استعمالاً في الأرخبيل، لكن الإشكال أن الأرخبيل يضم مائتي لغة مختلفة منضوية تحت سبع مجموعات لهجية كبرى، ودفعاً لكل صراع اِثْنِيٍّ لن تُحْمَدَ عواقبُه في جزائر منتشرة انتشار النمل المجنَّح، فإن حكماء ماليزيا قرّروا اختيار لغة لا تنتمي لأحد.

وبناء على ما أشير إليه، فإنه أُعِيدَ تسمية الماليزية Bahasa indonesia أي اللغة الأندونيسية، والتفّوا حولها لتزويدها بكلمات تناسب وظائفها الجديدة، ولهذا الغرض، تقرّر اعتماد استراتيجية "الْأَسْيَنَة" L'asiatisation أي إضفاء الطابع الآسيوي المحلي أو الإقليمي أو القاري أو حتى العالمي على المفردات، على أن تختار كلمة "في لغة أخرى من لغات الأرخبيل إن تعذر وجودها في اللغة الأندونيسية، وألاَّ تقترض من لغة آسوية، أما الحل المتمثل في اقتراض كلمة من لغة عالمية أوروبية، فهو لا يحصل إلا عندما تُسْتَنْفَدُ الحلول الأولى" [2]. وأخذت اللغة العربية نصيباً من الكلمات المولَّدة أو المفترضة، مثلاَ فضلت الماليزية

---

[1] يراجع علم الاجتماع اللغوي، ص: 117 – 118. لويس جان كالفي.

[2] المرجع نفسه، ص: 119.

الجديدة استعمار الكلمة العربية "ذرَّة" بدلاً من الكلمة اليونانية العالمية atome خاصة وأنها وردت في القرآن الكريم.

وأحسب أن تركيا التي سبقت ماليزيا لم تُوَفَّق في سياستها اللغوية إلى حد بعيد، مع أن وضعيتها اللغوية وضعية مريحة بالقياس إلى دول الجوار، لأن سياستها اللغوية قامت على الاستئصال في إبعاد العربية والفارسية من مدارسها، واستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني الذي أدخلت عليه إصلاحات صوتية أثقل كاهل اللغة التركية في رموز كتابتها، إلى جانب استبعادها لكل الكلمات التي سبق اللغة التركية أن استعارتها من كلتا اللغتين: العربية والفارسية، وها هي ذي اليوم تنوء تَنْواءً بِحِمْلِ ما وقع فيه زعيمها أتاتورك، أي لا هي دولة أوروبية ولا هي دولة آسيوية.

وعلى مستوى دول الغرب الأوروبي نماذج كثيرة للتعايش اللغوي كما هو الشأن في بلجيكا وسويسرا وغيرها دون شعور عرقي أو اثنيّ من طرف نحو طرف آخر، ولكنا سنتجزئ بالتعددية اللغوية في إسبانيا التي مرَّت بهزات عنيفة، غير أن هذه الهزات زالت بزوال فرانكو من خلال دسترة اللغات المعتمدة وتحديد طبيعتها وتوضيح سلطتها محلياً أو وطنياً.

إن الأمر يتعلق بوجه خاص، باللغة الكاتالونية le catalogne من جهة والإسبانية التي تحولت إلى مصطلح "الكاستيانية le castillan" من جهة أخرى، وهكذا أوضح دستور 1978 الفرق الإدراكي بين اللغة الرسمية للدولة ككل واللغات الرسمية للمقاطعات المستقلة ذاتياً، أي اللغة الكاتالونية هي اللغة الرسمية لكتالونيا، في حين أن الكاستيانية –أي الإسبانية سابقاً– تعدّ اللغة الرسمية لكل الدولة الإسبانية. وهكذا نجحت الحكومة الإسبانية في حلّ معضلة لغوية لا جرم لأنَّهَا خطر على الوحدة الوطنية، وتفادت في الوقت نفسه شبح اثنية لغوية، لأن التخطيط اللغوي الذي نهض بها لسانيون وعلماء اجتماع لغوي إسبان، وآزرتْهُ

الطبقات السياسية كان يهدف أساساً إلى تأسيس ازدواجية لغوية غير ثنائية لكتالونيا.

ولربما تحدَّث الواحد منها عن التعدد اللساني لدى تجمعات سكانية معينة، ويسهو في الوقت نفسه عن التمييز بين التعدد اللساني السليقي كما نجد في إفريقية شمالاً ووسطاً وشرقاً وغرباً وجنوباً، والتعدد اللساني المكتسب بواسطة المؤسسات التربوية، ولكن الملاحظة التي لا تخلو من مفارقة غريبة أن المكتسب من اللغات هو الذي يهيمن غالباً على ما هو سليقي منها.

وأعتقد أن هيمنة الدخيل على الأصيل يرجع إلى كون اللغة الدخيلة، فضلاً عن كونها لغة عولمية، مؤسَّسة على الأحادية، في حين أن الأصيل اللغوي المعزوَّ قائم على الأشتات في بلدان، كما هو الشأن في إفريقية السوداء وبعض بلدان آسية وأمريكة اللاتينية، أو على الثنائيات بين عامّي وفصيح، مثلما هو عليه الحال في بلدان أخرى مثل البلدان العربية، مما يسهّل تغلغل اللغة الغازية لذريعة من الذرائع التي تنطوي على ضعف السياسات اللغوية في هذه البلدان وفق تخطيط لغوي عقلاني، واستشراف لساني مستقبلي يتماشى مع تواصل الأجيال بدينامية ثابتة وواضحة.

الهوامش

[1]– علم الاجتماع اللغوي، ص: 12. لويس جان كالفي، ترجمة: محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، 2006.

[1]– محاضرات في الألسنية العامة، ص: 25 – 26. دي سوسير. ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة بيروت، 1984.

[1]– بعض البلدان تتوفر على عدد قليل من اللغات وبلدان أخرى تحتوي على عدد أكبر منها.

[1]– علم الاجتماع اللغوي، ص: 27. لويس جان كالفي.

[1]– حامد عبد القادر، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء: 3، المجلد: 35، دمشق، سنة 1960، ص: 369.

[1]– علم الاجتماع اللغوي، ص: 31. لويس جان كالفي.

[1]– المرجع نفسه، ص: 32.

[1]– ينظر: حامد ربيع: العلاقة الاتصالية بين المفهوم القومي والتطور الاجتماعي، "اللغة العربية والوعي القومي"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:1/1984، ص: 254 – 259.

[1]– المصدر نفسه، ص: 256.

[1]– يراجع علم الاجتماع اللغوي، ص: 117 – 118. لويس جان كالفي.

[1]– المرجع نفسه، ص: 119.

التعدّدية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري.

أ/ حساين سهام. Crasc oran

العالم متعدد اللغات فالنّاس في مواجهة لغات متعدّدة إنّهم يلاقون لغات أخرى غير اللغة الأولى لديهم كلّ يوم يفهمونها أو لا يفهمونها، يحبّونها أو لا يحبّونها تلك حقيقة. حيث إن هذا التعدّد ليس وضعا خاصّا كما يتصوّره البعض ببلاد دون أخرى، أو هو ميزة لبلدان العالم الثّالث، أو النّامية، إنّه قدر مشترك وإن ظهر بأشكال متفاوتة، أو مختلفة.

ترتبط اللغة بالمجتمع ارتباطا وثيقا، فهي المرآة التي تعكس كل مظاهر التغير والتحول في المجتمع: رقيا كان أو انحطاطا، تحضرا كان أو تخلفا، بحيث إنها "**استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع يسمى "علم الاجتماع اللغوي" يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة**"[1]. ومما لا شك فيه أن الإنسان لا يولد متكلما بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه، فمن نشأ في مجتمع عربي يكتسب العربية، ومن نشأ في مجتمع اسباني يكتسب الاسبانية وهكذا... كما أن للتقليد و المحاكاة دورا كبيرا في اكتساب اللغة، بمعنى أن الطفل يكتسب اللغة من الجماعة اللغوية التي يعيش بينها بكل سمات وملامح الواقع اللغوي لهذه الجماعة من صحة أو خطأ، وما بينها من درجات التفاوت والتباين.

[1] د/ عبد السلام المسدي ، اللسانيات من خلال النصوص ، النشرة الأولى ، الدار التونسية للنشر ، عام 1984م ، ص 172

فاللغة هي وعاء الفكر، وهي وسيلة تواصل بين أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة وتبادل المعلومات والأفكار بينها. فهي كالعملة في التبادل التجاري، فكلما كانت العملة قوية وموحدة في البلاد، أصبح التبادل التجاري أيسر وأكثر نشاطا. ونظرا للأهمية التي تحظى بها اللغة في المجتمع نالت اهتمام الكثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم، فعالجها علماء اللسان، وعلماء النفس وعلماء الأنتروبولوجيا، وعلماء الجغرافيا، ورجال السياسة، وعلماء الاجتماع. ونظرا للصلة الوطيدة التي تربط اللغة بجميع نواحي المجتمع، رأيت أن تكون مداخلتي موسومة بـ " **التعدّدية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري** ، أحاول خلالها توضيح العلاقة التي تربط المجتمع الجزائري **باللغة العربية الفصحى** الأصلية، كما خصّصت التهميد لشرح مصطلحات ومفاهيم كل من: **اللغة العربية الفصحى، واللهجة، و الثنائية اللغوية و الازدواج اللغوي ، والتعدد اللغوي** حتى تكون نبراسا منيرا يستضاء به في قراءة هذه المداخلة.

وفيما يلي تعريف موجز لتلك المصطلحات اللّسانية.

***1.* اللغة العربية الفصحى: *la langue arabe classique*:**_هي لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري[1].

2 . اللهجة: Dialecte أو العامية :_وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي. فهي "**عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة**" [2]. أو هي: "**نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، و يشترك معها**

---

[1] د/ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1985م ، ص 144

[2] د/ إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، مطبعة أبناء وهبة حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2003 ، 15

في جملة من الخصائص العامة "[1]. مما يؤكد على أن العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى [2]. ويتخذ مصطلح العامية أسماء عدة عند بعض اللغويين المحدثين [3]. وعلى الرغم من تعدد المصطلحات التي تطلق على لغة الحديث والتعامل اليومي نجد أحد الباحثين في هذا المجال يقول: " **وإننا نفضل استعمال كلمة (الدارجة) على (العامية) لما تتضمنه الكلمة الأخيرة من دلالة طبقية وصفات تحقيرية، استهجانية، لا تليق بالبحث العلمي المجرد**"[4]. أما عن **المعايير التي تحدد إن كانت هذه اللغة لهجة أو فصحى فيرجع بالدرجة الأولى إلى موقف أفراد الجماعة اللغوية من هذه اللغة أو تلك، وكيفية استخدامها وتوظيفها في مجالات مختلفة، فـ"إن أي نظام لغوي يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملا لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلة في هذا الإطار. والشيء الأساسي الذي يجعل نظاما لغويا ما يصنف باعتباره لهجة أو على أنه لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس في بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها ـ بالضرورة ـ هذا التصنيف، ولكن مجالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هي التي تفرض هذا التصنيف. فالنظام اللغوي الذي يستخدم في مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنف اجتماعيا بأنه فصيح، والنظام اللغوي الذي يقتصر استخدامه على مجالات الحيا ة اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه عامية**"[5].

---

[1] د/ محمد محمد داود ، العربية و علم اللغة الحديث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ،2001م ص 64

[2] انظر المرجع نفسه ، ص 66

[3] للمزيد انظر : د/ د/ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ص 144، 145 ، فقد جمع عدة مصطلحات أطلقت على هذا المستوى اللغوي

[4] الطيب البكوش ، إشكاليات الفصحى و الدارجات ، بحث جاء في كتاب "من قضايا اللغة العربية المعاصرة" ص 174

[5] د/ محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة . المجالات و الاتجاهات . ط4 ، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2007م ، ص 18

3 . الثنائية اللغوية La diglossie: ونعني **بالثنائية اللغوية** في الوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين الأولى العربية التي ستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين. والثانية لغة محلية **(غير عربية)** تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينها، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين[1].

4 . الازدواج اللغوي Le bilinguisme: لقد اختلف اللّسانيون حول مفهوم مصطلح **(الازدواج اللغوي)** فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للحديث وأخرى للعلم والأدب والثقافة والفكر، وبعضهم يطلقه على وجود لغتين مختلفتين **(قومية وأجنبية)** عند فرد أو جماعة ما في آن واحد، أي إنه ومصطلح **(الثنائية)** يتبادلان الموقع عند الباحثين، وأفضل إطلاق مصطلح **الازدواج اللغوي** على المفهوم الأول لأنه أشيع بين الباحثين ولأن المعجم يدعم هذا.

ويقصد بـ "**ازدواجية اللغة** " **(le bilinguisme)** وجود لغتين مختلفتين،عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد [2]، إن ازدواجية اللغة موجودة بين اللهجات نفسها ففي كل دولة عربية توجد ازدواجية في اللغة، وصراع لغوي قائم بين لغة رسمية معتمدة ولغة أخرى هي العامية ." ومن دون الدخول في بحث المعايير التي بوساطتها نستطيع أن نؤكد أو ننفي وجود الازدواجية بين لغتين معينتين[3]، فإن بعض الباحثين يرفضون استعمال مصطلح "**الازدواجية**" الذي يستخدمه الكثير من اللغويين [4] للدلالة على شكلي اللغة العربية:

---

[1] انظر محمد علي الخولي "الحياة مع لغتين"، ط 1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988، ص17-18

[2] Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, P,65

[3] يرجع بعضهم هذه المعايير إلى ثلاثة : لغوي و نفسي و اجتماعي . انظر في هذا الصدد :

Sélim Abou; le Bilingusme arabe français au Liban ;P.U.F. Paris; 1962; pp3-7

[4] انظر مثلا : أنيس فريحة ، نحو عربية ميسرة، ص 134، 135، 137، وغيرها . وكمال الحاج ، في فلسفة اللغة، ص 222.

الفصحى والعامية[1]. ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي، لا جذري. وعليه، فالازدواجية الحق لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية و العربية، أو الألمانية و التركية. أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية، والأخرى عربية فصيحة، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه[2]، إنه بالأحرى ضرب من "**الثنائية اللغوية**" diglossie[3]. فيرون أن أمر الفصحى والعامية نوع من الثنائية، وذلك لأنهما فصيلتان من لغة واحدة، في حين أن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية.

أي إن المقصود من ازدواجية اللغة هو الخلط بين لغتين أو أكثر أو بين لهجتين أو أكثر. وهناك فرق بين هذا وبين ما نسميه بثنائية اللغة . فثنائية اللغة معناه استخدام لغتين جنبا إلى جنب ومعرفة التفريق بينهما بحسب مقتضى الحال. معنى ذلك أنني إذا كنت أجلس مع أجانب سأتحدث معهم باللغة الانجليزية وإذا كنت مع أناس يتكلمون اللغة العربية فأنني بطبيعة الحال سأستخدم اللغة العربية. لذلك عندما يتحدث الناس في معظم الأحيان يخلطون بين اللغتين حتى في المعاملات الرسمية وفي المحاضرات، وحتى في المقابلات التلفزيونية يتم الخلط بين اللغة العامية والفصحى.

إذا أردنا تعريف الازدواجية اللغوية ينبغي ان يشمل هذا التعريف كل العناصر الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية والتاريخية والاقتصادية، ولا يقتصر على الجانب اللغوي فحسب. فهذه الظاهرة ترتبط بالجانب اللساني وهو ما لا ينكره احد، لكن لابد من إعطاء أهمية للجانب الذي له صلة وثيقة بالازدواجية وهو العنصر الأساس :يتعلق الأمر بمزدوج اللغة بممارس هذه الظاهرة سلوكيا

---

[1] انظر : Sélim Abou , le bilinguisme Arabe Français au Liban ; p223

[2] كمال الحاج ، في فلسفة اللغة ، ص 156

[3] Vincent Monteil ; L'arabe modern ; Librairie C.Kinckseick; Paris; 1960; p.69

واجتماعيا. وهكذا تتباين التعاريف حسب مجال تخصص كل باحث من علم نفس وعلوم تربية سابقا إلى اللسانيات حديثا.

فهناك من يرى بان هذه الظاهرة تتلخص في استعمال لغتين على الأقل للتواصل من طرف الفرد أو الجماعة مع مجموعة لغوية أخرى في أي ظرف من الظروف. وآخرون يعرفون الازدواجية كواقع للمواقف التي تتطلب الاستعمال الكتابي والشفهي لنظامين لغويين مختلفين. وفي كل الأحوال، تعدد وتنوع هذه التعاريف ونسبيتها من جهة أخرى، كل ذلك يساهم كثيرا في فهم الازدواجية اللغوية واستيعاب أبعادها.

أما من ناحية مدى تأثير هذه الظاهرة أو انعكاسها الايجابي على الفرد، فهذا أمر ملحوظ وملموس أثبتته العديد من الدراسات التي خلصت إلى مجموعة من القدرات والمؤهلات اللغوية والثقافية والفكرية التي تميز مزدوج اللغة عن الشخص الذي لا يمتلك سوى لغة واحدة للتواصل خصوبة الحقول الثقافية والتواصل مع آخرين بممارسة أنظمتهم اللغوية عاملان رئيسيان يعملان على تشكل مرونة في التعبير السريع عن الأفكار لدى الأول، إضافة غالى تفوق مستوى ذكائه لاكتسابه قيما وتجارب ومواقف تتلاءم وتستجيب لكل نسق ثقافي.

من الثنائية والازدواجية اللغوية إلى التعدد اللغوي كانت المجتمعات العربية تبحث عن ذاتها، وعن معرفتها، وعن اللغة التي تطرح بها السؤال، وعن الراهن مجسدا في الفاعلين المجتمعيين وتوزعهم بين الثنائي والمتعدد، وعن المستقبل الآتي مرتسما في الناشئة من الأطفال الذين كان قدرا أنْ يتفتحَ وعيهم اللغوي على وضع ملتبس اربدّ منه الأفق كأنه متاهة للهوية في انفتاحها وانغلاقها على اللغة باللغة.

اللغة والذات والمعرفة مثلث السؤال في السعي إلى "الثنائية اللغوية في المجتمعات العربية" التي إذا توحدت في مظاهر فلعلها أن تختلف في مستويات أخرى من التمظهر؛ إذ إنها، في تركيباتها المجتمعية، ليست متماثلة، و في الناجم

عن ذلك من ترتب سالب ليست متطابقة، وفي البحث عن سبل لتجاوز تلك الاختلالات ليست متشابهة، لاعتبارات تاريخية وجغرافية وتفاعلية مع الغرب.

ليست الثنائية اللغوية تعني التوسل بلغتين إحداهما أجنبية، لأن نسقين لغويين اثنين يؤطران المجتمعات العربية رمتها، وهما ما يسمى بالعامية والفصحى اللتين دار حولهما سجال نقدي طويل بين الداعين إلى الكتابة بالعامية والواعين بكون ذلك التوجه مفضيا إلى تشرذم لقومية عربية كانت المحافظة على اللغة العربية عنصرا وحدويا من أقوى عناصرها.

اما التعدد اللغوي فقد تتفق المعاجم اللسانية على أنه عبارة عن استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية معينة. **وفي القاموس:** نصف متكلما ما بأنه شخص متعدد اللغات إذا كان يستعمل داخل جماعة معينة ولأغراض تواصلية مجموعة من اللغات، علاوة على ذالك فإن الباحثين اللسانيين يدرجونه" **مصطلح التعدد اللغوي**" ضمن علم الاجتماع اللغوي. ويحتمل كون هذه الازدواجية لها تأثيرا على عملية تعليم اللغة العربية الفصحى.

التعدد اللغوي ظاهرة طبيعية في دول العالم قاطبة، ولا ضير أن يتخذ التعدد اللغوي مسلك التطعيم وانفتاح الثقافة الوطنية على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية، وقد مورس هذا النموذج في المجتمع الإسلامي في أزهى عصور الحضارة الإسلامية، ولم تشك العربية ضيقًا و لا تشويشًا ولا عجزًا ولا عزلة بل ظلت تلك اللغات خادمة للغة العربية معلنة انقيادها عن طواعية. وما وجود لهجات محلية في دول المغرب العربي – مثلاً – إلاّ شاهد عدل على حسن الجوار للغة العربية.

فالتعددية اللغوية إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلّع إلى المعرفة الإنسانية فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكًا إيديولوجيًا سياسيًا تحت أقنعة مختلفة ، ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري، والاستعمار في شكله الجديد.

ظلت اللغة العربية في الجزائر وعاء حفظ شخصية الشعب الجزائري من الاندماج في الشخصية الفرنسية، فقاومت عوامل المسخ، والتدجين اللذين خططت لهما السلطات الاستعمارية ضمن مخططاتها الواسعة، من تنصير، وتدمير للمقومات الأساسية، الدينية، والاجتماعية، والتاريخية، والنفسية، والاندماجية مع دعاة الإدماج.

لقد ظهر على أرض الواقع اللغوي في الجزائر أصوات ناشزة لم تتل وفاق كل الجزائريين، بمن فيهم الأمازيغ الخلص المؤمنون بوحدة الجزائر وبقداسة اللغة العربية المرتبطة برسالة النور فهي قائمة مستقرة ما أقام القرآن و استقر، و هي راحلة مستنفرة ما ارتحل القرآن الكريم.

لقد سخّرت الأطراف المعادية للغة العربية، ولعروبة الجزائر، كل ما أتيح لها للوقوف أمام قوانين التعريب وإفشالها بشتى المساعي، والت ماطل في البحث عن الحلول الناجعة لترقية اللغة العربية، وتهميش الكفاءات المعرّبة منذ الاستقلال رغم أن الدستور الجزائري والميثاق الوطني ومراسيم الجمهورية الجزائرية كلها تنص على أن اللغة العربية في الجزائر هي اللغة الوطنية والرسمية.

التعدد اللغوي مفهوم تؤطره مقاربة كمية تحدد عدد المنظومات اللغوية المستعملة في بلد بعينه. يمكن وصف **التعدد اللغوي** في جانبين منفصلين: الأول يهم اللغة الواحدة أي أن العربية تعرف تعددا داخليا يتشكل من خمسة لهجات: العروبية –المدينية –الجبلية –العريبية والحسانية. أما الأمازيغية فتتبني على تعدد ثلاثي الأقطاب :تريفيت – تامازيغت وتاشلحيت.

يتعلق الجانب الثاني من التعدد اللغوي بالنسيج اللغوي الذي يحكمه تفاعل لغات (وطنية وأجنبية) مختلفة داخل التراب المغربي: الأمازيغية – العربية – الفرنسية – الإسبانية –الإنجليزية ولغات أجنبية أخرى للمسألة اللغوية، في الوطن العربي تحديدا، حيز مركزي من المنظومة المعرفية بوجه عام، من حيث موقع اللغة العربية من الهوية الثقافية العربية الإسلامية باعتبارها مكونا بانيا لتلك

للهوية، وباعتبارها عمودا مركزيا لتفاعلها مع هُويات أخرى، ومن حيث إنها حاضنة لتراث عربي موغل في القدامة والنفاسة، وكان استشفافه مقدمة مناهدة لما يسمى بعصر النهضة في الحقبة المعاصرة؛ ثم إنه موقع يتداخلُ فيه التاريخيُّ بالمعرفيِّ والدينيُّ بالروحيِّ ويتفاعلُ، عنده، الاجتماعيُّ وما يكون فاعلا في تركيب المُستويات المتبقية في بناء مجتمع عربي.

ليست اللغة متناهية مع التاريخ، ولكنها التاريخ بكل شموليته، وبكل ما ينطوي عليه من مدونات في مختلف مناحي المعرفة الإنسانية؛ إنها تاريخ الذات في علاقتها بالوجود قبل أن تكون تواصلا معه، وقبل أن تكون صيغة تعبيرية عن التفاعل مع مختلف مكوناته وعناصره.

لذلك تتسمُ اللغة العربية، عن غيرها دونما نزوع إلى المفاضلة ولا ضلوع في المقايسة، بخصوصياتٍ تند عن لغاتٍ ثانيةٍ، وتجعلُ منها مثارَ أسئلةٍ في ضوء أمرين اثنين لعلهما أن يكونا متدافعين أو قد يكونان متضرعين

أما أولهما فيتمثل في قدرة هذه اللغة على مواكبة التحولات الثقافية، وفي قابليتها التكيف مع مختلف الأوضاع الحضارية الناشئة .

وأما ثانيهما فنازع عن السابق، ومدعاة إلى إعمال الفكر حتى لا يغدو ما تقدم وازعا إلى أنها لغة لن تعرفَ تراجعا، عن الراهن اللغويِّ العاميِّ، بحكم ارتباطها بالدينيِّ، وحتى لا يصير مانعا من الاجتهاد بشكل تطويعيٍّ لها مخولٍ استثمارَها لغة تواصلٍ وتفاعلٍ داخل مجتمعاتها، وبينها والمجتمعاتِ الإنسانية بشكل عام.

لكن تلك العلاقة حَرية بإدامة النظر فيها وإحاطته وفق تصور شمولي يتأمل موقعَ الذات من اللغة، وموقعَ اللغة من الذات، في ضوء جدلية الكلام واللغة وأثرهما في تشكيل الشخصية الثقافية بين ما هو عامٌّ / خارجيٌّ، وخاصٌّ / داخليٌّ، وفي تركيبها لما اصطلح عليه بالهُويةِ في حوارها مع الأنوية؛ أي في

إطار دراسة سلطة النسق في تصيير المسألة اللغويةِ إشكاليةً ثقافيةً، بل جعلها قضية وجوديةً بالدرجة الأولى.

تعاني الجزائر حاليا من مشكل التعدد اللغوي الذي يظهر من خلال اللغة المتداولة في المجتمع الجزائري، وحتى المجتمع العربي بصفة عامة، ولهذا أصبحت اللغة العربية تعيش أوضاعا انتكاسية بالنظر إلى الواقع اللغوي العربي الحالي الذي نتج عنه هجين لغوي متنام ومطرد، وهذا من خلال الاستعمال والممارسات اللغوية لخليط من الأنماط اللغوية من مختلف لغات الاستعمال اليومي على غرار العربية، الفصحى والدارجة واللغات الأجنبية.

يشكل التعدد اللغوي نوعا من الاغتراب الثقافي الذي يؤثر سلبا على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، ويضع التعدد الفرد في عالمين متناقضين، حيث يستخدم لغة الأم ولغة المستعمر في وقت واحد ولغات أخرى، ويؤدي هذا إلى هشاشة في التواصل وهو نوع من الاستعمار الثقافي الذهني الأعمى التبعي، كما ينتج لنا جيلا لا يتقن أي لغة. ويؤثر هذا التهجين بحد كبير على لغة أطفالنا وتعني مصير شبابنا الطموح، ومن مخاطره أنه يمكن أن يوقع هؤلاء كأسرى ثقافات غير عربية إذا اعتبروا أن هذا التعدد يحقق لهم التواصل العالمي والأمل في التقدم، فتصبح العربية لديهم حبيسة التخلف على شتى المستويات، لأن هذا التهجين يخلق نوعا من التواصل الاستعماري بامتياز أو استعمار فكري لغوي جديد وهو يحصل في الشعوب المستعمرة لتزيدهم اغترابا عن لغتهم الوطنية وتفكيك وحدتهم الثقافية، كما أنها تخلق الممارسة اللغوية الضيقة والجهوية وأعتقد أن مشاكلنا أعلى من صراعات لغوية.

هناك العديد من المصادر التي خلقت هذا الخليط اللغوي الذي شوّه لغة الضاد على يد الأحفاد، ولعل أهم هذه المصادر:

1. الاستعمار بأشكاله وأساليبه المختلفة:

إن فرض الاستعمار الفرنسي لنفسه علي الشعوب المغاربة عامة وعلى الشعب الجزائري خاصة أدى إلى طمس هوية هذا الشعب من حيث مكوناته الثقافية والاجتماعية وحتى العقائدية وهذا بمنع تدريس اللغة العربية، هدم المساجد، بناء الكنائس وفرض المستعمر اللغة الفرنسية علي الأهالي والى غير ذلك من الأعمال التي تهدف إلي طمس هوية هذا الشعب (وكما يقال شعب بلا هوية هو نكرة بين الشعوب) وامتد هذا الغزو الثقافي إلي غاية ما بعد الاستقلال حيث واصل ذلك عبر إرسال معلمين أجانب لإعادة بناء الوضع الداخلي وكان الهدف من ذلك متابعة الاستعمار لكن هذه المرة ثقافيا لكن رغم كل هذا كانت هناك نوع من المقاومة عبر ما تبق ى من الزوايا في الأرياف وما استنهضته جمعية العلماء المسلمين فبالرغم من احتكاك وتداخل الثقافتين واللغتين العربية والفرنسية وتصارعهما قد انشأ وضعية تصارعية بين عامة الشعب وامتدت إلى الاستقلال والى غاية اليوم.

ويمكن القول إن ظاهرة الاستعمار جعلت الفرد الجزائري حسب قول" **مارتينيه**" في ميدان معركة يواجه عالمان فإذا كانت الثقافة الإسلامية على أساسها بنيت هوية الشعوب المغاربة قد تبنوها على قناعة وباطمئنان (باللغة العربية والدين الإسلامي) جاء المستعمر بثقافته وأراد أن يدمجها بالقوة وهذا أدى إلى صراع لثقافتين و لغتين ومنها نشأت الازدواجية اللغوية.

لذلك كان واضحًا أن المجتمع الجزائري يواجه مشكلة التعددية اللغوية واللهجات المحلية مع ما تعنيه من مخاطر وجود تباينات عميقة في المنطلقات الفكرية والأيديولوجية لكل فئة، وأن الأمر أصبح فعلاً في تقدير السلطات بحاجة حقيقية إلى ما سمي «الثورة الثقافية» للوقاية من عواقب الاختلاف اللغوي وآثاره السلبية على وحدة الفكر والهدف والانتماء وذلك من خلال تنظيم حملة واسعة النطاق من أجل التعريب، أي تعميم استعمال اللغة العربية في المجال الدراسي التربوي، والمجال المهني الوظيفي وأيضًا على مستوى المحيط الاجتماعي،

وبالرغم من الطابع المرحلي والتدريجي لحملة التعريب إلا أنه شابها نوع من التسرع من قبل بعض المتحمسين الذين استعجلوا عملية التغيير لاسترجاع مقومات الشخصية الجزائرية كمظهر تأكيد على الاستقلال السياسي للبلاد مما أدى إلى عدم الانضباط بقواعد التطبيق المرحلي لعملية التعريب فبرزت مؤشرات صراع جديد في جزائر الاستقلال ظاهره لغوي وباطنه مصلحي، فالإحلال غير المتبصر للمواطنين «المعربين» أوجد المخاوف لدى موظفي أجهزة الدولة والإدارات العامة والمصالح الوزارية والدارسين باللغة الفرنسية حيث بات الأمر يتعلق بمستقبلهم الوظيفي بل وبمصير حياتهم.. حيث إن هذا الإحلال المتسرع والمستند إلى قرار سياسي قد تمّ على حساب أصحاب الخبرة الطويلة والكفاءة لذلك لم تسلم العملية من الانتقادات ، بعضها كان موضوعيا والبعض الآخر أفرط في تسويف قرار التعريب بشكل مبالغ فيه حتى تشكلت من كل هؤلاء جبهة تتألف من عديد من النخب الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لم تكن في حقيقة أمرها معادية كلها لسياسة التعريب كمنهاج ولكن كون نظرتهم إلى طبيعة عملية التعريب كانت نظرة عداء إلى من اعتبروه سببًا مباشرًا في تدني مراتبهم الوظيفية أو فقدان مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية، ومن هنا كانت البداية لانعكاس تداعيات مسألة ثقافية أريد لها أن تأخذ شكل أو أسلوب «الثورة» على الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد، فتحول الأمر إلى قضية لغوية حملت فيما بعد كل معالم الصراع الثقافي.

2. *الأسباب السياسية و لغة الأم:*

إن استعمال اللغة كعنصر هام لتحديد امة ما؛ خاصة بعد تراجع التعريف العرقي بعد الحرب العالمية الثانية لذلك ليس غريبا أن يرتبط اسم الجنس باسم اللغة فالعرب هم من يتكلمون العربية والألمان هم من يتكلمون الألمانية و الصينيون هم من يتكلمون الصينية؛ و حتى بعد الاستعمار و تكلّم شعوب للغات

مستعمريها فان هذا الارتباط بقي فاعلا. لذلك سعت فرنسا مثلا في سياستها اللغوية الرسمية إلى فرض اللغة الفرنسة لغة قومية هي الوحيدة الممثلة للأمة الفرنسية رغم وجود حوالي 24 لغة في التراب الفرنسي حسب تقرير قدم لوزارة التربية الفرنسية سنة 1999؛ لم تكتف بذلك بل حاربت كل ما هو انجلوفوني ومنعت استخدام المفردات الانجليزية زاعمتا أنها تسعى إلى الحفاظ على اللغة والهوية الفرنسية ويندرج قانون سنة 1975 في هذا الإطار.

3. *العامل الاجتماعي:*

إن المستوى الاجتماعي أكثر المستويات تمثيلا لهذا الخلط من اللغة والازدواج، تسمع مثلا: ركبت التاكسي (سيارة أجرة) وذهبت إلى كلينيك (العيادة) من أجل كنترول (فحص) والأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها في مثل هذه المداخلة.

هذه الظاهرة متفشّية و متغلغلة في المجتمع بمختلف فئاته و طبقاته، فالخلط بين العربية والفرنسية في مختلف مجالات التّعبير دون أن يتقن الكثيرون منهم اللغة الفرنسية.

إنّ أخشى ما يخشى هو ما يحصل إن طال أمد هذا الوضع من تشويش لغة النّاشئة وتقديم صورة منحطّة عن لغتهم العربية فيحملهم ذلك على ازدرائها والزّهد فيها وهو الشيء الذي ظهرت بوادره في إنتاج جيل ضعيف في اللغة العربية لا يقدر أن يبدع ولا أن يفكّر بها هذا الوضع الذي قد يؤدي مستقبلا إلى مسخ اللغة و البعد بها عن الأصل أو تحويلها إلى لغة هامشيّة فاقدة الهويّة، معرّضة للانزواء والانكماش[1].

إذا كانت اللغة نشاطا اجتماعيا، من حيث أنها استجابة ضرورية، لحاجة الاتصال بين الناس جميعا، فإنها تعد . أيضا من أهم الروابط المتينة التي تربط أفراد الجماعة اللغوية بعضها ببعض، فـ"**إن وجود اللغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة، فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد**

[1] أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2005،1،ص:522

منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به، فاللغة ليست هدفا في ذاتها، وإنما هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية"[1].

فإذا نظرنا إلى المجتمع الجزائري وجدناه يتكلم خليطا بين الفرنسية والعربية واللهجات المحلية باختلاف مناطق الوطن، فقد تجد في العائلة الواحدة، المعرب، والمفر نس، والمزدوج اللغة، ومن لا يحسن لا الفصحى ولا اللغة الأجنبية أو يجمع قليلا من الاثنين؛ وليس بمقدور أحد أن يعطي نسبة المتكلمين بهذه اللغة أو تلك. ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الفرنسية بمعية لهجات محلية كثيرة، تسجل حضورها بقوة في جزائر ما بعد الاستقلال، مما يجعل اللغة العربية ومن اتخذها لسانا له محاصرين، وعاجزين عن أداء أبسط وظائفهم المتمثلة في التواصل والتعبير عن رغباتهم وآلامهم، خاصة إذا سلّمنا بأن " **للغة أثرا فعالا في حياة الفرد والمجتمع، فهي بالنسبة للفرد وسيلة لاتصاله بغيره، وعن طريق اتصاله بغيره يدرك الفرد أغراضه ويحصل على رغباته، كما أنها وسيلته التي يعبر بها عن آماله وآلامه وعواطفه، واللغة تهيئ للفرد فرصا كثيرة للانتفاع بأوقات فراغه، وذلك عن طريق القراءة والمطالعة والاستمتاع بالمقروء، فيغذي الفرد بذلك عواطفه، و هي أداته التي يقنع بها غيره في مجالات المناظرة والمناقشة وتبادل الرأي، كما أنه أداته التي ينصح بها الآخرين ويرشدهم وينشر بوساطتها المبادئ بينهم ويؤثر فيهم...**"[2].

فالسواد الأعظم من المواطنين الجزائريين في جزائر ما بعد الاستقلال يعيشون الاغتراب وسط أبناء وطنهم، ولا ذنب لهم في ذلك إلا كونهم اتخذوا اللغة العربية لسانا لهم دون غيرها من اللغات واللهجات الأخرى المنتشرة في ربوع هذا الوطن، وهي كثيرة. فاللغة العربية عند هذه الفئة من الناس لم تحقق وظيفتها، ليست لكونها قاصرة عن ذلك، وإنما لوجودها محاصرة بين اللغة الفرنسية من

---

[1] د/ محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة . المجالات و الاتجاهات،م س ، ص 16

[2] د/ سميح أبو مغلي ، في فقه اللغة وقضايا العربية، ط1 . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 1987م، ص 256

جهة، وتلك اللهجات المختلفة من جهة أخرى مما جعل هذه الفئة وكأنه تسبح ضد التيار، أو تعيش على الهامش. لكن " **الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة، تفرض بها على أفراد المجتمع، ألوانا من السلوك والتفكير والعواطف، وتحتم عليهم أن يصبوا سلوكهم و تفكيرهم وعواطفهم، في قوالب محددة مرسومة . على حد تعبير علماء الاجتماع . ويدل على وجود القهر في الظواهر الاجتماعية . في نظرهم . أن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى هذه الظواهر الاجتماعية، فإنه سرعان ما يشعر برد فعل مضاد من المجتمع الذي يعيش فيه، ذلك لأن المجتمع يشرف على سلوك أفراده، ويستطيع توقيع العقاب، على كل من تسول له نفسه الخروج عليه، وأهون صور هذا العقاب، هو التهكم الشديد أو السخرية المرة**"[1].

وعملا بهذه النظرة الاجتماعية، يكون الخارج عن السلوك اللغوي في عرف المجتمع الجزائري الحديث، خارجا على الظواهر الاجتماعية نفسها. وإذا استمر الحال على ما هو عليه، دون وضع قوانين ردعية، تصلح ما يمكن إصلاحه قبل فوات الأوان، بإمكاننا التنبؤ بأن ما يمكن أن يحدث لأفراد الشعب الجزائ ري في المستقبل القريب، يشبه تلك الحادثة الطريفة المستنبطة من التراث العربي، التي تحكي قصة أبي علقمة الثقفي، الذي اشتهر باستعمال الغريب والوحشي من الألفاظ، في حواره مع طبيب جاءه يشكو إليه من مرض ألم به، فقد "**دخل أبو علقمة على أَعْيَن الطبيب، فقال له: أمْتَعَ الله بك ! إني أَكَلْتُ منْ لُحُوم هَذه الْجَوازل، فَطَسَنْتُ طَسْأَةً، فَأَصَابَني وَجَعٌ مَا بَيْن الْوَابلة إلَى دأْيَة العُنُق، فلَمْ يَزَلْ يَرْبو ويَنْمي حتى خَالَطَ الخلْبَ والشَّراسيفَ، فَهَلْ عنْدَكَ دَوَاءٌ؟ فقال أَعْيَنُ: نَعَمْ، خُذْ خَرْبَقًا وشَلْفَقًا وشبْرَقًا، فَزَهْرِقْهُ وزَقْزِقْهُ، واغْسلْهُ بمَاء رَوْث واشْربْهُ. فَقَالَ أبو عَلْقَمَةَ: لَمْ أَفْهَمْ عَنْكَ، فقالَ أَعْيَنُ: أفْهَمْتُكَ كَمَا أَفْهَمْتَني**"[2].

---

[1] د/ رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص 126 ، 127

[2] انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة القاهرة ، 1928. 1930 ، 2/ 162

فهذه القصة تصدق على شرائح معتبرة من أفراد المجتمع الجزائري التي أصبحت تعيش صراعا مريرا مع جبهات شتى ، صراع مع الذات، لكونها تحس باغتراب داخلي وسط أبناء وطنها وجلدتها وصراع مع الأخر، والآخر هنا ليس أمريكيا أو فرنسيا، بل جزائريا تفرنس، وتجلّت فرنسيته في تنشئته الاجتماعية، ولغته وثقافته، ونظرته إلى كل ما هو عربي ، خاصة إذا كان هذا العربي جزائريا لا ذنب له إلا أنه تعلم العربية، وحاول أن يتواصل بها مع أفراد مجتمعه.

وهذا أمر خطير يؤجج الخلافات، ويغرس الكراهية، ويفرق أكثر مما يوحد. والأخطر من هذا وهو أننا إذا عرفنا أن اللغة أية لغة، تعد من أهم "**عوامل الوحدة السياسية للجماعات ، فالجماعة مهما اختلفت في الدين أو الجنس أو البيئة فإن كانت لغتها واحدة تظل متماسكة متحدة...**" [1]. قلت إذا عرفنا ذلك وسلمنا بصحته، تنبأ أخي الجزائري، أختي الجزائرية، بكل موضوعية، وبعيدا عن الذاتية التي غالبا ما تخرج من يتسلح بها عن جادة الصواب، ماذا سيصيب . لا قدر الله . جزائرنا المستقلة، جزائر العزة والكرامة.

4. ضعف مناهج التدريس و قصورها في منهجية تعليم اللغة العربية:

إن ضعف مناهج التدريس وقصورها في منهجية تعليم اللغة العربية، والنظرة التربوية القاصرة عن إدراك أهمية تعليمية الأطفال في مراحل دراساتهم الأولى، ودورها الفعال في بناء الكيان التربوي السليم للطفولة البريئة. إذ كثيرا ما نجد القائمين على هذا القطاع الحساس ، عكس الدول المتقدمة ، يعينون معلمين من ذوي المستويات الدنيا لتعليم هذه الشريحة الهامة، جاهلين أو متجاهلين أن فاقد الشيء لا يعطيه، إذ **إننا ما زلنا نظن أن تعليم الطفل أهون أنواع التعليم وأدى هذا إلى أننا أصبحنا نقيس مقدار المعلم بعمر الطفل الذي يتولى تربيته وتعليمه، صعودا وهبوطا، فمعلم الإعدادي أكثر احتراما من معلم الابتدائي، وأقل**

[1] د/ سميح أبو مغلي ، في فقه اللغة و قضايا العربية ، ص 257

مركزا من مدرس المدارس الثانوية... وهي فكرة ساذجة مدمرة لنفسية هذا المعلم، الذي وضعنا بين يديه هذه العجينة اللينة . طفل اليوم ورجل المستقبل، ليجعل منه مواطنا صالحا [1]. فيجب على الدولة أن تهتم اهتمام كبيرا وجديا في إعداد مدرس اللغة العربية، ومعالجة التدريس المتدني بكل قوة وصراحة فمن المؤلم أن نجد معلم العربية سواء في المدرسة الابتدائية، أو الثانوية أو حتى الجامعة يتحدث بالعامية وهو يقوم بواجبه، ومن البديهي أنه لا يمكن والحال هذه أن يحاسب طلبته على أخطائهم اللغوية والنحوية والإملائية[2].

5.تنامي سيطرة اللغات الأجنبية:

إن تنامي سيطرة اللغات الأجنبية ، وترويج فكرة أهمية اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية، خاصة في السنوات الأولى من التعليم ، إذ "**لتعجب، حين ترى بعض المتعلمين، ينطق اللغة الأجنبية على وجهها الصحيح، حتى إذا رام الحديث بالعربية الفصحى، تلعثم وارتبك، وأخطأ ولحن، وصحّف وحرّف، وخلطها بالرديء من الأساليب العامية، كمن يخلط عملا صالحا بآخر سيء. وما ذلك إلا لأنه لا يسمع الفصحى إلا فيما ندر في حجرة الدراسة، حتى إذا خرج إلى الشارع، ملأت العامية سمعه وبصره في كل مكان، فخلطت عليه أمره، وردته الفصحى أيما رد، وعاقته عن تملك زمامها، والسيطرة عليها** [3]. لقد أثبتت التجارب أن الطفل الذي يقبل على تعلم لغة أجنبية ثانية قبل أن يتعلم بإتقان اللغة الأولى "**الأم**" ينعكس ذلك سلبا على اكتساب وتعلم اللغتين كلتيهما. ولذا فإن تعليم اللغة الثانية بعد إتقان اللغة الأولى في مصلحة اللغتين في آن واحد . فـ"**إن ما يتفق فيه علماء التربية أننا نطبع عقل الطفل بطابع اللغة التي يتعلمها ويستعملها قبل غيرها من اللغات الأخرى. فإذا علمناه لغة أجنبية قبل اللغة**

---

[1] د/ رمضان عبد التواب ، دراسات و تعليقات في اللغة ، ص 228 ، 229

[2] د/ هادي نهر ، الأساس في فقه اللغة العربية و أرومتها ، ص 317

[3] د/ رمضان عبد التواب ، دراسات و تعليقات في اللغة ، ص 237

الوطنية ستبقى دائما ثانوية في ذهنه وتصوره وسلوكه العقلي والنفسي أيضا، وإذا تعلم اللغة الوطنية ثم الأجنبية ما شاء من السنين، فإن اللغة الوطنية ستبقى عنه مستحكمة، حتى ولو تعلم بعدها لغات عديدة أجنبية، لا لغة واحدة[1].

في ظل العولمة فإن أي دولة لن تستطيع العيش في عزلة من هذه التطورات، الأمر الذي يؤكد الحاجة لتعلم لغة أجنبية، خاصة اللغة كثيرة الانتقال والمرتبطة بهذا التقدم، مثل الإنجليزية، تيسر للفرد والمجتمع سبل التفاهم مع العالم وتساعده على الاندماج فيه والاستفادة من إنجازاته وكذلك المساهمة في زيادة مبتكراته، وذلك إلى جانب تعلم أداة الاتصال الأساسية الممثلة في اللغة الأم.

بيد أن كثيراً من دول العالم بدأ يتجاذبها اتجاهان بينهما تعارض إلى حد كبير. يتمثل الاتجاه الأول في ضرورة الأخذ بمظاهر التقدم الحضاري وما يشتمل عليه من تعليم أفراد المجتمع لغة أجنبية أو أكثر لاقتناعها بأن الانغلاق عن العالم غير مجد في ظل العولمة (Globalisation)، وأن تعلم الفرد لغة أخرى بجانب لغته الأصلية هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه. أما الاتجاه الثاني فإنه يرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام، خاصة في المرحلة الأساسية، سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية والمتمثلة باللغة الأم، ويؤكد هذا الاتجاه أن اللغة الأجنبية لا تدرس من فراغ، فهي ليست مفردات وتراكيب نحوية فحسب، وإنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم للناطقين بها، وما يترتب على ذلك من تأثير على وجدان المتعلم.

المدرسة الجزائرية تدرّس ثلاث لغات على الأقل في مختلف مستويات الدراسة، ولهذا يجب على المعلمين أن يكونوا قدوة في استعمال لغة واحدة لشرح اللغة التي يدرسها، خصوصا فيما يتعلق باللغة العربية لغة القرآن والتي تعتبر أكثر عرضة لهذا التهجين والخليط اللغوي.

---

[1] د/ عبد الله شريط ، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 198م(ص (46)

وعلى المدرسة إيجاد توازن يتيح للطفل أن يتعلّم اللغة الأجنبية كلغة معارف حديثة، وفي الوقت نفسه يتمكن من التفاعل مع مجتمعه ومحيطه باستعمال لغته العربية الأصيلة التي يمكن أن تستوعب الحداثة. وتتحمل المدرسة الجزء الأكبر في محاربة الدخيل بصورة من الصور المسموعة والمكتوبة، وعليها شن حملات تنظيف لغوية في منطوق المتعلّمين، بالتحسس بمخاطر التهجين الذي يعتبر عقوقا لغويا بامتياز واحتقارا لغويا للغة القرآن.

لقد أصبحت اللغة العربية في الوقت الحالي تخضع لضغوط العولمة التي تعتبرها لغة غير منتجة للعلم، وتصفها بلغة التخلف والأموات بسبب غياب العلم فيها وتقاعسها عن رفد اللغة، وبهذا أصبح العرب يتعلقون بالهجين والعاصف باللغات المحلية خصوصا العربية، وهذا ما خلق الازدواجية اللغوية التي تعني استعمال نظامين لغويين في آن واحد، وهي ظاهرة لغوية اتصالية في الشعوب التي خرجت من الاستعمار وبقيت آثار لغة العدو باقية في التواصل اليومي، إلى جانب وجود الانتقال اللغوي من لغة إلى أخرى، والاحتكاك اللغوي باستعمال مصطلحات وأساليب لغة في قالب لغة أخرى والتداخل اللغوي الذي يحصل بين لغتين تأخذ الواحدة من الأخرى بالإضافة إلى الاقتراض اللغوي، حيث تقترض اللغة الأضعف من اللغة الأقوى.

وإذا كان اكتساب اللغات الأجنبية أمرا لا جدال فيه، فانه من الأهمية بمكان التوضيح بأن الغاية من ذلك ليس هو التواصل بين أهل البلد، لأن وظيفة الإدماج خاصية من خاصيات اللغة أو اللغات الوطنية وحدها. إن إغفال هذا المبدأ هو الذي أدى إلى جعل الفرنسية تتحول إلى أداة صراع داخل المجتمع. فاللغة الأجنبية إذا ما استعملت لأداء الوظائف المخولة للغات الوطنية وحدها تتحول إلى أداة توتر اجتماعي وثقافي، أي إلى وسيلة تنتج سوء الانسجام في المجتمع.

حين يتحدّث النّاس في بلد إفريقي سواء في الجزائر أو غيرها كان هذا البلد تحت الاستعمار الفرنسي باللغة الفرنسية مع أن لهم لغة أما واحدة فذلك يوحي أنهم يريدون مراعاة نموذج غربي وإظهار التفوق الدراسي وأنهم من حملة الشهادات وعدم التكلم بالفرنسية رغم القدرة عليها يوحي ذلك إلى رفض استعمال لغة الاستعمار وإظهار الانتماء.

فاللغة مظهر من مظاهر صقل شخصية الإنسان ومستودع تفكيره وإطار إبداعه ومن لا لغة له لا تفكير له ومن فضّل لغة على لغة فإنه فضّل فكرا على فكر وثقافة على ثقافة، فنتيجة للاستعمار الفرنسي الذي كانت له اليد الطولي في مسخ هوية الشعب الجزائري وحربه الضروس ضد اللغة العربية بأساليب شتى كمنع العربية من دخول أقسام الدراسة وفرض الفرنسية كلغة رسمية و لغة للتعليم وحصر العربية في المسجد والزوايا فقط ثم الانفتاح الذي حصل للمجتمع الجزائري والصلة الكبيرة بفرنسا وما نجم عن ذلك من استيراد الخبرات والأفكار والمعلومات، ثم العدد الكبير من الجالية الجزائرية التي تعيش في فرنسا كل هذا ترك اللغة الفرنسية قرينة للغة العربية في جميع ميادين الحياة.

ثم هناك عامل آخر هو ذلك التهويل للغة الفرنسية وخاصة بعد جعلها لغة العلم فبعد تنصيب لجنة الإصلاح التربوي خرجت اللجنة بانطباع مفاده أن سبب تأخر التعليم وعدم مسايرته للركب في الجزائر هو جعل العربية لغة العلم وعليه فلا بد من اعتماد الفرنسية في العلوم الكونية خاصة ثم جربت الفرنسية كلغة ثانية في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي (السنة الثانية) حيث لم يتجاوز الطفل سن الثامنة ثم عدل عن هذا القرار وأخرت إلى السنة الثالثة وذلك لعدم نجاح التجربة والأمر منطقي لكون الطفل لم يتمكن من البديهيات الأولى في لغته من نطق الحروف سليمة وتركيب جمل بسيطة صحيحة فيزيد جهده في تحمل أعباء لغة أخرى لم يسمعها في بيته فتتضاءل المعاناة ويحصل الملل والنفور من اللغتين.

6.الإعلام بمختلف قنواته:

إن الإعلام بمختلف قنواته خصوصا الفضائيات وما تحمله من إبداعات لغوية من خلال وصلات الإشهار، مثلا تأتينا حمولة ثقافية مرنة بسيطة سهلة على الحفظ تعمل جاهزة على الإقناع بما تحمله وباللغة الحاملة لها، وتعمل لغة الإشهار وهذه القنوات على تجاوز المألوف والتحرر إلى حد ما من سلطة اللغة الثابتة، فتعمل على إحداث الكسر اللغوي والانحراف عن سلطة النحو وتلجأ إلى التهجين اللغوي الذي تراه وسيلة لتأدية رسالتها. أما المصدر الثاني للتهجين هو **الانترنت** والذي يعتبر مزيجا من الكلام بالعربية الدارجة والكتابة اللاتينية والرسائل القصيرة التي تحمل في طياتها اقتباضات لغوية وعرفا خاصا في كتابة الرسائل الإلكترونية، إلى جانب دور الأغاني التي تعمل على إيجاد فجوة في التواصل اللغوي، بما تحمله من مزيج من صور الأغاني التي لا يتحكم فيها حسن الأداء ولا انتقاء الكلمات النظيفة ولا ترنيمات الموسيقى الهادئة[1].

التعدد والتنوع اللغوي :

كل تعدد لغوي فيه تنوع لغوي، فالتعدد اللغوي تنوع لغوي، مثال ذلك موجود في بلد مثل سويسرا أو هولندا، لكن التعدد اللهجي موضوع أخر، مثله موجود في المغرب، اللهجات المغربية لا ترقى إلى مستوى اللغات سواء كانت الامازيغية أو اللهجة العربية الدارجة المستعملة يوميا أو المهيمنة على عملية التواصل عند المغاربة، فيبقى في هذه الحالة حضور للتعدد اللغوي مثل العربية والفرنسية والاسبانية وإلى حد ما الانجليزية، سبب ذلك التبعية ومخلفات الاستعمار، كذا انعدام وجود رغبة سياسية و ثقافية في الانفصال على الأقل عن هذه التبعية و هذا الاستعمار

نعم ليس فقط تحول لغوي، وإنها مقدمات عضوية تؤدي إلى التحول اللغوي. فتصبح اللغة الرسمية مهددة بالانقراض إذا لم يتم تدارك الأمر. لأنه

[1] انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة القاهرة ، 1928. 1930 ، 2/ 162

هناك حرب اللغات، هي حقيقة موجودة في عالمنا الحديث، أخطر لغة تحارب اللغات الأخرى ومنها العربية من أجل بقاءها هي اللغة الفرنسية، خصوصا داخل أفريقيا و العالم العربي ولان بدون الانتشار ستموت لا محالة، وما دامت الدول في آسيا والامركيتين تمتلكان لغات قوية مثل الانجليزية والاسبانية والصينية واليابانية والكورية، فان الفرنسيين سيركزون جهدهم على إفريقيا والعالم العربي و لأسباب اقتصادية وغيرها، وما زعامة فرنسا للحلف المناهض **للقذافي** إلا من اجل تحقيق أهداف كثيرا تبدأ عادة باللغة والثقافة ثم تمتد إلى التبعية الاقتصادية في حالة ليبيا التدخل العسكري الفرنسي مقدمة استعمارية تليها خطوات أخرى بعد سقوط النظام، والهدف الاقتصادي واضح، أولوياته النفط وحرب اللغات هي حرب خفية، أساسها أسلحة اقتصادية و عسكرية ومالية وثقافية وغيرها، لا اعتقد أن اللغة العربية مهددة بالانقراض، لكن إذا تم تجاهلها عمليا، تصبح لغة الدين فقط أي القيام بالشعائر الدينية.

شخصيا اعتقد أن لغة آدم وحواء كانت هي اللغة العربية و إلا فإنها ستكون نوعا من الرموز الصوتية والاشارية الاعتباطية، تلك التي تم تقعيدها وتفرعها وتطويرها فيما بعد.

أما بخصوص التعدد والتنوع فهو مبدآ طبيعي في الحياة، مادام الإنسان يسعى إلى حماية نفسه ولغته، بناء على مصالحه، فان الصراع بين بني الإنسان سيحتدم وستتفوق لغات على لغات أخرى بل وستندثر الكثير من اللغات . إن التعدد والتنوع مبدأ طبيعي، وموت وحياة لغات أيضا نفس الشيء، ولدلك نجد مقولة علمية في القران الكريم تقول بدفع الله للناس بعضهم بعضا يبشرنا الله سبحانه وتعالى بحماية القران الكريم ومنه بالطبع اللغة العربية، وهو ما حدث ويحدث مند نزول الرسالة الالاهية على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

إن وجود اللغة مع اللهجات أيضا آمر طبيعي، فاللغة العربية لها لهجات عربية ، اللهجة هي تنفيذ للغة الأصل و انجاز له، يخضع لعوامل عدة منها

المناخ والتضاريس ونوع الماء الذي يشرب و الآكل وأيضا الحارث المتوارث عن السابقين عند انجاز تلك اللغة، هذا ويمكن إضافة تأثير اللغات المستعمرة على اللغات المستعمرة (الأخيرة بفتح الميم) وتأثير التبادل التجاري وغيره كثير. ويصبح الأمر غير طبيعي حين تفرض لغة ما نفسها على لغات أخرى بقوة السلاح أو بقوة السياسة والدبلوماسية...، هو ما حدث مع فرنسا ولم يحدث مع انجلترا مثلا. التنوع والتعدد موضوع وارد لأسباب كثيرة ذكرنا منها البعض.

فللبنية الاجتماعية، الحدود الجغرافية والعوامل التاريخية والاقتصادية والسياسية هي التي تؤدي ليس فقط إلى تنوع في اللغات واللهجات و إنما غالى تطور وتعدد ذلك التنوع لنتائج التواصل اللغوي واللهجي فوائد وسلبيات، من الفوائد غنى اللغات الضعيفة والخاضعة للهيمنة بمفاهيم علمية والاستفادة من تجارب الآخرين بصفة عامة... لكن السلبيات قد تكون مميتة كاندثار اللغات الضعيفة تماما أمام اللغات الأخرى المهيمنة. والترجمة عامل فاعل في تقوية اللغات الضعيفة والضعف هنا لا يرتبط باللغة في ذاتها و إنما مرتبط بمسببات وجودها واستمرارها وتطورها الاقتصادية على الخصوص. لذلك تجد العالم العربية وضعيف اقتصاديا فهو لا ينتج ويستهلك أكثر مما ينتج ولا يتناقض ذلك مع ضعف الترجمة لديه، لنا درس في بداية العصر العباسي ودرس آخر في عصر النهضة الأوروبية وفي الزمن الحالي ما يترجمه العرب في مجموعه، لا يرقى من حيث الكم إلى ما تترجمه دولة مثل اسبانيا . مع هيمنة الفرنسية والانجليزية والروسية والاسبانية والبرتغالية والصينية ...طيلة القرن العشرين تكون العديد من اللغات واللهجات قد ماتت، كما أن لغات أخرى في طريقها إلى الموت في الزمن القادم، ولن تبقى إلا اللغات القوية اقتصاديا وعلميا وعسكريا... هي اللغات المهيمنة في الأزمنة القادمة. ومنها الصينية والانجليزية والاسبانية و العربية، التي يمتلك أهلها قوة لا تتجلى فقط في كونها لغة القران، بل أيضا لان أراضي العرب وموقعها الجغرافي، سيكون محط اهتمام القوى الاخرى، وهو ما يحدث حاليا.

خاتم.ة

يتبين إذن أن وضعية اللغة ووظائفها السوسيو لسانية هي التي تحدد قيمتها في السوق اللسانية وحظها من الاستفادة من السلطة المادية والرمزية. فهي تكتسب هذه القيمة من خلال دورها كأداة للانتقاء الاجتماعي وتستمد قوتها من المكانة السوسيو ثقافية للناطقين بها، والذين يعملون على تكريسها وتخصيصها بوظائف معينة تستجيب لمصالحهم الاجتماعية من نفوذ وسلطة وامتياز. وهذا يدفعنا للحديث عن مكانة كل لغة في الجزائر وعلاقاتها بالتشكيلات اللغوية الأخرى. إن الوضعية الازدواجية للغات السائدة ف ي الجزائر لا تختلف عن مثيلاتها في مجموعة من الدول الإفريقية الحديثة الاستقلال، حيث لعب المستعمر دورا مهما في تثبيت نوع خاص من الازدواجيات اللغوية، سماها الباحث الفرنسي ***كالفي*** **Calvet** بالازدواجيات المتداخلة **Diglossies enchâssé** ″، حيث تتداخل مجموعة من اللغات في علاقات ازدواجية [1]. ففي **طنزانيا** – مثلا– هناك ازدواجية لغوية أولى بين الإنجليزية اللغة الرفيعة ***v*ariété haute** والسوا حلية التي تصبح لغة وضيعة **variété basse** وازدواجية ثانية بين هذه اللغة التي تتحول إلى لغة رفيعة لأنها لغة أقلية حاكمة وبين باقي لغات الإثنيات الأخرى .

وفي الجزائر نلاحظ –على الأقل– تداخل ثلاث أنواع من الازدواجيات اللسانية، الازدواجية الأولى بين الفرنسية (اللغة الرفيعة) والعربية الفصحى (اللغة الوضيعة)، والازدواجية الثانية بين هذه اللغة الأخيرة التي تتحول إلى لغة رفيعة وبين الدارجة الجزائرية (اللغة الوضيعة). والازدواجية الثالثة بين الدارجة الجزائرية (والتي تصبح بدورها لغة رفيعة) والأمازيغية التي تحتل موقع اللغة الوضيعة.

فالعلاقات بين هذه اللغات علاقات هيمنية بدءا بالفرنسية ثم العربية الفصحى والدارجة الجزائرية وأخيرا الأمازيغية

[1] Moatassime, A (1992) Arabisation et langue française au Maghreb. P131. IEDES, Paris P.U.F.

إنّ الأهم يتمثل في وجوب مقاربة السياسات اللغوية العربية لهذه الثنائية التي يمكن تصنيفها فيما يدعى بالتعدد اللغوي أو **بالمثاقفة** كحدٍّ معرفيٍّ / إجرائيٍّ أدنى، فلا يكفي أن نذهب إلى القول بوجوب مقاومةِ ذلك التسلل اللغوي لتلافيه، ولا أن نكتفي بالبحث عن سبل تيسير ذلك.

يتعينُ أن نلتفتَ إلى أنه لا يمكن، في عصر المعلوم ايتات والفضاء المنفتح، أنْ نسبحَ في النهر مرتين بالدعوة، غير الحضارية، إلى المقاطعة، وأنّ الأحقَّ المبادرة بإعادة النظر في السياسة الثقافية، بكل مكوناتها التربوية واللغوية وما عداها، على المدى البعيد، وجعلها مدخلا إلى التنمية البشرية لتكون كفيلة بكتابة تاريخ ثقافي عربي مختلف ليست اللغة إلا مظهرا من مظاهره.

اللغة هي منطق الأمة والحافظ لثقافتها وهويّتها وهي التي تدّخر في كلماتها أخلاق أهلها وعاداتهم ونشاطهم الفكري والأدبي . إنّ كلّ كلمة من كلمات اللغة هي لحم الوطن والبشر ودمهما وروحهما، وهي بعد ذلك تؤثّر في السلوك الإنساني للمجتمع، و تؤثّر في الذّهن والعقل[1]. والشّعور.

فإذا وجد مجتمع في وضعية ازدواج لغوي فلا يكون أفراده في الغالب عل قلب واحد لأن وضعيّة التّفكيك تحلّ محلّ وضعية التّآلف.

ينتهي بنا المطاف هنا وقد رأينا أن اللغة العربية قد خاضت حربًا ضروسًا ضد اللغة الفرنسية، وكيف جابهت السلطات الاستعمارية اللغة العربية، وقد مارست ضدها أقسى القوانين الداعية إلى إبادتها من الجزائر بدعوى أنها لغة أجنبية دخيلة على الجزائريين، وفي المقابل إصرار الجزائريين على عروبتهم ومقاومة الفرنسية لغة المستعمر، وافتعال فرنسا صراعًا لغويًا بين العربية واللهجات الأمازيغية إرضاء لتغليف هزائمها المنكرة أمام الجزائر في المعارك المسلحة، ثم انهزامها أمام اللغة العربية في معركة البناء والتشييد بعد الاستقلال،

[1]Calvet.L–J. 1994. Les voix de la ville. Introduction à la sociolinguistique urbaine. Paris, Payot. p133

ولم تجد منفذًا للرجوع إلى الجزائر إلاّ بافتعال الصراع اللغوي الثقافي في الجزائر، وإن هذا المسعى هو آخر معقل لها في المغرب العربي . بأذن الله . وسوف تنتصر اللغة العربية كما انتصرت بالأمس.

الهوامش ;الإحالات :

(1) . د/ عبد السلام المسدي ، اللسانيات من خلال النصوص ، النشرة الأولى ، الدار التونسية للنشر ، عام 1984م ، ص 172

(2) . د/ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1985م ، ص 144

(3) . د/ إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، مطبعة أبناء وهبة حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2003 ، 15

(4) . د/ محمد محمد داود ، العربية و علم اللغة الحديث ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ،2001م ص 64

(5) . انظر المرجع نفسه ، ص 66

(6) . للمزيد انظر : د/ د/ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ص 144، 145 ، فقد جمع عدة مصطلحات أطلقت على هذا المستوى اللغوي .

(7) . الطيب البكوش ، إشكاليات الفصحى و الدارجات ، بحث جاء في كتاب "من قضايا اللغة العربية المعاصرة" ص 174

(8) . د/ محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة . المجالات و الاتجاهات . ط4 ، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2007م ، ص 18

(9) . انظر محمد علي الخولي "الحياة مع لغتين"، ط 1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988، ص17-18

(10) . Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, P,65

(11) . يرجع بعضهم هذه المعايير إلى ثلاثة : لغوي و نفسي و اجتماعي . انظر في هذا الصدد :

Sélim Abou; le Bilingusme arabe français au Liban ;P.U.F. Paris; 1962; pp3-7

(12) . انظر مثلا : أنيس فريحة ، نحو عربية ميسرة ، ص 134 ، 135 ، 137 ، و غيرها . و كمال الحاج ، في فلسفة اللغة ، ص 222.

(13) . انظر : Sélim Abou , le bilinguisme Arabe Français au Liban ; p223

(14). كمال الحاج ، في فلسفة اللغة ، ص 156

(15) . Vincent Monteil ; L'arabe modern ; Librairie C.Kinckseick; Paris; 1960; p.69

(16) أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2005،1،ص:522

(17) . د/ محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة . المجالات و الاتجاهات،م س ، ص 16 .

(18) د/ سميح أبو مغلي ، في فقه اللغة و قضايا العربية ، ط 1 . دار مجدلاوي للنشر و التوزيع عمان ، الأردن ، 1987م ، ص 256

(19) . د/ رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص 126 ، 127

(20) . انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة القاهرة ، 1928. 1930 ، 2/ 162

(21) . د/ سميح أبو مغلي ، في فقه اللغة و قضايا العربية ، ص 257

(22) . د/ رمضان عبد التواب ، دراسات و تعليقات في اللغة ، ص 228 ، 229

(23) . د/ هادي نهر ، الأساس في فقه اللغة العربية و أرومتها ، ص 317

(24) . د/ رمضان عبد التواب ، دراسات و تعليقات في اللغة ، ص 237

(25) . د/ عبد الله شريط ، نظرية حول سياسة التعليم و التعريب ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 198م(ص (46)

(26) . انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة القاهرة ، 1928. 1930 ، 2/ 162

27- Moatassime, A (1992) Arabisation et langue française au Maghreb. P131. IEDES, Paris P.U.F.

28- Calvet.L-J. 1994. Les voix de la ville. Introduction à la sociolinguistique urbaine. Paris, Payot. p133

التعدد اللغوي وأثره في تعليم العربية

أ.د.عبد الرحمن بن حسن العارف
جامعة أم القرى – مكة المكرمة

يعد التعدد اللغوي من أكبر المشكلات التي تواجه تعليم العربية لأبنائها أو لغير أبنائها ؛ حيث تفرض هذه المشكلة وجود نمطين أو مستويين من اللغة ، أحدهما يمارس في الداخل (قاعة الدرس) والآخر في الخارج ، مما يجعل متعلم اللغة يعيش حالة من الازدواجية والتناقض بين ما يسمعه وما يتلقاه ويمارسه ،الأمر الذي ينعكس أثره السلبي على تعليمية اللغة العربية بصورة صحيحة وسليمة.

وتحاول هذه الورقة تناول هذه المشكلة من زوايا متعددة وجوانب مختلفة ، واقتراح العلاج الأنجع لتفاديها وتجاوزها بحيث لا تكون عائقاً أمام معلم العربية ومتعلمها.

*****

يُطلق على هذه الظاهرة مصطلحٌ آخر هو «الإزدواجية اللغوية»، ويُفَرِّق العلماء بين مصطلحين يُستخدمان كثيراً على أنهما مترادفان، والأمر خلاف ذلك، وهما مصطلحا الازدواج اللغوي، والثنائية اللغوية Bilingualism. فالازدواج

اللغوي هو استخدام فرد أو جماعة لمستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أو هو كما يقول «وليم مارسيه» : «التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة الحديث»[1]، أمَّا الثنائية اللغوية فتعني استخدام فرد أو جماعة للغتين، كما هي الحال في البلدان الإفريقية التي استعمرتها فرنسا، حيث يستخدمون الفرنسية بالإضافة إلى لغاتهم المحلية[2].

وهناك بعض العلماء من لا يرى فرقاً بين مصطلحي الثنائية اللغوية والتعددية اللغوية، فالثنائية اللغوية في نظر هؤلاء ليست سوى حالة قصوى من التعددية اللغوية[3].

ويرى «جون ليونز» أن الازدواج اللغوي يُعَدُّ في نظر اللسانيين المحدثين نوعاً من الثنائية اللغوية بمفهومها الواسع[4]، أوكما يقول مالمبرج «malmberg» في معرض حديثه عن الثنائية اللغوية: «إن كلَّ تداخل بين عدد من الأنظمة يفترض وجود شيء من الازدواجية اللغوية»[5].

وفي مقابل هذه الآراء في تحديد مفهوم المصطلحات اللسانية السابقة، يصادفنا رأيٌ مغايرٌ لما تقدم، حيث يجعل التقابل بين لغتين مختلفتين ازدواجاً لغوياً، أمَّا التقابل بين الفصحى والعامية فثنائيةٌ لغويةٌ[6].

---

(1) نقلاً عن الدكتور محمد راجي زغلول في مقاله «ازدواجية اللغة» المنشور في كتاب المورد (دراسات في اللغة)، ص 95. وللمزيد حول تعريفات هذه الظاهرة ينظر تعريف اللغوي الأمريكي فيرجسون« Ferguson » وانتقاد الن كي« A. Kaya » له. المصدر السابق، ص95 فما بعدها، اللسانه الاجتماعية، جولييت غرمادي، تعريب: د.خليل أحمد خليل، ص152 فما بعدها. وينظر: «الازدواجية في اللغة العربية»، د.سمير شريف ستيتية، بحثٌ منشورٌ ضمن(ندوة الازدواجية في اللغة العربية) ، ص121-127،«الازدواجية اللغوية في الوطن العربي»،د.عبدالرسول الخفاجي، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد2، 1975م، ص73.

(2) ينظر: مدخل إلى اللغة، د.محمد حسن عبد العزيز، ص212، علم اللغة العربية، د.محمود فهمي حجازي، ص18 (الهامش)، الحياة مع لغتين، د.محمد الخولي، ص18، قضية التحول إلى الفصحى، د.نهاد الموسى، ص29، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د.هادي نهر، ص51-52، «تمثيل المعرفة عند ثنائيي اللغة»، د.شادية التل، بحثٌ منشورٌ ضمن (ندوة الازدواجية في اللغة العربية)، ص15-16.

(3) ينظر: اللسانه الاجتماعية، ص 115 (الهامش)، اللغة وعلم اللغة،جون ليونز،ترجمة: د.مصطفى التوني، 137/2 فما بعدها، معجم المصطلحات اللغوية، د.رمزي بعلبكي، ص72، 149، 320.

(4) اللغة وعلم اللغة، جون ليونز،ترجمة:د.مصطفى التوني، 141/2-142.

(5) نقلاً عن : قضايا لسانية وحضارية، د.منذر عياشي، ص50.

(6) ينظر: نحو عربية ميسرة، د.أنيس فريحة، ص134، 135، 137، في فلسفة اللغة، د.كمال يوسف الحاج، ص156، 222.

ويضع بعض الباحثين مصطلحاً جديداً مرادفاً للازدواجية اللغوية هو الثنائية اللهجية «bidialectalism»[1]، ويرفض بعضهم أن تكون قضية الفصحى والعامية داخلةً تحت مصطلح الازدواجية، ولكنها تدخل في رأيهم تحت إطار آخر يمكن أن يُطلق عليه «المستويات اللغوية»، والازدواجية اللغوية في نظر هؤلاء مرهونةٌ بوجود لغتين متميزتين، لا لغتين من أصل واحد، ولذلك يُعَدُّ تقسيم اللغة إلى فصحى وعامية بناءً على المفهوم المتقدم للازدواجية مغالطةً علميةً كبرى، أو وهماً لا حدود له[2].

والذي أراه أننا لو قصرنا مفهوم الازدواجية والتعددية كما سبق على استخدام المجتمع اللغوي لمستوين لغويين متفرعين من لغة واحدة، ومفهوم الثنائية على استخدام لغتين من أصل مختلف، لو فعلنا ذلك لأمكننا تلافي ما قد يحدث من ترادف أو خلط بين هذه المصطلحات.

إنَّ ظاهرة الازدواجية اللغوية ظاهرةٌ مألوفةٌ في اللغات الإنسانية، فهي«كائنةٌ في كلِّ لغة لامحالة»[3]، ولهذا لم تُشَكِّل في العصور الأولى من حياة اللغة العربية قضيةً ذات أبعاد سلبية، ولكنها في عصورها المتأخرة أصبحت تُمَثِّل بُعْداً ذا أثر خطير، إلى درجة عُدَّت هذه القضية من أهم المشكلات الفكرية والسياسية التي واجهت الأمة العربية في فترتها المعاصرة؛ وذلك لارتباطها بالوجود الاستعماري في المنطقة [4]، «إنها قضيةٌ تنوعت ظلالها وخلفياتها، واقتراحات حلولها، وقد ولَّدت أدباً يمكن أن يسمى بأدب الازدواجية، المتمثِّل في

---

(1) الحياة مع لغتين، د.محمد الخولي، ص29.

(2) قضايا لسانية وحضارية، د.منذر عياشي، ص51-52.

(3) فلسفة اللغة، د.كمال يوسف الحاج، ص 245، وينظر: «تمثيل المعرفة عند ثنائيي اللغة»، د.شادية التل، بحثٌ منشورٌ ضمن (ندوة الازدواجية في اللغة العربية)، ص15.

(4) ينظر: لغتنا والحياة، د.عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ص97 فما بعدها.

الحوار بين المعنيين بهذه القضية »[1]، وأصبحنا نطالع أوصافاً خُلعت على هذه القضية، فهي أزمةٌ، وهي مشكلةٌ، بل هي معركةٌ وحربٌ وصراعٌ تخوضها لغة القرآن.

وبتتبُّع نشأة هذه الازدواجية في العربية يُطْرح في هذا الصدد رأيان: أولهما أن اللهجات العامية [*] ما هي إلاَّ تطورٌ عن الفصحى، حيث نشأت بعد اتصال العرب بشعوب أخرى إبَّان دخول هذه الشعوب في دين الله أفواجاً، بمعنى أنها خليطٌ من العربية الفصحى وغير العربية. والرأي الآخر أن هذه اللهجات العامية وُجدت مع وجود الفصحى، أو ما يُعرف بـ«اللغة المشتركة »، بمعنى أنها لغةٌ قائمةٌ بذاتها، وذات كيان مستقل مغاير للفصحى[2]، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا الرأي حينما تحدث عن لغة الأمصار والحضر [3]. وأحسب أنَّ كلا الرأيين صحيحٌ، وإن كان الرأي الثاني هو الأقرب للواقع اللغوي، وهو الذي يتفق مع حقيقة الازدواج اللغوي من حيث هو ظاهرةٌ طبيعيةٌ في اللغات البشرية.

وأياً كان الأمر، فهي ظاهرةٌ موجودةٌ في اللغة العربية، انقسم إزاءها اللغويون المعاصرون في مصر، وغيرهم من اللسانيين والمستشرقين، إلى فريقين: فريقٌ يرى أنها من دلائل الحضارة الإنسانية، فهي رمزٌ للرقي والتقدم، وآخر يرى أنها انحطاطٌ لغويٌّ، وخطرٌ يُهدد الفصحى [4]. وتَبَعاً لهذين الرأيين وقف أنصار كل فريق مواقف متباينة في تقديم الحلول الناجعة لعلاج هذه المشكلة، فمنهم من

([1]) «الازدواجية اللغوية– حوار حول الظاهرة»، د.محمد أحمد عمايرة، بحثٌ منشورٌ ضمن (ندوة الازدواجية في اللغة العربية)، ص38. ([*]) يُطلق على العامية تسمياتٌ عديدةٌ ،كاللهجة الدارجة، والمستوى الهابط، واللغة المحكية...إلخ. ينظر: فقه اللغة العربية،د.إميل يعقوب، ص144– 145،حصاد الفكر العربي الحديث، ص276.

([2]) ينظر: العربية ولهجاتها، د.أيوب، ص 41، مستويات العربية المعاصرة في مصر، د.السعيد بدوي ص 60، فنّ القول، ص113– 121، «موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى»، محمد فريد أبوحديد، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 212/7، وللمزيد ينظر: اللهجات وأسلوب دراستها، د.أنيس فريحة، ص97 فما بعدها.

([3]) مقدمة ابن خلدون، 1394/4.

([4]) ينظر: اللهجات العربية في التراث، د.أحمد علم الدين الجندي، 117/1، فلسفة اللغة، د.يوسف كمال الحاج، ص 222، فقه اللغة...، د.إميل يعقوب، ص148 فما بعدها.

دعا إلى توحيد هاتين الصورتين، بحيث يؤخذ من العامية ويؤخذ من الفصحى حتى يُتَوَصَّل إلى توحُّدهما [1]، ومنهم من دعا إلى إحلال العامية واستبدالها بالفصحى في جميع مجالات الحياة [2]، ومنهم من دعا إلى تفصيح العامية، والتقريب بينها وبين الفصحى، وذلك عن طريق رفع مستوى العامية، وتسهيل طرق الأداء في اللغة الفصيحة[3]، ومنهم من دعا إلى لغة ثالثة تكون وَسَطاً بين العامية والفصحى، وهي ما عُرِفت بـ« اللغة الفَصْعَمِيَّة»[4].

وفي مقابل هذه الدعوات ظهرت دعواتٌ أخرى، يقوم بعضها على معالجة مشكلة الأمية والجهل المنتشرين في العالم العربي، وبمقدار النجاح فيهما يكون النجاح في حلِّ هذه المشكلة [5]، وهذه الدعوة–كما نرى– يمكن إدراجها ضمن وسائل التقريب بين الفصحى والعامية، وبعض تلك الدعوات يقوم على التسليم بهذا الواقع، وترك الأمور تجري في مسالكها الطبيعية، دون الحاجة إلى التماس علاج له[6].

وهكذا يبدو لنا أن هذه المواقف قد تراوحت بين الوصفية والمعيارية، فمن دعا إلى الإيمان بمنطق النواميس الطبيعية فقد أخذ بقانون التطور اللغوي ليس إلاَّ، وعدم مجاوزته إلى تغيير أو تحسين، وهذا مايتفق ومبدأ «دَعْ لغتك وشأنها

---

[1] من أنصار هذا الرأي سلامة موسى. ينظر: البلاغة العصرية، ص47.

[2] من أنصار هذا الرأي: رفاعة الطهطاوي، وأحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، والدكتور لويس عوض، والدكتور عبد العزيز الأهواني، ويوسف السباعي. ومن غير المصريين الدكتور يعقوب صرّوف، والدكتور أنيس فريحة، والدكتور جبّور عبد النور.

[3] من أنصارهذاالرأي: أمين فكري، وأمين الخولي، ومحمدخلف الله أحمد، وعباس حسن، ومحمد عزيز أباظة، والدكتورعبد الصبور شاهين. ينظر: بحوث ودراسات في العروبة وآدابها، ص278–281.

[4] هذا الاسم منحوتٌ من كلمتي «الفصحى» و«العامية». وقد نادي بهذه اللغة الوسطى الكتَّاب المسرحيون كتوفيق الحكيم، وفرح انطون، ويوسف السباعي. وكان أحمد أمين قد دعا إليها في بعض الأوقات، ثم مالبث أن تراجع عنها. ينظر: فيض الخاطر، 253/7. وممن دعا إليها محمد تيمور. ينظر: مشكلات اللغة العربية، ص 157–206، واللغوي العراقي طه الراوي. ينظر: فقه اللغة العربية، د.كاصد الزيدي،ص374 فما بعدها.

[5] دعا إلى ذلك: محمد عطية الأبراشي، وعلي النجدي ناصف، والدكتور عبد الرحمن أيوب، والدكتور السعيد بدوي، والدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور علي محمود مزيد. ينظر على الترتيب: لغة العرب وكيف ننهض بها، ص 161–162، من قضايا اللغة والنحو، ص49، اللغة بين الفرد والمجتمع، جسبرسن، ص 73، مستويات العربية المعاصرة، ص 15، محاضرات في علم اللغة، ص109–110، أحمد أمين لغوياً، ص123–124.

[6] دعا إلى ذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي. ينظر: فقه اللغة، ص160.

»، الذي كان شعاراً لدى بعض اللسانيين الأمريكيين [1]، أمَّا من دعا إلى معالجة المشكلة بإحدى الطرق المتقدمة فقد تجاوز حدود وصف ماهو كائنٌ فعلاً إلى ما ينبغي أن يكون، وأخذ بمقولة المشتغلين بالتخطيط اللغوي التي تنصُّ على أن كلَّ صور الازدواجية في اللغات البشرية– ومنها العربية– فيها إسرافٌ، وأنه ينبغي أن يكون هدف السياسة اللغوية إزالتها[2].

وقد أدَّت هذه المواقف المتعددة من قضية الازدواجية اللغوية إلى قيام معركة طويلة الأمد بين أنصار الفصحى، ودعاة العامية، وما يسمَّى باللغة الثالثة (المتوسطة)، وتداخلت جوانب عديدة فيها، كالجانب الديني، والجانب القومي، والجانب الأدبي الفني، وبلغت هذه المعركة حدّاً عُدَّت فيه من أكبر القضايا، وأكثرها إثارةً في الدرس اللساني المعاصر. والعجيب أن هذا الصراع ابتدأ أجنبياً عربياً، ثم ما لبث أن أصبح عربياً عربياً!، وكان ميدانه الأول مصر، وذلك بسبب مكانتها القيادية في الشرق العربي الإسلامي [3]، ثم امتدَّ إلى الشام، وظهر صداه في العراق، والمغرب العربي، والجزيرة العربية [4]. وقد تولَّت الدكتورة نفوسة زكريا سعيد(ت1989م) دراسة هذه القضية دراسةً علميةً مستوفاة، تأريخاً وتحليلاً ونتائج، وذلك في كتابها القيِّم (**تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**) [5]،

---

(1) ينظر: «الازدواجية في العربية»، د.نهاد الموسى، ضمن (ندوة الازدواجية في اللغة العربية)، ص 94–95. وقد اعترض«ماريوباي» على هذا المبدأ، ووصف أصحابه بأنهم أساءوا للغة، وقضوا على أهم أغراضها. ينظر: أسس علم اللغة، ص213–214.

(2) ينظر: «الازدواجية في العربية»،د.نهاد الموسى،ضمن(ندوة الازدواجية في اللغة العربية)، ص95.

(3) للدكتور محمد الكتاني تحليلٌ علميٌ دقيقٌ لاتخاذ مصر موطناً أولياً لهذا الصراع. ينظر: الصراع بين القديم والجديد، ص 769–775.

(4) لمعرفة تأريخ العامية في الجزيرة العربية ينظر: الفصحى ونظرية الفكر العامي، د.مرزوق بن صنيتان، ص570 فما بعدها، وفي تونس ينظر: «العربية في تونس بين الفصحى والعامية»، د.محمد الحبيب بين الخوجة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 69/41–113.

(5) طُبع هذا الكتاب لأول مرة سنة 1964م بالإسكندرية، ثم صُور على هيئة طبعة ثانية سنة 1980م. وأصله رسالة دكتوراه قدمت لكية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة 1959م. وللمزيد حول تناول هذه القضية ينظر الدراسة القيِّمة التي قدمها الدكتور الطيب البكوش بعنوان«إشكاليات الفصحى والدرجات» ضمن كتاب (من قضايا اللغة العربية المعاصرة)،ص 173–214، والفصل الذي عقده الدكتور محمد الكتاني بعنوان «الصراع حول العامية والفصحى» ضمن كتابه (الصراع بين القديم والجديد)، ص751–833.

وأحسب أنها تُغنينا عن الخوض وتكرار القول فيها. على أنني لا أودُّ تجاوز هذه المسألة دون القول: إن هناك أهدافاً مستترةً تكمن خلف إثارة هذه القضية، فهي بادئ ذي بدء أُوجدت من عدم، حيث لا حقيقة لها على أرض الواقع اللغوي، بل هي مشكلةٌ مختلَقةٌ مزعومة [1]، ولذا كان من الطبيعي أن يكون مصيرها إلى انحسار وزوال. وعلى الرغم من أن الأستاذ محمد رضا الشبيبي أعلن في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1957م عن انتصار الفصحى واندحار العامية بعد هذا الصراع الطويل الأمد[2]، فإن مِلَفَّ القضية لم يُطْوَ نهائياً بَعْدُ؛ حيث مازالت تخبو حيناً وتبرز حيناً آخر، مرتبطةً بالتجديد تارةً، وبالتيسير تارةً أخرى، وبالإصلاح تارةً ثالثة.

ولي وقفة مع الدعوة لتفصيح العامية– أوكما يسميها الدكتور محمد غنيمي هلال «حركة تطهير اللغة »[3]– فإن كان الهدف من ذلك تصحيح ما اعوجَّ من مسارها، وليس اكتشاف مزاياها ومميزاتها [4]، فأحسب أنها دعوةٌ لا تتعارض مع الفصحى، بل إنها لتَسُدُّ تلك الفجوة القائمة بين هذين المستويين؛ حيث إنَّ كثيراً من الألفاظ التي نستخدمها في حياتنا اليومية، ويُنظر إليها على أنها من العامية، هي ذات صلة وثقى بالفصحى، وقد يكون سبب ذلك تغييراً طرأ على أصواتها، بإبدال، أو قلب، أو حذف، أو ألفاظاً أعجمية وفدت إليها، وجرى عليها ما يجري من وسائل التنمية اللغوية، كالتعريب، والتوليد، والاشتقاق، وهذا ليس أمراً مستحدثاً أو حدثاً طارئاً في تأريخ العربية، بل إن العلماء القدامى أخذوا به، وطبقوه فيما عُرف بكتب لحن العامة.

---

(1) ينظر: مقالة الدكتور محمد غالي « اللغة في الأدب والحياة » المنشورة في: ملحق الأهرام، الجمعة 1961/4/14م.

(2) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 86/14.

(3) « واجبنا نحو اللغة »، مجلة المجلة، العدد 91، 1964م، ص24.

(4) اعترضت الدكتورة نفوسة زكريا سعيد على الاتجاه الذي يدعو لدراسة العامية بقصد كشف مزاياها، وعَدَّته– وهي مُحقَّةٌ في ذلك– أثراً غير مباشر من آثار الدعوة إلى استخدام العامية، وإحلالها محلَّ العربية الفصحى. ينظر: تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص192–194.

وفي ضوء هذا الاتجاه قامت دراساتٌ جادةٌ لتتبع الألفاظ العامية ذات الأصل الفصيح، وأُرجع كثيرٌ منها إلى اللغة الفصحى[1]، وبالرغم من إيجابية تلك الدراسات، فقد خالطها شيء من الغُلُوّ في إرجاع بعض الألفاظ العامية إلى أصلها الفصيح.

إلاَّ أن هناك مع شديد الأسف من حاول أن يستثمر هذه الدعوة لتفصيح العامية في تحقيق أغراض أخرى بعيدة عن هذا التوجُّه، فكان أن برز من خلالها اتجاه يدعو إلى تمصير اللغة؛ تلك الدعوة التي ارتبطت بظهور القومية المصرية أواخر القرن التاسع عشر [2]، وحجة أصحاب هذا الاتجاه أنَّ للهجة المصرية جمالاً وعذوبةً تفوق سائر اللهجات الحديثة!

وفي مقابل هذا ظهرت دعوةٌ أخرى للمستشرق الألماني الدكتور «غروتسفيلد»، تقوم على اعتماد اللهجة الدمشقية أساساً لحلِّ قضية

---

[1] من تلك الدراسات: (1) تهذيب الألفاظ العامية، للشيخ محمد الدسوقي، طُبع لأول مرة سنة 1913م، في جزءين، ثم طُبع ثانيةً سنتي 1920 – 1923م. (2) المحكم في أصول الكلمات العامية، للدكتور أحمد عيسى، طبع سنة 1939م. (3) معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية، للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، طُبع سنة 1971م. (4) من أصول اللهجات العربية في السودان، للدكتور عبد المجيد عابدين، طُبع لأول مرة سنة 1966م، ثم طبع ثانيةً مصوراً عن الطبعة الأولى سنة 1989م. (5) ألفاظ عامية فصيحة، للدكتور محمد داود التنير، طُبع سنة 1987م، (6) العامية في ثياب الفصحى، لسليمان محمد سليمان، طُبع عام 1951م. (7) معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، لأحمد تيمور باشا، طُبع سنة 1971م في جزءين، ولما يكتمل بعد.

[2] تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص 123، وينظر: الصراع بين القديم والجديد، ص 776 فما بعدها. ويُعَدُّ أحمد لطفي السيد من أكثر الأدباء تحمُّساً لفكرة تمصير الأدب لغةً وموضوعاً، بل إنه لَيُعَدُّ حامل لواء هذه الدعوة. وتبعه محمود تيمور، ومحمد حسين هيكل، وتوفيق الحكيم. ينظر: تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص 138 فما بعدها، الصراع بين القديم والجديد، ص776 فما بعدها، محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، ص 64 فما بعدها. وقد ردَّ الرافعي على هذه الدعوة رداً قوياً. ينظر: تحت راية القرآن = = ص51–63، وكذلك الدكتور أحمد مختار عمر. ينظر: محاضرات في علم اللغة، ص 109. ويذكر الدكتور أنيس أنه ليس معنى هذه الدعوة أن تصبح العامية المبتذلة هي تلك اللغة المشتركة التي تجمع ألسنة الأمة العربية على لغة واحدة، بل معناه لغة المثقفين المصريين ؛ حيث إن مصر – فيما يرى– تُمثِّل مركز الزعامة في العالم العربي؛ نظراً لرقيها الحضاري والثقافي، واستقرارها الاقتصادي. ينظر: محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة،ص 66–71، ويبدو من خلال عرض الدكتور أنيس لفكرة الداعين لتمصير اللغة أنه لا يرى بأساً منها، فهي– حسب اعتقاده– ستحقق الأهداف السياسية التي تتطلع إليها الأمة العربية . أمَّا الدكتور بشر فيحدد مفهوم اللهجة المصرية بلهجة القاهرة، ويرى أن تلك الدعوة لها ما يُسَوِّغها. ينظر: قضايا لغوية، ص 103. ولست أرى تحديداً في هذا المفهوم ، بل هو توسيعٌ له ، فمن المعروف أن لهجة القاهرة تضمُّ مستويات متعددةً.

الازدواج اللغوي، بوصفها– في نظره–أقرب إلى العربية الفصحى! [1]. ومعلومٌ أن الدرس اللغوي الحديث لايُقِرُّ بمبدأ المفاضلة بين اللهجات، فهي تتساوى من الناحية العلمية في الرتبة والمنزلة[2].

ويعيب الدكتور السعيد بدوي على تلك المؤلفات الخاصة بتفصيح العامية أنها لم تُعْنَ بالاستقصاء في جمع المادة العلمية [3]، إلاَّ أنه ومهما يكن من شيء فإن هذا الاتجاه يبقى خطوةً مهمةً في طريق التقريب بين مستويي الفصحى والعامية.

وتلزم الإشارة هنا إلى أن مستويات العربية [4] في عصرنا الحاضر لم تعد قصراً على هذين المستويين، كما هو الشأن في العصور المتقدمة، وإنما هناك مستوياتٌ أخرى فرضتها ظروفٌ طارئةٌ على العربية، كوسائل الإعلام المختلفة، من إذاعة وتلفاز وصحف، والآداب والفنون المختلفة، كالمسرح، والسينما، والقصة، والرواية، إضافةً إلى بعض المواقف الاجتماعية في شئون الحياة اليومية، والأحداث التأريخية التي مرَّت بها الأمة العربية، وظروف التعليم المدرسي. وفي هذا الصدد قام الدكتور السعيد بدوي بتحديد المستويات اللغوية في مصر المعاصرة، وجعلها خمسةً هي: فُصْحى التراث، وفُصْحى العصر، وعامية

---

[1] «ازدواجية اللغة العربية وكيفية الخروج منها»، د.جعفر دك الباب، مجلة المعرفة، السنة 19، العددان 222–223، 1980م، ص5.

[2] قضايا لغوية، د. كمال بشر، ص92.

[3] مستويات العربية المعاصرة، ص62–63.

[4] يرى بعض الباحثين أن دراسة المستويات العربية في دولة ما، وتحديدها، وطرق تنفيذها وتقويمها، تندرج ضمن مباحث التخطيط اللغوي Planing Language الذي يُعَدُّ أحدث فروع علم اللغة التطبيقي، وبعضهم يرى أنها تدخل ضمن نطاق اللسانيات الاجتماعية (علم اللغة الاجتماعي) حسب التصنيف الذي قدمه «هاليداي» لحصر مواضع اهتمامات هذا الفرع من فروع علم اللغة. ينظر: «من النظرية اللسانية إلى تنظير الواقع»، ليلى المسعودي، بحثٌ منشورٌ ضمن (الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات)، العدد [6]، ص238–239، اللسانة الاجتماعية، ص 209، علم اللغة الاجتماعي، هدسن، ص 22–32، اللسانيات من خلال النصوص، د.عبد السلام المسدي، ص173. والواقع أنَّ هذا التشعُّب المعرفيَّ للموضوع الواحد ليس غريباً على البحث اللساني المعاصر، فمن الممكن أن نجد تداخلاً بين العلوم الإنسانية في المبحث الواحد، ويجري هذا على علوم اللغة التي تتسم في عصرنا الحاضر بنزعتي التمايز والتكامل. ينظر: «الإثنوميثودلوجيا...» د.محمدحافظ دياب، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث، 1984م، ص154–155.

المثقفين، وعامية المتنورين، وعامية الأميين [1]. ويعني بفصحى التراث تلك الفصحى التقليدية التي لم تتأثر بشيء، والتي مارسها علماء الدين الأزهريون. أمّا فصحى العصر فهي التي تأثرت بالحضارة المعاصرة، والتي تُستخدم في قراءة نشرات الأخبار الإذاعية، والتعليق السياسي، والأحاديث العلمية المقروءة من ورقة مكتوبة. أمَّا عامية المثقفين فهي التي تأثرت بالفصحى من جهة، وبالحضارة المعاصرة من جهة ثانية، وتُستخدم بين الأوساط المثقفة في المناقشات العلمية والسياسية والفنية والاجتماعية، كما تُستخدم في بعض البرامج الإذاعية، ويُعَدُّ هذا المستوى–كما يقول–: « مستودع الحضارة المصرية الحديثة ولسان العلم المعاصر»[2]. وأمَّا عامية المتنورين فهي عاميةٌ متأثرةٌ بالحضارة المعاصرة، وهي التي يستخدمها غير الأميين في شئون الحياة اليومية من بيع وشراء... إلخ. وأمَّا عامية الأميين فهي التي لم تتأثر لابالفصحى ولابالحضارة المعاصرة، وتُستخدم في البرامج التمثيلية كالمسرحيات الفكاهية[3].

وقد أحسن الدكتور السعيد بدوي صنعاً حينما أقام هذه الدراسة على بيئة لغوية موحَّدة، أوماأسماه بالمجتمع اللغوي المتكامل (Language Communityl)، وهو المجتمع الذي يعيش أفراده عن قرب [4]، وعلى أحد قطاعات المجتمع المصري وهو الإذاعة، كما أقامه على الواقع اللغوي كما هو كائن، متخذاً من الاستقراء والملاحظة منهجاً لبيان التركيب اللغوي للمجتمع المصري المعاصر.

---

(1) ينظر: مستويات العربية المعاصرة، ص 89. وقد ذكر بعض الباحثين أن الكُتَّاب الغربيين، والعرب الذين تلقوا العلم في الغرب، وبخاصة أمريكا، يوزعون هذه المستويات إلى أربعة هي: العربية الفصحى، والعربية الحديثة، وعربية المثقفين، والعامية. ينظر: «ازدواجية اللغة»، د. محمد الراجي زغلول، ضمن (دراسات في اللغة)،ص 98. وبمقارنة هذا بما ذكره الدكتور السعيد بدوي نجد أنه ليس بينهما كبير اختلاف.

(2) مستويات العربية المعاصرة، ص90.

(3) المصدر نفسه، ص89–92.

(4) للمزيد حول مفهوم المجتمع اللغوي ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، د.محمد أحمد أبو الفرج، ص 88–90، «نحو مدخل علمي لدراسة اللهجات العربية المعاصرة»، حسن شقير عبد الجواد، بحثٌ منشورٌ ضمن (الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات)، العدد(6) ص197.

وقد اعترض بعض الباحثين المعاصرين على تقسيم الدكتور السعيد بدوي المتقدم للمستويات اللغوية المعاصرة، بدعوى أنها آنيةٌ، رخوةٌ، متغيرةٌ، وأنها من باب التزيُّد والمبالغة، ويرى أن هناك مستويات ثلاثةً تقتسم وظائف اللغة في الحياة العربية، وهي: الفصحى، والعامية، وعربية المتعلمين المحكية (العربية الوسطى)[1]، وفي مقابل ذلك أشاد بعضهم بهذه الدراسة واصفاً إياها بالمنهجية العلمية[2].

والواقع أنَّ التقسيم المذكور– فيما أرى– تقسيمٌ واقعيٌّ لا تزيُّد فيه ولا مبالغة، وهو أمرٌ مشاهدٌ وملموسٌ ، لا في مصر وحدها بل في أغلب البلدان العربية، وخاصةً مشرق الوطن العربي.

وأختتم القول في قضية الازدواجية اللغوية: إنه ينبغي لمن يروم معالجتها مرةً أخرى أن تقوم معالجته لها على الاعتبارات العلمية فقط، والبعد عن الاعتبارات الذاتية والعاطفية التي كثيراً ما انساقت نحو التمجيد للغة الفصحى، وتناست حقائق لغوية واجتماعية لم يَعُدْ بالإمكان تجاوزها في الدراسات الحديثة للغات الإنسانية.

ويبدو تأثير التعددية اللغوية في الجانب التعليمي واضحاً في تدريس اللغة العربية لأبنائها ولغير أبنائها، وإن كان تأثيره أكثر وضوحاً لدى متعلمي العربية من غير الناطقين بها؛ حيث الشكوى واضحة من هذه الفئة المستهدفة جراء ما يجدون مطبقاً في قاعات الدرس وما يجدونه مستخدماً في الشارع، مما يوقعهم في بلبلة واضطراب.

---

(1) ينظر: قضية التحول إلى الفصحى، د.نهاد الموسى،ص 83،«الازدواجية في العربية»،د.نهاد الموسى، ضمن(ندوة الازدواجية في اللغة العربية)،ص88-90،«المقارنات اللغوية وتأريخ اللغة العربية»، د.عبد الرحمن أيوب،بحثٌ منشورٌ ضمن(تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)، ص154.

(2) ينظر: «إشكاليات الفصحى والدارجات»، د.الطيب البكوش، ضمن (قضايا اللغة العربية المعاصرة)، ص183.

ويذكر الدكتور أحمد العش أن من أهم الصعوبات التي تواجه تدريس العربية لغير العرب على الإطلاق هي الازدواجية اللغوية [1]؛ حيث يواجه متعلم العربية في البلدان العربية استخداما للعامية في أكثر من مكان، وذلك ما يجنح به بعيداً عن الاستعمال والاستيعاب الأمثل للغة العربية، ويحول بينه وبين الاندماج الكلي في تعلم اللغة. ولقد أجمع العلماء على ان من أهم الأخطار التي تواجه العربية في العصر الحاضر هو تعليمها باللغات الدارجة (العامية) أو باللغات الأجنبية.

فالأصوات على سبيل المثال يتعلمها الطالب غير العربي– إن كان معلم العربية لا يلتزم تماما بالنطق الصحيح لأصوات العربية– مشوهة ومحرفة،فالثاء تنطق تاء ، والذال دالا أو زايا، والظاء زايا،والجيم قافا، والقاف همزة أو كافا أو غينا. وينطق المجهور مهموسا، والمهموس مجهورا، والمرقق مفخما، والمفخم مرققا، والشديد رخوا، والرخو شديدا.

وقد لمست هذا بنفسي أثناء إقامة الدورات التدريبية في كل من ماليزيا واندونيسيا، بل سمعته في وسائل الإعلام المختلفة لدرجة أنك تستطيع تبعاً لذلك التباين في نطق الأصوات العربية في البلدان العربية أن تحدد المكان والبلد الذي تعلم فيه ذلك الطالب اللغة العربية!

وقس على ذلك المستوى الدلالي،فهناك ألفاظ لغوية واحدة تستخدم حالياً في الأوطان العربية بمعان مختلفة (مشترك لفظي HOMONYMY)، والعكس هناك ألفاظ متعددة تستخدم بمعنى واحد في هذه الأوطان (ترادف SYNONYMY).[2]

---

[1]) ينظر :الهجرة وأثرها على النمو النفسي واللغوي عند أبناء المهاجرين المغاربة،مركز البحوث والدراسات بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية،باريس،2003م.

[2]) ينظر :تأثير العاميات على تعلم العربية للطلبة الأجانب،د.هاديا خزنة كاتبي،ضمن أعمال المؤتمر السنوي الرابع عشر لتعريب العلوم،جامعة عين شمس،القاهرة، 2008م، مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي، د. يوسف الخليفة أبوبكر ، ضمن أعمال مؤتمر/اللغة العربية إلى أين؟ ، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم،الرباط–المغرب.

وإذا يممت شطر وسائل الإعلام المتعددة،وخاصة القنوات الفضائية، هالك ما تسمعه من تباين واختلاف في استخدام اللغة العربية؛إذ تستعمل هذه الوسائل الإعلامية العامية المحلية أو الجهوية أو المناطقية في برامجها وحواراتها وأخبارها ومسلسلاتها ودعاياتها (إشهاراتها).

إنه لم يعد هناك أدنى شك في أن الوحدة اللغوية تمثل عاملاً مهماً في تعليم اللغات الأجنبية، وهذا ما أثبتته وأكدته النظريات اللغوية المعاصرة في تعلم اللغات وتعليمها، وبدون ذلك يبقى تعليمنا للعربية يسير محفوفاً بمخاطر وسلبيات جمة تحول دون ما ننشده ونهدف إليه ،بل يقطع الصلة بين العربية الفصحى وتعليمها لغير أهلها، وذلك ما يتعارض مع سياسة التخطيط اللغوي الذي تنشده المؤسسات والحكومات في الوطن العربي، وذلك ما أكده الدكتور عبد الحافظ حلمي – رئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم – حيث ذكر أن التعليم بغير العربية يهدد التنمية إقليمياً وعالمياً [1]

والسؤال الذي يطرح في هذا المقام هو ما هي الفصحى التي نعلمها للطلاب العرب وغيرهم؟

ويجيب على ذلك أحد الباحثين بقوله :" ومن المعروف أن اللغة الفصحى أيضا في جميع لغات العالم، ذات أنماط وأشكال متنوعة من الأساليب وصور التعبير، باختلاف العوامل والظروف المحيطة بها من بعد الفترة الزمنية وأسباب النموّ والتطور، ومن هنا يقال – بتجاوز في التعبير – : إن هناك نوعين من الفصحى، أما أولهما فالفصحى الكلاسيكية أي القديمة مثل فصحى العصر الجاهلي وما بعده التي فقدت الممارسة العملية لها أو قلّ استخدامها في مجالات الحياة اليومية، وأما ثانيهما فالفصحى المعاصرة التي تعيش في مجالات الحياة عن طريق الاستعمال الواقعي بصورة أو أخرى، وكلما بعدت الفترة الزمنية قلّت الممارسة العصرية وكانت النتيجة جفوة بين اللغة وأهلها، وتتفاوت درجات السهولة

[1] جريدة الأهرام، الأحد 22 ربيع الأول 1429هـ،30 مارس 2008م،السنة 132– العدد 44309

والصعوبة في فهمها واستخدامها اليومي . ومن ثم ينبغي أن نضع في الاعتبار مجموعة من المبادئ العامة عند اختيار مادة اللغة الفصحى العربية لتعليمها، سواء لغير العرب أو العرب أنفسهم:

أ – يجب اختيار فصحى العصر لتعليم العربية لغير أهلها، إذ هي الصيغة الأسهل تناولاً والأقرب منالاً بحكم قربها الزمني ومعايشتها لمجالات الحياة اليومية، وجدير بالذكر أن هذه الفصحى ما تزال تنطوي على جميع الخواص الأساسية للغة العربية، بفضل القرآن الكريم، ويقال في هذا المجال، إن العرب يختلفون فيما بينهم، بنوع ما، في نطق الفصحى العصرية وفي بعض تراكيبها وصيغها، ويمكن الرد عليه بأن هذا أمر يمكن تناوله تناولاً علمياً وموضوعياً يصل بنا في النهاية إلى خطوط عريضة للغة مشتركة صالحة للتطبيق في العملية التعليمية على المستوى العربي العام، وإن اختيار مثل هذا المنه .ج ليكون أيضا عوناً كبيراً على توحيد أو تقريب بين هذه الصور المتعددة كما أن فيه خدمة للقضاء على سطوة اللهجات العامية .... ويتحقق هذا الهدف المنشود بالالتجاء إلى الظواهر الصوتية التي يغلب استعمالها في الوطن العربي في عمومه مع مراعاة ما قرره الأقدمون من علماء اللغة في هذا المجال، وكذلك يجب استخدام المفردات والتراكيب العامة التي يشيع استعمالها لدى العرب بصفة عامة، عند وضع المواد المقررة في جميع المراحل وخاصة في المرحلة الأولى". [1]

والذي أراه أننا نستطيع أن نتفق على لغة عربية فصيحة معاصرة ليست بالمتقعرة ولا بالهابطة، يمكن من خلالها أن نقوم بتعليم العربية لغير أهلها، ويتحقق بواسطتها النتائج والأهداف المرجوة، وهذا يتطلب تضافر الجهود وتنسيقها في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها على مستوى كافة أقطار الوطن العربي، بحيث يكون العمل في هذا الميدان موحداً ومشتركا وجماعياً، ولا يخضع للتجارب

[1] الطريقة المثلى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها،د.محيي الدين الألوائي، موقع dc143.4shared.com

الذاتية والخاصة التي تتم بعيداً عن العمل الجماعي المنظم، والتي لا تعود بكبير نفع وفائدة على تعلم اللغة العربية وتعليمها.

المصادر والمرجع

المراجع العربية والمترجمة:

- أحمد أمين لغوياً، د.علي محمود مزيد،المطبعة العالمية،القاهرة،1971م.
- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة، د.أحمد مختار عمر، ط 1،جامعة طرابلس، ليبيا،1973م.
- بحوث ودراسات في العروبة وآدابها،محمد خلف الله أحمد،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،1970م.
- البلاغة العصرية،سلامة موسى،المطبعة العصرية بمصر،د.ت.
- تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر،د.نفوسة زكريا سعيد،دار نشر الثقافة، الإسكندرية،1964م.
- حصاد الفكر العربي الحديث في اللغة العربية،لجنة من الباحثين،ط 1، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت،1981م.
- الحياة مع لغتين، د.محمد الخولي، ط1، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1988م.
- الصراع بين القديم والجديد،د.محمد الكتاني،ط1،دار الثقافة،الدار البيضاء– المغرب،1982م.
- العربية ولهجاتها،د.عبد الرحمن أيوب،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،1968م.
- علم اللغة الاجتماعي، هدسن، ترجمة :د.محمود عياد،ط 1، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد– العراق،1987م.
- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د.هادي نهر،ط 1، دار الغصون، بيروت،1988 م.

- علم اللغة العربية، د.محمود فهمي حجازي،وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.
- الفصحى ونظرية الفكر العامي، د.مرزوق بن صنيتان، مطابع الفرزدق التجارية،الرياض،1986م.
- فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي،ط8،دار نهضة مصر،د.ت.
- فقه اللغة العربية، د.كاصد الزيدي، جامعة الموصل،العراق،1987م
- فقه اللغة العربية وخصائصها، د.إميل يعقوب،ط 1، دار العلم للملايين، بيروت،1982م.
- فنّ القول، أمين الخولي، دار الفكر العربي،القاهرة،1947م.
- في فلسفة اللغة، د.كمال يوسف الحاج،دار النهار، بيروت،1967م.
- قضايا لسانية وحضارية، د.منذر عياشي،ط 1،دار طلاس،دمشق–سوريا،1988م.
- قضية التحول إلى الفصحى، د.نهاد الموسى، ط 1،دار الفكر ،عمان–الأردن،1987م
- اللسانه الاجتماعية، جولييت غرمادي، تعريب: د.خليل أحمد خليل، ط1،دار الطليعة، بيروت1990م.
- اللسانيات من خلال النصوص،د.عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر،1984م.
- اللغة بين الفرد والمجتمع، اوتوجسبرسن، ترجمة:د.عبد الرحمن أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
- لغة العرب وكيف ننهض بها،محمد عطية الأبراشي، مكتبة النهضة المصرية،1947م.
- لغتنا والحياة، د.عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،1969م.

- اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة:د.مصطفى التوني، ط 1، دارالنهضة العربية، القاهرة،1988م.
- اللهجات العربية في التراث، د.أحمد علم الدين الجندي،الدار العربية للكتاب،ليبيا–تونس،1983م.
- مدخل إلى اللغة، د.محمد حسن عبد العزيز،دار النمر للطباعة،القاهرة، 1983م.
- مستويات العربية المعاصرة في مصر، د.السعيد محمد بدوي،دار المعارف بمصر،1973م.
- محاضرات في علم اللغة، د. أحمد مختار عمر، مطبعة كلية التجارة، جامعة القاهرة، 1967م.
- مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب،القاهرة،د.ت.
- معجم المصطلحات اللغوية، د.رمزي بعلبكي،ط 1،دار العلم للملايين، بيروت،1990م
- مقدمة ابن خلدون،تحقيق:د.علي عبد الواحد وافي،1957م
- مقدمة لدراسة فقه اللغة، د.محمد أحمد أبو الفرج،ط 1،دار النهضة العربية، بيروت،1966م.
- من قضايا اللغة والنحو،علي النجدي ناصف،مكتبة نهضة مصر،د.ت
- نحو عربية ميسرة، د.أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت،د.ت.
- الهجرة وأثرها على النمو النفسي واللغوي عند أبناء المهاجرين المغاربة،أحمد العش،مركز البحوث والدراسات بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية،باريس،2003م.

المجلات والدوريات العربية:

- « الإثنوميثودلوجيا– ملاحظات حول التحليل الاجتماعي للغة » د.محمدحافظ دياب، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث، 1984م.

- «الازدواجية في اللغة العربية»، د.سمير شريف ستيتية، بحثٌ منشورٌ ضمن(ندوة الازدواجية في اللغة العربية) مطبعة الجامعة الأردنية،1988م
- «ازدواجية اللغة» د. محمد راجي زغلول ،ضمن كتاب المورد (دراسات في اللغة)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد– العراق،1986م.
- ازدواجية اللغة العربية وكيفية الخروج منها »، د.جعفر دك الباب، مجلة المعرفة، السنة 19، العددان 222–223، 1980م.
- «الازدواجية اللغوية– حوار حول الظاهرة »، د.محمد أحمد عمايرة، بحثٌ منشورٌ ضمن (ندوة الازدواجية في اللغة العربية) مطبعة الجامعة الأردنية،1988م.
- «الازدواجية اللغوية في الوطن العربي »،د.عبد الرسول الخفاجي، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد2، 1975م.
- «إشكاليات الفصحى والدارجات »، د.الطيب البكوش، ضمن (قضايا اللغة العربية المعاصرة)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،تونس،1990م.
- تأثير العاميات على تعلم العربية للطلبة الأجانب،د.هاديا خزنة كاتبي،ضمن أعمال المؤتمر السنوي الرابع عشر لتعريب العلوم،جامعة عين شمس، القاهرة،2008م.
- «تمثيل المعرفة عند ثنائيي اللغة »، د.شادية التل، بحثٌ منشورٌ ضمن (ندوة الازدواجية في اللغة العربية)،مطبعة الجامعة الأردنية،1988م.
- «العربية في تونس بين الفصحى والعامية »، د.محمد الحبيب بين الخوجة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،الجزء41،1978م.
- مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي، د. يوسف الخليفة أبوبكر، بحث ضمن أعمال مؤتمر/اللغة العربية إلى أين؟، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم،الرباط– المغرب.

- «المقارنات اللغوية وتأريخ اللغة العربية»، د.عبد الرحمن أيوب،بحثٌ منشورٌ ضمن(تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1991م.
- «من النظرية اللسانية إلى تنظير الواقع »، ليلى المسعودي، بحثٌ منشورٌ ضمن (الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات)، العدد (6)،مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية،الجامعة التونسية،1986م.
- «موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى »، محمد فريد أبوحديد، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجز7،
- «نحو مدخل علمي لدراسة اللهجات العربية المعاصرة »، حسن شقير عبد الجواد، بحثٌ منشورٌ ضمن (الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات)، العدد(6) مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1986م.

المواقع الألكترونية:

- الطريقة المثلى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، د.محيي الدين الألوائي، موقع dc143.4shared.com.

التعددية اللسانية ضرورة اجتماعية لا لسانية

أ. حاكم عمارية – جامعة سعيدة

انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (الروم: 21)، وقوله تعالى : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ (الحجرات:13)، فإنه من السابق لأوانه القول: إن التعدّد اللّساني معضلة لسانية بدل القول: إنه ضرورة اجتماعية وحسب.

بمعنى أنّه لا تنقسم اللغات التي يتواصل بها الناس إلى ظواهر لغوية متقدمة حضارية وأخرى بدائية أو متخلفة، فالكلمات والمصطلحات تتولّد في لغة من اللغات كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، والمعضلة اللّسانية لا علاقة لها باللغة في ذاتها ولذاتها، بل تعود، فيما تعود إلى الضحالة الثقافية والعلمية والأدبية والتكنولوجية، وإلى إهمال قومها إلى استعمالاتها التي لا حصر لها.

ومن ثمّ، فإنّ هذه المداخلة المتواضعة تسعى إلى إلقاء الضوء على هذه الإشكالية التي تخيّم على تواصلاتنا الرسمية والشعبية، محاولة تبيان أن التعدد اللّغوي ليس معضلة لسانية أو مرضا عضالاً، بقدر ما هو ضرورات إنسانية اجتماعية موروثة تاريخيًا أو طارئة عصريًا لإثراء اللغة الأصل.

يقول "لويس جان كالفي": "العالم المتعدد اللغات منذ بداياته ساحة لصراع سيمي محتدم، بسبب هذا التعدد اللغوي، وساحة للتوتر الدائم بين ما هو منحصر، وما هو منتشر، بين لغة المنزل ولغة الغذاء، بين لغات السلطة ولغات الأقلية،

هذا التوتر واحد من محركات التاريخ، وتتغير اللغات كما يتغير العالم، إذ يشهد تطور العلاقات المتبادلة بين اللغات على تطور المجتمعات"[1].

ولقد اصطلح "لويس" على تغير اللغات وتطورها بـ"حرب اللغات"، لذلك فهو يقول:" لقد التقينا بـ «حرب اللغات» هذه في ساحات المعارك المختلفة من الأسرة، إلى السوق، إلى الدروب التي سلكتها اللغات المنتشرة في تطورها، غير أننا رأينا أن هذه الحرب قد خيضت أيضا على مستوى آخر لم يخضها فيه المتكلمون باللغة؛ بل خاضها قوادهم، ولم تخض على الدروب الفاصلة بين حدود الدول، بل داخل الحدود الصارمة للدول، فالحرب دائما شأن من شؤون الدولة"[2].

"حرب اللغات" إنها الحرب إذا، وهي حرب بالمعنى المجازي حينا، وحرب بالمعنى الحقيقي في أغلب الأحيان، فهي حرب في الجزء الداخلي للغة، في نظامها الداخلي، وبنيتها وتطورها، وحرب في الشق الخارجي منها؛ أي في علاقتها بغيرها وفي علاقاتها بالمجتمع.

ولكن كلا الشقين لا يشكلان عالمين مختلفين يستقل إحداهما عن الآخر، بل إن بينهما علاقة لا يمكن نكرانها، وأنه لا غنى للأول منها عن الثاني؛ ذلك أن التغير اللغوي ليس تغيرا لغويا بحتا، وإذا نظرنا إليه على هذا الأساس فقد لا نفهمه، وإنما هو تعبير لغوي عن حركات اجتماعية أكثر عمقا. إن دراسة البنية الداخلية للغة، كدراسة أصواتها وصرفها ونحوها، لا ينبغي أن تكون منفصلة عن الظروف الخارجية التي أنتجتها، وعلى هذا الأساس، فإن دراسة التغير الصوتي الذي يصيب أحد أصوات اللاتينية على سبيل المثال، لا ينبغي أن يكتفي بوصف تحول هذا الصوت إلى صوت ينطق كذا في الفرنسية، وكذا في الإيطالية، وكذا

---

[1] حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة: د/ حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/ 1، 2008، ص389.

[2] المرجع نفسه، ص 389.

في الإسبانية، ذلك أن الاكتفاء بهذا الوصف يبقيها على سطح الأحداث، لأننا لا نرى الظاهرة ولا نرى جذورها التاريخية العميقة[1].

إن الاكتفاء بوصف اللغة كمثل الاكتفاء بالسؤال التالي عن مركب يتهادى في عرض البحر: كيف يطفو هذا المركب على سطح الماء؟ جميل أن نجيب عن هذا السؤال، وأن نعرف القوانين التي سمحت له بأن يطفوَ، غير أن هذا السؤال لا ينفصل عن سؤال آخر أكثر أهمية وهو: لم احتاج الإنسان في فترة ما من تاريخه إلى اختراع المرْكب؟ وما الذي أضافه اختراع المركب؟ وما الذي أضافته في العلاقات الاجتماعية رحلات الإنسان على سطح الماء؟ وما أثر هذا الاختراع في التجارة والحرب وغيرها؟

إن تاريخ هذا المركب لا ينفصل عن استخدامه؛ فبين هذا وذاك علاقة جدلية لا يمكن الفكاك منها[2].

ويستنتج الدكتور "حسن حمزة"، من الأسئلة السابقة بأن الأمر على هذه الشاكلة في اللغة؛ بوصف بنيتها الداخلية وصف للشفرة وحدها، ووصف للبنية وحدها شبيه بوصف المركب وحده، وكما أن المركب مرتبط بتاريخ الإنسان؛ فإن اللغة جزء من هذا العالم، وعلى اللسانيات أن تقوم بوصف هذا العالم، ذلك أن تاريخ اللغات ليس إلا جزءا من تاريخ المجتمع أو الجانب اللغوي من هذا التاريخ[3].

ويلاحظ من الكلام السابق ، أن الجانب الاجتماعي هو الأساس في دراسة اللغات وفي مدى تغيرها وتطورها، فليست اللغة مقصودة لذاتها، وإنما هي باب من أبواب الولوج إلى العلاقات الاجتماعية، وإن كان ثمة حرب بين اللغات فلأن العالم متعدد، ولأن التعدد اللغوي هو الأصل. قال تعالى :﴿**ومن آياته خلق**

---

[1] المرجع نفسه، (مقدمة المترجم د/ حسن حمزة)، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

[3] المرجع نفصه، ص 14-15.

السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾، فالتعدد اللغوي خلق إلهي وآية من آياته العظام، ثم إنه ضرورة اجتماعية، ولو كان يمكن للعالم أن يكون أحادي اللغة لما حدث فيه صراع، ومن هنا وَهْمُ الحل المسالم في ابتداع لغة اصطناعية عالمية كلغة «الإسبيرنتو» أو كاللغات المصطنعة الأخرى، إنه وَهمٌ لأنه يخالف حقيقة جوهرية في اللغة هي: حقيقة التعدد[1].

ولقد بنى لسانيون غرب مقارباتهم لمعالجة أسطورة الأصل اللغوي الواحد ولغة التعدد اللغوي في الأديان، فسعى "لويس جان كالفي" في سبيل هذا الأمر إلى إقامة شبيه في النص القرآني والنص التوراتي القائل "بأن الأرض كلها كانت لسانا واحدا، ولغة واحدة وحيدة وأن أهلها كانوا يبنون لأنفسهم مدينة وبرجا رأسه بالسماء، فغضب الرب عليهم فبلبل ألسنتهم وبددهم من هناك في وجه كل الأرض"[2]. فيرى أن سورة البقرة تحذو حذو التوراة في أصل اللغة؛ لأنها تقول: "إن الله خلق العالم وسماه" ، ويرى أيضا أن "القرآن – غالبا– ما يفسر في الاتجاه نفسه، فليس في الأصل إلا لغة واحدة هي العربية، لغة الله، ولغة آدم، ولغة الجنة، ففي الحالين إذا، مصيبة أولية واحدة تصيب في الإنجيل الجنس البشري كله، فتحرمه من نعمة اللغة الأصلية الواحدة، ولكنها لا تصيب في القرآن إلا جزءا منه ممن لا يتكلمون العربية"[3].

وعلى هذا الأساس، نجد أن "لويس جان كالفي" قد جمع بين النصين الدينيين ودفع بهما في اتجاه واحد؛ الأساطير الدينية المؤسسة لوحدانية اللغة في الأصل، وللعقاب الإلهي الذي يفرز التعدد، ولكن يبدو أن المؤلف لم يطلع على التراث الإسلامي اطلاعا كبيرا، أو لم يفهم ما جاء في القرآن الكريم. لذلك قدم للمتلقي صورة شوهاء لا تمثل حقيقة النص القرآني، ولا الوجهة الأساسية لتفسير

---

[1] المرجع نفسه، ص 19.

[2] الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح 11، الآيات: 1–9.

[3] حرب اللغات، مرجع سابق، ص 20.

هذا النص في التراث العربي الإسلامي، فليس اختلاف الناس "نقمة" فيه وإنما ﴿... **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾[1]، ولكل قوم لسان ﴿**ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾[2]، وليس اختلاف الألسنة في القرآن نقمة ولا عقابا، وإنما هو كاختلاف الألوان والألسنة وخلق السموات والأرض، آية من آيات الله عز وجل ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**﴾[3].

إن اللغات تولد وتحيا وتموت شأنها في ذلك شأن الكائنات الحية، والأجسام البيولوجية، ولذلك يمكننا تبني الاستعارة البيولوجية؛ ذلك أن اللغات في جميع العصور تتحول من حال إلى حال، وهكذا يمكن الحديث عن الفرنسية القديمة، والألمانية القديمة، والعربية الفصحى القديمة، ويمكن الحديث كذلك عن امتصاص بعض اللغات للبعض الآخر، فالفرنسيون يتكلمون اليوم اللغة اللاتينية، ولكنها لاتينية عمرها عشرون قرنا، تتميز بأصول ألمانية قديمة، وبكلام أجدادهم «الغول Goulois»، ويمكن الحديث أيضا عن ذوبان بعض اللغات، فقد ذابت الفرنسية والساكسونية لتولد منها اللغة الانجليزية، ويمكن الحديث أخيرا عن لغات انقرضت، أو عن لغات هي في طريقها إلى الانقراض والاندثار[4].

وكما سبق الذكر، فإن هذه التحولات يعرفها إلى حد ما كل من له ثقافة دنيا، ليست ظاهرات لغوية في حقيقة الأمر، وإنما هي تعبير لغوي عن حركات اجتماعية أكثر عمقا، ولذا يتعلق الأمر بالتحولات الصوتية، وكذلك التغيير الدلالي، والمعجمي دون نسيان الجذور الاجتماعية العميقة لكل صوت، أو لفظ، أو دلالة. فحين درس "أنطوان مييه Antoine Meillet" وهو بلا ريب من أكثر اللسانيين الفرنسيين وعيا بالعلاقة بين اللغة والمجتمع، كيف تحول اللفظ "Captivus" اللاتيني من معنى «الأسير» إلى معنى «البائس» و«السيئ»، ألح

---

[1] سورة الحجرات: 13

[2] سورة إبراهيم: 04

[3] سورة الروم: 21.

[4] حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 25-26.

على أهمية انتظام الكلمة في بابها للحفاظ على معناها وعلى أن الكلمة حين تخرج من بابها (وإن شئت قلت: حين تنصرف عن الكلمات التي تنتمي معها إلى جذر واحد) فإنها تتمتع بقدر أكبر من الحرية، ما يعزز سهولة تطورها[1].

ويواصل "مايبه" حديثه قائلا:" إن كلمة "Captivus" اللاتينية التي تعني «الأسير» كانت وثيقة الصلة بلفظ "Capere" الذي يعني «أخذ، قبض على» وبلفظ "Captus" الذي يعني «الذي يُؤخذ، الذي يقبض عليه». لم يكن ممكنا إذ يغيب معنى الأسير عن لفظ "Captivus" بحكم انتمائه إلى باب الألفاظ التي تعبر عن «الأخذ» و«القبض»، غير أن لفظ "Capere" الذي كان يعني «أخذ، قبض على» اندثر جزئيا، وبقي جزئيا محتفظا بدلالات خاصة، فصار يعبر عن فكرة «الأخذ» في اللغات المتحدرة عن اللاتينية بألفاظ لا تشتق منه، بل من لفظ "Prehendere" فصار لفظ "Captivus"حينئذ تحت رحمة الضغوط الخارجية، فأخذ معنى «البائس» و «السيئ» فهو في الايطالية "Cattivo" والفرنسية "Chétif"[2].

إن التحليل الذي قام به "مايبه" يأخذ العادات الاجتماعية في الحسبان، كما يأخذ عناصر لسانية خارجية، فيسمح في الأخير بتفسير تغير الألفاظ في حركة جدلية بين تحليل اللغة وتحليل المجتمع.

يضاف إلى عوامل التعدد اللساني احتكاك اللغات، اختلاف الشعوب، سيطرة اللغة الراقية، غلبة المجتمع القوي لفرض لغته على المستعمرات، ثم إن هناك ابتكار اللغة الجديدة أو اللغات التقريبة كالبيدجن (Pidgins)، والكريول (Créoles) وغيرها من اللغات المبتدعة من أجل التواصل، ولكل منها مجالها ودوافعها؛ فمنها ما تتطلبه حالة تجار الموانئ ومنها ما يستعمله العبيد في المزارع،

---

[1] المرجع نفسه، ص 26-27.

[2] Comment les mots changent de sens, Antoine meillet, L'arme sociologie, (1905-1906),
نقلا عن حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 27.

ومنها ما يستعمله المهاجرون، وهناك أيضا ما تجود قرائح الأدباء والشعراء، واقتباسهم ومحاكاتهم وترجمتهم لما ينتجه غيرهم من الشعوب، والأمم الأخرى المجاورة أو المتقدمة أو المستعمرة...

إن الألسنة لا توجد دون الناس الذين يتكلمونها وما تاريخ لسان بعينه سوى تاريخ الناطقين به، ولذلك قال "دي سوسير":" إن اللسان هو الجزء الاجتماعي من اللغة"[1]. أو "اللسان هو مؤسسة اجتماعية" [2]. وأضاف "أنطوان ماييه (1886-1936)" في العديد من النصوص الطابع الاجتماعي للغة، أو على الأصح فقد حددها بوصفها ظاهرة اجتماعية، وهكذا اقترح في مقاله المشهور الموسوم بـ(كيف تتغير معاني الكلمات؟) تحديدا لهذه الظاهرة الاجتماعية، مبينا في الوقت ذاته ودون غموض صدوره عن آراء عالم الاجتماع "إيميل دوركايم E. Durkhaeim"[3].

إذن، إن حدود اللغات تميل إلى الاقتران بحدود الزمر الاجتماعية (Groupes Sociaux) التي تدعى بالأمم، وإن غياب وحدة اللغة ينم عن وجود دولة حديثة؛ مثل ما هو حاصل في بلجيكا، أو دولة قائمة بشكل اصطناعي؛ مثل ما هو حاصل في النمسا[4].

فاللغة هي إذن ظاهرة اجتماعية بامتياز، ذلك أنها واردة في تحديد "دوركايم"، وهي توجد مستقلة عن كل فرد من الأفراد الذين يتكلمونها، وعلى الرغم من أنها لا تقوم بمعزل عن مجموع هؤلاء الأفراد، فإنها مع ذلك خارجة عنه (أي الفرد) من خلال عموميتها[5].

---

[1] Cours de linguistiques générale, De Saussure, Paris, 1916, P: 31

[2] Op-cit, P: 33.

[3] علم الاجتماع اللغوي، لويس جان كالفي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، د/ط، 2006، ص11.

[4] المرجع نفسه، ص 11

[5] المرجع نفسه، ص11

ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضرورات الحياة، وإليك الشعوب الصينية؛ فلغاتها أولية ساذجة في نواحي الألفاظ والدلالة والقواعد، تكفي فقط للتعبير عن ضرورات الحياة وشؤون الصناعة اليدوية والأدب السهل والتأمل الضحل، لذلك فهم يستعينون بالحركات اليدوية والجسمانية لتكملة ما ينقص تعبيرهم، وما يعوزهم من الدلالة، وإذا تحدثت معهم في مكان مظلم فهم يضطرون إلى إشعال النار ليتمكنوا من رؤية الإشارات اليدوية والجسمية التي تصحب الكلام[1].

ويلاحظ مما سبق أن مدلول الكلمة في لغة ما، يتطور تبعا لتطور الشؤون الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول؛ فكل تطور بهذا الشكل يتجه بمدلول الكلمة وُجهة خاصة وينحدر به قليلا أو كثيرا عن أوضاعه الأولى، وهذا راجع – طبعا– إلى شيوع الاستعمال أو إهماله؛ فهناك مثلا كلمة "قطار" التي كانت تطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعا لتطور وسائل المواصلات وأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة، والأمثلة على هذا التحول والتطور لا حصر لها.

إن كثرة استعمال كلمة في مدلولها العام أو الخاص في بعض ما يدل عليه لسبب اجتماعي يزيل مع – تقادم العهد– عموم المعنى أو خصوصه، وعلى سبيل الذكر الصلاة التي مدلولها الأصلي الدعاء، ونظرا لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء قصر مدلولها على الدعاء، وكذلك كلمة "الوِردٌ" فأصله إتيان الماء وحده. ثم صار إتيان كل شيء وِردا لكثرة الاستخدام في هذا المعنى العام، ومن ذلك الصادر والوارد في السجلات الإدارية...

وبالإضافة إلى كثرة العام والخاص هناك أيضا كثرة استعمال الكلمة في معنى مجازي، أو في عبارات منفية، أو في فن من الفنون، كل ذلك لضرورات اجتماعية، وبفعل عوامل التطور والتغيير تجرد الكلمات من معناها الأصلي،

[1] المرجع نفسه، ص 20.

فيقتصر حينذاك على مدلولها الاصطلاحي الجديد في نطاق الحياة الاجتماعية، ومن ذلك مثلا: المِرباعٌ في الجاهلية، والنوافيح وغيرها.

- اللغات التقريبية وتداخل العناصر الأجنبية:

هذا التعدد اللغوي يطرح مشكلا مغايرا حين يجد المتكلم نفسه في جماعة لا يحسن لغتها، ولذلك فهو يلجأ إلى لغة ثالثة إذا كان عابر سبيل؛ لغة يعرفها هو وتعرفها الجماعة المحيطة به، وفي هذه الحالة يستعمل لغة ناقلة (Véhiculaire)، وإذا كان ينوي البقاء في هذه الجماعة فحينئذ يتوجب عليه اكتساب لغة الجماعة المستقبلة، وهذه حال المهاجرين. فينتج عن ذلك في بادئ الأمر: كلمات متبدعة عن التداخل بين اللغتين، خليط تركيبي. وقد لا تقتصر هذه الحال على الفرد بل قد تشمل زمرة الجماعة برمتها وإن كان لزمرة اجتماعية من التواصل فلابد من اختراع لغة ثالثة أو لغة تقريبية، وهي في الغالب لغة هجين.

وكثيرا ما نجد هذا التعدد اللغوي عند التجار الذين تربطهم العلاقات التجارية كعمال الموانئ كما سبق الذكر، ولكن هذه الصيغ التقريبية التي تتطلب حاجات التبليغ الخاصة ليست سوى أشكال مساعدة تستخدم في حال الاحتكاك (Pidgins = Busness)

- مزج اللغات وتعاقب اللغات والإستراتيجيات اللغوية:

عندما يكون الفرد أمام لغتين يستعملها بالتناوب، فإنه يحصل تمازج في خطابه فينتج ملفوظات مزدوجة، فالأمر هنا لا يتعلق بالتداخل، وإنما بعملية تلصيق (Collage) وانتقال من نقطة الخطاب بلغة إلى أخرى – كما يحدث عندنا في الجزائر – وهو ما يدعى بـ "مزج اللغات" (Code Mixing)، أو التعاقب اللغوي (Code Scwitching).

إن مزج اللغات أو تعاقب اللغات يمكن أن يستجيب لإستراتيجيات الحديث ومن ثم يمكنهما أن ينتجا معنى ودلالة.

وأما التعاقب فقد يطابق ما يسمى بـ "التفاوض حول لغة الخطاب" (Négociation de la langue d'interaction).

وإذا حدث واجتمع عدد من الأفراد وكل واحد منهم يحسن لغته ولغات أخرى غير لغته الأصل، فإن مدار الحديث سيكون حتما بـ"اللغة الجامعة"؛ أي باللغة التي يحسنها كل الأطراف وإلا تعذر التواصل على أحدهم، حتى وإن لم تكن اللغة الأصل؛ ومعنى هذا أننا إزاء سلوكات لغوية أملتها الضرورة الاجتماعية (استخدام اللغة الوحيدة التي نمتلكها جميعا).

- **مختبر الكريول** (Laboratoire Créole):

إن احتكاك اللغات لا يؤدي إلى حصول التداخلات والتعاقبات والإستراتيجيات فحسب، إنه يولد خاصة مشكل التواصل الاجتماعي؛ وخير مثال اللغات التقريبية السابير (الموائي)، البيدغن (التجار) التي تتسم بكونها ليست بلغة أحد. إن هناك ضرورة اجتماعية تجعل اللغات الأولى تفقد نجاعتها التواصلية حين يكون تمازج السكان من القوة بحيث لا يتكلم أحدهم لغة الآخر، وهذا ما حدث أثناء نقل العبيد من إفريقيا نحو الجزر، ولما كان هؤلاء من أصول مختلفة تعذر عليهم التواصل فيما بينهم بلغاتهم الأولى، الأمر الذي أدى بهم إلى ابتداع لغة تقريبية هي ما يسمى بالبيدجن (Pidgin)[1]. أما اللغات الكريولية (Créoles) فإنها ترتبط بالتجارة المثلثة والمتاجرة بالعبيد، و"الكريول" حسب البعض هو "بيدغن" قد أصبح لغة الجماعة الأولى (Vernaculaire)، لها مفردات أكثر، وتراكيب أثرى، ومجالات استعمال متنوعة، وهي تتسم بمفردات مقترضة من اللغات المهيمنة؛ أي لغة أصحاب المزارع، وتراكيب قائمة على اللغات الإفريقية، وقد سماها "R. Chaudenson" بتقريب التقريب" (Approximation d'Approximation)

[1] المرجع نفسه، ص 40.

وهناك أيضا مظاهر أخرى للتعدد اللغوي كالثنائية اللغوية، التي عنى بها "فيرجيسون Fergusson" تعايش شكلين لغويين في جماعة واحدة، وقد سماهما:

1. التنوع الرفيع: ويستعمل في الآداب، والرسائل والخطب، وفي الجامعة، وفي الإدارة،...

2. التنوع الوضيع: ويستعمل في الأحاديث العائلية وفي الأدب الشعبي، يكتسب بطريقة طبيعية (اللغة الأولى للناطقين).

إن نجاح مفهوم الثنائية يعود إلى اللحظة التاريخية التي ظهر فيها؛ ففي عهد الاستقلالات الإفريقية واجهت العديد من البلدان وضعا لغويا معقدا: تعدد لغوي من جهة، وسيطرة لغة المستعمر من جهة أخرى، ولما كانت الثنائية تعطي لهذا الوضع إطارا نظريا، فقد نزعت إلى تقديمه وكأنه أمر عاد وقار، قادر على الصراع اللغوي الذي تعكسه. ومن هنا فإن أن أوضاع الثنائية اللغوية قارة ويمكن أن تعمر طويلا.

- الأمن اللغوي:

يوجد في صلب المجتمع ما يمكن أن ندعوه بالنظرات حول اللغة، وتطورات للغة؛ أي باختصار "معايير" (Des Normes) يمكن أن يتقاسمها الجميع أو يمكنها أن تتباين وفق بعض المتغيرات الاجتماعية (الجنس مثلا الذي يتولد عنه مواقف وسلوكات هي نفسها متباينة). وقد يرفض أفراد مجتمع ما "لُكنة" تعيب أدائهم وهذا يؤكد أن هناك لغة سليمة لابد من بلوغها.

ولكن، هل تؤثر لغة الإعلام والسياسة على الناطقين الذين هم بإزائها مستمعون، ومستقبلون ليس إلا؟ وما هي العلاقات اللغوية التي تقوم بين المستمعين، وأشكال اللغة التي يصغون إليها ولا ينتجونها؟ ذلك أن نشر أجهزة الراديو والتلفزة داخل الأسر يساهم بشكل كبير في نشر اللغة الشرعية.

- جماعة لغوية أم جماعة اجتماعية؟:

إن مفهوم الجماعة اللغوية يكاد يكون قديما قدم اللسانيات نفسها، غير أن مختلف اللسانيين قد أعطوها تحديدات وتعاريف متنوعة؛ فبالنسبة إلى "بلومفيلد Bloomfield" فإن:" الجماعة اللغوية زمرة من الناس تنشط بواسطة الخطاب" [1]، أما "مارتيني A. Martini" ففي محاولة لتحديد الجماعة اللغوية فإنه يقول:" يحصل التواصل كلما كانت هناك لغة... وإننا إزاء لغة واحدة وحيدة كلما كان التواصل قائما حقا"[2].

ويلاحظ من خلال التحديدين أن اللغة هي التي تشرف على التحديد وليس الجماعة، ولكن أنى للغة أن تعكس المجتمع إن كان المجتمع متعدد اللغات؟

إن الطريقة الوحيدة للخروج من هذه المفارقات هي الخروج من اللغة والانطلاق من الواقع الاجتماعي، ذلك أن تحديدنا الزمرة بواسطة اللغة يفضي بنا إلى تحصيل الحاصل الذي من شأنه أن يحجب تعدد العلاقات اللغوية، وتداخل الأنظمة؛ أي لُحمة التواصل الاجتماعي نفسه[3].

وقد لاحظت اللسانية البريطانية "ليسلي ملرو Leslie Milroy" عن دراستها لشبكات التواصل في مدينة "بلفست" (Belfast) بأن أعضاء الطبقة العاملة تتوفر على شبكات تواصل أقوى من شبكة الطبقات الوسطى أو العليا، فهم يتعايشون في إطار العمل والترفيه والجيرة، ومن ثم فإن لهجتهم الاجتماعية تتقوى[4].

وهكذا فإن استعمال شبكة التواصل تضمن انسجام اللهجة الاجتماعية في حين أن الاخلافات في صلب جماعة لغوية بين اللهجات الاجتماعية تتوقف على البعد الاجتماعي، أو المسافة الاجتماعية بين متكلميها. إن هذه المقاربة التي تستلهم الأنثروبولوجيا وإثنوغرافيا التواصل Ethnographie de la

---

[1] المرجع نفسه، ص 91.

[2] Le language, Leonard Bloomfield, Paris; Payot, 1970, P: 44.

[3] Eléments de linguistique générale, André Martinet, Paris, Armond Collins, 1964, P:148.

[4] Language and Social Networks, Lesley Milroy, Londres, black well, 1980,
نقلا عن كتاب علم الاجتماع اللغوي، ص 103

(Communication في الوقت نفسه، تفضي إذن إلى قضية تغيير الممارسات اللغوية[1].

- السياسات اللغوية:

يطلق اسم السياسة اللغوية على مجموعة من الاختيارات الواعية المتعلقة بالعلاقات بين (اللغة/اللغات) والحياة الاجتماعية، ويطلق اسم التخطيط اللغوي (Planification Linguistique) على التطبيق الفعلي لسياسة لغوية بعينها (الانتقال إلى العمل/التطبيق).

وما من زمرة إلا ويمكنها أن تضع سياسة لغوية؛ بيد أنه في مجال أهمية العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية؛ فإن الدولة وحدها هي التي تمتلك السلطة والوسائل التي تمكنها من الانتقال إلى مرحلة التخطيط، وإنجاز اختياراتها السياسية، ومن السياسات اللغوية الوطنية تسييران للتعدد اللغوي[2]:

أ **-التسيير المستعمل** (In Vivo): وهو متعلق بالكيفية التي بمقتضاها يواجه الناس يوميا مشاكل التواصل؛ كاللغات التقريبية، أو اللغات المشتركة فهو نموذج دال على التسيير للتعدد اللغوي في الحياة اليومية المعيشة، وفي كلتا الحالتين يتم التواصل حقا عن طريق "ابتكار لغة". وهذا الابتكار لا يدين بشيء لقرار رسمي، أو مرسوم وزاري، أو قانون. فهو نتاج ممارسة جماعة ليس إلا[3].

وبناء على ممارسات الجماعات تظهر في كل يوم كلمات جديدة للدلالة على مفاهيم وأشياء لم يسبق للغة أن دلت عليها من قبل، وهذا التوليد العفوي قد نشط بخاصة أثناء الفترات الاستعمارية خاصة في اللغات الإفريقية.

ب -التسيير الموضوع (In Vitro): هناك مقاربة أخرى لمشاكل التعدد اللغوي أو التوليد اللغوي (Néologie)، وهي المقاربة التي تعتمدها الدولة، حيث

---

[1] المرجع نفسه، ص 103

[2] المرجع نفسه، 112.

[3] المرجع نفسه، ص 112.

يحلل اللسانيون الأوضاع واللغات في المخابر، ويتولون وصفها ويضعون الفرضيات حول مستقبل الأوضاع، ومقترحات لتسوية المشاكل. ثم يدرس الساسة هذه المقترحات والفرضيات فيجرون الاختيارات ويطبقونها، وتجدر الإشارة ههنا إلى أن عدم توافق الاختيارات المخبرية مع تسيير المعيش أو تضاده مع أحاسيس الناطقين اللغوية قد يفضي إلى صراع، ويصبح من الصعب فرض لغة وطنية على شعب ما لا يرغب في ذلك، ولذلك تطرح السياسة اللغوية مشاكل المراقبة الديمقراطية (لا يجب ترك "أصحاب القرار" يفعلون ما يحلو لهم)[1].

- **الاشتغال على اللغة** (L'action sur la Langue):

تتغير اللغات تحت مفعول بناها الداخلية، واحتكاكها باللغات الأخرى والمواقف السياسية، ومع ذلك يمكن تغييرها والتدخل لإحداث تغيير في صورتها، وربما لذلك غايات مختلفة أهمها؛ تحديث اللغة (الخط، المفردات)، وتصفيتها (Epuration)، أو الدفاع عنها. ولذلك يمكن التدخل في وضع الكلمات متى افتقرت اللغة إلى المفردات، أو إذا أريد استبدال كلمات بكلمات أخرى، فإن تعلق الأمر بتغيير منزلة اللغة سمي ذلك بـ "التوليد" (Néologie)، وكان هذا النوع من التدخل يتم بعد تصفية الاستعمار (Situation Post-Coloniales)، ولكن حتى هذا التوليد المخبري قد يصادف معضلة مع التوليد المعيشي إذا كانت الكلمات المقترحة من قبل المخططين تجابه كلمات من وضع المتكلمين كما حدث مع تركيا (عندما وصل "مصطفى كمال" إلى الحكم واستبدل اسمه وتبنى اسم "أتاتورك" أي أبو تركيا، وغير ذلك من التغييرات التي أحدثها في نظام الدولة بداية باللغة)[2].

- **توحيد اللغة أو اللغة الجامعة** (Standardisation d'une Langue):

---

[1] المرجع نفسه، ص 113.

[2] مرجع سابق، ص 116.

اعتقد أن العمل على توحيد اللغة أو اللغة الجامعة هو عمل عقيم؛ ذلك أن الضرورات الاجتماعية هي التي تفرض اللغة، ولكن يمكن توحيد لغة أمة تحت لغة جامعة تدين بالدين نفسه، ولكن من المستحيل أن نوحد لغة كل العالم، وإن حدث هذا فهو معجزة، ولكن يمكن القضاء على اللهجات بفرض التعلم أولا، وبعد مرور فترة من الزمن فرض اللغة الرسمية (لغة القراءة والكتابة) على الجميع في المحادثة اليومية. وحتى هذا الأمر يظل شبه مستحيل؛ وذلك أن اختلاف الألسنة والألوان، والشعوب هو آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا قد يكون للسياسة اللغوية وظيفة رمزية وإيديولوجية قوية تتمثل في محو آثار الهيمنة في اللغة والتأكيد عن طريق التوحيد اللغوي على وجود أمة ما.

- الاشتغال على اللغات (L'action sur les Langues):

في الأوضاع الموسومة بـ "التعدد اللغوي" قد تضطر الدول أحيانا إلى ترقية هذه اللغة المغلوبة على أمرها أو تلك، أو على العكس، فقد تجردها من المنزلة التي تتمتع بها.

1- اختيار لغة وطنية:

إذا كان هناك مجموعات عديدة لهجية، وهناك استعمال لأكثر من لغة، وجب ترسيم لغة ليست لأحد؛ أي لغة من شأنها أن تغني عن الصراعات والسجالات العرقية الإثنية. إن هذه السياسة التي تشكل تدخلا مخبريا بينا حول اللغات سيعبقها عمل اللغة، كتزويدها بمفردات تناسب وظائفها الجديدة، واعتماد إستراتيجية بإضفاء الطابع الجديد المتفق عليه، وأما اقتراض كلمة من لغة عالمية فهو لا يحصل إلا عندما تستنفذ الحلول الأولى، وذلك أن التوليد اللغوي يكتسي إيحاءات إيديولوجية قوية[1].

[1] علم الاجتماع اللغوي، ص 119.

2- استعادة/استرجاع اللغة:

يمكن توحيد اللغة إذا كان هناك لغات متعددة في مجتمع واحد، ففي هذه الحال يتدخل الساسة والمخططون واللسانيون؛ إما لاسترجاع اللغة الأصل في ذلك المجتمع أو اللغة المهيمنة عليه، وإن كانت عبارة "اللغة المهيمنة عليه" بالنسبة إلى اللغة المهيمنة عبارة مجاز؛ ذلك أن الشعوب هي المهيمن عليها وليس اللغات.

ومن هنا يجب أن يعطى المشعل لعدد من اللسانيين لإنشاء عد من المؤسسات قصد تغيير الواقع اللغوي في إطار قانوني محدد المعالم، وذلك بالتصويت على قانون يقضي "بالتقييس اللغوي" (Normalisation Linguistique) الذي ينص مثلا على أن جميع المتمدرسين (كيفما كان انتماؤهم الجغرافي) مجبرون على تعلم اللغة المختارة، والشأن نفسه بالنسبة للنشاطات الإشهارية والتجارية والرياضية.

ويسعى التخطيط اللغوي إلى تأسيس ازدواجية لغوية غير ثنائية، بالإضافة إلى أنه يمس مجال المحيط اللغوي (إشارات المرور، اللافتات الرسمية،...) وإذا نجح هذا التخطيط فهو نوع من التثمين (Optimisation) للسياسة اللغوية، خاصة إذا كان هناك أمم بحاجة إلى تعزيز استقلالها.

الناس إذن في مواجهة اللغات، أين ما كانوا، أيّا ما كانت اللغة الأولى التي سمعوها أو تعلموها، فإنهم يلاقون لغات أخرى في كل يوم فيتواصلون معها أو لا يتواصلون، يتعرفون عليها أو لا يتعرفون، يحبونها أو لا يحبون، تحكمهم أو يحكمونها، فالعالم متعدد اللغات، تلك حقيقة واقعة والتاريخ اللغوي الذي هو مظهر من مظاهر تاريخ العالم، ليس في جزء كبير منه سوى إدارة لهذا التعدد اللغوي[1].

ليس التعدد اللغوي – خلافا للبعض أن يتصوره– وضعا خاصا، وليس مقصورا على مناطق مخصوصة، ولا هو سمة من سمات العالم الثالث على وجه

[1] حرب اللغات والسياسات الاجتماعية، ص 77.

التحديد، أو من سمات البلدان النامية التي نتصورها بداهة، موزعة بين " لهجاتها"، و"لغاتها المحلية"، و"لغاتنا"، فالتعددية اللغوية قدر مشترك وإن ظهرت بأشكال مختلفة في كل حال[1].

الهوامش:

القرآن الكريم

[1] – حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة: د/ حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/1، 2008، ص389.

[1]– المرجع نفسه، ص 389.

[1] – المرجع نفسه، (مقدمة المترجم د/ حسن حمزة)، ص 14.

[1] – المرجع نفسه، ص 14.

[1] – المرجع نفصه، ص 14–15.

[1] – المرجع نفسه، ص 19.

[1] – الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح 11، الآيات: 1–9.

[1] – حرب اللغات، مرجع سابق، ص 20.

[1]المرجع نفسه، ص 77.

[1] – سورة الحجرات: 13

[1] – سورة إبراهيم: 04

[1] – سورة الروم: 21.

[1] – حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 25–26.

[1] – المرجع نفسه، ص 26–27.

[1] - Comment les mots changent de sens, Antoine meillet, L'arme sociologie, (1905-1906),

نقلا عن حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 27.

[1] - Cours de linguistiques générale, De Saussure, Paris, 1916, P: 31

[1]- Op-cit, P: 33.

[1] – علم الاجتماع اللغوي، لويس جان كالفي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، د/ط، 2006، ص11.

[1] – المرجع نفسه، ص 11

[1] – المرجع نفسه، ص11

[1] – المرجع نفسه، ص 20.

[1] – المرجع نفسه، ص 40.

[1] – المرجع نفسه، ص 91.

[1] - Le language, Leonard Bloomfield, Paris; Payot, 1970, P: 44.

[1] – Eléments de linguistique générale, André Martinet, Paris, Armond Collins, 1964, P:148.

[1] - Language and Social Networks, Lesley Milroy, Londres, black well, 1980,

نقلا عن كتاب علم الاجتماع اللغوي، ص 103.

[1] – المرجع نفسه، ص 103.

[1] – المرجع نفسه، 112.

[1] – المرجع نفسه، ص 112.

[1] – المرجع نفسه، ص 113.

[1] – مرجع سابق، ص 116.

[1] – علم الاجتماع اللغوي، ص 119.

[1] – حرب اللغات والسياسات الاجتماعية، ص 77.

[1] – المرجع نفسه، ص 77.

واقع حال التعدد اللَغوي في المدرسة الجزائرية
(نحو بديل أفضل: اللغة الجامعة)

أ.د/ يوسف مقران المدرسة العليا
للأساتِذة بوزريعة . الجزائر

مقدم.ة

إنّ الهمّ الذي يحدونا ونحن نعالج . في هذه المداخلة وفي هذه الآونة . واقعَ حال التعدّد اللغوي في المدرسة الجزائرية، هو طرح الموضوع على مستواه القانوني التشريعي الدستوري وفي علاقته مع المجتمع المدني، وذلك نزولاً عند

تجلّياته في طموحات هذه المدرسة الجزائرية عبر تحليل حاجاتها ومواقف المعلّمين والمتعلّمين والأولياء . نقول *طموحات* لأنّ النتائج المحصَّل عليها فيما يخصّ تكريس ثقافة التعدّد اللغوي ولو نظريّاً هي بعيدة كلَّ البعد عن المحمود المتوقَّع في حين يُزعم الكثيرُ من خلال مشاريع السياسات اللغوية المتعاقبة التي للأسف لا تتماشى دائماً مع توقّعات المجتمع الذي أصبح يعي موقعَه المتوسطي المغاربي الاستراتيجي. وفي هذا السياق يجدر التفكير في اللغة الجامعة كبديل. مع العلم أنّه سبق أن وجد هناك مَن بحث عن لغة مشتركة أو بالأحرى لغة جامعة (Unitaire) كبديل وحلٍّ لتدهور حال المشهد اللغوي ، بل ثمة مِن المفكّرين والأدباء مَن أزعجهم ذلك التدهور إلى حدّ السخط كما يُؤثَر عن دانتي (Dante) الذي صرّح في موضوع العامية الإيطالية . وهو يتنبّأ بسوء عاقبة اللغة الإيطالية الفصحى: «هذه العامية الإيطالية المبتذلة التي تصدح بغموض فاحش ستكسح جزءاً كبيراً من أمجاد اللغة الإيطالية الفصحى»[1].

وإذ نلاحِظ أنّ أسئلة التعدّد اللغوي في الجزائر كثيرة جدّاً دعونا نبحث هذه الإشكالية على المستوى المدرسي. من هنا فما نكترث به في سياق هذه الإشكالية هو توصيف لحال استعمال فضاء من الفضاءات التي سنذكرها لاحقاً في المدرسة الجزائرية. بيد أنه مهما يكن تباينُ الآراء فالمدرسة الجزائرية عرفت العديد من التجارب على امتداد عدة سنوات ولا عجب أن ترفع اليومَ شعار التعدّد اللّغوي.

1. الاعتبارات الأوليّة:

1.1 نقطة نظام مصطلحيّة:

1.1.1 لماذا التعدد اللغوي لا التعدّدية اللّغوية؟

نفتتح هذه الورقة البحثيّة بالتّمييز بين مصطلحين على الرغم من علاقة التكامل الكائنة بينهما إذ لا يمكن استبدال أحدهما بالآخر، وهما: 1.التعدديّة

---

[1] نقلاً عن: Franco Pierno, Du rêve d'une homogénéité linguistique au plurilinguisme institutionnel: l'Italie en dialectes et langue(s), in Pluralisme et multiculturalisme (Dir. Nadine Ly), Ed. Presses Universitaires de Bordeaux (Coll. Montaigne-Humanités), Bordeaux, 2009, (p.21-33), p.22.

اللغويّة و 2.التعدّد اللغوي. والأمر يُفسَّر كالآتي: تقع (التعدّديّة اللّغوية) على مستوى الفرد ويهمّ فيها ملامح الشخص الذي يُعتبر ملتقى عدّة لغات وم وطن احتكاكها، ويُعالج كونه *متعدِّد اللغات* نظراً لما يستقطب من اهتمام حول الانعكاسات الممكنة على نفسيته وكذا الاستراتيجيات التي يعتمدها المتعلِّم في نقل المعرفة من وضع لغوي ما إلى آخر. فبالتالي تُدرَس التعددية على المستوى اللساني والنفسي والذهني. هذا، بينما يعني مصطلح (التعدّد اللغوي) ما يقع على المستوى القطري بحيث يشمل مجموعة لغوية ما ويُتناول كموضوع من قبل اللسانيات الاجتماعية. وقد استوحينا هذا التحليل من التمييز الذي تقدّم به كلٌّ مِن (Michel Blanc) و (Josiane Hamers) والذي طُبِّق على مفهوميْ الازدواجية اللغوية (Bilinguilité) والازدواج اللغوي (Bilinguisme)[1] أي ما يعادل (Pluralité linguistique) و (Plurilinguisme).

بل ثمّة مَن اقترح مصطلح (Colinguisme)؛ و يتعلّق الأمرُ بتفاعل اللغات مع بغضها البعض في بعدها الكتابي ولاسيما اللغات التي سمحت بتدوين الكتب السماوية والصحف المقدَّسة، انطلاقاً من العبرية والعربية واللاتينية.. وهكذا[2].

نتبيّن مما سبق أنّ زاويتنا هي اجتماعية تخصّ أكثر التعدّد اللغوي في أبعاده الاجتماعية ولكن مع مراعاة البعد الفردي كما نتقدم بتوضيحه في العنصر الآتي.

2.1.1 صعوبات الأخذ بالتعدّدية اللّغوية:

ثمة أيضاً مَن انتقد بشدّة الزعم القائل بتعدديّة لغويّة كاملة أو حتى ازدواجية لغوية كاملة. فهذه لويز دابن (Louise Dabène) تميِّز بين شقّيْ ثنائية

---

[1] يُنظَر: Josiane F. Hamers et Michel Blanc, Bilinguilité et bilinguisme, 2d éd. mardaga, Bruxelles, 1983, p.350-351.

[2] يُنظَر: Renée balibar, Le Colinguisme, Ed. PUF (Coll. Que sais-je ?), Paris, 1993, p.04

تقابليّة هي [(Bilinguisme composé) و(Bilinguisme coordoné)][1].
وتقتصر على هذا الأخير كما تنتصر بعضَ الشيء لمفهوم العقد بالتداول على اللغات وفق الحاجة ومن غير الزعم بكمالية تعلّم تلكم اللغات بكاملها. وذلك مِن أجل ضمان التفاهم المتبادَل بين الأفراد غير التابِعين لنفس المجموعة اللغوية. وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من مشاهدة الوضع اللغوي الذي تختصّ به فئة الشباب الناشئين في وسط المهاجرين (الجزائريين والاسبانيين والبرتغاليين)، لاحظت أيضاً عدم تجانس المنتوجات الكلامية التي يُفرزها عادةً الوسط اللغوي التعدّدي[2]. ثمّ إنّ المتعلِّم الذي يُوضَع في سياق التعدّد اللّغوي لا يتعامل مع مجموع اللّغات التي ينشد تعلّمها أو التي لديه حظٌّ سابق يتعلّق ببعضها، بحيث يصنِّفها في خانات واضِحة وبيّنة وإنّما تقضي المقاربة التعدّدية (اللّغويّة) خلق معابر وجسور بين تلكم اللغات أو بين بعضها وذلك بوساطة إجراء نوع من عقد تعليميٍّ اجتماعيٍّ تعامليٍّ أي يتعامل في إطاره مع تلكم اللغات وفق آليات تفهّميّة وتعبيريّة تتوقّف على مزدوجي اللغات ومتعدِّديها [3]. من هنا فتعليمية التعدد اللغوي غالباً ما تقضي بتعليم كيفيّة التّفاهم بين الأفراد متعدِّدي اللغات بمقتضى ذلك العقد كأنّهم في صدد لغاتٍ متجاورة سبق لها أن التقت في الماضي [4]. كما يعمل المتعلِّمون وفق مبدأ التكيّف ببعث استراتيجيات تنهض بمهمّة ملء الفراغات ودرأ النفص ولاسيما على المستوى المعجمي[5]. وذلك عن طريق مبدأ التعاون والتفاوض

---

[1] يُنظَر: Louise Dabène, Repères sociolinguistiques par l'enseignement des langues, Ed. Hachette, Paris, 1994, p.84

[2] يُنظَر: Louise Dabène, Caractères spécifiques du bilinguisme et représentations des pratiques langagières des jeunes issus dr l'immigration en france, in Devenir bilingue - parler bilingue (Actes du 2e colloque sur le bilinguisme, Université de Neuchâtel, 20-22 septembre 1984, ed. Georges Lüdi), Ed. Niemeyer, Tübengen, 1987, (p.77-97), p.77.

[3] يُنظَر: Pierre Escudé et Pierre Janin, Le point sur l'intercompréhension, clé du plurilinguisme, Ed. CLE (Coll. Didactique des langues étrangères), Paris, 2010, p.33.

[4] يُنظَر: Jacqueline Billiez, De la didactique des langues à la didactique du plurilinguisme, Ed. CDL-LIDILEM, Grenoble, 1998

[5] يُنظَر: Peter Auer, Le transfert comme stratégie conversationnelle dans le discours en "L2", in Devenir bilingue - parler bilingue (Actes du 2e colloque sur le bilinguisme, Université de Neuchâtel, 20-22 septembre 1984, ed. Georges Lüdi), Ed. Niemeyer, Tübengen, 1987, (p.57-74), p.72.

المشترك بين المتحدِّثين، فكل يساعد الآخر ويحاول فهمه ويمده عناصر هي من قبيل المعيار الذي يتقنه ولو اختلفت الملفوظات.

كما يقابل هنري بوبير بين نموذجين من التعدد أو الازدواجية، بين الفصيح وبين العامي ويختار حال سويسرا للأول وحال اسبانيا للثاني[1].

2.1 معايير الحكم بالتعدد اللغوي:

1.2.1 معيار المدرسة والتعليم:

التساؤل الذي ينبغي أن يُطرَح هنا هو: هل بمجرَّد ما يتمّ إدراجُ أكثر من لغة في المنظومة التربوية والتعليمية لأيّ بلدٍ يُقضى بالحكم على ذلك البلد بأنّه متعدِّد اللغات. إنّ الأمر ليس كذلك دائماً، ذلك أنّ واقع فرنسا مثلاً . و بشهادة أعظم الباحثين ومعظمهم . يدلّ على أنها ليست بلد متعدِّد اللّغات على الرغم من أنّ عدد اللغات التي أدخلت في المدرسة الفرنسية منذ التحضيري إلى الجامعة، يعدّ بالعدد الكافي للحكم على وضعها بالتعدد اللغوي . هذا، ولاسيما إذا علمنا أنّ المدرسة قد شكَّلت في فرنسا منذ تأسيس الجمهورية الثالثة مكان النَّمْذَجة اللغويّة والثقافة المشتركة اللّتين لا يتنازل عنهما أيٌّ من المسجَّلين فيها[2].

لاريبَ في أنّ العلاقة بين التعدّد اللّغوي والمدرسة وطيدة، ولا أحدَ يقدر على إلغائها تحت أيّ ذريعة كانت، والادّعاء بعكس ذلك هو نوعٌ من إنكار بأنّ المدرسة تستقبل مشاريع التكفّل بتعليم لغات وطنية ورسم يق وأجنبية ، وبدون التفكير في آفاق وتأثيرات ذلك على المتعلِّمين والمجتمع و..الخ.

إنّ تعلّم اللّغة الثانية يحدث في الغالب في سنٍّ تكون فيه قدراتُ المتعلِّم العقليّة والإدراكيّة والنفسيّة متطوِّرة بل ناضجة أكثر مما كانت عليه بينما كان في

---

[1] يُنظَر: Henri Boyer, Eléments de sociolinguistique: langue, communication et société, Ed. Dunod, Paris, 1991, p.95

[2] يُنظَر: Klaus Gerth, La société française face au bilinguisme: la réglementation de l'Education national en tant que reflet des interrogations d'une culture singulière et plurielle, in Bilinguisme: enrichissement et conflits (Actes du colloque organisé à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de l'Université de Toulon et du Var les 26, 27 et 28 mars 1999: réunis par Isabelle Felici), Ed. Honoré Champion, Paris, 2000, (p.45-60), p..

صدد اكتسابه لغة الأمّ، ذلك أنّ في هذه المرحلة يسود النزوع نحو المطاوعة بدون رقابة العقل (والفكر على الخصوص) ولكن بدون غفلة أيضاً بينما يزداد وعيُ المتعلم نمواً مع تطوّره العقلي[1]. من هنا تأتي ضرورة ترقّب ردود فعل مختلفة لدى المتعلمين كلٌّ حسب درجة وعيه باختلاف ما يُقدَّم له من أنظمة لغويّة وما يوضع إزاءَه من استعمالات كلاميّة قد يستسيغها أو يمجّها وي رفر منها. وعلى المعلِّم حينئذ أن يراعي هذه المسألة (الوعي بسياقات التعلّم المختلفة) وحساسية المتعلِّم تجاه ما يُعرض له (مِن اختيارات) وكذا مواقفه ممّا يطالَب به أن يتعلّمه من اللّغات. فلا شكَّ أنّ ما سبق أن اكتسبه المتعلِّم وشكَّل لديه معرفة لغوية (ولو أنها غير واعية) وأخرى قُدراتيّة متأصِّلة في ذاته، كلّ ذلك يؤثِّر على مساره الإجرائي التعلّمي وينعكس على وتيرة تعلّمه للغة الثانية سواء بالتقدّم أم بالتردّد والتأخّر.

2.2.1 التاريخ المشترك:

إنّ تحديد موقع أيّ بلد باعتباره متعدِّداً لغويّاً وبالتالي ثقافيّاً يرجع في جزءٍ كبيرٍ منه إلى المعتبرات التاريخية، إذ كثيراً ما يعتبر التعدد اللغوي نتاجاً لتاريخ شعوبٍ ولتفاعل مجموع القوى المجتمعية الناتجة عن التاريخ المشترَك. ولكن يبقى الإقرار بالوضع اللّغوي التعدّدي هو . كما سنرى أدناه . مِن اختصاص القرار السياسي والبرلمان الذي يفسح المجال ل عدّة لغاتٍ وثقافاتٍ أن تتعايش بصفة رسمية و فريدة من نوعها . بالإضافة إلى ذلك، فإن مفهوم التعدد اللغوي غب المناخ المدرسي مرتبط بقضية الثقافة [2]. إنّ الملكة الثقافية (Compétence culturelle) التي تسعى المدرسة إلى تحصليها إلى جانب الملكة اللغوية، هي

---

[1] يُنظَر: Marie-Madeleine Bertricci, Politique linguistique - éducative: proposition pour une didactique du plurilinguisme, in L'enseignement des langues vivantes étrangères à l'école: impacts sur le développement de la langue maternelle (Dir Colette Corblin et Jérimi Sauvage), Ed. L'harmattan (Coll. Enfance et Langages), Paris, 2010, (p.145-156), p

[2] يُنظَر: Henri Besse Cultiver une identité plurielle, In Le Français dans le monde, n°254, janvier 1993, p.42-48

ملكة متعدية أي ملكة ما بين الثقافات (Compétence interculturelle)[1]. والحال أنّ الصدام المهدِّد بالوقوع هو بين ثقافتين، في حين أنّ المتعلِّم في المرحلة المبكِّرة قد لا يعي جيّداً مكوِّنات ثقافته الأصليّة (المحفِّزة أو المثبِّطة)، وإذا كان الأمر هكذا فقد يحظى برغبة التعلّم خارج الاعتبارات القومية[2].

3.2.1 معيار الترسيم والقرار السياسي:

لقد قلنا أعلاه إنّ الإقرار بالوضع اللّغوي التعدّدي هو مِن اختصاص البرلمان الذي بمقتضى سلطته التشريعيّة يفسح المجال ل عدّة لغاتٍ وثقافاتٍ أن تتعايش بصفة رسمية وفريدة من نوعها. من ثمّ فما على المدرسة إلاّ أن تستجيب لمتطلبات الترسيم وتخضع لذلك القرار السياسي. بل إن الإقرار بالتعدد اللغوي يعدّ قضيّة وطنيّة في الأساس ووحدة وطنيّة في الجوهر [3]. بيد أنّ المدرسة باعتبارها مؤسَّسة رسميّة تُسهم كثيراً في التذكير بالطابع الرسمي لهذه اللغة أو تلك.

4.2.1 معيار الشيوع والاستعمال:

كثيراً ما يستند قرارُ التّرسيم إلى معيار الشيوع والاستعمال الذي يُكلَّل باستفتاء شعبي. فللسماح للعربيّة بأن ترقى إلى لغة وطنيّة ورسميّة في الجزائر جاء بعد الاطمئنان إلى تلكم الأرضية المشتركة الكائنة بين كل اللهجات العربية الشائعة في القطر الوطني وبين اللغة العربية الفصحى التي ارتقت إلى التوظيف في الإدارة بعد حرمان دام قروناً (العهد العثماني والاستعماري) ، وبين كل لهجة وأخرى، وذلك على الرغم من وجود مساحة تنفرد فيها كل لهجة عن اللغة العربية

---

[1] يُنظَر: Jean Bernabé, Langues, cultures, sociétés créoles: évolutions morphologiques et symptomatologiques, in Pluralisme et multiculturalisme (Dir. Nadine Ly), Ed. Presses Universitaires de Bordeaux (Coll. Montaigne-Humanités), Bordeaux, 2009, (p.35-49), p.44.

[2] يُنظَر: Florent Michaux, Le monde et ma langue, in Bilinguisme et psychologie (Dir. Mareike Wolf-Fédida), Ed. MJW (Coll. Culture et Langage), Paris, 2010, (p.155-168), p.160-161.

[3] يُنظَر: Abderrezak Dourari, Pluralisme linguistique et unité national: perspectives pour l'officialisation des variétés berbères en Algérie, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.45-53), p..

الفصحى وعن بقية اللهجات : ما أصبح يُكرِّس مرّةً أخرى فكرة التعدّد اللغوي في الجزائر. ولكن ليس على الطريقة التي أخذ يقترحها بعضُ الباحثين على غرار خولة طالب الإبراهيمي التي تجعل التعايش بين "لغات" الجزائريين في إحداث الهجين بين العربية والفرنسية من جهة وبين العربية واللّهجات العربية والأمازيغية من جهة ثانية، إذ تتصرف إلى تقديم أمثلة على ذلك وتنسخها بالحرف اللاّتيني، وترى في ذلك نوعاً من التوليد اللّغوي يستحقّ أن ينال الإعجاب وبالتالي التشجيع . ما دامت أسمته الابتكار كأنّما يكفي أن تسمّيه كذلك لكي يلقى الدعم الكافي والقبول الوافي، واعتمدت في ذلك على عيِّنة بسيطة جدّاً كبَّرت من خلالها «شأن الخليط اللّغوي المبتكِر بطريقة خارقة »[1] . على حدّ قولها . ولا تكترث أصلاً بأن تنصهر تلك الاستعمالات الهجينة في اللّغة العربيّة بما أنّها لغة الشارع التي تقضي بضرورة التفاهم وتستجيب لضرورات التواصل. هذا، بينما انطلق هنري بوبير من حقيقة تنفي وجود تعايش كامل بين لغات إذ يوجد دائماً تنافس تفرضه الخيارات الاجتماعية اللغوية والتعليمية للبلد الذي قد يجد نفسه مدفوعاً نحو مأزق البتّ في الاختيار[2].

بيد أنّ العلماء مختلفون في هذا الموضوع، فحتى أشدّهم التزاماً بالموقف المحافِظ نجده يتراجع أمام واقع الاستعمال ويعالج الأمر بنوعٍ مِن تلطّفٍ، طبعاً ليس مخافة أن يُغضب طرفاً أو نزولاً عند رغبة آخر، بل إقراراً بالواقع المرّ. فهذا أوريليا سوفاجو الفرنسي (1897 . 1988) Arilien Sauvageot يقول في شأن ما أخذ يشيع في شوارع المدن الفرنسيّة ويتسلّل إلى اللّغة الفرنسيّة (المعاصرة):

« إنّ هذا الجيل من الشباب لا يتحرّج في التعبير عن أغراضه، ويتصرّف وفق مبدأ الحيلة السانحة. فالمتخاطبون مِن هؤلاء في أيامنا معرَّضون للاستجابة

---

[1] يُنظَر : Khaoula Taleb-Ibrahimi, Le comportement langagier des locuteurs algériens, in De la didactique des langues à la didactique du plurilinguisme (Textes réunis par Jacques Billiez en hommage à Louise dabène), Ed. CDL-LIDILEM, Grenoble, 1998, (p.231-240), p.234.

[2] يُنظَر : Henri Boyer, Eléments de sociolinguistique: langue, communication et société, Ed. Dunod, Paris, 1991, p.95

لمقتضيات الحياة اليوميّة، إذ بمجرّد ما تُحوجهم هذه الأخيرة إلى كلمة أو صيغة تعبير ما، فيقبلون للتوّ على تسخيرها بدون أدنى تردّد ولا حشمة. ولا يبالون إذا حصل أنّهم اقترضوا من لغة أجنبيّة أو حرّفوا كلمات أصيلة، لا يكترثون كثيراً بصمودهم أمام القواعد النحوية الكنسية والإنجيلية: المهمّ عندهم هو التعبير والتواصل، وسوى ذلك فلا يهمّ في تصوّرهم»[1].

ولكن تبقى المعاناة عند الفرنسيين تُستشعر على مستوى الصراع القائم بين الشفاهي والكتابي، حيث يوجد كثيرٌ من الصيغ الكلامية التي أخذت تتدفّق نحو الكتابة الصحفية بل تتلقّفها حتى أقلامُ مشاهير الكتاب: ما فرض عنوان الكتاب (Français écrit، français parlé) الذي يستنكر صاحبُه الظاهرة المستشرية. كما يندِّد بابتعاد المدرسة الفرنسيّة عن واقع استعمال لغة موليير التي لم تعد تلك اللغة التي كتب بها موليير أبلغ روائع العالم المسرحيّة.

هكذا إذن فمعيار الشيوع والاستعمال قد يُخطئ بل يُضلِّل. فما يُزعم على إثره من تعدّد لغويٍّ لا يزيد على أن يكون هجيناً مشيناً مخلاً بجميع اللغات التي يأخذ بها، وقد يساير مبدأ التواصل إلى حدٍّ ما وعند الحاجة، ولكنه لا يمكن أن يمثِّل

أما إذا عدنا إلى القدرة الخلاّقة التي يكبر عليها الأطفال الصغار حينما ينكبّون على سماع أكثر من لغة، فذلك أمر يختلف عما يحدث على مستوى الكبار الذين ينزعون إلى التقيّد بالقواعد اللّغويّة الصارمة صراحةً وضمنيّاً. فإنّ سياقات التعدد اللغوي تشكِّل مناخاً موائماً للتوليد اللغوي وإبداع الملفوظات الاصطلاحية ـ ولاسيما عند فئة الأطفال إذن ـ حيث تشكل الصياغات التي لا تنتمي إلى إحدى اللغات المتداخلة والتي يُعد استعمالها نوعا من حل وسطي قد يكون آنياً أو يدوم مع الزمن. وهي ملفوظات لاحظها محللو المحادثات أنها ذوات

[1] يُنظَر: Arilien Sauvageot, Français écrit, français parlé, Ed. Larousse, Paris, 1962, p.08

قيم تواصلية[1]. وهو ما يسمى اللغة الوسيطة التي وإن صار المتعلِّم يضعها تحت تصرّفه فهو يستعين بوساطتها لإقامة حواجز بينه وبين اللغات الثانية وبين هذه وبين لغة الأم وذلك بتخصيص الأولى لأعراض التواصل وجعل الأخيرة للتعبير عن مكامن النفس وهذا حسب نظرية المثاقفة لـ (Schumann)[2]. وهي التي يُعزِّزها ما يُدعى (Le savoir interlingual)[3]. وكذلك يبرع الأطفال في تسخير التعليل اللغوي التي تقدِّم دفعاً قويّاً للإبداعية والابتكار اللغوي[4].

2. المشهد اللغوي في الجزائر:

إنّ المشهد اللّغوي في الجزائر . باعتباره نتاجاً لوضعٍ تاريخيٍّ متميِّز ووليد جغرافيّة خاصّة . يتميّز بمظهرين متناقِضين في الظّاهر ومنسجمين في الواقع، وهما التعايش والصراع. لهذا فليس من السهل وصفُه بدون معرفة التاريخ والسياسة والثقافة. سنأتي إلى تفسير تلك المفارقة وهذا التعقيد أدناه. بينما يهمّ هنا التأكيد على أنّ ذلك المشهد اللّغوي " الجزائري " ينتظِم حول ثلاثة فضاءات كبرى هي:

1. اللغة العربية الفصحى (المشتركة) بمختلف لهجاتها الراسخة في المجتمع الجزائري والمكرَّسة للتواصل، وتعد اللغة العربية اللغة الرسمية منذ استقلال الجزائر في 1962،

---

[1] يُنظر: Kerbrat-Orecchioni, la notion de " place " interactionnelle ou Les taxèmes, qu'est-ce que c'est que ça?, in Echanges sur la conversation (J. Corsier et al.), Ed. CNRS, 1988, (185-198), p.186.

[2] يُنظَر: Klaus Vogel, L'interlangue: langue de l'apprenant, Trad. de l'allemand par Jean-Michel Brohée et Jean-paul Confais, Ed. Presses universitaires de Mirail (Coll. Interlangues linguistique et didactique), Toulouse, 1995, p.39-40.

[3] يُنظَر: Klaus Vogel, L'interlangue: langue de l'apprenant, Trad. de l'allemand par Jean-Michel Brohée et Jean-paul Confais, Ed. Presses universitaires de Mirail (Coll. Interlangues linguistique et didactique), Toulouse, 1995, p.251-252

[4] يُنظَر: Jean Peytard, Motivation préfixale et paradigme dérivationnels (sur la préfixation en " pré ", dans le français contemporain, in Néologie et lexicologie (Hommage à Louis Guilbert), Ed. Librairie Larousse (Langue et langage), Paris, 1979, (p.199-205), p.199.

2. اللّهجات الأمازيغة التي تأخّر الإقرار بمقامها الوطني إلى غاية 2002 وبالتالي بوضعها التعليمي [1]، على الرغم من تواجدها العريق واستعمالها الراهن والحيّ ومخزونها الثقافي الثري، وكذا الأنصار الملتفّين حولها والمنادين بها كمطلب شرعي في آخر المطاف[2].

3. اللغة الفرنسية كلغة ثانية تحظى بمرتبة أولى ضمن اللغات الأجنبية المعوَّل على تعليمها في الجزائر، وذلك نظراً لمكانتها التاريخية أيضاً. ولكنها لا تشكِّل حالة من الازدواج اللغوي إلى جانب اللغة العربيّة الفصحى، وإذا ما قيست مع وضعيْ تونس والمغرب اللّذين يُعتدّ بالفرنسية فيهما على أساس أنها لغة إدارية على نفس المرتبة مع العربيّة ما فرض عليهما الانضمام إلى منظّمة الفرنكفونية[3].

وإذا كان الواقع يشهد على أنّ كلّ فضاء مِن هذه الفضاءات يُمعِن في الانغلاق على نفسه فإنّ حقيقة تعدّد الفضاءات قد رسّخت اعتقاداً بوجود حالة من التعدّد اللّغوي في الجزائر. ولكن هذا الوضع الخادع خلّف أيضاً فئة من الناس أصبحت تشكِّك في التعدّدية اللّغوية وصارت ترفض أن تُشكِّل الجزائر موطِناً للاحتكاكات اللّغوية وما بالك بالتعايش اللغوي والتفاعل الحري بأن يتعدّى إلى ما يُدعى في أدبيات اللسانيات الاجتماعية بالتعدد اللغويّ على طريقة سويسرا وكندا وبلجيكا ..الخ، وذلك نظراً لغياب سياسات الترقية اللغوية في الجزائر التي كان من المفروض أن تتأسّس على استلهام التراث الأمازيغي والعربي (وحتى الاستعماري. لما لا!) ولقلّة وجود جسور التواصل ما بين الفضاءات الثلاثة

---

[1] في هذا الصدد ثمّة مواقف متنوعة فثمة من تأسف وهناك ردود فعل عنيفة، يُنظَر: Mohamed Benrabah, Langue et pouvoir en Algérie : Histoire d'un traumatisme linguistique, Editions Séguier (Coll. Les Colonnes d'Hercule), Paris, 1999, p.09.

[2] يُنظَر: dalila Morsly, Tamazight langue national, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.33-43), p.36-43.

[3] يُنظَر: Gilbert Grandguillaume, Le multilinguisme dans le cadre national au Maghreb, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.13-19), p.18.

المذكورة. ثمّ إنّ فكرة التعدّدي اللّغوي يبدو لنا أنّها لم تصل جيِّداً إلى الأذهان. فهل تواجد لهجات اجتماعيا مع أحادية لغوية في الإدارة والتعليم يعدّ نوعاً من التعدد اللغوي؟ أليس من سوء التنظيم أن تصدر قرارت تعميم العربية في الإدارة ولو إلى جانب الفرنسية ثم لا نجد في واقع الاستعمال إلاّ هذه الأخيرة؟

3. اللغة الجامعة:

1.3 محور تعليم اللّغة العربيّة وتعليميّتها :

نستهلّ هذا المبحث بمناقشة ملفّ تعليم اللّغة العربيّة نظراً لخطورته، ولكن لابدَّ من الإقرار في نفس الوقت بحقيقة مفادها أنّ المدرسة في الأوطان العربيّة . ولاسيما في الجزائر . كمؤسّسة تربويّة وتعليميّة وتكوينيّة وتثقيفيّة تؤدِّي أخطر الأدوار في الارتقاء باللّغة العربية والبلوغ بها أفضل المراتب عالميّاً من حيث الاستعمال والانتشار والتوظيف في مجالات العلم والتّقانة والإعلام والانترنيت والبحث عموماً. بل بالإضافة إلى الدَّور الأساسي الذي أنيط بها والذي تؤدِّيه بكلِّ امتياز وجدارة ونجاعة، ألا وهو ترسيخ الملكة اللغويّة بصفة خاصّة، وذلك منذ المدرسة العتيقة[1]؛ فهي تضطلع بتزويد المتعلّمين بملكة ليس أقلّ شأناً من الأولى . بيد أنّها أعقد منها . وهي الملَكة التواصليّة[2]، وذلك لحلّ مشكلة التواصل بصفة

---

[1] يُنظَر : أحمد بناني، دور المؤسّسة التّعليميّة الجزائريّة العتيقة في تعزيز الملَكة اللّغوية، ضمن أعمال ملتقى: الممارسات اللّغوية التّعليمية والتعلُّمية (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي ـ وزو أيام 7 ـ 9 ديسمبر 2010)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، (ص.55 ـ 65)، ص.59.

[2] **المَلَكة التّواصليّة** (Compétence communicative) والتي تسمّى أيضاً (Compétence sociolinguistique) أي (الملكة العُرفيّة) هي، أوّلاً وقبل كلّ شيء، مَعرفة إجرائيّة: تحوي الأعرافَ الثقافيّة والاجتماعيّة، تلك التي تتحكّم في عمَليّة استعمال اللّغة (الكلام) في مَجموعة لغويّة ما؛ وتستشفّ عن الآليات النفسيّة الوجدانيّة (الانفعاليّة) التي تحكم تبادلَ الأحاديث في تلك المَجموعة. كما يُشَّدد عند ذكر مصطلحُ *الملكة التّواصليّة* على **كفاءة** التّواصل بنجاعة في لغة ما (الأمّ أو الثانية أو الأجنبيّة): تبدو هذه **المَلَكة** بمثل هذا التّحديد واسِعةَ النّطاق، فهي تنطوي وفق التّقديم السابق على خمسة أنواعٍ في أقلّ تقدير :

1. **المَلَكة اللّغويّة:** مَهارة استيعاب قواعد وضعٍ (Code) لغويٍّ ما وتطبيقها في سياقٍ تواصليٍّ ما.
2. **المَلَكة الاجتماعيّة اللّغويّة:** مَهارة استيعاب مُختلَف أنواع الخطابات وجعلها قيدَ الممارسة في موقِفٍ تواصليٍّ ما.
3. **المَلَكة الاجتماعيّة الثّقافيّة:** مَهارة استيعاب موضوعاتٍ ثقافيّة مُرتبِطة بموقِفٍ تواصليٍّ ما.
4. **المَلَكة المَرجعيّة:** مَهارة استيعاب مَجالات خبرة ما وأشياء العالَم، وتملّك علاقاتها ضمن سياقٍ تواصليٍّ ما.

أعمّ، وفي سياقات التبادل اليومي الذي يقيمه الناسُ فيما بينهم، إنْ على المستوى المنطوق أم بواسطة المكتوب، أو بالأحرى وسط التفاعلات العفويّة. علماً أنّ في الواقِع اللّغوي الجزائري الحافِل بالنقائص والممارسات السلبيّة فيما يخصّ ملفّ التواصل، كلَّ شيء يشير إلى ضرورة شحذ الهمم على تمليك المتعلِّمين مثلَ هذه الملَكة التواصليّة، ناهيك عن توطين ألسنة هؤلاء المتعلِّمين على الفصيح الصحيح الذي من الأجدر أن يسلم من اللّحن، ومنحهم بذلك أداة بحث مستقبليّة يُحسنون نسج الخطابات العلميّة بها وتحرير التقارير والنصوص العلمية وخوض غمار الكتابة الأدبية وتسيير الإدارة ..الخ.

وتستند المدرسة في ذلك كلِّه على برامج ومناهج تعليم هي من وضع وزارة التربية الوطنية بمعيّة أساتذة جامعيين ومستشارين بارزين، تولي **النحو وعلمه** (القواعد النحويّة) أهمية كبرى، وهي ذات المناهج التي نجدها في أيامنا هذه[1] تستدعي *المفاهيم اللسانية* التي على الرغم من أنّها تظلّ في حيِّز الاختبار

---

5. **المَلَكة الاستراتيجيّة:** مَهارة استعمال استراتيجيّات تلفّظيّة وغير تلفّظيّة من أجل ردم أسباب التّواصل بين المتحدّثين، وإحكام أمر التواصل بمقتضى نوايا أولئك المتحدّثين المتوقَّعة بل بمَوجِب حتى أفعالهم المحتمَلة. ذلك أنّه ثمّةَ مَن وقف عند المَعرفة بوصفها تتقسِم إلى ما هو تَقريري وما هو إجرائي. تُدرَج المَلَكة التَّواصليّة ضمنَ القسم الأخير نظراً لطابعها التعدّدي والتداخلي، ؛ يُنظَر: جابر عبد الحميد جابر، إستراتيجيّة التّدريس والتّعلّم، سلسلة المراجع في التّربية وعلم النّفس، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 1999، ص.77. 117.

ثمّ إنّ التّحكّم في قوانين الخطاب وفي أجناسه لهو من المكوّنات الأساسيّة لملكتنا التّواصليّة، أي قدرتنا على خلق الملفوظات وتأويلها بصورة تنسجم والحالات العديدة المحيطة بوجودنا. لا تخضع هذه القدرة لتعلّم بيّنٍ، إنّما نتلقّاها عن طريق تمثّلها، في الوقت نفسه الّذي نُلقّن فيه أنواعًا من السّلوكات في الوسط الاجتماعيّ. طبعًا لا يكفي التّحكّم في الملَكة التّواصليّة للمشاركة في نشاطٍ كلاميٍّ ما. لا بدّ من تعبئة « سلطاتٍ » أخرى. كما يقول دومنيك مانغينو (Dominique Maingueneau). من أجل خلق الملفوظات وتأويلها. بالتّأكيد لا مجالَ لإزاحة الملكة اللّغويّة، أي التّحكّم في اللّغة المعنيّة. ينبغي من جهةٍ أخرى التّزوّد بمعارف معتبرة حول العالَم، أي الملكة الموسوعيّة. يُنظَر: Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, Ed. Dunod, Paris, 1998, p.27.

[1] وذلك في ظلّ التعديلات التي أخذت المنظومة التربويّة تعرفها من موسم إلى آخر.

والتجريب[1]، فهي تشكّل سنداً واعِداً يعضد النحو والصرف والبلاغة وباقي علوم اللغة التي أتحفنا بها التراث العربي الإسلامي ولا تزال مِعطاءة.

غير أنّ كثرة كثيرة مِن المفاهيم إنّما هي مستمدّة ـ وفقَ مسعىً تكييفيٍّ ـ مِن الأعمال التأصيليّة الرامية إلى إحياء التراث وإعادة النّظر فيه، كما عهدناه عند بعض الدارسين سواء عند الغربيّين أم لدى الباحثين العرب [2]، إذ يُشيدون بفضل النحو مثلاً وكذا فقه اللّغة وعلم متن اللّغة والبلاغة ..الخ، ويحثّون البحث اللّسانيّ إلى أن يذكر أصله وألاّ ينكر فَصلَه، وألاّ يتنكّر لمكتسبات هذه الأخيرة، ومن المفترَض أن يُشرِف على مثل هذه الأبحاث علماء راسِخون في علمهم بإمكانهم اختبار حلقات البحث المتواصلة في اللّغة. فتعليميّة اللّغات تجد في هذا النوع من الدراسات تأمّلات في اللّغة ذات هي لخير تعليمه.

وهناك طائفة من علماء العربيّة ولاسيما الذين تخصّصوا في الدرس اللّساني الحديث اهتمّوا كثيراً بإخضاع اللّغة العربيّة لمناهج هذا الأخير في دراستها ووصف عملها وكذا النظر في كيفيات تعليمها وتقديمها في ثوبٍ قشيبٍ، إذ نجد خلال الثّمانينيّات كلاًّ من ميشال زكريا[3] ومازن الوعر[4] يُقبلان على ترجمة **النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة** وإدخالها في الدّرس النّحويّ العربيّ. وتتسلسل بعدهما

---

[1] ويكشف عن ذلك عناية الدولة بتكوين ـ وإعادة تكوين ومداومته ـ يشمل كلّ الموظّفين *لأغراض التعليم* في سلك التعليم إلى غاية الحصول على أقل شيء وهو شهادة اللّسانس في المادة التعليمية المراد تدريسُها وفي جميع الأطوار المدرسيّة، ما يعني توفّر المعلّم على تكوين في المواد اللّسانية جميعها، علاوة على المواد اللغوية الأخرى القائمة على ما سبق ذكرُه من التخصّصات التراثية.

[2] يُنظَر: نهاد الموسى، نظريّة النحو العربيّ في ضوء مناهج النظر اللّغويّ الحديث ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، 1980؛وأيضًا: الصورة والصيرورة:بصائر في أحوال الظاهرة النحويّة ونظريّة النحو العربيّ،دار الشروق،عمان،الأردن،2003.

[3] ينظَر: ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة: (الجملة البسيطة) ، ط. 1، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983. كذلك: مباحث في النّظريّة الألسنيّة وتعليم اللّغة ، ط. 2، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1985.

[4] ينظَر: مازن الواعر، الأمراض اللّغويّة: سبر للتّجربة الأمريكيّة، المعرفة، ع.204، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، فبراير 1979، ص.208. كذلك: النّظريّات النّحويّة والدّلاليّة في اللّسانيّات التّحويليّة والتّوليديّة: مُحاولة لِسبرِها وتَطبيقها على النّحو العربيّ (1)، اللّسانيّات، ع.06، مَعهد العُلوم اللّسانيّة والصّوتيّة، الجزائر، 1982، ص.24. كذلك: حول بعض القضايا الجدليّة لنظريّة القواعد التّوليديّة والتّحويليّة: لقاء مع نوام تشومسكي، اللّسانيّات، ع.06، مَعهد العُلوم اللّسانيّة والصّوتيّة، الجزائر، 1982، ص.68.

محاولاتُ تطبيقها على الجملة العربيّة، كأعمال عبد القادر الفاسي الفهريّ [1]. ولكن جرى هذا كلُّه بينما بدأ تأثيرُها يأخذ في الانحسار وبصورة كليّة في الدرس اللّسانيّ الغربيّ خلال تلك الفترة نفسها (الثّمانينيّات)، وذلك على الرّغم من بقاء صداها ساري المفعول، وغلَب اللّجوء إليها وبأشكال مختلفة كأن يقام بتحديثِها في محاولاتٍ تنظيريّة جديدة[2].

فهذا عبده الرّاجحي يتوسّم في التوليديّة النّظريّة والاتّجاه والمنهج فيأخذ برصدها ويعنونِ لفصلٍ بكامله: " تشومسكي وأصوله النّظريّة" وهو يضع المنهج الوصفي « في مقابل ما يُعرف الآن [**الثّمانيينيّات**] بالنّحو التّحويلي [3] Transformational grammar» فيُدخِلنا إلى فحوى المدرسة التوليديّة بهذا المقتبَس:

« أخذت أصول المنهج الوصفي تتطوّر وتزدهر [...] وجعلت قواعده تستقرّ لدى الباحثين اللّغويّين باعتبار الوسيلة " العلميّة " الصّحيحة لدراسة الظّواهر اللّغويّة "كما هي". وقد شهد علم اللّغة . على هذا المنهج . تقدّمًا ملحوظًا في أمريكا وبخاصّة على النّظام الذي طوّرته مدرسة بلوفيلد. وفي سنة 1957 بدأت "ثورة" في الدّرس اللّغوي حين أصدر تشومسكي كتابه الأوّل Syntactic structures، ومنذ ذلك الحين تغيّر اتّجاه " علم اللّغة " من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد هو ما يُعرف الآن بالنّحو التّحويلي Transformational grammar.

---

[1] ينظَر: عبد القادر الفاسي الفهريّ، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، ط.1، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، ومنشورات عويدات، بيروت، 1985. كذلك: المعجم العربيّ: نماذج تحليليّة جديدة ، ط.2، سِلسِلة المَعرِفة اللّسانيّة: أبحاث ونماذج، دار توبقال للنّشر، ، الدّار البيضاء، المغرب، 1992.

[2] ينظَر: Dominique Maingueneau, Aborder la linguistique, Coll. MEMO, Ed. Seuil, Paris, 1996, p.42

[3] هذا، مع ما كان ينبغي الحرصُ عليه مِن التمييز بين **التوليدية** وبين **التحويلية** من جهة: فهناك فروق بينهما من ناحية التّفريع، تتطرّقنا إلى بعضِها أعلاه؛ ثمّ بين كلٍّ واحِدةٍ منهما وبين **التوليديّة التحويليّة**، وذلك على سبيل ما تطوّرت إليه **التوليديّة** وبتقديم **التوليديّة** (النظريّة) على **التحويليّة** (الطّابع الإجرائي المنهجيّ التّابع).

والحقّ أنّ تشومسكي يمثّل " ثورة " حقيقيّة لأنّه قوّض الدّعائم التي يقوم علم اللّغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى "طبيعة" اللّغة [...]»[1].

ومِن المعلوم أيضاً أنّ خدمة النحو العربي للّغة العربية ليس أمراً بدعاً إذ نعرف أنّ الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية كما لخّصها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في أماليه بسند متسلسل أنّه:

«قدِم أعرابيٌّ في زمان عمرَ فقال من يُقرئني ممّا انزَلَ الله على محمدٍ فأقرأَه رجلٌ سورة براءة فقال (إنَّ الله بريءٌ مِن المشركين ورسوله) *بالجرِّ* فقال الأعرابيُّ أَوَقَدْ برِيء الله مِن رسولِه؟ إنْ يكن الله قد برِيءَ مِن رسوله فأنا أبرأُ منه؛ فبلغ عمرَ مقالةُ الأعرابيِّ، فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين إنِّي قدمت المشركين ولا علمَ لي بلأ فسألت مَن يقرئني فأقرأَني هذا سورة *براءة* فقال (إن الله بريء من المشركين ورسولِه) فقلت أَوَقَدْ برِيء الله من رسوله إن يكن الله قد برىء من رسوله فأنا أبرأ منه فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي قال فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرىء القرآن إلاّ عالم باللغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو. أخرجه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق. وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي في أماليه حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري [..] عن أبي الأسود الدّؤلي رضي الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقا متفكرا فقلت فيمَ تفكِّر يا أميرَ المؤمنين؟ قال إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، فقلت إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة؛ ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم)، الكلامُ كلُّه اسمٌ وفعلٌ وحرف، فالاسمُ ما أنبَأ عن

[1] عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث: بحث في المنهج..، ص.109.

المسمّى، والفعلُ ما أنبَأ عن حركة المسمّى، والحرفُ ما أنبَأ عن معنىً ليس باسمٍ ولا فعل؛ ثم قال لي تتبَّعْه وزِدْ فيه ما وَقعَ لك، واعلمْ يا أبا الأسود أنَّ الأسماء ثلاثة: ظاهرٌ ومضمَرٌ وشيءٌ ليس بظاهرٍ ولا مضمَر، وإنّما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمَر. قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتُها عليه، فكان مِن ذلك حروفُ النّصب، فذكرتُ مِنها (إن وأن وليت ولعل وكأن) ولم أذكر (لكن)، فقال لي: لمَ تركتَها؟ فقلت: لمَ أحسَبُها منها ؟ فقال: بل هي منها فزِدْها فيها [..]»[1].

إنّما تقصَّدنا إيرادَ هذه الرِّواية بنصّها المطوَّل هذا . مِن بدايتها حتّى نهايتها تقريباً . لعلّنا نسترشِد من قيمة حجر الزاوية الأوّل الذي أسّس لعلم النّحو العربي، والنواة الأولى التي لا تزال تدرّ بالنفع فنرى كيف استخلِص النحوُ من مقامات التخاطب وليس من التأمّل المنطقي البحت، ولكن للأسف صار إلى شيء استصعبه المتعلِّمون وهو ما سنراه في مبحثٍ حول (تيسير النحو ومصطلحه). إلاّ أنّ العبرة بالمناسبة التي أوحت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ليقيم حصناً منيعاً يحفظ الألسنة من الوقوع في اللَّحن حين قراءة القرآن الكريم وترتيله وتجويده وتدبّر معانيه السامية والخالدة ولكي لا يذهب الانحراف بكلّ ذلك حين تميل الألسنة عن المراد والمقصود، ولكي نعلم أنّ تقويم اللِّسان لا يفتأ يُتحرّى في كلّ عمليّة تعليميّة تستهدف اللّغة وصفاً في ذاتها وتفسيراً لعملها.

للّغة العربية في وطنها وضعية تكاد تكون فريدة؛ إذ يُتواصل بها كتابياً وبلهجاتها شفوياً، ويكون اكتسابُها بالقراءة وفي المدرسة بواسطة أوصاف النحويين لقواعدها. وأوصاف العربية منها القديم المتميِّز بالإخفاق في تعليم العربية، وبكثرة الخلاف لغياب الصرامة في منهج الدراسة. ومنها الحديثُ المنجز بتطبيق نماذج نحوية انْبَنَت على لغات مغايرة للعربية، فكان نصيبُه في تعقيد الوضعية اللغوية

[1] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، سبب وضع علم العربية، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، 1988.

أكبر. ولا سبيل لتخليص العربية من المعالجة التقليدية لنسق قواعدها بغير بناء نظرية لسانية تقوم على مراعاة الخصائص النمطية لما وُضعت له.

ولكن لا ينبغي الاغترار بهذا المشهد الافتراضي المقِيس بالمرتجى؛ وذلك لكون الواقع الخانق الذي رصده الباحثون المعنيون بهذا الشأن، يؤشِّر أكثر إلى نوعٍ من التدنّي الذي أخذ يمسّ مستوى التواصل باللّغة العربيّة[1].

1.1.3 تعليم العربيّة وتعلُّمها بوصفها لغة قوميّة:

إنّ اللغة ميراث حضاري وتاريخي بأكمله، في جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. لأنها دائمة الانتقال عبر كل الحلقات التاريخية لأيّة مجموعة بشرية، فإنها الشكل الأكثر كفاءة وفرادة في حمل الموروث الكلي وجعله يعيش في تضاعيف الواقع اليومي.

وهي لا تعبر عن صفة الأشياء والأفعال وأسمائها فقط، بل تحمل تأثيراتها أيضا. يتمّ نقل التراث الشعبيّ عبر اللّغة، لأنّ في اللّغة يتمّ نقش المأثور، وإذا كان من المتعذر تغيير مفردات اللغة في الأغلب، فان التغيير يمس علاقات المفردات وما يترتب على هذا التغيير من دلالات تحمل وتصف التغيير الذي طرأ على البنى الاجتماعية والحضارية في إطارها العام. وقد يفسر هذا الأمر، صراع الأجيال أو صراع المراحل، إذا صح التعبير، حول التمسك بالثوابت اللغوية عند ذي النزوع السلفي، والرغبة في خلخلتها وإكسابها دلالات جديدة، عند دعاة التجديد والتطوير.

ثمّ إنّ اللّغة عالَم لا تسعه دراسة، كلٌّ يأتي إليه لأسبابٍ ما، يُكتشف فيه الجديدُ يوميًّا؛ لهذا هناك من يقبل على تعلّمها لمجرّد ممارستها وثمة من يعتكف على تدارسها والنزول في أعماقها لاكتشاف المزيد من ذلك العالَم الفسيحة أرجاؤه.

---

[1] يُنظَر: سليمة بونعيجة راشدي، تعليميّة اللّغة العربيّة والمواد الدّراسية الأخرى، دورية التواصل في اللغات والثقافة والأدب ، ع.27، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2011، (228 ـ 243)، ص.235.

« فاللّغة المهيمِنة [حسب ابن خلدون] هي لغة الدولة المهيمِنة، تقوى بقوتها وتضعف بضعفها، فحينما كانت روابط القوة لفائدة الدولة الإسلامية وصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب، أسندت شرعيّة احتكار السلطة لفائدة اللغة العربيّة ونُهي عن غيرها مِن اللغات الأعجميّة لما فيها من " رطانة ومكر ". أما حينما أُخضِعت الدول الإسلامية وفقدت سلطانها، " فسدت اللّغة العربيّة على الإطلاق"»[1].

2.1.3 دور اللغة القومية (العربيّة) في التعليم والتّثقيف:

إنّ للّغة العربية في نفسها أهميةً ودوراً حيويّاً في النمو الثقافي باعتبارها وعاءً له، وكذلك هي وعاء الفكر ومرآة الحضارة الإنسانية التي تنعكس عليها مفاهيم التخاطب بين البشر، ووسيلة للتواصل السهل، وعليه اهتم بها الإنسان، وطور آلياتها ليمكنها من الضروريات، لتصبح قادرة على احتواء كل جديد، واللغة العربية من اللغات السامية المتجذِّرة في التاريخ الإنساني، وهي لغة القرآن الذي شرفها الله سبحانه وتعالى بنزول كلامه المقدس، و قال عنها عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ *يوسف:2*، كما قال في محكم كتابه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ *طه:113*.

«ونحن إذا تجاوزنا جميع اللّغات القوميّة مِن حيث هي لغات، ووقفنا عند اللّغة العربيّة، وجدنا أنّه ينطبق عليها ما ينطبق على لغات بني البشر ولكنها تمتاز عنها بميزتين أساسيتين لا تشاركها فيها لغة في العالم. الأولى: أنّها لغة

[1] محسن بوعزيزي، اللّغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون، مجلة المستقبل العربي، ع.335، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، يناير 2007، (ص.19 ـ 31)، ص.21. نقله عن: ابن خلدون، المقدمة، ج.1، الدار التونسية للنشر، 1984، ص.458.

القرآن الكريم، رسالة الإسلام الخالدة، ودستوره الأبدي. والثانية: الصلة الوثيقة بين حاضِر الأمّة وماضيها»[1].

إذن لنتصفَّح قليلاً تاريخ اللغة العربية لنعلم أنّها كانت في ماضي الأمّة العربيّة لغة حضارة عظيمة، تخطّت حدود رقعة الدولة العربية الإسلامية إلى أوربا غرباً، وأقاصي الهند والصين شرقاً، وكانت تحظى بموقِع المعبر ما بين الحضارة اليونانية اللاّتينيّة القديمة وما شهدته أوربا لاحقاً تحت تسمية النهضة الأوربية. ودام ذلك الوضع حتى جاء المستعمر القديم، والاستعمار الحديث فاستهدف كلاهما أهمَّ خصائص الوجود العربي، نعني أصالة الأمة وجوهرها المتمثِّل في اللغة العربية، لأنّ المستعمر أدرك أنّ اللغة القومية تشدّ الإنسان العربي إلى قومه، وتربة وطنه وسمائه، وأنّها تُربي فيه شخصيته القومية، ومشاعر العزة والانتماء. فكان إحياء اللغات الميّتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، وتعزيز استعمالها في الحياة العامة والرسمية، واتّهام العربية بالقصور والعجز وعدم القدرة على مواكبة روح العصر الذي تسيطر عليه العولمة والغزو الثقافي، وكذلك نشر المؤسسات التعليمية ذات الأهداف المريبة، وانتشار الفضائيات العربية والأجنبية التي تبث أكثر برامجها بالعامية المحلية، بالإضافة إلى إفساد الذوق ومخاطبة الغرائز المناط ببعض الفضائيات العربية والأجنبية، كل ذلك من مظاهر هذه السياسة المناوئة[2].

بما أنّ اللغة أداة تعبيرية عن الوعي الاجتماعي في بيئة اجتماعية معينة، فمن شأن إتقان اللّغة العربيّة أن يجعل الفرد قادراً على الإعراب عن وجدانه والاتصال والتواصل الفعّال مع أبناء ثقافته بصورة يتخطى فيها حدود السياق

---

[1] عبد الكريم خليفة، تعريب التّعليم الجامعي عاملٌ أساسي من عومل النهضة، كتاب الأصالة، ج.3 (محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي: تمنغست، 30 أوت - 08 سبتمبر 1979)، وزارة الشؤون الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995، (ص.29 - 53)، ص.33.

[2] يُنظَر: أحمد دهمان، اللغة العربية: الصلة الحية بين حاضر الأمة وتراثها الزاخر، مجلة التراث العربي، ع.102، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، نيسان 2006.

الزماني ويؤهله لاستيعاب التراث الثقافي لأمته ومجتمعه في مجالات المعرفة المختلفة، كما أن إجادة اللغة تسهم في تنمية الولاء للثقافة، وتجعل الأفراد يتقبلون معاييرها، كما تغرس فيهم الرغبة في الحفاظ على اللغة والحرص على تنميتها ، وتؤدي اللغة دوراً مهماً في تنمية البنية العقلية للفرد، فإتقان الفرد للغته الأم وسيلة فعالة في تنمية التفكير السليم لديه فاللغة هي الفكر المنطوق، وأداة لتحسين ذاته، وهي من الأسباب التي ستعيد للأمّة وحدتها وقدرتها على الاندماج صفّاً واحدا.

وكذلك بما أنّ اللّغة تجسّد الماضي والحاضِر والمستقبل معاً، فبين توطيدها وتشكيل الهوية القوميّة علاقة وطيدة، بل إنّ دور اللّغة العربيّة في تكوين تلكم الهويّة القوميّة لا جدالَ فيه حيث نجد معظم النظريّات القومية العربية ترتكِز على كون اللغة مكوِّناً أساسيّاً . إن لم تُعتبَر هي المكوِّن الأساسي . في تشكيل الهوية القومية العربية. ولكن بعد التحقّق مِن هذه الحقيقة وإتمام هذه المهمة لابدَّ أن يُلتفت إلى دور هذه اللغة في التعليم كلغة موحِّدة وجامِعة ، حيث يُشدَّد على الصِلة القويّة التي تربط اللّغة بالشخصيّة القوميّة وكذا بالأطر السياسية والثقافية التي تشكِّل منابع الهوية القومية. ذلك أنّ وحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الاتجاه الثقافي الذي تنطوي عليه أيُّ أمّة جديرة بهذه التسمية العظيمة[1].

وفي هذا الصدد يُروى عن أوتو إدوارد ليوبولد فون بسمارك [2] أنّه عندما سئِل عن أفظع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: " إن المستعمرات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللّغة الإنجليزية لغة رسمية لها "، وهو يعني أنه كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الألمانية بدلا من الإنجليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا، وأثبت التاريخ صدق نظرة بسمارك، ففي الحربين العالميتين الأولي والثانية كان ولاء الولايات المتحدة الأمريكية لإنجلترا، على الرغم من كل خلاف

---

[1] يُنظَر: محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، دار الفكر (دمشق) . دار الفكر المعاصر (بيروت)، 1989، ص.09.

[2] (بالألمانية: Otto von Bismarck) (1 أبريل 1815 – 30 يوليو 1898) رجل دولة وسياسي بروسي . ألماني.

بين أمريكا وإنجلترا. ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين.

ومن هنا يربط بيار بورديو (Pierre Bourdieu) في سوسيولوجيا الجزائر، تعيين دائرة الناطقين بالعربية ووسمها بـ " العربيّة " في الجزائر بناءً على العامل اللّغوي أولاً وقبل كلّ شيء، ثم يأتي العامل الديني وأخيراً طريقة المعيشة ونمط الحياة التي يتميز بها العنصر العربي [1]. فهكذا يستقيم التمييز ما بين لغات الناشئين في ظلّ ثقافاتٍ مغايِرة وتشكيل هوياتهم القومية في مناطق أخرى.

لهذا كلِّه فاللغة العربية تحتل منذ المرحلة الابتدائية مكانة متميزة وبارزة بين المواد التّعليمية الأخرى؛ لما لها من أهمية في تحقيق الاتصال المباشر بين التلميذ وبيئته، وتاريخ أمته وتراث قومه. ويأخذ تعليم اللغة العربية جزءا كبيرا من الوقت المخصص للتعليم في المدرسة الابتدائية، حيث إن اللغة أداة لكسب المعارف والخبرات المختلفة، ومن ثم يمكن القول أن عملية التعليم في المرحلة الابتدائية تتركز في السيطرة على اللغة القومية وخاصة في الصفوف الأولى من تلك المرحلة.

3.1.3 تعليم اللّغة العربيّة المشتركة:

« لَقد أدَّى الانتِشار المكثَّف لِتعليم اللُّغة العربيَّة المشتركة لا إلى استِعمالِها خارِج المدرسة، بل إلى مُراجعة أبنية الدَّارجات (العاميات) المتحدَّث بِها، ممَّا ولَّد السجِّل الثَّالث»[2]. أيْ أنَّ اللُّغة العربيَّة المشتركة هي الّتي أخذت الدَّارجات تَتغيَّر وِفقَ قواعدها حتَّى على مُستوى أبنيها التَّركيبيَّة والصَّرفيَّة.

غير أنَّه ليس كلُّ اللِّسانيُّين مُتَّفقين على صحَّة هذا الرَّأي. لِهذا وَجدنا الباحث *رمضان آيت أومزيان* مُتحفِّظًا إزاءه ومُعترِضًا في بِداية الأمر قائلاً: «

---

[1] يُنظَر: Pierre Bourdieu, Sociologie de l'Algérie, Coll. Que-sais-je ?, 3e éd. PUF, Paris, 1970, p.51.

[2] A. Attia, (s.t), Revue tunisienne des sciences sociales, Actes du séminaire de linguistique des 14, 15 et 16 avril 1965, Pub. De C.E.R.E.S.,Univ. De Tunis. Cité par Ramdane Ait-Oumeziane, Le statut de la fonction « sujet » dans deux parlers arabes : Constantine et Tripoli, La linguistique, Fasc. 01, Vol. 22, PUF, Paris, 1986, p.81.

لكن افتِراض، في هذه السَّاعة، وُجود نظامٍ فَرعيٍّ هو في طريق التَّشكُّل، ويكون بِمثابة استِعمالٍ وسائطيٍ، ليس إلاَّ مُبالغة، بِما أنَّ التَّغيُّرات المُسجَّلة تَظلُّ على الأَقلِّ مَحدودةً. هذا ما دفع *سكيك* إلى التَدقيق في هذه المُلاحظة وهو يَكتب: " لكن هذا لا يَعني أنَّ العربيَّة الأدبيَّة قد تَحوَّلت هكذا إلى تَنوُّع يُستَعمَل تِلقائيًّا وعفويًّا"[1]، إذ يبقى استِعمالُها مَحصورًا في النِّطاق الرَّسميّ»[2].

يَرى بَعضُ اللِّسانيّين أنَّ السجلَّين (العربيَّة المُعاصِرة والعاميَّات) لا يَقوم أحدُهما مَقامَ الآخر. هذا بِالضَّبط ما يَذهب إليه الباحث *رمضان آيت أومزيان* إذ يَقول:

« تَكمُن أهمُّ ميزة مِن السِّمات الاجتِماعيَّة الثَّقافيَّة الّتي تَختصُّ بِها مُختَلفُ الجَماعات العربيَّة، على المُستوى اللُّغويّ، في تَعايُش نِظاميْن لُغويَّين مُتباينيْن عُمومًا ولا يَقوم أحدُهما مَقامَ الآخر: حيث يلْجأُ المُتحدِّثون، وِفقَ حالات التَّواصُل، إمَّا إلى العربيَّة المُعاصِرة «المُشتركة» . لُغة الكتُب المَدرسيَّة وَوسائل الإعلام . أو إلى اللَّهجة المَحليَّة.

هذه الحالة مِن الثُّنائيَّة اللُّغويَّة [*diglossie*] هي اليومَ سائدةٌ، بِكلِّ وُضوحٍ، في الجزائر مَثلاً حيث لا تُحدِث العربيَّة «المشتَركة» في العُموم على اللَّهجات المستَعمَلة في الواقِع يَوميًّا إلاَّ تَأثيرًا ضئيلاً. وهذا حتَّى لَدى المتحدِّثين النَّشء المتمدرسين والمتعلِّمين لِلُّغة العربيَّة الفُصحى»[3].

4.1.3 أبعاد ترسيم اللغة العربية في الأقطار العربيّة:

في سياق التحوّلات المستعجلة التي بدأت تخلِّف آثارها في نظام اللغة العربية وبرامجها المختلفة، فإنّ هذه الأخيرة في أمسّ الحاجة إلى أن يُذكَّر الناس بأنّها لغة رسميّة لجميع الدول العربيّة باستثناء دولتين فيهما العنصر العربي لكنها لم تتبنّيان العربية لغة رسميّة. و نعني ترسيم اللغة العربية في الأقطار العربيّة أي

[1] H. Skik, L'enseignement en Tunisie vingt ans après la réforme de 1958, C.F.E.C.T.I.
[2] Ramdane Ait-Oumeziane, Op. cit., p.82.
[3] Ibid., p.81.

التي تسود فيها اللغة العربية كلغةٍ رسمية للدولة ولغة للتعليم ولغة للتواصل اليومي بين المجتمعات، وبهذا التحديد تخرج البلاد التي انضمت سياسياً إلى جامعة الدول العربية مثل الصومال وجزر القمر.

ونعني بالثنائية اللغوية في الوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين الأولى العربية التي تستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين. والثانية لغة محلية (غير عربية) تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينها، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين.

5.1.3 العربيّة وحظّها من الاهتمام المنهجي (المناهج التعليميّة):

ومشكلة هذه المناهج أنّ معظمها مستوحاةٌ من تجاربَ أجنبيّة ما يجعل اللّغة العربيّة تقع دائماً وأبداً تحت رحمة جهود إضافية يفرضها واقعُ التّرجمة من اللّغات الغربيّة التي عرفت تقاليد وضع المناهج التعليميّة منذ عهد مبكِّر مقارنةً مع واقِع تعليم العربيّة (لأبنائها على الأقلّ). ما يجعل المناهِجيّة [1] العربيّة الناشِئة في هذه الظروف المتأخِّرة في أحضان المنظومات التربويّة العربيّة تتحمّل عبءَ

---

[1] بحثنا طويلاً عن المقابل الذي يمكِن تعليق الآمال عليه للإيفاء بمَفهوم (Méthodologie) المتيسّر استِعمالُه في أهمّ اللّغات الغربيّة التي تحتكّ بها العربيّة. فحصلنا من سوق الاستعمال على عدّة اختيارات، وأخذنا نستعمل هذه أو تلك في كتاباتنا المتواضِعة حول اللّسانيات والتعليميات والترجمة. لكن بعد تجريب كلٍّ مِن: *منهجيّة، منهجيات، علم المناهج، طرائق*، الخ؛ تلك التي تقترب كلّها مِن المعنى/التسمية بطريقة أو بأخرى، وتحت وصايا علميّة مكرّسة أو فرديّة، واقتناعاً بتعليلات ما؛ فلم نجد أفضلَ من صناعة مصدر من صيغة الجمع . التي نعلم بطلانها من ناحية قواعد الصرف المعياريّة . وذلك تبعاً لحتميات البحث التي أرغمتنا على تجاوز هذه الأخيرة في حدود لا تكلُّفَ فيها. لكن لا بدافع التميُّز كما يفعل البعض، بل من أجل تأديّة المفهوم الخاص الذي راعى فيه التعليميون كون المنهجيّة (بصيغة المفرد) تسمية تدلّ في التعليميات . من جهة . على مجموع طرائق التّدريس المتداولة في المنظومات التعليميّة المختلِفة، ومن جهةٍ أخرى . على ما يترادف مع مصطلح التعليميات لفرط عنايتها بالهموم المنهجيّة إلى غاية أواخر 1960. أما المنهجيات فمثلها مثل " علم الاجتماع " و" الفلسفة " فيدلّ من جهة . حسب معجم Jean-Pierre Cuq & alii . على مجال تفكيرٍ وبناء فكريٍّ وكذا على كلّ الخطابات التي تكرّس هذه الأخيرة. ومن ناحية التعليميات فالأحرى أن يتحدَّث المرء عن *المناهجيّة* (في صيغة الجمع وكاسم مفهومٍ) التي تدلّ على « الأبنية [الذهنيّة] المناهِجيّة التي يؤرَّخ لها مجموعةً من الناحية التاريخيّة، باعتبارها تقدِّم أجوبةً منسجِمة ودائمة وشموليّة لمجموع الأسئلة التي تتعلّق بالمهارات والصِناعات المتنوّعة والمطبّقة في مختلَف مجالات تعليم اللّغات وتعلّمها (الاستيعاب كتابياً وشفاهياً، والتعبير كتابياً وشفاهياً، النحو، المعجم، الصوتيات، الثقافة)، والتي اتّضح أنّها استطاعت أن تجنِّد، خلال عقود ممتدّة، عدداً كبيراً مِن الباحثين، المصمّمين للوسائل التعليميّة والمدرّسين، المهتمّين كلّهم بالجماهير المقبِلة على أعمالهم وبالسياقات المتنوّعة، بحيث أمعنت في التعقيد والهشاشة في الوقت نفسِه الذي عرفت فيه تعميماً كاسِحاً »؛ يُنظَر التعريف الأخير: Jean-Pierre Cuq & alii, *Dictionnaire de didactique.., op. cit.,* p.166-167.

العناية بتلك الإشكاليّة المزدوجة وتُجنَّد بمزيدٍ من المسؤوليات وتلتزم بطريقةَ عملِ تسير على آثار وتقاليد تلكم المناهج السبّاقة التي تكون قد صنعت مشهد التحوّلات والمراجعات المتتالية: ما قد يُسفر عن تنوّع المناهج العربية واختلافها الشديد على مستوى العالم العربي ولاسيما إذا تفاوتت المداخل مكاناً وزماناً. وإنّ تغيير المنظومة والمناهج دائماً في ضوء ما يمليه الموروث الاستعماري من الإصلاحات والتعديلات بل حتى في ضوء الأنظمة الاقتصاديّة الجديدة، هو السمة الغالبة على النّمط المعتمَد في هذا العالم العربي، كأن يقال اقتصاد السوق بعدما كانت الاشتراكيّة التي كان لزاماً على الجزائر أن تحذو حذوه؛ وهذا ليس حكراً على الجزائر، فهذه فلسطين تشهد تذبذباً في أنظمة [1]. ذلك أنّ المنهاج بوصفه خطة يتمّ عن طريقها تزويد التلاميذ بمجموعة من الفرص التعليمية التي تعمل على تحقيق أهداف عامة عريضة مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة في منطقة تعليمية أو مدرسة معينة، فالمنهج إذن خطة وللخطة مكونات ، ومكونات المنهج الأربع حددها تايلور في نموذجه الشهير عبر أربعة أسئلة هي:

- ما الأهداف التربوية التي ينبغي أن تسعى المدرسة إلى تحقيقها؟
- ما الخبرات التربوية الممكن توفيرها لتحقيق هذه الأهداف؟
- كيف يمكن تنظيم هذه الخبرات التربوية حتى تكون فعالة؟
- كيف يمكن معرفة ما إذا كانت الأهداف تحققت؟

هذه المكونات الأربعة هي التي أعادت هيلدا تابا (Hilda Taba) صياغتها وقدمتها في شكل تخطيطي يبين أوجه التأثير بين بعضها البعض، حيث ترى أنّ أي نظرية في المناهج يجب أن تتضمن إطارا مفهوميا، أو نظريا

[1] يُنظَر: عبد اللّطيف البرغوثي، المناهج والكتب المدرسيّة في المدرس العربيّة في فلسطين تحت الاحتلال اليهودي، ضمن المرسم الثّقافي الثّالث عشر لمجمع اللّغة العربيّة الأردني (10 نيسان - 20 أيار 1995)، منشورات مجمع اللّغة العربيّة الأردني ، 1995، (ص.263 - 326)، ص..

مرجعيا يتضمن كل الفكر اللازم للممارسة والذي في ضوئه يمكن قيادة الممارسات، وترشيدها، وتفسيرها[1].

6.1.3 خطورة تعليم المواد العلميّة باللّغة الأجنبيّة:

وعليه فقد كتب العلامّة الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي في عام 1947 سلسلة مقالاتٍ تحت عنوان (التعليم العربي والحكومة) جاء في بعضها بالحرف الواحد ما يأتي:

« اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان كلّ منهما يقتضي وجوب تعلّمها، فكيف إذا اجتمعا:

1. حقّ مِن حيث أنّها لغة دين الأمّة بحكم أنّ الأمّة مسلمة.
2. وحقّ من حيث أنّها لغة جنسها، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسيةٍ ودينٍ معاً ومن هنا نشأ ما نراه من حرصٍ متأصِّلٍ في هذه الأمّة على تعلّم العربيّة»[2].

ثمّ نلفي الشيخ بعد هذا يشرح منذ 1947 خطورةَ التّعليم باللّغة الأجنبيّة وحدها وعدم الإقبال على تعليم أبناء الجزائر باللغة العربية التي من شأنها أن تعصمهم من الزلل المحدق والانحرافات الفكريّة والقوميّة المهدِّدة للشخصيّة الوطنيّة، فيقول: «والتّعليم الأجنبي (بقصد الفرنسي) على تفاهته في الكيف، وقلّته في الكمّ وعلى اضطرارنا إليه، وإقبالنا عليه يسبقه جهل.

2.3 تعليم العربية للناطقين بغيرها:

1.2.3 صعوبات تعليم العربيّة وتعلُّمها لغةً ثانيةً (أجنبيّة):

الابتعاد عن التركيز والتجريد في التعليم القواعد : إذ من المعروف أن النحو من الموضوعات العقلية المجردة لان قواعده أصبحت هيئة قوانين كلية

---

[1] يُنظَر: رشدي طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص.28.

[2] نقلاً عن: تركي رابح، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه العشرين، مجلة الدوحة، ع. 116، وزارة الإعلام بدولة قطر، الدوحة، أوت ـ سبتمبر 1985، (ص.12 ـ 15)، ص.15.

عامة يقيس عليها الكاتب و الخطيب و المتحدث كلامه لذلك من الضروري توضيح هذه القواعد المجردة بأمثلة حية نابعة من واقع التلميذ في إطار من قراءتهم مع ضرورة الابتعاد عن التركيز فيها كقول النحاة في المفعول لأجله انه (مصدر قبلي يذكر ببيان علة الفعل و سبب حصوله)[1].

بيدَ أنّه كثيراً ما يتساءل المرء . ولاسيما الباحث النبيه . هل اللغة العربية حقّاً مِن أصعب اللغات كما يتردّد على ألسنة الدارسين الغربيين، أو كثير منهم على الأقل ؟ والحال أنّها في غاية السهولة لو نقارنها بما اشتهر من اللغات عالميّاً كالإنجليزيّة مثلا. ولكن على الرّغم مما قيل ويقال أيضاً من سهولة العربيّة فمقام الدراسة هذه يقتضي منا التحلّي بالموضوعيّة فنقف عند مظاهر الصعوبة في تعليم العربيّة وتعلُّمها.

2.2.3 الخطاطة العربيّة (الإملاء العربي):

كثيراً ما عولجت الكتابة العربية . ونقصد بها الخط العربي أو ما يُدعى الإملاء العربي . من باب تشخيصها كعائق في تعليم العربيّة وتعلّمها. والحال أنّه يكاد يُجمِع المقبِلون على تعلّم العربيّة من الطلاب الإنجليز على أنّ أبرز الجوانب سهولةً في العربيّة هو الوحدة القائمة فيها بين اللّفظ والإملاء، وتتبني هذه الوحدة على ثلاثة أسس:

1. تقيّد الإملاء العربي شبه التّام بالألفاظ المنطوقة ليكون صورة صادقة ودقيقة عنها.

2. وجود صورة نطقيّة واحدة لا أكثر للحرف العربي، مع الاستفادة لأحياناً من قواعد اللّسانيات العامّة في تجويد الحرف تبعاً لسياقه ضمنَ الكلمة أو الجملة.

---

[1] يُنظَر: محمد برو، اللغة العربية وصعوبات تدريسها في مرحلة التعليم المتوسط ، رسالة ماجيستر، إشراف الدكتور عباس مداني، جامعة الجزائر، 1985، ص.90 ـ 91.

3. عدم ارتباط العربيّة بنظام نبري محدَّد، ومن ثمّ عدم حاجتها إلى قواعد إملائيّة لضبط مثل هذا النّظام[1].

ولا نستطيع أن نُبرِز قيمة الوحدة التامة أو شبه التامة بين كلٍّ من اللّفظ والإملاء العربيّين بوضوحٍ وجلاء، بقدر ما نفعل ونحن نضع العربيّة بمقابل لغة كالإنجليزيّة.

3.3 العربية واللغات الثانية في سبيل المنافسة الشريفة:

معقَّد بسبب الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة العربية السائدة. وتستند هذه الثقافة على ثلاث ركائز هي : القومية العربية والإسلام واللغة العربية. كما نعرف فإنّ معايير المفاضلة بين اللّغات ليست ثابتة ولكن يمكن الحديث عن معايير المفاضلة الوظيفية.

أمّا التأكيد على ضرورة منح اللّغة العربيّة المزيد من الفرص في سبيل إنمائها وتجويد طرق تعليمها للتصدّي للّغات الثانية وحثّها على المنافسة الشّريفة، فليس من العيب أن يتحدّث الباحِث عن أفضليّة العربيّة من هذا الوجه اللاّئق، كما فعل الجندي خليفة في كتابٍ له أسماه *نحو عربيّة أفضل*، حيث يقول بالحرف الواحِد بروحٍ نقديّة مستشرِفاً المستقبل منذ 1974، في مسألة الأحرف الكبيرة المعروفة في لغتها بـ " الماجسكيل "، واختصار الكلمات إلى بعض حروفها، وهو يقارن بين العربيّة واللغات الأوربية كما يسمّيها، يوضِّح الأمورَ هكذا:

1.3.3 الصراع اللغوي وتأثيره على العربيّة:

وعلى الرغم من تعريب المنطقة التي تُسمّى اليوم "الوطن العربي" فإن هناك جزراً لغوية احتفظت بلغاتها التي كانت تتكلمها قبل الإسلام منها اللغة النوبية في جنوب مصر وشمال السودان وأواسطه، واللغة الأثورية وهي من بقايا

[1] يُنظَر: أحمد بسام ساعي، اللّغة العربيّة بين اللّغات: دراسة مقارنة بالإنجليزيّة، مجلة الفيصل، ع. 98، دار الفيصل الثقافية، الرياض، مايو 1985، (ص.45 ـ 50)، ص.47.

الآشورية (في العراق)، واللغة الكردية في العراق، والأرمنية في الشام، والبربرية في شمال أفريقيا.

أما في خارج الوطن العربي فإنّ عدد اللغات التي يتحدثها المسلمون غير معروف إلا أننا أحصينا عدد اللغات التي كتبت بالحرف العربي طوال العصور الإسلامية حتى الآن فوجدناها تناهز المائة[1].

2.3.3 طرح إشكالية لغة الأم:

وفي هذا الصدد يصف شوقي النجار في مقالٍ له أثرَ اللغة الأم . وهو يقصد بها اللغة القومية (أو كما يسميها اللغة الأصلية) . في تعلم اللغة الهدف وهو يعني العربية، فيقول: إن لغة الأم لها خطرها وأثرها الفعال والدائم على دارس اللغة العربية. فالملاحَظ أنّ الأجنبي مهما تعلم اللغة العربية، وتحدث بها، فإنك لا شك واجد في لسانه لكنة أعجمية، أو عثرات تكشف لك لأوّل وهلة أنّه غريب على اللّغة. ولا يملك المرء مهما وصل به علمه ودراسته، ومعايشته للغة الثانية من إخفاء تأثير لغته الأصلية، لما تصبغه من صفات[2].

5. محور التّعريب:

إنّ التّعريب الذي يعنينا حالياً [3] هو **التّعريب الشّامل أو الشّمولي** أي استعمال اللغة العربية لغة قومية في العالَم العربي للتعبير عن المفاهيم . وقد سبق

---

[1] يُنظَر: يوسف الخليفة أبوبكر، دور الحرف العربي في اللغات خارج أفريقيا، بحث قدم في ندوة كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية في 29–31 ديسمبر 2001.

[2] يُنظَر: شوقي النجار، أثرُ اللّغة الأمّ في تعلُّم اللّغة الهدف، مجلة الفيصل، ع.86، دار الفيصل الثقافية، الرياض، مايو 1984، (ص.120 ـ 122)، ص..

[3] وذلك بالمرور على مفهوم التعريب كونه لغةً مصدر فعل (عرَّب)، وعرَّب بمعنى أبان وأفصح، وعرَّب عن الرجل إذا تكلّم بحجته، وعرَّب منطقة إذا هذَّبه من اللحن، ويقال : عرَّبت له الكلام تعريبا إذا بينته له، وعرَّبه : أي علَّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها. يُنظَر: ابن منظور، معجم لسان العرب، ج.4، دار المعارف، ص 2865. ولقد تدرَّج لفظ " عرَّب " بهذه المعاني المتقاربة بعض الشّيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية. والتعريب اصطلاحا إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها فى ميادين المعرفة البشرية كافة. يُنظَر: محمد الديداوي، التّرجمة والتّعريب: بين اللّغة البيانيّة واللّغة الحاسوبيّة، ط. 1، المَركز الثَّقافيُّ العربيُّ، الدَّار البيْضاء ـ بيروت، 2002.

الحديث عن العلاقة العضويّة القائمة بين القوميّة واللّغة . واستخدام هذه الأخيرة في التعليم بجميع مراحله، والبحث العلمي بمختلف فروعه وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة، وهذا رأي الجمهور من العلماء نذكر منهم ومحي الدّين صابر [1]. ومنهم من يوسّع دائرة التعريب ليرى أن للتعريب مفهومًا جوانبَ فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، وقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم... الخ، وفى هذا الإطار تكون قضيةُ التعريب قضيةُ علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية قد يعنى التعريبُ دعمَ الوجود العربي والوحدة العربية بمعنى شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي. كما يعنى التعريبُ تعريبَ لغة الإدارة الرسمية بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي، وقد يعني تعريبَ لغة التعليم والمجتمع معًا في بعض الأقطار العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت حديثا.

والتعريبُ من جهة أخرى قد يعنى كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسخ حياته،مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل، والانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي إنتاجًا وعلاقات ، أخذًا وعطاء ، تأثيرًا وتأثرا ، من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها. والتعريبُ فئ المستوى المباشر يعنى سيادةَ اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية ، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعله عاملا جوهريا في الخروج من دائرة التخلف السياسي

[1] كان مديرا عامًا لمنظّمة أليسكو. أستاذ الهندسة المدنيّة بجامعة بغداد (1986)، عضو المجمع العلمي العراقيّ.

المتمثل فى التجزئة إلى حرية الوحدة العربية فئ الصورة التي تؤصل دور الأمّة العربية التاريخي والمصيري .

وتعود فكرة التعريب في الجزائر إلى بداية استقلال الجزائر في 5 جويلية 1962 تاريخ استقلال الجزائر وذلك عندما تقدّم مجموعة من النوّاب الجزائريين بمشروع إلى حكومة أحمد بن بلة الفتيّة طالبوا فيه الحكومة بالتخلّي عن اللغة الفرنسية كلغة مسيطرة على الإدارة والتعليم وإحلال اللغة العربيّة محلّها، غير أنّ صدمة النوّاب كانت كبيرة للغاية كما يقول أحد هؤلاء وهو عمّار قليل [1] عندما رفضت الحكومة الفتيّة مشروع التعريب . وظلّ التعريب مجمدّا على امتداد عهد ابن بلّة، وحاول بومدين تعريب الإدارة والتعليم إلاّ أنّ اللغة الفرنسية قد أصبحت سيدة الموقف في عهده في الجامعة والإدارة.

1.5 تعريب التّعليم:

1.1.5 مشكلة التعريب في الجزائر مشكِلة استِعماريّة:

فمن الباحثين الجزائريين الذين بادروا إلى بحث هذه المشكلة الباحث والأستاذ الجامعي تركي رابح الذي بينما يقف على مشارف التاريخ يشخِّص مشكلة التعريب منذ 1986 مجتازاً منطِقة تسيِيس هذه المشكلة، فيرى ـ أنّ « المشكل اللّغوي الذي [كانت] تعاني منه الجزائر [ولا تزال] منذ بداية الاستقلال في عام 1962، هو في أساسه وجوهره مشكلٌ استعماريٌّ لم تعرفه الجزائر في حياتها مِن يوم دخول الإسلام واللّغة العربيّة إليها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلاّ عند مجيء الاستعمار الفرنسي إليها في عام 1830»[2].

وسبق له أن شرّح الظّاهرة باهتمامٍ كبيرٍ معلناً عن مسؤوليّة الاحتلال الفرنسي في تدهور الوضع اللّغوي الجزائري واختلاله، فصرّح في 1983 بما يأتي:

---

[1] ولد السيد عمار قليل عام 1924 في قرية " ولاد عربي " التابعة لبلدية الميلية ولاية جيجل حاليا، وهو صاحب كتاب " ملحمة الجزائر الجديدة "الصّادر سنة 1993 في ثلاثة أجزاء.

[2] يُنظَر: تركي رابح، جهود الجزائر في تعريب التّعليم العام والتّقني والجامعي (1962 ـ 1984)، مجلّة الثّقافة، ع.91، وزارة الثّقافة والسياحة، الجزائر، 1986، (ص.83 ـ 113)، ص.84.

« لقد كان التّعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي يسير كلُّه باللّغة العربيّة مِن بدايته إلى نهايته. وكان مزدهراً إلى حدٍّ كبيرٍ كما يقول المؤرِّخون الفرنسيون أنفسهم. ولكن بعد الاحتلال بقليلٍ بدأ هذا التعليم يتدهور شيئاً فشيئاً، نظراً للتخريب المتعمَّد لمؤسّساته، وأوقافه، ومعاهده، ومراكزه، ومكتباته في جميع مناطق البلاد مِن طرف إدارة الاحتلال»[1].

2.1.5 العربية في الجامعات:

الحديث عن العربيّة في الجامعة يستدعي تناول العربية المتخصِّصة أو ما يُدعى عربيّة التخصّص.

«ومِن الثَّوابِت المعرفيَّة المطلَقة أنَّ اللُّغة ظاهِرةٌ جماعيَّةٌ واجتِماعيَّة تتحرَّك طوْعًا كُلَّما تلقَّت مُنبِّهًا خارِجيًّا، فَما إن يستفِزّها الحافِزُ حتّى تَستجيب بِواسطة الانتِظام الدّاخليّ الّذي يُمكِّنها مِن استيعاب الحاجة المتجدِّدة والمقتضيات المتوَلِّدة وهكذا تَصطنِع اللُّغةُ نَهجًا مِن الحركة الذّاتيّة»[2].

3.1.5 دور الترجمة في تطوير العربيّة:

نعرف كلّنا ما للتّرجمة من دعم التّواصل بين الشّعوب، ولكن معرفة الآخر تمرّ حتما عبر لغته. اللّغة مفتاح العقلية ومفتاح ثقافة الشعوب وملامحها المادية والمعنوية. ولهذه الأسباب ارتبط نموّ اللّسانيات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أساسًا بالأبحاث الأنتروبوجيا والإثنية والفيلولوجيا والآثاريّة وتاريخ الثقافات والأديان وما شابه هذه المعارف التي تؤدّي فيها اللّغة دورًا مركزيا للكشف عن البنيات الذهنية للشعوب الناطقة بها، بل ولا تزال تؤتي ثمارها وإلى غاية النّصف الأوّل من القرن العشرين[3]. راهنًا انتقل هذا الاهتمام باللّغة إلى المجتمعات الغربية

---

[1] يُنظَر: تركي رابح، المعركة مِن أجل التّعريب، مجلّة المستقبل العربي، ع.57، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1983، (ص.84 - 103).

[2] عبد السلام المسدّي، المصطلح النّقدي، مُؤسّسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1994، ص.12 - 13.

[3] يُنظَر: Benjamin Lee Whorf, Linguistique et anthropologie, Trad Claude Carme, Ed. Denoël, Paris, 1969.

ذاتها حيث تؤدّي اللّغة دورًا هامًّا في التأثير السياسي والاقتصادي (الدعوة إلى الاستهلاك عن طريق الإشهار السمعي البصري). كما تُعتبر اللغة قطب الرحى في العلوم الإنسانية وكل تحليل علمي للظواهر الإنسانية لا بدّ له من المرور عبر اللغة. ألا يقال بأن الإنسان كائن ناطق كما رأيناه أعلاه ؟ فاللغة تؤدّي اليوم كما بالأمس دورا حاسما في تواصل المجتمعات والشعوب. وبواسطة اللغة المكتوبة والمسموعة يمكن القيام بمجموعة من الأمور التي لا تستطيع أي وسيلة رمزية أخرى القيام بها.

وقد زاد من الاهتمام باللغة ما كشفت عنه الأبحاث اللغوية في مستويات مختلفة ومتعددة من بيانات مذهلة حول سيرورة اللّغو عند الإنسان سواء في بعده الفردي أو الجماعي. هذه العوامل متفردة أو مجتمعة وبدرجات متفاوتة الأهمية خلقت اهتماما محوريا باللّغة وصفًا وبحثًا خلال العصور الماضية ودفعت إلى الاهتمام بتعليمها وتعلّمها.

والكلّ يعرف أنّ لكل عصر أو مرحلة زمنيّة اهتماماتها الفكرية الخاصة بها. فالحقبة اليونانية حقبة فلسفية بامتياز، والقرن الثامن عشر والتاسع عشر كانا قرني التحولات العلمية الكبرى لا سيما في الرياضيات والفيزياء بامتياز .أما القرن العشرين فهو قرن الإنسان بكل أبعاده ومن بينها البعد اللغوي الذي هو المدخل الحقيقي لباقي الأبعاد.

حسن تسخير المصطلحات في مقامات الترجمة:

«وكلّما كانت المصطلحاتُ حامِلةً لملامح مميِّزة تجعلها تختلف من سياق إلى آخر، فإنّ مثل هذه المصطلحات المشكَّلة على هذا المكنوال تكشف سرّها المكنون باعتبارها تطوي على دلالات (مفاهيم) كامنة فيها» [1]؛ فما على إعادة استعمالها في سياقات متعدّدة إلاّ أن يتتيح لها فرصة التبليغ عن تلك الأسرار

[1] Bouhadiba Lelloucha, Traduction et langues de spécialités, AL-MUTARĞIM, n° 10, Revue de Traduction & d'Interprétariat, Laboratoire « Didactique de la traduction & Multilinguisme », Université d'Oran, Ed. Dar El Gharb, Juillet – Décembre 2004, p.86.

المكنونة والدلالات الكامِنة. لهذا تجنح اللّغة العربيّة إلى ما يُدعى إعادة التعريف وإعادة الصياغة ..الخ.

فهكذا نلفي المستشرِقة الألمانيّة زيغريد هونكه تقرّ في كتابها *شمس (الله) تسطع على الغرب* ، بفضل العلماء العرب على جميع الحضارات التي جاءت بعدهم، حيث تعلن:

«وهكذا نجد العلماء العرب يحفظون للعالم عن طريق ترجماتهم الكثيرَ مِن الكتب من الضياع والضياع النهائي. وهي مؤلَّفاتٌ كان العالم يجهلها جهلاً تاماً لولا أن جاءته عن طريق الترجمة العربيّة مثل كتب التشريح لجالينوس وكتب القوى المحركة والرياضيات للمؤلفين (هيرون) و(فيبلون) و(مينيلاوس) ثم بصريات بطليموس»[1].

مع العلم أنّنا أفدنا كثيرا مِن المستشرقين، ويجب ألا ننسى أنهم علّمونا فن تحقيق التراث، بل إنهم علمونا الإحساس بقيمته مما بذلوه في نشرة ولفت الأنظار إليه، ويكفي أن نعلم أن أهم المصادر العربية والإسلامية كانت موضع عناية الباحثين في النحو والبلاغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وعلوم القرآن والحديث والفقه وغيرها.

4.1.5 العربية وتحديات العلوم العصرية:

نسأل أوّلاً هل العربيّة قادرة على احتواء المعارف التي تُنتِجها العلوم الحديثة وليس هذا فقط، بل أن يُتواصل بها في مقامات التبادل المتخصِّص (المنطوق والمكتوب)؟ فإذا كان التباين بين المعرفتين العامة والمتخصصة نابعاً من تباين في الدعامة التي تعمل كل واحدة منهما بناءً عليها، فإنّ اللّغة لا تعدو إذن أن تكون بكاملها إطاراً معرفيا للعلوم. مما يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية التي تتصرف فيها هذه الأخيرة و تحقق لها واقعا خاصا.

---

[1] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوروبة (فضل العرب على أوربا) ، ترجمه وحقّقه وعلّق عليه فؤاد حسنين علي، مكتبة رحاب، قسنطينة 1986، ص.289.

وإذا كان هذا الأمرُ قد ثبت فيما يخصّ اللغات التي يعتمدها الغرب في ابتكاراته واختراعاته، فلابدَّ أنّ اللّغة العربيّة ستحتاج إلى معينٍ تصدر منه في صياغة المصطلح لمجاراة هذا الغرب في التقدّم العلمي وبالتالي يُصبح من الطبيعي أن تلجأ اللّغة العربيّة إلى اللغات التي تحتلّ الصدارة في وضع المفاهيم العلميّة كالانجليزية والألمانية والفرنسية. وقد سبق للغة العربية أن احتلّت المركز فيما مضى بل كانت لا تزال تؤدّي دور النموذج إلى غاية القرن التاسع عشر حيث يجب أن نذكر أنه عندما تنبه رجال الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر خاصة إلى ضرورة مجاراة الغرب في التعليم، وفتحوا بعض المدارس لتعليم العلوم الحديثة فيها، اضطر العلماء في هذه الدولة إلى اقتباس المصطلحات العلمية العربية وإلى إدماجها في لغتهم، لأنّ اللغة التركية لا تسد الحاجة إلى الألفاظ العلمية[1]. والعربية هي النبع الذي تستقي منه التركية كلماتها العلمية، أي إن العربية بالنسبة إلى التركية كاللاتينية واليونانية بالنسبة إلى لغات أوربة الكبيرة الآن. فعلماء الترك اقتبسوا من كتبنا القديمة بعض مصطلحاتها العلمية، كما اقتبسوا مصطلحات الكتب العربية التي ألفت أيام محمد علي واسماعيل في مصر، ولكنهم لم يوجدوا مصطلحاً عربياً جديداً ويبدو أن حركة ترجمة المصطلح العلمي أو تعريبه التي تجمدت في عصور الانحطاط بسبب توقف الاجتهاد اللغوي، وانحسار العربية وانغلاقها في قوالب محنطة، قد عادت إلى النشاط من جديد حالما بدأت اللغة العربية تتجدد في مطلع القرن التاسع عشر على يد علماء النهضة في مصر، ومنذ أن أخفقت حركة التتريك التي استهدفت القضاء على التعامل باللغة العربية داخل الدولة العثمانية ولقد شهد القرن التاسع عشر تقدماً في العلوم وتوسعاً في المخترعات لم تشهد لهما البشرية مثيلاً في

[1] يُنظَر: محمّد علي الزركان، الجُهودُ اللُّغويَّةُ في المُصطلح العِلميّ الحديث، مَنشورات اتّحاد الكتّاب العرب (سلسلة دراسة)، دمشق، 1998، ص.17. نقله عن: الشهابي، مصطفى / المصطلحات العلمية / 41-42 / 1965 والصيادي، محمد المنجي / التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي / 31/ 1982.

القرون الماضية، فقد تمكن الإنسان الأوربي من اكتشاف قوة البخار واستعمالها، فسير بها القاطرات الحديدية والسفن، واكتشف الكهرباء، واستنبط طرقاً وأدوات وأجهزة لقياس الحرارة وسرعة الضوء، وتحليل المواد الكيمياوية، والتصوير الفوتوغرافي، وتحليل الطيف الشمسي، وأثبت دوران الأرض بالتجربة، واكتشف كريات الدم ووظائفها، واستعمل المضادات في العمليات الجراحية، وتقدم العلماء بنظريات عديدة كان لها صدى واسع في أوساط المثقفين والمفكرين. وتعرف العرب على هذه المنجزات العلمية من خلال اتصالهم بأوربة، فوقفوا منها موقف المشدوه في بداية الأمر، ثم مالبثوا أن استوعبوها بعد تأسيس المدارس العصرية في مدنهم على يد محمد علي في مصر أولاً، ثم على أيدي الارساليات التبشيرية في بلاد الشام.

خاتمة

إنّ هذا التعدد اللّغويّ يتّصل رأساً بظروفٍ تاريخيّة شكّلت واقِعاً سائغاً منتشراً بيننا ومناقضاً حيث اقتسمت فيها اللّغة العربيّة مع اللّغة الفرنسية حقبة من الزمن. ورجعنا في هذا كلِّه إلى أحدث الدراسات، فضلاً عن صلتها بالميدان وبقضايا الساعة كدرجة استخدام العربية في الإدارة واخترنا لذلك واقع الجزائر اللغوي حيث ما تزال الفرنسية لغة العمل والتفاوض مع جميع الشركاء، على الصعيدين الداخلي والخارجي لأنّ معظم العقود الإدارية تظلّ مكتوبة باللغة الفرنسية (نظراً لمعايشتنا لهذا الواقع اللّغوي المتأزِّم الذي وإن لا يخفى على أحد فهو ذو أسبابٍ ونتائج وأبعادٍ جديرة بالتحليل). زحفت إلينا في سياق تاريخي من تراجع العربية إبان الحكم العثماني، وانبهار العرب بما أصابه الغرب مِن التقدّم في العلوم والصناعات وكثير مِن شؤون الحياة.

إنّ الذين يفزعون مِن وضع اللّغة العربيّة الحالي قد يحقّ لهم ذلك عندما نراجع مدى الانسجام الذي كان ينبغي أن يتحقّق ما بين القوانين المشرَّعة

والمصادق عليها في البرلمانات وبين الواقع كثيراً ما يتحطّم الطموح على حجر هـ الصلب والصلد.

[1] نقلاً عن: Franco Pierno, Du rêve d'une homogénéité linguistique au plurilinguisme institutionnel: l'Italie en dialectes et langue(s), in Pluralisme et multiculturalisme (Dir. Nadine Ly), Ed. Presses Universitaires de Bordeaux (Coll. Montaigne-Humanités), Bordeaux, 2009, (p.21-33), p.22.

[1] يُنظَر: Josiane F. Hamers et Michel Blanc, Bilinguilité et bilinguisme, 2d éd. mardaga, Bruxelles, 1983, p.350-351.

[1] يُنظَر: Renée balibar, Le Colinguisme, Ed. PUF (Coll. Que sais-je ?), Paris, 1993, p.04.

[1] يُنظَر: Louise Dabène, Repères sociolinguistiques par l'enseignement des langues, Ed. Hachette, Paris, 1994, p.84.

[1] يُنظَر: Louise Dabène, Caractères spécifiques du bilinguisme et représentations des pratiques langagières des jeunes issus dr l'immigration en france, in Devenir bilingue - parler bilingue (Actes du 2e colloque sur le bilinguisme, Université de Neuchâtel, 20-22 septembre 1984, ed. Georges Lüdi), Ed. Niemeyer, Tübengen, 1987, (p.77-97), p.77.

[1] يُنظَر: Pierre Escudé et Pierre Janin, Le point sur l'intercompréhension, clé du plurilinguisme, Ed. CLE (Coll. Didactique des langues étrangères), Paris, 2010, p.33.

[1] يُنظَر: Jacqueline Billiez, De la didactique des langues à la didactique du plurilinguisme, Ed. CDL-LIDILEM, Grenoble, 1998.

[1] يُنظَر: Peter Auer, Le transfert comme stratégie conversationnelle dans le discours en "L2", in Devenir bilingue - parler bilingue (Actes du 2e colloque sur le bilinguisme, Université de Neuchâtel, 20-22 septembre 1984, ed. Georges Lüdi), Ed. Niemeyer, Tübengen, 1987, (p.57-74), p.72.

[1] يُنظَر: Klaus Gerth, La société française face au bilinguisme: la réglementation de l'Education national en tant que reflet des interrogations d'une culture singulière et plurielle, in Bilinguisme: enrichissement et conflits (Actes du colloque organisé à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de l'Université de Toulon et du Var les 26, 27 et 28 mars 1999: réunis par Isabelle Felici), Ed. Honoré Champion, Paris, 2000, (p.45-60), p..

[1] يُنظَر: Marie-Madeleine Bertricci, Politique linguistique - éducative: proposition pour une didactique du plurilinguisme, in L'enseignement des langues vivantes étrangères à l'école: impacts sur le développement de la langue maternelle (Dir Colette Corblin et Jérimi Sauvage), Ed. L'harmattan (Coll. Enfance et Langages), Paris, 2010, (p.145-156), p.

[1] يُنظَر: Henri Besse Cultiver une identité plurielle, In Le Français dans le monde, n°254, janvier 1993, p.42-48.

[1] يُنظَر: Jean Bernabé, Langues, cultures, sociétés créoles: évolutions morphologiques et symptomatologiques, in Pluralisme et multiculturalisme (Dir. Nadine Ly), Ed. Presses Universitaires de Bordeaux (Coll. Montaigne-Humanités), Bordeaux, 2009, (p.35-49), p.44.

[1] يُنظَر: Florent Michaux, Le monde et ma langue, in Bilinguisme et psychologie (Dir. Mareike Wolf-Fédida), Ed. MJW (Coll. Culture et Langage), Paris, 2010, (p.155-168), p.160-161.

[1] يُنظَر: Abderrezak Dourari, Pluralisme linguistique et unité national: perspectives pour l'officialisation des variétés berbères en Algérie, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.45-53), p..

[1] في هذا الصدد ثمّة مواقف متنوعة فثمة من تأسف وهناك ردود فعل عنيفة، يُنظَر: Mohamed Benrabah, Langue et pouvoir en Algérie : Histoire d'un traumatisme linguistique, Editions Séguier (Coll. Les Colonnes d'Hercule), Paris, 1999, p.09.

[1] يُنظَر: dalila Morsly, Tamazight langue national, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.33-43), p.36-43.

[1] يُنظَر: Gilbert Grandguillaume, Le multilinguisme dans le cadre national au Maghreb, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.13-19), p.18.

[1] يُنظَر: أحمد بناني، دور المؤسّسة التّعليميّة الجزائريّة العتيقة في تعزيز المَلَكة اللّغوية، ضمن أعمال ملتقى: الممارسات اللّغوية التّعليمية والتعلُّمية (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي ـ وزو أيام 7 ـ 9 ديسمبر 2010)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، (ص.55 ـ 65)، ص.59.

[1] **المَلَكة التّواصليّة** (Compétence communicative) والتي تسمّى أيضاً (Compétence sociolinguistique) أي (الملكة العُرفيّة) هي، أوّلاً وقبل كلّ شيء، مَعرِفة إجرائيّة: تحوي الأعرافَ الثقافيّة والاجتماعيّة، تلك التي تتحكّم في عمَليّة استعمال اللّغة (الكلام) في مَجموعة لغويّة ما؛ وتستشفّ عن الآليات النفسيّة الوجدانيّة (الانفعاليّة) التي تحكم تبادلَ الأحاديث في تلك المجموعة. كما يُشَّدد عند ذكر مصطلحُ *الملكة التّواصليّة* على **كفاءة** التّواصل بنجاعة في لغة ما (الأمّ أو الثانية أو الأجنبيّة): تبدو هذه **المَلَكَة** بِمثل هذا التّحديد واسِعةَ النّطاق، فهي تنطوي وفق التّقديم السابِق على خمسة أنواعٍ في أقلّ تقدير:

1. **المَلَكَة اللّغويّة**: مَهارة استيعاب قواعد وضعٍ (Code) لغويٍّ ما وتطبيقها في سياقٍ تواصليٍّ ما.
2. **المَلَكَة الاجتماعيّة اللّغويّة**: مَهارة استيعاب مُختلَف أنواع الخطابات وجعلها قيدَ الممارسة في موقِفٍ تواصليٍّ ما.
3. **المَلَكَة الاجتماعيّة الثّقافيّة**: مَهارة استيعاب موضوعاتٍ ثقافيّة مُرتبِطة بموقِفٍ تواصليٍّ ما.
4. **المَلَكَة المَرجعيّة**: مَهارة استيعاب مَجالات خبرة ما وأشياء العالَم ، وتملّك علاقاتها ضمن سياقٍ تواصليٍّ ما.
5. **المَلَكَة الاستراتيجيّة**: مَهارة استعمال استراتيجيّات تلفّظيّة وغير تلفّظيّة مِن أجل ردم أسباب التّواصل بين المتحدِّثين، وإحكام أمر التواصل بمقتضى نوايا أولئك المتحدِّثين المتوقَّعة بل بمَوجِب حتى أفعالهم المحتمَلة. ذلك أنّه ثمّةَ مَن وقف عند المعرفة بوصفها تنقسِم إلى ما هو تَقريري وما هو إجرائي. تُدرَج المَلَكَة التَّواصليّة ضمنَ القسم الأخير نظراً لطابعها التعدّدي والتداخلي، ؛ يُنظَر: جابر عبد الحميد جابر، إستراتيجيّة التّدريس والتّعلّم ، سلسلة المراجع في التّربية وعلم النّفس، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 1999، ص.77 . 117.

ثمّ إنّ التّحكّم في قوانين الخطاب وفي أجناسه لهو من المكوّنات الأساسيّة لملكتنا التّواصليّة، أي قدرتنا على خلق الملفوظات وتأويلها بصورة تنسجم والحالات العديدة المحيطة بوجودنا. لا تخضع هذه القدرة لتعلّم بيّنٍ، إنّما نتلقّاها عن طريق تمثّلها، في الوقت نفسه الّذي نُلقَّن فيه أنواعًا من السّلوكات في الوسط الاجتماعيّ. طبعًا لا يكفي التّحكّم في الملَكة التّواصليّة للمشاركة في نشاطٍ كلاميٍّ ما. لا بدّ من تعبئة « سلطاتٍ » أخرى .كما يقول دومنيك مانغينو (Dominique Maingueneau) . من أجل خلق الملفوظات وتأويلها. بالتّأكيد لا مجالَ لإزاحة الملكة اللّغويّة، أي التّحكّم في اللّغة المعنيّة. ينبغي من جهةٍ أخرى التّزوّد بمعارف معتبرة حول العالَم، أي الملكة الموسوعيّة. يُنظَر: Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, Ed. Dunod, Paris, 1998, p.27.

[1] وذلك في ظلّ التعديلات التي أخذت المنظومة التربويّة تعرفها من موسم إلى آخر.

[1] ويكشف عن ذلك عناية الدولة بتكوين ـ وإعادة تكوين ومداومته ـ يشمل كلّ الموظَّفين *لأغراض التعليم* في سلك التعليم إلى غاية الحصول على أقل شيء وهو شهادة اللّسانس في المادة التعليمية المراد تدريسُها وفي جميع الأطوار المدرسيّة، ما يعني توفّر المعلِّم على تكوين في المواد اللّسانية جميعها، علاوة على المواد اللغوية الأخرى القائمة على ما سبق ذكرُه من التخصّصات التراثية.

[1] يُنظَر: نهاد الموسى، نظريّة النحو العربيّ في ضوء مناهج النظر اللّغويّ الحديث ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، 1980؛ وأيضًا: الصورة والصيرورة: بصائر في أحوال الظاهرة النحويّة ونظريّة النحو العربيّ، دار الشروق، عمان، الأردن، 2003.

[1] ينظَر: ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة: (الجملة البسيطة) ، ط.1، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983. كذلك: مباحث في النّظريّة الألسنيّة وتعليم اللّغة، ط.2، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1985.

[1] ينظَر: مازن الواعر، الأمراض اللّغويّة: سبر للتّجربة الأمريكيّة، المعرفة، ع. 204، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، فبراير 1979، ص. 208. كذلك: النّظريّات النّحويّة والدّلاليّة في اللّسانيّات التّحويليّة والتّوليديّة: مُحاولة لِسبرِها وتَطبيقها على النّحو العربيّ (1)، اللّسانيّات، ع.06، مَعهد العُلوم اللّسانِيَّة والصَّوتِيَّة، الجزائر، 1982، ص. 24. كذلك: حول بعض القضايا الجدليّة لنظريّة القواعد التّوليديّة والتّحويليّة: لقاء مع نوام تشومسكي، اللّسانيّات، ع. 06، مَعهد العُلوم اللّسانِيَّة والصَّوتِيَّة، الجزائر، 1982، ص.68.

[1] ينظَر: عبد القادر الفاسي الفهريّ، اللّسانيّات واللّغة العربيّة ، ط. 1، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، ومنشورات عويدات، بيروت، 1985. كذلك: المعجم العربيّ: نماذج تحليليّة جديدة ، ط.2، سِلسِلة المعرِفة اللّسانيّة: أبحاث ونَماذج، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، 1992.

[1] ينظَر: Dominique Maingueneau, Aborder la linguistique, Coll. MEMO, Ed. Seuil, Paris, 1996, p.42.

[1] هذا، مع ما كان ينبغي الحرصُ عليه مِن التمييز بين **التوليدية** وبين **التحويلية** من جهة: فهناك فروق بينهما من ناحية التّفريع، تتطرّقنا إلى بعضِها أعلاه؛ ثمّ بين كلّ واحِدةٍ منهما وبين **التوليديّة التحويليّة**، وذلك على سبيل ما تطوّرت إليه **التوليديّة** وبتقدّم **التوليديّة** (النظريّة) على **التحويليّة** (الطّابِع الإجرائي المنهجيّ التّابِع).

[1] عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث: بحث في المنهج..، ص.109.

[1] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، سبب وضع علم العربية ، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، 1988.

[1] يُنظَر: سليمة بونعيجة راشدي، تعليميّة اللّغة العربيّة والمواد الدّراسية الأخرى، دورية التواصل في اللغات والثقافة والأدب ، ع. 27، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2011، (228 ـ 243)، ص.235.

[1] محسن بوعزيزي، اللّغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون، مجلة المستقبل العربي ، ع. 335، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، يناير 2007، (ص.19 ـ 31)، ص.21. نقله عن: ابن خلدون، المقدمة، ج.1، الدار التونسية للنشر، 1984، ص.458.

[1] عبد الكريم خليفة، تعريب التّعليم الجامعي عاملٌ أساسي مِن عومل النهضة، كتاب الأصالة، ج.3 (محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي: تمنغست، 30 أوت ـ 08 سبتمبر 1979)، وزارة الشؤون الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995، (ص. 29 ـ 53)، ص.33.

[1] يُنظَر: أحمد دهمان، اللغة العربية: الصلة الحية بين حاضر الأمة وتراثها الزاخر، مجلة التراث العربي، ع.102، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، نيسان 2006.

[1] يُنظَر: محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، دار الفكر (دمشق) ـ دار الفكر المعاصر (بيروت)، 1989، ص.09.

[1] (بالألمانية: Otto von Bismarck) (1 أبريل 1815 - 30 يوليو 1898) رجل دولة وسياسي بروسي ـ ألماني.

[1] يُنظَر: Pierre Bourdieu, Sociologie de l'Algérie, Coll. Que-sais-je ?, 3e éd. PUF, Paris, 1970, p.51.

[1] A. Attia, (s.t), Revue tunisienne des sciences sociales, Actes du séminaire de linguistique des 14, 15 et 16 avril 1965, Pub. De C.E.R.E.S.,Univ. De Tunis. Cité par Ramdane Ait-Oumeziane, Le statut de la fonction « sujet » dans deux parlers arabes : Constantine et Tripoli, La linguistique, Fasc. 01, Vol. 22, PUF, Paris, 1986, p.81.

[1] H. Skik, L'enseignement en Tunisie vingt ans après la réforme de 1958, C.F.E.C.T.I.

[1] Ramdane Ait-Oumeziane, Op. cit., p.82.

[1] Ibid., p.81.

[1] بحثنا طويلاً عن المقابل الذي يمكِن تعليق الآمال عليه للإيفاء بمَفهوم (Méthodologie) المتيسِّر استِعمالُه في أهمّ اللّغات الغربيّة التي تحتكّ بها العربيّة. فحصلنا من سوق الاستعمال على عدّة اختيارات، وأخذنا نستعمل هذه أو تلك في كتاباتنا المتواضِعة حول اللّسانيات والتعليميات والترجمة. لكن بعد تجريب كلٍّ مِن: *منهجيّة، منهجيات، علم المناهج، طرائق*، الخ؛ تلك التي تقترب كلّها مِن المعنى/التسمية بطريقة أو بأخرى، وتحت وصايا علميّة مكرَّسة أو فرديّة، واقتناعاً بتعليلات ما؛ فلم نجد أفضلَ من صناعة مصدر من صيغة الجمع ـ التي نعلم بطلانها من ناحية قواعد الصرف المعياريّة ـ وذلك تبعاً لحتميات البحث التي أرغمتنا على تجاوز هذه الأخيرة في حدود لا تكلُّفَ فيها. لكن لا بدافع التميُّز كما يفعل البعض، بل من أجل تأديّة المفهوم الخاص الذي راعى فيه التعليميون كون المنهجيّة (بصيغة المفرد) تسمية تدلّ في التعليميات ـ من جهة ـ على مجموع طرائق التّدريس المتداولة في المنظومات التعليميّة المختلِفة، ومن جهةٍ أخرى ـ على ما يترادف مع مصطلح التعليميات لفرط عنايتها بالهموم المنهجيّة إلى غاية أواخر 1960. أما المنهجيات فمثلها مثل " علم الاجتماع

" و" الفلسفة " فيدلّ من جهة . حسب معجم Jean-Pierre Cuq & alii. على مجال تفكيرٍ وبناء فكريٍّ وكذا على كلّ الخطابات التي تكرِّس هذه الأخيرة. ومن ناحية التعليميات فالأحرى أن يتحدَّث المرء عن *المناهجيّة* (في صيغة الجمع وكاسم مفهومٍ) التي تدلّ على « الأبنية [الذهنيّة] المناهِجيّة التي يؤرَّخ لها مجموعةً من الناحية التاريخيّة، باعتبارها تقدِّم أجوبةً منسجِمة ودائمة وشموليّة لمجموع الأسئلة التي تتعلّق بالمهارات والصِناعات المتنوِّعة والمطبَّقة في مختلَف مجالات تعليم اللّغات وتعلّمها (الاستيعاب كتابياً وشفاهياً، والتعبير كتابياً وشفاهياً، النحو، المعجم، الصوتيات، الثقافة)، والتي اتّضح أنّها استطاعت أن تجنِّد، خلال عقود ممتدّة، عدداً كبيراً مِن الباحثين، المصمِّمين للوسائل التعليميّة والمدرِّسين، المهتمّين كلّهم بالجماهير المقبِلة على أعمالهم وبالسياقات المتنوِّعة، بحيث أمعنت في التعقيد والهشاشة في الوقت نفسِه الذي عرفت فيه تعميماً كاسِحاً »؛ يُنظَر التعريف الأخير: Jean-Pierre Cuq & alii, *Dictionnaire de didactique.., op. cit.,* p.166-167.

[1] يُنظَر: عبد اللّطيف البرغوثي، المناهج والكتب المدرسيّة في المدرس العربيّة في فلسطين تحت الاحتلال اليهودي، ضمن المرسم الثّقافي الثّالث عشر لمجمع اللّغة العربيّة الأردني (10 نيسان ـ 20 أيار 1995)، منشورات مجمع اللّغة العربيّة الأردني ، 1995، (ص.263 ـ 326)، ص..

[1] يُنظَر: رشدي طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص.28.

[1] نقلاً عن: تركي رابح، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه العشرين، مجلة الدوحة، ع.116، وزارة الإعلام بدولة قطر، الدوحة، أوت ـ سبتمبر 1985، (ص.12 ـ 15)، ص.15.

[1] يُنظَر: محمد برو، اللغة العربية وصعوبات تدريسها في مرحلة التعليم المتوسط ، رسالة ماجيستر، إشراف الدكتور عباس مداني، جامعة الجزائر، 1985، ص.90 ـ 91.

[1] يُنظَر: أحمد بسام ساعي، اللّغة العربيّة بين اللّغات: دراسة مقارنة بالإنجليزيّة، مجلة الفيصل، ع.98، دار الفيصل الثقافية، الرياض، مايو 1985، (ص.45 ـ 50)، ص.47.

[1] يُنظَر: يوسف الخليفة أبوبكر، دور الحرف العربي في اللغات خارج أفريقيا، بحث قدم في ندوة كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية في 29-31 ديسمبر 2001.

[1] يُنظَر: شوقي النجار، أثر اللّغة الأمّ في تعلُّم اللّغة الهدف، مجلة الفيصل، ع.86، دار الفيصل الثقافية، الرياض، مايو 1984، (ص.120 ـ 122)، ص..

[1] وذلك بالمرور على مفهوم التعريب كونه لغةً مصدر فعل (عرَّب)، وعرَّب بمعنى أبان وأفصح، وعرَّب عن الرجل إذا تكلّم بحجته، وعرَّب منطقة إذا هذَّبه من اللحن، ويقال : عرَّبت له الكلام تعريبا إذا بينته له، وعرَّبه : أي علَّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها. يُنظَر: ابن منظور، معجم لسان العرب ، ج.4، دار المعارف، ص 2865. ولقد تدرَّج لفظ " عرَّب " بهذه المعاني المتقاربة بعض الشّيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية. والتعريب اصطلاحا إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كافة. يُنظَر: محمد الديداوي، التّرجمة والتّعريب: بين اللّغة البيانيّة واللّغة الحاسوبيّة، ط. 1، المركز الثّقافيُّ العربِيُّ، الدَّار البيْضاء - بيروت، 2002.

[1] كان مديرا عامّا لمنظّمة أليسكو. أستاذ الهندسة المدنيّة بجامعة بغداد (1986)، عضو المجمع العلمي العراقيّ.

[1] ولد السيد عمار قليل عام 1924 في قرية " ولاد عربي " التابعة لبلدية الميلية ولاية جيجل حاليا، وهو صاحب كتاب " ملحمة الجزائر الجديدة "الصّادر سنة 1993 في ثلاثة أجزاء.

[1] يُنظَر: تركي رابح، جهود الجزائر في تعريب التّعليم العام والتّقني والجامعي (1962 ـ 1984)، مجلّة الثّقافة، ع.91، وزارة الثّقافة والسياحة، الجزائر، 1986، (ص.83 ـ 113)، ص.84.

[1] يُنظَر: تركي رابح، المعركة مِن أجل التّعريب، مجلّة المستقبل العربي، ع.57، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1983، (ص.84 ـ 103).

[1] عبد السلام المسدّي، المصطلح النّقدي، مُؤسَّسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1994، ص.12 ـ 13.

[1] يُنظَر: Benjamin Lee Whorf, Linguistique et anthropologie, Trad Claude Carme, Ed. Denoël, Paris, 1969.

[1] Bouhadiba Lelloucha, Traduction et langues de spécialités, AL-MUTARĞIM, n° 10, Revue de Traduction & d'Interprétariat, Laboratoire « Didactique de la traduction & Multilinguisme », Université d'Oran, Ed. Dar El Gharb, Juillet – Décembre 2004, p.86.

[1] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوروبة (فضل العرب على أوربا)، ترجمه وحقّقه وعلّق عليه فؤاد حسنين علي، مكتبة رحاب، قسنطينة 1986، ص.289.

[1] يُنظَر: محمّد علي الزركان، الجُهودُ اللُّغويَّةُ في المصطلح العِلميِّ الحديث ، مَنشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب (سلسلة دراسة)، دمشق، 1998، ص. 17. نقله عن: الشهابي، مصطفى / المصطلحات العلمية / 41-42 / 1965 والصيادي، محمد المنجي / التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي / 31/ 1982.

التعدد اللغوي في الجزائر : مظاهره وانعكاساته

د.جيلالي بن يشو – جامعة مستغانم

مقدمة:

يعرض علينا المشهد اللغوي الجزائري قضايا وإشكاليات عديدة ومتداخلة تتعلق في عمومها بالممارسات اللغوية ومظاهر التواصل اللغوي الاجتماعي، وهي من إفرازات وضعية التعدّد والتنوع اللغويين، فللمحيط الاجتماعي الجزائري يعرف لغات ولهجات متعددة (اللغة العربية الفصحى باعتبارها اللغة الرسمية، واللهجات العربية العامية الدارجة بمختلف أنواعها، واللغة الأمازيغية، أضف إلى كل ذلك اللغات الأجنبية كالفرنسية وغيرها من اللغات الأخرى). هذا التنوع والتعدد اللغويان تتجلى مظاهرهما في العديد من الفضاءات المكونة للمحيط الاجتماعي ال جزائري كالأسرة والشارع والإدارة والتجارة، والاتصال، والإشهار وما إلى ذلك.

إنّ مشكلتنا اللغوية كما يقول أحد اللسانيين هي مشكلة كل شعب مزدوج اللغة، فإننا نفكر ونتكلم ونغني ونُتَمْتِم في صلواتنا، ونُنَاغِي أطفالنا، ونهمس في آذان من نحبهم، ونتفاهم مع من نرغب في التفاهم معهم بلغة محكية سلسة، سيالة

تتميز بفقدان الإعراب، وبغنى الحروف المصوتة، وتتميز كذلك بمرونة في التركيب، وبسهولة في التعبير، ولا تتطلب منا جهدا، ولكن في حياتنا الرسمية – في التعلّم وفي القراءة والكتابة – علينا أن نتلبس شخصية لغوية ثانية، فنتكلم لغة معربة شديدة الإحكام في التركيب والتعبير [1]، بل إننا «نجد كتابا كبارا معاصرين من العرب وغير العرب لا يتحرجون في استعمال خطابات لهجية عامية أو محلية على أفواه أبطال إنتاجاهم في مختلف الأجناس الأدبية [2]، فسلطان العامية له السيطرة على الناطقين بالفصحى حتى المتخصصين منهم، ذلك أن العادات اللغوية المخزونة تخرج بطريقة لاواعية على غير إرادة من صاحبها[3].

-تحديد مصطلحات الدراسة:

1 –اللهجة Dialecte : أو العامية، وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي ، فهي "عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة" [4]. أو هي: "نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامّة" [5]. مما يؤكد على أن العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى [6]. ويتّخذ مصطلح العامية أسماء عدة عند بعض اللغويين المحدثين[7].

---

1 – ينظر: نحو عربية ميسرة ، أنيس فريحة، بيروت 1955، ص: 16 وما بعدها.

2– اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د.عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.ت، ص:96.

3 – ينظر: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء و المحدثين، د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1993 ص: 313.

4– في اللهجات العربية،إبراهيم أنيس، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003ص:15.

5– العربية و علم اللغة الحديث، محمد داود، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001م ص 64.

6– انظر المرجع نفسه، ص 66.

7– ينظر: فقه اللغة العربية و خصائصها، إميل بديع يعقوب، ص 144، 145، فقد جمع عدة مصطلحات أطلقت على هذا المستوى اللغوي.

أمّا عن المعايير التي تحدد إن كانت هذه اللغة لهجة أو فصحى فيرجع بالدرجة الأولى إلى موقف أفراد الجماعة اللغوية من هذه اللغة أو تلك، و كيفية استخدامها وتوظيفها في مجالات مختلفة، فَ" إن أي نظام لغوي يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملا لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلة في هذا الإطار. والشيء الأساسي الذي يجعل نظاما لغويا ما يصنف باعتباره لهجة أو على أنه لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس في بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها بالضرورة هذا التصنيف، ولكن مجالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هي التي تفرض هذا التصنيف ، فالنظام اللغوي الذي يستخدم في مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنف اجتماعيا بأنه فصيح، والنظام اللغوي الذي يقتصر استخدامه على مجالات الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنّه عامية"[1].

2- التعدد اللغوي:

تتفق المعاجم اللسانية على أن التعدد اللغوي عبارة عن استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية معينة، وفي القاموس: نصف متكلما ما بأنه شخص متعدد اللغات إذا كان يستعمل داخل جماعة معينة ولأغراض تواصلية مجموعة من اللغات. وهو ظاهرة طبيعية في دول العالم قاطبة.

من الصعب أن تجد دولة أو مجتمعاً يتحدث بلغة واحدة، فالتعدد اللغوي أمر واقع، ولا ضير أن يتخذ التعدد اللغوي مسلك التطعيم وانفتاح الثقافة الوطنية على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية، لقد أكّد الإسلام على قيمة التعدد اللغوي حينما ربط القرآن الكريم بين اختلاف الألسنة ومعرفة إعجاز الله في الخلق، فهذا الاختلاف آية من آيات الله وليس

1-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة . المجالات والاتجاهات، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع ، القاهرة، ط4، 2007م ، ص: 18.

هناك من مبرر علمي ولا خلقي لتفضيل لغة على لغة. يقول ابن حزم: "ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليها أولاً، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها... وقد قال قوم هي السريانية، وقال قوم هي اليونانية، وقال قوم هي العربية والله أعلم، إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها... وإذ تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل –عليه السلام– فهي لغة ولده والعبرانية لغة إسحاق وهي لغة ولده، والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم"[1] وقد مورس هذا النموذج في المجتمع الإسلامي في أزهى عصور الحضارة الإسلامية، ولم تشك العربية ضيقًا و لا تشويشًا ولا عجزًا ولا عزلة بل ظلت تلك اللغات خادمة للغة العربية معلنة انقيادها عن طواعية.

فالتعددية اللغوية إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكًا إيديولوجيًا سياسيًا تحت أقنعة مختلفة، ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي و الحضاري، والاستعمار في شكله الجديد[2].

3– بين الازدواجية اللسانية والثنائية اللغوية:

الازدواجية اللسانية : **La diglossie** ترجمة للمصطلح الانجليزي "**Diglossia**". يُعتَقد أن أول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الألماني "كارل كرمباخر " **Krumbacher 1902** في كتاب له صدر عام **1902**، تطرَّق فيه إلى طبيعة هذه الظاهرة وأصولها وتطورها، وأشار بشكل خاص إلى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص إلى نتائج تفسر كثيراً من التطورات المتأخرة

1– ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام ج1، ص55–56.

2– ينظر: مقال الصراع اللغوي في الجزائر: تأزم هوية، د. عمر ديدوح، مجلة المعرفة العدد 176 نوفمبر 2009/ ذوالقعدة 1430، وزارة التربية والتعليم المملكة العربية السعودية.

لبعض الدعوات في العالم العربي، إذ اقترح على اليونانيين ترك "ازدواجيتهم الشرقية" واللحاق بالعالم الغربي، بتبني العامية لغة قومية: كذلك دعا العرب إلى ترك فصيح لسانهم وتبنّي إحدى اللهجات – مفضلاً المصرية – لغة قومية[1].

لكن الرأي العام الشائع في أدب هذه الظاهرة اللغوية هو أن العالم الفرنسي وليم مارسيه (**William Marcais1930**) أول من نحت الاصطلاح بالفرنسية **«La diglossie»** وعرَّفه في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام **1930** بقوله: "هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"[2].

كما يعدّ اللغوي تشارلز فرغيسون **Charles ferguson** من بين اللسانيين الذين بحثوا في هذه الظاهرة اللغوية عندما نشر بحثه عام **1959** معرّفا إيّاها قائلا: " وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة لغة تختلف عنها، وهي مقنّنة بشكل متقن إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي الى جماعة في عصر سابق، أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتمّ تعلّم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن لا يستخدمها أيّ قطاع من الجماعة في أحاديته الاعتيادية"[3].

لقد اختلف اللسانيون حول مفهوم مصطلح " **الازدواج اللغوي** " فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للحديث وأخرى للعلم والأدب والثقافة والفكر، وبعضهم يطلقه على وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد أو جماعة ما في آن واحد.

---

1 −Krumbacher, Karl. (1902) Das Problem der Modern Griechishen Schriftsprache. Munich.

2 − Marcais, William. (1930) "La Diglossie Arabe" L'Enseignement Public. 97.40

3− علم اللغة وصناعة المعاجم، علي القاسمي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط3، 2004، ص: 40

يقابل مصطلح الازدواجية في اللغة الفرنسية " **Bilinguisme** "[1]، فقد تحدّث "مالمبرج **Malamberg** عن ظاهرة ثنائية اللغة فقال: "لقد استخدمنا في كلّ ملاحظاتنا عن الاتصالات اللسانية مفهوم ازدواجية اللغة **Bilinguisme** وفي الواقع إنّ كلّ تداخل بين عدد من الأنظمة يفترض وجود شيء من الازدواجية اللغوية"[2]. وقد أورد منذر عيّاشي تعريفا للثنائية اللغوية قائلا:" كلّ فرد يتدبر أمره بشكل ملائم عبر لغة ثانية يعتبر مزدوج اللغة، يوجد إذن تماثل بين ازدواجية اللغة والمعرفة بلغة أو بعدّة لغات أجنبية...ومع هذا التعريف تصبح ظاهرة ازدواجية اللغة منتشرة، ويصبح عدد من ازدوجت لغاتهم كبيرا" [3]، ويشترط أن يكون مزدوج اللغة مسيطرا سيطرة تامّة على اللغتين، وأن يتصرف بهما بحرّية، وأن يقبله المحيط مهما كانت اللغة، فالمقصود من ازدواجية اللغة من هذا المنظور مرهون بوجود لغتين متميزتين كالفرنسية والألمانية مثلا[4].

و يقصد بـ "**ثنائية اللغة le bilinguisme**" وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد [5]، أوهي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين، فهي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معيّنة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر ممّا في اللغة الأخرى[6].

يرفض بعض الباحثين استعمال مصطلح " **الازدواجية** " الذي يستخدمه الكثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية ، ذلك أن

---

1 – « le bilinguisme est la situation linguistique dans laquelle les sujets parlants sont conduits a utiliser alternativement, selon les milieux ou les situations deux langues différents, c'est le cas le plus courant plurilinguisme Jean Dubois : Dictionnaire de linguistique, P65.

2 – le langage signe de l'humain,B. Malamberg ,p 169.

3– قضايا لسانية وحضارية، د. منذر عيّاشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،ط1، 1991، ص: 51

4– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

5 - Jean Dubois : Dictionnaire de linguistique, P65.

6– قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 35

العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي، لا جذري، و عليه فالازدواجية الحق لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين ، كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية. أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية، والأخرى عربية فصيحة، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من " الثنائية اللغوية **"Diglossie**[1]، فيرون أن أمر الفصحى و العامية نوع من الثنائية، وذلك لأنهما فصيلتان من لغة واحدة، في حين أن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية.

يفهم من هذا أنّ التحديد الدقيق للمصطلحين إلى الآن غير واضح عند الكثير من الباحثين، وأنّ التداخل بين المعنيين حاصل عند أغلبهم، ون فضّل إطلاق مصطلح الازدواج اللغوي على المفهوم الأول لأنه أشيع بين الباحثين ولأن المعجم يدعم هذا ، فقد ورد في معجم اللسانيات الحديثة أنّ هذا المصطلح يعني وجود أكثر من مستويين للغة، جنبا إلى جنب في مجتمع من المجتمعات بحيث يستخدم كل مستوى من مستويات اللغة في أغراض معينة ويسمى الوضع اللغوي في هذه الحالة " الازدواجية اللغوية " ويكون أحد هذه المستويات اللغوية عادة أعلى مركزا، ويسمى باللغة المعيارية أو الفصحى" **Standard Language**"، وتستعمل في المكاتبات الرسمية والتعليم والعبادة، أما المستوى الآخر فهو عادة يعتبر أقل رتبة، ويستعمله أفراد الأسرة في حياتهم اليومية في معاملاتهم الاجتماعية في مواقف الحوار المختلفة مثل موقف البيع والشراء وغير ذلك، ويسمى باللغة الدارجة أو العامية **Colloquial Language**[2].

أما كمال بشر فيعرفها قائلا: «الازدواجية تعني وجود نمطين من اللغة يسيران جنبا إلى جنب في المجتمع المعين يتمثل النمط الأول فيما أشرنا إليه سابقا وأطلقنا عليه المصطلح: "اللغة النموذجية" والثاني ما جرى العرف على

1- Vincent Monteil, L'arabe moderne, Librairie C.Kinckseick, Paris, 1960, p.69.

2 – معجم اللسانيات الحديثة انكليزي– عربي، د. سامي عياد حنا و آخرون، مكتبة لبنان، 1997.د ط، ص: 39.

تسميته – على ضرب من التعمي م– "اللغة المحكية"، وقد يسمى الأول أحيانا "اللغة الرسمية" "**Formal**" والثاني "اللغة غير الرسمية" **Informal** »[1].

هذه الازدواجية التي نلاحظها في حياتنا اليومية بين الفصحى والعامية هي ازدواجية طبيعية فرضها تكوين الإنسان ذاته، وهي على درجات متفاوتة في كل لغات العالم، وظاهرة تكاد تكون موجودة في أغلب اللغات الحية، باعتبار أن لكل أمة لغتين: واحدة يتحدث بها العامة في مخاطباته م، ومعاملاتهم، وأخرى يتحلى بها الخاصة، وهي لغة التأليف والتدوين. ولا يظن أمرؤ أننا الشعب الوحيد الذي يعاني هذه المشكلة اللغوية، فإن هناك أمما حية معاصرة، وأمما من الماضي البعيد عاشت هذه الوضعية، وعانت ما نعانيه مثل: الإغريق والرومان والهنود، وغيرهم كثير[2].

إن كثرة العاميات وتعددها في البيئة اللغوية المعينة أمر طبيعي ومعروف، يشهد على ذلك التاريخ الإنساني القديم منه والحديث على سواء، فهناك في الوطن الواحد عشرات اللهجات العامية التي ينبئ عنها ويؤكد وجودها اختلاف الألسن، وتنوع طرق الأداء، ففي البلد الواحد تنتشر في جنباته لهجات محلية لها سماتها وصفاتها الخاصة[3]، فاللهجات العامية تسير مع الفصحى جنبا إلى جنب، وأن وجودها أمر تحتمه الضرورة الاجتماعية، وما تقتضيه من تفاوت في مستوى الاستعمال، وحاجاته تبعا لحاجة الناطقين أنفسهم [4]، ووجودها ليس مضرا في ذاته، فهو عضوي، يُعبِّر عن جانب من جوانب الكائن الناطق[5].

1– علم اللغة الاجتماعي– مدخل– د كمال بشر، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997، ص: 186.

2– اللغة الفصحى والعامية د: محمد عبد الله عطوات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1424هـ – 2003 م، ص: 60.

3– اللغة العربية بين سوء الوهم و سوء الفهم، د. كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ب.ط، 1999، ص: 244.

4– ينظر المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و للشعر، د. محمد عيد، دار الثقافة العربية للطباعة، ص: 89.

5– ينظر : التعريب بين المبدأ والتطبيق : د. أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1998 ص: 142.

تبقى مسألة اللغة العربية الفصحى، ولهجاتها العامية في صلب اهتمامات كل الناطقين بها، فإنْ كانت مطروحة عند الدارسين كظاهرة لغوية جديرة بأَنْ تُبْحَث، رغم تباين المواقف فيها، فهي مطروحة عند كل متحدث باللغة العربية، ذلك لأنه في انتقال إلزامي ودائم بين الفصحى والعامية، هذا التلازم يكون أيضا في الحياة العامة للأفراد، حيث قد تتنوع بين الطبقات، كما قد يلزم على الفرد المثقف أن يستعمل الفصحى في وسطه العلمي بين النخبة المثقفة، وفي المحافل الرسمية، في حين أنه عندما ينزل إلى عامة الناس يضطر إلى تغيير أسلوب التواصل فيستعمل بذلك العامية[1].

الواقع اللغوي في الجزائر بين الازدواج والتعدد:

يتميز الوضع اللساني بالجزائر بتعدد لغوي قائم لا ينكره أحد، تتعايش ضمنه مستويات لغوية عديدة، حيث يعمل كلّ مستوى على ضمان موقعه ودوره ومكانته، وعلى احتكار مناطقه الجغرافية،إنه وضع ساهمت فيه عوامل عديدة مختلفة.

تتعايش في الجزائرمستويات لغوية هي اللغة العربية الفصيحة ولهجاتها العامية، الأمازيغيات (القبائلية، الشاوية، الميزابية، الترقية)، إلى جانب اللغة الفرنسية.

وهكذا نجد أنفسنا أمام ثلاثة مستويات متميزة من التواصل اللغوي:

1 -**المستوى الرسمي:** أي مستوى استخدام اللغة لأغراض دينية، حكومية، وتعليمية أي اللغة العربية الكلاسيكية (أي الفصحى) **la langue arabe classique** : وهي لغة القرآن الكريم والتراث العربي، والتي تستخدم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري[2] والعربية العصرية الموحدة المستخدمة في وسائل الإعلام.

1- ينظر: دراسات في اللغة العربية و طرائق تعليمها د. أنطوان صياح ص: 6.

2- د. إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، 1985م ، ص 144

2 -**المستوى التواصلي** : وهو مستوى استخدام اللغة للتواصل اليومي والتطبيق، أي اللهجات الأمازيغية (القبائلية، الميزابية، الشاوية، الترقية) واللهجات العربية العامية، وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي..

اللغات الأمازيغية: تعد اللغات الأمازيغية اللغات الأم لسكان بني مازيغ، و بالتالي فقد سبقت هذه اللغة التواجد العربي على هذه الأرض لها ا متداد لساني معروف قديما في منطقة المغرب العربي بالإضافة إلى مصر، والنيجر، ومالي.

توزع الأمازيغيات في الجزائر إلى مجموعات كبيرة أهمها:

أ –**القبائلية**: وهي اللغة الأمازيغية الأكثر انتشارا وتعدُّ منطقة القبائل أهم منطقة ناطقة بالأمازيغية وتشمل منطقة القبائل: بجاية وتيزي وزو، مع وجود أقليات في المحور الممتد من سطيف إلى العاصمة ويضم سطيف، برج بوعريريج، البويرة، العاصمة.

ب –**الشاوية**: وهي اللغة التي يتحدث بها مجموعة من السكان الأمازيغ القاطنين بجبال الأوراس ضمن ولايات: باتنة، أم بواقي، خنشلة، تبسة، والجهة الجنوبية من سطيف.

ت –**الترقية**: يتحدث بها الطوارق، وهم قبيلة كبيرة موزعة بين الجزائر، ليبيا، والنيجر.

ث –**الشلحية**: وهي لغة السكان المتمركزين في مناطق متفرقة كتيبازة، ومدن الشريط المحاذي للمغرب الأقصى كمغنية، ولهم امتدادات عالية في المغرب.

ج –**الميزابية**: وهي اللغة التي يتحدث بها سكان بني ميزاب، المستوطنون في غرداية والمدن الاباضية الأخرى من الجنوب الجزائري .

إنّ الأمازيغيات هي اللغات الأم للناطقين بها، تبلغ نسبتهم حوالي **20%** من العدد

الإجمالي لسكان الجزائر، أصبحت اللغة الأمازيغية اللغة الوطنية الثانية بعد اللغة العربية في الجزائر ابتداء من سنة 2002[1].

اللهجات العامية الجزائرية : يتواجد بالجزائر عدد كبير من العاميات الجزائرية، تستعمل كأداة للتواصل اليومي في وسط العائلة ومع الأصدقاء، وفي جميع المناسبات والوضعيات غير الرسمية، كما أنها أداة مهمة و وسيلة لحمل الثقافة الشعبية من شعر و نثر شعبي ..... واللهجات العربية في الجزائر تتوزع على أربع مناطق رئيسية هي: اللهجات العامية في الشرق الجزائري، وعاميات الجزائر الوسطى وضواحيها، وعاميات الغرب الجزائري، إضافة إلى اللهجات العامية بالجنوب.

3 - **المستوى الوظيفي** أي مستوى استخدام اللغة لأغراض اقتصادية والانفتاح على العالم الخارجي والتباد ل والبحث (الفرنسية – الانجليزية) فبعد تنصيب لجنة الإصلاح التربوي خرجت اللجنة بانطباع مفاده أن سبب تأخر التعليم وعدم مسايرته للركب في الجزائر هو جعل العربية لغة العلم وعليه فلا بد من اعتماد الفرنسية في العلوم الكونية خاصة، ثم جربت الفرنسية كلغة ثانية في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي (السنة الثانية) حيث لم يتجاوز الطفل سن الثامنة ثم عدل عن هذا القرار وأخرت إلى السنة الثالثة وذلك لعدم نجاح التجربة والأمر منطقي لكون الطفل لم يتمكن من البديهيات الأولى في لغته من نطق الحروف سليمة وتركيب جمل بسيطة صحيحة فيزيد جهده في تحمل أعباء لغة أخرى لم يسمعها في بيته فتتضاءل المعاناة ويحصل الملل والنفور من اللغتين.

وهكذا نجد أنفسنا أمام مستويات أربعة، ولكل منها نصيبه في المجتمع من الاستعمال. وإنّ لغة المنشأ (الأم) عادة لغة شفاهية، وهي المتمكّنة أكثر في المجتمع، واللغتان (العربية الفصيحة والفرنسية) مكتوبتان، وليس لهما نصيب

1– بموجب القانون 03/02 الممضى في 10 أفريل 2002 في الباب الأوّل، الفصل الأوّل، المادة الثالثة مكرر من الدستور الجزائري" تمازيغت هي كذلك لغة وطنية تعمل الدولة لترقيتها وتطورها بكلّ تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني"

معتبر في الاستعمال. ومن هنا نجد الفرد الجزائري، المتعلم وغير المتعلم في الغالب، ذا لسان مزدوج، بسبب الاستعمال الدائم للغة على حساب لغة أخرى، وربما لعامل توفّر لغة ما على أدوات تعبيرية دقيقة، أو على مصطلحات دقيقة تساعد الفرد في تخصصه. وهذا ما خلق ما يسمى بالازدواجية **اللغوية Bilinguisme**، ويمكن أن نطلق عليه ما يسمى بـ **Diglossie** لعامل الاحتكاك اللغوي بين لغتين أو أكثر؛ وذلك عندما يوظف فرد ما أو جماعة معيّنة لسانين مختلفين في آن واحد؛ حيث يمزج بينهما بفعل الاقتراض والتحوّل اللذين يستغلهما في قالب لغة من لغة ما دون شعور منه، بل إنّ تأثير لسان لغة ما يظهر جلياً، وعلى حساب لغة أخرى. ويسمي البعض هذه الظاهرة بالثنائية اللغوية: وهو استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من درجات الإتقان، ولأية مهارة من مهارات اللغة ولأي هدف من الأهداف.

إنّ واقع استعمال اللغة العربية الفصحى في المجتمع الجزائري يبيّن ممارستها في سياقات خاصّة تتّصل بمجالات منها: التربية والتعليم الجامعي والإدارة ووسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة، وتحظى بكونها اللغة الوطنية في هذا المجتمع المتنوع لغويا، ومن ناحية أخرى لا تحظى باستعمال كلّ الفئات رغم ما لها من تأييد ودعم، ولعلّ أسوأ ما يلحق بها هو غيابها على مستوى التداول اليومي وضيق حدود استعمالها الشفوي، وتكاد تكون ظاهرة التواصل بالعربية الفصيحة قليلة جدّا، ذلك أنّنا ما سمعنا مواطنا جزائريا رسميا خارج الرسميات، ولا مواطنا شعبيا خارج المدارس والجامعات تنحلّ عقدة لسانه بجملة عربية واحدة مستقيمة إلاّ نادرا ولفتة مما حافظت عليه البنية السليمة للغة العربية الطبيعية، حتّى أضحى اليوم العجب بادية على ألسنة قلّة ممّا يتحفظون في اللّحن في المحافل والمنتديات والقمم من متحدّث عربي يراقب لسانه من اللّحن[1].

1 – في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر،2004، ص: 47.

إن واقع العربية غدت مشكلة كبيرة ذلك أن هذه اللغة يراد لها أن تكون لغة العرب أينما كانوا، ثم أن تكون في مستويات ودرجات مختلفة ... إنّ من العوائق التي تحول بيننا وبين إدراك شيء من هذا الهدف هو أن هذه العربية كما يقول إبراهيم السمرّائي "ما زلنا نجهلها ، يجهلها ابن الشارع كما يجهلها المتعلم المثقف وقد أكون مصيباً لو قلت يجهلها ذوو الاختصاصات المختلفة. وقد أكون غير مفرط لو قلت أن مدرس اللغة العربية وأساتذتها في محنة منها. ذلك أن طائفة كبيرة منهم لا تملك القدرة الوافية الكافية على الإعراب بفصيحة مليحة. ... إن العربية الفصيحة في عصرنا الحديث مشكلة صعبة ذلك بأننا شاعرون أبداً أن في لغتنا حاجة إلى أن تيسُّر رسماً وبناءً ونحواً لكي تصبح لغة يباشرها المعربون فيتصرفون بها كلاماً وفكراً وكتابة... إننا معاشر العرب نجهل لغتنا ونجد في مباشرتها صعاباً كثيرة فلا يستطيع كثير من جمهرة المختصين أن يملك من هذه العربية القدر الذي يعينه على إيصال العلم والمعرفة إلى غيره بيسير"[1]

انعكاسات التعدد اللغوي في الجزائر:

أ -إذا نظرنا إلى المجتمع الجزائري وجدناه يتكلم خليطا بين الفرنسية والعربية واللهجات المحلية باختلاف مناطق الوطن، فقد تجد في العائلة الواحدة المُعَرّب، والمُفَرنَس، والمزدوج اللغة، ومن لا يحسن لا الفصحى ولا اللغة الأجنبية أو يجمع قليلا من الاثنين؛ وليس بمقدور أحد أن يعطي نسبة المتكلمين بهذه اللغة أو تلك، ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الفرنسية بمعية لهجات محلية كثيرة، تسجل حضورها بقوة في الجزائر. مما يجعل اللغة العربية الفصيحة ومن اتخذها لسانا له محاصرين، وعاجزين عن أداء أبسط وظائفهم المتمثلة في التواصل والتعبير عن رغباتهم وآلامهم، خاصة إذا سلمنا بأن"للغة أثرا فعالا في حياة الفرد والمجتمع، فهي بالنسبة للفرد وسيلة لاتصاله بغيره، وعن طريق اتصاله بغيره يدرك الفرد أغراضه ويحصل على رغباته، كما أنها وسيلته التي يعبر بها عن

1- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، إبراهيم السامرائي، ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1973م.ص:3.

آماله وآلامه وعواطفه، واللغة تهيئ للفرد فرصا كثيرة للانتفاع بأوقات فراغه، وذلك عن طريق القراءة و المطالعة والاستمتاع بالمقروء، فيغذي الفرد بذلك عواطفه، وهي أداته التي يقنع بها غيره في مجالات المناظرة والمناقشة وتبادل الرأي، كما أنه أداته التي ينصح بها الآخرين ويرشدهم و ينشر بوساطتها المبادئ بينهم و يؤثر فيهم..."[1]

هذا الوضع اللغوي ترك وضعا لغويا غير منتظم، فإذا كانت اللغة العربية الفصحى هي لغة التواصل الرسمية في الوثائق والمرافق العمومية، وتزاحمها الفرنسية في المؤسسات الإدارية والإعلام والتعليم العالي، فان الأمازيغيا ت، والعاميات العربية هي لغات التواصل اليومي في البيت والشارع ، هذا الوضع الواقعي يعيش مفارقات غريبة، إذ لا علاقة له بالوضع القانوني المنصوص عليه في الدستور والقوانين، فاللغة العربية هي اللغة الرسمية دستوريا بالإضافة إلى الأمازيغية، ولكن حضور الفرنسية يكاد يكون عامّا في الإدارة والاقتصاد والتعليم العالي وجزء كبير من الإعلام المكتوب والسمعي البصري، ممّا غدا له تأثير كبير في بناء تفاوتات لغوية واجتماعية.

ب -تشكّل هذا التعدد اللغوي عوامل بالغة الخطورة على التعايش الذي ميّز اللغة العربية في اختلاطها بالأمازيغية، وهوما نتج عنه تلوث في البيئة اللغوية الجزائرية عندما طغت فيها اللغة الأجنبية الداخلية على اللغة المحلية المُبوّأة عبر الثقافة والمعرفة والسلوكات اللغوية المحلية، وشوشت بالتالي على التعايش الذي كانت تعرفه البيئة اللغوية الجزائرية مجسدا في بيئة الازدواج: **Diglossie** أو بيئة التعدد: **Multilinguisme** بين لغة معيارية رسمية (العربية الفصيحة) ولهجات من نفس النسق اللغوي، رغم أنه ا بتدو في الظاهر ثنائية لغوية بسيطة تتمثل فقط في اللغة العربية / الأمازيغية واللهجات العامية.

1- في فقه اللغة و قضايا العربية، سميح أبو مغلي، ط 1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، 1987م ، ص :256.

ومن هنا نجد الفرد الجزائري المتعلّم وغير المتعلّم في الغالب، ذا لسان مزدوج، بسبب الاستعمال الدائم للغة على حساب لغة أخرى، وربما لعامل توفّر لغة ما على أدوات تعبيرية دقيقة، أو على مصطلحات دقيقة تساعد الفرد في تخصصه، وهذا ما خلق ما يسمى بالازدواجية اللغوية "**Diglossie** "، والثنائية اللغوية **Bilinguisme**، هذا الاستعمال غدا له الأثر الكبير في بناء تفاوتات، وساهم في بروز تحاليل كثيرة.

ت –إن تعقد المسألة اللغوية في الجزائر لا يرتبط بالنموذج اللغوي الثلاثي فقط (عربية– أمازيغية –فرنسية) وإنما يرتبط بنماذج سفلية أخرى تؤول إلى الوضع الاعتباري للعاميات المتنوعة، هذه الظاهرة أصبحت من بين المسائل المطروحة في محيط اللغة العربية، ذلك أن وجود لغتين اثنتين أو أكث ر لأمة واحدة مشكلة صعبة ومعقدة وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف، فالجزائري كغيره من العرب يقرأ ويكتب ويؤلف بلغة ويتحادث ويغني بلغة ويَرْوِي النكات ويتشاجر ويداعب أطفاله بلغة ثانية [1]، وليس من شك أن هذه الظاهرة أصبحت من أهم القضايا التي تثير الجدل والمناقشة بين علماء العربية، بشيء كثير من الاهتمام، ومن بين المشاكل التي تؤرق بال المشتغلين باللغة والقائمين على أمرها: «إن مشكلة الازدواج اللغوي بالنسبة للمجتمعات التي تتكلم العربية أبعد مشكلاتها غورا، وأعنفها أثرا، لأنها تصيب هذه الأمم العربية جميعا بظاهرة الازدواج اللغوي التي تجعلها تحيا وتشعر وتتعامل، وتتواصل بلغة مرنة يومية نامية متطورة مطاوعة، ثم هي تتعلم وتتدين وتحكم بلغة مكتوبة محدودة غير أمية لا تطوع بها الألسنة، وتتعثر فيا الأقلام[2]».

1– الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، د. زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ط، ب.ت،ص: 124.

2– مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب الرباط المملكة المغربية، المجلد 17، ج1، 1399هـ– 1979م، مقال بعنوان: الفصحى واللهجات: قراءة جديدة و ملاحظات للدكتور محمود عبد المولى، ص: 87.

ث –جعل الازدواجية في النظام التربوي لا ينتج إلا متعلما ضائعا بين التعريب والفرنسة وينشأ على أفكار مبعثرة بين الثقافتين الوطنية والأجنبية، فاللغة " سواء لقنت باعتبارها لغة وحسب أو وسيلة لتدريس مواد، لابد وأن تحمل ضمنيا مجتمعها الأصلي، ذلك أنها أكثر ارتباطا بالحوامل أو الخلفيات الإيديولوجية والحضارية" ومن ثم فقد يؤدي تعلّمها إلى استلاب ثقافي للمتعلم، ويصبح ظاهرة اجتماعية وثقافية بين أفراد المجتمع[1].

لقد بيّنت التجارب أنّ من بين الصعوبات التي تعترض التلميذ خلال عملية التعلّم تزداد بالضرورة، إذ كان يجب عليه أن يكتسب المعارف والعلوم بلغة أجنبية لا يتقنها أحسن الإتقان، ممّا يؤدّي إلى فشل مدرسي، ولئن كانت اللغة الثانية تنتمي إلى ثقافة مغايرة، فان الصعوبات تزداد من منطلق أنّ التلميذ لا يتعامل فقط مع لغة أجنبية، إنّما يتعامل أيضا مع مصطلحات وبنى للتعبير والتفسير جديدة تماما بالنسبة إليه[2].

إن هذا الازدواج لم ينتج لنا إلا جيلا ضعيفا مهزولا على مستوى اللغتين ، فالطالب اليوم في الثانوية والجامعة لا يمكنه الحديث باسترسال باللغة العربية، أما الفرنسية فهي غائبة عن لسانه ويده إلا كلمات ألفها وسمعها والأغلب ممن يستعملونها لا يحسنون كتابتها .لقد أصبحت العربية خليطا من الألفاظ العامية والفرنسية على جميع المستويات هذه الظاهرة متفشّية ومتغلغلة في المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته ، فالخلط بين العربية و الفرنسية في مختلف مجالات التّعبير دون أن يتقن الكثيرون منهم اللغة الفرنسية. وهو ما يؤدي إلى تشويش لغة النّاشئة وتقديم صورة منحطّة عن لغتهم العربية فيحملهم ذلك على ازدرائها والزّهد فيها وهو الشيء الذي ظهرت بوادره في إنتاج جيل ضعيف في اللغة العربية لا

1– مصطفى محسن: في المسألة التربوية نحو منظور سوسيولوجي منفتح، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت،2002 ص: 76

2– قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا

يقدر أن يبدع و لا أن يفكّر بها . هذا الوضع الذي قد يؤدي مستقبلا إلى مسخ اللغة و البعد بها عن الأصل أو تحويلها إلى لغة هامشيّة فاقدة[1].

ج –لقد اعتُبر الوضع الازدواجي في أية لغة أنه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة؛ كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقاً للتعليم وللتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي. وان تكن الازدواجية، وبشكل موضوعي، أداة بارعة للضرورة، فإنها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية التعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام لعائق بالإضافة إلى ذلك، إذا اعتبرنا إنّ وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب؛ وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية، فان وجود الازدواجية في الجماعة اللغوية لذو آثار محدِّدة، بل معقدة لقوتها التعبيرية. الازدواجية رمز وتذكرة للصراع الاجتماعي ونقص التماسك الاجتماعي. ويبيّن أنيس فريحة انعكاسات وأثر الازدواجية على حياة الفرد فيما يلي:

- انتقال العربي من لغة سيالة سلسة مرنة غير معربة، من لغة لا تحتاج إلى عناء أو بذل جهود إلى لغة غريبة عن حياته اليومية صعبة معقدة معربة تخضع لقوالب معينة، أمر يعوق الفكر.
- أما آثارها في التربية فأنها تتطلب زمنا أطول للانتقال من العامية إلى الفصحى وهو انتقال من لغة إلى لغة أخرى مغايرة لها، وتولد الأعراض عن القراءة وكساد الأدب وطغيان القالب على المعنى وصعوبة كتب التدريس.
- أما آثار الازدواجية في تكوين الشخصية فتتخلص في لا مبالاة العرب بمراقبة لغة الأولاد واتسامهم بالمقارنة مع من هم في سنهم من الأولاد الغربيين بالعجز الظاهر في حسن التعبير.
- أما تأثيرها في الأخلاق في تمثل أن القتل وكثرة الجرائم التي تسمى في الشرق دفاعا عن العرض والشرف ناجما عن آثار كلمات لها فعل السحر وأخيرا

1– نظرية اللغة الثالثة،أحمد محمد المعتوق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2005،ص: 22.

يبين اثر ازدواج اللغة في الفنون الجميلة ليستنتج أن العرب قد حرموا من مشاهدة والاستماع بالمسرح نتيجة الازدواجية[1].

خاتمة:

يتّضح مما تقدم أن الوضع اللغوي بالجزائر يكتسي طابع التعدد، الذي غدا له الأثر الكبير في بناء تفاوتات لغوية و اجتماعية، وأنّ هذا التعدد اللغوي في الجزائر كما في باقي البلدان العربية أضحى مسألة معقّدة، فنحن في حاجة ماسّة إلى جهود لتنظيم هذا التعدد وترتيب الشأن اللغوي، من أجل التحكّم في نتائجه، والمهمّة لا يتحملها اللساني لوحده، كما يستعصي على السياسي تدبيرها لوحده، بل تعود مسألة القرار فيها إلى سياسة التخطيط اللغوي التي تقع مسؤولية إعدادها وتنفيذها على عاتق الدولة ومؤسساتها.

من أجل ذلك أصبح التخطيط اللغوي ضروريا على المستوى الوطني بهدف تكوين اتجاه عام يتمثل في سياسة لغوية واضحة الملامح يشارك في تنفيذها المعنيون بالأمر، نظرا لأنّ التخطيط اللغوي يستجيب لاحتياجات ذات طبيعة سياسية واجتماعية واقتصادية، فان عمليته ينبغي أن تضمّ في مراحلها المختلفة مختصّين في العلوم السياسية والاقتصادية وعلم اللغة الاجتماعي واللسانيات وغيرهم من الحاسوبيين والإحصائيين، كما يشارك في تنفيذ الخطّة اللغوية التربويون والإعلاميون والإداريون وغيرهم، فالمجامع اللغوية ومكاتب التعريب،وبنوك المصطلحات والكلمات، ومشاريع الترجمة الآلية بإمكانها أن تساعد الحكومات وأن تدعمها في مساعيها لوضع سياسة لغوية من شأنها أن ترتب المشهد اللغوي، وتضع سياسة لغوية.

مكتبة البحث:

1-. في اللغة العربية وبعض مشكلاتها،أنيس فريحه. بيروت: دار النهار،ص:19

1 -التعريب بين المبدأ و التطبيق : د. أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1998.

2 -تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، إبراهيم السامرائي، ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1973م.

3 -دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د.انطوان صياح، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1995.

4 -الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، د. زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ط، ب.ت.

5 -ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء و المحدثين، د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993.

6 -العربية و علم اللغة الحديث، محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع ، القاهرة، 2001م.

7 -علم اللغة الاجتماعي– مدخل– د كمال بشر، دار غري ب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997.

8 -علم اللغة وصناعة المعاجم،علي القاسمي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط3،2004.

9 -الفصحى واللهجات: قراءة جديدة و ملاحظات للدكتور محمود عبد المولى

10 -فقه اللغة العربية و خصائصها، إميل بديع يعقوب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1985م.

11 -في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر،2004.

12 -في المسألة التربوية نحو منظور سوسيولوجي منفتح، مصطفى محسن: ، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت،2002

13 -في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس، مطبعة أبناء وهبة حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.

14 -في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ،أنيس فريحه. بيروت: دار النهار ، بيروت، لبنان.

15 -في فقه اللغة و قضايا العربية ، سميح أبو مغلي، ط 1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987م .

16 -في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ،أنيس فريحه. بيروت: دار النهار ، بيروت، لبنان.

17 -قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

18 -قضايا لسانية وحضارية، د. منذر عيّاشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،ط1، 1991.

19 -اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د. عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.ت.

20 -اللغة العربية بين سوء الوهم و سوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ب.ط، 1999.

21 -اللغة الفصحى والعامية د محمد عبد الله عطوات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1424هـ - 2003.

22 -نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، بيروت 1955.

23 -مدخل إلى علم اللغة ،المجالات والاتجاهات، محمود فهمي حجازي، . ط 4، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

24 -معجم اللسانيات الحديثة انكليزي– عربي، د. سامي عياد حنا و آخرون، مكتبة لبنان،د.ط،1997.

25 - المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و للشعر، د. محمد عيد، دار الثقافة العربية للطباعة

26 - نظرية اللغة الثالثة،أحمد محمد المعتوق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2005

27 –Krumbacher، Karl. (1902) Das Problem der Modern Griechishen Schriftsprache. Munich.

28-Marcais، William. (1930) "La Diglossie Arabe" L'Enseignement Public.

29 - le langage signe de l'humain،B. Malamberg ..

30- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique.

31-. Vincent Monteil ; L'arabe modern ; Librairie C.Kinckseick; Paris; 1960.

32- Sotiropoulous، Dimitri. (1977) "Diglossia and the National Language Question in Modern Greece،" Linguistics

33– مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب الرباط المملكة المغربية، المجلد 17، ج1، 1399هـ– 1979م.

34 – مجلة المعرفة العدد 176 نوفمبر 2009/ ذوالقعدة 1430وزارة التربية والتعليم المملكة العربية السعودية.

العولمة اللغوية

د. صائل رشدي شديد

– كليات التقنية العليا – الإمارات

مقدم.ة

يتغيا هذا البحث النظر في العولمة اللغوية من حيث السيطرة والنفوذ وأثر ذلك على التعايش بين الأمم والشعوب، ويتحوط هذا البحث في الدخول في الانعزالية أو العصبية، الأمر الذي يتطلب منا فهم حقيقة كنه العولمة اللغوية وما يترتب عليها، وما هو المقصود منها على وجه الحقيقة، وما يمكن أن تصنعه مثل هذه العولمة على أفراد المجتمع الواحد. وعليه يكون النظر في تاريخ اللغات التي استحوذ استخدامها على الأمم والشعوب مطلبا ملحا. ويناقش هذا البحث العولمة اللغوية في تطوراتها التاريخية وكيف تعاملت اللغة المسيطرة على فكر الشعوب الأخرى، وكيف أثرت في صناعة حضارتها. ويحاول البحث جاهدا رصد آثار العولمة اللغوية على ثقافة الأمم والشعوب وعلى التقارب الإنساني الذي يمكن رصده من خلال الأحداث المتلاحقة عبر التواصل الإلكتروني والتقني.

وينظر هذا البحث في السياقات اللغوية التي يمكن أن تتخذها العولمة اللغوية وكيف يمكن لمثل هذه السياقات أن ترسم واقعا لغويا مختلفا عما كانت عليه اللغة قبل هذه العولمة. ويحاول البحث جاهدا أن يرصد الإثراءات المتعددة والمختلفة التي يمكن أن تصنعها العولمة اللغوية، وأثر هذه العولمة اللغوية على اللغة العربية وعلى العرب أنفسهم. ويناقش هذا البحث أثر هذه العولمة على التجانس المجتمعي والاختلالات التي يمكن أن تسببها العولمة اللغوية على هذه المجتمعات. ويجتهد البحث في النظر في أثر العولمة اللغوية على التعدد اللساني، ومكانة اللغات الأخرى، وهل مثل هذه العولمة تعمل على موت اللغات الأخرى ومحوها عن الخارطة اللغوية؟. وهل يمكن للغة مسيطرة الآن أن تختفي نهائيا في المستقبل وما دور العولمة اللغوية في صدام الحضارات؟، أم أن العولمة اللغوية تعمل على تقارب الحضارات؟! كل هذه الأسئلة يحاول البحث جاهدا الإجابة عليها من خلال دراسة منطقية، وواقعية مع محاولة لرصد الأدلة والاستعانة بالشواهد اللغوية والأحداث التاريخية في إثبات ما نذهب إليه من آراء وأفكار نؤمن بها.

-العولمة اللغوية:

اختلف كثير من الباحثين في تعريف العولمة اللغوية، وتحديدها بدقة واتقان لكي يتسنى لهم التأصيل في مجال العولمة اللغوية. وسأختصر الأمر لأدخل في تعريف العولمة اللغوية كما أراها بأنها: تغليب أو مشاركة استخدام لغة ما خارج نطاقها الجغرافي في كثير من مسارب الحياة على اللغة الأم لشعب من الشعوب الأخرى والتي كان يعبر عنها في شتى مجالات حياتهم المعيشية والفكرية والثقافية والدينية والاقتصادية.

وبهذا يتضح لنا أن العولمة اللغوية هي نوع من أنواع السيطرة على الآخر في الجانب اللغوي، وهو أشد وأخطر أنواع العولمة على الإطلاق، ذلك لأن العولمة اللغوية تعني بالضرورة السيطرة على الآخر في كثير من الجوانب: المعرفية والثقافية والفكرية والسلوكية والأخلاقية وحتى يمكن أن تصل إلى الدينية. ولا يفهم هنا أن عكس العولمة اللغوية الإنعزالية عن الآخر، والابتعاد عنه، أو بثّ روح العصبية المجردة للأنا، مع رفض الآخر وما يملك من مهارات وإبداعات وخبرات متنوعة.

إن المسألة غاية في التعقيد وغاية في اليسر في آن واحد. وذلك لأن اللغة أداة لإنتاج المعرفة، والمعرفة ليست محكورة على أحد البتة، وغير مقتصرة على شعب دون شعب أو أمة دون أمة وهذا يعني أنها غير مقصورة على لغة معينة. وعليه يكون التعارف والتآلف خير لنا من أجل تبادل المعرفة التي تتوزع على لغات العالم. وبهذا فإن التعصب اللغوي الأعمى مرفوض بالجملة. ولكن الاعتزاز باللغة الأم والتي هي ذاكرة الشعب التي يختزن فيها قيمه التي تعلمها بلغته، وتراثه الذي كتبه بلغته، ومفاهيمه التي عبر عنها بلغته. وبات من الضرورة معرفة لغة أخرى في الوقت المعاصر من أجل سرعة نقل المعرفة ومن أجل التطور العلمي والتكنولوجي.

-اللغة بين السيطرة والنفوذ:

ولكن عند النظر بتبصر إلى كنه العولمة اللغوية وحقيقتها نجدها غير ذلك، فالغرب لاسيما الممثل باللغة الإنجليزية يسعى بكل حيلة وقوة من أجل نشر اللغة الإنجليزية، من أجل نقل الثقافة الإنجليزية وسلوكها إلى الآخر، وقد خطى الغرب في ذلك خطى كبيرة ومتقدمة، بحيث أصبح كثير من أبناء العربية يستحي من العربية ويخجل منها ، ويحاول أن يصفها بأنها لغة متحفية، عاف عليها الزمن. وبما أن اللغة ذاكرة المجتمع، فإن انحسار العربية يعني فقدان الذاكرة العربية وما تحمل من ثقافة وعلم وأدب وأخلاق وقيم ودين. وهذا ما نحذر منه في العولمة اللغوية. إننا لا نرفض الآخر ولكن نرفض الهيمنة والسيطرة على ذاكرة الآخر.

إن سيطرة لغة على لغة يعني بالضرورة تزايد نفوذ اللغة المسيطرة، وأصبح الإعتقاد السائد حاليا أن اتقان الإنجليزية يعني الوظيفة القيادية، ويعني الراتب المتميز، ويعني في كثير من الأحايين الرقي والطبقة الأرستقراطيةّ!!!!! لقد أصبح النادي الإنجليزي محطّ استقبال لكثير من أبناء العرب، بل أصبح هذا النادي قبلة لمن أراد أن يغير من حياته الاجتماعية والاقتصادية. إن نفوذ اللغة الإنجليزية بدأ ينحى منحى غير أخلاقي في نشر اللغة الإنجليزية وثقافتها وما يتبعها. وهذا ما نعترض عليه، إن الغرب أخذ ينشر الإمبريالية اللغوية في كثير من الدول لا سيما في الدول العربية.

-تاريخ اللغات وإرهاصاته:

ليس المقصود هنا النظر في تاريخ اللغات من الناحية التاريخية المجردة، ولكن ما أريده هنا هو نظرة سريعة في تاريخ اللغات لنستشرف الحاضر و المستقبل. ما هو معلوم لدينا أن أول من تفتق لسانه بالعربية المبينة هو سيدنا إسماعيل عليه السلام. والعربية تسير في مسربين ؛ المسرب الأول: وهو ثابت فيها ولا يتغير وهو ما تملكه العربية من معجم سابق وتراكيب نحوية وأبنية صرفية، وتعبيرات عرفتها وأنساق تستخدمها. والمسرب الثاني: وهو السرب

المتعلق بالتطور اللفظي، والاختراعات العلمية والتكنولوجية .أما اللغة الإنجليزية فهي لغة لا تملك المسرب الأول الذي تملكه العربية ، وذلك لأنها عبارة عن مجموعة من اللغات واللهجات ائتلفت وكونت ما بات يعرف بالإنجليزية. فكما نعرف أن هناك الإنجليزية القديمة والإنجليزية الوسطى والإنجليزية الحديثة. ومن الملاحظ أن الإنجليزية لا تثبت على مستوى من المفردات أو التعبير، بل على العكس فهي لغة مختلفة فيما بينها، وهي لغة لا تستطيع الثبات على نسق معين من المفردات وأنساق التعابير المتعارف عليها. ولذلك نجد أن اللغة الإنجليزية بعدم ثباتها في المسرب الأول أدى إلى انقطاع الصلة بين أجيال هذه اللغة. ونريد أن نخلص هنا إلى أن الإنجليزية لا يمكن لها أن تكون لغة يعتمد عليها في التواصل بين الأجيال عبر التاريخ بعكس العربية التي ربما تعد اللغة الوحيدة في العالم التي يمكن أن يتم التواصل بين الأجيال من خلالها. وعليه فالعربية هي اللغة الوحيدة في العالم التي يمكن أن تكون لغة عالمية يمكن الاعتماد عليها في التواصل والتلاقح العلمي والإندماج الحضاري بين الأمم والشعوب والتواصل السليم بين أفرادها والناطقين بها. وهي بذلك تستحق أن تكون لغة العولمة.

وقد يقول قائل: إن العربية الآن لا مكانة لها وأنها مجرد لغة تراثية، أو ظاهرة أنثربولوجية!!! فهي ليست لغة العلم الآن وليست لغة الحضارة!!! في ظاهر هذا القول قد يكون الكلام صحيحا ولكن إذا دققنا النظر وأمعنا التبصر في هذا القول لوجدناه قولا خاطئا. فإقصاء العربية لم يكن بسبب قصورها أو عدم قدرتها على منازلة اللغات الأخرى أو عدم تواجدها في معظم المسارب اللغوية والمعرفية. بل جاء نتيجة لأسباب سياسية وأيديولوجية فرضت عليها في زمن الضعف العربي، وانهيار منظومته السياسية والفكرية والإقتصادية. إن العرب قادرون على إنتاج المعرفة إذا ما أتيح لهم ذلك، ولغتهم من أقدر اللغات التي يمكن لها أن تجد مصطلحات للمعرفة الجديدة. إن على العرب السعي الدؤوب علميا وإعلاميا ليكون لهم مكانة مرموقة في عصر المعرفة الجديدة والتكنولوجيا

المتطورة ومن ثم يقوموا بتجسيد ذلك في لغتهم لتكون واقعا متمكنا ويواجهوا تلك العولمة المتغولة.

-الآثار المترتبة على العولمة اللغوية:

إن المتبصر في العولمة اللغوية يجد أنها أثرت تأثيرا كبيرا في أدق تفاصيل حياة الفرد، بله المجتمعات والدول. وكان لهذا التأثير دور كبير في إعادة بناء المنظومات الاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتعليمية. ولأن الأمر كذلك سارعت كثير من الدول للتحوط من هذه العولمة. وما يهمنا هنا العولمة اللغوية وتلك الآثار التي عكستها على الحياة بمناحيها المتعددة، ومن هذه الآثار:

1 -أثر العولمة اللغوية على الأفراد:

لقد أحدثت العولمة اللغوية ما يمكن أن أسميه: بالصراع الداخلي الصامت. وأعني هنا ذلك الصراع المتولد داخل نفوس أصحاب اللغات الذين هم خارج دائرة إنتاج المعرفة وصناعة التكنولوجيا، و النعرة في نفوس أصحاب من هم منتجوا المعرفة وصانعوا التكنولوجيا. صراع متضاد؛ فالأول يشعر بالضعف والتبعية والثاني يشعر بالكبرياء والسيطرة، وأنه متبوع لا تابع. ولهذا نجد كثيرا من أبناء العربية من يسعى لتعلم لغة ثانية، ليس من أجل التطور بحد ذاته ولكن من أجل التباهي أمام أبناء لسانه، وتسويق نفسه أمام الآخر. إنني لا أرفض هنا تعلم لغة أخرى على العكس تماما، ولكني أدعو إلى عدم التقوقع داخل نفس مهزومة نتيجة لواقع مفروض علينا، مع السعي لتعلم لغة ثانية من أجل نقل المعرفة والتكنولوجيا ومن ثم الانتقال بسرعة إلى نادي منتجي المعرفة وصناع التكنولوجيا بلغة الأم التي يمكن لها أن تستوعب كل التقدم العلمي والمعرفي. لقد عملت العولمة على إحداث تغير في تكوين سلوك الأفراد، واتصف هذا التغيير بأنه غير متناسق مع أفراد البيئة الواحدة تبعا لمدى تأثر كل فرد في العولمة، الأمر الذي أدى إلى تصدع في العلاقات الفردية الفردية. وأصبح عندنا ما أطلق عليه بالعولمة

الفردية؛وهي تأثر كل فرد بنسق مختلف من أنساق العولمة مما أدى إلى عدم تناسق أفراد المجتمع بطريقة تنتظم فيها العلاقات بمساربها الصحيحة التي بنيت عليها.

2 – أثر العولمة اللغوية على المجتمعات:

يمكنني القول وبدون تردد أن العولمة اللغوية أدت إلى تمزيق البنية الاجتماعية في المجتمعات بشكل عام ، وبالمجتمعات العربية بشكل خاص؛ وذلك لأن المجتمعات العربية كانت ومازالت محطة تجارب للعولمات الغربية، أو لنقل لدول العالم الأول، وحتى لدول العالم الثاني، الذين ابتعدنا عنهم لنسير نحو الأسفل. وكل ذلك بسبب العولمة اللغوية التي ضربت أوصال المجتمعات العربية، التي تفرقت بين عولمة أمريكية وأخرى فرنسية وأخرى ألمانية وأخرى يابانية، حتى بتنا نستمع لبرامج عن حياة الشعب الياباني، وكيف تسير أمورهم اليومية وغدا تقليدهم مطلبا ملحا، بل تعدى الأمر اليوم لأن نحاول تقليد التعليم في الدول الإسكندنافية، وأصبح مناط التعليم عندهم هاجسا عندنا، وأخذنا بمحاولة نقل التجربة الإسكندنافية في التعليم!!!! ومن العجيب أننا أصبحنا نرى المجتمعات العربية عبارة عن وحدات مستقلة كل وحدة تعزف سيمفونية مختلفة عن الأخرى بحسب تأثر كل وحدة بالعولمة التي أثرت عليها، ووصل هذا الانقسام إلى داخل الأسرة الواحدة، إذ تجد فيها من يتغنى بالعولمة الألمانية وآخر بالفرنسية وآخر بالأمريكية وآخر بالإنجليزية وكل يرطن بلغة من تأثر به، فتعددت الألسن العربية لتصبح خليطا من اللغات وليس من اللهجات العربية، بل تعدى التأثير اللغوي ليصبح تأثيرا على الثقافة نفسها والسلوك نفسه.

3 –أثر العولمة اللغوية على اللغات الأخرى:

الناظر في هذا النوع من التأثير يجد أن اللغات الأخرى أقل تأثرا بالعولمة اللغوية من اللغة العربية!!! وذلك يرجع إلى اعتزاز الشعوب الأخرى بلغتها، مهما كانت لغتها ضعيفة، فهذه فيتنام تلغي التعليم باللغة الإنجليزية بعد التخلص من

وجود الاستعمار الأمريكي على أراضيها مباشرة، وفي وقت قياسي. إذن فالأمر يحتاج إلى قرار سياسي من صاحب السلطة، ولكن مثل هذا القرار غير موجود عندنا في الوطن العربي ليكون التعليم في جميع مراحله باللغة العربية وإن وجد فهو غير مفعل إلا في قليل من البلدان العربية.

ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أثر العولمة اللغوية على كثير من اللغات الأخرى والشعوب المتعددة. فهذه اللغة الإنجليزية تغزو الصين، واليابان وروسيا، ويصبح تعلمها مطلبا ملحا، ولكن ضمن ضوابط معينة. وتعدت العولمة اللغوية لنجدها تصل إلى شاشات الفضائيات في فرنسا وألمانيا وغيرهما من الدول الأوروبية. بل أصبحت الإنجليزية تنافس الفرنسية والألمانية في الاتحاد الأوروبي نفسه. ولكننا نجد الفرنسية تحتل مكانة كبيرة في القارة السمراء، بل إن الفرنسية حلت حلولا كاملا مكان لغة الأم في بعض بلدان القارة الإفريقية. وهذا الإحلال أثر على ثقافة هذه الدول، بله على انتمائها القومي. فأصبحت هذه الدول تدين بالعرفان والجميل لفرنسا وثقافتها، حتى وصل الأمر إلى اتباع السلوك الفرنسي بأدق تفاصيله. وأثرت العولمة اللغوية على اللغة العربية، حتى أصبحنا نرى التعليم الأساسي في بعض الدول العربية أصبح بالإنجليزية، وهذا الأمر عواقبه وخيمة جدا. إذ أصبح الفرد هناك لا يتقن التحدث بالعربية، حتى أنه الآن لا يقيم جملة في العربية سواء كانت كتابة أو محادثة. إن على هذه الدول العربية أن تتنبه للعواقب المستقبلية والتأثيرات المستقبلية على شعوبها إذا ما استمر إحلال الإنجليزية مكان العربية، وساعتئذ ولات حين مندم.

لقد أدت العولمة اللغوية كما ذكرنا إلى موت بعض اللغات وبموت اللغة يعنى بالضرورة تغير وتبدل العادات والتقاليد والثقافات والسلوكيات التي كانت سائدة قبل موت اللغة ما. ولكن ما شأن العربية مع العولمة؟ ذكرنا فيما سبق كيف أن العولمة اللغوية أثرت على العربية تأثيرا كبيرا. ولكن هل يعني هذا موت العربية في المستقبل؟! وهل ارتباط العربية بالمقدس يعني أنها ستبقى لغة خالدة؟

أقول هنا: أن العربية تأثرت تأثرا كبيرا في العولمة اللغوية، وأنها تعرضت إلى محاربة شرسة من قبل أبنائها ومن قبل الآخر، وحاولوا جميعا إنهاء العربية، وجعلها ظاهرة أنثربولوجية. لكن هذ الأمر لم يكتب لأعداء العربية وإن استطاعوا هزيمتها في كثير من الأماكن. والسؤال هنا عن سبب فشل إنهاء العربية من خارطة اللغات؟

أرى أن الأمر لا يتعلق بارتباط العربية بالمقدس (القرآن الكريم)، وإن كان للقرآن الكريم دور كبير في الحفاظ على العربية، لا يمكن لأحد أن ينكره البتة. لأن الله جل شأنه تعهد بحفظ القرآن الكريم من التحريف، ولكن لم يتعهد بحفظ اللغة العربية. لذلك أنيط إلينا نحن العرب مسؤولية حفظ اللغة العربية من الضياع والاندثار، بل علينا نشرها في جميع أنحاء العالم. لذلك علينا العمل على ما يعرف بالتخطيط اللغوي للغتنا العربية والاعتماد على انتشار العربية جغرافيا في كثير من المناطق، وأن نعتمد على أن العربية مرتبطة عند المسلمين بالمقدس ، وهذا عامل مهم في تمكين العربية، وسرعة انتشارها، وتأثيرها على اللغات الأخرى.

إن تجذر العربية عبر التاريخ ومحافظتها على معجمها في مسرب مفردات اللغة من الضياع أو الإهمال إلا في حدود ضيقة ومفردات معدودة محصورة، ضمن تغير الدلالة. وقوة العربية من جانب آخر؛ إذ تملك نظاما لغويا فريدا. وسعي المخلصين من أبناء العربية على بقائها حية هو الذي أدى إلى بقاء العربية إلى الآن بالرغم ما مرت به من محن ومكائد كثيرة.

-أثر العولمة اللغوية على التعدد اللساني:

وفي هذا السياق نتساءل عن أثر العولمة اللغوية على التعدد اللساني سلبا وإيجابا. يظن البعض أن العولمة غير قادرة على فعل فعلتها على الاختلاف العرقي، الذي ينشأ عنه بعض من التعدد اللساني، و كذلك من اختلاف اللهجات في البلد الواحد. إن المتبصر بحديث بعض من متعلمي اللغات الأخرى يلحظ

أنهم يدخلون كثيرا من الكلمات الأجنبية أثناء حديثهم. حتى أن بعضا من هؤلاء لم يتلق تعليمه بلغة أجنبية إلا أنه يزاوج في حديثه بين لغته الأصلية ولغة أجنبية يفتخر بها!!!. بل إن المشاهد لبعض القنوات العربية، يلحظ أن مقدم البرنامج يخلط بين لغة المشاهدين وبين اللغة الأجنبية التي يعتز بها!!!! الأمر الذي بدأ يقلق سكينة المشاهدين ويؤثر عليهم تأثيرا مباشرا. إن التعدد اللساني إن كان يجمع بين العربية الفصيحة واللهجة العامية فهذا يدل على عدم تمكن المتحدث من امتلاك ناصية اللغة العربية الفصيحة. أما إن كان التعدد اللساني يجمع بين العربية الفصيحة ولغة أجنبية فهذا يدل على تأثير العولمة اللغوية على التعدد اللساني؛ ويكون اختياره للغة الأجنبية التي تحدث بها دليلا على اعتزازه بها أكثر من لغته الأم، حتى وإن ادعى غير ذلك. فهو مهزوم من الداخل.

ولكن ما أثر العولمة اللغوية على لغة أقلية تعيش في دولة تتحدث بغير لغة هذه الأقلية؟

في هذه الحالة يتجاذب لغة الأقلية عدة مؤثرات منها؛ تأثير لغة الدولة الرسمية التي يعيشون فيها، وهو تأثير كبير، لا يمكن إغفاله لأنه بدون تعلم لغة الدولة لا يمكن الشعور بالانتماء الحقيقي أو الشعور بالأمن الاجتماعي في هذه الدولة أو الأمن الوظيفي....الخ. لذلك تفقد هذه اللغة جزءا من مكانتها في داخل نفوس أبنائها. وتأثير ثان تقع تحت وطأته وهو تأثير اللغة الأجنبية التي تؤثر على لغة الدولة الرسمية وعلى لغتهم الخاصة بهم كأقلية. وهذا يعني أن يستخدموا اللغة الأجنبية التي ستأخذ كذلك جزءا من مكانة لغتهم الأصلية التي يتحدثون بها فيما بينهم. وبهذا فإن التعدد اللساني يشكل خطرا كبيرا على تناسق مكونات المجتمع والدولة. وبهذا يجب علينا الانتباه للتعدد اللساني داخل الدولة الواحدة ويتم علاج المشكلة من خلال التوازن بين منظور الهوية الواحدة، ومن خلال منظور الحرية وتحقيق الذات. أما وسائل تحقيق ذلك فيعتمد على سياسة الدولة، والبرنامج الذي يمكن أن تعتمده بالاتفاق مع هذه الأقلية.

-أثر العولمة اللغوية على صدام الحضارات وتقاربها:

لا شك أن للعولمة اللغوية أثر في تقارب الحضارات أو صدامها، وذلك لأن اللغة لها دور في تفاعل الشعوب معا. إذ تعمل اللغة على توصيف ما تحمله الحضارات لبعضها البعض. فالحضارة الغربية تجاهر في منظومتها اللغوية بالعداء للعرب والمسلمين وبالأخص من خلال العولمة الإعلامية ، التي يملك الغرب فيها النصيب الأكبر، والذي يوجه ضد الحضارة العربية والإسلامية. إن العولمة اللغوية هي التي تقود زمام الصراع بين الحضارات، وذلك لأنها تعبير عن رأي معين، وهي تعبير عن خطط، وآمال وطموحات. ولا يوجد صراع، أو تقاتل قبل الكلمات، فالكلمة هي بداية الصراع، لذلك فالعولمة اللغوية والتي تحمل في ثناياها صراعا مريرا بين الحضارات تعمل على إكساب الصراع صفة الحضارة في بعض الأحايين. إن اللغة تعبير عن قوة صاحبها، ودليل على رقي متكلميها، واللغة نفسها تبدأ الحرب وهي نفسها تنهي الحرب. والناظر في أدبيات الغرب يجد كيف أن لغة الخطاب لغة عدائية تدعو إلى الصدام والقتال. إذ عمل الساسة كثيرا على تفعيل دور الإعلام ليكون معاديا للحضارة الإسلامية والعربية، وبتنا نرى كيف أن مفردات الإرهاب ملصقة بالإسلام والمسلمين، بل نعتوا الحضارة العربية الإسلامية برمتها بالإرهاب، بل ذهبوا لأبعد من ذلك حينما نعتوا القرآن الكريم ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالإرهاب. وليس إحراق المصحف والرسوم المسيئة للرسول الكريم إلا أنصع دليل على ذلك. إن مثل هذه الانفعالات اللغوية السلبية تؤدي حتما إلى الصدام الحضاري. إن التجييش اللغوي يلعب دورا كبيرا في تنافر الأفراد والشعوب والأمم والحضارات. واللغة التي نتحدث بها عن الآخر تلعب دورا مهما في التقارب أو الابتعاد بين الأمم والشعوب وعليه تكون العولمة اللغوية هي بداية الصراع وهي نهايته.

ومن هنا يتبين لنا أن على العرب أن يملكوا ناصية العولمة اللغوية لكي يتمكنوا من بسط نفوذهم على الواقع الخطابي بين الأمم والشعوب. وعليهم أن

يتنبهوا إلى أهمية وخطورة الدرس اللساني في قيادة الخطاب اللغوي السياسي وتوجيهه توجيها يتناسق مع فلسفة التقارب والتراحم بين الأمم والشعوب.

ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر:
(دراسة في منظومة المصطلح ومدونة المفهوم)

د / محمد الأمين خلادي – جامعة أدرار– الجزائر

تحديد المصطلحات: التعدّد اللساني . اللغة الجامعة . اللغة الوطنية . اللغات الأجنبية . التسامح اللغوي . الهيمنة اللغوية . التعايش اللغوي . الانجراف اللغوي . الاحتكاك اللغوي . اللغات الأقطاب . الازدواجية اللسانية...

على القائمين بالبحث أن يولوا وجهتهم شطر الدرس اللغوي العملي اليومي ومتابعة تمظهراته وتطوراته التاريخية في الجزائر؛ لا ليجمعوا الأسباب والعوامل وصور النشأة والتشكل داخل الوطن وخارجه والعناية بالوصف والجرد؛ وإنما من أجل التعجيل بأدوية منهجية معرفية وطنية للأدواء المستشرية المحيطة بالظاهرة اللغوية بالجزائر في كل مستوياتها.

وإن كان المسلم به يقينا هو أن عملية تعلم اللغة الصحيحة مشروط بإعداد ذلك في المراحل الأولى لتعلم الطفل الجزائري وتعليمه؛ فإن المعول عليه في الوسط الاجتماعي الجزائري حاليا أن ندقق في توجيه آليات التدريس اللغوي إلى مستوى أعلى من الإتقان والاهتمام لدى المربين والمعلمين وسائر المدرسين، في دور الحضانة والروضات والمدارس القرآنية والزوايا والنوادي وكل المؤسسات المعنية بتربية الطفل وخدمته والمدارس الابتدائية... من جهة تكوينهم منهجيا وتعليما نفسيا واجتماعيا تربويا وتوازنا بين التدريب على الكفاءة و تطمينا من جهة الكفاية المادية والمعيشية، لا الاكتفاء بالجانب العلمي والمعرفي فقط وكيفما اتفق.

ناهيك عن تحمل الإعلام الرسالي مسؤولية تعليم الأولياء آليات الأخذ بأبنائهم تجاه التدريب المنهجي والنفسي السليم في التعامل اللغوي اليومي داخل البيت وفي الشارع، ونحن نقر – والحمد لله – أن الجزائريين على صورة محمودة – إلى حد لا بأس به – في ذلك التعامل وسط الأسر وفي البيوت، سواء أتعلق الأمر بالمناطق الشمالية والغربية والشرقية أم بالوسطى والداخلية والجنوبية...

ومنه فلا يعقل الحديث عن ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر إلا بالحديث عن حال التربية اللغوية في الأسرة الجزائرية وفي المستويات التعلمية للغة العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرها وعلاقة ذلك كله بالعامية وسائر اللهجات و الأخلاط اللهجية ناهيك عن حقيقة اللغة الجامعة وعن وجودها أو عدمها بين صفوف الجزائريين...؟ !

والتعدد اللغوي سنن الحياة وشرط من شرائط توازنها في الحياة الدنيا؛ والكتاب العزيز أكد على هذه الفطرة قال تعالى"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ . الروم:22؛ لكن السر في مدى الحفاظ على اللسان ذي الهوية المخصوصة للمتكلمين بذلك اللسان؛ ولا ريب أن اللسان العربي مفضل بالوحي، وليس معنى هذا إقصاء غير اللسان العربي ،كما أن السنة المطهرة بينت حقيقة الغاية التي لخصت في التقوى ضمن خطبة

حجة الوداع للنبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ لما قال: "إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى"[1]

من أجل ذلك سأحاول التركيز –في ورقتي– على عرض الظاهرة من جهة الكيفيات البديلة للواقع اللغوي المتعدد المعيش في الجزائر، منطلقا من ضبط المصطلحات المعتمدة في بحث تلك الظاهرة ومعرفة الشرائط والضوابط التي نحسبها أصولا في نقد الظاهرة؛ لأن مفتاح المصطلح وخطورة استعماله من غير هدى يكون وبالا على تلقي المفهوم، فيعيق ذلك عملية التوصيل والإفهام، ومن تلك المصطلحات: التعدّد اللساني. اللغة الجامعة . اللغة الوطنية . اللغات الأجنبية . التسامح اللغوي . الهيمنة اللغوية . التعايش اللغوي . الانجراف اللغوي . الاحتكاك اللغوي . اللغات الأقطاب . الازدواجية اللسانية – تعليمية اللغة العربية – أثر الفصحى في الفهم والإفهام والتفاهم والسلوك – آثار الخلط بين اللغات في الحديث – تعليمية التوفيق بين الاستعمالات اللغوية المتعددة حسب المقامات والأسيقة –...

ثم بحث الظاهرة ونقدها من خلال أسئلة من مثل:

–هل تذيع تلك الظاهرة في خطورتها عند مجتمعات غير المجتمع الجزائري؟ لم وكيف؟

–ما هي الآلات المنهجية والرسمية لتجاوز أزمة التعدد اللغوي في صوره السلبية؟

–أي دور يجب أن يؤديه المعلم والمتعلم تجاه التعدد اللغوي بين فريضة الاستعمال و قناعة التغيير؟

وقس على ذلك من أشباه تلكم الأسئلة والانشغالات والمسائل...

1– تنامي التعدد اللغوي في تاريخ الجزائر وحقائقه:

[1] من نص خطبة حجة الوداع

تاريخ اللغة العربية موصول بالفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي؛ والجزائر سابقة لاعتناق الضاد لغة القرآن الكريم والمعجزة المحمدية؛ فازدان اللسان الجزائري بتلك اللغة من خلال فضيلة الفتح الإسلامي، وتعامل أهل الديار الجزائرية المحروسة قرونئذ بالعربية في سائر حيواتهم سلما وحربا وأمدتهم بالتواصل العالمي مع دول عديدة.

وبالطبع إن العربية في بداية الفتح وما بعده بعقود غير قليلة كانت على خير حال متجانسة مع البربرية واللهجات الأصيلة في البلاد ، كما أنها اللغة التي تقع في الواجهة وقد احتفل السكان الأصليون بها متبركين بانتسابها للقرآن ونبي الإسلام – صلى الله عليه وآله وسلم–؛ كيف لا وهي تلك الملة التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور وأذهبت عنهم الرجس ودفعت عنهم العدوان والتسلط من أعدائهم الذين أذلوهم زمنا طويلا؟!

ومما شجع على انتشار اللغة العربية في أوساط الأمازيغ والعرب تواصل هجرات الدعاة من التابعين – رضوان الله عليهم – وجموع العلماء والدعاة والأمراء والقادة ؛ وقد قويت تلك الحركة في عهد عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه – ووالیه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي « رغب البربر في مزايا الإسلام فاعتنقه من بقي منهم مشركا، أو مسيحيا، أو مترددا، وعكف على تمكين الإسلام من نفوس المسلمين الجدد، بنشر الثقافة الدينية ، وتعليم الناس الفرائض، والحلال والحرام، وبفضل عدم انقطاع سبيل الهجرة إلى المغرب، هجرة الرجال وتنقل أرباب المذاهب والأفكار، تعلم السكان مبادئ الدين والعربية وحفظوا القرآن »[1]، ومنه يستلزم سلامة العيش والتعايش بين أولئك الأقوام والأجناس والألسن بفضل وحدة الدين الإسلامي وسماحته؛ « لقد تمثلت قوة العربية كأداة لانتشار الإسلام في وصف الأحداث والتعبير عن المشاعر الملتهبة، أما في موضوع العلاقات

[1]– موسى لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط: 3 ، 1984، ص 132.

المنطقية فلربما كانت أقل درجة من اللاتينية مثلا. لكن بما أن العربية كانت أداة جيدة للتعبير عن النظم الفلسفية الكبرى، فلا شك إنها قادرة على التكيف بالفلسفة الحديثة. ذلك كان رأي أحد المستعربين من الدانمارك الذي شارك في الرد على أسئلة الاستفتاء. والواقع الحاضر يؤيد فكرة الترابط بين الدين والعربية لكونها شريكة الإسلام في سموّه ومقامه، وأن حركة التعريب لا يمكن فصلها عن حركة نشر الإسلام، لأن الكتاب المنزل جاء باللغة العربية التي بلغت مكانة أصبحت معها كل ترجمة دنساً لقداستها.ولهذا وجب على كل من اعتنق الإسلام تحصيل العربية».[1]

ويعرف من هذا مدى سلامة التلقي الفطري الذي تعلمه الخلفاء – رضوان الله عليهم – من حضرة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم – ولقنوه الأتباع والتابعين ثم نقلوه إلى إخوانهم في الدين من الأمازيغ ببلاد المغرب، والسماحة والتربية النموذجية التي عرف بها الفاتحون والدعاة وصلت الكلمة الطيبة إلى كافة الخلق في الساكنة.

ومهد الفتح الإسلامي لمرحلة كبرى في تاريخ اللغة العربية ؛إذ بلغت الآفاق وصدحت بها أصوات الأعاجم والمازيغ وغيرهم من الروم والفرس والوندال... «والملاحظ أن العربية قد استجابت لما هو مطلوب من لغة خصصت للوحي، فكانت اللغة المناسبة لنقل الفكر الإسلامي، لما أضفى عليها من قدسية بداية من نزول الوحي، فإذا كانت العربية كأداة نقل للإيمان قد تقدمت وارتبط رقيها مباشرة بمراحل النزول، فإنها كتعبير عن الحضارة الإسلامية لم تعد ملكا للمسلمين وحدهم، مهما غلب عددهم.وبذلك اكتست العربية صبغة الأداة العالمية لنقل الحضارة بكافة مظاهرها ومناحيها».[2]

---

[1] محمود المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان: 1984، ص524، 525

[2] م.ن ، ص 544.

رغم ذلك فإن العربية العتيقة حافظت على سلامتها في القرون الأولى؛ حتى إن لهجاتها كانت فصيحة يعتد بها في الاستعمال والاستشهاد، وهو مظهر صحي للتعدد اللغوي الذي لا يثير الرعب وسط المتكلمين بالعربية وغيرها؛ كالذي تحياه معظم الدول العربية اليوم من تنوع لساني غريب يتعايش إلى حد ما لكنه تعايش لا يؤدي إلى الارتياح في الغالب... ولمزيد المقارنة بين حال العربية مع لهجاتها قديما بحالها اليوم وسط اللهجات يطالع البحوث المختصة في ذلك[1].

2-الطفل وتربيته بين محورية التعلم وتوجيه سياسة التعدد اللغوي في الجزائر:

لا يمكن التفكير في الظاهرة المدروسة ههنا إلا برعاية النقطة المركزية في المعالجة لكشف الداء وأسبابه وحيثياته وكذا اقتراح الدواء؛ إنها نقطة الفئة المخصوصة بالنظر الواقعي والاستشراف على حد سواء، هي فئة الأطفال التي تعد المنشأ الأول لمعطيات الظاهرة من تعدد لغوي ولغة جامعة، وهلم جرا.

كل البحوث العالمية الجادة لا تنطلق من التكرار أو التراكم في دراسة تلك الموضوعات، وإنما يقوم منهجها عل استثمار النقد السابق والنتائج المعللة وبناء الرؤية المستقبلية القائمة على تخطيط رصين رزين؛ ومنه فالطفل وتربيته تربية لغوية مناط كل بحث يرقى إلى هدف النجاح، الذي يوصلنا إلى تجاوز الأزمة المدروسة.

يعالج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المسألة من باب الرصيد اللغوي للطفل العربي؛ إذ يسأل فيقول « الصعوبة في تحصيل الملكة اللغوية لا تتركز فقط في صعوبة تعلم القواعد النحوية بل أيضا في عدم استجابة المادة اللغوية التي يجدها المتعلم في نصوص الدرس اللغوي وغيره لما يتطلبه التعليم الناجح المفيد ، فبم تتصف هذه النصوص التي تقدم للطفل الصغير؟».[2]

---

[1] ينظر: د .محمد الحباس ، (مقال) ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،ع 8،2008، ص 275،295.

[1] – عبد الرحمن الحاج صالح ، م.ن، ص 11، 12

[2] – عبد الرحمن الحاج صالح، الرصيد اللغوي للطفل العربي،وأهميه الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 1، 2010 ، ص 11

من ههنا نعلم جذور السلبيات التي تعلق بالتربية اللغوية لدى الطفل باعتباره النواة الأساس في تعلم اللغة وسائر المعارف التي لا تستوعب إلا باللغة؛ ومن السلبيات تشحين ذهنه بقاموس مكثف منضغط تختلط فيه المواد الضرورية والكمالية والتي فوق مستواه الذهني والعمري والنفسي...، فتترسب تلك المواد محفوظة متراكمة دون تفعيل صحيح، بل وتزداد خطورتها لما تمتزج بلغة ثانية ولتكن اللغة الأجنبية عن اللغة الوطنية ناهيك عن العامية واللهجات وربما لغات أخرى؛ وثمة أمل قائم دوما لكنه يحتاج إلى تنمية ورعاية أكثر مما هو عليه حال الطفل الجزائري الضحية، إذ نجد بعض الرؤى التي تتفاءل مهما تعانيه الساحة التربوية من تخوش على المستوى[1].

وعليه فالخطورة هذه محط أنظار المعالجين للعمليات اللغوية معالجة فورية لا تردد فيها؛ قصد إنقاذ الطفل وقبل، حدوث الطامة اللغوية المعقدة من تعدد لغوي ذي شبكة لا يقدر الطفل على استيعابه، ويواصل الحاج صالح قوله « كإجابة عن هذا التساؤل يجدر بنا أن نذكر ما قاله الاختصاصيون من المشرفين على مشروع الرصيد في مثال لهم تحت عنوان المشاكل التربوية اللغوية المتعلق بالرصيد الذي يتعلمه الطفل العربي، جاء فيه مايلي:

إن تصفح العلماء لحصيلة المفردات التي تقدم الآن للطفل في الوطن العربي قد أظهر عيوبا ونقائص كبيرة في هذه الحصيلة، أما من حيث الكم فقد لوحظ أن الكمية من الألفاظ التي " يتناولها " المتعلم، بالنسبة إلى مدرسة مغربية أخذت كنموذج في السنة الرابعة من الابتدائي فقط، من خلال الدرس ومطالعاته للكتب المقررة يبلغ ما يقرب من 2500 مفردة. فهذه الكثرة الهائلة إذا اقترنت بكثرة التراكيب وتنوعها تنوعا كبيرا من جهة، وغرابة المفاهيم التي تحملها هذه الألفاظ الجديدة بالنسبة للطفل من جهة أخرى صارت دافعا قويا على توقف آليات

[1] ينظر:مختار نويوات؛ كلمة رئيس التحرير (مقال)، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر،ع 8،2008، ص 8

الاستيعاب الذهني للطفل، أما من حيث الكيف فقد لوحظ أيضا أن الكثير من هذه المفردات لا تستجيب لما يحتاج إليه الطفل في حياته اليومية، والمستجيب له بالفعل في هذا الميدان وفي الوقت الراهن هو، مع الأسف، ما يجده في اللغات الأجنبية وما يقتبسه منها العاميات المحلية».[1]

فظاهرة التضخم اللغوي تؤثر حمولتها على ذهن الطفل، فيرهق إرهاقا لا علاج بعده؛ وقد رسبت مواد هائلة حفظا مقحما ومجحفا تغدو فعاليته شكلية لا أثر لها في الفهم ثم الإفهام، ثم ينبني على ذلك عسورة التجاوب بين الطفل وحاجاته ورغباته وما يطلب منه، بل تزداد مصيبة ذلك أضعافا مضاعفة لما يجد نفسه محمولا بالاضطرار على امتلاك تعدد لغوي في الاستعمال اليومي، وبالأخص لما يركز على عملية الحفظ والترداد فقط.

ويذهب الدكتور صالح بيلعيد مذهبا بعيدا في تحليل الوضع الخاص بالطفل الجزائري في ظل التعدد و اللغة الأم بقوله « إن الطفل الجزائري في أية منطقة كان، فهو إما أحادي اللغة وثنائي التأدية: عربية دارجة + عربية فصحى. أو ثنائي اللغة: عربية دارجة(عربية فصحى) + فرنسية. أو ثنائي اللغة: أمازيغية + عربية دارجة(عربية فصحى) أو ثلاثي اللغة: أمازيغية + عربية دارجة(عربية فصحى) + فرنسية. ويعد الأمازيغ حقيقة متعددي اللغات بما فيهم الأميون؛ لأن التعدد يعود للكلام دون المؤهلات اللغوية والخصائص الفكرية، والازدواجية ثابتة مع الطفل قبل سن التمدرس.

وبحكم هذه السوق اللغوية التي يمكن أن نسميها اللغوية الليبيرالية، فأي اللغات أم؟ هل العربية الفصحى لغة أمّ ؟ في الحقيقة إن اللغة العربية الفصحى ليست لغة أم فلا تسمع في الحياة اليومية ولا في البيوت، بل تتعلّم في المدرسة، وكون لهجاتها مستوى أدنى يمكن عدّها لغة أم باعتبار التقارب الدلالي والصوتي

[1] – عبد الرحمن الحاج صالح ، م.ن، ص 11، 12

والجذري وكذلك بحكم دستوريتها ومؤسساتها أضحت اللغة الأم الثانية بالقوة بعد الدارجات فهل لغة أم رقم2».

ومنه فالطفل الجزائري مرتبط بمركب لغوي خليط ذي موارد متعددة وهي عالبا متناقضة في عمومها؛ ولذلك فالأمر أخطر إن لم تتعاون الجهات الرسمية لوضع البرامكج المدرسية والإعلامية، قصد إعداد طفل جزائري بعيد عن الذبذبة والهلهلة التي تطيش بالذهن لدى الناشئة، وعليه فالمسؤولية على عاتق المقررين الرسمين وال'علاميين والمبرمجين وليس على عاتق المربين والأسرة، لأن الآليات العلمية والمنهجية سهلة المنال لاستدراك هذا الخطر قبل فوات الأوان أكثر مما مضى؛ وربما تفويت الفرصة أكثر على الأجيال اللاحقة.

لا اختلاف بين العقلاء في سائر الحضارات والمناهج العالمية أن المحور الذي يركز عليه في صناعة المنجاة من كوارث الظواهر المشينة التي تلحق اللغة أيا كانت هو العناية بالطفل؛ وكم هي التوصيات والبدائل والحلول التي رجحت وقامت قائمتها أو خمدت في المؤتمرات والمراسيم القانونية والمحافل العلمية والمصنفات قديما وحديثا، لكن الأزمة تتعقد واقعيا ، ومن اسس ذلك الشد على « طرائق تعليم اللغة للأطفال:

نحاول فيما يلي تبيان بعض الطرائق المتبعة في تعليم المهارات اللغوية الأربع محادثة واستماعا وقراءة وكتابة آخذين بالحسبان التدرج في تعليم المهارات اللغوية؛ إذ يكون البدء بالتدريب على المحادثة والاستماع في رياض الأطفال قبل الانتقال إلى تعليم القراءة والكتابة في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي انطلاقا من أن مرحلة الرياض إنما هي تنمية الاستعداد لتعليم القراءة والكتابة في المرحلة التالية»[1]

[1] د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع 01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، ، ص 27-29.

وهي مهارات تؤكد التدرج و الحصائل المعرفية لاستلهام اللغة استلهاما يؤهل الطفل إلى مرحلة اكتساب حصانة وطيدة الأواصر المنهجية والنفسية ؛ قبل أن يقع في شبكة التعدد اللغوي الذي يكون عبئا ثقيلا على القدرة الذهنية في غالب الأحيان وواردا إضافيا في أحسن الأحوال، ومنه نستنتج أن تلك المهارات لما تقدم للطفل في أحيانها متدرجة متقنة تساعده على تفعيل الرصيد اللغوي تفعيلا منظما فاعلا ومدمجا إياه في التواصل الاجتماعي الإيجابي.

الأصل في منهل الاكتساب اللغوي في واقع الطفل هو الأم «فالطّفل بعد ولادته يسمع لغة الأمّ مرارا وتكرارا مدّة عام تقريبا قبل أن يأخذ في الكلام تدريجيّا. ولهذا فإنّ الأطفال الذين يجلسون اليوم أمام شاشات التلفزيون أكثر من جلوسهم في قاعة الدّرس بالمدرسة أو مع والديهم، يتعلّمون اللغة أكثر من أيّ مصدر آخر»[1]. فالعلاقة موصولة بتلازم بين الأم والأسرة والإعلام ؛ ويواصل الأستاذ على القاسمي قوله: «يعدّ التّعليم والإعلام في طليعة وسائل نشر اللّغة، فكلما ازداد سماع الطّفل اللّغة الفصيحة في قاعة الدّرس، أو أمام شاشات التلفزيون، ازداد اكتسابه لها وتحسّن أداؤه بها»[2].

فالواقع اللغوي المتعدد للطفل يمكن أن ينتظم بتغليب الأصل في خيارات اللغة بحسب التفاوت والترتيب ؛ إذ يحسن بالأم أن تكون متحفظة في استعمال القاموس المستعمل مع طفلها ، حيث تنتقيه أشد الانتقاء مع تقديم الخيار الأصيل والأساس ؛ كأن تختار له اللغة العربية أو غيرها، علما أنها مسؤولة أولى على أثر ذلك الخيار في كل المستويات النفسية والاجتماعية والذهنية وآثار كل ذلك على شخصية طفلها...

3- ضبط المصطلحات منطلقا:

---

[1]- علي القاسمي "السياسة اللغوية في البلدان العربيّة: الإعلام نموذجا"جريدة القدس العربي، 2010م، الموقع: http://www.manfata.com

[2] _ م.ن ، الموقع نفسه .

أ/المصطلح أصالة:

المبتدأ الأساس هو معرفة الفاعلية التي يؤديها المصطلح المختار بين المصدر والهدف؛ والكلام في هذا المجال مبسوط معروف، لكننا ههنا نشير إلى بعض المعطيات القاعدية التي ترسم كيفيات الصناعة المصطلحية وتوظيفها الدلالي في الحقل المسخرة لخدمته استعمالا وتداولا.

نسوق مقولات دقيقة لهذا الشأن في تعريفات للدكتور عبد السلام المسدي وهو يعالج البناء التأثيلي للمصطلح قوله «المصطلح: صياغة المصطلح لها ثوابت معرفية مطلقة ولها نواميس لغوية عامة كما لها مسالك نوعية خاصة، وكل ذلك يمثل الآليات التي تقتفيها المصطلحات العلمية والفنية.

فأما الثوابت المعرفية فتتصل بطبيعة العلاقة المعقودة بين كل علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية، وأما النواميس اللغوية فتقتضي تحديد نوعية اللغة التي تتحدث عن قضية المصطلح ضمن دائرتها وما تختص به من فروق تنعكس على آليات صياغة الألفاظ ضمنها. فإذا جئنا إلى المسالك النوعية فإننا نعني بها مجال الاختصاص المعرفي الذي نتناول آلياته الاصطلاحية بالدرس، إذ رغم ما بين كل حقول المعرفة من قواسم مشتركة تحكم موضوع توليد الألفاظ الدالة على المفاهيم الدقيقة داخل اللسان البشري الواحد فإن لكل فن من أفنان المعارف خصوصيات لا غرابة أن تأتي على الأعراف اللغوية بكثير من المؤالفات الواسمة تختلف من حقل علمي لآخر».[1]

فالأصول العلمية والأثول المنهجية هي المنطلق في وضع المصطلح المخصوص بموضوع اللغة الجامعة والتعدد اللغوي وسواهما؛ مع ضرورة الاختيار الأسلم في تفعيل المصطلح وتدقيقه عند الاستعمال والحاجة الفورية لحصر المصطلحات في بابنا المدروس ضمن هذه الندوة.

[1] د. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس: 1994، ص10.

وهو أول مأخذ نلج به الأقضية المدروسة في المحاور التي يقوم عليها تنادينا ؛ فلا يمكن لهذه الكثرة من المصطلحات المتشققة والاشتقاقية بعمد أو تراكم عملي وتاريخي أن تحيلنا إلى النتائج السليمة الامتغياة من نقد الظاهرة محط الدراسة في المنتدى؛ لأنها حشود قد تذهب بماء الرصانة العلمية وتبعدنا عن الهدف ورأس الهدف العلاج.

ويروح المسدي قائلا « وبين القاموس العام في اللغة والرصيد الاصطلاحي الخاص بكل علم ينبثق توازن متكافئ يأخذ فيه كل طرف من الآخر بما لا يُدخل الضيمَ على دلالات اللغة في وظيفتها الإبلاغية ولا على مفاهيم المعارف في وظائفها النوعية من حيث هي خطاب علمي. وعلى عماد هذه الحقيقة تنزرع قاعدة فرعية تتمثل في أن توفّق المصطلح في أداء المتصوّر المنشود يوكَلُ أمره إلى الاستعمال ومدى ما يحوطه به من رواج. ومعلوم أن للاستخدام اللغوي نواميسه التي تتحدد بضوابط التركيب والإيقاع ومقوّمات الرشاقة، وهو ضرب من البحث قائم بذاته عند أهل الدراية لا يستوفي حقه إلا بتعاضد المعرفة اللسانية والخبرة الأسلوبية حتى يتحقق الانسجام بين مخارج الحروف وبنية الحركات وتركيبة المقاطع، ثم يتطابق الكل مع خصائص الإيحاء الدلالي.

فالمصطلح يُبتكر فيوضع ويبث ثم يقذف به في حلبة الاستعمال فإما أن يروج فيثبت، وإما أن يكسد فيختفي، وقد يدلي بمصطلحين أو أكثر لمتصوّر واحد فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في "سوق" الرواج ثم يحكم التداول للأقوى فيستبقيه ويتوارى الأضعف».[1]

ب/ التعددية اللسانية:

عرض الدكتور محمد يحياتن مصطلح "التعددية اللسانية" عرضا تاريخيا واصطلاحيا تأسيسيا، بقصد بيان العلاقة بين اللغة في تعددها من حيث المصدر

[1] م.ن ، ص 14،15

والخلفية المعرفية والمرامي في الاستعمال والقصد وحقل اللسانيات في فروعها وبالأخص اللسانيات الاجتماعية، بقوله « عندما تستقري تاريخ الأبحاث التي عنت بظاهرة التعددية اللغوية، تستوقفنا فيما نرى أبحاث فرجسون (Fergusson) الذي شحذ مفهوم الثنائية اللغوية (diglossie) في نهاية الخمسينات، ويعني به تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة "التنوع الرفيع" (variété haute) أو (high variety)، أما الثاني فيسميه بـ " التنوع الوضيع " (low variety) أو (basse variété). وقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النظر في بعض الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية (demotiki) والإغريقية الصافية (katharessouva).»[1]

فالعلاقة بين التعدد اللغوي واللسانيات الاجتماعية موصول تاريخيا وواقعيا في البحوث العالمية؛ ومنه فكل تعدد، كالتعدد اللغوي في الجزائر أو الدول العربية مشروط بحثه ونقده في ضوء اللسانيات الاجتماعية، ذلك لأن آفاق الاستعمال المتعدد نابعة من طبيعة المجتمع المعني الذي تصدر عنه المواد اللغوية المتعددة، فتكون مواد التلقي اللغوي المتعدد مشبعة بثقافة المصادر اللغوية المتعددة، كخلط ما بين الجذور الفكرية للهوية العربية في اللسان العربي و الجذور الأخرى القابعة خلف المصادر اللغوية الأخراة في اللسان العامي واللهجي والأجنبي – مثلا – في الجزائر اليوم.

وبيان الاحتكاك اللغوي من حيث انتشاره وخصائصه في أي لغة مقابل لغات ولهجات موصوف بتوصيفات واقعية معيشة يذكرها الأستاذ يحياتن بقوله «وتتميز الأوضاع هذه القائمة على الثنائية اللغوية ببعض السمات من بينها:

[1] – محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، (مقال)، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع 11، 2006، ص 73.

أ –**أولاهما التوزيع الوظيفي:** فالتنوع الرفيع يستخدم في المسجد والآداب والخطب الرسمية والجامعة والمدرسة إلخ. في حين يستخدم التنوع الوضيع في الأحاديث العادية اليومية والأدب الشعبي إلخ.

ب –**السمة الثانية** تكمن في أن التنوع الرفيع يحظى بصيت اجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو موضع استهجان.

ج –السمة الثالثة قوامها أن التنوع الرفيع يسخر لإنتاج أدب معترف به ومحط إعجاب.

د – التنوع الوضيع يكتسب بشكل طبيعي إذ هو اللغة الأولى التي يكتسبها الناطقون، في حين أن التنوع الرفيع لا يكتسب إلا في المدرسة.

هـ– يرى فرجسون بأن هذه الحالة اللغوية تمتاز بالاستقرار.

و– يتصف التنوع الرفيع بكونه مقعدا "خاضع لقواعد ونظام كتابة، على خلاف التنوع الوضيع."[1]

المرجو من النقدة والمدرسين والمقررين الالتزام بهندسة الصناعة الاصطلاحية التي تفيد ضبط المنظومة المصطلحية والمدونة المفهومية لسائر المفردات التي تكون في حقل الدراسة العلمية للتعدد اللغوي واللغة الجامعة وغيرهما من المفردات في ذلك الجهاز.

ويرى الأستاذ مصطفى تاج الدين رؤية أصيلة لمعاني التعدد اللغوي ومنها التاريخية والوظيفية وبالأخص لدى العرب والمسلمين بقوله «ولعل الإسلام قد أكد على قيمة التعددية اللغوية حينما ربط القرآن الكريم بين اختلاف الألسنة ومعرفة إعجاز الله في الخلق، فهذا الاختلاف آية من آيات الله وليس هناك من مبرر علمي ولا خلقي لتفضيل لغة على لغة. يقول ابن حزم في الإحكام: "ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليها أولاً، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها... وقد قال قوم هي السريانية، وقال قوم هي اليونانية، وقال قوم هي العربية والله أعلم،

[1] م.ن ، ص 73،74

إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها... وإذ تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل – عليه السلام– فهي لغة ولده والعبرانية لغة إسحاق وهي لغة ولده، والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم"»[1] .

ج/ اللغة الأم:

ومن المصطلحات التي طرقها الدكتور صالح بلعيد من قبل اللغة الأم بقوله « اللغة الأم: أرغب في البداية الحديث عن تحديد اللغة الأم، فما هو هذا المفهوم؟

لقد استحدث اليونسكو يوما عالمياً للغة الأمّ وهذا منذ سنة 2000م، والهدف منه حماية تراث العالم من الانقراض، وبهذه الشرعية الدولية، فقد رأت أنّ تعلمّ اللغة الوطنية فرض عين، وتعلّم اللغة الأجنبية فرض كفاية، فأعطت للّغة الأم كل الأهمية، ومن حق كل الأفراد في العالم أن يأخذوا نصيبا من العلم بلغاتهم.

نشأ مفهوم لغة الأمّ Langue mère مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الدول المستعمرة تنال استقلالها، في الوقت الذي تنادي الأقليات الأوربية بتعلّم لغاتها الأم، وحصل الحديث عند ذلك عن الهوية والوحدة الوطنية والشخصية والتنمية الشاملة ونظام الحكم، وقد شعرت الدول الحديثة الاستقلال بتعزيز اللغة الأم بعد أن تضاءل دورها أو كاد يتلاشى أيام حكم المستعمر، وذلك من خلال اعتماد لغة رسمية للوطن ولغة تعلمّ وتعليم.–جماعة من المؤلفين، اللغة والتعليم، ط1، بيروت: 2000، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، دار قابس، ص 7.

[1] _ المصطفى تاج الدين ، اللغة والهوية ن (مقال) ، موقع مجلة التسامح :
http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=19

وانجرت في بعضها صراعات حول ترسيم اللغة الأم في منظومة التربية والتعليم، كما انجرّ اتجاه تحقيري في بعض البلاد، وما خرجت من ذلك الصراع إلا بعد تبني لغة الأم لأجيال لاحقة، ومع ذلك فإنه لم يكتب النجاح التام لكل الأمم التي تبنّت اللغة الأجنبية، بل أصبح لها ذلك انتحارا فلم تحصد من وراء ذلك إلا الحروب الأهلية»[1].

يستنتج من هذا :

–اللغة الأم اللغة الوطنية مقدمة على غيرها

–نهاية الحرب العالمية الثانية فيصل تاريخي لترشيد الشعوب في هويتها بفعل الأزمة الاستدمارية وتبعاتها؛ وهي درس في السابق واللاحق لكل الشعوب وبالأخص العربية؛ والجزائر أبرز دولة وشعب عانى تبعات الاحتلال البغيض في محاولة ضرب اللغة الأم واللغات الأخرى معا ومازال يعاني...

وهذا من المصطلحات الأصول التي يجب الفصل في مدلولاتها وعدم تجاوزها إلى غيرها إلا بعد معرفة ما تختص به من دلالة تخالف غيرها من المصطلحات الأخراة؛ وقس على ذلك، ومسحه التاريخي الموجز هذا علامة على صحة التأثيل لأي مفردة من شأنها أن تفعل فعلها في توجيه الفهم أو تشظيه في أحيان كثيرة ، أو إيقاع التفاضل بين تلكم المفردات.

إلى أن يقول في مقام أدق بالحديث عن الأمة العربية في المسألة المبحوثة في السياق عينه

«وأما عند العرب فظهر الاهتمام باللغة الأم(العربية الفصحى) للتخلّص من اللغة التركية، وكانت المناداة لذلك بمصطلحات: لغتك/ اللغة الفطرية/ اللغة الأصلية في مقابل: الإفرنجية/ لغة برانية. واعتبرت الفصحى لغة أم مقدسة ومميزة، بل عدّت عند بعض الباحثين سبيل من سبل الانتماء الوطني، وذلك ما نجده في كتابات عبد الله النديم في: التنكيت والتبكيت والطائف والأستاذ.–ع/

[1] – صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، مجلة اللغة الأم، دار هومة، 2004، ص 3.

محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، القاهرة: 1988، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص30. وكذلك عند المرصفي الذي يربطها بالأمة، ويعّد مفهوم الأمة عنده ما تركّب من: اللسان والمكان والدين.

ومع كل هذا فإنه لم يحصل اتفاق نهائي حول مصطلح اللغة الأم، بعدما أطلق جزافا على اللغة الرسمية واللغة الوطنية واللغة الجهوية، وكل تعريف كان مصاحبا وجهة نظر إيديولوجية، ولذلك تشعّب ونال أبحاثا كبيرة؛ خاصة عند الباحثين الغربيين، حيث أجروا دراسات مهمّة بُغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم/ لغة المنشأ/ اللغة الوطنية/ اللغة القومية/ اللغة الجهوية... وهذا مع ظهور الطبقات الشغيلة في أوروبا والمد القومي وظهور الحكم الكنفدرالي، بل وصل الأمر أن حمل في بعض المناطق نزعة للاستقلالية(الحكم الذاتي) تحت مظلة الخصوصيات اللغوية، كما ساعدت العوامل الجغرافية وفروق البيئة ظهور الاهتمام باللغات الأم. وهكذا نال التعريف دلالات متنوعة، بتنوع الباحثين في هذا المجال ونشير إلى بعض التعريفات».[1]

يعالج الدكتور صالح تقلبات المصطلح المختلفة في تحديد الدلالات المرادة والمهزوزة غير القارة، مع الاختلاف الكبير بين الآراء هنا وهناك؛ وهو تذبذب لايخدم المصلحة الوطنية والتوحد، ولهذا يطلب من مستعملي المصطلحات التحذر والتحوط في الإطلاق والتداول وما ينجم عنه من مخاطر في الذهنية التأويلية وانعكاساتها الخطيرة.

ثم يذلل الطرح حول ذلك المصطلح بتفسير دقيق يعتمد فيه المنهج المستوياتي للظاهرة " اللغة الأم " إفهاما للمتلقي والمستعمل واتلمتداولين بقوله «– ويمكن تبسيط مستويات لغة الأم التي تتحدد في اتجاهين هما:

[1] – صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، مجلة اللغة الأم، دار هومة، 2004، ص 5.

1. اللغة العامة التي يتعلمها الفرد في البيت بهدف التواصل العادي وهي مكتسبة.

2. اللغة العلمية والتكنولوجية ويتمّ تعلمها بشكل اختياري ووفق قرارات فردية وحكومية، وتعد زيادة في رأس المال البشري للفرد وللمجتمع.– محمد مراياتي "أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي" مجلة أسئلة اللغة، الرباط: 2002، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص 19.

وهكذا نجد تعريفات للغة الأم متعددة وأحيانا متضاربة، ولك تعريف نظرة خصوصية ونلاحظ أن كل التعريفات تؤكد الآتي:

- أن تكون لغة طبيعية ناطقة.
- أن تتداول في الوسط العائلي أو المحيط أو المدرسة.
- أن ينص دستور البلد على ترسيمها أو وطننتها.
- أن يكون لها نظام خطي.
- أن تدرس في المدرسة.

« إن تعليم اللغة الأم يستند إلى قدرات المتعلم المكتسبة لكي يجعله يكتشف معطيات جديدة مما يعني أن بناء ديداكتيك اللغة الأم قائم على معطيات لسانية وسيكولوجية... ومرتكز على المقوّمات التالية:

1 –ربط استعمال الأشكال اللغوية بالنوايا التواصلية بدل الاقتصار على جمل مجزأة ترتد آليا.

2 –ملاحظة الكيفية التي تواصل بها الطفل مع محيطه.– عبد العزيز الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، الرباط: دار الخطابي للنشر، سلسلة علوم التربية، العدد: 9–10.

وهكذا فإن الطفل عصامي في اكتسابه الأول للغة؛ لأن له من الطاقة ودقّة الملاحظة وحبّ المحاكاة ما يغنيه عن التلقين بواسطة أمّه أو معلم مباشر، فيتّفق علماء النفس على أن الطفل ما إن يدخل عامه الثالث إلا ويكون قد اطلع على

خصائص اللغة الأولى وبنياتها الأساسية ومخارج حروفها دون تلقين خارجي وبذلك المخزون يتواصل لقضاء حاجاته الآنية البسيطة، ثم ينحو ذلك الرصيد من بيئته الكبرى، وهو ما يوظف في البيت والشارع والمدرسة.

وأمام ما نعيشه في الجزائر، فلدينا لغتان أم، فهل هاتان اللغتان تدرسان بشكل جيّد في المدرسة والجامعة؟

إن اللغة الأم رقم 2 قد وقع الاهتمام بها، وأقيمت لها مؤسسات تعمل على ترقيتها ومع كل ما قدّم لها فهي تعيش ضعفا فادحا على مستوى الأداء السليم، وهذا ضمن معطيات حضارية مؤقتة، أضف إلى ذلك التوزّع القومي العربي الذي يعمل بتؤدة من أجل تطوير هذه اللغة، وضمن معطى شرقي قادم من مصر وهو التسامح اللغوي الذي لعبت فيه اللهجة المصرية عبر فضائياتها، وساهمت فيه الفضائيات اللبنانية، وعملتا على مسخ لغوي يزيد الفجوة بينها وبين الدارجات، ويعطي للغات الأجنبية أسواق الاستعمال العربي بمختلف منتوجاتها ومغرياتها الإشهارية، دون الحديث عن العولمة اللغوية التي تطرح كل اللغات التي لا تصلح لمتطلبات العالم المتقدم ثقافيا أو تجاريا وسياسيا، والعربية منها».[1]

يقدم الدكتور محمود السيد منحى آخر للغة الأم معتمدا الرؤية الخاصة بالفرد العربي وشخصيته داخل المجتمع وعلاقة ذلك بمقومات الشخصية كلها ؛ حتى أنه أطلق على اللغة الأم اسم الوطن نفسه، وفيه بعد عميق للطرح تجاوزا لبعض المفاهيم والرؤى الضيقة الأخرى التي تتجلى في بعض الدول العربية التي تتنازعها لغات ولهجات تفريعية لا تكاد تنحصر...

«اللغة الأم هي هوية المرء، وهوية الأمة التي ينتسب إليها، وهي محور المنظومة الثقافية المتجذرة والأصيلة بلا منازع، وإذا ما فقد أي شعب لغته الأم فإن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدانه هويته المميزة لأن اللغة جنسية من لا جنسية له، إنها وطن، ومن فقد لغته فقد وطنه.

[1] – صالح بلعيد، اللغة الأم، ص 5.

ولا يعني الحفاظ على لغتنا الأم وثقافتنا التقوقع وعدم الانفتاح على لغات أخرى واكتساب ثقافتها، وتعرُّف إسهاماتها في مسيرة الحضارة البشرية، لأن في هذا الانفتاح وذلك التعارف إغناءً لثقافتنا دون أن يعني ذلك التفريط باللغة الأم، وإنما يعني الانفتاح الإيجابي، فالهوية العربية تتغذى من الموروث الثقافي العميق الجذور والممتد في تاريخنا العربي، كما تتغذى بمختلف الإسهامات الثقافية الأخرى التي تفرضها طبيعة العصر، والعمل على استيعابها وتمثلها، وإعادة صياغتها بما يتلاءم مع ثقافتنا العربية الأم صياغة تتمثل فيها أصالة الأمة من جهة، والإطلالة على المستقبل الرحب من جهة أخرى، نظراً للدور الذي يمكن أن تؤديه اللغة الأم في التنمية الشاملة والمستدامة للمجتمع من طرف، وصياغة ملامحه وهويته وتماسكه من طرف آخر»[1]

اعتدال يعزز ما ذهب إليه غالبية الباحثين كالذي قدمه الدكتور بلعيد وغيره ممن لم نسق آراءهم لعدم الانسجام بين تلك التفصيلات ومقام البحث.

د/ الأمن اللغوي:

لا أمن يطلبه المنتسب للغة العربية إن حافظ على سلامة لسانه وتقويمه بالتدرب على النطق العربي الفصيح البليغ ؛ وهو مطلب غير عسير إلا من اعسره والتجربة الفعلية لهذا النطق عند العزمة الصلبة تثبت ذلك الإمكان.

واللغة العربية قد حفظها الذكر الحكيم بفعل الحافظ الحفيظ – سبحانه وتعالى –، ومنه نستلزم عدم حاجة العربي – أعني العربي باستعمال العربية نطقا وكتابة وتعاملا تربويا ورسميا – إلى تكريس سياسة الأمن اللغوي بتلك الكثافة التي تتحدث عنها مصادر عديدة سواء أتعلق الأمر بالعربية وأمنها أم بأمن أي لغة أخرى ؛ مع بعض الاختلاف ،لأن أمن العربية استعماله على الألسن حفظا لها لا

[1] د.محمود السيد، لغتنا الأم العربية الفصيحة (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 84، ج1، مطابع دار البعث، سوريا: 2009، ص 13، 15.

للعربية في ذاتها؛ أمن اللغة هو تفعيل المخططات والنظريات وتسخير الأدوات والوسائل بالرعاية والديمومة خدمة للطفل المتكلم بتلك اللغة.

هـ / التسامح اللغوي:

يشيع مصطلح التسامح اللغوي شيوعا يدعو إلى ضرورة إيضاح المفهوم أكثر وتحديد مساحة الدلالة التي يرمي إليها في الاستعمال الخاص بالسياق اللغوي حتى لا يقع اللبس بين محمول الدال وتوجيه بعض الاستعمالات المدلول إلى غير هدى ؛« هو مفهوم يعني ببساطة عدم رفض التحدث مع الآخرين باللغة التي يفهمونها حتى لو لم تكن لغتك. الألمان . على سبيل المثال . غير معروف عنهم التسامح اللغوي، فالألماني يرفض التحدث معك بأية لغة كانت إلا الألمانية، وكنت أعاني كلما زرت ألمانيا التي . أعشقها وأعجب بها وبأهلها . من التخاطب بألمانيتي التي تعاني من الكسور والرضوض في كل أجزائها . من الأفعال والأسماء والحروف وحتى الظروف.»[1]

فالدلالة محاطة بشرط التفاعل مع الآخر تيسيرا للتواصل والتبادل لا على حساب الهوية وخصوصيات الشخصية لدى المتسامح أو المتسامح له؛ وقد حدد أحد الدارسين خصيصات التسامح بكلمته الدقيقة والتي اختصرناها أكثر «ولا يكتمل وضوح مفهوم التسامح في الثقافة العربية حتى يكون واضحا أن:

1- احترام الآخر و حقوقه لا يستلزم قبول أو إقرار صحة أو مشروعية أفعال أو أقوال أو معتقدات الآخر التي هي محل التسامح و إنما ينصب الإقرار أو القبول على عدم مشروعية أو صحة قسر الآخر أو إكراهه على تغييرها أو التحول عنها أو عقابه عليه»[2]

---

[1]_ http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=291389&issueno=9622

[2] ينظر التفصيل في مقال الأستاذ عبد الملك منصور حسن المصعبي بهذا الموقع
http://mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html

وثمة مزيد من تلك السمات التي أكد عليها الباحث وهي قمينة بالنظر والبحث؛ كما ينصح بالاطلاع على بعض القراءات المتعلقة بهذا الشأن كالذي قدمه الأستاذ خالد هدنة في بحثه الموسوم: الازدواج اللغوي في الجزائر وانعكاساته الاجتماعية[1].

4 – شرائط نقد الظاهرة وضوابطها:

أولا: اللغة العربية والعولمة

رأس هذه الحقيقة الإلزامية لكل دارسي الظاهرة اللغوية المتعددة؛ هي تحوطهم من كل لبس أو عارض مخل للحركة السليمة أو انحراف عن الغاية المنشودة بركوب جدلية المحافظة على الهوية والتعامل مع الآخر بلباقة لا تضر بالأصل ومرونة تحمل الذات على المحاورة والمجادلة بالحسنى مع الغير.

من أجل ذلك فإن أول شرط يجب النظر فيه والعمل بموجبه كياسة التفاعل مع العولمة ؛ تلك الوقعة التي تستهيض الأطراف المعنية بخطورة التعدد اللغوي وبالأخص العرب الذين هددوا ومازالوا كذلك في هويتهم ووجودهم، رغم الدعوة العالمية المتكررة إلى الحوار، وندرج ههنا قول القائل «اللغة العربية وتحديات العولمة: ماذا أعددنا لمواجهة العولمة اللغوية؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من التأكيد على الحقائق الآتية:

أولا: أن العولمة اللغوية والثقافية واقع معيش، وقدر محتوم، فالقضية في العولمة ليست قضية اختيار فكري، أو ثقافي، أو سياسي، أو اقتصادي في أن نقبلها، أو نرفضها، بقدر ما هي قضية سؤال عن كيفية التعامل معها، واستيعابها، وتحصين لغتنا وثقافتنا لمواجهتها.

---

[1] ينظر التفصيل في مقال الأستاذ خالد هدنة بهذا الموقع http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=36256 ، وينظر : الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية بقلم : د ديدوح عمر، بالمقع : مزيد http://www.almarefh.net

ثانيا: أن العولمة والعولمة اللغوية والثقافية على وجه الخصوص مقبولة إن لم تكن اضطهادا فكريا للآخرين، وأن تتغذى من تنوّع الثقافات والقيم وتعدّد الطموحات المشروعة، واحترام الثقافات والهويات الأممية المختلفة، وقبول الآخر، وهدم الـ(أنا) السيد المطلق، والاعتراف بالتعدد الثقافي واللغوي والحضاري، ولإقرار بأن الاختلاف بين الشعوب ثقافات ولغات أمر واقع.

إن كل هذ كفيل بأن يخلق بين أمم الأرض وشعوبها كبيرها وصغيرها، غنيّها وفقيرها أفقا تنويرياً قادرا على صوغ خطاب حضاري قائم على العدل والمساواة واحترام الآخر.

ثالثا: أن العولمة اللغوية والثقافية يجب ألا تكون نقيضاً لتوجهات الحضارة العربية الإسلامية؛ لأن في صلب الحضارة هذه الحضارة تراثا ثقافيا ضخما وقادرا على تطوير الجانب المضي من حركة العولمة نفسها وفي أي اتجاه تريد أن تسير.

رابعا: أن لبّ العولمة وهدفها الأساسي قائم على بضع كلمات: إزاحة كل شيء غير قادر على المنافسة!»[1].

_فالعناية المكثفة التي لقيتها الدراسات العالمية حول العولمة ليست جديدة في حد ذاتها؛ فالطرائح العالمية القديمة موجودة في المعرفة الإنسانية تاريخيا، وإنما الاختلاف في طريقة التمظهر العولمي وتبعاته على المجتمعات وهويات الشعوب ، وربما الاختلاف شبه التام في هندسة المصطلح الذي يفيد المفهوم نفسه للعولمة.

_ وجوب الطرح السلمي لموضوع العولمة وكذا التعدد اللغوي، كما أن الغريب الذي تخذ صورة مضاعفة هو تعدد التعدد اللغوي لما نقوم بعملية المقارنة بين الشعوب والمجتمعات والألسن على مستويات عديدة مختلفة منها مستوى

[1] د. هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن:2010، ص 17، 18.

القومية والعرق والدين والجهوية والقرار السياسي والعسكري والاقتصادي والخلفيات الفكرية والفلسفية.

_ الحضارة العربية الإسلامية كفيلة بخصائصها ومخزونها التاريخي بتوجيه نفسها نحو مستقبل يحفظها وينجح التوجه السليم للاستعمال اللغوي ؛ كما أنها حضارة تضم في أبجدياتها أسس التعامل مع الآخر.

_ يختزل الدكتور هادي جوهر العولمة في معنى فحواه إقصاء كل طرف لا يستطيع المنافسة؛ وهو صحيح ؛ لكن الأخطر فيما أرى أن العولمة وروادها بشتى توجهاتهم وخلفياتهم وطرقهم لا يتيحون خيار التنافس النظيف والبريء لكل الشعوب والدول إلا بشروط تعجيزية وإقصائية واستعلائية.

ثانيا : الطفل محور صنع النجاة:

هذه شريطة أم في محاولة النقد الصحيح الجاد لظاهرة التعدد اللغوي؛ لأن تعلم الطفل بناء اللغة السليمة في التواصل اليومي مع العالم من حوله أنجح سبيل في القضاء على الظواهر المشينة بمسار الرصيد اللغوي للطفل وتنميته على أرشد أساس بيداغوجي منهجي معرفي ناجع، وضابط هذه الشريطة صناعة الأهداف وتخطيطها العلمي المتقن و هذا ر أي في الصدد « أهداف تعليم اللغة:

تؤدي اللغة للفرد وظائف متعددة تتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، وإن أهمية اللغة لا ترجع إلى كونها وسيلة للتخاطب والتواصل بين الجماعات والأفراد أو بين الفرد وذاته فقط، وإنما ترجع إلى كونها رمزا للهوية التي تميز شعبا عن شعب وتطبع حضارته ودرجة حضوره في مسرح الوجود والحياة، وصولا إلى الاستدلال على ما في أعماق النفس وتصورات الذهن، وثمة تلازم بين الفكر واللغة فمن لا عقل له ولا فكر فلا لغة سليمة لديه، ولا سبيل إلى اعتباره جزءا ملتحما بالكل الذي هو المجتمع» [1]... «وإذا كان الهدف المنشود من العملية

[1] – د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع 01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، ص 25.

التعليمية يتمثل في بناء الفرد فكرا ونزوعا وأداء فإن أهداف تعليم لغتنا العربية تتمثل في:

1. إكساب المتعلمين المهارات اللغوية محادثة واستماعا وقراءة وكتابة.
2. تنمية الثروة اللغوية والفكرية للتمكن من الاتصال مع الآخرين والتواصل معهم بلغة عربية فصيحة بكل سهولة ويسر وتلقائية إن بطريق المحادثة أو الكتابة.
3. تنمية القدرة على فهم ما يستمع إليه وقراءته بلغة عربية فصيحة، وإفهام الآخرين بلغة عربية صحيحة نطقا وكتابة وبالسرعة المناسبة.
4. تطوير القدرة على قراءة النصوص الأدبية المختلفة وفهمها وتذوقها وإدراك بعض مواقع الجمال فيها وتحليلها ونقدها.
5. غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس الناشئة بحيث يغدو الكتاب الصديق الصدوق.
6. إكساب الناشئ القدرة على اختيار المادة الصالحة للقراءة.
7. صقل مهارة الكتابة الصحيحة الجميلة في ضوء قواعد الإملاء والخط العربي وتنمية المواهب الفنية في مجال الخط العربي.
8. التمكن من أساسيات اللغة العربية وأحكامها الوظيفية إملاء ونحوا وترقيما ودلالة وصولا إلى الفهم الصحيح والقدرة على التعبير السليم تعبيرا وظيفيا وإبداعيا وابتكارا.
9. تعزيز الميول والأهداف الأدبية وصقلها وتنمية الذوق الجمالي وصولا إلى الابتكار والإبداع.
10. تنمية القدرة على التفكير العلمي والبحث والتحليل والنقد والحوار من خلال اللغة.

11. الإفادة من التقنيات الحديثة كالحاسوب والشابكة وتقانة المعلومات والوسائل المعينة... إلخ في سبيل تسهيل العملية التعليمية التعلّمية تحقيقا للأهداف المرسومة.

وهكذا نجد أن الغاية من تعليم اللغة هي أن نجعل الطفل قادرا على استعمال اللغة في مختلف الظروف التي يعيش فيها والأحوال الخطابية التي يمر بها لاسيما تلك التي تطرأ في الحياة اليومية، ثم على استعمالها سليمة من كل لحن وعجمة»[1] .

« وعلى صعيد محدود واعتبارا لما يتضمنه اختيار اللغة في الحقل التربوي التعليمي في قطر ما من نتائج، فإن الطفل الذي نطق بعامية بلاده، ينبغي عليه أن يواجه بغتة لغة مكتوبة تختلف عن العامية التي يستخدمها بفطرته، فوجب عليه التدرب على اللغة الجديدة مع ما يكتسي ذلك الأمر من عسر، فطالب بعضهم بتعليم لغة البيت في المدرسة واغتنام الفرصة لتقريبها من الفصحى. وإذا تقفينا هذه الظاهرة وتأمّلناها، فلا شك أننا سنكتشف أوضاعا خاصة كل قطر عربي. فقد تصير الازدواجية اللغوية ثلاثية (مثلا في الجزائر الفصحى، اللهجة العربية، اللهجة البربرية، الفرنسية»[2].

«يعدّ تعليم اللغة حدثا نفسيا معقدا ينجم عن عوامل مختلفة فيزيولوجية واجتماعية ونفسية. وللأسرة دور كبير في سرعة هذا التعليم؛ إذ أن أطفال الوسط الأسري والاجتماعي ذي المستوى الرفيع يكتسبون الكلام أكثر من غيرهم ولكن لا يخفى دور المدرسة بعد ذلك لأنها جزء من الوسط الاجتماعي، فدور المعلم أساس هو الآخر في النهوض بلغة الأطفال والارتقاء بها في العملية التعليمية.

---

[1] د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع 01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، ص 25.

[2] د.محمود المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان: 1984، ص525.

وعلى المدرسة أن ترمم الثغرات في لغة الأطفال وأن تغني بيئتها بالمثيرات والأجواء المشجعة على التنمية اللغوية»[1].

5- الكيفيات البديلة ومستوياتها:

يقول الدكتور محمود السيد في بعض عرضه لمفاتيح العلاج المنهجي للظاهرة أن « تحقيق وحدة اللغة في المنهج، ونسخ ما كان سائدا من قبل من حيث النظر إلى اللغة على أنها فروع، إذ إن النظرة الحديثة ترتكز على أن اللغة وحدة متكاملة، وأن الانفصال في تعليمها لا يخدم ممارسة اللغة في مواقف الحياة، وأن فروع اللغة ما هي إلا أجزاء لكل، وليست غايات في حد ذاتها، وإنما هي وسائل لتحقيق وظيفة التواصل اللغوية.

التركيز على التمهير وإكساب المتعلمين المهارات اللغوية إرسالا في المحادثة والكتابة واستقبالا في الاستماع والقراءة، ذلك لأن التمهير يؤدي إلى أن تغدو اللغة عادة لدى المتعلم في استعمالها . والتمهير يحتاج إلى المران والممارسة في مواقف الحياة بصورة طبيعية، كما يحتاج إلى توفّر القدوة الحسنة أمام المتعلم وتعزيزه إن كان أداؤه جيداً، وتوجيهه إن كان أداؤه دون المستوى»[2].

ثم بعد هذا لابد من النظر المسؤول في برامج ومناهج تدريس اللغة العربية؛ لأنها مفتاح لكل بديل يحفظ سلامة المعاملات اللغوية عند الناشئة من المتعلمين، وهذا هم معظم المنظومات التربوية في كل بلد، لكن يجب مراعاة الهندسة اللغوية المتعددة لدى المتعلم وبالخصوص في المراحل الأولى للدراسة، إذ يلزم الخبراء والمسؤولون والمخططون والمدرسون... احترام شرط الأولوية في نوع اللغة المقدمة والراجحة وفق الهوية الوطنية؛ ولا بأس فيما بعد التفنن التعدد المثمر والمثري لا التعدد المخزي والماحي لمعالم الهوية.

---

[1] د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال، ص 25

[2] د.محمود السيد، المنهج المدرسي للغة العربية (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 84، ج2، مطابع دار البعث، سوريا: 2009، ص 316.

وعليه نركز ههنا على المحورين التاليين في كيفيات البدائل الفورية ومستوياتها :

1- اختيار التعليمية قبل تعليمية الاختيار:

تواجه المنظومة التربوية الجزائرية تحديات كبرى على الصعيدين الداخلي و الخارجي؛ فعلى الصعيد الداخلي تتوارد عدة تساؤلات وهموم شغلت و ما تزال تشغل الكثير من القائمين على العملية التربوية، ومن تلك التساؤلات: ما مدى استيعاب القائم على العملية التعليمية للمنهاج التربوي المعتمد؟ وهل ثمة رضى وقناعة تربوية و علمية من لدنه إزاء تلك التبديلات والتعديلات التي تطرأ بين الفينة والأخرى على برامج المنظومة التربوية؟ ما مدى توافق تلك المناهج وقدرات المعلم وكفاءته وأهليته وفاعليته؟ هل من سبيل إلى تحقيق رؤية بيداغوجية واحدة وترسيخها على الأقل – مدة كافية من الزمن– ريثما تتبيّن نتائج هذا المنهج أو ذاك؟.. أم أن سنة التبديل و التغيير باتت – هي أيضا– رهينة مبدأ السرعة و التسارع؟!!! وهل عمليات التأطير و التأهيل البيداغوجيين كافية و كفيلة بسد متطلبات ما اعتُمِد من منهج تربوي؟ هل تتوفر فعلا الآليات والوسائل والأدوات اللازمة للشروع في هكذا منظومة تربوية؟.. أم على المعلم والمتعلم الاكتفاء بما يلقيه أو يُلقَى عليه من تنظيرات وحشو وجرد وسرد؟!!!

أما على الصعيد الخارجي، فهل ما تبنّته المنظومة التربوية من منهاج بيداغوجي جديد مستعار من صنوه الأجنبي، كسابقه – منهاج بيداغوجية الأهداف– حقيقٌ بالصمود والبقاء في ظل متغيرات أجواء السياسة التربوية الداخلية و الخارجية على حد سواء؟ هل تمت مدارسة واستقراء هذا المنهج الجديد و هل استُوعبت أسباب تبنّيه وهل حُدّدت أبعاده و استُبحثت أهدافه قبلاً أم نزل – هكذا– فجأة على ساحتنا التربوية دونما إشعار؟ أم علينا الرضوخ إلى المقولة التقليدية: النتائج تأتي بعد الأسباب؟.. هل استوعِب درس بيداغوجية الأهداف لنُقحَم من جديد في درس الكفاءات و المهارات؟؟!!

إن مهمة اختيار المناهج التربوية الكفيلة باستقرار المنظومة التعليمية التعلمية أولى وأقمن بالعناية من النظر في كيفية إعداد المضمون واختيار النصوص وانتقاء المواضيع، لأن الهيكل أولى نشأة و تكوينا من المحتوى، و لهذا فالاهتمام بالمنظومة التربوية من حيث تركيبتها العامة و مرجعيتها و توجهاتها وأبعادها و وسائلها و أهدافها من الأولوية بمكان؛ إذ لا يُعقل الاكتفاء باستعارة آلة أو وسيلة دون النظر في البيئة أو الواقع الذي استُلّت منه ثم المحل أو الحقل الذي ستعمل فيه، ومدى قابلية تأقلمها معه ومدى خضوعها واستجابتها لمقاييسه و أعرافه وقيمه... إن مهمة كهذه لهي خطوة ضرورية بل أساسية في النهوض بمشروع منظومة تربوية قارّة وهادفة.

ثم إن التمعّن في خصائص المناهج التربوية التي تواترت على مؤسساتنا التعليمية في الجزائر، ومن خلال قراءتنا المتأنية للنموذجين الأخيرين "نموذج بيداغوجية الأهداف ونموذج بيداغوجية الكفاءات" نجد أن فكرة التقريب بالكفاءات هي امتداد طبيعي للتعليم البيداغوجي القائم على أساس الأهداف، و «يمكن أن نستنتج و بدون أي ريب، أن بيداغوجيا الكفاءات – على غرار بيداغوجيا الأهداف– نشأت في إطار الطرح الصناعي والتكنولوجي، الذي يسعى إلى تحقيق الفعالية والمردودية، بل يمكن القول إن تبني العديد من المنظومات التربوية لبيداغوجيا الكفاءات (الجزائر و تونس والمغرب وفرنسا و بلجيكا وغيرها...) يعتبر خطوة هامة، ليس فقط للاستجابة لمتطلبات المجتمع من موارد بشرية واقتصادية، ولكن للاستجابة أيضا لملء الثغرات التعليمية التي كشف عنها علماء التربية بالنسبة لبيداغوجيا الأهداف »[1]، وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين النموذجين ألفينا بعضا من الفوارق المائزة بينهما؛ فمنها مثلا أن بيداغوجية الأهداف ترتكز على هدف عام ومحدد تنبثق منه أهداف فرعية خاصة عكس بيداغوجية الكفاءات التي

[1] د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، مجلة دراسات، جامعة عمار الثليجي، الأغواط، الجزائر، ع: 03 –ديسمبر، 2005 ، ص: 181 ،182

تنطلق من أهداف عامة تتمثل في كفاءات متعددة منها القدرة على الفهم والاستيعاب والتحكم في آليات التفكيك والتركيب وحيازة المهارات والإبداع، كما تعتمد الأولى على الجهد المشترك بين المعلم و المتعلم، بينما تكتفي الثانية بجهد المتعلم على وجه الخصوص، ويُعتبر المعلم في النموذج الأول المسؤول الرئيس في تلقين المعلومة وبث المعرفة، أما في النموذج الثاني فللمتعلم أن يسهم في عملية صياغة المعلومة ويشارك في بث المادة المعرفية حسب مكْنته وعلى قدر جهوده المبذولة و كفاءته الذاتية... ومجموع القول في هذه المقارنة أن ثمة نقلة نوعية تتم بين ذينك النموذجين، ففي النموذج الأول كانت تتم العملية التعليمية على النحو التالي:

المعلم Ã المعلومة Ã المتعلم

فالمعلومة هي واسطة العملية التعليمية، أما في نموذج التقريب بالكفاءات فقد أضحت تتم على أساس أن المعلم هو واسطة العملية التعليمية، أي على الشاكلة التالية:

المعلومة Ã المعلم Ã المتعلم

ولأجل ذلك، فلا بد من مراعاة هذه المفارقة الوظيفية والأخذ بمعطياتها و متطلباتها ثم العمل وفق ما تقتضيه من آليات ووسائل لم تكن متاحة وقتئذ، لكن بعيدا عن التهاون أو التكلان أو المماطلة أوصبّ جام المسؤولية على طرف واحد.. وقبل هذا وذاك: أن لا يُغفل الهدف الأساسي المنوط بالعملية التعليمية التعلمية؛ ألا وهو نجاح عملية التلقي واكتساب الهدف المرجو لدى المعلم و المتعلم على حد سواء مهما اختلفت الطرائق و النماذج والمناهج...

ومهما يكن، فما من نموذج تعليمي إلا ويعتريه النقص والخصاصة، ولا ضير عندئذ من أن تطال نقائصَه وفجواتَه نقودُ المختصين وتقويماتهم، ولعل هذا ما يدعونا إلى التملّي الدقيق والنظر العميق والبحث الحثيث عن مكامن النقص ومواطن الخلل في النموذج المراد تبنّيه قبل اختيار طبيعة المادة التعليمية التي

نود تلقينها، ناهيك عن مطارحة الواقع الذي تتم فيه وخصوصيات أفراده ومشاربهم وسلوكاتهم، لأن الواقع هو الكتاب الأول الذي تتفتّح عليه أعين الناشئة والمبتدئين، ولا أسمى من ذلك الهدف المنشود الذي نبتغيه لهم.

2- تعليمية الاختيار بين الثابت والمتحول:

لطالما أن الجزائر على غرار مثيلاتها من الدول العربية قد «عدَّلتْ مناهجها غير مرّة، وعقدت الندوات والمؤتمرات لتقويم المردود التربوي، واعتمدت النظريات التربوية الغربية الحديثة، إلا أن ذلك كله لم يكن غير لبوس زاهٍ لجسد خاو ماتت فيه جذوة الإبداع والوطنية والتفكير الحرّ ، حيث حُدِّثَ شكل التربية وبقي مضموناً تقليدياً يقمع الذاتية الفردية للطفل، ويخلق فرداً تابعاً مطيعاً يملك معارف شتّى ولكنه غير قادر على الربط بينها »[1]، ورغم ذلك فجميلٌ ما انتهجته المنظومة التربوية من جديد في التوجه والأسلوب والمنهاج والأهداف القريبة والبعيدة، وجميل كل ما من شأنه أن ينأي بمؤسسات المجتمع وقطاعاته التعليمية والتربوية والانتاجية والخدماتية بعيدا عن مهاوي الإفلاس والركود.

لكن هناك ثمة انعطافة تستوجب الوقوف عندها ثم التأمل في ما سيؤول إليه مجتمعنا بعد جيل أو جيلين من تبنّي هذا الوجهة الجديدة، ونقصد بذلك التوجه الذي عقد العزم على تحويل المؤسسة التربوية التعليمية إلى مؤسسة إنتاجية عنوانها العرض والطلب والربح والخسارة، «فلقد كان من نتائج استخدام مفهوم الكفاءة كمبدأ منظّم للمؤسسة الإنتاجية بصفة خاصة، وفي مجال العمل بصفة عامة، أن تسرب هذا المفهوم إلى ميدان التربية والتعليم، فأصبح ينظر إلى كل مؤسسة تعليمية/ تكوينية على أنها مؤسسة للاستثمار والإنتاج، تشتغل وفق المقاربة النسقية بمدخلات وعمليات ومخرجات، لتحسين المردودية، وتحقيق الجودة في إنتاج الموارد والطاقات البشرية »[2]، وعليه فإذا كان مفهوم التعليم

---

[1] سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص:128 ، بتصرف.

[2] د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، ص: 180

بتقريب الكفاءات يقوم على الأسس الثلاثة: الحس المعرفي والحس الوجداني والحس الحركي فإنه من اليسير تقويم تلك الكفاءة من خلال سلوكات معينة و محددة قابلة للقياس و التقييم؛ و منه فعلى قدر إنجازات المتعلم ومجهوداته تتحقق الكفاءة المتغياة، ويضحى عندئذ همّ المتعلم الإنتاجُ والجودة و المردودية، وبذل المزيد من ذلك حسب ما ترتضيه متطلبات المؤسسات الإنتاجية الأخرى ليجد مكانا مناسبا في إحداها، وإلا فيُعاد إلى مؤسسته ليعاود الكرة من جديد ما أمكن ذلك.

إن إخضاع المؤسسة التربوية التعليمية إلى قانون السوق والعمل ليتطلب من العامل المتعلم الحرص على أداء وظيفته قصد الحصول على منتوج يجب أن يتوافق ومعايير الجودة والإتقان، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتلقين الجيد والاكتساب المحكم والدربة الأوفى، لكن ماذا يجب أن يُلقّن؟ وما هو الاختيار الأمثل للمادة التعليمية الخامّ التي يجب أن يتلقاها وما طبيعة عناصرها وألوانها وأشكالها وظلالها وتحولاتها؟

إن الكتاب المدرسي أو المقرر كما اعتيد تسميته هو سند بيداغوجي للمسار التعلمي التعليمي الموجّه للمعلّم عامة وللمتعلّم على وجه الخصوص، فهو يحتوي المواضيع المتعلقة بالبرنامج الدراسي الخاص بكل مادة تعليمية أوطور تعليمي أو مستوى تعليمي، و يقدم بشكل عملي ومباشر المعارف والمفاهيم الأساسية من معلومات وشروحات و تمرينات وأنشطة وقواعد وتلخيصات وتقييمات، وبعد مرور الكتاب المدرسي بمراحل عدة أهمها مرحلة ما بعد الاستقلال فمرحلة جزأرة الكتاب ثم أخيراً مرحلة التجديد والتنويع، فقد أضحى لزاماً تولية هذا السند العناية التامة و الاهتمام البليغ من حيث المضامين والأهداف التي سطرتها سياسة المنهاج الدراسي الجديد، وكذا الكفاءات المتوخاة من كل مرحلة تعليمية.

بعد النظر الدقيق والمراجعة المستفيضة لمحتويات جلّ الكتب المدرسية المقترحة لتعلم اللغة العربية في مختلف الأطوار التعليمية، لا بأس أن نكاشف عن بعض الملاحظات والنقود التي شدّت انتباهنا ونحن نستقرئ طريقة بناء نصوصها و كيفية انتقاء مواضيعها، ومن أجل ذلك فلا بد من التنويه بدءاً بإيجابيات هذه الصيغة البيداغوجية الجديدة الهادفة إلى تحقيق الكفاءات اللغوية الأساسية: الإصغاء و التحدث والقراءة والكتابة؛ فمن محاسنها تبسيط جلّ المعارف والمعلومات وجعلها في متناول التلاميذ حسب مستوياتهم الدراسية، وكذا إشراك المتعلم في عملية التحصيل والتلقي وتحسيسه بروح المسؤولية التربوية المتمثلة في الاعتماد الكلي على قدراته ومهاراته، بالإضافة إلى اشتمالها على الطابع الجماعي من حيث الأداء، وكذا الصيغة الإدماجية القائمة على مبدأ توجيه المتعلم نحو تشكيل روابط منطقية بين مختلف الأنشطة التي يتلقاها من جهة، وبين معطيات العملية التعليمية وواقع مجتمعه من جهة أخرى، ومن محاسنها أيضاً إعداد المتعلم و تهيئته لمواجهة مواقف ووضعيات جديدة بإعطائه حرية التصرف في اتخاذ الموقف الملائم وكذا استعمال مكتسباته وقدراته الخاصة في ما قد يطرأ من وضعيات مختلفة، ومنها أيضاً ميزة التقييم الذاتي وبيداغوجية المشروع المدرجتين في نهاية كل وحدة أو محور تعليميين أو فصل من فصول الكتاب، ومما يُحمد لها أيضاً انتقاؤها لبعض النصوص و الموضوعات المتضمنة لآلياتٍ وكيفيات نوعية دقيقة من شأنها الإسهام في ترسيخ التربية الاجتماعية والمدنية والأخلاقية والثقافية...

ومن النقائص والسلبيات التي نراها قد اعترت بعضاً من هذه المضامين؛ عدم مراعاة بعض المقاييس والمعايير الضرورية كمقياس الحجم الساعي وأعمار التلاميذ... فكم من نصّ مختار لا تكفيه حصة أو حصتين و كم من موضوع لا يتلاءم و سن التلميذ...، ومن ثمة فهناك إشكالية في اختيار النص أولاً ثم في طريقة عرضه وتحليله ثم استيعابه؛ فعلى اختلاف مشارب المؤلفين – وواضعي

النصوص الأدبية المقررة– وتفاوت أذواقهم وتوجهاتهم كان لا بد من النظر في هذه الخطوة بتدبر وتمعن دقيقين لئلا تتعارض تلك المختارات و الأهداف المقررة من كل نص أو وحدة أو برنامج تعليمي، فمن أولئك من يميل إلى اختيار النصوص الشعرية أو النثرية المشهورة و منهم من يحبذ النصوص المغمورة؛ و هذا ما ألفيناه جلياً في بعض الكتب المقترحة، و فيما يتعلق بدور وزارة التربية الوطنية في هذا الصدد فثمة عدم تنسيق بينها و بين دور التأليف و النشر و المختصين بأدب الطفل و ثقافتهم عامة؛ إذ يقول الكاتب رابح خدوسي مدير "دار الحضارة للنشر و التوزيع" أن ثقافة الطفل و أدبه في المنظومة التربوية ناقص جداموكدا أنه «من حيث المنهاج فهي تقدم كتّاب و أدباء أغلبهم من خارج الجزائر، و قليل جدا من الكتاب الجزائريين الذين ترد أسماؤهم في الكتاب المدرسي»[1] ، كما لاحظنا أيضاً أن بعض النصوص المقدمة معقدةٌ في بعض مفرداتها المعجمية، و نحن نعلم أن المنهاج الجديد يعتمد على اقتصاره على شرح يسير لبعض المفردات، ثم إن الشرح المعجمي لا يكفي و قد يتعارض أحيانا مع سياق المفردة داخل النص، و هذا مما يستوجب على المعلم أن يوضح ما أُشكل على المتعلمين في ذلك، و يتطلب ذلك مدة زمنية ليست باليسيرة، و هذا مما يعطّل ويؤخّر و يقصي بعض عناصر العملية التعليمية فيُخلّ بسيرها و أدائها الجيد، و إذا كان الهدف الأساسي من تدريس اللغة العربية أن يتشبع المتعلم بالمشاعر التي يتضمنها النص ويتمثّل قيمه الجمالية والفنية والأدبية و اللغوية و الفكرية و النفسية والاجتماعية، فهذا ما ألفيناه يتعارض و بعض النصوص المنتقاة في بعض الكتب، ولأن النص الأدبي يجب أن تتوافر فيه الجمالية الأدبية واللغوية والبلاغية والنحوية مع المضمونية المعنوية التي تكفل للمعلم والمتعلم

[1] جازية روابحي، واقع أدب الطفل في الجزائر، مقال منشور بتاريخ 31 أكتوبر2007، تحقيقات و آراء، مركز الأخبار، أمان.www ، بتصرف

حقلا معرفيا شاسعا يتفاعلان فيه، فهذا لا يعني انتقاء النصوص ذات الغموض اللغوي والتعقيد النحوي و الأحادية في الدلالة والوظيفية والإيصال.

ومن مآخذ هذا الطرح الجديد أنه قد اعتمد في بعض الكتب مختارات حافظت على مبدأ التسلسل الزمني للأدب بدءاً من عصر ما قبل صدر الإسلام إلى العصر الحديث، بيد أن أخرى قد أهملت هذا الترتيب، وهذا مما قد يكوّن عائقا دون الفهم لدى بعض التلاميذ، ومن ذلك أيضاً اختيار بعض النصوص البعيدة عن اهتمام المتعلمين و رغباتهم و واقعهم المعيش، وفي مقابل ذلك تغييب بعض النصوص ذات الصلة الوثيقة بطبيعة العصر و تحدّياته و المرحلة النفسية لدى المتعلمين، و إذا كان «من سبل الترويج للعربية إعداد المناهج الجيدة الصالحة و الموائمة لهذا العصر، فالمنهج الجيد مع الأستاذ القدير والطالب الجاد هي القواعد الأولى في صرح العملية التعليمية الناجحة في عصر التطور العلمي والتكنولوجي، و إعداد المنهج في مادة اللغة العربية يتطلب اختيار طاقات من ورد بستانها الوارف، وتراثها العظيم، و تقديمها للأجيال لكي يتعرفوا على خصائص هذه اللغة الخالدة، و مزايا اللسان العربي المبين»[1]

لقد تعددت منابع المعرفة و تنوعت مصادر المعلومة « ولاسيما منها وسائل الإعلام المرئية، حيث ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل – بما تملكه من نفوذ جماهيري– إلى معاول تنسف اللغة، وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى الحضيض. لاسيما إذا كان التلاميذ يقبعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون فوق مقاعد الدراسة، فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضوا 20000 ساعة مشاهدة في مقابل 15000 ساعة في المدرسة، ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية تقيم جسرا منيعا مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم معرفية عديدة، قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل

[1] د. محمد رفعت زنجير، قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجهها اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة : http://www.dmr.50g.com/m2.htm

مزاحمته »[1] ؛ ولهذا « فليس بمستغرب أن نجد انتشار ظاهرة تراجع المستوى الدراسي لأطفال التلفاز فضلا عن تدني قدراتهم العقلية والخبرات الخاصة نتيجة حرمانهم من ممارسة القراءة، يقول برونو بتلهايم، Bruno Bettelheim : التلفاز يأسر الخيال لكنه لا يحرره أما الكتاب الجيد فإنه ينبه الذهن ويحرره في الوقت ذاته... فتصبح القراءة ممارسة سطحية، ويرجع السبب إلى الانتباه المسترخي غير المركز (السلبية العقلية) المصاحب للمشاهدة التلفازية الذي يعوق نمو قدرة الأطفال على تفسير المادة اللفظية بطريقة ذات معنى مما يجعل عملية القراءة والتحصيل شاقة جدا »[2]، فأنّى لهم – و الحال هاته – أن يفقهوا لغتهم ويتقنوها و أن يحبّوا عربيتهم و يتبنّوها؟!،

ولأجل ذلك لا بد من انتقاء النصوص الأدبية ذات المجال الرحب للدراسة و التنقيب والتي تنسجم مع المنهج التكاملي و الأسلوب الشامل الذي يخترق عوالمها، وكذا اختيار المواضيع القريبة من واقع الفئة المتعلمة و أعمارها، ولا فرق في ذلك كله بين الانتقاء من تراثنا الأصيل أو حاضرنا المعاصر؛ «والظن بأن الأمة العربية مرشَّحة للتبعية الكاملة للغرب في القرن الحادي والعشرين إذا لم تتدارك أمر حاضرها المفضي إلى مستقبلها. أو فَلْنَقُلْ إنها مدعوة لانتقاء العناصر الإيجابية من الماضي والحاضر لتجعلها عماد الثقافة العربية عموماً، والثقافة المستقبلية للطفل العربي خصوصاً. والعناصر المنتقاة هي التي تُشكِّل جوهر التربية العربية الجديدة، جوهر العمل والمواطنة والانسجام والجماعة والابتكار والأخلاق. إنها الثوابت الجديدة القادرة على مواجهة متغيِّرات المستقبل»[3].

ومن جهة أخرى « علينا أن ندرك أن النحو و الصرف و البلاغة وسائل لتمثل النص وتذوقه وليست غايات بحد ذاتها، و يستدعي هذا أن يكون النص

---

[1] علي حمودين، اللغة العربية في ظل الإعلام والعولمة، أي واقع؟ أي مصير؟ مداخلة، الملتقى الوطني الثاني لقضايا النحو العربي جامعة عبد الرحمان ابن خلدون، تيارت.

[2] أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات و المواجهة: www. alfal agg@yahoo.com

[3] سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، ص:130 ، 131

محورا لدراسة علوم اللغة مندمجة لا مفرقة في حصص مستقلة يسأم فيها الطالب من رتابة البحوث و ينفر من لغته بدل أن يحبها ويتقبلها. فالعملية التعليمية للغة يجب أن تتحرر من التجزيئية والقواعدية، واعتماد النص محورا للنشاط اللغوي كله»[1] ، لكن هذا لا يمنع من احتواء الكتاب على ملحقات مبسطة لعلوم النحو و الإعراب و الصرف والإملاء (كفاءة الكتابة) والصوت واللسان (كفاءات الإصغاء و التحدث والقراءة)، ممّا يثري رصيد التلميذ و يساعده حفظاً و استيعاباً واستذكاراً و فهماً لأن « للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها: كالقلب المكاني، والنحت، والتعريب.. و غيرها. ومن مرونتها كذلك، الظواهر الصوتية من إبدال، وإدغام، وإظهار، وإخفاء، وروم، وإشمام، وأيضاً اسم المكان – الزمان – السببية – الحرفة – الأصوات – المشاركة – الآلة – التفضيل... وغيرها»[2]

ولا بد من الوقوف ههنا على قضية هامة و خطيرة، ألا وهي تغييب تقنية الإعراب التعليلي في كثير من الأنشطة و التدريبات والتمرينات و إبدالها بالإعراب الاجتزائي الذي أحال جمال الإعراب العربي إلى عضين مفككة موضعيا؛ و في هذا مغالطة و تناقض كبيرين فيما هو كائن وما هو مأمول من المتعلم في الظفر بكفاءة التحكم في قواعد لغته وحسن التصرف فيها وبها؛ إذ كيف يُعقل أن يُطلب منه إعراب جملة دون تعليلٍ وافٍ تترسخ به القاعدة النحوية في ذهنه أو كيف به إذا صادف وضعية إعرابية أخرى شبيهة بسابقتها؟؟!!

إنه بهذه المغالطة التعليمية سيعتقد أن المثال أو النموذج التطبيقي هو القاعدة لا محالة، والميدان خير شاهد على هذا؛ فهذا ما عوّدنا عليه وفاجأنا به الكثير من التلاميذ حينما يجيبون عن سؤال يتضمن مثالا ما بمثال آخر، أو

---

[1] د. حسن بن فهد الهويمل، النص الإبداعي التربوي، إشكالية الاختيار و الدرس، مجلة المعرفة، ع: 38 ، جمادى الأولى 1419 هـ، سبتمبر 1998 م. www.bab.com/articles/full_article.cfm

[2] أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات و المواجهة.

محاولتهم الاستعانة بمثال سابق؟؟... ثم أليس هذا ما نجده في مادة الرياضيات مثلا؟؟!!! ثم إن ذلك مما يقتل روح الموهبة و الإبداع و شتى الروابط المنطقية لدى المتعلم؛ « إذ يُعرف الموهوب في الحقل الأدبي من تفوّقه في القراءة والتعبير، وميله إلى المطالعة وتذوّق الجمال في النصوص المكتوبة والمسموعة، وقدرته على مخاطبة الآخرين وإيصال أفكاره إليهم، وإسهامه في النشاط اللغوي العام، واندفاعه الذاتي للنقد والحكم والتحليل.

ويُعرَف المبدع من تحلّيه عادة بالدلالات الخارجية السابقة الخاصة بالموهوب، إضافة إلى القدرة على الإنتاج الإبداعي الذي يتصف بالجدّة. . ومن المفيد أن أنصّ على أن الموهوب يصير مبدعاً، والمبدع يصير عبقّرياً، إذ ا توافر المناخ التربوي الملائم.. وهذا يقودنا إلى أن تربية الإبداع لدى الأطفال يجب أن تُعْنَى بالموهوبين أوّلاً لأنهم أكثر عدداً، ولأن هذه العناية قادرة على قيادة الموهبة إلى الإبداع إذا توافرت في الموهوب قدرات كامنة تستطيع التربية إثارتها وحفْزها على الظهور. وربّما برز العبقري من صفوف المبدعين إذا كانت القدرات الكامنة والاستعدادات الوراثية أكثر أصالة وميلاً إلى العمل»[1].

6- المقترحات والتوصيات:

_ أبدأ بأول مقترح وهو أن اللغة الجامعة والتي هي أكبر من التعدد اللغوي في الزمان والمكان وشتى أصول الإنسان أيا كان ؛ هي الحوار بالحسنى والتعارف لا التناكر؛ الحوار الذي يقدم الإنسانية على كل الاعتبارات.

_ جميل هذه الندوة بطابعها العالمي ؛ لأنها بهذه الأطروحة العالمية قد أصابت الهدف الأسمى لمحاورها، والخروج بمسألة التعدد اللغوي من الإطارات الضيقة إلى إطارها الأوسع؛ والأجمل أن توسع تفعيلات النتائج والتوصيات والاقتراحات المقدمة في كل البحوث إلى دائرة التطبيق والقرارات الرسمية المسؤولة

[1] سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص: 27 ، 28

عن تطوير اللغات العالمية وترقيتها نحو العطاء والتحاور والتلاقح والتكامل، لا الإقصاء والتعالي والانطواء والعرقية والحمية الجهلاء...

_ محاولة إقناع التوجهات التي تركب محاولات التعصب السلبي والتشدد المقلق في عمق الأوطان العربية تجاه اللغة مهما كانت...؛ وتوجيهها بالحكمة إلى خدمة مجتمعاتها بالخير والسلام وحملها على التعامل مع ذاتها والآخر

القائمة الاسمية للمصادر والمراجع

_ القرآن العظيم

– موسى لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط: 3 ، 1984.

_محمود المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان: 1984،

د. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس: 1994.

د. هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن:2010.

سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

___ د .محمد الحباس ، (مقال) ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،ع 8،2008، ص 275،295.

– عبد الرحمن الحاج صالح ، الرصيد اللغوي للطفل العربي،وأهميه الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر (مقال) ، مجلة الممارسات اللغوية ، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 1، 2010 ،

_مختار نويوات ؛ كلمة رئيس التحرير (مقال) ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،ع 8،2008،

_د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010

–محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، (مقال)، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية،ع2006،11.

صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، مجلة اللغة الأم، دار هومة، 2004،

_.د.محمود السيد، لغتنا الأم العربية الفصيحة (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج1، مطابع دار البعث، سوريا: 2009،.

– د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010،

د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010،.

د.محمود السيد، المنهج المدرسي للغة العربية (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج2، مطابع دار البعث، سوريا: 2009.

محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، مجلة دراسات، جامعة عمار الثليجي، الأغواط، الجزائر، ع: 03 –ديسمبر، 2005

د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، جازية روابحي، واقع أدب الطفل في الجزائر، مقال منشور بتاريخ 31 أكتوبر2007، تحقيقات و آراء، مركز الأخبار، أمان

علي حمودين ، اللغة العربية في ظل الإعلام والعولمة، أي واقع؟ أي مصير؟ مداخلة، الملتقى الوطني الثاني لقضايا النحو العربي جامعة عبد الرحمان ابن خلدون، تيارت.

د. حسن بن فهد الهويمل، النص الإبداعي التربوي، إشكالية الاختيار و الدرس، مجلة المعرفة، ع: 38 ، جمادى الأولى 1419 هـ، سبتمبر 1998 م.

أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات و المواجهة.

– علي القاسمي "السياسة اللغوية في البلدان العربيّة: الإعلام نموذجا"جريدة القدس العربي، 2010م، الموقع:
http://www.manfata.com

أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات والمواجهة:
alfal agg@yahoo.comwww.

د. محمد رفعت زنجير، قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجهها اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة:
http://www.dmr.50g.com/m2.htm

د ديدوح عمر، الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية

بالموقع : مزيد http://www.almarefh.net

التفصيل في مقال الأستاذ خالد هدنة بهذا الموقع
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=36256

_عبد الملك منصور حسن المصعبي بهذا الموقع
http://mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html

_ المصطفى تاج الدين ، اللغة والهوية ن (مقال) ، موقع مجلة التسامح : http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=19

تأملات ابستميولوجية في اللغة الجامعة واللغة الوطنية

أ/ مليكة النوي – جامعة باتنة

مقدمة:

تسعى هذه الورقة إلى مساءلة اللغة الجامعة باعتبارها لغة رسمية مركزية كانت ومازالت دعامة من دعامات الهوية الوطنية، إضافة إلى إقامة حوارية حميمية ومن خلال هذه المساءلة والحوارية نحاول الكشف عن كنوز دفينة تزخر بها اللغة الجامعة واللغة الوطنية ،إذ مازالت اللغتان حقلا لمفاهيم مستغلقة تنتظر من يفجرها، وذلك بالبحث في الفضاء السياقي لاستنطاق هذه العناصر الكامنة فيهما.

أهمية الدراسة:

تمر الأمة العربية بمرحلة حساسة تستلزم استنفار كل الطاقات للوصول إلى شاطئ الأمان، واستجابة لخصوصياتنا الحضارية كان لزاما علينا أن نحافظ

على هويتنا الثقافية، وحتى يتحقق ذلك لابد أن يتمّ التعايش بين اللغة الجامعة واللغة الوطنية، باعتبارهما من الروافد الرئيسة في مقومات هويتنا الثقافية.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى :

1- التأكيد على أن اللغة الجامعة قد تتعايش مع اللغة الوطنية إذا كان المشرّع قد وضع استراتيجيات للحفاظ على التجانس الاجتماعي الثقافي.

2- تسعى الدراسة إلى إبراز دور اللغة الجامعة باعتبارها اللغة الموحدة لنا منذ آلاف السنين ،وهي ركيزة رئيسة من ركائز هويتنا الوطنية والثقافية.

3- التمييز بين اللغة الأم ولغة الأم (اللهجة العامية).

تعريف اللغة:

أما عن مفهوم اللغة فكثير أولئك الذين تناولوا مفهوم اللغة، فقد جاء في الخصائص لابن جني: "اللغة هي فعلة من لغوت أي تكلمت... واللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فاللغة أصوات ولكنها ليست متشذرة، بل تحمل هذه الأصوات وظيفة التعبير والذي يحقق الطابع الاجتماعي، كما تحق الأصوات بعدا نفسيا لأنها تعبّر عن أغراضنا ليكون قول ابن جني قد ترجم

البعد المادي: الأصوات (أصوات).

البعد المعنوي: التعبير (يعبر).

البعد الاجتماعي (كل قوم).

البعد النفسي (عن أغراضهم).

وحديثا يرى وورف "Whorf" أن اللغة "ليست للتعبير عن الافكار، بل إنها هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار .ونحن نقسم ما حولنا من العالم بموجب

[1]- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحليم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج1، ص.33.

الخطوط التي ترسمها لنا لغتنا، أو كما يقول أحدهم:إن العالم يخلق بواسطة اللغة".[1]

من هنا تبدو العلاقة التلازمية التكاملية بين الفكر واللغة، وهذه العلاقة سماها البعض بالتبادلية "إن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة تبادلية، لأن كلا منهما يعتمد على الآخر ،فنحن لا نستطيع أن نتكلم بما لا نقدر أن نفكر فيه ،ولا نستطيع أن نفكر بعيدا عن قدرتنا اللغوية".[2]

وباختصار فالإنسان هو اللغة "فلئن اندرج الإنسان في جنس الحيوان تبعا لمقتضيات التصنيف المتدرج في الكائنات، فإنه بالكلام ينفصل عن الحيوانية ليتفرد بنوعه، فيكون الكلام بذلك جوهر الإنسانية في الإنسان. لذلك يلحّ المنظرون على سمة الانفصال بين الحيوانية والإنسانية ابتداء من الحدث اللساني. ففي الكلام فُضّل الإنسان على سائر الحيوان وتكريم الخالق له، وبالكلام يخرج الإنسان من حد البهيمية إلى حدّ الإنسانية) [3]. لتكون اللغة المنطوقة سمة مميزة للإنسان، واللغة الإنسانية بحر من الأفكار الحبلى بطاقات تنتظر من يفجرها لتُعبّر عن أسرار كامنة، فالكلمة في سرها وجهرها، في نطقها وكتابتها هدية السماء لابن الأرض وعاها فبناها في صور تعبيرية جمالية، وفهم العالم لا يتأتى إلا بفهم اللغة، يقول ريكور: "فإذا كانت اللغة ليست بذاتها ولكن بعالم تفتحه وتكشفه، فتأويل اللغة –إذن– لا يختلف عن تأويل العالم"[4].

تقاطع اللغة مع الكلام واللسان:

يتقاطع مصطلح اللغة مع مجالات معرفية مختلفة منها الكلام واللسان.

اللسان:

---

[1]–نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ط2،الكويت ،1979،ص.217.

[2]– كريم زكي حسام الدين،أصول تراثية في علم اللغة،مكتبة الأنجلو مصرية ط 1985،3،ص.99.

[3]–عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب ،ط 2، تونس،ص.46.

[4]– عمارة ناصر، اللغة والتأويل، دار الفارابي، منشورات الاختلاف،ط1، 2007، ص.54.

هو القدرة التي تجعل الإنسان قادرا على إصدار الأصوات وربطها بمعان "واستعمل لفظ اللسان بوصفه العنصر الأساس في جهاز النطق البشري بمعنى اللغة في القرآن الكريم".[1]

قال تعالى: "وهذا لسان عربي مبين".[2]

وقوله عز من قائل: "فإنما يسرناه بلسانك".[3]

فاللسان هو القدرة التي مكّنت الإنسان من إنشاء اللغة "وإن إطلاق اللسان على اللغة المؤتلفة من عدة أنظمة ذات المستويات المختلفة التي تكون عرضة للوصف والدراسة والتحليل، يتوافق تماما مع المصطلح الذي اخترناه وهو علم اللسان العربي، لوصف أنظمة العربية وقوانينها، وتفسير ظواهرها وبيان خصائصها".[4]

أما عبد الرحمان الحاج صالح فيرى أن "اللسان هو قبل كل شيء أداة للتبليغ والتخاطب ،وبعملية التبليغ تتبلور وتتجدد الأفكار والمعاني بعد أن كانت مجرد أحاسيس ،وبذلك تستطيع الذات أن تبني كيانها فهذه هي وظيفته الأساسية"[5]

فدور اللسان لا يقل عن دور الطبيب الحذق الذي يصف الدواء فيعالج الداء، فبفضل اللسان نخرج تلك الترسبات من داخل النفس البشرية، فكل الأحاسيس والانفعالات يخرجها اللسان من حيز المجهول إلى حيز المعلوم،لأن الأفكار تبقى حبيسة الذهن ما لم تترجمها اللغة أو ما لم يخرجها اللسان، إلا أن "أهم ما يميز اللسان عن اللغة في بعض مفاهيمه المقابلة للغة أن اللسان

---

[1]– عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2004، ص.16.

[2]– سورة النحل، الآية 103.

[3]– سورة الدخان، الآية 58.

[4]– عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص.19.

[5]– عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، . الدار التونسية للنشر، ط2، 1986، ص.127.

أعم،وهو الذي يحتوي عدة لغات تختلف فيما بينها بقليل أو كثير ،لكنها تظل متقاربة ترتبط باللسان الواحد ،خاصة عندما تكون اللغة بمفهوم اللهجة".[1]

الكلام:

فرق دو سوسير بين الكلام واللغة، إذ يرى أن الكلام فردي أما اللغة فجماعية، فكل فرد يصوغ قواعد اللغة حسب طريقته الخاصة ،وبعبارة أخرى الكلام هو اختيار فردي لعناصر تعبيرية معينة دون تعابير أخرى، من هنا اكتسب صيغة الفردية. وعلاقة اللغة بالكلام أنها تتجسم فعليا من خلاله، فالكلام يميز الإنسان عن الحيوان وإذا كانت الأنظمة العلامية متنوعة: علامات لغوية (نطق-كتابة) وغير لغوية: كالإشارة والرمز وحركات الرأس واليدين وغيرها، فإن الكلام من بين الأنظمة العلامية التي تميزت بالانتشار وعن ذلك قال صاحب المغني "وإنما اختار أهل المواضعة الكلام في ذلك دون غيره لأنه أوسع بابا من غيره، فيتشعب بمقدارما يحتاج اليه من الأسماء للمسميات ،وذلك يتعذر فيما عداه من الأفعال ولأنه يدرك فهو أقرب إلى أن تعرف به المقاصد من غيره من الأفعال".[2]

أما ابن رشد فأشار إلى أن هدف الفاعل المتكلم إيصال رسالة إلى المتلقي و"بأن الكلام ليس شيئا أكثر أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه ،وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل".[3]

التعدد اللساني:

أشار الدارسون العرب القدامى إلى قضية التعدد اللساني ودليلنا أن ابن جني أشار إلى هذا الاختلاف بين اللغات فقال: "إن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يُؤْخَذ به، ويخلد إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية ما لك من ذلك أن تتخير إحداهما

---

[1]- أحمد شامية،في اللغة، دار البلاغ للنشر والتوزيع،الجزائر، ص.70.

[2]- المسدي، التفكير اللساني، ص.253.

[3]- المسدي، التفكير اللساني، ص.286.

،فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقْبلُ لها، وأشد أنسا بها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا، أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف)".[1]

فابن جني أشار إلى أن اختلاف اللهجات كان نعمة على اللغة العربية، إذ من حق الدارس أن يتخير لغة على أخرى ويقوي المختارة، وأما أن يطعن في صلاحية واحدة منهما فمردود مستدلا بقول النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت إحدى اللغتين أقوى وأشيع من أخرى اختارها إذا قلت إحداهما وكثرت الأخرى "فإذا كان الأمر في اللغة المعوّل عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ما هو أقوى (وأشيع) منها". [2] كما أشار إلى انتقال اللسان من لغة إلى لغة مثلها فصيحة فقال: "اعلم أن المعول عليه في نحو هذا أن تنظر حال ما انتقل إليه لسانه، فإن كان إنما انتقل من لغته إلى لغة أخرى مثلها فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها، كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه إليها، حتى كأنه إنما حضر غائب من أهل اللغة التي صار إليها، أو نطق ساكت من أهلها. فإذا كانت اللغة التي انتقل لسانه إليها فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى، حتى كأنه لم يزل من أهلها، وهذا واضح".[3]

ومع هذه الإشارات التي تدل على التعدد اللساني إلا أن علي أبو المكارم يرى أن قدماء النحاة لم يعطوا أوصافا دقيقة لكل لهجة فـ "ثمة ظاهرة واضحة في البحوث اللغوية المأثورة عن العرب، وهي ظاهرة تكشف عن فهم خاص للغة وتدل على تصور محدد لها، تلك الظاهرة هي الخلط بين مستويات الأداء اللغوي واللهجي دون تفرقة بين ما ينسب إلى لهجة من اللهجات القبلية ، وبين ما ينتمي إلى اللغة الفصحى، واعتبار الكل لغة واحدة، محددة الخصائص متحدة المستوى،

---

[1]– ابن جني، الخصائص، ج2، ص.7.

[2]– نفسه، ص.8.

[3]– نفسه، ص.9.

وهذا الموقف يعني أن اللغة ليست مستوى واحدا يتميز بخصائصه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية عن كل لهجة من اللهجات على حدة، ثم عن اللهجات في مجموعها، وإنما هي مجموع اللهجات القبلية ذاتها".[1]

إلا أن المتأمل في كتاب الخصائص لابن جني في (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) يربط ذلك بشرط وهو "إن قال يقول على قياس من لغتُه كذا وكذا، ويقول على مذهب من قال كذا ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغةٍ من (لغات العرب) مصيب غير مخطئ"[2]. وهذا الشرط هو القياس وليس السماع. أما محمد حماسة فيرى أن القرآن نزل بلغة مشتركة استمدت خصائصها من اللهجات العربية على اختلافها وليست من لغة قريش فقط [3]. وعليه فهذه اللغات اللهجات حملت من الخصائص ما مكنها أن تكون متميزة والدليل أن كلام الله نزل بها، من هنا يمكن أن يُسْتَشْهد بها "وفي كتب السيوطي النحوية نراه يكثر من الاستشهاد باللهجات ،فنراه يذكر كثيرا من لغات الحجاز وتميم وقيس ولغات أخرى غير منسوبة، أي أنه قد يعزو اللهجة إلى قبيل معين من قبائل العرب، وقد يهمل العزو".[4]

وإذا سلمنا أن لغة القرآن مستمدة من لهجات العرب،فإنه لابد من وقفة مع الدارسين الذين وجدوا في لغة القرآن حقلا مزروعا بشتى ألوان البلاغة والنحو والدلالة، فأثاروا بذلك قضية اللفظ والمعنى، وقضية الأثر النفس ي وقضية النظم، فها هو عبد القاهر الجرجاني يقول: "وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظةٍ مقطوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكنآ نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها"[5].

---

[1]– علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، (د–ت)، ص.157.

[2]– الخصائص، ج2، ص.8.

[3]– محمد حماسة عبد المطلب، لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، ط1، 1996، ص.312.

[4]– عصام عيد فهمي أبو غريبة، أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق، ص.143.

[5]–عبد القاهر. دلائل الإعجاز .ت.محمد التنجي. ص.299.

وهذا التعليل للغويين العرب يدل على أنهم ما كانوا ليأخذوا لفظا أو عبارة دون تمحيص ونقد، وهذا يدل على وعي تام بتلك العلاقات التي تربط الألفاظ، مع تأكيدهم على دور النحو في هذه العملية "فعبد القاهر الجرجاني منح النظم سمة تمتاز بالتوضيح والتفصيل والتأويل الذهني والإمعان العقلي، فأعاد تشكيل مادته من جديد ووسع من دلالته أو عدّل منها، ووثّق الاهتمام به ونمّاه، ونبه في قوة إلى رصيد هائل من صوره ومعانيه، ورأي أن الشيء الذي لا يزال محتاجا إلى التوكيد أو التأييد هو أن نعيد طريقة التفكير الأدبي على الإجمال، ولهذا يحسن بنا أن نبدأ بدراسة هذه المشكلة الشائكة وأن نلقي الضوء على تصور عبد القاهر لها وتتبعه لدقائقها وأسرارها"[1].

أما محمد مندور فيقدم صورة لعبد القاهر تعكس طاقاته اللغوية وقدرته الأدبية وإبداعاته النحوية حيث اعتبره مطورا لإنجازات البلاغيين قبله، محلقا خارج عصره بتقديم نظرية لغوية متكاملة "والحق أن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كوّن مبادئه في إدراك (دلائل الإعجاز) في القرآن وفي النثر العربي وفي الشعر العربي، على السواء... ومذهبه أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري فردناند دوسوسير"[2]. ومكونات نظرية النظم عند الجرجاني تعتمد البنية اللغوية التي تحقق فيها اللفظة معنى، وما البنية إلا بناء فيه نظم وضّم. مع ملاءمة اللفظة لمعاني جاراتها. "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة، من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها"[3].

1- تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ط1، دار الحوار للنشر، سوريا، 1983. ص.112، 113.

2- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص. 333.

3- عبد القاهر: الدلائل ، ت. التنجي، ص. 299.

ونظم الكلم لا يكتمل بناؤه إلا بتطبيق قواعد النحو، والتي على أساسها يتشكل المعنى، فالسمة المميزة للنظم عند الجرجاني التوضيح والتفصيل، والتأويل الذهني والإمعان العقلي، وبذلك استطاع أن يعيد تشكيل مادة النظم من جديد، وبلغ اهتمام الجرجاني بالنظم – والذي معناه التزام الأوضاع النَّحوية– أن جعله محور كتاب (الدلائل)، وما هذا الفلك الذي يدور فيه النظم سوى اللغة بما تحمله من نحو وبلاغة وموسيقى، لذا لم تكن نظرة عبد القاهر إلى اللغة على أنها قواعد صارمة، وضوابط لابد من التقيد بها، بل نظر إليها على أنها مشاعر وعقل، ضوابط وحركة، خيال وفكر، ألفاظ ومعان وسياق يحدد الدلالة، والمتجول في رحاب (أسرار البلاغة) يجد عبد القاهر قد ركز على البيان العربي ليكشف جمال اللغة وحسنها، أما المبحر مع (دلائل الإعجاز) يجد الخط البياني قد أخذ اتجاها آخر، إنه الاهتمام بإعجاز القرآن، وما كان الطريق ليكون سهلا لولا بحثه في (أسرار البلاغة) ليحدد وجوه الحسن في الكلام، وبعد أن عبد الطريق عبر إلى القرآن باحثا عن الإعجاز فيه، مستعينا بدراسات السابقين حول الإعجاز، فكان التفكير مطيتَه والتمعن فيه وسيلتَه، ليحط الرحال في نهاية المطاف عند مفهوم سُبِق إليه (النظم) إلا أن من سبقه كان في عجلة من أمره، فلم تكن عملية المسح قد مست كل جوانب النظم بدقة، إضافة إلى أن دارسي الإعجاز السابقين لم يعولوا على النظم كلية في الإعجاز، بل قالوا بأمور أخرى، يقول عبد الكريم الخطيب: "إن عبد القاهر لم يلتق بالإعجاز التقاء مباشرا، وإن كان قد طوف به ودار حوله، وكأنه بهذا كان يمهد لوقفة خاصة مع الإعجاز يريد بعدها أن يلقاه لقاء مواجها ويفرده بالكتابة والتأليف"[1].فالقول بالنظم كوجه من أوجه الإعجاز دليل على إن اللغويين العرب أدركوا أن اللغة مجموعة من العلاقات، وأنه يستحيل فصل الدال عن المدلول، وفي هذا ردّ على أولئك الذين قالوا بأن النحاة العرب استدلوا بكل اللغات، فشوقي ضيف وقف وقفة ناقد موضوعي عند كتابات عبد

1– عبد الكريم الخطيب: الاعجاز في دراسات السابقين، ص. 241، 242.

القاهر الجرجاني فقال: "أنه أقام فروقا عقلية بين ألوان التعبير عن المعنى الواحد في العربية، وهي فروق تتبع من عقل فلسفي، ولا تتبع من حس لغوي دقيق، إلا في القليل النادر... وأن مرد الإعجاز والبلاغة إلى هذه المعاني الإضافية أو معاني المعاني كما يسميها"[1].

فهذا العقل الفلسفي للجرجاني كما يصفه شوقي ضيف، وهذه الآراء النقدية للنصوص والمستمدة من فلسفة لغوية عميقة، كما يقول محمد مندور، إنما هي للبرهنة على منهج النحو الذي اعتمده الجرجاني في (الدلائل) هذا المنهج الذي احتاج لفكر عميق، ولغة دقيقة، كشفا عن نقد موضوعي كان كتاب (الدلائل) مسرحا له. ويرى الدكتور فخر الدين عامر أن ابن طباطبا العلوي له تأثير كبير على عبد القاهر الجرجاني، في كثير من القضايا النقدية، منها قضية المعنى. يقول ابن طباطبا: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مَخَضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبسه إيّاه من الألفاظ التي تطابقه" [2]. فما قام به عبد القاهر هو العرض الشيق باعتماد وسائل الإقناع مع شرح الفكرة وتفصيلها أكثر، ويستدل فخر الدين بما قاله عبد القاهر: " وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها في النفس على حسب ترتيب المعاني"[3]. ورغم أنه اقتفى آثار سابقيه، إلا أنه في هذا الاقتفاء لم يكن يتتبع الخطوات خطوة خطوة، حتى وإن مالت إحداها، بل هي محاولة لمعرفة الطريق ليحدد بعد ذلك أي حركة يريد، أيريد السّير أم الرّكض أم الهرولة... فخرج عن مألوف سابقيه في جمعه بين التنظير والتطبيق، فكانت وقفته متنوعة بين الشعر والنثر والحديث وآي القرآن، تعددت الطرق والهدف واحد. إنه هدف إثبات الإعجاز القرآني. ومن تطبيقه توقفه عند آية من سورة هود فقال: "وهل تشك إذا

1- شوقي ضيف: النقد، ط 3، دار المعارف، مصر، 1964، ص. 89.

2- فخر الدين عامر: أسس النقد الأدبي في عيار الشعر، ص. 149.

3- نفسه، ص. 149.

فكرت في قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)" سورة هود - الآية44.

الخريطة الوراثية للغة:

من الإشكالات التي فرضت نفسها قديما وحديثا القضية اللغوية ،كيف نشأت اللغة أهي إلهام أم محاكاة أم تواضع واصطلاح؟ وهدف هذه المداخلة ليس الولوج إلى عالم هذه الإشكالية، ولا محاولة عرض النظريات اللغوية، وإنما هدف الدراسة هو إزالة الغموض عن التعدد اللساني واللغة الجامعة. وهل هذا التعدد نعمة أم نقمة؟ مع التركيز على اللغة الجامعة واللغة الوطنية.

اللغة الجامعة:

هي اللغة الفصحى، والتي شكلت دعامة هامة من دعامات هويتنا الوطنية والثقافية، واللغة الجامعة لغة مركزية رسمية تدور في فلكها اللغة الوطنية واللغة العامية واللهجات المحلية ، ورغم ذلك فإنه "في هذا العصر جاءت محاولة أخرى وهي استبدال اللغة الفصحى باللغة العامية،على أن العامية لغة الوضع والاستعمال،ومرة أخرى يأتي التشكيك في هذه اللغة الجامعة التي حافظت على أواصر وحدتنا".[1]

فاللغة الجامعة واجهت تيارات وهي تعيش صراعا غير متكافئ في ظل سيطرة اللهجات ،فمثلا في الجامعات الأمريكية يشجع الطلبة العرب على تسجيل رسائلهم العليا باللهجات العربية، وبذلك تسيطر (لغة الأم) على (اللغة الأم) فلو عدنا إلى تعريف اللغة الفصيحة.(القياسية) "لوجدنا أنها صيغة لغة لا تعود لإقليم معين ولا للهجة معينة بل إنها الغطاء الأوسع لمتكلميها كتابة وكلاما، إذ يفهمونها ويستعملونها كرمز لتضامنهم الاجتماعي ووحدتهم".[2]

---

[1]–صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة،مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة ، ص.443.

[2]– حميد مجيد، الفصيحة بين الواقع والطموح، مجلة المورد، م 8،ع 3،دار الحرية للطباعة ،بغداد،1979، ص.62.

وحديثنا عن دور اللغة الجامعة ليس من استيهامات المخيال، بل احتكمنا في ذلك إلى موضوعية العقل، فرغم الأداءات المتنوعة للغة الوطنية، إلا أن ذلك لم يكن عائقا أمام اللغة الجامعة لتعلن سيطرتها في المحافل العلمية، والمجامع اللغوية، ما جعل المنحنى البياني يسير في اتجاه أثبتت نسبه قدرة اللغة الرسمية على الصمود وعلى التحدي، رغم محاولات الاستعمار ومحاولات من كادوا ويكيدون لهذه اللغة.

اللغة الوطنية:

بداية لابد أن نتساءل هل اللغة الوطنية بإمكانها أن تتبارى مع اللغة الجامعة؟ وأي الأسلحة التي تستخدمها في عملية التباري؟ وهل المشروع الإبستمولوجي يتكئ على أرضية صلبة تمكنه من الغوص في جينيالوجيا اللغة الجامعة واللغة الوطنية لتوضيح الظروف الأنطولوجية التي على أساسها قامت اللغة الوطنية واللغة الجامعة؟ وللإجابة نذكر ما قاله بعض الدارسين بأن: (هناك اللغات الوطنية التي تعتبر الوحيدة التي يمكن تحديد توسعها بدقة، لأن حدودها تطابق الحدود السياسية، فالفرنسية باعتبارها لغة وطنية لها حدود التراب الذي تسكنه الأمة الفرنسية، غير أن الحالة أعقد بالنسبة لوجود الفرنسيين خارج التراب الفرنسي).[1]

فاللغة الوطنية هي التي ينطقها سكان بلد معين، ضمن حدود سياسية معينة، وهي بذلك لغة هذا الوطن، ومع تنوع الأداءات للغة الوطنية في الجزائر إلا أن ذلك لم يكن عائقا أمام التفاهم، فكل أبناء الجزائر يفهم بعضهم بعضا، ورغم هذا يبدو أن ثمة صراعا داخليا على أشده بين اللغة الجامعة وبين اللهجات، وصراعا خارجيا بين العربية الفصيحة و اللهجات واللغات الأجنبية.

أ -الصراع الداخلي بين العربية الفصيحة وبين اللهجات المحلية:

[1]- جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس سعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001، ص.32.

يتمثل هذا الصراع في أن هذه اللهجات تختلف من منطقة إلى أخرى داخل الوطن الواحد، ناهيك عن الأقطار المتباعدة "يضاف إلى هذا كله أن اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية، وتختلف في الشعب الواحد باختلاف مناطقه، فعامية العراق لا يكاد يفهمها المصريون أو المغاربة، وعامية المصريين لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المغاربة، وعامية المغاربة لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المصريون، وفي البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس وباختلاف المناطق".[1]

ووجوه الصراع اللغوي بين العربية الفصيحة والعامية، أن العامية تبوأت مكانة في كثير من المؤتمرات والندوات والاجتماعات، بل سيطرت على وسائل الإعلام، فكم هي كثيرة تلك الإعلانات والبرامج التي كانت فيها العامية ممسكة بزمام القيادة متجاهلة وجود لغة جامعة بإمكانها أن تحتل الريادة وأن تمسك مقود التعبير، بل نشأ عن هذا التغييب وجود مستويات لغوية للغة العربية في العصر الحديث حددها الدكتور السعيد بدوي في:

"فصحى التراث: وتستخدم في قراءة الكتاب المقدس (القرآن الكريم).

فصحى العصر: وتستخدم في كتابة وحديث في المواقف الرسمية.

عامية المثقفين: وتستخدم لغة الحديث الرسمية لطبقة المتعلمين.

عامية المتنورين: وتستخدم لغة الحديث العادية لطبقة المتعلمين.

عامية غير المتنورين: وتستخدم لغة الحديث للأميين".[2]

ويرى عبد الكريم مجاهد "أن اللغة الفصحى المشتركة يجب أن ترتفع عن مستوى هذه اللهجات، وعن مستوى العامية، لأنها لغة الثقافة والأدب،... فهي اللغة النموذجية الأدبية للعرب التي يكتب بها شعرهم، دون أن تكون لغة سليقة

---

[1]– علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط8، 1945، ص.158.

[2]– كيس فريستيغ، اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص.219.

لعامة العرب قديما وحديثا، فهي أعلى من مستواهم لأن لغة السليقة هي اللهجة التي تتضمن خصائص محلية تميمية أو حجازية مثلا ينطق بها المتكلم دون شعور منه بهذه الخصائص ويؤديها بآلية اكتسبها على مر الأيام منذ الطفولة".[1]

أما عن أصل العربية الفصيحة فيرى عبد الكريم مجاهد أن الفضل فيها لا يعود للغة قريش وحدها والسبب أن قريشا "مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، فخلت لغتهم من خصائص اللغات المذمومة... وضمّت إليها ما استحسنته من صفات اللهجات الأخرى ما استحقت معه أن يطلق على هذه اللغة، اللغة العربية الفصحى".[2]

وما يمكن استخلاصه أن العربية الفصحى مرت بمراحل من المد والجزر واستطاعت أن تفتك لها مكانة بين شعوب العالم، من خلال انفتاحها على حضارات الشعوب الأخرى، فالواقع يسر إلى أن الحضارة العربية الإسلامية لم يضعها العرب وحدهم بل انتشر تحت فهمها أمم كثيرة، ويرى ميشال شوسودوفسكي في كتابه (عولمة الفقر) "الذين تقلدوا مناصب عالية في الدولة الإسلامية لم يكونوا كلهم عربا لأن المناصب تحكم بالمعرفة. وبالسعي على تقدم الإنسانية الذي أتم امتزاج الحضارات والثقافات دون أي تمييز بين مجتمع أو شعب وآخر".[3]

ولنا أن نتساءل هل اللغة تصنع الإنسان؟ أم الإنسان يصنع اللغة؟ ولابن حزم الأندلسي في ذلك رأي إذ يقول "فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم،

---

[1]– عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص.271.

[2]– نفسه، ص.171.

[3]– ميشال شوسودوفسكي، عولمة الفقر، ترجمة محمد مصطفى، دار أرسطو، بيروت، 1998، ص.45.

أو بتعلمهم من غيرهم واختلاطهم بغيرهم، فإن ما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمونٌ منهم موت الخواطر، وربما كان سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة".[1] والذي يصنع قوة الأمة أو ضعفها هو الإنسان، وهذا ما ينطبق على حال العربية اليوم، فرحم الله زمانا كان فيه العربي قويا فكانت العربية لغة الحضارة والعلوم، ولغة المنابر والفنون، فما كنا لنعرف الأنساب، ولا لتصلنا الأخبار لولا اللغة، فحياة اللغة وتطورها أو ضعفها مرهون كذلك بقوة الأمة أو ضعفها، وهذا ما أفرز صراعا خارجيا بين العربية واللغات الأخرى خاصة الإنجليزية.

ب-الصراع الخارجي:

مادام قانون الطبيعة يعطي الغلبة للقوي، فإن الصراع بدا على أشده بين الإنجليزية التي شقت طريقها وبخطى ثابتة، وبين لغات كانت بالأمس لغة العلم والحضارة كالعربية والفرنسية، ولعل نجاح الإنجليزية تحقق بفضل:

1- تأليف المعاجم وبأحجام مختلفة.

1 - تنوعت هذه المعاجم بين:

أ- معاجم إنجليزية – إنجليزية.

ب -معاجم إنجليزية – عربية.

ج- معاجم إنجليزية – فرنسية.

د- معاجم إنجليزية – ألمانية.

3- تم إنشاء هيئات مختلفة لتشجيع الإنجليزية منها: الإذاعة البريطانية التي تقدم برامج تعليمية لكل المستويات.

---

[1]- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، م1، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص.32.

4- إنشاء مؤسسات حكومية وخاصة للترغيب في دراسة الإنجليزية، وتقديم العون المادي والمعنوي.

وفي المقابل ثمة شح في منابع إمداد العربية وتشجيعها بما يمكنها من مواجهة هذه التحديات، وحتى نعيد الاعتبار للغة العربية والتي كانت بالأمس القريب لغة الحضارة يجب علينا أن نعتمدها في مراحل التعليم المختلفة (من دور الحضانة حتى الجامعة).

وهذا الجدول يوضح عدد الناطقين بأهم لغات العالم باعتبارها اللغة الأم حسب إحصائيات 2011:[1]

الترتيب	اللغة	العدد بالمليون
1	اللغة الصينية	1.213.000.000
2	اللغة الإسبانية	329.000.000
3	اللغة الإنجليزية	328.000.000
4	اللغة العربية	221.000.000
5	اللغة الهندية	182.000.000
6	اللغة البنغالية	181.000.000
7	اللغة البرتغالية	178.000.000
8	اللغة الروسية	144.000.000
9	اللغة اليابانية	122.000.000
10	اللغة الألمانية	90.000.000

كلمات عامية ذات أصول فصيحة:

[1] -www.infoplease.com

حاولت أن أعود إلى بعض المعاجم وأن أتتبع بعض الكلمات العامية ذات الأصول الفصيحة معتمدة الترتيب الأبجدي .

الألف: إيه: اسم فعل للاستزادة من حديث أو فعل،ونستعملها بكثرة في العامية الجزائرية.

الباء: بطَّ: بطّا الجرحَ: شقه.

بحبح: تبحبح: تمكّن في المقام.

بحّ: البحة: خشونة وغلظ الصوت.

التاء: تفل: بصق وتنطق في العامية بالدال.

تكتكت الساعة: أسمعت صوتها المعهود.

الثاء: ثار: هاج، والثائر الغاضب.

الجيم: جَرَد، جردا أو جرّد العود قشره، وفي العامية تأتي الجيم ساكنة (جْرد).

الجيب: عند العامة هو كيس يخاط في جانب الثوب، ويجعل فمه في الخارج.

الحاء: الحدَبة: خروج الظهر ودخول الصدر، وفي العامية تنطق بتسكين الدال.

الحسيفة: العداوة ، الغيظ، حسِف حسفا له، أضمر له العداوة والغضب.

الخاء: خرط خرطا الرجل: كذب، الخراط: الكذاب.

خلص الرجل: أعطى الخلاص، وهو مثل الشيء.

الدال: دلل: الدلال على السلعة عرضها للبيع مناديا عليها.

دلدل رأسه أو أعضاءه: حركها عند السير.

الراء: رجف رجفا: حركه شديدا، رحب المكان، وسّعه، ومرحبه: أحسن وفده.

الردم: ردم ردما: سد سدا.

الزاي: زعق، زعقا: صاح.

السين: سرَط وسرِط: سرطا وسرطانا، وتسرط واسترط الشيء: ابتلعه.

ساح: سيحا وسيحانا الماء: جرى فهو سائح، سيّحه: جعله يسيح.

الشين: شرُف: ومنها شروف الناقة أي مسنة هرمة.

شوّر إليه: أومأ، أشار بيده.

شاط: شوطا به الغضب: اشتعل، وشوشط الطعام احترق.

الصاد: صفع صفعا: ضرب قفاه أو بدنه بكفه مبسوطة.

الضاء: ضلع: الضلع مصدر الميل والعوج، ضلع ضلعا الشيء: اعوج.

الطاء: طحا الشيء: بسطه ومدّه، طحى، طحيا الشيء بسطه وفي العامية نقول طاح سقط على الأرض وانبسط.

الطراحة: فراش مربع أو مستطيل يجلس عليه، المطرح: جمعه مطارح، المفرش، وهو كلمة في العامية.

الظاء: الظِّنة: القليل من الشيء (ظنن– ظنائن) الظنين قليل الخير، وهو المعنى المستعمل في العامية.

العين: عرم: التراب كوّمه (عامية)، العرام: الكومة من شيء ما.

عس: عسا وعسسا: طاف بالليل يحرس، العساس، العاس: الذئب لأنه يعس بالليل.

الفاء: فتل: ما فتلته بين أصابعك من الوسخ فأصبح عبارة عن حبات صغيرة، فتلت المرأة إذا حولت الدقيق إلى حبات صغيرة.

فحج: تدانت صدور قدميه وتباعدت عقباه، تفحج الرجل: فرق بين رجليه(كلمة في العامية).

القاف: قسح: قساحة وقسوحة: صلب، وقلب قاسح في العامية غليظ صلب.

الكاف: كمش من الشيء كمشة، إذا أخذ منه بقدر ما يملأ يده.

كانون: جمع كوانين: الموقد والمصطلى.

اللام: لبخ له: وضع له لبخة (عامية)، اللبخة: جمع لبخات: خرقة تجعل فيها نخالة ونحوها وتوضع على مكان الألم.

الميم: مرّك: وضع عليه الماركة: علامة فارقة تجعل على البضائع، ويعتقد العامة أنها كلمة أجنبية.

مسّد: بشيء أو على الشيء: أمرّ يده عليه.

مكّاس: من يأخذ دراهم المكس من بائع السلع.

النون: نشَف ونشِف، نشفا الثوب العرق: شربه.

نخم: تنخم: دفع بشيء من صدره أو أنفه.

الهاء: هبرة اللحم: اللحم أو بعض اللحم لا عظم فيه.

هرج: هرجا الناس: وقعوا في فتنة واختلاط.

الواو: والف، ولافا وموالفة، ألف، توالف: ائتلف أحدهما إلى الآخر.

وحوح: صات بصوت فيه بحح.

إن هذه الكلمات التي تتبعتها هي قليل من كثير، ولا أبالغ إذا قلت إن العامية الجزائرية أقرب العاميات العربية إلى اللغة العربية الفصيحة، وليس هذا تعصبا ولكن انطلاقا من تتبعي لهذه الكلمات العامية ذات الأصول العربية الفصيحة.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الاستكشافية في عمق التعدد اللساني واللغة الجامعة خلصت إلى مجموعة من النتائج أوجزتها فيما يلي:

1- ليست وظيفة اللغة ترجمة الواقع الموجود بل إ نشاء الموجود والافتراضي.

2- اللغة الجامعة واللغة الوطنية بإمكانهما أن تؤسسا منطقة خصبة يستثمر فيها المبدع طاقات اللغة اللامتناهية.

3- تكمن أهمية اللغة في أنها تختزل العالم في صور ذهنية يعيدها الإنسان وقت الحاجة، ليكون التواصل بينه وبين محيطه.

4- على المجامع اللغوية أن تتحمل مسؤوليتها وذلك بترجمة المصطلحات العلمية والأدبية لإثراء اللغة الفصيحة،ومحاولة الاتفاق حول المصطلحات المترجمة.

5- للغة الجامعة دور بالغ الأهمية في تطور الأمة وتحضرها ،ولتفعيل هذا الدور علينا أن نجعلها لغة الحياة اليومية.

6- لا بد من تفعيل القرارات السياسية الخاصة بتطبيق اللغة الفصيحة.

7- تشجيع استعمال اللغة الجامعة في الندوات، واللقاءات الصحفية، والملتقيات الفكرية.

8- عدم السماح للهجات المحلية بالسيطرة .

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحليم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج1، ص.33.

2- نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ط2،الكويت ،1979،ص.217.

3- كريم زكي حسام الدين،أصول تراثية في علم اللغة،مكتبة الأنجلو مصرية ط 3،1985،ص.99.

4- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب ،ط 2، تونس،ص.46.

5- عمارة ناصر، اللغة والتأويل، دار الفارابي، منشورات الاختلاف،ط1، 2007، ص.54.

6- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2004، ص.16.

7- سورة النحل، الآية 103.

8 – سورة الدخان، الآية 58.
9 – عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص.19.
10– عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، . الدار التونسية للنشر، ط2، 1986، ص.127.
11– أحمد شامية،في اللغة، دار البلاغ للنشر والتوزيع،الجزائر، ص.70.
12– المسدي، التفكير اللساني، ص.253.
13– المسدي، التفكير اللساني، ص.286.
14– ابن جني، الخصائص، ج2، ص.7.
15 – نفسه، ص.8.
16 – نفسه، ص.9.
17 – علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، (د–ت)، ص.157.
18– الخصائص، ج2، ص.8.
19– محمد حماسة عبد المطلب، لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، ط1، 1996، ص.312.
20– عصام عيد فهمي أبو غريبة، أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق، ص.143.
21–عبد القاهر. دلائل الإعجاز.ت.محمد التنجي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999، ص.299.
22– تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ط1، دار الحوار للنشر، سوريا، 1983. ص.112، 113.
23– محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص. 333.
24– عبد القاهر: الدلائل ، ت. التنجي، ص. 299.
25– عبد الكريم الخطيب: الاعجاز في دراسات السابقين، ص. 241، 242.

26- شوقي ضيف: النقد، ط 3، دار المعارف، مصر، 1964، ص. 89.
27- فخر الدين عامر: أسس النقد الأدبي في عيار الشعر، ص. 149.
28- نفسه، ص. 149.
29-صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة،مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة ، ص.443.
30- حميد مجيد، الفصيحة بين الواقع والطموح، مجلة المورد، م 8،ع 3،دار الحرية للطباعة ،بغداد،1979، ص.62.
31 - جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس سعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001، ص.32.
32 - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط8، 1945، ص.158.
33 - كيس فريستيغ، اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص.219.
34- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص.271.
35 - نفسه، ص.171.
36 - ميشال شوسودوفسكي، عولمة الفقر، ترجمة محمد مصطفى، دار أرسطو، بيروت، 1998، ص.45.
37- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، م1، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص.32.
38- www.infoplease.com

من اللاوعي إلى الوعي اللغوي
دراسة في سبل التخلص من الآثار السلبية للازدواجية اللغوية في اللسان العامي الجزائري

أ.د/ نوار عبيدي. جامعة الطارف. الجزائر

الكل متفق على أن اللغة هي الخاصية الأولى لهوية الشعوب والحضارات، بل إن اللغة هي المحدد الأول والأساس لشخصية الإنسان وجنسه وثقافته؛ فالعربي عربي لأنه يتكلم العربية، والإسباني إسباني لأنه يتكلم الإسبانية. ثم إن الإنسان لم يقطع هذه الأشواط في تاريخه إلا مستعينا بملكته اللغوية التي مكنته من وضع العلوم وتسجيل ملاحظاته عبر العصور لتستفيد منه الأجيال البشرية المتعاقبة.

إن اللغة ـ من هذا المنطق ـ هي محرك الفكر البشري، وبالتالي هي الوعاء الأول للعلوم ومن ثم الحضارات وكل هذا التطور البشري الذي وصل إليه الإنسان اليوم. إلا أن حياة اللغات لم تخل من اضطراب وتحول وتغير وتطور، وهذا هو ميدان البحث اللغوي منذ القديم، والدراسات اليوم تعكف على فهم هذا التحول والتطور سواء من حيث النظرة الزمنية ـ التاريخية، أو من حيث النظرة الآنية، وما المناهج المتعددة التي أنجبتها اللسانيات الحديثة إلا نتيجة لتلك الأبحاث المتعددة

حول التطور أو التحول اللغوي، حيث لا مناص منهما في الحياة اللغوية " فالتحول حاصل مهما أردنا أو فعلنا، وكذلك هي ظاهرة الدخيل لا مفر منها"[1].

المعرب والدخيل في العربية

يحاول كثير من اللغويين تقديم تفسيرات علمية لما يمكن أن نسميه (تداخل اللغات)، وتحاول اللسانيات الجغرافية التي تعنى بدراسة اللغة الخارجية [2] أن تفهم هذه الظواهر اللغوية والتطور الذي يحدث للألفاظ أو التغير الذي يصاحبها وعلاقة ذلك باللغات القريبة أو المجاورة سواء كانت من نفس العائلة اللغوية أو من عائلة لغوية أخرى، وقد لاحظ دوسوسير أن الشعوب بمن فيهم المتوحشون من الناس يدركون أن هناك تغيرات لغوية وقعت عبر الزمان والمكان للغتهم[3].

إن ظاهرة التلاقح اللغوي كانت من أهم الملاحظات التي تناولها اللغويون العرب القدماء لتفسير كثير من النصوص والظواهر اللغوية، وقد تحدثوا عن ذلك في باب المعرب الدخيل، بل إن كتب فقه اللغة الأولى سيطر عليها هاجس البحث في الغريب من الألفاظ والتنقيب عن أصولها الأولى، خاصة بعد ظهور اللحن وبداية التقعيد النحوي.

لقد فوجئ العرب الأوائل عندما وردت ألفاظ غريبة في القرآن أطلق عليها الألفاظ الأعجمية، بعضها فارسي، وبعضها حبشي، وبعضها رومي. واختلفت الآراء حولها هل هي أعجمية نظراً لصيغتها وتركيبها المخالف للعربية؟ أم هي عربية لأنها وردت في القرآن الكريم والذي قرر أنه نزل بلسان عربي مبين.

---

[1] د/ الحاج عبد الرحمان صالح، بحوث ودراسات في السنيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ج2 ص 107.

[2] مقابل اللسانيات الداخلية التي تهتم بدراسة لغة واحدة دون مقارنة أو مقابلة. انظر فرديناند دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1/ 1985، ص285 وما بعدها.

[3] م ن، ص 285.

وهذا الباب لا يمكن أن يحاط به في هذا البحث خاصة فيما دخل في العربية، وبقي على أصله، وفيما عُرب بعد ذلك [1]. إلا أن الألفاظ المتعلقة بالقرآن الكريم ذهب فيها العلماء ثلاثة مذاهب [2]: مذهب يرى أن كل ما ورد في القرآن عربي لقوله تعالى " قُرْآنًا عَرَبِيًّا " (فصلت الآية 3) منهم الشافعي رضي الله عنهُ الذي شدّد على القائل بغير ذلك، ومنهم أبو عبيدة، وابن أوس الذي قال إن ذلك يبطل مفهوم الإعجاز. ومذهب يرى أن تلك الألفاظ أعجمية وتكون فارسية أو حبشية أو نبطية، وهذا رأي ابن فارس. إلا أن ابن جرير قال إن تلك الألفاظ من اتفاق اللغات حيث تكلّم بها العرب والفرس وغيرهم [3]. ومذهب ثالث يرى أن تلك الألفاظ عربية صرفة إلا أنها خفيت.

وقال أبو عبيدة أيضاً إن الصواب " أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فهو صادق"[4].

ويعتني اللسانيون المحدثون كثيراً بمسألة الاقتراض اللغوي، وتأثر اللغات بعضها ببعض لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية، وقد حضيت الدراسات المقارنة في القرن التاسع عشر باهتمام واسع حتى أفضى ذلك إلى ما يسمّى بالعائلات اللغوية التي تعتمد في التصنيف على التشابه الكبير في الصوت واللفظ والتراكيب. ويعتبر آخرون أن الاقتراض من عوامل إغناء اللغات، لأن " تبادل

---

[1] انظر تفصيلا لهذه المسألة د/ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1/1986.ص314 وما بعدها. وانظر د/ عبد الواحد وافي، فقه اللغة، شركة نهضة مصر، القاهرة، ط2005/4، 153 وما بعدها.

[2] انظر حول مختلف هذه الآراء جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط/ 2003، ج2 ص105. وكذا المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج1 ص266.

[3] ويرى هؤلاء أن الألفاظ الأعجمية القليلة لا تبطل كون القرآن عربياً. انظر الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص105.

[4] المزهر، ج1 ص269.

التأثير والتأثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، وأن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة لا تحصى"[1].

ويسمي د/عبد الواحد وافي هذا التبادل بالصراع اللغوي الذي عرفته العربية منذ القديم مع اللغات المجاورة كالآرامية في الشمال، واليمن في الجنوب، وامتد صراع العربية إلى ما بعد الإسلام[2].

وقد تكلّم دوسوسير مطولاً عن علاقة اللغات ببعضها فيما يسمّى بالألسنية الجغرافية، وتحدّث عن تعايش اللغات، ومظاهر التبادل اللغوي، والتأثر والتأثير، ويدخل ذلك ضمن مجال اللسانيات الخارجية كما سبق ذكره. والعرب القدماء فهموا جيداً هذه الظاهرة، وسمّوها توارد اللغات [3]. وقد قبلها العرب القدماء، وظهر أثر ذلك في القرآن الكريم.

الدخيل في العامية الجزائرية

عرفت اللغة العربية في الجزائر . كما في بعض البلاد العربية . نكبة دامت أكثر من قرن، كان سببها الاستعمار الفرنسي، ولم تكن هذه النكبة الأولى التي تعرفها العربية، بل عاشتها أيام غزو المغول بالمشرق حتى فسدت العربية على الإطلاق كما قال ابن خلدون، ولم يبق لها رسم في المماليك الإسلامية، وذهبت أساليبها من الشعر والكلام، [4] ولولا حفظ القرآن وتمسك العربي بلغته لما بقي من العربية شيء.

لقد عمل الاستعمار الفرنسي ما لا يمكن تصوره للقضاء على العربية، حيث اعتبرها لغة أجنبية في بلدها وفي وسط أهلها طيلة 132 سنة، فلم يكن هذا الاستعمار تدميرا سياسيا بإزالة سيادة الشعب الجزائري على أرضه ومصيره

---

[1] دراسات في فقه اللغة، م س، ص315

[2] فقه اللغة، م س، ص101 وما بعدها

[3] الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص105

[4] عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص320.

واختياراته بل بإزالة هويته وذلك بإفقاره وتجهيله ومن ثم القضاء عليه نهائيا [1]. إن هذه السياسة الاستدمارية لا تزال آثارها بادية للعيان إلى يوم الدين هذا " وهذا ما يفسر ما لقيته الجزائر من الصعوبات لاسترجاع لغتها وإحلالها مكانتها الطبيعية التي أفقدها إياها الغزاة"[2].

لقد كان الاستعمار الفرنسي ومنذ سنوات الاحتلال الأولى يدرك قوة اللغة العربية ومن ثمة قوة القرآن الكريم في قلوب الجزائريين. وبالتالي كان القضاء على العربية من أهم أولويات الاحتلال. يقول الفريد رامبو وزير التعليم الفرنسي عام 1897 " يجب أن نضمن السيطرة للغتنا وأن تدخل في أذهان المسلمين الفكرة التي نحملها نحن أنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم، وأن تحل محل الجهل والأفكار المسبقة المنغلقة"[3].

لقد طبقت فرنسا قوانين جائرة في سبيل القضاء على العربية بفرض قانون الأنديجينا، فحاربت المدارس واستولت على المساجد ودمرت الزوايا وكل ما يمكن أن يحافظ على شخصية هذه الأمة.[4] ولم يكتف الاستعمار الفرنسي بالقضاء على العربية الفصحى بل كان يشجع العاميات المتداولة... وعملت نفس الشيء بالنسبة للأمازيغية بلهجاتها المتداولة، وركزت بوجه خاص على منطقة القبائل [5].

وقد ذكر د/ أحمد بن نعمان [6] أن فرنسا ما فتئت تدعو إلى سياسة التفرقة بين العرب والبربر زاعمة أنها الوريث الشرعي للحضارة اللاتينية التي شيدها الرومان في شمال إفريقيا، فأنشأت إذاعة بإحدى اللهجات البربرية لأنها راهنت على

---

[1] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص 387.

[2] م ن، ص

[3] د/ محمد الميلي، وضع العربية خلال العهد الاستعماري، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر، ط 1/ 2007. عدد خاص، ص 59.

[4] د/ محمد العربي ولد خليفة، ملاحظات أولية حول العربية . من محن الكولونيالية إلى هيئتها الاستشارية، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 110.

[5] م ن، ص 109

[6] د/ احمد بن نعمان، وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال. مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 302.

المنطقة وتأكدت من قابلية أهلها للفرنسة، إلا أن ذلك لم يفلح وبقت المنطقة معتزة بمساجدها وكتاتيبها وزواياها التي تعلم القرآن والدين الإسلامي. وأكد ابن نعمان أن حرب فرنسا للعربية تمثلت على الخصوص في:

1 . هدم المدرسة العربية.

2 . إنشاء المدرسة الاستعمارية. ولتحقيق ذلك اعتمدت على:

1 . التفرقة بين العرب والبربر.

2 . الإدماج.

3 . التنصير.

إن الحديث عما فعلته فرنسا في العربية لا يكفي المجلدات وتكفي هنا هذه الإشارة[1].

وقد استطاعت الجزائر بفعل جهود مخلصيها وخاصة جمعية العلماء المسلمين التصدي لتلك الهجمة لإنقاذ ما يجب إنقاذه، وتواصلت الجهود بعد الاستقلال فيما يسمى (بالتعريب)، ثم مشروع المدرسة الأساسية وتعريب بعض الاختصاصات في التعليم العالي، وظهور بعض القرارات والمراسيم الجريئة لتعريب الإدارة، وكل ذلك أمر محمود[2].

بين اللهجة العامية واللهجة الهجينة

لقد بدأ الاهتمام بدراسة اللهجات العامية العربية دراسة علمية منذ العصور الأولى عندما اهتم القدماء بلحن العامة، وفي العصر الحديث بدأ الاهتمام جديا في القرن الماضي بهذه المسألة التي شجعتها التحولات السياسية والاجتماعية

---

[1] للتوسع في هذه المسالة يمكن العودة إلى المرجع السابق وهو عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للغة العربية حول محنة اللغة العربية أثناء فترة الاحتلال، وهو عدد ممتاز كتب فيه نخبة من المفكرين والمحللين الجزائريين مقالات وشهادات وتصريحات مثيرة حول الموضوع. العدد نشر بمناسبة الاحتفال بمرور 50 سنة على الثورة الجزائرية. تحت عنوان: اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007.

[2] للتفصيل انظر عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، مكتبة الشعب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981. وانظر بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، م س، ج 1 ص 387.

والثقافية التي عرفتها الأمة العربية والإسلامية منذ ظهور الاستعمار، ثم الغزو الثقافي، ثم تأثير وسائل الإعلام المدهش في البشرية آنذاك.

وقد اهتم الباحثون المشارقة بالعاميات العربية خاصة المصرية والعراقية والخليجية. ولعل أهم دراسة في هذا المجال ذلك المعجم الذي وضعه د/عبد الصبور شاهين حول الدخيل في العامية المصرية، ونشره لأول مرة في كتابه دراسات لغوية[1]. وأعقب شاهين ذلك المعجم بدراسة تحليلية وافية تناولت الدراسات السابقة للعامية منذ ظهور اللحن في اللسان العربي، وما أحصاه د/ رمضان عبد التواب في كتابه الهام (لحن العامة والتطور اللغوي) الخ...

وقد تطرق شاهين إلى خطورة هذا النوع من الدراسة باعتبار أن مسالة العامية أخذت حقها في النقاش بين الداعين إلى استعمالها كلغة بديلة للفصحى، وبين الرافضين لها خوفا على العربية ودينها، وإن كان هذا النقاش ليس مكانه الآن، إلا أننا نختلف مع د/ شاهين حين يرى أن تأثير العامية على الفصحى " غلو لا فائدة منه"[2] كما نختلف معه في كون " دراسة الدخيل في العامية يجب أن تتم لذاتها ومن حيث كونها سجلا لأحداث تاريخية واجتماعية ولغوية، ومن حيث هي مؤشر إلى مرحلة حضارية تعيشها الجماهير"[3]. هذا النظر يمكن التسامح فيه حول الدخيل الذي يخضع للقاعدة الصرفية العربية، والذي يصعب إيجاد بديل له في المتن العربي كالمصطلح العلمي وغيره، أما التسامح مع كل دخيل فذلك ما لا يخفى خطره على أحد.

والحق أن الخطر الذي تحمله تلك الألفاظ الهجينة لا يمتد فقط إلى اللغة ليزيل لفظا ويعوضه بلفظ آخر، إنما الخطر يمتد إلى الشخصية ذاتها والهوية وطرق التفكير، فيصيب الشخص بالعجز عن التعبير السليم، أو ما يمكن أن

---

[1] د/عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية (القياس في الفصحى– الدخيل في العامية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1986، ص 107 وما بعدها.

[2] م ن، ص 223.

[3] م ن، ص 223

نسميه (الإعاقة الإرادية في التعبير). وهذا بالضبط الذي تفطن له ابن خلدون حين تكلم عن ظاهرة التخلي عن اللسان الأصلي بسبب مخالطة الأعاجم حيث قال" فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، ... وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم و يربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى. واعتبر ذلك في أمصار أفريقية والمغرب والأندلس والمشرق[1]". وكأن ابن خلدون بيننا!

والغريب أن شاهين في خاتمة تلك الدراسة يحذر مما وقع في الجزائر ويطالب بحماية العامية المصرية قائلا بأنه " يوشك أن تغرق العربية الشعبية [2] في طوفان الدخيل، وحينئذ قد نواجه ما واجهت شعوب شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) من استعجام ألسنة الناس، يومها لن يجدينا أن نبدأ جهودا مضادة لتعريب الألسنة على طريقة (قل ولا تقل)[3]". وهو تخوف مشروع.

ولم نعثر في الجزائر [4] على دراسات ذات أهمية كبرى تحاول تقديم حلول لمعضلة العامية الهجينة الفرنسية في الجزائر. واقتصر الاهتمام على العامية العربية فقط في إطار الدراسات الشعبية أوما يسمى التراث الشفوي، كما اقتصرت البحوث اللسانية على محاولة اكتشاف علاقة العامية الجزائرية بالفصحى[5].

ولعل أهم دراسة في هذا الصدد كتاب د/ عبد المالك مرتاض (العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى)، والحق أن هذا المؤلف يعد معجما للألفاظ العامية

---

[1] المقدمة، ص 558.

[2] يقصد اللهجة المصرية.

[3] م ن، ص 253.

[4] استنادا لكتاب د/ مختار بوعناني، المصنفات اللغوية للأعلام الجزائريين عبر القرون، دار هومة، الجزائر، ط 1/ 2001. وهو معجم يضم كل الكتب المطبوعة والمخطوطة والرسائل الجامعية التي أنجزت في اللغة العربية وعلومها وعددها 1036 عنوانا.

[5] من اللهجات المدروسة (أطروحات ماجستير) نذكرمثلا: لهجة الدزيرية لنصيرة بودينة، جامعة الجزائر. لهجة جيجل لبلقاسم بلعرج، جامعة عنابة. لهجة تلمسان لبن عيسى التيجيني، جامعة تلمسان. لهجة بريكة لعبد الكريم عوفي، جامعة باتنة. لهجة البيض لمرسلي لعرج، جامعة وهران.

ذات الأصل العربي كألفاظ (الأطعمة، والأشربة، والفلاحة، والفنون الشعبية وغيرها). وقد أكد مرتاض أن العامية الجزائرية لها صلة وطيدة بالفصحى، وهي لهجة نقية وأصيلة [1]، وذكر في مقدمة كتابه أنه استبعد في هذه الدراسة الألفاظ الفرنسية، ودرس الألفاظ التي تنطق نطقا صحيحا من حيث المخارج والتهجي، وما اعتبره عامة الشعب الجزائري من العربية[2].

اللاوعي اللغوي في اللسان الجزائري

الإشكالية التي نود طرحها إذن تتمثل في استعمال المعجم الفرنسي (الألفاظ الفرنسية) في العامية الجزائرية بشكل يكاد يحول العامية الجزائرية إلى عامية فرنسية! وهذا أمر يدعو إلى الحيرة والقلق.

والحق أن اللغات تتلاقح وتتعارض وتتقاطع كما أسلفنا، حيث عرفت العربية في تاريخها الطويل مئات الكلمات الأجنبية ودخلت الاستعمال دون عياء كما رأينا في ألفاظ القرآن، لكن أن يتحول المعجم العامي الجزائري إلى معجم فرنسي بحت فهذا أمر لم تعرفه أي لغة في العالم. في البيت الجزائري تقول الأم لابنها:

روح (اذهب) إلى الكوزينة (cuisine) وجيب (احضر) الصرفيتة (serviette) والفرشيطة (fourchette) وحل (افتح) الفريجيدار (réfrigérateur) وجيب قرعة (زجاجة) ليموناد (limonade) وطفي (اطفأ) لمبولة (Ampoule).

في هذه الفقرة نلاحظ جيدا أن الأسماء كلها باللغة الفرنسية ما عدا الأفعال (روح، جيب، حل) وقد حاولنا جمع هذه الألفاظ الفرنسية المنطوقة بشكل مستمر في محيط البيت الجزائري فجمعنا مئات الألفاظ وهو عدد قليل باعتبار أن الجمع

---

[1] د/ عبدالمالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1/ 1981، ص 10.

[2] م ن، ص 10. لكنه أدرج ألفاظا ذات أصول فرنسية مثل النوتيل (النزل) التريسيتي (الكهرباء)، الباليزة (الحقيبة).

مس فقط العائلة العنابية (أقصى الشرق الجزائري) إذ لو امتد الجمع إلى كافة المناطق لوصل المعجم إلى الآلاف.

ومن الألفاظ الفرنسية في البيت الآتي:

الصالة:	Salon	أومبولة:	Ampoule
شومبرة:	Chambre	تيلي:	Télé
دوش:	Douche	بوست:	Poste
ستيلو:	Stylo	فيستة:	Veste
طابلة:	Table	بيجاما:	Pyjama
تريكو:	Tricot	فيسي:	w.c

هذا بالإضافة إلى الاستعمالات الأخرى مثل:

طاكسي: Taxi وتنطق في الغرب الجزائري لوطو L'auto وفي الوسط كروسة Carrosse

كاميو Camion، تروتوار Trottoir، أوتوروت Autoroute، ترام Train، بيسكلات Bicyclette، تيكي Ticket، بيي Billet، ريستورون Restaurant، مارشي Marché، ستاد Stade، سافا: Ça va نورمال: Normal، زوفري: جمع Ouvrier، كوم مام: Comme même، مورال Morale. تأمل هذه الجملة: نسيت تيكي (Ticket) في التريكو (Tricot) كي هبطت من الترام (Train) في لاقار (La gare).

وتأمل جيدا هذه الجملة: راجل (كرازاتو) (الماشينة) جاو (ليبومبيي) (راماصاوه) (مورسوات مورسوات).

والمعنى راجل: (رجل)

كرازاتو من فعل Ecraser أي دحسته

الماشينة La machine ويقصد بها القطار

جاو (جاؤوا)

ليبومبي Les pompiers رجال المطافئ

راماصاوه من فعل Ramasser أي حملوه

مورصوات جمع Morceau أي مجموعة من القطع

فحوالي 80% من هذه الجملة فرنسية، ومثلها كثير جدا.

وقول الآخر: (قاري) في (الباركينغ) و(سيري) (آ دروات)

قاري: أي أوقف سيارتك

الباركينغ: الموقف parking

سيري: أي احصر سيارتك من فعل serer

آدروات: أي على اليمين، droite

وهذا هو الذي أسميناه اللاوعي اللغوي.

فنحن لا نستطيع أن نعتبر هذه الجملة من العامية، بل هي جملة فرنسية خضعت للكنة جزائرية، المشكلة هنا أن المتكلم يعتقد أنه يتكلم بالعامية الجزائرية، ونحن اسمينا هذا الاستعمال باللغة اللاواعية لأن المتكلم بهذه العامية الهجينة لا يعي أنه يتكلم باللغة الفرنسية، بل يعتقد أنه يتكلم بعامية جزائرية عربية. وهذا هو الخطر الذي يحدق بالإنسان الجزائري وفكره وسلوكه إلى درجة أن أي جزائري يعرف بسهولة في أي بلد عربي لأنه ببساطة يستعمل الفرنسية كثيرا دون وعي منه.

إن حالة (اللاوعي اللغوي) هذه شبيهة بالذي يتكلم أثناء نومه وكأنه في حلم عميق، أو الذي يتكلم في حالة هيجان، ثم إذا أخبر عما فعله أو قاله لا يكاد يصدق. نفس هذه الحالة يجدها الذي يتكلم بالعامية الهجينة التي أغلب ألفاظها

فرنسية، فإذا قلت له إن ألفاظك كلها فرنسية سيضحك وكأنه يستيقظ من غفوة، ويعود إلى وعيه اللغوي.

مقاربة للحل:

الدكتور عبد المالك مرتاض قال إنه " لو كان في كل حي خمسة عشر مثقفا أو أكثر، وأصبح كل واحد منهم يتكلف عبارات وألفاظ فصيحة في أحاديثه مع جيرانه ومعارفه، لطمعنا في أن قومنا لا تتعرب لهجاتهم وتتحسن لغتهم فحسب، ولكن لعلهم أن يصبحوا ممن يستعملون في أحاديثهم اليومية كثيرا من الألفاظ الفصيحة العالية" [1]. بل وذهب إلى أن المثقفين لو أخلصوا في عملهم (يقصد القيام بحملة تفصيحية للسان الجزائري) لتوصلوا إلى نتائج ثورية [2]. وواضح أن الدكتور آنذاك كان متفائلا كثيرا لمستقبل العربية إلى درجة أنه قال عن لفظة التريسيتي (الكهرباء) وهي فرنسية الأصل " هذه الفظة البشعة ستضمحل من عاميتنا بعد زمان محدود"[3]. وهذا تفاؤل مبالغ فيه.

لحل هذه المعضلة نقترح بعض الإجرآت العملية والمقسمة حسب المراحل الآتية:

المرحلة الأولى:

نحن نعمل الآن على صناعة معجم لهذه الألفاظ، وهو عمل يحتاج إلى جهد وزمن وطول نفس، لأن عملية الجمع هذه يجب أن تكون شاملة لمختلف ولايات الوطن، حيث لاحظنا استعمال ألفاظ أخرى من اللغات الإيطالية والاسبانية والبرتغالية خاصة في الغرب الجزائري، لكن الغالب وبنسبة 90% تعود إلى الألفاظ الفرنسية. هذه المرحلة يمكن أن تمتد إلى ثلاث سنوات.

---

[1] م ن، ص 9.

[2] م ن، ص11.

[3] م ن، ص43.

بعد جمع الألفاظ يتم صناعة المعجم حسب الموضوعات أو ما يسمى بالحقول وفيه نصنف الألفاظ حسب بيئاتها، ولعل أهم هذه البيئات المنزل وكل ما تعلق بالأشياء الموجودة به والمستعملة يوميا، مثل (دوش، شومبرة، فريجيدار، صالون، بالكون، إلخ..) ثم بيئة الشارع (تروتوار، طاكسي، كاميو، بيسكلات، موتو، ريستورون...) وعن هذه البيئات تتفرع حقول أخرى كثيرة، فبيئة المنزل تحوي مثلا حقل اللباس (تريكو، بيجاما، روب دوشومبر، كالسون، سليب، كلاكات..) وحقل الأدوات (فرشيطة، سرفييتة، كوتو، ستيلو، كايي، طابلة..) وحقل المأكولات والمشروبات (ليموناد، بتي بانا، طوماطيش...) ومثل ذلك في بيئة الشارع.

ثم نقدم في المعجم الألفاظ التي تعبر عن الأفكار والمعاني (إسبري Esprit، سونتيمونتال Sentimentale، ترونكيل Tranquille، دونجي Danger) وغير ذلك من التقسيمات الكثيرة للألفاظ المستعملة في الحياة العادية (Bien)،(ça va والألفاظ المستعملة في مختلف المهن (موتور Moteur، موتو Moto، مارتو Marteau).

هذه المرحلة يمكن أن يكلف بها طلبة الجامعة من أقسام اللغة العربية في مختلف جامعات الوطن، وينسق العملية خلية بحث من أساتذة أكفاء، يتم اختيارهم من طرف هيئة تتبنى العملية كالمجلس الأعلى للغة العربية.

المرحلة الثانية:

إذا علمنا أن الطفل يعيش في ثلاث بيئات تعليمية– تربوية؛ وهي:

1. بيئة الأسرة (لغة الأم).
2. بيئة المدرسة (لغة الخاصة).
3. بيئة الشارع وأماكن الترفيه الخاصة بالطفل (لغة العامة).

فإن هذا يدل على أن الضحية الأولى لما أسميناه باللاوعي اللغوي هو الطفل ذاته، يعني ذلك أن الطفل وبطريقة عفوية (ينهل) لغويا من هذه البيئات

الثلاث وفي الوقت ذاته يميز بينها، ويعرف القيمة الاجتماعية لكل بيئة، فهو لا يستطيع أن يتكلم بلغة المدرسة في البيت وفي الشارع، ولا يستطيع أن يتكلم بلغة البيت في المدرسة، كما لا يستطيع أن يتكلم بلغة المدرسة ولغة الشارع في البيت.

إن هذا الخلط في الاستعمال اللغوي لدى الطفل والحدود التي يتعرض لها، وكذا الضغوط المسلطة عليه، والضوابط التي يجب أن لا يتجاوزها في كل بيئة؛ تخلق منه طفلا معقدا على المستوى اللغوي، فهو يبذل جهدا دائما في اختيار الألفاظ المناسبة لكل بيئة، وأكثر جهد سيبذله هو اختيار الألفاظ العربية الصحيحة التي يتعامل بها في القسم مع المدرس، ويظهر لنا هذا الجهد عندما يتأخر الطفل (التلميذ) في الإجابة على أي سؤال يطرحه المعلم، ويرجع هذا التأخير إلى تلك العملية المعقدة التي تحدث عند الطفل في علاقة (اللغة بالتفكير)، فهو دائما يفكر بلغة الشارع أو لغة البيت وعندما يريد التحدث في القسم يقوم بعملية (ترجمة) إلى الفصيحة، فلو سأله المعلم عما فعله بالأمس فإن التلميذ سيجد صعوبة كبيرة ليقول مثلا: ذهبت مع صديقي إلى الحديقة لنلعب بالدراجة، وأكلنا لمجة، ثم شربنا المشروبات.

لماذا هذه الصعوبة؟

لأن اللغة التي فكر بها التلميذ هي: رحت أنا وصحيبي لـ (الجردينة Jardin) نلعبوا (بالبسكلات Bicyclette)، كلينا البريوش brioche وشربنا (ليموناد Limonade).

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا خاصة إذا سأل المعلم التلميذ عن أدوات المطبخ فإن الصورة الصوتية ستتضح في مثل قوله (فريجيدار، طاس، فرشيطة، سرفيتة أو سربيتة...) وكلها كلمات تحتاج إلى تفكير وترجمة، وهذا ما يعيق التلميذ على التحدث بسرعة بعربية سليمة وطليقة.

نحن في هذه المرحلة حددنا الجمهور المستهدف وهو نظريا كل الشعب الجزائري، لكن نعتقد أن الطفل هو الضحية الأولى وهو المستقبل الذي يعول عليه في حل المعضلة. وبالتالي فقد تحدد ميدان التجربة.

المرحلة الثالثة:

إذا عرفنا أن هدفنا هو الطفل، فقد عرفنا كيف سنصل إليه، والواضح أن أهم بيئة للطفل هي البيت ثم المدرسة ثم أماكن الترفيه.

بالنسبة للغة الأم فالكل يعرف تأثيرها السحري على ابنها وبالتالي في هذه المرحلة سنتوجه إلى أمه التي تعلمه اللغة الأولى، وسنقدم لها ذلك المعجم الذي جمعناه للألفاظ الهجينة في شكل دليل مطبوع بطباعة راقية والذي سيحتوي على الكلمة اللاواعية (الفرنسية) مقابل الكلمة الواعية (العربية) مع الشرح والتوضيح باستعمال الرموز والصور.

ونفس الدليل نقدمه للمعلم في المدرسة وكل من له صلة ببيئة المدرسة كدور الحضانة ومستشفيات الطفولة والمراكز وغيرها.

أما أماكن الترفيه كالمسارح وقاعات اللعب والمكتبات العمومية فيمكن إيصال هذا الدليل إلى المشرفين عليها وتدريبهم وتشجيعهم على استعمال العربية السليمة.

إن هذه العملية تحتاج إلى وسائل مادية وبشرية نوجزها فيما يأتي:

1 – إنشاء جمعيات تطوعية في كل ولاية تعمل على إيصال هذه الفكرة، وتوزع الدليل مجانا على الأمهات العاملات والماكثات في البيت مع تنشيط ملتقيات وندوات وخرجات للتحسيس بالمسألة.

2 – مساهمة الإذاعة التلفزيون ولو بدقيقة (يوميا) لقراءة الدليل.

3 – تدريب منشطين وصحفيي الإذاعة والتيليفزيون على الاستعمال الجيد للعربية السليمة وتشجيعهم على ذلك بالمسابقات والتحفيزات المختلفة. وكذا إنجاز

حصص تثقيفية لغوية ترفيهية لتعليم العربية والحفاظ على الفصحى. كمنافسة أرقام وحروف في التيليفزيون الفرنسي.

4 – مساهمة الجرائد بعدم استعمال العامية الهجينة، وترقية مستوى الكتابة الصحفية.

5 – تشجيع طلبة أقسام اللغة العربية في كافة الجامعات على إجراء تجارب ميدانية للقضاء على الألفاظ الهجينة، مع إجراء بحوث لسانية تعنى بتدعيم تعليم العربية وتطبيق أحسن المناهج في تدريسها ضمن مقياس اللسانيات التعليمية.

6 – تنظيم مسابقات وطنية للبحث عن السبل الكفيلة للقضاء على الألفاظ الهجينة واستبدالها بالألفاظ العربية السليمة، يشارك فيها الباحثون والمهتمون بالعربية.

7 – تنظيم مسابقات للتلاميذ في الأطوار الأولى على الاستعمال السليم للعربية. وتشجيع المدرسين على المساهمة في هذا المسعى النبيل خاصة بتشجيع التعبير الشفي داخل الأقسام وخارجها.

8 – تنظيم المعارض والندوات والملتقيات المحلية والوطنية والدولية للتحسيس بأهمية اللغة العربية.

9 – توفير ميزانية كافية لإنجاز الدليل (لمختلف البيئات اللغوية) تساهم فيها الدولة والوزارات والمؤسسات المعنية بهذه القضية خاصة الجامعات.

خاتمـــة

تلكم هي ملاحظات سريعة وخاطفة حول مشكلة اللهجة الهجينة في الجزائر، ونحن ندرك أن هذا الموضوع لم يأخذ حقه من البحث والطرح، كما ندرك أن هناك من يزعجه هذا الحديث، ولكن خوفا على هذه اللغة وأهلها، وإشفاقا بأبنائنا الذين يصلون إلى شهادة ليسانس ويرتكبون أبشع الأخطاء النحوية والإملائية، يجب أن نتحرك لوضع حد لهذه المهزلة المنكرة، والعمل بجد على

تصحيح الوضع. هدفنا الوحيد هو عودة الوعي إلى اللسان الجزائري، ونريد ببساطة أن يستفيق هذا اللسان من غفوته ويشعر على الأقل أنه لا يتكلم عامية عربية جزائرية بل يتكلم عامية هجينة فرنسية لقيطة.

يجب أن نشير في الأخير إلى أن هذا العمل يحتاج إلى سنوات من العمل الدؤوب، وليحمل المشعل جيل بعد جيل حتى يتخلص الشعب الجزائري من هذا الفيروس الفتاك الرابض على قلوبنا، ونتحرر من استعمار طال أمده.

الإحالات والهوامش

[1] د/ الحاج عبد الرحمان صالح، بحوث ودراسات في السنيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ج2 ص 107.

[1] مقابل اللسانيات الداخلية التي تهتم بدراسة لغة واحدة دون مقارنة أو مقابلة. انظر فرديناند دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1/ 1985، ص285 وما بعدها.

[1] م ن، ص 285.

[1] انظر تفصيلا لهذه المسألة د/ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1/1986.ص314 وما بعدها. وانظر د/ عبد الواحد وافي، فقه اللغة، شركة نهضة مصر، القاهرة، ط4/2005، 153 وما بعدها.

[1] انظر حول مختلف هذه الآراء جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط/2003،

ج2 ص105. وكذا المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج1 ص266.

[1] ويرى هؤلاء أن الألفاظ الأعجمية القليلة لا تبطل كون القرآن عربياً. انظر الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص105.

[1] المزهر، ج1 ص269.

[1] دراسات في فقه اللغة، م س، ص315.

[1] فقه اللغة، م س، ص101 وما بعدها.

[1]الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص105.

[1]عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص320.

[1] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص 387.

[1] م ن، ص

[1] د/ محمد الميلي، وضع العربية خلال العهد الاستعماري، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر، ط1/ 2007. عدد خاص، ص 59.

[1] د/ محمد العربي ولد خليفة، ملاحظات أولية حول العربية . من محن الكولونيالية إلى هيئتها الاستشارية، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 110.

[1] م ن، ص 109

[1] د/ احمد بن نعمان، وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال. مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 302.

[1] للتوسع في هذه المسالة يمكن العودة إلى المرجع السابق وهو عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للغة العربية حول محنة اللغة العربية أثناء فترة الاحتلال، وهو عدد ممتاز كتب فيه نخبة من المفكرين والمحللين الجزائريين مقالات وشهادات وتصريحات مثيرة حول الموضوع. العدد نشر بمناسبة الاحتفال بمرور 50 سنة على الثورة الجزائرية. تحت عنوان: اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، ط 1، 2007.

[1] للتفصيل انظر عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، مكتبة الشعب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1981. وانظر بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، م س، ج 1 ص 387.

[1] د/عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية (القياس في الفصحى– الدخيل في العامية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 107 وما بعدها.

[1] م ن، ص 223.

[1] م ن، ص 223.

[1] المقدمة، ص 558.

[1] يقصد اللهجة المصرية.

[1] م ن، ص 253.

[1] استنادا لكتاب د/ مختار بوعناني، المصنفات اللغوية للأعلام الجزائريين عبر القرون، دار هومة، الجزائر، ط1/ 2001. وهو معجم يضم كل الكتب المطبوعة والمخطوطة والرسائل الجامعية التي أنجزت في اللغة العربية وعلومها وعددها 1036 عنوانا.

[1] من اللهجات المدروسة (أطروحات ماجستير) نذكرمثلا: لهجة الدزيرية لنصيرة بودينة، جامعة الجزائر. لهجة جيجل لبلقاسم بلعرج، جامعة عنابة. لهجة تلمسان لبن عيسى التيجيني، جامعة تلمسان. لهجة بريكة لعبد الكريم عوفي، جامعة باتنة. لهجة البيض لمرسلي لعرج، جامعة وهران.

[1] د/ عبدالمالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1/ 1981، ص 10.

[1] م ن، ص 10. لكنه أدرج ألفاظا ذات أصول فرنسية مثل النوتيل (النزل) التريسيتي (الكهرباء)، الباليزة (الحقيبة).

[1] م ن، ص 9.

[1] م ن، ص11.

[1] م ن، ص43.

المقترض في القواميس العامّة بين الغربة والاندماج

أ. د: زكيّة السائح دحماني– جامعة منوبة – تونس

يمثل مبحث المصادر والمستويات اللّغويّة الأسّين الهامّين لركن الجمع في التّأليف القاموسي. وتصنف المستويات اللّغويّة إلى أربعة أصناف اختلف اللغويون منذ الخليل وإلى الآن في الحكم على منزلتها من التأليف القاموسي وهي:الفصيح

المشتركبين قبائل العرب ، والمولّد المستحدث في اللّغة بعد عصر التّدوين، والعاميّ المستعمل من ألفاظ اللّغة في التعامل اليومي من طرف مجموعة لغويّة ضيّقة ضمن مجموعة لغويّة موسّعة، والمقترض وهو كلّ لفظ أعجمي معرّب أو دخيل أدمج في اللّغة المورد عن طريق تلاقح الحضارات وتقارب الشعوب. ويعدّ هذا المستوى أقلّ شيوعا وتواترا من المستويات الثلاثة الأولى، وإن لم تخل منه لغة بشريّة. فيدرج قليله في القواميس العامّة وكثيره في القواميس المختصّة. ورغم الدرجة الضعيفة التي حظي بها في التوليد المعجمي، فهو يعتبر من الأهميّة بمكان نظرا لمساهمته في التعدّد اللساني نقلا وترجمة وتداخلا لغويّا.

سنثير في هذا العمل مجموعة من المسائل التي لها صلة بظاهرة الاقتراض في القواميس العامّة لنتبيّن من خلالها:

1 – مدى حضور اللفظ المقترض في القواميس العربيّة العامّة الحديثة.

2 – طرق تنصيص القواميس على المستوى اللّغوي لكلّ وحدة معجميّة مقترضة.

3 – أسباب لجوء اللغات إلى المقترض.

4 – دور المقترض في إثراء القاموس العام والمختص.

توظّف اللّغة العربية لتوليد وحدات معجميّة جديدة توليدا ذاتيّا قواعد لغويّة من داخل اللغة تتفاوت أهميّة هي التوليد الصوتي والتوليد الصرفي والتوليد الدلالي ، تضاف إليها قاعدة توليدية من خارج اللّغة هي الاقتراض المعجمي الذي يتحقّق بأخذ لغة مورد من لغة مصدر وحدات عامة ومصطلحات تسدّ بها الخانات الشاغرة في رصيدها استجابة لمتطلبات العصر ولحاجات مجتمعها. وقد يكون التقارض عن طريق لغة وسيطة وليس بالتبادل المباشر بين اللغة المصدر واللغة المورد ممّا يؤكد على تداخل اللغات تداخلا طبيعيا وتلاقح الحضارات

الإنسانية ومن أمثلتها كلمة أفيون التي أثبتت " مراجع كثيرة أنها من اليونانية « opion » وأن اليونانية قد أقرضت الفارسيّة أيضا فقيل فيها « أبيون »"[1].

ويتحقّق التقارض بين اللّغات باعتماد طريقتين: إمّا أخذ الدّال والمدلول معا في الاقتراض الحقيقي الذي يحمل على النّقل ويكون في الوحدات المعجميّة العامّة والمصطلحات المخصّصّة المتعلّقة بالأشياء والمفاهيم في العلوم والفنون. وإمّا بنقل المدلولدون الدّال في الترجمة الحرفية بنسخ المضامين دون المباني.

فالاقتراض وسيلة من وسائل إثراء المعجمين العامّ والخاصّ [2] ويمثّل مظهرا من مظاهر التّداخل اللساني بين العربيّة وغيرها من اللّغات المقرضة في المجال المعجمي، ويبرهن على انفتاح لا بدّ منه، ويؤكد على " قدرة العربيّة على استيعاب الثقافات الأعجميّة الوافدة عليها مشرقا ومغربا" [3]. فقد اقترضت ألفاظ اللغة العامّة وأكثرت الاقتراض من العلوم وخاصّة المواليد الطبيعيّة من نبات وحيوانات ومعادن إلى جانب مصطلحات العلوم الصحيحة والتكنولوجيا والفنون ، وأقرضت بدورها العديد من مصطلحاتها الطبيّة والفيزيائيّة والرياضيّة.

وقد اقتبس العرب في الجاهلية عن الفارسيّة واليونانية والسريانيّة والعبريّة ألفاظا عديدةمنها الإبريق والنرجس والشطرنج والفردوس والناقوس والشيطان... كما أخذوا في صدر الإسلام من اليونانية والفارسيّة وغيرهما كلمات كثيرة كالبلور والفلسفة والجغرافيا. وأكثروا من الاقتراض حديثا في العلوم والفنون خاصّة من اللّغات التي تربطها بها علاقات تاريخية كفرنسا، ومن لغات بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط الشّمالية.

---

[1] ابن مراد (إبراهيم) : مسائل في المعجم : ص 218 ، دار الغرب الإسلامي 1997

[2] نعني بالمعجم الرصيد اللغوي العام المشترك بين مجموعة لغوية واحدة ويقابله في الفرنسية Le lexique ، وقد يكون رصيدا لغويا خاصّا في العلوم والفنون، بينما نقصد بالقاموس جزءا من هذا الرصيد المكون للغة ، مدوّنا في كتاب ، مرتبا ومعرّفا بطريقة مّا، يعبّر عنه في الفرنسية بمصطلح dictionnaire.

[3] ابن مراد (إبراهيم) : نفسه . ص 205 .

وكما أخذت العربية عن غيرها فقد أعطت أيضا الكثير من الألفاظ لعديد اللغات ومنها الفرنسية التي أحصت منها فاطمة لخضر870 كلمة[1] دون اعتبار ما تولّد عنها في اللّغة المورد من مشتقات. وهي قائمة مفتوحة ومرشّحة للتضخيم بالبحث والتنقيب من ذلك: أجيج (ء.ج.ج) avive، أمير البحر (ء.م.ر) amiral، بارجة (ب.ر.ج) barge، تعريف (ع.ر.ف) tarif ، خافيا (خ.ف.ي) mafia، درجة (د.ر.ج) degré، شراب (ش.ر.ب) sirop، كحول (ك.ح.ل) alcool، وليجة (و.ل.ج) valise...

إنّ المجال المعجمي أقوى مجالات الاقتراض اللّغوي لأنه مجال مفتوح ، بينما حافظت المستويات اللّغوية الأخرى على انغلاقها ونمطيّتها لأنها مجالات محافظة. وليس وجود المقترضات في قواميس اللّغة العربية قديمها وحديثها إلاّ دليلا على حركيّتها وانفتاحها على امتداد التاريخ على غيرها من اللغات وتلاحمها بالحضارات البشرية أينما ازدهرت العلوم. فالاقتراض المعجمي مظهر من مظاهر الاتصال بين اللغات والشّعوب وقاطرة لانتشار الثقافات والتقاء المجتمعات في ميادين متعدّدة من حياتها اليوميّة.

قسّمت الدّراسات المعجميّة الاقتراض المعجمي إلى صنفين كبيرين هما الاقتراض الحقيقي والاقتراض الدلالي . ونقسّمه بدورنا تقسيما ثنائيّا إلى اقتراض في القواميس العامّة خاضع لمقاييس لغويّة صوتيّة وصرفيّة واقتراض في الاستعمال العام تفرضه على المتكلّم ضوابط اجتماعيّة وخيارات فرديّة.

1 – الاقتراض في القواميس العامّة:

1 1 الاقتراض الحقيقي:

يتحقق باستعارة وجهي الدّليل من لغة أجنبية. وصف بالحقيقي لأنّه ضروري واع يعمد إليه مستعمل اللغة لحاجته إليه قصد ملء الخانات الشاغرة بالألفاظ العامّة

[1] فاطمة لخضر : الكلمات العربية في اللغة الفرنسية : أصولها وتحوّلاتها . معجم عربي – فرنسي / فرنسي – عربي . ص 8 وما بعدها . تونس 2006.

والخاصّة التي ليس لها ما يناسبها آنيّا في اللغة الأمّ. وهو حقيقيّ أيضا لأنّه يمثّل قاعدة لغويّة قائمة بذاتها لتوليد الوحدات المعجميّة وتطوير الرصيد. ويتطلّب انفتاح نظام اللغة الآخذة على أنظمة لغوية أخرى إدخال تغييرات على الألفاظ المقترضة، فتتفاوت درجات التغيير حسب نوع الاقتراض الحقيقي الذي يصنف إلى صنفين: معرّب ودخيل.

1 1 1 المعرّب:

تدخل اللغة المورد على دوالّ الوحدات المعجميّة المقترضة تحويرات بالزيادة والنقصان، فتغيّرها صوتيا وصرفيا بأن تطوّعها لتأليفها الصوتي وبنيتها الصّرفيّة ونمطها الصّيغي خاصّة متى اختلفت مع اللغة المصدر في الانتماء العائلي وفي طبيعة البنية الصرفية. ويتمّ إدماج اللّفظ بإلحاق تعديلات به في نظام اللّغة الآخذة، فيوافق مقاييس العربيّة ويدخل في جداولها التّصريفيّة ويتولّد تولّدا مقيّدا داخليا غير سلسليّ بعد أن كان يتولّد في اللّغة الأصل تولدا سلسليا مطلقا خارجيا مفتوحا. ويعدّ هذا الضّرب من الاقتراض المقنّن معرّبا intégré emprunt لأنه فقد خاصيات اللغة المصدر الصوتيّة والصرفية وحافظ على المدلول سالما. وهو اقتراض عفويّ يبحث له مقترضوه عن وسائل الإدماج ويسعون إلى تخليصه شكلا من عجمته. وقد عجّت بهذا الصّنف من المقترض قواميسنا العامّة والخاصّة وكتبنا العلمية المترجمة والمؤلفة، فلخترنا كمدوّنة لأمثلتنا قاموسين معاصرين أحاديي اللغة هما"المعجم الوسيط" قاموس مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة و" المعجم العربي الأساسي" قاموس المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، وقاموسا ثنائي اللغة فرنسيا – عربيا هو "المجيب" للأستاذ أحمد العايد وشريكيه عبد القادر بلعيد وهشام حسّان . وركّزنا على قواميس اللغة العامّة لأنّ " الجماعة اللغوية في العادة تنحو إلى الاقتراض دون تخطيط مسبق.أمّا العلماء سواء كانوا أفرادا مستقلّين أو كانوا منتمين إلى المؤسسات العلميّة أو اللغوية، فهم

الذين يقترضون بوعي"[1]. وعلاوة على ذلك فإنّ القواميس العامة تتميّز بتضمّنها لمداخل عامّة ومخصّصة كما يتجلّى من المدوّنة ممثّلة في الشبكة التالية.

اللّوحة رقم1

القاموس / المدخل	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي	المجيب
تلفزيون	تلفزيون (د)	• (ت.ل.ف.ز) تلفز يتلفز تلفزة. متلفز. تلفاز.(فعلل يفعللفعللة مفعلل فعلال) تلفزيوني، تلفزيون	تلفزة تلفزيون تلفاز: télé تلفزة ج تلفزات television تلفز téléviser تلفازج تلافز téléviseur تلفزي télévisuel
تلفون	التّلفون (د) *الهاتف	• (ت.ل.ف.ن) تلفن يتلفن تلفنة.(فعلل يفعللفعللة) تلفوني، تليفوني التلفون. *الهاتف التلفونات	*هاتف ج هواتف téléphone تلفون *هتف.تلفن téléphoner *هاتفيّ téléphonique تلفوني *اتصال هاتفي Communicationtéléphonique *موظّف هاتف

[1] فتحي جميل: المقترضات المعجميّة في القرآن بين المقاربة اللّسانيّة والمقاربة المذهبيّة. ج1. ص 42.

* : تدل علامة النجمة على المقابل العربي للفظ الأعجمي

			téléphoniste
درهم Drakhmê (يوناني)	درهم.ج.درا هممدرهم (مع)	• (د.ر.ه.م) درهم.ج .دراهم (فعلل،فعالل) دريهم.ج دريهمات (فعيللفعيللات)	درهم .ج. دراهم Dirham (Ø)
صراط Strata (لاتيني)	صراط (Ø)	• (ص.ر.ط) صراط. ج.صرط (تكتب كذلك بالسين: سراط)	(Ø)

اختلف تعامل القواميس الثلاثة مع الوحدات المعجميّة الأربعة (تلفزيون، تلفون، درهم، صراط) . فقد رتّبها المعجم الوسيط ترتيبا ألفبائيّا بحسب الحرف الأوّل للكلمة ، وأثبتها تحت مداخل مستقلّة ونصّص على مستوياتها اللّغويّة . فكلّ من "التلفزيون" و"التّلفون" دخيل (د) غير مقيس بنية ووزنا، بينما طوّعت اللغة اللّفظ المقترض "درهم" ، فعرّب (مع) ودخل جداول التصريف العربيّة ، فجمع واشتقّ منه اسم الفاعل (دراهم، مدرهم) ، وسكت الوسيط عن الأصل اللّغوي للمدخل "صراط" (Ø). ومزج بين الأعجمي والعربي فرادف بينهما في " التلفون" و "الهاتف"، وكذلك فعل المعجم الأساسي والقاموسالمجيب. ولكنّ المعجم الأساسي خالف الوسيط تماما في منهج الجمع والوضع ، فقد افترض للوحدات المقترضة جذورا نظرية عربيّة بعدد الحروف المكوّنة للكلمة، وأخضعها كلّها للأوزان الرّباعية (فعلل يفعللمفعلل فعلال فعللةفعالل)، ورتبها ألفبائيّا كترتيب المداخل العربيّة، ووسّع حقولها الاشتقاقيّة دون ذكر مستوياتها اللّغوية وأصولها، وصرّفها صيغيّا من المفرد إلى الجمع (درهم ج دراهم، صراط ج صرط)، وزمانيّا (تلفن، يتلفن) واشتقّ منها مقولات الفعل والاسم والصفة (تلفز يتلفز متلفز تلفزة تلفاز) . ولأنّه عرّب المقترض فقد انتقل به من مقولة الاسم (تلفزيون ، تلفون) إلى مقولة الفعل (تلفز ، يتلفز ، تلفن، يتلفن). وبنى من المقترضات مجموعة من الجذوع جلّها

رباعيّ مقيس على أوزان العربيّة وصيغها المجرّدة و المزيد، ومدمج في جداولها التصريفيّة الفعليّة والاسميّة منها:

(ب.ي.ط.ر): بيطر، يبيطر، بيطرة، بيطار، بيطريّ، ج. بياطرة وبياطير. (يوناني Hippiatros)

(ف.ل.س.ف) فلسف، يفلسف، فلسفة ، فيلسوف، ج . فلاسفة . (يوناني Philosophia) تفلسف، يتفلسف، تفلسفا، متفلسف.

(ق.ل.ن.س) قلنسوة، ج قلانس.

(س.ف.س.ط) سفسط، يسفسط، سفسطة، سفسطائيّ، سفسطائي . (يوناني sophistês)

(ج.و.ر.ب) جورب، ج جوارب.(فارسي gûrpâ)

ورغم تصريح جلال الدّين السيوطي بعدم اشتقاق العربية من الألفاظ المقترضة في قوله "محال أن يشتق العجميّ من العربيّ أو العربيّ منه لأنّ اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى مواضعة كانت في الأصل أو إلهاما وإنّما يشتق في اللغة الواحدة بعضها من بعض لأنّ الاشتقاق نتاج وتوليد(...) ومن اشتق الأعجميّ المعرّب من العربيّ كان كمن ادعى أنّ الطير من الحوت"[1]، فإنّ العربيّة عالجت بعض المقترضات المتواترة معالجة خاصّة فأخضعتها للقياس وأدرجتها في نظامها الاشتقاقي وجداولها الصّيغيّة، وولّدت من الجذوع الأعجميّة حقولا اشتقاقيّة بآليّات صرفيّة دون أن يمسّ ذلك القاعدة والذّوق العربيين ودون مغالاة في إخضاع ما يعمل بنظام الأسّ le radical إلى نظام الجذر la racine. وسبب هذه الاستحالة التي تحدّث عنها السيوطي تعود إلى اختلاف النظام الصرفي غير السّلسلي القائم على الاشتقاق في توليد وحدات المعجم توليدا داخليا مقيّدا في اللّغة العربيّة والساميات، عن النظام الصرفي السّلسلي المتولد

[1] – جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جزءان، ج1 ص 287.النوع التاسع عشر (معرفة المعرّب)

خارجيا بتوسيع الأس توسيعا مطلقا في اللّغة الفرنسية وغيرها من اللّغات الهنديّة الأروبيّة. إلاّ أنّ النحاة واللّغويّين القدامى لم يتشدّدوا تشدّد السيوطي في منع الاشتقاق من الأعجمي منعا باتّا. فقد جاء في كتاب العين للخليل ص 125 ج 4 " الدّرهم والدّرهم لغتان، رجل مدرهم: كثير الدراهم. ادرهمّ الشيخ ادرهماما أي كبر". وقال ابن منظورعننفس المدخل ص 341 ج 4" اشتقوا من الدراهم فعلا وإن كان أعجميّا". وقد اشتقّ اللّسان من المقترضات ومن بينها بيطر وجورب ودرهم وفلسفة وقلنسوّة . فصرّح أحيانا بعجمة بعضها وسكت عن بعضها الآخر فعاملها معاملة الأصول العربيّة[1]

يمثّل المجيب من خلال أمثلةاللّوحة الأولى منهجا خاصّا في التأليف القاموسي، لأنّه قاموس ثنائي، لغته المصدر الفرنسية التي تتعدد مداخلها الثانوية في شكل مشتقات من اللغة الأم، فقابلها المترجم باللفظ الدخيل (تلفزيون، تلفون)، و المعرّب (تلفاز، فعلال)، والمشتقات (تلفز تلفزة)، والترجمة الحرفيّة فنقل المدلول دون الدال (هاتف ، هاتفي)، غرضه من كل ذلك ليس التركيز على المستويات اللغوية أو التوليد من المقترضات بقدر ما هو بحث عن المقابل العربي وسدّ كل الثغرات في اللغة المترجم إليها. وقد حمل المجيبالمدخل درهم في اللغة المصدر "الفرنسية" على أصل عربي دون أن يعود به إلى أصله اليوناني Drakhmê. والسبب في ذلك أنه ليس قاموسا تأصيليّا وأنّمنطلقهالمدخل الرئيس الفرنسي المستعمل آنيّا والمقترض عن لغة وسيطة ثانية هي العربيّة.

1 1 2 الدخيل

[1] انظر لسان العرب لابن منظور: ج 1 ص 430، ج 2 ص 230، ج 4 ص 341، ج 10 ص 319 ، ج 11 ص 271.

هو نوع من الاقتراض الحقيقي l'empruntintégral أو Le xénisme[1] الذي يدمج صوتيّا في نظام اللّغة المقترضة ويبقى مستعصيا عنها صرفيا، فلا يقبل بنية الكلمة العربيّة ولا يقاس على أوزانها، ولا يدخل في جداولها التصريفيّة، فيحافظ بذلك على كثير من مظاهر عجمته ولا تخفى غربته عن مستعمل اللغة بسبب " ظهور أنماط غريبة من المفردات وخاصّة المفردات المنتقلة من اللغات السلسليّة البنية إلى اللّغات ذات البنية غير السّلس لية."[2] فالدخيل وسيلة توليديّة مخصوصة تنقل المصطلحات الأعجميّة بوجهيها الدّالي والمدلولي التي لا مقابل لها في اللغة المورد وتوجد مسمّيات للمفاهيم. وهو عمليّة معجميّة موضوعيّة واعية وضرورة إلزاميّة تستوجب اقتراض الإنتاج و اسمه بقطع النظر عن انصهاره أو عدم انصهاره في النّظام، ف هي مسائل لا تعني المصطلحيّ. لذلك اقترضت مصطلحات الطب والصيدلة و النبات ومختلف الفنون من مصادر أجنبيّة متعدّدة دون الوقوف عند شكل اللّفظ أو ترجمته أو البحث عن مقابل له في اللّغة المستعيرة، فتلك مهمّة اللّساني المصطلحي لا العالم المختص. ولم تكتف قواميس اللغة العامّة بقبول المعرّب وحده، بل اشتملت أيضا على الألفاظ الدخيلة جاء منها عدد هام في الوسيط والأساسي، مع اختلاف بينهما في منهج المعالجة القاموسيّة ، نذكرمنها:

الآبنوس (د) : شجر

الخرطوش (د): حشو السّلاح النّاري

الزنجة (د) : نوع من السمك

السيجار (د): لفافة غليظة من التبغ

القيطان (د): نسيج من الحرير أو القطن

قلاووظ (د) : مسمار ذو سنّ ملولبة

---

[1] 1975.GUILBERT (L) : La créativité lexicale.p92.larousse

[2] إبراهيم بن مراد: مقدمة لنظريّة المعجم. ص 161-162

المصطكاوالمصطكاء (د) : شجر (يوناني mastikhê)

تبقى السّمة الأساسيّة المميّزة للدخيل عن المعرّب هي اختلاف بنية الكلمة عن بنى وحدات اللّغة الآخذة، أمّا ما يبدو خضوعا للأقيسة العربيّة أحيانا فليس إلاّ من محض الصدفة والتشابه الشكلي، إذ لم تتدخّل اللّغة المقترضة لإلحاق أيّ تغيير على اللّفظ الأجنبي في المستوى الصرفي، مثل:

بنك (فعل) Banque

فلم (فعل) film

إبليس (إفعيل)(يوناني diabolos)

بسباس (فعلال)

قنطار (فعلال) (لاتيني centenarius)

قسطاس (فعلال) (يونانيX'estes)

لكنّ التّواتر وطول الاستعمال وتصرّف متكلّمي اللّغة في اللفظ المقترض حسب المحيط الذي يعيشون فيه وبحكم تطوّر المجتمعات ، يجعلهم يخضعون مكوّنات الرصيد المولّدة والمقترضة لحاجياتهم. فتفقد الألفاظ بعضا من خصائصها الشكليّة وتتغيّر دلاليّا. فقد انتقل على سبيل المثال اللّفظ العربي "مخزن" إلى الفرنسيّة « magasin » أو الإيطاليّة « magazzino »، وحافظ في أوّل تحوّله على المعنى العربي "إيداع السلع عموما"، ثم توسّعت دلالته في اللّغات المقترضة فخصّص لتعيين موضع بيع الألبسة والأحذية والأغذية. وانتقل في صيغة الجمع " مخازن" إلى اللّغة المورد الأولى الإنغليزيّة، ثم أخذته عنها لغة مورد ثانية هي الفرنسيّة ، فتحوّل صوتا وشكلا عن اللّغة المصدر ليصبح « magazine »وهو مصطلح دال على "خزن المعلومات في مجلّة ورقيّة أو إلكترونيّة". وبعد هذه الرحلة الطويلة عبر المكان والزمان عاد اللّفظ إلى اللّغة المنطلق معرّبا "مغازة" بدلالات محوّلة واستعمالات معاصرة[1].

[1] فاطمة لخضر. نفسه.ص 182.

وبتطوّر مدلول اللّفظ الدخيل زمانيّا تقرّبه اللّغة من المعرّب فيستقرّ في معجم اللّغة المقترضة وترفع عنه الغربة الدلاليّة فيتوسّع معناه أو يضيق. فقد اكتسب لفظ قسطاس اليوناني الدال في الأصل على المكيال، معاني كثيرة حقيقيّة ومجازيّة هي الكيل والميزان والعدل والجور. وذكر لفظ قسطاس بمختلف مقولاته الاشتقاقيّة 31 مرّة في القرآن الكريم [1] مكوّنا حقلا دلاليّا موضوعه العدل وعناصره المكيال والميزان والبرّ والإحسان. كما أفاد في بعض السّياقات المعنى المضاد وهو الجور.

ومن أمثلة تضييق معنى اللفظ الدخيل الذي يحافظ على عجمته في أوّل مرحلة من مراحل اقتراضه، ثمّ يتأقلم بطول الاستعمال مع نظام اللغة المورد ويلحق بالمعرّب، نذكر لفظ "الدقل" « dáctulos » الدّال في الأصل اليوناني على معاني الإصبع وما كان على هيئته وعلى التمر. وبانتقال ه إلى العربية سقطت المعاني الأولى وحافظ "الدقل" على معنى واحد هو التّمر[2].

نفهم من اختلاط المداخل العامّة بعدد كبير من المداخل المخصّصة حرص القواميس العامّة الحديثة على جمع المصطلحات العربيّة والمقترضة وتقريبها من قرّائها استجابة لحاجتهم إليها دون أن تقوم مقام القواميس المختصّة التي تختلف عنها منهجا وأهدافا. فدورها تبسيط المعرفة وتعميم الفائدة.

1 2 الاقتراض الدلالي

يمثّل الاقتراض الدلالي القاعدة الثانية من قاعدتي التوليد الدّلالي في المعجم؛ هما التوليد بالمجاز من داخل اللّغة، يتمّ بتحويل الدال من دلالته الوضعيّة إلى دلالة نقليّة موسّعة معمّمة أو دلالة مضيّقة مخصّصة . والتوليد الثاني هو توليد بالترجمة الحرفيّة اعتبرناه اقتراضا دلاليّا .

1 2 1 الترجمة الحرفيّة

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، المطبعة الإسلاميّة. استانبول 1982–.ص544–545

[2] – إبراهيم بن مراد : الكلم الأعجميّة في عربية نفزاوة ، ص 199 – 200 ، تونس 1999.

هي اقتراض خارجي بالتحويل، تحمل مع ظاهرة التوليد الداخلي بالمجاز على التوليد الدلالي، فيقتصر فيها على نقل الوجه المدلولي ويؤتى له من اللّغة المترجم إليها بالدّال المناسب. تنقل بالترجمة الحرفيّة أو النّسخ le calque الوحدات المعجميّة البسيطة والتعابير التحليليّة Les locutions analytiques المكوّنة لتراكيب جاهزة ومستقرة في اللّغة تلازمت عناصرها وقامت على المجاز، ولكنه مجاز يقبل الترجمة من لغة إلى أخرى بما يقابله من المداليل،على خلاف التراكيب الاصطلاحيّة Les expressions idiomatiques النابعة من تجارب خاصة بمجموعة لغوية دون غيرها والمستعصية على الترجمة الحرفيّة.

وتساهم الترجمة الحرفية في إثراء القاموس العام والقاموس المختصّ ، وتتمّ بين لغتين تجمعهما علاقات تاريخية واجتماعيّة وحضاريّة وعلاقات جوار. وكلّما ضعفت هذه المعطيات ضعف التبادل والنقل واختلّ اقتراض المعنى وحرمت اللغة المورد من الإضافة الدلالية. ويعكس القاموس الثنائي اللغة مبدأ الترجمة الحرفية بنقل المعنى من اللغة (أ) إلى اللّغة (ب) نقلا توفيقيّا بين معنى الأصل ومعنى الفرع. فيبحث المترجم عن الدلالة التي تتلاءم ونظرة متكلم اللغة إلى الكون، دون أن تخون الترجمة المعنى في اللّغة المنقول عنها.

استخدم قاموس المجيب مناهج مختلفة لترجمة المدخل الرئيس في الفرنسية. فقابل تركيبيّا الوحدة المعجمية البسيطة بوحدة عربية بسيطة أو مركّبة والمركّبة بمركّبة وأخفق أحيانا في إيجاد المصطلح المقابل في العربية فعوّضه بشروح وتعريفات وأوصاف، وعمد إلى المترادفات والدخيل والمعرّب، ممّا أدخل بعض الضيم على منهج الوضع ، من ذلك:

اللّوحة رقم 2

إحداثيّ أفقيّ إحداثيّ سينيّ	Abscisse (maths)
شيح روميّ	Absinthe (bot)

Accélérateur (tech)	دوّاسة البنزين في السيارة
Acacia (bot)	سنط ، أقاقيا (د)
Acanthe(bot)	أقنثة (مع)
Pied noir	فرنسي أو أوروبي كان يسكن شمال إفريقيا خاصّة الجزائر قبل الاستقلال.
Accordéon (mus)	معزف يدويّ
Accordéoniste (mus)	عازف بالمعزف اليدوي

"ترجم المجيب" دلالة المداخل الفرنسية بنقل المعاني والتصرّف في المباني ، فقابل البسيط بالمركب. ومتى استحال وجود المقابل ترك الترجمة الحرفية أوالترجمة بالمقابل ولجأ إلى الاقتراض بالدخيل والمعرّب أو إلى الشرح والتعريف وهو نوع من التشارح في القاموس الثنائي la périphrase، حتى لا تبقى الخانة شاغرة تماما. ويلاحظ في المقابلين الأخيرين من اللّوحة (2) "معزف يدويّ" و"عازف بالمعزف اليدويّ" حرص القاموسي على بناء دالين من اللغة المورد بصيغة صرفية (اسم آلة، اسم فاعل) ونمط صيغيّ دال (مفعل، فاعل). إلاّ أن الترجمة ظلّت غامضة لا تفي بالمقصود من المدخل الرئيس. فكل آلة موسيقية يدوية هي معزف يدوي، وكم هي كثيرة ! فمنها العود والقيثارة والطبلة والكمنجة والقانون... كما أنّ "العازف بالمعزف اليدوي" يمكن أن يكون عازفا على كل الآلات اليدويّة. ولعلّ الحلّ في رفع اللبس عن المعنى وتخليص المقابل العربي من العجمة الدلالية يكون باقتراض الدال والمدلول عن طريق الدخيل كما فعل سهيل إدريس في "المنهل" ، فقابل المدخلين الفرنسيين بوحدتين دخيلتين (أكرديون/عازف الأكرديون).

شملت التّرجمة الحرفيّة أمثالا وحكما وأقوالا مأثورة وتراكيب جاهزة في اللّغة الفرنسيّة قرّبت المعنى المقصود بها أحيانا، وخرجت ترجمات أخرى عن الذّوق

السليم أو بسّطت محتوى التّعبير فأفقدته روحه وبلاغته وأضعفت صورته المجازيّة، بينما نقلت ترجمات أخرى التّعابير نقلا دقيقا لا يتفطّن القارئ إلى الأثر الأعجمي فيها رغم ما تقوم عليه من مجاز.نستنتج من ذلك أنّ الشعوب وإن اختلفت رؤيتها إجمالا إلى الكون لاختلاف حضاراتها وتقاليدها وبيئاتها ومخيالها، فإنّ الترجمة تذلّل هذا التّباعد بينها وتصقل الأذواق وتكشف عن أسرار اللّغات.

نسوق أمثلة عن هذه الترجمات من "المجيب" أصاب في نقل معاني بعض المداخل وأخفق في التعبير عن معان أخرى:

1 –تمخّض الجبل فولد فارا	La montagne a accouché d'une souris
2 –حموضة ملاحظاته(!!!)	L'acidité de sesremarques
3 –لا يفهم من الأمر شيئا	C'est de l'algèbre pour lui
4 –شرّف توقيعه (!!!)	Faire honneur à sa signature
5 –أثار أرنبا برّيّا (!!!)	Lever un lièvre

يمكن أن نعتبر المقابلفي (2) و(4) و(5) ترجمات حرفيّة رديئة مضلّلة للمعنى الأصلي وخائنة لمداليل مداخل اللّغة المصدر. فقد أهمل القاموسي المعنى المستفاد من مجموع مكوّنات التعبير ال تحليلي واهتم بمعنى كل عنصر مستقلّ. فلا معنى في العربيّة لحموضة الملاحظات (2) وإنّما المقصود "ملاحظات لاذعة" . ولم تؤدّ الترجمة في (4) المعنى المجازي في اللّغة المصدر الذي يفهمنه "كان في مستوى التزاماته"، وبعدت تماما الترجمة في (5) عن التعبير المجازي الذي يفيد " الكشف عن صعوبة غير متوقّعة" . فقد التصق القاموسي بالمعنى الوضعي لكل عنصر من عناصر التركيب منعزلا، فأفسد المقصود وشوّه الصورة وأضاع الائتلاف المنشود بين المدخل الفرنسي ونظيره العربي، لأنّ "المعاني المجازيّة مرتبطة بالبيئة الاجتماعيّة والحضاريّة والثقافيّة لمجتمع لغوي معيّن، وليس هدفها ملء شغورات اللّغة المورد بقدر ما يقصد بها نقل المعنى

المقصود في اللّغة المصدر بمقابل قريب ومقبول دلاليّا ومنطقيّا. أمّا مقابلة المجاز بالمجاز فقليلا ما يحدث ، لأنّ كلّ لغة تقطّع الواقع تقطيعا خاصّا بها حسب تجربتها"[1]، ولكنّ الشعوب تلتقي فيما يعتبر من الكليّات الفكريّة. فقد اتضح لنا في مثال "يد" main اشتراك الفرنسية والعربية في دلالة اليد على الآلة والوسيلة وفي بعض معانيها المجازيّة ، فلم يعسر نقل المعنى بين اللّغتين ،فلخترنا لذلك التراكيب التالية من المجيب:

خطب فتاة : Demander la main d'une jeune fille

أجبره على : Forcer la main à quelqu'un

يد عاملة : Main- d'oeuvre

ولمّا عدنا إلى مدخل يد في المعجم العربي الأساسي وجدناه يزخر برمزية أثرى ممّالم يذكره المجيب في المداخل الفرعيّة الفرنسيّة في الأمثلة (1)، (3)، (5)،(6)،(10)، فظلّت فيها معاني الكرم والشحّ شاغرة في القاموس الثنائي، لعلّها تعكس حقيقة حضارة عربيّة اتسمت بالجود والعطاء وأبغضت البخل وقبض اليد واستنكرت ابتزاز السلطة للرعيّة. نسوق منها بعض المعاني المجازيّة:

1 – * يد بيضاء = إحسان ، معطاء Ø

2 –اليد الطولى = السّلطة avoir la main haute

3 – * يد قصيرة = بخل ، شحّ Ø

4 –صفر اليدين = فاشل، بخفي حنين les mains vides

5 – * طويل اليد = كريم Ø

6 – * اليد العليا = اليد المعطاء Ø

7 –اليد السفلى = اليد الآخذة tendre la main

8 –يد من حديد = سيطرةmain forte، mainmise

[1] – زكية السائح دحماني : قضايا المجاز في القاموس الثنائي اللغة ، المنهل نموذجا ، ص 44 ، ندوة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. دار المنى 2007.

9 –أخذ بيده = ساعده prêter la main

10 أعطى الجزية عن يد = أعطاها عن ذل ّ Ø

11 بايعه يدا بيد = بايعه حاضرا بحاضر … de la main à la main

12 رفع يده عنه = تركه passer la main

13 رفع يده عليه = ضربه lever la main sur quelqu'un

إنّ الدّافع إلى الترجمة الحرفية باعتبارها اقتراضا دلاليّا داخليّا، دافع موضوعيّ يحقّق التداخل اللغوي عند توفر ظاهرة الثنائيّة اللغوية أو التعدد اللّغوي، ومجالها اللغة la langue ومهمّتها سدّ الخانات الفارغة.

2 – الاقتراض في الاستعمال العام

يعود الاقتراض في الاستعمال العام إلى المعجم الذهني الفردي لا المعجم اللّساني الجماعي ، وله صلة بتداخل اللّغات واختلاط الألسن، تحرّكه دوافع ذاتيّة وأخرى اجتماعيّة عادة ما تكون أخلاقيّة. من الاقتراض في الاستعمال ماهو بذخيّ اختياري ومنه ماهو إرغامي إلزامي، وإن كان الإلزام فيه نسبيّا مقارنة بإلزاميّة الاقتراض في القواميس.

2 1 الاقتراض البذخي

تتحدّث الدراسات المعجميّة عن الاقتراض الحقيقي الملزم الذي تكون دوافعه موضوعيّة ومقصودة ،وتستوجبه الحاجة لتسمية ما يجدّ من أشياء في العلوم الصحيحة والعلوم الإنسانية الواردة على اللغة من اللّغات التي تنتج الشيء ومصطلحه. كما تتحدّث أيضا بدرجة أقل عن اقتراض ذاتيّ غير ملزم، ثنائي اللغة ولا يخضع خضوع المعرّب والدّخيل لقواعد لغويّة صوتية وصرفية تفرض على اللفظ المقترض تحوّلا كلّيا أو جزئيّا. سمّي هذا النّوع من الاقتراض اقتراضا بذخيّا l'emprunt de luxe لأنّه يتولّد عن الانبهار الثقافي والحضاري بلغات الشعوب المتقدّمة، فتأخذ عنها الشعوب غير المصنّعة ألفاظ الموضة والزينة والفن

وتعابير التأدّب والمجاملة. ويدلّ الاقتراض البذخي على تأثّر واع بثقافة لغات مصدّرة للحضارة الجديدة[1]، ولكنه ليس تداخلا لغويّا ممثلا لواقع لساني وقائما على التبادل المتكافئ. إنّه اختيار ذاتي سببه الإعجاب بلغة الغرب وليس الهدف منه الحاجة الماسّة لسدّ الخانات الفارغة في معجم اللغة المورد، لأنها خانات مليئة في العربية.

لا علاقة لهذا الصّنف من التّداخل بين اللغات بالاقتراض الفعلي العملي، إنّه مجرّد تقليد للغير واتّباع للأجنبي وتهافت على حضارات غربيّة. فهو اقتراض في اتّجاه واحد ، تختلف درجات الأخذ به من فرد إلى آخر ضمن المجموعة اللّغويّة الواحدة ومن لغة إلى أخرى . إنّه نتاج ذاتيّ " يحدثه الأفراد في الغالب إحداثا عفويّا نتيجة مواقف الإعجاب بأنماط ثقافيّة وحضاريّة أجنبيّة" [2] لذلك يبقى خارج القاموس. فهو من الممارسات الكلاميّة الفرديّة.

ويعتبر الاقتراض البذخي عفويا متى كان وليد ثنائية لغويّة اختياريّة، فلا يترك آثارا نفسيّة سلبيّة وإحساسا بالنقص لدى المتكلّم، بينما تؤثر الثنائية اللغويّة الإجبارية أيّما تأثير على من سلّطت عليه لغة الأقوى بحكم واقع تاريخيّ استعماري، فيعجب أبناء الوطن المستعمر بلغة المحتلّ الوافد عليهم بتقنياته وتمدّنه وتطوّره وفنونه ورقيّه على جميع الأصعدة. لذلك تسرّبت ألفاظ أعجميّة عديدة إلى رصيدهم وحلّت في كلامهم محلّ ألفاظ لغتهم الأمّ. هذا الضرب الثاني من الاقتراض البذخي هو الأكثر انتشارا في بلداننا المغاربيّة يصل أحيانا عند بعض الأفراد إلى مزج مفتعل ومستهجن بين كلمات اللغتين في الجملة الواحدة وحتى في التركيب الواحد، وإلى رغبة واعية في تغريب اللغة الأمّ " بفرنستها" francisation وتهميشها والحطّ من قيمتها. نذكر لهذا التّصرف اللّساني غير المسؤول جملة من الأمثلة المتداولة اليوم بين جمهور الشباب في تونس ألحق

[1] DEROY (L) : L'emprunt linguistique. P172 . Ed « Les Belles lettres ».1956.

[2] – إبراهيم بن مراد ، مسائل في المعجم ، ص 50.

ببعضها إعادة صياغة قياسا على قواعد العربية في التأنيث والتذكير وفي اشتقاق فعل من اسم وفي إنجاز الأصوات إنجازا معرّبا. وجاءت أمثلة أخرى مختزلة بحثا عن المجهود الأدنى في الكلام.

لوحة عدد 3

اللفظ الفرنسي المستعمل	المقابل العربي المهمل
Diplôme	شهادة
Radio راديو	مذياع
Vaccin	تلقيح
téléphone تلفون	هاتف
Pharmacie	صيدلية
Contrat	عقد
Fac	كلية
(restaurant universitaire) resto-U	مطعم جامعي
Prof (**mas**) – profa !! (**fem**)	أستاذ / أستاذة
Portable	محمول / جوّال
Computer – ordinateur	حاسوب
Maîtrise (subs)–matriz!! (فعلل) (vb)	إجازة (اسم)– تحصل على الإجازة
Mastère (subs)-mastir (فعلل) (vb)	ماجستير (اسم) –تحصّل على الماجستير
Appel	نداء
SMS	إرسالية
Inscri(ption)	تسجيل

La poste البوسطة (إيطالية Posta)	البريد

لا يمكن لأي لغة حيّة متفتّحة على غيرها من اللّغات أن ترفض مبدأ التقارض، لذلك نعتبر أنّ السعي إلى الحدّ من ظاهرة الاقتراض البذخي يمكن أن يتحقّق متى شعرنا بالاعتزاز بلغتنا ومتى آمنّا أنها تمثّل هوّيتنا المشتركة وأنها قادرة على مسايرة ركب التقدم. فاللغات تحيا وتزدهر بفضل إصرار أبنائها وقوّة عزيمتهم على المضيّ بها قدما إلى الأمام.

2 2 الاقتراض الإرغامي

ليس هذا الصنف من الاقتراض اختياريّا ذاتيّا بل هو ظاهرة لسانيّة اجتماعيّة تفرضها الأعراف والتقاليد. فيتغيّر اتجاه الترجمة وتصبح العربية اللغة المصدر والفرنسية اللغة المورد متى أراد المتكلّم تجنّب المحظور والمستكره من الألفاظ[1]واللّجوء إلى لغات أجنبيّة يتستّر وراءها تلطيفا للعبارات euphémisme[2] واستنكافا من بعض الألفاظ وتسليطا لرقابة فردية على القواميس والكلام أشدّ قسوة من رقابة القاموسيين والصفويين أنفسهم. فقد اعتبرت مجموعةمن الألفاظ المعيّنة محمّلة بدلالات إيحائيّة أخلاقية وذوقيّة نذكر منها:

لوحة عدد 4

المدخل المستعمل	المدخل المحظور
adultère	زناء ، خيانة زوجية
bar	حانة
amant	عاشق
Maîtresse	عشيقة
Prostituée	مومس
Pédé (fam) (pédéraste)	شاذ، لوطي

[1] زكية السائح دحماني ، نفسه ص 29 – 32.

[2]DEROY (L) : L'Emprunt linguistique , P177. op.cit

Toilette - WC	مرحاض

يمجّ الذوق والأخلاق هذه الألفاظ المحظورة ، ويأنف المتكلّم من استعمالها لما تحمله في نظره من وطء ثقيل على السّامع رغم أنّها ألفاظ من معجم اللغة الأمّ ومن الواقع الاجتماعي . فتسقط من الكلام وتعوّض بدوال أجنبيّة وتلطّف مداليل العلامة في القواميس وفي الاستعمال [1]، ويحلّ المعنى المجازي محلّ المعنى الوضعي. وهي ممارسات لسانيّة لا علاقة لها بالتداخل اللسانيّ.

إنّ التقارض بين اللّغات ظاهرة لغويّة صحيّة وطبيعية كونيّة، لا تمثّل تهديدا للّغة الآخذة شريطة تحقيق التوازن ودون إسراف. وهو لا يمثّل عائقا أمام تطوّر المعجم العربي تطوّرا داخليّا، فاللّغة تتحوّل باستمرار لما يتسّم به نظامها الصرفي والدلالي من طواعيّة وحركيّة دائمة. وليس الاقتراض المعجمي التوليدي إلاّ ظاهرة لغويّة فرعية في نظام اللغات يسعى إلى إكساب العلوم ونموّ المفاهيم مع مراعاة بناء اللفظ العربي والمحافظة على أنماطه الصيغيّة. وتساهم الترجمة الحرفية بدورها في تطوير الجهاز الاصطلاحي والتخفيف من تبعيّة اللغة تبعيّة مطلقة إلى لغات مانحة للمصطلح والمفهوم. لذلك يعتبرها الصّفويون أقل خطرا على اللغة من الاقتراض الحقيقي لنقلها المفاهيم الأجنبية دون المصطلحات. فهي تساعد على ملء الفراغات دون أن تثقل كاهل اللّغة بوحدات معجميّة كثيرة ليست منها، ودون أن يتحوّل هدف الاقتراض عن وظيفة الاحتكاك والتداخل النسبيّ والتّبادل بين اللغات المنتجة والمصدّرة إلى تباعيّة مطلقة وامتزاج أنظمة لغويّة مختلفة ينتج عنها تشويه لواقع اللّغة الآخذة قد يؤدّي بها إلى الانصهار والاندثار.

أمّا الحدّ من الاقتراض الملزم فيعتبر مهمّة صعبة جدّا لأنّ كل المخترعات والصناعات في حياتنا اليومية وكل المصطلحات الدّالة عليها تفد علينا من الغرب. ولكن يمكن أن نقلّص من هجمة الاقتراض الحديث في العلوم والفنون

[1] زكية السائح دحماني ، نفسه ص 30-31.

والتكنولوجيا بوجوب العودة إلى تراثنا العربيّ الثريّ والبحث في أعماق الرصيد المعجمي المشترك الضخم لاستنباط المصطلحات المقابلة. ولا نقصد بالحدّ القطع مع ظاهرة الاقتراض ا لإلزامي سواء كان معرّبا أو دخيلا أو ترجمة حرفيّة . فهي ظاهرة كونيّة وزمانيّة ملزمة، ولكن نأمل ترشيدها وضبط حدود لغويّة لها حتى لا ننساب وراء عمليّة الأخذ ونترك البحث عن المقابل من داخل اللّغة.

أمّا الأصناف الأخرى من المقترضات وهي الاقتراض البذخي الاختياري والإجباري والاقتراض الإرغامي، فإنّها تبقى خارج القواميس نظرا لطابعها الفردي في التعامل مع اللّغة.

المراجع

أ – **العربيّة**

-ابن أحمد (الخليل) : كتاب العين. 8 أجزاء. دار ومكتبة الهلال (د.ت)

-ابن مراد (إبراهيم): دراسات في المعجم العربي. دار الغرب الإسلامي .بيروت 1987399 ص.

- مسائل في المعجم.دار الغرب الإسلامي . بيروت 1997 . ط1 . 274 ص
- مقدمة لنظريّة المعجم. دار الغرب الإسلامي . بيروت 1997. ط 1 . 217ص.
- الكلم الأعجميّة في عربيّة نفزاوة (بالجنوب الغربي التونسي) .سلسلة اللّسانيّات عدد 10.تونس 1999 . 469 ص.

-ابن منظور (جمال الدّين): لسان العرب . 20 جزءا . دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط1. 1988 .

-البكوش (الطيّب): إشكاليات اندماج الدخيل في المعجم. مجلة المعجميّة عدد 3. 1987. تصدر عن جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس.ص ص 41–60.

-جميل (فتحي): المقترضات المعجميّة في القرآن بين المقاربة اللّسانيّة والمقاربة المذهبيّة. رسالة دكتوراه في اللّغة والآداب العربية (مرقونة) . إشراف الأستاذ إبراهيم بن مراد، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. والأستاذ حسن حمزة ، جامعة لوميار ليون 2. جزءان. 599 ص. تاريخ المناقشة فيفري 2011.

-السّائح دحماني (زكية): قضايا المجاز في القاموس الثّنائي اللّغة: المنهل نموذجا.ص ص21–51.وقائع ندوة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. دار المنى بيروت 2007 . 190ص.

-السّيوطي (جلال الدّين) المزهر في علوم اللّغة وأنواعها .جزءان. دار الفكر(د.ت).

-عبد الباقي (محمد فؤاد): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. المكتبة الإسلاميّة استانبول . 1982 . 782 ص.

-لخضر (فاطمة) : الكلمات العربية في اللغة الفرنسية . أصولها وتحوّلاتها. معجم عربي – فرنسي : 113 ص / فرنسي – عربي:539ص.

-المعجم العربي الأساسي: قاموس المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم.لاروس . 1989.

-المعجم الوسيط: قاموس مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة. جزءان . ط 3 (د.ت).

-

ب – بالفرنسية

- AL Mujib : Dictionnaire francais – arabe. Ahmed EL AYED،A.BELAID.H.HASSAN.Maison YAMAMA.TUNIS 2007.

- Baccouche (Taieb) : L’emprunt en arabe moderne.EdBeit AL-Hikma. Carthage.Institut Bourguiba des langues vivantes.1994.554p.

- DEROY (L) : L'emprunt linguistique. Ed « Les Belles Lettres » 1956.347p
- GUILBERT (L):La créativité lexicale.Larousse.Paris 1975.285p.

واقع الرأسمال اللغوي الجزائري: من التعددية إلى المزج اللغوي.

أ.عمر داود – جامعة غرداية

مقدمة

تستحوذ المعرفة اللسانية حيزًا معتبرًا ضمن خريطة المعارف المعاصرة، وبالرغم من حداثتها فإنها استطاعت أن تخطو خطوات نحو التقاطع مع مجالات معرفية عديدة، ناهيك عن تداخلها المستمر مع الواقع المجتمعي، باعتبار أن المسألة اللغوية مفتاحٌ من المفاتيح المساعدة في فهم بنية المجتمع، ومحاولةً منا تجاوز الطرح التقليدي في تفسير علاقة اللغة بالمجتمع، تتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول المسألة اللغوية في الجزائر، وما يعيشه الواقع المجتمعي من وضعٍ لغويٍ شاذ، يتسم بما يمكن أن يُسمى بظاهرة "المزج اللغوي" باعتبارها رِتاج لتصورات ذهنية رمزية معينة، ول ممارسات اجتماعية محددة بسياقاتها التاريخية،

ومحصلة لضرورةٍ اجتماعيةٍ وثقافيةٍ آنية، تسعى إلى احتلال موقع جديد ومُميّز في رقعة السوق اللغوية الجزائرية، في ظل تحكم الوضعيات الاجتماعية والثقافية في تحديد أشكال الهيمنة وآليات تشكل أسعار الرساميل اللغوية، وتحويل بعضها إلى رأسمال رمزي.

ومن أجل تسليط الضوء على جملة هذه المفاهيم وتحديدها، ثم الوقوف على أبعادها اللسانية والاجتماعية المتداخلة، تمَّ اتخاذ تصور السوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو Pierre Bordieu للمسألة اللغوية كمقاربة نظرية مساعدة لحسن فهم الواقع اللغوي الجزائري.

1 -مفهوم اللغة:

يعرِف القاموس المحيط اللُّغة: بـ «الأصْوات التي يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغْراضِهِم»(1)، ويُوصف عالم الإنسان بأنه عالم رمزي، كما يُنعت الإنسان بصانع الرموز(2)، فهو الذي نعت مجموعة منها باللغة، وليس العالم سوى فيضٌ من الصور المختلفة في أشكالها وألوانها، يلتقطها دماغ الإنسان وينظمها بفضل بنية النظام اللغوي الذي يتكلم به، «فاللغة ظاهرة اجتماعية، تقوم بدور هام في نشر الوعي، إذ تعتبر بمثابة النظام الاشاري الذي يحقق الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني»(3).

واللغة كما يقول بعض علماء اللسانيات «هي نظام المنظمة الرمزية في الحياة البشرية(...)، فهي التحقيق والتعبير الصوتي لميول الإنسان، وقيمتها ليست

---

[1]– أباذي الفيروز، **معجم القاموس المحيط**، دار المعرفة، ط4، بيروت، 2009، ص1181.

[2]– خليل أحمد خليل، **معجم المصطلحات الاجتماعية**، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995بيروت، ص161.

[3]– م.روزنتال وب. يادين، ، **الموسوعة الفلسفية**، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981، ص410.

في طبيعتها ولا في مكوناتها الداخلية، إنما لكونها تفسر وتحلل رؤية الأفراد للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها، بطريقة إبداعية رمزية»(1).

فهي إذن نسقٌ من الإشارات والأصوات المتعارف والمتفق على معانيها، للتعبير عن الفكر والوجدان والإرادة، فتتجلى مهاراتها في تأدية وظائف التفكير والتعبير والتواصل، بمعنى أنها أداة التفاهم واكتساب المعرفة وإنماء الفكر، حتى أنَّ كل التقويمات والأحكام والإدراكات متعلقة باللغة.

فهي بذلك خاصية إنسانية أصيلة، يتميز بها دون سائر المخلوقات، إذ يوصف الإنسان بالحيوان الناطق لدلالة العقل ودلالة الكلام، وهما متكاملتان لا تكاد تنشأ واحدة منهما بصورتها السليمة الوافية من دون الأخرى، فوجود اللغة إذن مرتبط بوجود الإنسان، وحيث يتواجد هذا الأخير يصاحبه التاريخ، تبعًا لذلك، فإنه حيث كانت اللغة يكون التاريخ، وتكون المشاركة في فهم الوجود، وإدراك الشعور المشترك، ومحاولة التواصل مع الغير وفهمه، من منطلق معرفة الذات، كما يقول هايديجر(2).

وتنبع اللغة من الذات البشرية، فكل ذات لا تعي ذاتيتها، إلاَّ إذا كانت مقرًا للغة، ومستهلكةً لها باستمرار، إذ ليست اللغة مجرد كلمات وألفاظ وعبارات تُنطق وتُسمع فحسب، بل هي نسقٌ فكريٌ ووجدانيٌ تنتظم فيه ارتباطات الكائن البشري بلستعداداته وتصوراته الذاتية و بثقافته وعلاقته مع الآخر (3)، بمعنى أنها سبيل الفرد إلى معرفة ذاته ومحيطه، ولا بد من أن يقودنا الاعتراف بأهمية اللغة في تكوين المفاهيم العقلية والتصورات الذهنية عند الإنسان إلى التأكيد على أن معرفة

---

[1]– بسّام بركة، **اللغة العربية القيمة والهوية**، مجلة العربي، العدد 528 ،الكويت، نوفمبر 2002 ، ص82.

[2]– عبد المنعم الحنفي، **المعجم الفلسفي**، دار ابن زيدون، ط1، بيروت، 1992، ص239.

[3]– محمد عزيز الحبابي، **الإنسان حيوان يتكلم**، مجلة الأصالة، العدد16، سبتمبر–أكتوبر 1973، ص79.

اللغة كبنية فكرية هي السبيل لمعرفة القوالب الفكرية الأخرى عند البشر، مثل الفكر الأسطوري، والديني، والعلمي، والفني... .

وبفضل اللغة تكونت الجماعات الإنسانية لأنّ تاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود اللغة(1)، فالإنسان لم يصنع الحضارة ولم يتمكن من تسخير الطبيعة ولا السيطرة عليها، إلاّ باليد كأداة عملية وباللغة أداته الفكرية والقولية، التي تُعتبر من أهم أسس وحدة الأفراد، ومظهرًا من مظاهر الحفاظ على هُوِّيتهم عبر التاريخ(2)، وإذا عجب المرء مما ابتكره الإنسان، فاللغة من المبتكرات التي أظهرها التطور الإنساني، فاللغة أداة تفكيرٍ، تُمّكن الإنسان من الشعور بالذات، وتحمل إحساسًا وعاطفة مشتركة مع المتحدثين بنفس اللغة(3).

"إدوار سابير" E.Sapir أول فيلسوف استطاع أن يدرج اللسانيات وفلسفة اللغة والحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية عند الفرد كما عند الجماعة، وهو بذلك يكون قد وضع الأسس التي تربط علم الأنتروبولوجيا بدراسة اللغة، فيحدد اللغة وعلاقاتها بالمجتمع بما يلي: «إن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلمها أبناؤه ويفكرون بواسطتها، هي التي تنظم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي عالمه و"واقعه الحقيقي"، فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم، (...) إن اللغة تتحكم كثيرًا في أفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية، ومن الخطأ تصور أن الإنسان يتكيّف مع واقعه دون استخدام اللغة، أو أنّها مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال والتفكير، إن العالم في الواقع مبني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية وعلى أساس استعمالاتهم للغتهم الأم»(4).

---

[1]– ج.فندريس، **اللغة**، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1951، ص5.

[2]– **المرجع نفسه**، ص1.

[3]– علي خذري، **اللغة وشخصية الأمة**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد2، جامعة باتنة، ديسمبر 1994، ص80.

[4]– بسّام بركة، **مرجع سابق**، ص84 .

فالحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن الفكر الإنساني، لأن اللغة تمثل السبيل لاستكشاف حوافل الأمم، فمن خلال ألفاظها تتجلى كوامن الإحساس بالمواطنة والشعور بالصلة والانتماء، والتوافق في المشاعر، وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الهنية الواحدة، فهي التي تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي يتحسس الواقع، ويستشرف الخصائص المميزة له التي تترسب في كل إشارات اللغة ودلالاتها.

واللغة المتداولة تنتقل وتتوارث من جيل إلى آخر، وعبر مسالك خفية غير واضحة، ولكنها ثابتة، فهي التعبير الحقيقي عن "ذكاء الشعب"، حيث أن الطابع الفكري لكل شعب، إنما يتجسد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها لغته، ويصفها "موس Mosse " بروح الشعب: «إن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسيطر على الجماعة فتفرض الترابط وتتحدى الأحداث وتنتظر اللحظة المناسبة لتتفجر حقيقة واقعة، فإذا بها أمة ودولة، بل وظيفة حضارية وقيادة إنسانية؛ إنها محور التطور، وما روح الشعب؟ وما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقدس الأقداس»[1].

2 –مفهوم التعدد اللغوي:

يشير هذا المفهوم إلى وجود مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد[2]، لا تتداخل كلمات هذه اللغات فيما بينها أثناء الخطاب الواحد.

ونادرًا ما توجد مجموعات كلامية تتصف بأحادية قطبها اللغوي، وقد حاولت بعض الجماعات سواء بشكل علني أو بشكلٍ خفي تحقيق سياسة لغوية هادفة لتأسيس مبدأ أحادية لغتها، إلاَّ أنه من النادر جدًا أن يتحقق ذلك دون أن يكون هناك مزجٌ وبأشكال معقدة عديدة.

---

[1]– سمدون حمادي وآخرون، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984ص259.

[2]– بلعيد صالح، **في الأمن اللغوي**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص224.

وبالمنظور التاريخي، تعود ظاهرة التعدد اللغوي في المجتمعات إلى عدة أسباب، منها السبب المتعلق بظاهرة الغزو والاستيلاء على بعض المناطق اللغوية المختلفة وفرض سياسة الوحدة اللسانية بجعل جميع السكان يتداولون لغة الغازي، كما حدث في الجزائر إبان الغزو الفرنسي، وغالبًا ما يؤدي الوضع الجديد إلى المقاومة الثقافية، ومع مرور الزمن واشتداد الممارسة التثاقفية العنيفة منها خاصة يتشكل التعدد اللغوي، غير أن الأمر لا يحصل دومًا بنفس الوتيرة، لأن اللغة الأصلية قد تعرف الاضمحلال كما حدث عندما أُلحقت مناطق البروتون والألزاس والبروفانس بفرنسا.

كما تقوم ظاهرة الهجرة بدور أساسي في تشكيل التعددية اللغوية، إذ عند تنقل الجماعات اللغوية من حيز جغرافيٍ إلى حيزٍ آخر، قد تنصهر لغتها في لغة الجماعة المُستضِيفة، كما يمكن أن تساهم بعض العوامل كوجود جوٍ اجتماعيٍ مشحونٍ يمنع أي شكل من أشكال القِران، فتحافظ كل مجموعة بذخيرتها اللغوية حتى تتشكل التعددية اللغوية، وبمرور الزمن قد تزول تلك العوامل ويحدث التفاعل الثقافي واللغوي حتى تمتزج اللغتين لتتشكل بعد ذلك اللغة المشتركة.

3 -المزج اللغوي:

تعني كلمة المَزْج لغويًا: الخَلْطُ والتَّحْريش [1]، وهو خلط كلمات مستقاة من لغتين أو أكثر في الخطاب، ويسميه البعض بالتداخل اللغوي [2]، ويُطلق عليه البعض الآخر الهجين اللغوي[3]، الذي يسمح للمتكلم بمضاعفة مخزونه اللغوي ممّا يسهل عليه العملية التواصلية.

وتعود عوامل بروز هذه الظاهرة في الجماعات اللسانية إلى أسباب عديدة، منها ما قد ذكر سابقًا، ومنها أيضًا خلو بعض اللغات من المصطلحات

---

[1]- أباذي الفيروز، **مرجع سابق**، ص1220.

[2]- برنارد صبولسكي، **علم الاجتماع اللغوي**، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص128.

[3]- بلعيد صالح، **مرجع سابق**، ص224.

والمفاهيم العلمية، ممَّا يضطر المتعلم إلى توظيف لغات تتوفر فيها تلك المصطلحات، وتحصل بذلك عملية مزج لغة الأم بتلك اللغات، كما تُعتبر الوسائل الإعلامية مصدرًا مهمًا من مصادر المزج اللغوي في المجتمع عندما تحاول جعل لغة "الشارع" الممزوجة أمرًا مألوفًا بتوظيفها، بحجة إيصال الرسالة الإعلامية، والابتعاد عن القيود النحوية للغة الأكاديمية.

وغالبًا ما تقوم الجماعة اللغوية التي تشعر بدونية لغتها بمزجها بعبارات مستقاة من لغة تحمل من الرمزية ما يجعلها المُهيّمِنة، ومن المعلوم أنَّ اللغات تتصارع لإدامة وظيفتها التواصلية لأجل البقاء، وتحاول تطوير ذاتها للهيّمنة على اللغات الأخرى بالتأثير على الناطقين بها ومعرفة تجاربهم الحياتية، فاللغة «أداة للتخاطب والتأثير، ويمكن بفضلها تحليل التجارب البشرية التي تختلف من مجموعة إلى أخرى»[1]، ويقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «اعلم أنّ لغات أهل الأمصار، إنّما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها، أو المختطين لها»[2]، لذلك يسعى الأفراد في وضعيات اجتماعية معينة لاكتساب رأسمال لغوي ذو قيمة رمزية معتبرة يمكِّنهم من الهيّمنة عند اقتحام الأسواق اللغوية.

4 -مفهوم الرأسمال اللغوي:

يشير مدلول الرأسمال اللغوي إلى وجود فوائد لغوية، بمعنى أنَّه بمجرد أن يفتح الفاعل الاجتماعي فمه للحديث فإنه سيدخل في عملية استثمار ومزاد لرأسماله، وقد يتحصل على أرباح لغوية تتباين حسب سلطة الفرد الرمزية التي ينعتها بورديو بال سلطة اللاَّ مرئية التي تُفرض على الأفراد ويعترفون بها ويخضعون لها دون وعيهم بها [3]؛ هذه السلطة التي تفرضها اللغة المُشكلة لرأسماله، و تسمح للبعض بحق الكلام بغض النظر عما سيُقال؛ فوضعيات

---

[1]- **المرجع نفسه**، ص76.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، **مقدمة ابن خلدون**، تح: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر،ط1، القاهرة، 2004، ص458.

[3]- بورديو بيير، **الرمز والسلطة**، تر: بنعبد العالي عبد السلام، دار توبقال، ط3، الدار البيضاء (المغرب)، 2007، ص48.

علاقات القوة اللغوية rapports de force linguistiques هي الوضعيات التي تُمَكِن فيها المؤسسة وقوانين السوق وكل الفضاء الاجتماعي للغة معينة بالهيّمنة لتحقيق مصالحها، وتظهر في مثل هذه الوضعيات أهمية الرأسمال الرمزي للفرد الذي يتحكم في آليات تشكل الأسعار اللغوية، وكذا القدرة على جعل قوانين تشكيل الأسعار تعمل لصالح صاحب الرأسمال، والقدرة على استخلاص فائض القيمة النوعي، وباختصار؛ **فإن كل عمليات التواصل اللغوي هي أنواع من الأسواق الصغرى التي تبقى دوما تحت رحمة البنيات المُهيمِنة ثقافيًا.**

ويعتبر الذاودي أنَّ نمو هذا النوع من الرأسمال وتطوره مرتبطان بمدى توظيفه واستخدامه في الأنساق الاجتماعية المختلفة[1]، لأن إقصاء الرأسمال اللغوي من الوظيفة الاتصالية المجتمعية حتى وإن كان جزئيًا هو إنقاص من سعره وقيمته الرمزية.

ويعكس الرأسمال اللغوي للفرد انتماءه الطبقي [2]؛ لأنَّ حقول الفضاءات الاجتماعية المختلفة تقوم بأساليب لانتقاء ذوي رأسمال لغة الطبقة المحظوظة وإقصاء الآخرين عن طريق ما يسميه بورديو بالعنف الرمزي، فعلى سبيل المثال قد يتشكل الرأسمال اللغوي الأصلي للمنتمين إلى الطبقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الدنيا بمضامين لغوية تغلب عليها العبارات التي تميل إلى الخشونة والصيّغ المباشر عند طلب الحاجة مثلاً، بينما تميل عبارات رأسمال لغة الطبقة الراقية الأصلي إلى الفخامة بتوظيف صيغ غير مباشرة وعبارات المجاملة وحسن الأدب...، ولاقتحام الفضاءات الراقية التي تتخذ من الرأسمال اللغوية للطبقة المحظوظة سلطةً رمزية بها تُشرعِن أحقية الانتساب لها، غالبًا ما يتخذ بعض أفراد الطبقات الدنيا استراتيجيات لغوية معينة قد تتجسد إمَّا على شكل:

---

[1]– الذاودي محمود، **المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية**، مجد للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2010، ص210.

[2]– علوان محمد السيد، **المجتمع وقضايا اللغة**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1955، ص63.

- تعبيرات رمزية عن القطيعة مع رساميلهم اللغوية الأصلية بغية اكتساب رأسمالٍ لغويٍ يُخوِّل لهم دخول حقول الطبقات المحظوظة.
- أو محاولات للبحث عن حلولٍ توفيقية حتى لا يفقدوا رساميلهم الأصلية لاعتبارات رمزية بالدرجة الأولى.

وعليه يمكننا الاستفسار عن كيف اكتساب الفرد لرأسماله اللغوي الأصلي، وما هي آليات تشكله؟

يتحصل الفرد على مختلف رساميله الأصلية بما في ذلك الرأسمال اللغوي من فضائه الاجتماعي بصفة عامة، ومن الحقل الأسري بصفة خاصة، عن طريق عملية الميراث، باعتباره مُنتجًا مُستبطنًا، قد يتفق مع المرجعية اللغوية للنشاط التربوي والتعليمي في المدرسة لاحقًا، فتساهم بذلك المؤسسة التربوية في إثراء رأسماله، وإعطائه شرعية الهيّمنة برفع سعره في مزادات مختلف الأسواق[1].

3- الرأسمال اللغوي والعملية التواصلية:

تحمل العملية التواصلية اللغوية في مضمونها بُنية مختلف الرساميل اللغوي وعلاقات القوة وشكل الفعل السلطوي إذ أنَّ «العلاقات اللغوية هي دائمًا علاقاتٌ للقوة الرمزية، وعن طريقها تتحقق علاقات القوة بين المتكلمين وجماعاتهم»[2]، فتبقى اللغة دومًا محل صراع اجتماعي رمزي تظهر فيه علاقات القوة، لذلك تتصارع الجماعات اللغوية فتسعى كل جماعة لغوية إلى فرض خطابها على النسق المجتمعي عن طريق الوسائل الاتصالية كالإعلام والمدرسة حتى تكرس سيادة رأسمالها اللغوي رمزيًا وشرعنته اجتماعيًا.

وتؤكد إحدى مقاربات السوسيولوجي التربوي بيرنستين Bernstein على تأثير الرأسمال اللغوي على التحصيل الدراسي، بحيث أنَّ الأطفال الذين ينتمون

---

[1]- بورديو بيار، **العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي**، تر:جاهل نظير، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994، ص42-43.

[2]- بورديو بيير وج.د فاكونت، **أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي**، تر: الكور عبد الجليل، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1997، ص103.

في طبقة ثقافية واجتماعية يتوافق رأسمالها الثقافي واللغوي مع الثقافة المدرسية يطورون في مراحل مبكرة من حياتهم رموزًا مختلفة أو أشكالاً من الكلام تترك آثارها على تجربتهم المدرسية اللاحقة[1].

وهذه الرموز لا تعني المفردات أو المهارات الشفوية فقط، بل الفوارق في صيغ التعبير وأساليب استخدام اللغة، فمثلاً يرى هذا السوسيولوجي أنَّ «حديث أطفال الطبقة العاملة يمثل رموزًا مُقيَّدة، أي وجوهًا لاستخدام اللغة تنطوي على افتراضات غير معلنة يتوقع المتحدثون من الآخرين أن يكونوا على علم بها، وترتبط هذه الرموز المُقيَّدة بسياقات ثقافية محددة»[2].

وإنّ كثيرًا من أفراد الطبقة العاملة يعيشون في سياق ثقافي يتميز بالترابط الأسري والإحساس بـ"الحميمة الأسرية"، فيتواضع هؤلاء الأفراد على كثيرٍ من القيم والمعايير، ويتفهمونها، ويلتزمون بها دون أن يتحدثوا عنها، باعتبارها مسلمات.

فتُستخدم الرساميل اللغوية لأطفال هذه الطبقة في مثل هذه السياقات للتواصل بينهم وبين أفراد المجتمع حول الخبرات العملية، لا تُوظف لمناقشة الأفكار والعمليات والعلاقات المجردة، وكثيرًا ما يدور الحديث ضمنًا عن معايير جماعتهم من دون التطرق إلى تفسير دوافع السلوك أو أنماطه المختلفة، وعليه فإنّ التحادث بـ"الرموز المُقيَّدة" هو من الخصائص التي تميز رساميل لغة أطفال هذه الطبقة.

أمّا أطفال الطبقة الميسورة، فيكتسبون ما يسميه بيرنستين Bernstein بـ"الرموز المفصلة" «أي أسلوب الحديث الذي تتحدد فيه معاني الكلمات المستخدمة لتطابق الوضع في تلك اللحظة»[3].

---

[1] - M. Cacouault et F.Oeuvrard, **Sociologie de l'éducation**, édition Casbah, 1998, p53.

[2]– أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، تر: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، 2005، ص555.

[3]– **المرجع نفسه**، ص557.

وخلافًا لما يقوم به أفراد الطبقة العاملة حينما يوقعون العقاب أو الثواب بأطفالهم مباشرة دونما شرح للأسباب والبواعث، فإنّ الأهل من الطبقة الميسورة يسهبون في حالة مماثلة في تعداد المبررات والمسوغات لتصرفاتهم اتجاه أطفالهم.

ويعتقد بيرنستين Bernstein أنّ الأطفال الذين يكتسبون رأسمال لغوي به "الرموز المفصلة" يكونون أقدر على التعامل مع متطلبات التعليم الأكاديمي الرسمي من نظرائهم الذين تلقوا "الرموز المقيدة" ممّا يُيَسِّر دخول أبناء الطبقة الميسورة وتعايشهم مع بيئة المدرسة[1].

وبالرغم من كون مقاربة بيرنستين Bernstein ما زالت مَثَارًا للكثير من النقاش، إلاَّ أنَّ اختلاف الرساميل اللغوية وأنماط استخدام اللغة التي تحدث عنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفوارق الثقافية العريضة التي تشدد على تنوع المصالح والأذواق وتركز على السوق اللغوية، فملكية الكفاءة اللغوية القريبة من معايير اللغة المُهيمِنة يجعلها بورديو وباسرون Bourdieu et Passeron من المحددات الأساسية للانتقاء والإقصاء المدرسي، بحيث «كلما كانت السوق اللغوية رسمية، كانت قريبة من معايير اللغة المهيمِنة »[2]، فأطفال الطبقة العاملة يواجهون عند دخولهم المدرسة صدامًا ثقافيًا أكبر بكثير مما يجده القادمون من طبقات اجتماعية وثقافية محظوظة ومرفهة، فهم يجدون أنفسهم في بيئة ثقافية "غريبة"، فلا يقتصر الأمر فيها على افتقارهم إلى الحوافز الدافعة إلى تحقيق مستويات عالية من التحصيل والأداء الأكاديمي فحسب، بل إنَّ رأسمالهم اللغوي وأنماط التحادث والتصرف التي تعودوا عليها لا تتلاءم وتلك التي تستخدمها المدرسة، فيقضي هؤلاء الأطفال ساعات طويلة في المدرسة يحاولون تعلم أنماط تحدث وتصرف المعلمين.

---

[1]– **المرجع نفسه**، ص558.

[2]– بورديو بيير وج.د فاكونت، **أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي**، مرجع سابق، ص104.

يحدد بيرنستين Bernstein بعض الجوانب التي يرتبط بها الرأسمال اللغوي للطفل المعتمد على استخدام الرموز "المُقيّدة" والمُسببة في الحد من فرص التعليم منها:

- عندما يتلقى الطفل استجابة محدودة على ما يُثيره في المنزل من تساؤلات، يضيّق من مجاله المعرفي من ناحية، ويكبح فضوله لمعرفة ما يدور في العالم الخارجي حوله، مقارنةً بالأطفال الآخرين الذين اكتسبوا الرموز المفصلة.
- من الصعب على الطفل أن يستجيب لعبارات اللغة المجردة وغير المشحونة بالعاطفة أو التجاوب مع التعليمات التي تدعو إلى الالتزام بالانضباط المدرسي.
- قد يكون ما يتحدث به المعلمون أمرًا غير مفهوم لدى الطفل، لأنهم يستخدمون لغة غير مألوفة لم يعتد عليها، فيُفسرّ الطفل عبارات المعلمين بالطريقة التي تحلو له، ويُجانب بذلك الصواب.
- يُعاني الأطفال صعوبات كثيرة في تعلم الأفكار المجردة، والتمييز بين المفاهيم المختلفة القابلة للتعميم من خلال التمارين والتدريبات التي يشارك فيها في المدرسة[1].

4 - الرأسمال اللغوي الجزائري:

من الصعوبة تحديد الرأسمال اللغوي الجزائري لأسباب موضوعية عديدة، منها تعدده وتنوعه وتمازجه بالثقافات التي استوطنت المنطقة تاريخيًا، ولأن المسار التاريخي للغة الجزائريين مرتبط بالاحتكاك المباشر بلغات تلك الثقافات ممّا يجعل احتمال التأثير المتبادل واردًا، لذلك سيتم عرض أهم المحطات التاريخية التي تركت بصماتها واضحة في الواقع اللغوي الجزائري لمحاولة الإحاطة به وبخصائصه وتركيبته الآنية.

5 جذور الرأسمال اللغوي الجزائري:

[1]- أنتوني غدنز، **مرجع سابق**، ص559.

يرى وليام شارل William Charles أنَّ وجود اللغة الأمازيغية أسبق بكثير من وصول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا [1]، لقد تحقق بعض التمازج بين الأمازيغ والفينيقيين، فاستخدموا اللسان الفينيقي على نطاق وظيفي واسع، حتى بعد انتهاء وجودهم، وهذا ما لم يتحقق لهم مع الرومان والبيزنطيين مثلاً، واُعتبر استعمال اللغة الرومانية مظهر من مظاهر الانسلاخ والتبعية، ما انعكس على محدودية انتشارها الذي لم يتجاوز القلة المجتمعية المرتبطة بالظاهرة الاحتلالية[2].

ويمكن الإشارة إلى ذلك التحالف الذي كان موجودًا حينها بين نوميديا الأمازيغية وقرطاجنة ضد الإمبراطورية المستعمرة الرومانية أسهم بشكل كبير في تقارب النفوذ المعنوي والثقافي والاحتكاك اللغوي البونيقي والأمازيغي، حتى أصبحت اللغة البونيقية لغة دواوين وإدارات المماليك الأمازيغية، وقد اعتبر غوستاف لوبون Gustav Lobons أنَّ اللغة البونيقية هي المصدر الأساسي الذي اشتقت منه اللغة الأمازيغية[3].

وبالرغم من انتهاج الرومان سياسة نشر اللغة اللاتينية ومحاربة اللغة السائدة حينها وانتشار اللغة اللاتينية في بعض الحواضر، فقد صمدت القبائل الأمازيغية وحافظت على بُنيتهم اللغوية والثقافية، وكما يذكر المؤرخون أنَّ لا الرومان ولا البيزنطيين والوندال تمكنوا من القضاء على البنية الثقافية واللغوية لمجتمعات شمال إفريقيا[4].

قد يكون من الصواب الجزم بأنَّ ما أحدثته الهجرات والنزوحات الجماعية المتتالية على شمال إفريقيا في تلك الفترات التاريخية من امتزاجٍ عرقيٍ لم يرق إلى

---

[1]– العربي إسماعيل، **مذكرات وليام شارل: قنصل أمريكا في الجزائر(1816–1824)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص102.

[2] – عشراتي سليمان، **الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002 ، ص65.

[3]– سعدي عثمان، **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1982، ص73.

[4]– بوقرة بلقاسم، **من الإستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد: التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص131.

الأثر الذي خلفه الفتح الإسلامي لها، عندما دشن مرحلةً من التداخل العرقي ليس بين الأمازيغ والعرب الفاتحين فقط ولكن بينهما وأعراق أخرى مشرقية وإفريقية وأوروبية مختلفة، وشكلت من الجميع محصلة بشرية تنتمي إلى مجالٍ جغرافيٍ واحد، نتيجة قبول الأمازيغ للإسلام الذي كان يحمل في طياته معالم الحرية والعدل والمساواة، هذه المعالم التي لم يعرفوها وافتقدوها مع الوافدين السابقين، «فرحبوا بالإسلام كدين أسمى وأقرب إلى العقل والقلب، كما أنه لا يتناقض وقيمهم وثقافتهم وتقاليدهم»[1]، لذلك لم تعرف المسيحية التي تواجدت في المنطقة لعدة قرون الانتشار الذي أحدثه الإسلام في الأوساط الأمازيغية، ويذكر المؤرخ غوتيه Goutier أنَّ «الجاذبية التي كانت بين المسلمين العرب والأمازيغ هو نتيجة التشابه في الحياة والشعور الأساسي الذي غلب الاختلافات اللسانية»[2]، وعليه فقد كان الدين الإسلامي بتعاليمه سببًا رئيسًا في تقبل الأمازيغ للغته، واكتسبت بذلك اللغة العربية الطابع المرجعي المقدس بعد أن استوعبت الخصوصية الدينية، عندما رافق الفقهاء والعلماء العرب المسلمين الجيوش الفاتحة، فتجاوزت بذلك الحيز العرقي الذي شغلته قبل الإسلام ، إلى فضاءات التحضر والرقي، إذ أصبح للمتحدث بها مكانةً اجتماعيةً باعتبارها رمزًا للتفوق ومصدرًا للتدين.

وقد أشارت بعض المراجع التاريخية أنَّ الأمازيغ المرابطين والموحدين الذين نشروا الإسلام، وكانوا يكتبون نصوصهم الفقهية باللغة الأمازيغية، وبحروف عربية، كما فعل ابن تومرت في رسالته، وهذا ما سهَّل عملية التمازج بين العرب والأمازيغ، كما أنَّ الهجرات الهلالية ساهمت في هذا التفاعل، بفضل نشرهم للغة

---

[1]– لونيسي رابح، **دعاة البربرية في مواجهة السلطة**، دار المعارف، الجزائر، 2002، ص11.

[2]– بوقرة بلقاسم، **مرجع سابق**، ص133.

العربية في نطاق واسع من بلاد المغرب، ويقول بهذا الصدد الشيخ البشير الإبراهيمي: «أنَّ بني هلال خربوا ولكنهم عربوا»[1].

ورغم أنَّ قبائل بني هلال أرسلوا من طرف الفاطميين للتدمير والتخريب، فقد واجههم أمراء بني زيري وبني حمَّاد بأسلوب حكيم، حيث تمكنوا من استيعابهم داخل المجتمع، ورغم ما قاموا به من تخريب في مدن إمارتيهما، إلاَّ أنَّهم لم يصدروا أي رد فعل ضد العرب كعرب، إنّما فسروا ظاهرة بني هلال بتفسيرها الصحيح وهو التفسير البدوي[2]، فلم تمض عدد من السنين حتى انصهر الهلالي داخل المجتمع الأمازيغي، فكان نتيجة ذلك إفراز دولتين أمازيغيتي القيادة هما: دولة المرابطين ودولة الموحدين، اللتان لعبتا دورًا كبيرًا في نشر الإسلام والذود عنه، وتطوير حضارته.

وقد عمل التواجد العثماني في الجزائر على غرس قيمه وثقافته ولغته التركية في المؤسسات الإدارية والعسكرية بصفة خاصة [3]، ما جعل القنصل الأمريكي في الجزائر يعتبرها من بين اللغات المتعددة لمجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي[4]، غير أنها كما يبدو لم ترق إلى مستوى الإنتاج الأدبي والفني الذي حققته اللغة العربية.

وقد حاولت فرنسا منذ نزول جيوشها أرض الجزائر مسح مقومات الشخصية الفرد الجزائري، بحكم سيطرة نظرة التمركز الأوروبي التي تعتقد بدونية الشعوب غير الأوروبية التي لم تصل بعدُ إلى التطور التاريخي الذي تشهده الثقافة الأوروبية[5]، واستعملت كل الوسائل المُتاحة لأجل ذلك فتسلطت وحاولت

---

[1] – سعدي عثمان، **مرجع سابق**، ص87.

[2] – **المرجع نفسه**، ص88.

[3] – بوقرة بلقاسم، **مرجع سابق**، ص165.

[4] – العربي إسماعيل، **مرجع سابق**، ص39.

[5] – أمين سمير، **التمركز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة**، سلسلة صاد، موفم للنشر، الجزائر، 1992، ص117.

القيام بالدمج الجدري الاجتماعي لأبناء مستعمَرتها في حضارة فرنسا وثقافتها [1]، ممّا جعل المسألة اللغوية في الجزائر تشهد هزةً في تركيبتها لا تزال ارتداداتها متلاحقة إلى يومنا هذا، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- إبعاد اللغة العربية عن المجالات التعليمية والثقافية باعتبارها رمز التخلف والانحطاط.
- إقحام اللغة الفرنسية في جميع المؤسسات الحكومية كالتربوية والتعليمية والإدارية والعسكرية، وجعلها لغة العمل والاتصال والتفكير.

6 -الواقع السوسيو لغوي الجزائري:

بعد أن تمَّ التطرق إلى الخلفية التاريخية لتشكل الرأسمال اللغوي الجزائري، التي تبرر الواقع التعددي الأمازيغي العربي، والذي من خلاله حققت الأجيال هُويتها الثقافية، لذلك يمكن القول بأن القضية التعددية ليست جديدة سواء كواقعٍ مُعاشٍ أو كطرح سوسيو لساني، إلاَّ أنَّ الإشكال الذي لا يزال يُصاحب هذه التعددية يحصل أساسًا على مستوى التعامل مع تلك اللغات، الذي يتخذ أوجهًا مختلفة تسفر عن تراتبيات معينة، ورمزيات سوسيو لغوية مختلفة بحسب منظومة القيم الأيديولوجية القائمة في تلك الفترة الزمنية.

وعلى سبيل المثال، فقد تمكنت مجموعة من القيم الأيديولوجية عقب استقلال الجزائر من فرض نفسها، وأساس تلك القيم هو الجنوح نحو الرفع من قيمة وحدة الأبعاد الانتمائية (وحدة اللغة، وحدة القومية، وحدة الدين، وحدة الحزب...إلخ)[2]؛ كرد فعل قوي للتثاقف العنيف الذي شهدته الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وللمكانة والسلطة الرمزية التي لا تزال تشغلها اللغة الفرنسية، وانعكست هذه القيم مباشرةً على مستوى التعامل مع الملف اللغوي المتعدد، من خلال

---

[1]- نازلي أحمد معوض، **التعريب والقومية العربية في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1986، ص56.

[2]- ينظر: بن نعمان أحمد، **التعريب بين المبدأ والتطبيق**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص265-297.

التدخل في فرض لغة معينة على حساب اللغات الأخرى في قطاعات التعليم، والإنعاش الثقافي، ومصالح العدالة، ومرافق الشأن المحلي، ووسائل الاتصال، ممَّا مكَّن من خلق تراتبية وظائفية رمزية للغة العربية على المستوى الرسمي، رغم بروز الخطاب المطلبي اللغوي.

وبالرغم من ذلك، فإنَّ السلطة الرمزية للنموذج اللغوي الفرنسي ال تي مارست إبَّان الاحتلال مختلف أشكال الهيّمنة على السوق اللغوية الجزائرية لم تتراجع عن موقعها، بل اقتحمت مختلف الحقول لتشكل منها سوقًا للصراعات اللُغوية تتحدد بها قيمة وسعر الرساميل اللسانية الجزائرية.

ومن الواقع السوسيو لغوي الجزائري، فإنّ الوضع المجتمعي العام للغة الفرنسية لا يزال فاعلاً ومؤثرًا، لا لشرطياتها التاريخية فحسب، بل لكثافة حضورها المجتمعي، لأن وجود هذه اللغة كأداة للعمل والتعامل في العديد من المجالات والمرافق الاجتماعية الهامة والمرتبطة بحاجيات ومصالح جميع الأفراد، يشكل التدعيم العملي لهيّمنتها الرمزية على مختلف الحقول الاجتماعية، فضلاً عن مساهمة هذا الحضور في تعميق عدم التطابق مابين التعليم والتكوين الجزائري الذي لا يزال ينتهج الإصلاح التعريبي ، وما بين سوق العمل والواقع المجتمعي ، حتى أصبح النُطق بها صراعًا على المواقع، ومن إتقانها المُحدِّد الأساسي لقنوات الترقية الاجتماعية، ومعايير الانتقاء والإقصاء في الجزائر.

ويمكن تبرير تحيّد العامية والأمازيغية بعدم قدرتهما على المنافسة؛ لأنهما لم تتجاوزا بعدُ الطابع الشفوي التواصلي ، ممّا يجعل اكتساب الفرد الجزائري للغة الفرنسية حتى في حالة عدم الوصول إلى مستويات الإتقان إثراءً لرأسماله الثقافي اللغوي وإظهارًا للاختلاف والتميز عندما يتم تحويله إلى رأسمال رمزي.

ويبني بذلك الفرد الجزائري استراتيجياته اللغوية وفقًا لتموقع وثمن كلماته في السوق اللغوية، فيتباهى عند لهجه كلمات فرنسية، معتقدًا بأنها رمزًا للتحضر والانخراط في نمط حياتي متقدم ومنفتح ، وفي الآن ذاته لا يرغب في تشكيل أي

نوع من القطيعة مع لغاته الأصلية المتعددة إمَّا اعتبارًا لقيمتها الرمزية، أو نتيجةً لما يسميه برنارد صبولسكي B.Spolsky بالإخلاص اللغوي، الذي يشير إلى مدى قوة متكلمي لغة ما في التعلق بلغتهم والذود عنها [1]، كما يمكن أن يكون انعكاسًا لما يسميه بيار بورديو "الموقف التحقيري" الذي يلقاه الرأسمال اللغوي الجزائري الأصلي بين النُخب السياسية والفكرية والمجتمع بصفة عامة، إذ لم يُسمح بعدُ للغة العربية ميدانيًا باقتحام العديد من المجالات الحيوية على غرار المؤسسات البنكية مثلاً ممَّا يفرض على الجزائري ملأ صكوكه البنكية باللغة الفرنسية.

وبفشل عملية إعادة إنتاج Reproduction الرأسمال اللغوي المفرنس بدليل تراجع نتائج المتعلمين في مادة اللغة الفرنسية؛ يلجأ الجزائري مضطرًا إلى مزجها باللغة الفرنسية تعبيرًا عن قيمة وثمن رأسمالها اللغوي كمصدر حيوي للوجاهة والقوة والمكانة في الفضاء الثقافي الجزائري.

ونتيجةً لذلك، تحول الرأسمال اللغوي الجزائري المتعدد اللغات (أمازيغية متعددة، عربية دارجة متنوعة) إلى رأسمال جديد ممزوج بالعبارات فرنسية غالبًا ما يتم تحويرها كي تتلاءم والصيغة التعبيرية الجزائرية "أنا وأصحابي أنريفيزو باش نبريبارو للباك" التي لا يفهمها إلاَّ جزائري القرن الواحد والعشرين، وفي نفس السياق يمكن استحضار أمثلة كثيرة تنذر بتحول حادٍ وخطير في بنية الرأسمال اللغوي الجزائري، وما يمكن ملاحظته واقعيًا حضور صعوبات جمَّة في العملية التواصلية مع الآخر، نتيجة الارتباك الذي يحدث على مستوى تعبير الفرد الجزائري، ولعل عدم قدرة الفرد الجزائري على التحكم في التعامل مع رصيد لغوي واحد من اللغات المتداولة سبب تلعثم لسانه وتزاحم ثلاث لغات مختلفة في خطابه الواحد، وقد تكون كلماته المنطوقة هي محصلة لقدرة المتكلم، كما يمكن أن تكون المُعبر عن خصوصيات السوق التي يعرض فيه الرأسمال ويتداول فيها الخطاب.

---

[1]– برنارد صبولسكي، **مرجع سابق**، ص140.

ولم يتوقف زحف ظاهرة الرأسمال اللغوي الممزوج عند مستوى التداول اللساني الشعبي فحسب، بل اخترق المؤسسات التعليمية بأطوارها المتعددة حتى اكتسحت قاعات التدريس بالجامعات، ولم يسلم من هذه الظاهرة إلاَّ العدد القليل من أعضاء هيئاتها التدريسية.

ويبدو أن هذه الظاهرة لم تقتصر على اللسان الشفوي، بل تخطته لتشكل اللغة المكتوبة أيضًا ولا أدلَّ على ذلك ما يشهده عالم SMS رسائل الهواتف الجوَّالة أو البورتابلات بالرأسمال اللغوي الجزائري الممزوج والأنترنت من تداخل وتمازج بين اللغات والأحرف فعُوِّضت الحاء بالرقم 7، والعين بالرقم 3...، ويمكن تفسير هذا "الابتكار" بعدم توفر الأجهزة المعنية لبرامج تسمح بالكتابة بالخط العربي في بادئ الأمر، إلاَّ أنّ الوضع استمر رغم توفر أجهزةٍ متعددة الحروف بما في ذلك الحروف العربية السنوات الأخيرة.

وعند التساؤل عن أكثر اللغات استعمالاً في حواسب الجزائريين على المستوى الفردي والمؤسساتي، فإنَّ الإجابة قد تفيد بأنَّ اللغة الفرنسية تتمتع بالمكانة الأولى ولا أدّل على ذلك واجهات الحواسب التي تستحوذ عليها اللغتين الفرنسية والانجليزية بالدرجة الأولى وكأن المخيال العربي ينذر بعجز اللغة العربية مساير مقتضيات العصر، واقتصار توظيفها في الشعر والخطابة.

لقد كانت اللغة العربية سببًا حاسمًا في تثبيت الفتح الإسلامي في العديد من المناطق على قواعد وركائز حضارية إنسانية، عندما استفادت كثيرًا من التجارب اللغوية للأمم الأخرى، وأتاحت لها فرصة الاغتناء من مواردها اللغوية واغنائها في الآن ذاته لما حدث الإثراء المتبادل مع شقيقاتها الفارسية، والأمازيغية...، فضلاً عن اليونانية والسريالية والعبرية، فاقتحمت بذلك ميدان اللسانيات كلغة منتجة للمعرفة وحاملة لها.

ويبدو أنَّ هذه الخاصية الاستيعابية للموارد اللغوية الأخرى لم تنقطع يومًا عن اللسانيات التي تُسمى حاليًا بـ "اللغات حيَّة" كاللغة الفرنسية مثلاً، إذ أحصى

أحد اللسانيين ما يزيد عن أربع ألاف (4000) كلمة أجنبية المصدر مسجلةً في قاموس لاروس LA ROUSSE الفرنسي الصادر سنة 1960م[1]، وبالرجوع إلى نفس القاموس نجد كلمات عديدة مأخوذة من اللسان العربي الفصيح أوحتى الدّارج منه ككلمات: Bézef[2]، Kif kif[3]، Méchoui[4]... ، وهل يمكن اعتبار انقطاع هذه الخاصية الاستيعابية المتفتحة على اللغات الأخرى سببًا من أسباب تعطل عملية إعادة إنتاج الرأسمال اللغوي الجزائري بطريقة آمنة له؟

ولا ندَّع بذلك الإلمام بكل حيثيات الموضوع، وما من شك أن الأمر يتطلب بحوثًا ودراسات مستفيضة وموسعة، فيكفي لهذه الندوة وغيرها من الندوات والملتقيات العلمية المُماثلة أن تفتح أمامنا أفاقًا أرحب للتفكير والعمل المبادر لاقتحام موضوع الإشكالية اللغوية في الجزائر، والذي يُعتبر على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية والصدارة، لا لمردوديته على مستوى البحث الأكاديمي فحسب، بل لما يُنتظر منه من إسهامٍ حقيقيٍ في تشكيل لبنةٍ أساسية في بناء تصورٍ علميٍ لواقعنا المتداخل في جوانبه السياسية والتربوية والاجتماعية والثقافية، وفهم طبيعة التحولات البنيوية للإطار المجتمعي المرجعي.

المراجع:

- ✓ أباذي الفيروز، **معجم القاموس المحيط**، دار المعرفة، ط 4، بيرو 2009، ص1181.
- ✓ ابن خلدون عبد الرحمان، **مقدمة ابن خلدون**، تح: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر،ط1، القاهرة، 2004.

[1]- Henri Mitterand, **Les mots français**, Que sais-je?, Presses universitaires de France, 3e édition, Paris, 1968, p69.
[2] - **Le Petit Larrousse illustré2012**, édition Larrousse, paris, juin2011, p120.
[3] - **Ibid**. p606.
[4] - **Ibid**. p670.

✓ أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، تر: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت 2005.

✓ أمين سمير، **التمركز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة** ، سلسلة صاد، موفم للنشر، الجزائر، 1992.

✓ برنارد صبولسكي، **علم الاجتماع اللغوي** ، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

✓ بسّام بركة، **اللغة العربية القيمة والهوية**، مجلة العربي، العدد 528 ،الكويت، نوفمبر 2002 .

✓ بلعيد صالح، **في الأمن اللغوي**، دار هومة، الجزائر، 2010.

✓ بن نعمان أحمد، **التعريب بين المبدأ والتطبيق** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

✓ بورديو بيير وج.د فاكونت، **أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي**، تر: الكور عبد الجليل، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1997.

✓ بورديو بيار، **العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي** ، تر:جاهل نظير، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994.

✓ بورديو بيير، **الرمز والسلطة**، تر: بنعبد العالي عبد السلام، دار توبقال، ط 3، الدار البيضاء (المغرب)، 2007.

✓ بوقرة بلقاسم، **من الإستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد: التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

✓ ج.فندريس، **اللغة**، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1951.

✓ خليل أحمد خليل، **معجم المصطلحات الاجتماعية**، دار الفكر اللبناني، ط 1، بيروت 1995.

✓ الذاودي محمود، **المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية** ، مجد للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2010.

✓ سمدون حمادي وآخرون، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.

✓ سعدي عثمان، **عروبة الجزائر عبر التاريخ** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1982.

✓ عبد المنعم الحنفي، **المعجم الفلسفي**، دار ابن زيدون، ط1، بيروت، 1992.

✓ عشراتي سليمان، **الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

✓ العربي إسماعيل، **مذكرات وليام شارل: قنصل أمريكا في الجزائر**(1816-1824)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

✓ علوان محمد السيد، **المجتمع وقضايا اللغة** ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1955.

✓ علي خذري، **اللغة وشخصية الأمة** ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد2، جامعة باتنة، ديسمبر1994.

✓ لونيسي رابح، **دعاة البربرية في مواجهة السلطة** ، دار المعارف، الجزائر، 2002.

✓ محمد عزيز الحبابي، **الإنسان حيوان يتكلم** ، مجلة الأصالة ، العدد16، سبتمبر-أكتوبر 1973.

✓ م.روزنتال وب. يادين، ، **الموسوعة الفلسفية**، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981.

✓ نازلي أحمد معوض، **التعريب والقومية العربية في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1986.

✓ Henri Mitterand, **Les mots français**, Que sais-je?, Presses universitaires de France, 3e édition, Paris,1968.
✓ **Le Petit Larrousse illustré 2012**, édition Larrousse, paris, juin2011.
✓ M. Cacouault et F.Oeuvrard, **Sociologie de l'éducation**, édition Casbah,1998.

اللغة العربية لغةً جامعة

د . عبد السلام السيد حامد . جامعة قطر

نعني باللغة الجامعة هنا أن اللغة تمثل إحدى اللغات العالمية المعترف بها في الأمم المتحدة؛ نظراً لكثرة عدد المتحدثين بها وامتداد وجودها وانتشارها جغرافياً وثقافياً وحضارياً بالقياس إلى غيرها من اللغات. واللغة العربية تعد بهذا الفهم من اللغات الجامعة لأسباب محددة نراها تتجسد في: خصائص نظام هذه اللغة، وواقع وجودها وانتشارها وتداولها، وارتباطها بالإسلام، وتفصيل ذلك في المباحث الآتية.

المبحث الأول: خصائص نظام اللغة العربية:

ليس القصد هنا أن نتحدث عن هذا النظام من جميع جوانبه، وإنما القصد بيان بعض الجوانب التي أهّلت اللغة العربية لكي يكون نظامها نظاماً للغة جامعة أو (عالمية)، إذا جاز الوصف "بالعالمية" هنا. وتقييد الكلام بالشرط بـ"إذا" إنما هو احتراس للتمييز بين خطابين اثنين في هذا المضمار: الخطاب الذي يتناول اللغة من الخارج، والخطاب الذي يتناولها من الداخل؛ لأن الباحث ربما يذكر المقومات التاريخية التي ترتقي بلغة من اللغات إلى مستوى التداول الإنساني الواسع، فيصبح واقفاً على منبر اللسانيات الاجتماعية في إطارها السياسي والحضاري الفسيح، الوارد فيه الإشارة إلى تميّز لغة أو تغلبها على لغة أخرى، أما خطاب اللغة من الداخل فينفذ فيه الباحث إلى البنى الصوتية والصرفية والنحوية،

فتتساوى اللغات البشرية في مبدأ كليّ عام، وهو أنها جميعاً تتطور، وأنها بهذا المعيار تكون متعادلة ومتطابقة في قيمها التعبيرية وينتفي القول بتفاضلها[1].

وبناءً على ما سبق نقول: إن للتطور أصولاً وقوانين يجب معرفتها لمعرفة الممكن في التطور من المستحيل، وتمييز المتغير من الثابت. والثابت بالنسبة للغة العربية الفصيحة ثلاثة أركان، الأول : أصول الكلام أو النحو وهي كل ما يكون مناط التبويب والتقسيم والتجريد في نظام اللغة، والثاني: أصول المنهج أو أصول النحاة كالسماع والقياس وما يشبههما، والثالث: ارتباط العربية بالقرآن الكريم. وأما المتغير فهو – على وجه الإجمال – المفردات وبعض أنماط الاستعمال. ودراسة التطور في العربية الحديثة الفصيحة تتجنبها بعض دراسات التطور مكتفية في كثير من الأحيان بمستوى العامية، وهذا مسلك غير كافٍ، ولو سلكنا الطريق الصحيح، فسنجد أن الإشارة إلى تطور الإعراب من الناحية التاريخية وأثر ارتباط العربية بالقرآن في إيقاف امتداده – يمكن أن تكون مدخلاً جيداً لدراسة هذا التطور.

وقد مرت اللغة العربية الفصيحة بحلقات من التطور حتى جاء الإسلام ونزل بها القرآن فأصبح لها – ولا سيما في نظامها النحوي العام – حكم خاص من شبه الثبات وبطء التغير على مدى ما يزيد عن أربعة عشر قرناً، وصارت لغة استثنائية في هذا الشأن لا تقاس بما تقاس به غيرها. وهذه الحالة الخاصة نظر البعض إليها بمنظار النقد فجعلها سبب جمود وتأخر في اللغة وفي عقل أبنائها، وهذا زعم مردود عليه بأدلة كثيرة أهمها أن اللغة حيادية لا تصنع تقدماً ولا تأخراً، وأنه لا تنافي بين اتصاف العربية بوضع خاص، وضرورة إصلاحها وإصلاح التعامل معها. إن حالة العربية الخاصة هذه أدت إلى مقولات ومحاولات تفسير، منها القول بأنها (أي العربية) كانت محكومة تاريخياً بتيارين متقابلين من

---

(1) – انظر : العربية والإعراب، للدكتور عبد السلام المسدّي 195، 196. وقد جعل الدكتور المسدّي هذا الكلام مدخلاً للاعتراض على بعض ما ورد لدى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "اللغة بين القومية والعالمية" .

المحافظة والتجديد، كفلا لها نوعاً من الاتزان، وقد جسد الصراع بين هذين التيارين – وما يزال – ما أُلّف وكُتِبَ في اللحن والرد عليه.

ويؤكد هذا الاتزان في تاريخ العربية مقارنتها بغيرها من اللغات الأخرى كالإنجليزية التي ذكر لها ل. ر. تراسك نصاً يرجع إلى ما يقرب من ألف عام، وتبدو لغته غريبة لا يمكن لأحد أن يحدد ما هي ولا أن يجزم بأنها الإنجليزية؛ لأنها متغيرة في مفرداتها ومعانيها وهجائها وبنيتها النحوية إلا ما ندر، ولذلك لا يستطيع أن يعرفها ولا أن يفهمها إلا المتخصص الذي تلقى تدريباً خاصاً في ذلك[1].

وتتمثل حدود تطور العربية الفصيحة المعاصرة في أنه واقع في مستوياتها المختلفة أصواتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، غير أن مستوى الأصوات أقلها تغيراً، ومستوى المفردات والمعجم والدلالة هو أوسعها وأكثرها تطوراً (يشهد بهذا أنها وهي في أوج نهضتها في فترة صعود الحضارة الإسلامية قد رحبت بكثير من الألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى)، ومدى التطور في الصرف والنحو ومجالُه هما: كثرة الاعتماد على إضافة الصدور واللواحق في مصطلحات العلوم والفنون، وإحياء الصيغ والاستعمالات المهملة، وإطلاق القياس، وتوسيع بعض القواعد، وتفصيح بعض الأساليب. وبناءً على ذلك لا يعني اعترافنا بالتطور في العربية المعاصرة أنها تختلف اختلافاً تاماً عن فصحى التراث وأنهما يمثلان مستويين مختلفين في كل شيء؛ ولهذا تظل اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي عاشت قروناً عديدة ثابتة في أطرها العامة وخصائها وأصول أنظمتها، وسر ذلك ارتباطها بالقرآن الكريم، ويساعدها عليه ما انتظمته في وصفها الأول من ائتلاف خصائص اللهجات المختلفة.

وصفوة القول أن من أسباب اعتبار اللغة العربية لغة جامعة كون نظامها يعتمد على الإعراب، ويجمع بين التصرّف والإلصاق والعزل وإن غلب عليه

([1]) – انظر : أساسيات اللغة، تأليف ر. ل. تراسك، ترجمة رانيا يوسف 105، 106.

التصرف، وقد جعل كلٌّ أولئك نظامَ العربية متنوعاً وسطاً يجمع بين النوعين الأساسين من اللغات، وهما: اللغات التأليفية أو التركيبية، واللغات العازلة أو التحليلية [1]. ومن سمات "جامعيّتها" أو عالميتها أيضاً أنها لغة ديمقراطية لا تخاطب الكبير بخطاب والصغير بخطاب آخر، ولا تخلط بين ضمير المفرد والجمع[2]. وقد أهّلتها هذه السمات للبقاء ولأن تكون ذات قدرة كبيرة على التعبير عن المعاني وتوليد الكلمات والاتساع، كما أهّلها لأن تكون لغة للقرآن الكريم.

المبحث الثاني – واقع وجود اللغة العربية وانتشارها وتداولها:

اللغة العربية لغة العرب ولغة الدين الإسلاميّ ولغة رسمية من اللغات الست المعترف بها في الأمم المتحدة . هذا هو واقع وجود العربية وواقع انتشارها. وكونها لغة العرب ولغة الإسلام نفصله فيما يأتي:

أ – وصف اللغة العربية ومنزلتها بين لغات العالم من خلال بعض الإحصاءات[3] :

المجموع الكلي لمساحة الدول الأعضاء في منظمة جامعة الدول العربية هو 13.953.041 كم²، وهذا يجعل مجموع مساحة العالم العربي الثاني عالمياً بعد روسيا، ويجعل مجموع سكانه الذي يُعدّ حوالي 339 مليون نسمة . كما تقول إحصاءات عام 2007 م . هو الرابع عالميا بعد الصين، والهند والاتحاد الأوروبي إذا ما نظرنا إلى الكيانات السياسية[4].

([1]) – انظر : اجتهادات لغوية ، للدكتور تمام حسان 129–135، وانظر : "من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، مقال للدكتور تمام حسان بعنوان "اللغة العربية والشعوب الإسلامية" 69 ، 70، وقضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، للدكتور نهاد الموسى 160، ومعجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي البعلبكي 262، 493، وأسس علم اللغة لماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر 151. وانظر لي : مدخل إلى دراسة التطور النحوي في العربية المعاصرة ، بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة – يوليو 2011، ومعظم ما ورد هنا في هذا المبحث الأول تلخيص لذلك البحث.

([2]) – انظر : اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس 279، 280.

([3]) – يجب الالتفات إلى أن الإحصاءات التي تتعلق بالسكان وأحوالهم تختلف من وقت إلى آخر وتتصف بأنها تقريبية ، وهذا يجعل الاعتماد عليها من باب الاعتماد على الغالب ووجه التقريب، والذي ذكرناه في هذا الأمر ما هو إلا من هذا المنطلق، ولم يكن حصر الإحصاءات من جميع جوانبها من قصدنا.

([4]) – انظر على شبكة المعلومات : موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) http:// ar.wikipedia .org .

وبالاعتماد على بعض الإحصاءات والجداول المفصلة التي وردت في دراسة صدرت سنة 2004 م، يمكننا أن نلم ببعض التفاصيل المهمة في هذا الأمر، مع ملاحظة اختلاف ترتيب منزلة عدد الناطقين باللغة العربية في الدول العربية عالمياً بين المنزلة الرابعة (كما يشير مصدر إحصاء 2007 الذي أشرنا إليه سابقاً) والمنزلةِ الخامسة كما تشير الجداول الآتية وهي أقدم زمنياً، ويأتي الاختلاف لسببين أولهما قدم هذه الإحصاءات؛ إذ إنها صادرة سنة 2000 م، والثاني أنها تدخل الناطقين بالإنجليزية على مستوى العالم كله في الاعتبار. والجدول الأول فيما يأتي خاص بعدد الناطقين بأهم اللغات بوصفها اللغة الأم. وسيبين لنا هذا الجدول أن العربية تأتي في المنزلة الخامسة بعد الصينية والهندية والإنجليزية والإسبانية ؛ لأن عدد الناطقين بالعربية (في الدول العربية) كان يبلغ مائتين وأربعين مليوناً (240).

عدد الناطقين بأهم لغات العالم بوصفها اللغة الأم (سنة 2000)

الترتيب	اللغة	العدد بالمليون
1	الصينية (المندارين)	874
2	الهندية	366
3	الإنجليزية	341
4	الإسبانية	322
5	العربية	240
6	البنغالية	207
7	البرتغالية	176
8	الروسية	167

وإذا تحدثنا عن النسبة المئوية للناطقين بأهم لغات العالم بوصفها اللغة الأم، فسنجد ما يأتي:

الترتيب	اللغة	العام				
		1958	1970	1980	1992	2000
1	الصينية المندارين)	15.6	16.6	15.8	15.2	14.5
2	الهندية	5.2	5.3	5.3	6.4	6.1
3	الإنجليزية	9.8	9.1	8.7	7.6	5.7
4	الإسبانية	5.0	5.2	5.5	6.1	5.4
5	العربية	2.7	2.9	3.3	3.5	4.0
6	الروسية	5.5	5.6	6.0	4.9	2.8

ومن الجوانب الأخرى التي تكشف منزلة اللغات بعضها من بعض وتبين أهميتها، المعايير الستة التي وضعتها إحدى الجمعيات الأمريكية، وهي:

- عدد المتحدثين بها بوصفها اللغة الأصلية.
- عدد المتحدثين بها بوصفها لغة ثانوية.
- عدد الدول التي تتحدث باللغة وعدد سكانها.
- عدد المجالات الرئيسة التي تستخدم فيها اللغة على الصعيد الدولي.
- القوة الاقتصادية للدول التي تستخدم اللغة.
- الإشعاع الثقافي والأدبي للدول التي تستعمل اللغة.

وقد وضعت نقاط تعبر عن أهمية اللغات ، بناءً على هذه المعايير، فجاءت اللغة الإنجليزية في المرتبة الأولى والعربية في المرتبة الخامسة أيضاً:

التسلسل	اللغة	عدد النقاط
1	الإنجليزية	37
2	الفرنسية	23
3	الإسبانية	20
4	الروسية	16
5	العربية	14

6	الصينية	13
7	الألمانية	12
8	اليابانية	10
9	البرتغالية	10
10	الهندوأوردية	9

إذن تحتل العربية – بناءً على الإحصاءات والجداول السابقة – المرتبة الخامسة بين لغات العالم، من حيث عدد الناطقين بها ومن حيث الأهمية، وهي تحتل المرتبة الثامنة من حيث إجمال الإنتاج القومي (6.6). وإذا كانت هذه مراتب لا بأس بها ، فهناك تدنٍ وتأخر ملحوظان للعربية في مجالات أخرى. ففي مجال النشر يطبع سنوياً سبعمائة ألف كتاب (700 ألف)، ونصيب العربية من ذلك محدود ومنزلتها فيه الثانية والعشرون. وكذلك في مجال لغات شبكة المعلومات، لا ذكر للعربية في اللغات الخمس عشرة الأولى في هذا المجال، واللغات الأربع الأولى هي: الإنجليزية فالألمانية فاليابانية فالفرنسية[1].

ب – وصف اللغة العربية من حيث التوزيع الجغرافي:

من الواقع الجغرافي للغة العربية ما ذكرناه من قبل من أن مساحة العالم العربي هي الثانية بعد مساحة روسيا. وثمة ارتباط وثيق وواضح بين وجود العربية ووجود الإسلام تاريخياً وجغرافياً. فأما توزيع اللغة العربية داخل العالم العربيّ وخارجه فيمكن أن نسمي له ثلاثة مواطن هي:

- مواطن الدول العربية المشهورة والمعروفة باللغة العربية (مواطن التوحد اللغوي).
- مواطن الدول العربية ذات الأوضاع الخاصة (مواطن التعدد اللغوي).

(1) – انظر : لتحيا اللغة العربية ... ، لشريف الشوباشي 43 – 56.

- مواطن وجود العربية مصاحبة للعرب والإسلام والمسلمين في غير العالم العربيّ.

1- فالمواطن المشهورة والمعروفة باللغة العربية (مواطن التوحد اللغوي) – ولا يقصد بهذا عدم وجود لغة أخرى أو ازدواج لغوي – هي التي يُفترض أن فيها لغة واحدة هي العربية التي هي اللغة الرسمية واللغة الأم ولغة الحياة والتعامل، وهذه تتمثل في ثماني عشرة دولة هي: عمان واليمن والسعودية والإمارات وقطر والبحرين والكويت والعراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والسودان (دون الجنوب) وليبيا وتونس والجزائر والمغرب (مع التسليم بأن المغرب لها أوضاع لغوية خاصة ضمن هذه المجموعة؛ لأنه إلى جانب العربية فيها، توجد الإسبانية في الشمال والجنوب والفرنسية بشكل عام، وهاتان لغتان أجنبيتان وجدتا بعامل الاستعمار وتوابعه، إلى جانب الأمازيغية وهي لغة وطنية)[1].

2- والمواطن العربية المختلطة ذوات الأوضاع الخاصة (مواطن التعدد اللغوي) هي التي يوجد فيها إلى جانب العربية لغة أو لغات أخرى تستعمل في التخاطب وجميع مجالات الحياة على نطاق واسع؛ وذلك – في أغلب الأحوال – بسبب الازدواجية الثقافية وسياسات العزل عن تيارات الحياة في الوطن الكبير التي مارسها الاستعمار خلال حقب من الزمان. وهذا يصدق على بقية الدول العربية الأربع الباقية وهي: الصومال وجيبوتي وموريتانيا وجزر القمر، وكان الإقليم الجنوبي في السودان قبل انفصاله يُضاف إلى هذا القسم. وتتفق هذه البلاد لغوياً في الهدف والأسلوب؛ فأما الهدف فهو التعريب والوصول إلى ثنائية لغوية تثبّت وجود اللغة العربية مع غيرها وتمكن لها، وتجعل الفرد يتقن استعمالها في جميع المجالات كاللغة المحلية الأخرى، وأما الأسلوب المتبع في تحقيق هذا

([1]) – انظر : معجم بلدان العالم ، لمحمد عتريس 106، والتعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، لمحمد الأوراغي 76 وما بعدها.

الهدف فهو – على الوجه الأغلب – العفوية والافتقار إلى التخطيط الشامل والمنهجية الواضحة والخضوع لتقلبات الظروف السياسية[1].

ففي **الصومال** لغتان رسميتان كما ينص الدستور: اللغة الصومالية واللغة العربية. وإلى جانب ذلك توجد الإنجليزية بصورة ملحوظة، والإيطالية معروفة وإن كانت بشكل أقل [2]. والصومالية هي اللغة الأولى، وقد أصبحت مكتوبة منذ عام 1973 وهي مكتوبة بالحروف اللاتينية، وبينها وبين العربية صلة وطيدة طويلة العهد مكنتها من اكتساب كثير من مفرداتها وأصولها منها. وقد قرر قانون التعليم الصادر عام 1977 أن اللغة العربية مادة دراسية في كل المراحل وأن النجاح فيها شرط للانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبعد ذلك صدر قرار مجلس الوزراء في مارس 1980 بالتخطيط للتعريب في كل مناحي الحياة وتكونت لجنة وطنية برئاسة وزير التربية والتعليم للاضطلاع بذلك. وقد نتج عن هذا أن تلخص موقف العربية في أنها تحتل مكانها على أنها مادة دراسية في كل المدارس والمعاهد، وتستعمل وسيلة لتدريس المواد الاجتماعية (الجغرافيا والتاريخ) والتربية الدينية في المدارس الإعدادية والثانوية مع تفاوت في مستواها من مدرسة إلى أخرى ووجود صعوبة في التدريس بها في المرحلة الابتدائية. وفي ميدان الإدارة يكاد يكون الاعتماد كاملاً على اللغة الصومالية، هذا مع الاعتراف بالعربية لغة للمكاتبات والعمل في كل مكان واطراد استعمالها وفهمها لدى عدد كبير من المسئولين والموظفين، وأغلب أوراق المكاتبات الرسمية واللافتات على المرافق العامة تكتب باللغتين الصومالية والعربية، وهذا الوضع الذي يبعث على التفاؤل لا يعيبه إلا نقصان الطاقات والعقول المدربة، وفي سبيل سد جزء من هذا النقص أنشئ معهد

([1]) – انظر : التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – ط 1 – 1982 م) 309 – 311.

([2]) – انظر : معجم بلدان العالم ، لمحمد عتريس 79.

للتعريب الإداري بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد قام هذا المعهد بدور ملموس في هذا الشأن[1].

وفي **جيبوتي** اللغة الرسمية هي العربية والفرنسية، وإلى جانب ذلك توجد اللغة العفرية واللغة الصومالية [2]. وتفصيل ذلك أن العربية لغة الدين والعلم والثقافة، والصومالية والعفرية لأغراض الحياة العامة بنسبة تكاد تكون مناصفة بينهما، وأما الفرنسية فهي لغة الإدارة والدوائر الحكومية. ولا تقتصر معرفة العربية على المتعلمين فقط ، بل تنتشر بين قطاعات كبيرة من أفراد المجتمع بفضل انتشار الكتّاب (المَعلمة) الذي يرسل إليه أغلب الأطفال حتى قبل سن المدرسة الابتدائية حيث يتعلمون فيه الحروف ويحفظون سوراً من القرآن الكريم، إلى جانب إقامة التجمعات والاحتفالات الدينية التي تمارس فيها العربية. وهذا لا ينفي أن ثمة حالة من الضعف في اللغة والثقافة العربيتين وأنهما لا يقومان بدورهما في حياة الشعب ، ويعزى هذا إلى السياسة التعليمية التي انتهجت تحت الحكم الأجنبي الطويل وجعلت الفرنسية اللغة الرسمية للدولة، لذا كان طبيعياً مع فجر الاستقلال أن تتجه الدولة نحو التعريب، وقد بدأ تدريجياً ثم تطور الاتجاه الحقيقي نحوه في العام الدراسي 1980/1979م، بإدخال اللغة العربية بتشريع إلزامي بمعدل أربع ساعات في الأسبوع في الصفين الخامس والسادس في المرحلة الابتدائية، وانتقل الإلزام في العام التالي إلى المدارس الثانوية والمعهد الفني، وكانت الخطة المعدة أن يستمر الأمر على هذا النحو حتى يعم تدريس اللغة العربية في سنوات التعليم العام كلها. وقد تمثلت الخطوات الأولى في سبيل إعداد المعلمين في إنشاء مركز لإعداد معلمي المرحلة الابتدائية، مع الاعتماد على المعلمين المعارين من البلدان العربية الشقيقة وعلى تأهيل الجيبوتيين المبعوثين إلى جامعات ومعاهد تلك البلدان "إن المرحلة التي يجتازها التعريب هنا تختص

---

(1) – انظر : التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي 312 – 314 .

(2) – انظر : معجم بلدان العالم ، لمحمد عتريس 247.

في المكان الأول بتعليم اللغة (كمادة) دراسية. أما اتخاذها وسيلة للتعليم فيعتبر هدفاً لمرحلة أخرى تحتاج إلى تخطيط وبرمجة خاصين لتحل العربية محل الفرنسية التي تصبح آنئذٍ اللغة الأجنبية الأولى"[1].

وفي **موريتانيا** اللغة العربية هي اللغة الرسمية، وتوجد إلى جانبها الفرنسية وثلاث لغات محلية لها منزلة وطنية خاصة هي: البولارية والسونونكية والولوفية[2]. والدولة تعمل على تقنين هذا الوضع وتأكيده في خططها وقراراتها التي صدرت في سنة 1973 وسنة 1979، وقد كان المخطط لما بعد عام 1985 أن "تحتل اللغات الوطنية مكانها في النظام التعليمي بدل الفرنسية فيبدأ تدريسها في الصف الأول الابتدائي، وتكون العربية هي اللغة المشتركة بين جميع التلاميذ، وتأتي الفرنسية لغة أجنبية أولى. وهناك من يرى احتمال تدريس واحدة من اللغات الوطنية الثلاث غير العربية على أساس اختياري لمن يتحدثون بالعربية لغة أصلية. وقد قطع وضع المناهج المعربة وتوفير الكتب اللازمة لها شوطاً"[3]. وخارج إطار المدرسة في المجالين الثقافي والإداري كان إلى وقت قريب للفرنسية نفوذ كبير، من ذلك أن الصحف كانت تصدر مناصفة بالفرنسية والعربية، ولكن يبدو أن هذا النفوذ بدأ يقل تدريجياً بدليل أن صحيفة "الشعب" – وهي الجريدة الموريتانية الرسمية – كانت تصدر باللغة الفرنسية ثم صار إصدارها باللغة العربية[4].

وفي **جزر القمر** اللغة الرسمية هي العربية والفرنسية ولغة "شيقُمُر" (القمرية) وهي لهجة من لهجات اللغة السواحلية[5].

---

(1) – التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي : 316 .

(2) – انظر : معجم بلدان العالم ، 385.

(3) – التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية : 318 .

(4) – انظر : السابق، الصفحة نفسها، وانظر أيضاً : http://ar.wikipedia.org/wiki .

(5) – انظر : معجم بلدان العالم 231 .

إن من المهم هنا أن أشير إلى أن اللغة العربية في موطنها الأصلي – وهو ما يسمى بالعالم العربي ويصدق هذا على دول النوعين السابقين حقيقة أو حكماً – لها سمة جغرافية عظيمة الشأن تميزها عن الكيانات الجغرافية لغيرها من اللغات حتى بعض التي تفوقها في عدد الناطقين بها كالإنجليزية ؛ هذه السمة هي عظم المساحة ووحدة المكان، أي وحدة الرقعة الجغرافية الكبيرة لهذه اللغة وتلاحمها وامتدادها في حيز جغرافي واحد كبير، يمتد وينسجم أفقياً من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً؛ ولهذا فنحن حين "ننظر إلى مُرْتَسَم العالم متوهمين خطاً مستقيماً يبدأ من عُمان على الخليج العربي، وينتهي في نواكشوط على المحيط الأطلسي، فإن هذا المستقيم يشتمل على لغة واحدة فقط ، بينما نجد المستقيم الذي يوازيه ويساويه في أوروبا ينتظم أكثر من عشرين لغة مختلفة، ومثله المستقيم المارّ في إفريقية. وهي تهيئ لهم من عمان إلى نواكشوط مدخلاً تلقائياً إلى التواصل يفضي إلى تفاعل إيجابي وتلاقٍ وجداني"[1].

3- وأما مواطن وجود العربية مصاحبة للإسلام والمسلمين والعرب في غير العالم العربيّ ، فالعربية فيها توجد بأشكال مختلفة أدناها أداء الشعائر بها وكونها لغة الثقافة الدينية، وهذا يصدق على اللغة العربية بالنسبة لإيران بصفة عامة وباكستان وأفغانستان وبعض مناطق الهند، وماليزيا وإندونيسيا وبروناي وما يشبه هذه المناطق، وكذلك تركيا، وقد توجد اللغة العربية في هذا القسم في شكل جزر لغوية منعزلة مشتملة على نسبة استخدام واسعة مع قدر من التهجين ومجاورة لغات أخرى، ومن أمثلة ذلك وجود العربية في السنغال ونيجيريا ومالي إلى جانب اللغة الأجنبية التي يقع التعامل بها في الداخل مع اللغات المحلية.
ففي السنغال مثلاً اللغة العربية لغة مقررة في المرحلة الثانوية بوصفها لغة حية ، وهي تدرس عن طريق الفرنسية ، وقد قامت الطرق الصوفية هناك بدور كبير في

([1]) – قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث ، للدكتور نهاد الموسى : 161 ، 162 .

تعريب المسلمين وتعريب أسماء الأعلام للأشخاص والقرى والدوائر المحلية [1].
ومن أمثلة هذه الصورة أيضاً عربية الأقليات خارج الوطن العربي كذلك ، كعربية الأناضول وعربية أوزبكستان في منطقة "قشقا داريا" و"بخارى" وقريتي "جوجاري" و"أربخانة"، وكذلك عربية أفغانستان في محافظة "بلخ" بالشمال ، واللغة العربية في المهجر، وقد نشأت من هجرة أعداد كبيرة من العرب في العصر الحديث إلى بعض البلاد الغربية، كهجرة اللبنانيين إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وهجرة المغاربة والجزائريين إلى دول غرب أوروبا كبريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا[2].

ووضع اللغة العربية في المهجر الأمريكي خاصة – كما أشار إليه الدكتور حسام الخطيب في دراسة منذ عدة سنوات – كان وضعاً مؤسفاً ومخجلاً ومحزناً، على عكس وضع اللغات الأخرى كالإسبانية والإيطالية. ذلك أن حال اللغة العربية ساءت، بعد أن كانت دوحة عظيمة من خلال الأدب المهجري الذي ازدهر حتى منتصف القرن العشرين. إن الأمر تجاوز بكثير ما صوره هذا الأدب من إحساس بالغربة والمعاناة حتى في داخل الأسرة الواحدة ومع الأبناء، ومما ورد في هذا قول الشاعر القروي:

حولي أعاجم يرطنون وما للضاد عند لسانهم قدرُ
ناسٌ ولكن لا أنيسَ بهمْ ومدينةٌ لكنـها قفرُ

وكذلك قول إلياس فرحات :

وصلتنا ببنينا لغةٌ لم تصلنا ببنينا الظرفاءْ
إن نقلْ قولاً فصيحاً بينهمْ ردّدوه بلسان الببّغاء
نحن غرقى في خضمٍّ إنما لغةُ الضاد سفينٌ للنجاء[(3)]

---

[1] – انظر : التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، للدكتور محمد المنجي الصيادي (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – ط 3 – 1984) 557 .

[2] – انظر : اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها 243 – 262.

[(3)] – انظر : اللغة العربية ، إضاءات عصرية ، للدكتور حسام الخطيب 199 ، 202 .

ونحن نظن أن هذا الوضع بدأ يتغير ويتجه نحو بعض التحسن، في ظل ظروف الاهتمام العالمي العام بالرغبة في فهم الإسلام والعالم العربي ولغته، بعد أحداث ومتغيرات كثيره مرت وتمر في ضوء علاقة الشرق الإسلامي بالغرب.

ومعنى ذلك أنه كما توجد في دول العالم العربي فئات لا تتكلم اللغة العربية – وعدم التكلم هذا بنسب متفاوتة (كما في الصومال، وجيبوتي، وجزر القمر، وشمال العراق وسوريا لوجود نسبة من الأكراد فيهما)– توجد فئات في غير العالم العربي تتكلم العربية. ومن الأمثلة الأخرى لذلك سكان إقليم الأهواز في إيران حيث يوجد فيه ثمانية ملايين من العرب، ويوجد عرب كذلك في تشاد (اللغة العربية فيها لغة رسمية إلى جانب الفرنسية [1])، وتركيا، وإريتريا، ومالي، وغيرها من الدول. ومن أسباب وجود اللغة العربية في هذه الدول والأماكن وجود الإسلام فيها وكونها ملاصقة جغرافياً للدول العربية، وهذا أدى إلى أن يكون بعض سكانها عربًا أو قبائل قد تأثرت باللغة العربية، فكانت هي المتداولة بينهم.

وبالرجوع إلى موسوعة إنكارتا 2004 نجد أن عدد المتكلمين بالعربية (أي في الدول العربية وغيرها) قد وصل إلى 422.039.637 شخصاً تقريبًا[2].

إن مواطن وجود اللغة العربية مصاحبة للإسلام والمسلمين في الدول الإسلامية غير العربية، يُضاف إلى حضور العربية لديها في مستويات أدناها أداء الشعائر بها وكونها لغة الثقافة الدينية أمران: الأول: كتابة لغات بعض هذه الدول بالحرف العربي، كما في الفارسية والأردية.

والأمر الثاني: أن دول غربي إفريقيا وشرقيها في هذا الإطار تمثل ركناً مهماً شديد الخصوصية لعدة أسباب، منها:

---

(1) – انظر : معجم بلدان العالم 217 .

(2) – انظر : http://ar.wikipedia.org/wiki .

أ – أن عدد المتكلمين باللغة العربية في إفريقيا لغة أولى أو لغة ثانية يمثلون ثلث سكان القارة، وأن عدد الذين يتكلمون بكبريات اللغات الإسلامية فيها يمثلون نصف سكانها.

ب – أن اللغة العربية كانت مرشحة بقوة (مع الهوسا والسواحلية) بعد الاستقلال عن الاستعمار لتكون اللغة المشتركة لدول هذه المنطقة، وذلك لرصيدها الديني والتاريخي والحضاري في القارة الذي كان وما زال. ولكن أتباع الاستعمار – كالحركة القاديانية التي تتحدث كذباً وزوراً باسم الإسلام – حاربوا العربية حرباً خبيثة، واستبدلوا بالدعوة إليها الدعوة إلى "الزنجية" لإقصاء العرب والإسلام واللغة العربية من الساحة[1].

ج – أن اتفاقاً قد وقّع في سنتي 1977 و 1980 م بالتعاون بين عدة جهات عربية وإسلامية لنشر الحرف العربي هناك وكتابة بعض اللغات به، بعد أن سبق لنحو ثلاثين لغة إفريقية أن كتبت بالحرف العربي وحاول الاستعمار جاهداً إقصاءه ، ولكن كثيراً من هذه اللغات ما يزال يكتب به في تعايش مع الحرف اللاتيني خاصة اللغات الكبرى المشتركة[2].

المبحث الثالث – الخصائص الدينية والثقافية والتاريخية للعربية (ارتباط العربية بالإسلام):

إن البحث عن هذه الخصائص للغة العربية يعني دراسة ارتباط اللغة العربية بالإسلام بشكل عام، وهذا معناه في رأينا النظر في مسائل محددة هي:

1 – العلاقة بين اللغة وكل من الدين والثقافة والقومية.

2– العربية والقرآن.

3– آراء بعض العلماء والباحثين في العلاقة بين العربية والإسلام.

4– خصائص اللغة العربية في الإسلام.

([1]) – انظر : من قضايا اللغة العربية المعاصرة (المنظمة العربية للتربية ...) مقال للدكتور يوسف الخليفة أبو بكر 236 – 239.

([2]) – انظر : السابق 244.

أولاً – العلاقة بين اللغة وكل من الدين والثقافة والقومية:

هذه المسألة نعتبرها مدخلاً عاماً لهذا الموضوع، وتفصيلها على النحو الآتي:

اللغة والدين:

1– تتفرع من وظيفة اللغة الكبرى (تحقيق الاتصال) وظيفة استعمالها في إقامة التواصل مع الخالق سبحانه وتعالى خلال الشعائر الدينية والعبادات والأوردة والأدعية والطقوس الخاصة بذلك [1]. ولذا اكتسبت اللغة صفة التقديس من هذه الناحية عند أصحاب كل دين سماوي واعتبروا لغتهم هي المثل اللغوي الأعلى والنموذج القديم الأصيل؛ فقد قدس اليهود العبرية وعدوها لغة آدم، وقدس النصارى السريانية، وبالغ اللغويون العرب القدماء في مكانتها وقدمها فجعلوها لغة آدم ولغة الجن ولغة الملائكة ولغة عالم الغيب [2]. ومجمل موقف الديانات السماوية من اختلاف اللغات – كما بين الدكتور إبراهيم أنيس– أنه مظهر من مظاهر ابتلاء الإنسان، صنعه بنفسه. وقد بنى رأيه هذا على أساس بحث هذا الموضوع في التوراة والقرآن الكريم.

فنصوص التوراة تجعل اختلاف اللغات بين البشر مظهراً من مظاهر ابتلاء الرب لعباده في الحياة الدنيا، حين بدا لحكمته أن توحدهم في لغة واحدة سيدفعهم إلى الطغيان والجبروت وتحدي ربوبيته. وقد أدى هذا إلى أن كان للناس لغات مختلفة برغم أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة. وتلك هي "لعنة بابل" التي يشار إليها كثيراً في كلام المفكرين من علماء أوروبا.

وأما القرآن الكريم فقد وردت الإشارة فيه إلى اختلاف اللغات مرة واحدة في آيات ست من سورة الروم، تحكي في إيجاز قصة البشرية منذ الخليقة إلى البعث، وذلك في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ .

---

(1) – انظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، للدكتور نايف خرما 211 .

(2) – انظر : اللغة العربية عبر القرون، للدكتور محمود فهمي حجازي 16 ، 17 .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ " [الروم:20–25]. و"من آياته" هنا معناها : من دلائل قدرته وربوبيته وحكمته. وكلمة "الآية" في القرآن المعنى الأصلي الأشهر لها هو "العلامة"، وقد يضاف إلى ذلك معنى "النفع"، كما في قوله تعالى: " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون" [يس: 33]، وقد توحي بمعنى "الضر" حين تكون الآية ابتلاءً واختباراً يظهر الإنسان من شره وطغيانه كما في قوله تعالى: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ" [الأعراف: 133]. وقد تساءل د. أنيس: هل كان اختلاف الألسنة والألوان من مظاهر نفع الإنسان فوق الأرض كما يفهم من كلام بعض المفسرين، وهو ابتلاء من الله لخلقه في الحياة الدنيا؟

وقد أجاب عن هذا بأنه كما كان اختلاف الألوان سبب نقمة وابتلاء لبني البشر وحروب وثورات وتفرقة عنصرية، فكذلك اختلاف اللغات: مصيبة ككل المصائب وبلية ككل البلايا التي يصنعها الإنسان بنفسه؛ ولهذا يترجح الرأي الذي ينادي به معظم اللغويين من أن اللغة اصطلاحية، أي أنها من صنع الإنسان، بدأها ونماها وطورها ثم أصبحت مصدر شر كبير، وبناءً على هذا تكون العالمية التي دعت إليها الديانات السماوية قد حال دون تحققها ما صنعه الإنسان بنفسه وما جلبه لها من تباين في اللغات فوق الأرض[1].

([1]) – انظر : اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس 242 – 244 .

وأياً كانت تفاصيل رأي الدكتور أنيس في هذه المسألة، فالذي يهمنا منه خلاصته التي تتمثل في أن صاحبه يفسر موقف الديانات السماوية بصفة عامة من اختلاف اللغات بأنه من مظاهر الابتلاء، وأنه من أسباب اختلاف البشر وتناحرهم وتفرقهم. وتعليقاً على هذا يجب أن نتذكر أن اختلاف اللغات والألوان والأجناس سنة من سنن الله في الكون وفي البشر، ودليل عظيم على كمال قدرته وتمام عظمته، وأن القرآن بين لنا أنه ما من نبي أرسل إلا بلسان قومه تيسيراً على الأنبياء والأقوام في الدعوة والفهم والأخذ والاتباع، قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" [إبراهيم: 4] وقال أيضاً عن القرآن– وإن كانت رسالته كافة للناس–: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" [يوسف: 2]، وقال كذلك: "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته " [فصلت: 44].

2 – وقد حاول شريف الشوباشي فصل العربية عن الإسلام، قائلاً إن ربط العربية بالدين أدى إلى مزاعم كثيرة منها:

- القول بقدسية اللغة وأنها أفضل اللغات وأن تعلمها من الدين وأن المتحدثين بها أفضل من غيرهم، وممن قال هذا الكلام الثعالبي في كتابه "فقه اللغة" وهذا نصه: "من أحب الله أحب رسوله المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب... وإن محمداً – صلى الله عليه وسلم – أفضل الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد".
- القول بأن العربية توقيفية لا اصطلاحية.
- أن القول بأن العربية لغة الإسلام مخالف للواقع الذي يقول إن أغلب مسلمي العالم اليوم ليسوا عرباً ، ومع ذلك لا يشكك أحد في إسلامهم وفي صحة إيمانهم ؛ فالإحصاءات تقول إن عدد المسلمين في العالم مليار وربع (1.25

مليار) ، وعدد العرب 240 مليوناً تعد العربية لغتهم الأم ، وبين هؤلاء عشرة ملايين من غير المسلمين ، أي أن نسبة المسلمين العرب تمثل 19.2 % من مجموع مسلمي العالم ، وبناءً على ذلك يكون 81 % من المسلمين لا يعرفون العربية ، وإذا وضعنا في الاعتبار أن نسبة الأمية في العالم العربي تصل إلى 50 % ؛ فهذا معناه أن 9.6 % فقط هم الذين يعرفون الفصحى وأن أكثر من 90 % من المسلمين يجهلون اللغة العربية ! بل إن هناك مفكرين إسلاميين ممن تعمقوا في الدين وهم لا يجيدون العربية إجادة تامة، مثل الخميني وأبي الأعلى المودودي، وكذلك يوجد كثيرون من حفظة القرآن من غير العرب ، وهم لا يعرفون العربية ويكتفون بفهم المعنى الإجمالي للآيات من خلال الترجمة إلى لغاتهم.

- أن المساس بالعربية من أجل التطوير ومواكبة العصر معناه المساس بالدين[1].

والاعتراض على هذه الأقوال بعضه صحيح ونوافق عليه، وبعضه نرفضه ولا نؤيده. فأما الاعتراض الصحيح، فعلى مثل قول الثعالبي – وربما يكون مدفوعاً بمناهضة الشعوبية وثقافة عصره – إن العرب هم خير الأمم، وإن العربية مفضلة على غيرها مطلقاً. وقد تكون هذه المبالغة في تفضيل اللغة العربية هو الذي أدى إلى فهم الشوباشي أن العلماء يعدون اللغة العربية لغة مقدسة؛ ولذلك تعجب الدكتور أحمد درويش من هذا وذكر أنه اعتراض في غير موضعه؛ لأنه لم يقل أحد أبداً من العقلاء قديماً أو حديثاً بأن اللغة العربية لغة مقدسة، بفهم أو تصور يترتب عليه أنها لا تقبل التطور، وأنها ترفض شعر الغزل بنوعيه مثلاً، لأن معيار القبول فيها ولدى أهلها هو معيار الأخلاق! فهذا غير صحيح[2].

---

(1) – انظر : لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه 83 – 107 .

(2) – انظر : إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، للدكتور أحمد درويش 58 ، وانظر أيضاً ص 65. ومعنى ما سبق أن اعتبار اللغة العربية لغة معظّمة، مقبول بل هو واجب في رأينا، مادام بالفهم العام الذي لا يتنافى مع الإقرار بقبول التطور والإقرار بأن الدين بمعزل عن الشعر، كما قال القاضي الجرجاني. ومن هذا المنطلق يصح قول الدكتور عبد السلام المسدّي: " فللعربية عند أهلها وزن مخزون

وأما الذي نرفضه صراحة من تخليط الشوباشي ولا نراه صحيحاً، فهو كثير ونخص بالكر منه القول بأن العربية ما دامت ليست لغة الدين وحده، فإنها ليست مرتبطة بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، فهذا كلام غير صحيح لأن القرآن والإسلام هما اللذان حفظا العربية، وكون النصارى لهم جهود في خدمة العربية غير كافٍ وحده للفصل بين العربية والإسلام، ويكفي أن نقول إن الأمة الإسلامية مر عليها زمن فرضت فيه اللغة التركية لغة رسمية في كثير من المجالات، ولولا بقاء العربية مرتبطة بالدين لضاعت ومُحيت. وأما القول بأن نُطوّر اللغة العربية حتى تواكب العصر ولا تعوق عن التقدم، فهذا شيء لا ينكره صحيح الفكر وراجح العقل ولا علاقة له بالمساس بالدين، لكن أن يُفتح مجال هذا التطوير على مصراعيه ويفسح فيه المجال لطغيان العاميات وزعزعة أصول اللغة وثوابتها ويقال هذا لا علاقة له بالقرآن والدين ، فهذا هو المرفوض؛ لأنه من المعلوم أن الهجوم الموجه على العربية من أهم مداخل الهجوم على الإسلام.

3- ثمة علاقة بين إصلاح اللغة، وإصلاح الدين وإصلاح المجتمعات. والمثال على ذلك من المسيحية أنه بعد غزو النورمنديين لإنجلترا سنة 1066 م ورحيلهم وتأثيرهم على الحياة البريطانية بلغتها وجوانبها الاجتماعية المختلفة – قام صراع قوي استمر زهاء قرنين بين لغة الإنجليز السكسون واللغة الفرنسية (لغة النورمنديين)، ولم يكد يبدأ عام 1362 م حتى كانت اللغة الإنجليزية قد خرجت من هذه المحنة، وأصبح لها كيان مستقل برغم تأثرها بالفرنسية، وتلك اللغة هي التي كتب بها الشاعر الإنجليزي "تشوسر" آثاره، وهي التي كتب بها أيضاً بعد قليل "وكليف" آثاره الدينية الروحية التي مهدت للنهضة الدينية في عهد الإصلاح بإنجلترا في أواخر القرن السادس عشر. وحركة الإصلاح هذه التي مهد لها "وكليف" لم تكن في حقيقة أمرها إلا حركة لغوية نتج عنها كتابة النسخة المحققة

ليس كمثله وزن عند الأمم الأخرى، فيها بُعد روحاني، ومعها إرث إعجازي، وعليها هالة من القداسة واكبتُها فاصطبغت بها عند أهلها، وسلّم بأمر قداستها عند أهلها مَن لم يكونوا من أهلها ... ". العربية والإعراب، للدكتور عبد السلام المسدي: 91.

المعتمدة لديهم من الكتاب المقدس "الإنجيل" سنة 1611 م، وشيوع الوعي اللغوي العظيم لدى الإنجليز باللغة الإنجليزية، ونتج عنها كذلك تأليف شكسبير آثاره الخالدة بها[1].

وفي تاريخ الإسلام والعربية – وهذا هو محور كلامنا هنا – من المعلوم الذي لا يحتاج إلى تفصيل أن الإسلام بكتابه الخالد هو الذي أمد العربية بالحياة هذه القرون الطويلة الممتدة وجعلها لغة فريدة في هذا الباب، ولكن بحسبنا في هذا الموضع أن نشير إلى أن الإصلاح الشامل الذي دعا إليه الإمام محمد عبده كان يقوم على ثلاثة أسس يتآزر بعضها مع بعض هي: الإصلاح الديني، والإصلاح اللغوي، والإصلاح السياسي، ومعنى هذا أن الدين واللغة مثلا اثنين من هذه الأسس التي لا يغني أحدها عن الآخرين ، وقد قصد بالإصلاح الديني تحرير العقل من قيد التقليد، وبالإصلاح اللغوي النهضة الأدبية واللغوية، بجعل حياة العرب الأدبية الحديثة امتداداً متطوراً لأكثر الصفحات إشراقاً في تاريخهم الأدبي العظيم[2].

اللغة والثقافة:

سنعرض هنا لثلاثة تحليلات للعلاقة بين اللغة والثقافة: للأستاذ محمود شاكر، ولمالك بن نبي، وللدكتور محمد الأوراغي:

1– للأستاذ محمود شاكر تحليل مهم في هذا الشأن ورد في كتابه المشهور "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" كان القصد الأساسي منه نقد عمل المستشرقين في اللغة العربية وثقافتها وبيان خطر ذلك، وهو لم يقتصر في هذا الشأن على الربط بين اللغة والثقافة، بل جمع بينهما وبين الدين؛ لأنه هو رأس كل ثقافة. ونحن نجد ذلك في: حديثه عمّا أسماه "قبل المنهج"، وحديثه عن أركان الثقافة، وتعريفه للثقافة.

([1]) – انظر : اللغة بين القومية والعالمية 293 – 295 .

([2]) – انظر : الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده 197/1.

فأما "ما قبل المنهج" فهو في رأيه أصل أصيل في كل أمة وفي كل لغة وثقافة، وهو مطلوب في "العلوم البحتة"، كما أنه مطلوب وأصيل في آداب اللسان وعلومه كالأدب والتاريخ وعلوم الدين والفلسفة. وفي آداب اللسان يجب أن يراعي "ما قبل المنهج" ثلاثة أشياء:

الأول: اللغة التي هي وعاء المعارف جميعاً؛ لأن بين تمام الإحاطة بها وقصور هذه الإحاطة مزالق تزل عليها الأقدام، والثاني: الثقافة، والثالث: الأهواء[1].

والأصل الأخلاقي لكل ذلك والعاصم من الزلل فيه هو "الثقافة" التي تذوب في بنيان " الإنسان وتجري منه مجرى الدم لا يكاد يُحَس به، لا من حيث هي معارف متنوعة تُدرك بالعقل وحسب، بل من حيث هي معارف يؤمن بصحتها من طريق العقل والقلب، ومن حيث هي معارف مطلوبة للعمل بها، والالتزام بما يوجبه ذلك "الإيمان"، ثم من حيث هي بعد ذلك انتماء إلى هذه الثقافة انتماء ينبغي أن يُدرَك معه تمام الإدراك أنه لو فرط فيه لأداه تفريطه إلى الضياع والهلاك، ضياعه هو، وضياع ما ينتمي إليه ... ورأس كل "ثقافة" هو "الدين" بمعناه العام، والذي هو فطرة الإنسان، أيَّ دين كان، أو ما كان في معنى "الدين"، وبقدر شمول هذا "الدين" لجميع ما يكبح جموح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السوية العادلة، وبقدر تغلغله إلى أغوار النفس تغلغلاً يجعل صاحبها قادراً على ضبط الأهواء الجائرة، ومريداً لهذا الضبط = بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل في بنيان الإنسان، تكون قوة العواصم التي تعصم صاحبها من كل عيب قادح في مسيرة "ما قبل المنهج" ثم في مسيرة "المنهج"[2].

وبناءً على هذا يكون للثقافة ثلاثة أركان هي: الإيمان والعمل والانتماء، ولا يكون لها وجود محقق ظاهر إلا بها، وإلا تهدم بنيان هذه الثقافة وصارت

---

(1) – انظر : المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لأبي فهر محمود شاكر 26 – 29 .

(2) – السابق : 30، 31 .

مجرد أقوال ومعلومات ومعارف ملقاة في الطريق، متفككة لا يجمع بينها صلة، ولا يقوم لها تماسك ولا ترابط، وبديهي أن شرط الثقافة بقيوده الثلاثة ممتنع كل الامتناع على المستشرق[1].

وأما تعريف "الثقافة" فقد قال فيه الأستاذ شاكر:

((الثقافة" في جوهرها لفظ جامع يقصد به الدلالة على شيئين أحدهما مبني على الآخر، أي هما طوران متكاملان:

الطور الأول: أصول ثابتة مكتسبة تنغرس في نفس الإنسان عند مولده ونشأته الأولى حتى يشارف حد الإدراك البين، جماعها كل ما يتلقاه عن أبويه وأهله وعشيرته ومؤدبيه حتى يصبح قادراً على أن يستقل بنفسه وعقله... لكي تكون له "لغة" يبين بها عن نفسه، و"معرفة" تتيح له قسطاً من التفكير... ولأن الإنسان منذ مولده قد استودع فطرة باطنة بعيدة الغور في أعماقه، تُوزعه (أي تلهمه وتحركه) أن يتوجه إلى عبادة رب يدرك إدراكاً مبهماً أنه خالقه وحافظه ومعينه، فهو لذلك سريع الاستجابة لكل ما يلبي حاجة هذه الفطرة الخفية الكامنة في أغواره. وكل ما يلبي هذه الحاجة هو الذي هدى الله عباده أن يسموه "الدين"، ولا سبيل البتة إلى أن يكون شيء من ذلك واضحاً في عقل الإنسان إلا عن طريق "اللغة". فالدين واللغة، منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلاً غير قابل للفصل... ولذلك فكل ما يتلقاه الوليد الناشئ في مجتمع ما، من طريق أبويه وأهله وعشيرته ومؤدبيه، من لغة ومعرفة، يمتزج امتزاجاً واحداً في إناء واحد، ركيزته أو نواته وخميرته دين أبويه ولغتهما، وأبلغهما أثراً هو "الدين"))[2]. وقد بين الأستاذ أنه تروج في حياتنا الأدبية الفاسدة دعوة خبيثة جاهلة لفصل "اللغة" عن "الدين"، وهذا شيء لا يتحقق إلا بمفارقة دين، والدخول في دين آخر يصنعه أصحاب هذه

---

(1) – انظر : السابق 68 ، 69.

(2) – السابق : 72 ، 73.

الدعوة لأنفسهم؛ لأن الصحيح أن الدين يشتمل على الدلالة على الأصول الصحيحة المحكمة التي ترشد العقل في التفكير والنظر والاستدلال [1].

والطور الثاني للثقافة هو الفروع المنبثقة عن الأصول المكتسبة بالنشأة الأولى حين يخرج الناشئ من قيد التسخير إلى طلاقة التفكير، معتمداً على اللغة والمعارف الأول التي كانت في الطور الأول مصبوغة – لا محالة – بصبغة الدين، وثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة أبنائها المثقفين بقدر مشترك من الأصول والفروع، كلها مغموس في "الدين" المتلقّى عند النشأة. فهو صاحب السلطان المطلق الخفي على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعاً[2].

وينبني على ذلك أن من الباطل أن توجد "ثقافة عالمية" يشترك فيها البشر جميعاً على اختلاف لغاتهم ومللهم ونحلهم وأجناسهم وأوطانهم؛ لأن هذا تدليس يراد به هدف آخر يتعلق بفرض سيطرة أمة غالبة على أمم مغلوبة، لتبقى تبعاً لها، فالثقافات متعددة بتعدد الملل.

وهنا ينبغي أن نميز بين "الثقافة" و"العلم" أي "العلوم البحتة" لأن لهذه طبيعة مغايرة؛ فالثقافة مقصورة على أمة واحدة تدين بدين واحد، والعلم مشاع بين خلق الله جميعاً، يشتركون فيه اشتراكاً واحداً مهما اختلفت العقائد والملل[3].

2 – نجد وجهاً آخر من العلاقة بين اللغة والثقافة في الازدواجية اللغوية التي نتجت بتأثير الاستعمار؛ لأنه غرس فيما غرس من الظواهر في البلاد المستعمرة، هذه الظاهرة التي تتعلق بالبنى الثقافية والعقلية والفكرية. ولم تكن النتائج المترتبة على هذه الازدواجية واحدة في كل الأماكن وكل الحالات، بل كانت متفاوتة. وثمة مثالان ذكرهما مالك بن نبي لذلك هما: مصر والجزائر. ففي مصر حيث اللغة الأجنبية المنافسة هي الإنجليزية، تؤثر هذه اللغة على زاوية

---

(1) – انظر: السابق 73.

(2) – انظر : السابق 74.

(3) – انظر : السابق 74 ، 75 .

معينة من العمل الفكري، يمكن أن تجعلها نموذجاً لبلد لديه مشكلة ازدواج لغوي جامعي كان من أكبر آثارها تخلص "الأزهري القديم" علي عبد الرازق الذي أصبح تلميذ أكسفورد – من أصل المنهج الإسلامي؛ وذلك حين جعل موضع التساؤل قيمه وأفكاره الأساسية ممثلة في فكرة "الخلافة". وهكذا يكون الانشقاق الذي أحدثته الازدواجية اللغوية في ثقافة البلد الإسلامي ليس فقط ذا طابع جمالي، بل هو ذو طابع أخلاقي وفلسفي. ومع ذلك، يمكن لهذا الانشقاق "أن يتعمق أكثر من ذلك في بلاد إسلامية أخرى؛ حيث ازدواج اللغة لا يستعمل لمجرد تفجير يطلق حركة العالم الثقافي... ففي الجزائر – مثلاً –وحتى الجزائر المستقلة فازدواجية اللغة (أي العربية مع الفرنسية) ليست مجرد مفجِّر، بل هي أكثر من ذلك ديناميت قذف في العالم الثقافي، وإذا كان لم ينسف كل شيء فإن انفجاره أحدث أغرب الانشقاقات"[1].

3 – دراسة اللغة غالباً ما تتم في البحث اللغوي الصرف الذي يرفض اتخاذها ذريعة لمعرفة واقعة خارجها ويركز على دراستها في نفسها. وفي غير هذا التوجه لا يتأخر النظّار على اختلاف تخصصاتهم عن "إقامة علاقة بين اللغة والعقل آلة الفكر، أو بينها وبين الواقع مصدر المعرفة، أو بينها وبين الثقافة أساس التنمية في المجتمعات البشرية" [2]. وتكوين الإنسان ثقافياً لا يحصل مستقلاً عن تمام اللغة، بل لا بد من تعاون نظامين أحدهما ثقافي اجتماعي والآخر رمزي لغوي، وإذا كان الانتظام لا ينشأ أصلاً بعناصر غير متجانسة، فإن بناء مجتمع منسجم لا يمكن أن يتم بخليط من الثقافات المتباينة الأصول ولا بمزيج من اللغات المتعددة الأنماط[3].

---

(1) – مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن نبي : 139 ، وانظر 137 ، 138 . ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن ما ذكره مالك بن نبي عن "الجزائر" قد تغير كثيراً مع الصحوة الثقافية واليقظة الفكرية الجزائرية التي تقوم على صنع التوازن بين الثقافتين العربية والفرنسية.

(2) – التعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، للدكتور محمد الأوراغي : 45 .

(3) – انظر : السابق 27 .

وتعريف كلمة "الثقافة" ليس من اليسير من الناحية المعجمية الاصطلاحية لتداولها بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرهم، والبديل الأفضل لذلك تصور "الثقافة" من خلال المجالات التي تدخل في إطارها. وهي مجالات أربعة على النحو الآتي:

أ – مجال الصنائع: وهو يشمل الموضوعات التي صنعها الإنسان، ويمكن سردها في قوائم موسعة لمختلف الأشياء المصنوعة في شتى مناحي الحياة (كالمأكل والملبس والمشرب والمسكن) داخل مجتمع محدد، والأصل الجامع لذلك هو كل ما يدخل في إطار تحويل المعرفة النظرية والأفكار المجردة إلى بضاعة لها وجه نفعي وقيمة تجارية. وثمة ملحوظة مهمة هنا هي: أن رقي مجتمع ما في مجال الصنائع هذا لا يعني بالضرورة رقيه في السلم الثقافي بشكل عام؛ لأن هذا الرقي العام لا يحتسب إلا بمجمل الرقي في المجالات كلها.

ب – مجال السلوك: وكل سلوك لا يخرج عن أن يكون واقعاً بين طرفي نقيض؛ إذ لا يخرج عن أن يكون من الخلال الحميدة الموافقة لفطرة العقل في الإنسان، أو من الخلال الذميمة التي تناسب طبيعة النفس الحيوانية.

ج – مجال العقائد: وهو يضم مجموعة من الأنساق العقدية التي يحكمها مبدأ "الاقتناع". وهي ضربان:

الأول : أديان سماوية (اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام).

والثاني: شرائع إنسانية وضعية، وهي كثيرة العدد يمكن أن تجمع في ثلاثة أقسام كبرى: أساطير دينية، ونظم مذهبية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة، وقوانين حُكْمِيَّة. فالأساطير الدينية لها عند أصحابها قوة الدين في المجتمعات الكتابية، ومن أمثلتها الهندوسية في شبه القارة الهندية، والبوذية في مناطق أخرى من آسيا. والنظم المذهبية تشمل الديمقراطيات الرأسمالية والاقتصاديات الاشتراكية وأشباههما. والقوانين الحُكْمِيَّة هي مجموعة من القواعد الإلزامية التي تسنها سلطة

تشريعية في جهاز الدولة، وتكره أفراد المجتمع على الخضوع لها بوساطة سلطة تنفيذية.

ويتضح من ذلك أن قيم مجال العقائد هذا شديدة التباين وأنها تشكل أسس انفصال الثقافات، وأن بناء ثقافة متميزة لا يتأتى دون انسجام قيم المجالات (أو الوسائط) الثقافية المختلفة فيما بينها، والتئامها جميعاً مع مجال العقائد التي تعد قاعدة هذا البناء. وبفضل مبدأ الانسجام يجري التثاقف الرزين الذي يعصم من السقوط في اللَّقَط الثقافي[1].

د – مجال الفكر: وهو يشمل تأملات الإنسان في الطبيعة والكون وتدبره نفسَه وبني جنسه وما جاءه من خالقه، وقد نتج عن ذلك كله عدد كبير من العلوم أيسر سبيل لتصنيفها أن تقسم إلى ثلاث مجموعات: الأولى : علوم طبيعية، تتميز بتناولها لموضوعات غير متعلقة بمشيئة الإنسان وإرادته، كعلم الفلك والكيمياء والفيزياء والطب والأحياء والأرض، والثانية: علوم بحتة، تقوم على النظر في طرق حصول المعرفة وكيفية التأمل السليم، ومثالها الرياضيات والمنطق وعلم المناهج، والثالثة: علوم وضعية يجمعها التعلق بمشيئة واضعها، ومن أمثلتها العلوم الشرعية وعلم الاقتصاد وعلم اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا البشرية.

ويعد "الفكر" أكبر مجال للتبادل الثقافي بين المجتمعات البشرية، وهو أيضاً أوضح المجالات لتقييم ثقافات الأمم[2].

ونستنتج من المقارنة بين قيم المجالات (أو الوسائط) الثقافية الأربعة أن قيم العقائد الدينية (كاعتناق الإسلام دون غيره) من الثوابت الثقافية التي تتميز بها ثقافة أو أمة عن غيرها، وهذا يكون له امتداد من عدة جهات "إذ تعتبر تلك القيمةُ الأساسَ والقاعدة لبناء مجتمع ثقافي متميز، وهي أيضاً الأصل والمرجع لانتقاء

---

(1) – انظر : السابق 36 .

(2) – انظر :السابق 29 – 37 .

الوارد من قيم سائر الوسائط الثقافية غير المشتركة. ومن التئام مجموع هذه القيم ينشأ "نسق ثقافي نووي" يختص بالامتياز عن سواه دفعاً لاختلاط الأغيار، وبالامتناع عن التقارض حرصاً على الانسجام، وبالاستقرار السرمدي حفظاً للهوية. والنواة الثقافية المختصة بما ذُكر لا تقبل الجبّ أو النسخ والتجاوز. فكما لا تستبدل الأنساق العقدية، لا يُعوَّض أيضاً أصل من أصولها أو شيء من مستلزماته بما يوجد في سائر الأغيار"[1]. وبناءً على هذا لا يُتوقَّع لتيار الحداثيين التقليديين داخل المجتمع المؤسس ثقافياً على نسق عقدي نواته الإسلام – كبير الأثر الذي كان للمجددين في الثقافة الأوروبية الحديثة؛ لعدة أسباب منها اكتفاؤهم بالنقل واستيراد الأفكار الدخيلة والاستعانة بالنماذج الجاهزة المقترضة، وعدم الوعي بالحفظ الأزلي لأصول النسق العقدي الإسلامي، هذا إلى جانب "إغفال الحداثي التقليدي لخاصية امتناع التقارض التي يتميز بها كل نسق ثقافي قاعدته إحدى قيم وسيط العقائد... إذ لا تقارض بين الأنساق النمطية سواءٌ أكانت ثقافية أم لغوية دون تعارض يفضي إلى تغليب الأجنبي وإهمال مقابله المحلي.

والتقارض المفضي إلى التعاوض لا يخرج عن أحد الاحتمالين: إما أن يكون جزئياً... يولّد لَقَطاً في المستوى الثقافي ولَغَطاً في المستوى اللغوي، وإما أن يكون كلياً ينتج عنه "انسلاخ ثقافي" عن طريق التجرد من الإرث التاريخي والاندماج في مجتمع ثقافي جديد"[2].

يمكننا أن نلخص ما ورد في العرض السابق لما اخترناه من أهم الآراء التي تناولت العلاقة بين اللغة والثقافة فيما يأتي:

خلاصة رأي الأستاذ شاكر:

– اللغة وعاء المعارف جميعاً، وأركان الثقافة ثلاثة: الإيمان والعمل والانتماء.

---

(1) – السابق: 39، 40 .

(2) – السابق : 41 .

– اللغة والدين من أهم أسس الثقافة، وأبلغهما أثراً هو الدين؛ لأنه رأس كل ثقافة، ولأنه صاحب السلطان المطلق على اللغة والنفس والعقل جميعاً.

– القول بوجود ثقافة عالمية (في غير العلوم البحتة والعلوم الطبيعية) يشترك فيها البشر كلهم على اختلاف مللهم وأجناسهم أوطانهم، قول باطل وتدليس يراد بهما فرض هيمنة أمة غالبة على أمم مغلوبة.

– الدعوة إلى فصل اللغة عن الدين دعوة خبيثة؛ لأنها تؤدي إلى مفارقة دين والدخول في دين آخر.

خلاصة رأي مالك بن نبي:

– الازدواجية اللغوية من غرس الاستعمار له أثر سيئ على الثقافة لأنه يؤدي إلى إحداث الانشقاق والتصدع في بنائها.

خلاصة رأي د. محمد الأوراغي:

– بناء مجتمع منسجم لا يمكن أن يتم بخليط من الثقافات ولا مزيج من اللغات؛ لأن الانتظام في تكوين الإنسان لا يمكن أن ينشأ من عناصر غير متجانسة، من النظامين الرمزي اللغوي والثقافي الاجتماعي.

– الثقافة تتكون من أربع مجالات هي: الصنائع والسلوك والعقائد والفكر، وهو مشتمل على العلوم.

– أهم ما يميز ثقافة عن أخرى مجال العقيدة؛ لأنها من الثوابت التي تعد قاعدة البناء الثقافي.

– الاقتراض الذي تقوم به ثقافة قاعدتها الأساسية العقيدة إما أن يفضي إلى اللقط الثقافي واللغط اللغوي، وإما أن يفضي إلى الانسلاخ بالكلية.

ولعلنا من كل ما سبق نلحظ الاتفاق الواضح في الربط بين اللغة والثقافة، بل بينهما وبين الدين واعتبار الدين هو أصل الثقافة وعمادها، وأنه هو الذي يفصل ويميز بين ثقافة وأخرى.

اللغة والقومية :

1- التفسير الصحيح للقومية أنها (الواقع التاريخي واللغوي والثقافي والجغرافي العام لقوم من الأقوام). فالعالم معمور بأقوام من هنا وأقوام من هناك، أي قوميات متعددة؛ مصداقاً لقوله تعالى: " ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم " [الروم: 22]، وقوله أيضاً: " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" [الحجرات:13]. ومن نواميس الطبيعة البديهية أن شبه الشيء منجذب إليه وأن الجنس يألفه الجنس، ومن هنا تنشأ القوميات.

ويتضح من هذا أن الدعائم العامة للقومية ولتكوين شتى المجتمعات كما تتبعها الباحثون هي: اللغة والجنس والبيئة الجغرافية والتاريخ المشترك والدين والمصالح والآمال المشتركة. ولا يكفي عنصر واحد من هذه العاصر لإقامة مجتمع له كيانه وخواصه، بل لا بد من توفرها كلها أو توفر أغلبها[1].

إذن "اللغة" دعامة وعنصر مهم من أهم عناصر القوميات، لا يجادل في ذلك ولا ينكره إلا من يخلط بين مفهوم "الدولة" ومفهوم "الأمة" مستشهداً بمثل بلجيكا التي توجد فيها لغتان وسويسرا التي توجد فيها ثلاث لغات، غافلاً عن أن كلاً من هاتين دولة لا أمة، وأنهما يمثلان كيانات خاصة ومناطق لغوية مختلفة لها اعتبارات تناسبها[2].

2- يعد ساطع الحصري أبرز الذين كتبوا في "القومية العربية" ونظّروا لها؛ لذا لا بد من الإشارة إلى رأيه الخاص في هذه المسألة وبيان الحكم عليه. إنه يرى أن بناء الأمة والقومية إنما يقوم في المقام الأول على ركنين اثنين: وحدة اللغة، ووحدة التاريخ، وفي هذا الشأن يقول: " إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ. لأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة... وبكل

---

(1) – انظر : حقيقة القومية العربية أو أسطورة البعث العربي، للشيخ محمد الغزالي 29 ، 117 .

(2) – انظر : أبحاث مختارة في القومية العربية، ساطع الحصري، 24/2، 25 ، والتعدد اللغوي لمحمد الأوراغي 49 .

ذلك (نجعل) الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى. ولكن لا وحدة الدين، ولا وحدة الدولة، ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية. كما أن الاشتراك في الرقعة الجغرافية أيضاً لا يمكن أن يعتبر من مقومات الأمة الأساسية. وإذا أردنا أن نعيّن عمل كل من اللغة والتاريخ في تكوين الأمة، قلنا: اللغة تكوّن روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكوّن ذاكرة الأمة وشعورها"[1]. وفي موضع آخر حاول ساطع الحصري أن ينفي عن نفسه كونه من القوميين اللادينيين، ويعلي من شأن عنصر "اللغة" فقال: " إني أعتقد أن اللغة من أهم عناصر الثقافة فهي أعمق جذوراً من جميع العناصر الأخرى... (وأرى) من واجبي أن أقول، بعد أن نفيت عن القوميين تهمة اللادينية، إنهم يقولون بوجوب الاستمساك بالأصول التاريخية للثقافة، ولكنهم يعتقدون بأن أهم وأعمق الأصول التاريخية للثقافة هي اللغة"[2].

إذن – في وجهة النظر هذه – اللغة والتاريخ هما أهم روابط القومية وأركانها ، وأهم هذين الاثنين هو اللغة. ومعنى ذلك أن "اللغة" هنا تُفْصَل عن "الدين"؛ فهو في هذا الرأي غير معتبر.

إن ساطع الحصري في هذا لا يختلف كثيراً عن طه حسين الذي قال: "من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية، ولا قواماً لتكوين الدول" "فقد تخففت أوروبا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية، لا على الوحدة المسيحية، ولا على تقارب اللغات والأجناس" [3]. إن كل ما يعترض عليه الأستاذ ساطع في كلام الدكتور طه حسين أنه كيف يسوغ له – كما قال بالنص "أن "يحشر اللغة مع الدين" في كلامه هذا؟ فهو يوافقه على كل ما قال بما فيه

---

(1) – أبحاث مختارة في القومية العربية : 21/2 .

(2) – العروبة أولاً ، لساطع الحصري : 130 .

(3) – مستقبل الثقافة في مصر ، لطه حسين : 16 ، 18 ، نقلاً عن أبحاث مختارة في القومية العربية 2/ 82 .

من أن الدين لا يصلح رابطاً بين الدول والأمم وأن السياسة شيء والدين شيء آخر! لكنه لا يوافقه على القول بأن "السياسة شيء واللغة شيء آخر" [1]. وفحوى هذا أن الرجلين يتفقان في طرح وحدة الدين من القومية وبناء الأمة وعدم اعتبارها، غير أن أحدهما – وهو طه حسين – يدعو إلى فصل وحدة اللغة أيضاً ونزعها من القومية، والآخر– وهو ساطع الحصري – يُبقي على وحدة اللغة عنصراً من أهم عناصر القومية، لكنها هنا مفصولة عن الدين ومقطوعة الصلة به.

ولقد تكفل بالرد على هذا الشيخ محمد الغزالي في قوله: "ما ذا يريد الأستاذ ساطع؟ لقد كتب كلاماً عليلاً تحت عنوان العروبة أولاً!! يزعم فيه أن العلم انتصر على الدين ثم انفصل عنه، وبالتالي يطلب إبعاد الدين، أو تأخير مرتبته لتكون العروبة أولاً. والصراع بين العلم والدين شيء حدث في أوروبا، حدث بين كهان الكنائس والأديرة وبين طلائع البحث والمعرفة. فما الذي نقل هذه الحكاية إلى بلادنا ورمى بها تاريخنا؟ وكيف طوعت للأستاذ الحصري نفسه، فقاس تاريخاً على تاريخ وديناً على دين؟ ثم ما معنى أن تكون العروبة أولاً؟ هل يطلب من المسلم أن يطوي شريعته فلا يَذكر منها (قانوناً) ليكون عربياً. أو يدع عقيدته في مهب الرياح، وبين يدي سلطات ملحدة أو متجددة ليكون عربياً؟ وما الدين الذي يبقى بعد ذلك في عالم مشحون بالتعصب حتى للوثنية؟ الحق أن كلمة العروبة أولاً، لا معنى لها إلا الجاهلية أولاً، وأن قومية تؤخر تعاليم الإسلام، وتقدم عليها أي شيء آخر هي جاهلية حديثة، وأن العروبة الصحيحة براء من هذا الكلام"[2].

3– نخلص من النقطة السابقة إلى أن هناك اتجاهاً يرى أن الدين هو الأساس الذي صنع القومية العربية؛ ولذا يجعله في المقدمة. وبناء على هذا يقول أصحاب هذا الاتجاه: إن القومية العربية هبة الإسلام وصنعته؛ فهو مقدم عليها

---

(1) – انظر : أبحاث مختارة في القومية العربية 82/2 ، 83 .

(2) – حقيقة القومية العربية، للشيخ محمد الغزالي : 165 .

وما العرب وتاريخهم ولغتهم وحضارتهم بشيء يذكر لولا الإسلام، وإن "في العالم الآن عشرات القوميات، وهذه القوميات لا تعدو أن تكون أغصاناً في شجرة الإنسانية الباسقة، يغذوها جذر واحد وتنتشر فيها حياة مشتركة، وما يمتاز غصن على آخر إلا بما يحمله من ورق وثمر أو ما يقدمه من ظل وجنى. والعرب إذا نسبوا إلى قوميتهم لا يزيدون ولا ينقصون عن سواهم من الأمم، ولكن الميزة التي ترفع قدرهم هي ما انفردوا بتقديمه للحياة والأحياء من الإسلام وخيراته"[1]. ومع أن هذا الرأي يجعل الدين أساس القومية، فهو لا يغض من قيمة اللغة – وهذا أصلاً غير ممكن – ولا يهون من شأنها وشأن العرب، بل يحفظ للعربية وللعرب مكانتهما ويجعل لها ولهم الريادة والقيادة.

وقد رد في كتاب "حقيقة القومية العربية" للشيخ محمد الغزالي القول بأن القومية في الإسلام مقياسها أنها تقوم على دعامتين: الأولى أنها ليست انعزالية لأنها تتبنى مبدأ " لتعارفوا" الذي تشير إليه الآية الثالثة عشرة في سورة الحجرات ، والثانية أنها ليست تعصباً وأنانية لأن " أكرمكم عند الله أتقاكم" كما تشير بقية الآية. والإخوة الإسلامية التي تجمع بين مختلف الأجناس الداخلة في الإسلام لا تخدش مثل هذه المبادئ، وهي في الوقت نفسه تحفظ للعرب مكانتهم وتجعل لهم قيادة قوميتهم وأصل توجيه أمة الإسلام؛ لأن لهذه القيادة خصائص تتمثل في عروبة الشعور والتفكير والآراء واللغة[2].

والقول بهذه الخصائص وبتميز القومية العربية الإسلامية بمعرفة اللغة العربية وبكونها يجب أن يكون لها القيادة والتوجيه – وسنعود لتفصيل مسألة القيادة هذه فيما بعد – ليس معناه أن يستعرب الخلق جميعاً وتذوب الأجناس كلها فهذا ضد الفطرة، وبقاء الأجناس واللغات مختلفةً آية كونية حسمها القرآن الكريم، والذين يكلفون الإسلام بهذا يطلبون المستحيل. إن الإسلام جاء إثباتاً للفطرة لا

---

(1) – السابق : 63 ، وانظر : عن العروبة والإسلام للدكتور عصمت سيف الدولة 52، 53 .

(2) – انظر : حقيقة القومية العربية 30 ، 31 .

تغييراً لها "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" [الروم:30]، "ويستطيع الإنجليزي والروسي والصيني أن يكونوا مسلمين وهم على ألسنتهم وألوانهم؛ فإن معرفة الإله الواحد، والاتجاه إليه، والإعداد للقائه، معانٍ في الأفئدة والألباب ميسورة للناس أجمعين. وشرح الإسلام ووصاياه لأهل الأرض بكل لغة، فريضة علينا نحن العرب الذين اصطفانا القدر لتلقي الوحي، ولَفْت العالمين إلى رب العالمين. وكون اللغة العربية لغة الإسلام، لا يعني أكثر من فرضها لغة عالمية للتفاهم الإنساني كله، وليس معناه محو اللغات الأخرى، وفتح باب الاستعراب للأجناس كلها لا يعني أكثر من تجديد الأمة العربية على مر الزمان، وليس معناه إزالة الأجناس الأخرى. بيد أن هناك حقيقة لا بد من شرحها وتجليتها. إن هذا الاختلاف الجنسي يعلو عليه الإسلام بوحدة المشاعر والسلوك التي يفرضها على أتباعه، وإخوة الإيمان التي ترجح أي آصرة أخرى، وبالولاء لله ورسوله الذي يسبق كل ولاء. وفي الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[1].

إذن "القومية" بهذا المفهوم عربية أساسها الدين: هي عربية لأن أصحابها هم العرب وهم الذين يتكلمون العربية أياً كان جنسهم؛ فمن المعلوم أن من تكلم العربية فهو عربي، وهي إسلامية الأساس؛ لأن الإسلام هو الذي يهيمن عليها ولأنها تستمد وجودها وأصولها ومبادئها منه وقوة لغتها منه. والعربي المسيحي تشمله هذه القومية مادام مستقيماً مع طبيعته وغير كاره لجنسه[2].

4- إذن نحن في إطار علاقة اللغة بالقومية لدينا وجهتا نظر مهمتان : واحدة تجعل اللغة هي الأساس وفي المقدمة وتفصل القومية عن الدين، وأخرى تجعل الدين هو الأساس الذي صنع القومية العربية وتعطي للغة العربية – في الوقت نفسه – حقها وأهميتها وتحفظ للعرب مكانتهم وتجعل لهم الريادة والقيادة.

---

(1) – السابق : 108 ، 109 .

(2) – انظر : السابق 167 .

وإذا كان لا بد من اختيار أحد الرأيين، فإن ما أراه – ولا أظن أن مسلماً صحيح العقيدة والفطرة والنظر لا يرتضيه – هو الرأي الذي يجعل الدين هو الأساس في القومية العربية. على أن للمسألة – في رأيي – وجهاً يمكن أن يخرجنا من هذه المتاهة، وهو أن ندع مثل هذه الكلمات ذات الظلال الملبسة أو الموجَّهة سياسياً وثقافياً وإعلامياً، سواءٌ أكانت معاصرة أم غير معاصرة. وأظن أن كلمة "القومية" قد انطفأ بريقها وخفت ضجيجها منذ سنوات طويلة. وما علينا في مثل هذه الحالات إلا أن نحذر من هذه "الكلمات" ونضعها في إطارها الصحيح، وأن نحاول أن نأتي عوضها بالبديل المناسب. وليكن من ذلك في حالة "القومية العربية" أن نستبدل بها : "الوحدة العربية".

ويكفي دليلاً على الإشكال والجدل اللذين أثارتهما كلمة "القومية" في إطار علاقتها باللغة والدين، أن نلفت الأنظار إلى تحليل الدكتور عصمت سيف الدولة والدكتور محمد عيد لهذه المسألة، وكلاهما كان معنياً بالتعليق على مجمل النظرتين السابقتين.

فالدكتور عصمت سيف الدولة قال: إن في الوطن العربي طائفتين اختلفتا فاتفقتا: طائفة تناهض العروبة بالإسلام وطائفة تناهض الإسلام بالعروبة، وهذا هو وجه الاختلاف. وتجهل كلتاهما – هكذا يقول معمماً – العروبة والإسلام، وهذا هو وجه الاتفاق، وإنهما لتثيران عاصفة من الجدل تكاد تضل الشعب العربي المسلم عن سبيله القويم. وهو يرد على ذلك بأنه لا تناقض بين "الأمّة" بالمفهوم القومي و"الأمة" بالمفهوم الديني، وبناءً على ذلك توجد لدينا أمتان : أمة عربية، وأمة إسلامية. وتتبع معنى كلمة "أمة" في القرآن الكريم يؤيد ذلك؛ لأنها تدل بصفة عامة على مفهوم الجماعة المتميزة بأي شيء كالنوع أو الجنس أو الموقف أو الزمان أو المكان وغير ذلك. وبهذه الدلالة " كانت الأغلبية الساحقة من الشعب العربي وما يزالون وسيبقون، جزءًا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها كل المسلمين في الأرض بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم

وأممهم ودولهم وأوطانهم، لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى" [1]. وبهذه الدلالة أيضاً ودلالة كلمة "الأمّة" في القرآن، يكون كل العرب منتمين إلى أمة عربية واحدة، حيث يكون مميزهم عن شعوب وأمم أخرى ما يميز سائر الأمم عن الشعوب والقبائل من وحدة اللغة أو التاريخ أو المكان وغير هذا. وخلاصة كل ذلك أن "الأمة" كما تتميز بوحدة العلاقة "القومية"، لا تتشابه بوحدة العلاقة "الدينية"؛ ولذا لا تتشابه ولا تتعارض ولا تتناقض "الأمة العربية" مع "الأمة الإسلامية"، كما لا تتشابه ولا تتعارض ولا تتناقض الأمة الإنجليزية والأمة الإيطالية والأمة الألمانية مع كون كل هذه الأمم وغيرها تنتمي عقيدةً إلى الأمة المسيحية. كل من الانتماءين قائم، ولكنّ كلاً منهما ذو مضمون مختلف. يقول الدكتور عصمت سيف الدولة: مرتان في التاريخ الذي نعرفه قيل غير ما نقول، أي قيل إن للانتماء الديني والانتماء القومي مضموناً واحداً، وإنّ لكل دين أرضاً ولكل أرض ديناً، وكان العرب هم الضحايا في المرتين: المرة الأولى في الحروب الصليبية التي استمرت قرابة قرن (من 1096 م إلى 1192م) عندما حرّض البابا أربان الثاني ملوك أوروبا وأمراء الإقطاع على غزو الشرق، للاستفادة من خيراته باسم الدين وباسم تحرير مهد المسيحية من المسلمين، والمرة الثانية عندما حصل اليهود من الإنجليز على وعد بلفور الذي أدى إلى نشأة الدولة اليهودية في فلسطين[2].

وأما الدكتور محمد عيد فيقول إن كلا الاتجاهين في القومية (اتجاه اعتبار الدين هو الأساس واتجاه اعتبار اللغة هي الأساس) قد تطرف في وجهة نظره، وقد حاول التوفيق بين الاتجاهين بمحاولة طرح الانحياز المطلق لأحدهما بالقول بأنه توجد مسالك أربعة أخرى متداخلة مع الدين وغيره هي التي تصوغ القومية، وهذه المسالك هي: التجربة القومية الشعورية الناتجة عن ظهور الإسلام،

---

(1) – عن العروبة والإسلام، للدكتور عصمت سيف الدولة : 34 ، 35 .

(2) – انظر : السابق 35 ، 36 .

والحضارة الإسلامية، واللغة العربية التي صبغها الإسلام بقسط كبير من القداسة والتوقير والإجلال، ووجود جانبين في شخصية النبي– صلى الله عليه وسلم –: عموم رسالته، واعتزازه بعروبته وقومه[1]. والذي أراه أن الدكتور محمد عيد حاول أن يصول ويجول، وانتهى به المطاف إلى رد فكرة القومية إلى الدين الإسلامي من حيث أراد أن يدفع ذلك.

إن "القومية" – خاصة في ضوء علاقتها بالإسلام واللغة العربية – كلمة ملبسة ومثيرة للشكوك، وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس إنها سلاح ذو حدين، ومن صفاته النبيلة أنه يعلّم أصحابه الإيثار والشجاعة والتضحية في سبيل المجتمع وأمنه ورخائه وأنه يجمعهم على شعور واحد، ومن صفاته القبيحة أن "القومية" تهتم بمبدأ الحرية على حساب الأصوات التي قد تنادي بفكرة إصلاحية لمصلح أو فيلسوف أو واعظ، كما أن من أسوأ ما فيها أنها عملية تفتيت وتشتيت للبشرية. وقد كانت بديلة أو رديفة لبعض الدعوات المتجهة إلى العالمية في العصر الحديث، والدعوة إلى هذه العالمية (أي العولمة بالمفهوم الأحدث) دعوة مادية واقعية، وليست روحية كالدعوة العالمية التي دعت إليها الديانات[2].

لقد تحدثنا فيما سبق عن العلاقة بين اللغة وكل من الدين والثقافة، فكان للدين أثر واضح في علاقة اللغة بالثقافة مثلما يكون من أثر بيّن في علاقة اللغة بالدين، من حيث إصلاح أحد العنصرين بالآخر. وها نحن هنا في حديثنا عن علاقة اللغة بالقومية، نجد ذكر "الدين" يأتي مرة أخرى، ويكون هو الطاقة المحركة والأساس المتين في هذه العلاقة، كل ذلك يؤكد لنا أن اللغة تتداخل مع الدين وتلتحم به، من أي وجه من الوجوه نظرنا وأيّ طريق سلكنا: من وجه "الدين" الصرف، ووجه "الثقافة"، وأخيراً وجه "القومية". وإذا كان هذا التلازم يصدق في

---

(1) – انظر : قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية 89 – 98 .

(2) – انظر : اللغة بين القومية والعالمية 244 – 250 .

أكثر من موضع على العلاقة بين أية لغة وأي دين – كما بينا – فهو أعظم صدقاً على العلاقة بين العربية والإسلام.

ثانياً– العربية والقرآن:

1 – القانون العام في علاقة اللغة العربية بالإسلام أنها لغة القرآن. وقد نزل القرآن بها؛ لأنها كانت لغة النبي صلى الله عليه وسلم ولغة قومه، ولأن الأصل في ذلك إرسال الرسل بلغات أقوامهم: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" [إبراهيم:4]، "فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدًّا" [مريم:97]،" فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون"[الدخان: 58]. ولما كان الإسلام آخر الأديان ومحمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم الأنبياء، اكتسبت اللغة العربية صفة البقاء والخلود. وقد ورد وصف القرآن بأنه عربي وجاء الحديث عن عروبته باللفظ الصريح لذلك في إحدى عشرة مرة، كقوله تعالى: " الر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون " [يوسف: 1،2]، وقوله: "نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" [الشعراء:193–195][1].

2 – والإشارة إلى عروبة القرآن، كما تتأتى من وصفه بأنه عربي وأنه نزل بلسان النبي صلوات الله وسلامه عليه، تتأتى كذلك من اطراد استعمال الحروف المقطعة في أوائل السور المبدوءة بها، متبوعةً بالإشارة إلى القرآن والحديث عنه، وذلك كما في مثال سورة يوسف السابق، وكما في قوله تعالى في أول سورة البقرة: "الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين" [البقرة:1،2].

والدليل على استفادة الإشارة إلى عروبة القرآن من اطراد استعمال الحروف المقطعة مقرونة بذكر القرآن، أن مجمل ما ذهب إليه جمهور العلماء في تفسير

([1]) – جاءت مادة (عرب) في القرآن في ثلاثة موضوعات: في وصف القرآن بأنه عربي، والحديث عن عروبة القرآن، وفي الحديث عن "الأعراب" وهم سكان البادية من العرب، (وذلك في عشر مرات، مثل قوله تعالى: " سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا" [الفتح: 11])، وفي الحديث عن نساء الجنة (وذلك مرة واحدة في سورة الواقعة في قوله تعالى :"فجعلناهنّ أبكاراً .عرباً أتراباً" [الواقعة:36 ، 37]) . انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

هذه الحروف – وهم الذين قالوا إن هذه الحروف تقبل التفسير والتأويل وليست من المتشابه كما رأى غيرهم – وجهان: أحدهما أنها إشارة إلى حروف المعجم وأن القرآن تحدى العرب بنظم من هذه الحروف التي عرفوها (وهذا القول منسوب لقطرب وغيره)، والثاني أنها ليست إشارة إلى حروف المعجم، وإنما هي غير ذلك: إما أنها أسماء لله أقسم بها، وإما أنها أسماء للسور، وإما أنها أسماء للقرآن كالفرقان والذكر، وأما أنها للتنبيه وغير ذلك [1]. وعلى القول بأنها إشارة إلى حروف المعجم، جاء إعرابها وإعراب ما بعدها دالاً على هذا الارتباط؛ إذ كان من أوجه إعرابها أن أعربت مبتدأ وعُدّ ما بعدها خبراً. ومثال ذلك إعراب هذه الآيات:

– قوله تعالى: " الم . اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ " [آل عمران:1–3] . فقد ذهب فيه الجرجاني إلى أن "الم" مبتدأ يشير إلى حروف المعجم، كأنه قيل : هذه الحروف كتابك، ويكون قوله " الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب " دليلاً على الخبر المحذوف، على حد قوله : " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " [الزمر: 22] . وذهب ابن عطية إلى أن هذا محتمل، غير أن الأبرع في نظم الآية أن يكون قوله " الله لا إله إلا هو ..." كلاماً مبتدأ جزماً راداً على وفد نصارى نجران الذين حاجوا النبي– صلى الله عليه وسلم – في عيسى عليه السلام وقالوا إنه الله[2].

– قوله تعالى: " المص. كتابٌ أُنزلَ إليك فلا يكنْ في صدرك حرجٌ منه لتنذرَ به وذكرى للمؤمنين " [الأعراف: 1،2]. "قال الفراء وغيره: "كتاب" رفع على الخبر للحروف، كأنه قال: هذه الحروف كتاب أنزل إليك، ورد الزّجّاج على هذا

---

(1) – انظر : تفسير ابن عطية "المحرر الوجيز 100/1.

(2) – انظر : السابق 147/2 ، 148.

القول بما لا طائل فيه. وقال غيره "كتاب" رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: هذا كتاب، و"أنزل إليك" في موضع الصفة لـ"كتاب""[1].

– قوله تعالى: " الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" [إبراهيم: 1]. قيل فيه أيضاً مثل ما سبق: "كتاب" مرفوع على أنه خبر المبتدأ "الر"، (على قول من قال إن هذه الحروف إشارة إلى المعجم)أي هذه الحروف كتاب أنزلناه إليك، أو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ مضمر، والتقدير: هذا كتاب أنزلناه إليك، على أكثر الأقوال في توجيه الحروف المقطعة[2].

3 – ومن الآيات التي لها دلالة خاصة في مجال تأكيد العلاقة بين العربية والعرب والقرآن قوله تعالى: " وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ. وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ " [الرعد: 36، 37]. معنى "وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً" هنا مرتبط بمعنى "والذين آتيناهم الكتاب". والمشهور في بيان المقصود بـ"الذين أوتوا الكتاب" قولان أقواهما أنهم هم مؤمنو أهل الكتابين التوراة والإنجيل، والثاني أنهم هم أهل القرآن والإسلام.

قال الرازي: "اعلم أن في المراد بالكتاب قولين: الأول: أنه القرآن والمراد أن أهل القرآن يفرحون بما أنزل على محمد من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والقصص، ومن الأحزاب، الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة ... والقول الثاني: أن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل"[3].

---

(1) – السابق : 509/3.

(2) – انظر : السابق 218/5.

(3) – التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي 60/10 .

ثم بيّن الرازي فيما بعد أن في قوله تعالى: "وكذلك أنزلناه حكماً عربياً" عدة مسائل منها:

"المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى شبه إنزاله حكماً عربياً بما أنزل إلى ما تقدم من الأنبياء ، أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم، كذلك أنزلنا عليك القرآن. والكناية في قوله : {أنزلناه} تعود إلى «ما» في قوله :{يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني القرآن.

(و) المسألة الثانية : قوله: {أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيّا} فيه وجوه: الأول: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب. الثاني: القرآن مشتمل على جميع أقسام التكاليف، فالحكم لا يمكن إلا بالقرآن، فلما كان القرآن سبباً للحكم جُعَل نفس الحكم على سبيل المبالغة. الثالث: أنه تعالى حَكَم على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به فلما حكم على الخلق بوجوب قبوله جعله حكماً.

واعلم أن قوله: {حُكْمًا عَرَبِيّا} نصب على الحال، والمعنى: أنزلناه حال كونه حكماً عربياً"[1].

وقال ابن عطية: ((اختلف المتأوّلون فيمن عُنيَ بهذه الآية، فقال ابن زيد: عنى به من آمن من أهل الكتاب... وقوله [وكذلك] المعنى: كما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء لإنكار البعض، كذلك "أنزلناه حكماً عربياً"، ويحتمل المعنى: والمؤمنون الذين آتيناهم الكتاب يفرحون به لفهمهم له وسرعة تلقيهم، ثم عدد النعمة بقوله: وكذلك جعلناه، أي: سهلناه عليهم في ذلك وتفضلنا. والحُكْم: ما تضمنه القرآن من المعاني، وجعله عربياً لما كانت العبارة عنه بالعربية))[2].

ومن أهم ما نخرج به من هذه النصوص:

أ – أن وجه الشبه في " كذلك "– بناءً على القولين في تفسير "الكتاب" – هو أن القرآن أنزل بلسان النبي صلوات الله وسلامه عليه، كما أن الكتب أنزلت

---

(1) – السابق 61/10 .

(2) – تفسير ابن عطية "المحرر الوجيز : 210/5 ، 211 ، وانظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان 386/5، 387.

على الأنبياء من قبل بألسنتهم، أو أن يكون هذا من باب تعديد النعمة؛ فكما أن المؤمنين يفرحون بالقرآن لسرعة تلقيهم وفهمهم له، سهّلناه عليهم وتفضلنا عليهم بجعله عربياً.

ب – "الحُكم" معناه عند الرازي: الحكمة، أو أقسام تكاليف القرآن، وقد وصفت بأنها عربية على سبيل المبالغة لأن سببها هو القرآن، أو أنه وجوب قبول القرآن والعمل بما فيه. والمعنى الذي ذكره ابن عطية للحُكم هو: معاني القرآن. وهذا معنى شامل جامع لكنه غير واضح وغير مفصل.

ج – يتفق الرازي وابن عطية ومن لفّ لفهما على أن "حكماً" حال و"عربياً" صفة، غير أن صاحب "التحرير والتنوير" يرى أن "حكماً عربياً" حالان، لا حال واحدة وصفة؛ لأن "الحُكم" هنا بمعنى الحكمة، وهي لا توصف بالنسبة إلى الأمم، وإنما المعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية التي هي أفصح اللغات، وفي هذا امتنان على العرب المخاطبين به ابتداءً لأنه بلغتهم وفيه حسن سمعتهم، وفيه تعريض في الوقت نفسه بأفن رأي الكافرين منهم؛ إذ لم يشكروا هذه النعمة، على حد قوله تعالى: "لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون" [الأنبياء:10][1].

4 – من القضايا المهمة المتعلقة بالعلاقة بين القرآن واللغة العربية قضية ترجمة القرآن، ومن الآراء المهمة في ذلك رأي الأستاذ محمود شاكر وخلاصته أن الإعجاز الحقيقي للقرآن هو الإعجاز اللغوي البياني، والعرب هم أقدر الناس على الكشف عن الوجه الصحيح لهذا الإعجاز [2]، ودراسة إعجاز القرآن حق دراسته وكما ينبغي، من آثارها أنها ستكون فتحاً في تاريخ بلاغة الجنس البشري كله، وتيسير الدعوة إلى كتاب الله، وإبطال "فتنة الترجمة" – كما يقول – لأنها لا يمكن أن تكون بديلاً عن القرآن بنصه ونظمه الذي هو أساس الإعجاز[3].

---

(1) – انظر : التحرير والتنوير 160/13.

(2) – انظر : مقدمة الأستاذ شاكر لكتاب "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي، 31، 36 .

(3) – انظر : السابق 48.

ثالثاً– آراء بعض العلماء والباحثين في العلاقة بين العربية والإسلام:

تقدم ذكر بعض آراء اللغويين والعلماء فيما سبق عن العلاقة بين اللغة العربية والدين والقرآن وغيرهما بشكل عام، ومن أهم هذه الآراء رأي الدكتور إبراهيم أنيس، كما لمّحنا أيضاً – فيما نقلناه في موضعين – إلى رأي الدكتور عبد السلام المسدّي. وسنضيف هنا إلى ما تقدم تفصيل بعض الآراء الأخرى المهمة عن العلاقة بين اللغة العربية والإسلام، وهي آراء الرافعي والشيخ محمد الغزالي ورأي الدكتور نهاد الموسى، ونحن بهذا نعتمد على مبدأ الانتقاء والتمثيل لا الحصر والاستيعاب لكل آراء القدماء والمحدثين الذين تحدثوا في هذه القضية.

رأي الرافعي:

يرى الرافعي أن أثر القرآن في الجنسية العربية يعد معجزة لغوية سياسية كبرى؛ لأنه دخل إليهم من باب ملكتهم اللغوية التي كانت مجمع فطرتهم، ولم تكن اللغة هي المقصودة، وإنما كان المقصود تكوين وحدة سياسية تكون قلب العالم، قال في فصل بعنوان (الجنسية العربية في القرآن): "ونحن فقد نعلم أن هذه المعجزة ليست إلى اللغة في مردها من الفائدة، فإنما هي ترمي إلى وحدة سياسية تكون كالنبض لقلب هذا العالم، كما سيأتيك، بيد أن سبيل ذلك من اللغة" [(1)]. إذن ليس الشأن في تأثير القرآن في جنس العرب من طريق اللغة بألفاظها ومعانيها، وإنما الشأن في الفهم والتأثير، وبتباين الأفهام يتفاوت التأثير، وهذا التأثير وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن، فهو قد سفه أحلامهم واشتد عليهم وقرع أنوفهم، ثم لم يمنعهم كل ذلك من أن ينقادوا ثم ينقادوا[(2)].

وطريقة صياغة الجنسية العربية بالقرآن وتأثيرها في الأمم الأخرى تحققت بأنه جمع العرب على صفة من الجنسية لا عصبية فيها إلا عصبية الروح، فألف بين مذاهب الفطرة اللغوية، ثم ألف القلوب، ولما فرغ من أمر العرب جعلهم سبيلاً

---

(1) – تاريخ آداب العرب : 82/2، 83.

(2) – انظر : السابق 2/ 84 – 85.

إلى التأليف بين ألسنة الأمم الأخرى ومذاهب قلوبها. وجَمْع الأمة على لسان واحد من أرقى معاني السياسة "فإن الأمم إن لم تكن لها جامعة لسانية، لا يجمعها الدين ولا غير الدين إلا جمع تفريق، وجمع التفريق هذا هو الذي يشبه الاجتماع في الأسواق على البياعات وعروض التجارة ونحوها"[1].

وفي رأي الرافعي أن حفظ القرآن للعربية معناه الحفظ بالعقل والشعور النفسي، وإذا ذهب عقل أصحابها بقي الشعور النفسي: "فالعربية قد وصلها القرآن بالعقل والشعور النفسي، حتى صارت جنسية، فلو جُنّ كل أهلها وسخَوْا بعقولهم على ما زينت لهم أنفسهم من الإلحاد والسياسة كجنون بعض فتياننا ... لحفظها الشعور النفسي وحده، وهو مادة العقل بل مادة الحياة؛ وقد يكون العقل في يد صاحبه يضن به ويسخو، ولكن ذلك النوع من الشعور في يد الله، وهذا من تأويل قوله سبحانه: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[2].

وقراءة القرآن بتدبر وتذوق لحروفه وكلماته وجمله استدراج للنبوة بين جنبي الإنسان، وهذا تفسير ما ورد في الأثر مِن أن: "من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه" [3]. وبناء على هذا كان وجه إعجاز القرآن في تأسيس أخلاقه وفضائله وآدابه مبنياً على فهم لغته وكلماته ومعانيه وتأملها، ومتصلاً بها أوثق اتصال، وما فرط المسلمون في أخلاق القرآن وآدابه إلا منذ فرطوا في لغته وأصبحوا لا يفهمون كلمه ولا يدركون أسراره، وصاروا إلى عربية العجمة أفضل منها.

والفكرة المهمة التي يجليها الرافعي هنا هي أن غربة الدين تتبع غربة اللغة، وأن من الثابت أن من لم يحكم فهم القرآن فهماً صحيحاً، لا تتم له فضائل هذا الدين، سواء أكان هذا بين العرب أم غيرهم من الشعوب، حيث يكون الإسلام

---

(1) – السابق: 2/ 87.

(2) – السابق: 91/2.

(3) – انظر : السابق 2/ 99.

تهذيباً للأديان والعادات القديمة، وتتحول قراءة القرآن إلى ضرب من العبادة اللفظية ليس فيها ذوق ولا بصر، ولا يعود له من الأثر في أنفس أهله ما كان له من قبل، ويصدق عليهم قوله تعالى:" بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون"[1]. ومما قاله الرافعي في ذلك: " ومن يقرأ صدر التاريخ في الإسلام ويعتبر حوادثه ويتدبر آثار القرآن في قبائل العرب، ير أن شدة الإيمان كانت عند شدة الفصاحة، وأن خلوص الضمائر كان يتبع خلوص اللغة، وأن القائمين بهذا الدين والذين أفاضوه وصرفوا إليه جمهور العرب وقاتلوهم عليه وجمعوا ألفتهم وقوّموا أودهم، إنما كانوا أهل الفصاحة الخالصة من قريش إلى سرة البادية، وأن الفتن إنما استطارت في الجزيرة استطارة الحريق فيمن وراء هؤلاء إلى أطراف اليمن، فكانوا قوماً مدخولين منقوصين، وما كان ضعف اعتقادهم إلا في وزن الضعف من لغتهم. وقد أسلفنا في غير هذا الموضع أن غربة الدين ما تزال تتبع غربة العربية"[2].

رأي الشيخ الغزالي:

سبق ذكر رأي الشيخ الغزالي في العلاقة بين القومية واللغة العربية، ومما رآه في قضية علاقة اللغة العربية بالإسلام بشكل عام، أن العروبة وعاء الإسلام، والعربية لغة القرآن، وأن القرآن المترجم إلى لسان آخر إنما هو قرآن على المجاز، وتفسير أجنبي للوحي العربي ولما تيسر من معاني القرآن نفسه إلى اللغات الأخرى، " ومقتضى هذا أن العرب أدنى الناس إلى فقه الرسالة وإدراك مراميها، ولعل ذلك معنى الآية: "وكذلك أنزلناه حكماً عربياً"، سواء كان الحكم بمعنى الحكمة أو بمعنى السلطة" [3]. وقد استشهد الشيخ بكلام للأستاذ أحمد حسن الزيات بين فيه أن ثقافة الإسلام قامت على ركنين أساسيين: الدين بعلومه

([1]) – سورة المؤمنون:63، وانظر : تاريخ آداب العرب 2/ 104 – 106.

([2]) – انظر : السابق 2/ 165.

([3]) – حقيقة القومية العربية: 20، 21 .

المختلفة، واللغة بفنونها المعروفة "وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه. فالإسلام بغير العربية يستعجم ويضمحل، والعربية من غير الإسلام تتكمش وتزول. ولا أعني بالعرب دماً مخصوصاً، بل أعني كل متحدث بالعربية منتسب لأمتها، معتنق لرسالتها أو مسالم لهذه الرسالة، غير مشاق لأهلها، ولا متولٍّ لأعدائها. فمن أعوزته هذه المواهب، ولو ولد في بطحاء مكة، فليس بأهل للعروبة. ومن استجمعها من الزنوج فهو عربي أصيل لا يعيبه لون ولا يؤخره جنس"[1]. ومن آراء الشيخ المهمة أيضاً رأيه في أن قيادة المسلمين لا يصلح لها إلا العرب، وسنفصل هذه المسألة الشديدة الأهمية في موطن الحديث عن خصائص اللغة العربية من هذه الزاوية.

رأي الدكتور نهاد الموسى:

يرى الدكتور نهاد أن أصل موقف الإسلام من العربية تجسده سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ كان يراوح بين السعة والتشدد، فحين يكون الأمر متعلقاً بالدعوة والرغبة في تأليف القلوب ، يتوسع ويخاطب الوفود والقبائل المختلفة بلغاتهم ولهجاتهم وأوضاعهم الخاصة، وقد أثر عنه هذا، بل أثر عنه استعمال بعض المعرّب توسعاً وظرفاً كما في قوله لأصحابه: قوموا فقد صنع جابر سوراً (أي: طعاماً، وهي فارسية)، أما حين يتعلق الأمر باللحن ويراه نذيراً خطيراً يدل على تحول الألسنة، فإنه يعده ضلالاً ويدعو المسلمين إلى تداركه ، كما في قوله – وقد لحن رجل بحضرته –: "أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل". ثم صار هذا هو الأصل في موقف الإسلام من اللغة العربية والتنوع اللغوي بصفة عامة: يسوغ التنوع والاختلاف ما دام فيهما تيسير على الناس ولا يضر تلقيهم للدعوة، أما إذا اشتد الخروج والانحراف عن العربية وأدى ذلك إلى التدابر والفتنة، أو تعلق الأمر بضرورة أداء البلاغ القرآني بنصه العربي، فإن التشبث بموقف لغوي حازم جامع هو الواجب، وقد كان هذا هو الشأن في التوسعة بقراءة القرآن على سبعة أحرف،

([1]) – السابق: 21، 22.

لكن لما استفحل الخلاف في قراءته، رُدّ الناس إلى المصحف الأمام، وبناءً على هذا، كان ((اقتران الإسلام بالعربية يحمل في ذاته دليلاً على علاقة طليقة؛ إذ كانت العربية هي أيضاً لسان الجاهلية. وكأنه يرى اللغة في جانبها المطلق، ظاهرة محايدة. أما حين تحمل (بلاغاً) معيناً ببلاغة متميزة فإنها تقترن اقتراناً خاصاً وتكتسي قيمة خصوصية من تلك الجهة. ولعل التجربة الإسلامية قديماً أن تكون موازية لتجارب عقائد مغايرة أخرى في الأزمنة الحديثة. وهو توافق يؤيد الطبيعة النهائية المجردة في علاقة اللغة بالعقائد الكلية. ففي الفترة الأولى من عهد الماركسية في روسيا وسّعت على اللغات القومية تعليمها وأباحت ذلك، شأن التوسعة على الناس في القراءة بلهجاتهم، في الإسلام في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم). ثم مالت إلى التضييق والمركزية واتجهت إلى تأسيس الرابطة اللغوية الجامعة بالسعي لنشر اللغة الروسية وتحديد مجالات اللغة القومية، شأن العودة بالناس إلى المصحف الإمام وجعْلِ لغة قريش فيه فيصلاً عند الاختلاف، عهدَ عثمان))[1].

ويختم الدكتور نهاد رأيه بأن هذا المسلك الجامع بين التشدد والمرونة، يبدو أنه هو الذي تبنته دعوة الإخوان المسلين في العصر الحديث ؛ فالوصية الثالثة من وصايا حسن البنا العشر هي "اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعائر الإسلام"، وقد جعلت الدعوة من شروط العضو الكامل الالتزام بالتحدث بها، إذا كان قادراً على ذلك. وقد ظل أمر التحدث بالعربية الفصحى وفقاً لهذا الشرط مفتوحاً يجري على الإسماح والمياسرة ووقائع الدعوة وتطبيقاتها تشهدان بهذا ؛ فقد أخذ حسن البنا نفسه في هذا الوجه مأخذاً مرناً واسعاً، فكان يمزج في خطبه وأحاديثه بين الفصحى والعامية مراعاة لحال المستمعين وجذباً لهم[2].

---

(1) – قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، للدكتور نهاد الموسى: 158.

(2) – انظر: السابق 156 .

رابعاً– خصائص اللغة العربية في الإسلام (الخصائص الإسلامية للغة العربية):

اللغة العربية عندما ارتبطت بالإسلام ثم انتشرت بالفتوح الإسلامية صارت لغة عالمية، وأصبحت لها مجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها، فهي تتسم بما يأتي:

1– أنها من شعائر الإسلام التي يجب الحفاظ عليها، وهذا مبني على كونها لغة القرآن، ولغة السنة، ولغة العبادة . فهذا هو الأساس والخصيصة التي هي أم الخصائص كلها، وما سواها يتفرع منها، إذ ترتب على ذلك أمور كثيرة أهمها أنها صارت اللغة الأصلية لهذا الدين ولغة علومه وصارت لغة معظّمة. وكل ذلك أدى إلى جعلها من شعائر الدين الإسلامي التي يجب الحفاظ عليها. ودليل ذلك من الناحية الدينية ما ذكره ابن تيمية من أن تعليم العربية وتعلمها فرض على الكفاية، وأننا مأمورون أمر إيجاب أو استحباب بحفظ القانون العربي في استعمال الكلام لحفظ طريقة فهم الكتاب والسنة [1]، قال: ((وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات، وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك: من تكلم في مسجدنا بغير العربية أُخرِجَ منه، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام؛ فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي وبعث به نبيه العربي، وجعل الأمة العربية خير الأمم، فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام... والذين يبدلون اللسان العربي ويفسدونه لهم من هذا الذم والعقاب بقدر ما يفتحونه؛ فإن صلاح العقل واللسان

([1]) – انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (كتاب النكاح – باب العِشرة): 252/32 .

مما يؤمر به الإنسان، ويعين ذلك على تمام الإيمان، وضد ذلك يوجب الشقاق والضلال والخسران))[1].

ويرى الشيخ الغزالي أن الغض من قيمة العربية والتهاون فيها معصية لله وإيهان لعرى الإسلام وغش للأمة[2].

2 – أنها من أعرق اللغات الحية الباقية، فعمرها يزيد عن ألف وخمسمائة عام، وستبقى وتظل.

3– أنها لغة قيادة:

يرى الشيخ الغزالي أن قيادة المسلمين لا يصلح لها إلا العرب؛ لأن فقه الوحي والسنة والأمانة على الدعوة لا يتمان إلا بالعربية، يقول الشيخ: " وقيادة المسلمين لا يصلح لها إلا العرب وما ينبغي أن ينازعهم عليها أحد. فإن الإسلام يقوم على دعامتين جليلتين؛ هما الكتاب والسنة المطهرة. والكتاب الكريم – كما رأينا – نزل بلغة العرب، والرسول عربي الحياة والتراث. وما يفقه حقيقة الوحي ومنهج الرسالة إلا خبير بأدب العروبة راسخ في بيانها، ذواقة لطبيعة البلاغة العربية، بصير بدلالات الكلام القريبة والبعيدة، وبمعانيه الأصلية والثانوية. يستطيع كل امرئ أن يكون مسلماً عادياً، ولكن لا يستطيع أن يكون فقيهاً في الإسلام أو أميناً على دعوته أو موجهاً لسياسته إلا امرؤ عربي".

والعروبة هنا ليس المقصود بها الجنس، بل يقصد بها عروبة اللسان كما تؤكد الأحاديث النبوية "لا نعني النسب القريب أو البعيد ولا الدم النقي أو المختلط؛ بل نعني العرب جميعاً سواء فيهم الصريح الأصل أو المستعرب الذي كان ينتمي إلى أي جنس آخر في أي قارة من قارات الدنيا. فما دام قد انسلخ من

([1]) – السابق: 255/32 . من اللافت للانتباه هنا أن نشير إلى أن ابن تيمية ذكر هذا في سياق الحديث عن حكم المقامرة والرهان باللسان في كتابة الزجل للتغزل بالمردان، فكانت الفتوى عامة، بأن إفساد اللغة – بأي صورة – إفساد للعقل والدين!

([2]) – انظر: حقيقة القومية العربية: 128 .

جلدته الأولى، ودخل في هذه الأمة الجديدة مذيباً نفسه في كيانها، مندمجاً بأفكاره ومشاعره فيها، فقد أصبح منها دون نكير"[1].

وعروبة اللغة من أسباب المطالبة بهذه القيادة: "إن مطالبتنا بحق العروبة في قيادة العالم الإسلامي كله، وبحقها في إرشاد الجنس البشري أجمع يعود إلى تلك المواريث المقدسة التي آلت إلينا، فخلدْنا بها، وسمت بسموها مكانتنا. والإخوة الإسلامية التي تجمع بين مختلف الأجناس الداخلة في الإسلام لا تخدش هذا المبدأ؛ فإن للقيادة في أي ميدان خواص لا بد أن تتوفر لذويها. وقيادة المسلمين من خواصها الأولى، عروبة الشعور والتفكير واللغة والآراء"[2].

والشواهد تؤكد فشل قيادة غير العرب للإسلام والمسلمين، ومنها حكم الأتراك الذين كانت قيادتهم – مع الأسف كما يقول الشيخ – وبالاً على الإسلام والمسلمين، وسبب بلبلة علمية وسياسية لا تزال الأمة تتعثر إلى اليوم في عقابيلها، هذا مع أن للترك مواقف أحسنوا بها إلى أنفسهم ودينهم، ولا يرجع عجز هؤلاء الأعاجم عن القيادة الصحيحة إلى دَخَل في إيمانهم وحبهم للإسلام، فإن ولاءهم له مكين وظاهر، وإنما يرجع إلى افتقاد الفهم الحصيف والبصر النفاذ اللذين لا تغني عنهما العاطفة الحارة[3].

وليس معنى الدعوة إلى نشر الإسلام واللغة العربية قديماً وحديثاً أن يستعرب الخلق جميعاً وتذوب الأجناس كلها، فهذا ضد الفطرة، وضد بقاء اختلاف الأجناس واللغات آية كونية كما بين القرآن – وكما نقلنا عن الشيخ من قبل عند الحديث عن "القومية" – وإنما معنى هذا فقط فرض اللغة العربية لغة عالمية للتفاهم الإنساني بشكل عام، ويستطيع كل واحد بعد هذا في أي مكان أن يتكلم بلغته[4].

([1]) – السابق: 25، 26 .

([2]) – السابق: 27 .

([3]) – انظر: السابق 31، 32 .

([4]) – انظر: السابق 108، 109 .

4 – لغة تواصل وانتشار وحضارة وتراث:

التوزيع الجغرافي للغة العربية والحرف العربي في لغات البلاد الإسلامية التي تكتب به، يثبت قوة انتشار اللغة العربية وحضورها في أقطار شاسعة عربية وإسلامية في ماضي الأمة الإسلامية العربية وحاضرها، وإن لم يبق الحال على ما كان عليه. وقد كان التحدث بغير العربية في العصر الأموي سمة انتماء إلى الطبقات الدنيا والوسطى التي كانت ما تزال ترتبط إن قليلاً أو كثيراً باللغات الأصلية التي سادت في الأقاليم قبل الفتح [1]. وحين انتشرت اللغة العربية إبّان الفتح الإسلامي، أصبحت خلال قرنين من الزمان لغة عالمية، تنتظم جهات من بلاد فارس والعراق، ومعظم آسيا الصغرى، كما تشمل مصر وشمال أفريقيا، وسادت في بلاد الأندلس عدة قرون. وقد اصطدمت بعد الفتح باللغات التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة، ونتج عن ذلك أن قضت عليها؛ فقد قضت بعد صراع طويل على الإغريقية العالمية في كل بلاد الشام والعراق، كما قضت على لغة عالمية أخرى كانت سائدة على ألسن الناس في العراق والشام أيضاً، وفي جهات من مصر، وهي اللغة الآرامية. وكذلك تقهقرت اللغة الرومانية أو اللاتينية التي لم يكن لها قدم ثابتة في الشام ومصر، وقضت العربية أيضاً على القبطية في مصر، والبربرية في شمال أفريقيا وجعلتها منعزلة في بعض مناطق الصحراء، أما الفارسية فقد بقيت ولم تقض العربية عليها، وإن كانت (أي العربية) أثرت فيها كثيراً[2]. وبناءً على ذلك وجدنا أعلاماً في الأدب واللغة وفروع العلوم المختلفة كان كثير منهم من المستعربين، أمثال: سيبويه والزنجاني والشيرازي والزمخشري والبخاري والأفغاني، والأذربيجاني والفيروزآبادي والبغدادي والصفدي والقلقشندي

---

(1) – انظر: اللغة العربية عبر القرون، للدكتور محمود فهمي حجازي 48 .

(2) – انظر: اللغة بين القومية والعالمية 276 – 278. وقد كان أبناء اللغات الإيرانية في القرنين الثاني والثالث الهجريين يتعاملون بها بوصفها لغات محلية ويؤلفون باللغة العربية كل مؤلفاتهم، وبدأت اللغة الفارسية تنافس العربية في منتصف القرن الرابع حتى انتهى الأمر فيما بعد إلى أصبحت الفارسية هي اللغة الرسمية على جميع المستويات، وانحصرت العربية في المجال الديني فقط. انظر: اللغة العربية عبر القرون، للدكتور محمود فهمي حجازي 57.

والجبرتي، والصقلي والقيرواني والمراكشي والصنهاجي والقرطبي، وغيرهم كثيرون لو عينتَ مواقع بلادهم على الخريطة لاستغرقت جانباً كبيراً. فكل هؤلاء وغيرهم انصهروا مع العرب الخُلّص في وحدة ثقافية وفكرية عالمية واحدة فريدة، عمادها اللغة والدين، ولم يؤثّر فيها تنازع السلطات واختلاف وجوه الإمرة والسياسة[1].

وسعة انتشار اللغة العربية له ثلاثة مظاهر: الأول: اتخاذها لغة للدين والحياة والتعامل، كما هو الحال في البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، والثاني: اتخاذها لغة للثقافة الدينية، كما هو الشأن في الدول الإسلامية في جنوب شرقي آسيا وفي وسط أفريقيا وشرقيها وغربيها وتركيا وغيرها، والثالث: استخدام الحرف العربي في لغات بعض الدول الإسلامية كاللغة الفارسية ولغة الملايو.

5 – أنها وهي في أوج نهضتها قد رحبت بكثير من الألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى[2].

خاتمة وخلاصة

من أهم ما نستنتجه من التفصيل السابق ما يأتي:

1. من أسباب اعتبار اللغة العربية لغة جامعة كون نظامها يعتمد على الإعراب، ويجمع بين التصرّف والإلصاق والعزل وإن غلب عليه التصرف، وقد جعل كلُّ أولئك نظامَ العربية متنوعاً وسطاً يجمع بين النوعين الأساسين من اللغات، وهما: اللغات التأليفية أو التركيبية، واللغات العازلة أو التحليلية. وفي هذا يجب التمييز بين أمرين منهجيين: الخطاب الذي يتناول اللغة من الخارج ويراعي اعتبارات التداول قوة وضعفاً، والخطاب الذي يتناولها من الداخل وتستوي فيه اللغات في قيمها التعبيرية.

---

(1) – انظر: حقيقة القومية العربية 124، 125.

(2) – انظر: اللغة بين القومية والعالمية 279، 280.

2. اللغة العربية تتداخل مع الدين وتلتحم به، من أي وجه من الوجوه نظرنا وأيّ طريق سلكنا: من وجه "الدين" الصرف، ووجه "الثقافة"، وأخيراً وجه "القومية".

3. العربية لغة العرب والعالم العربي، ولغة الدين الإسلامي أينما وجد ، ولغة رسمية دولية معترف بها في الأمم المتحدة، وهي تحتل المرتبة الرابعة أو الخامسة عالمياً بالنسبة لعدد من يتكلمون بها. ومواطن اللغة العربية تتنوع عبر مساحات مختلفة من العالم بأشكال متعددة، أدناها أداء الشعائر بها وكونها لغة الثقافة الدينية لدى المسلمين في غير العالم العربي (كما في إيران وباكستان وماليزيا و إندونيسيا)، ويضاف إلى ذلك كتابة بعض لغات الدول الإسلامية بحرفها.

4. من أهم آراء المحدثين في علاقة العربية بالإسلام: رأي الرافعي ورأي الشيخ محمد الغزالي، ورأي الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد السلام المسدّي ورأي الدكتور نهاد الموسى. وهذه الآراء لا تتعارض غالباً وإنما هي تتكامل، ويضيء كل واحد منها جوانب معينة. وأهم ما في رأي الرافعي قوله إن أثر القرآن في الجنسية العربية يعد معجزة لغوية سياسية كبرى ، ولم تكن اللغة هي المقصودة، وإنما كان المقصود تكوين وحدة سياسية تكون قلب العالم، وكذلك إشارته إلى أن غُربة الدين تتبع غربة اللغة. ومن أهم ما ورد في رأي الشيخ الغزالي أن اعتبار اللغة العربية لغة الإسلام، لا يعني أكثر من فرضها لغة عالمية للتفاهم الإنساني كله، وليس معناه محو اللغات الأخرى، وفتْح باب الاستعراب للأجناس كلها لا يعني أكثر من تجديد دماء الأمة العربية على مر الزمان، وليس معناه إزالة الأجناس الأخرى؛ لأن هذا ضد الفطرة التي جاء الإسلام لتأكيدها وإثباتها.

5. اللغة العربية عندما نزل بها القرآن وصارت لغة الإسلام، أصبحت لغة عالمية، وصار لها مجموعة من الخصائص أهمها: أنها من شعائر الإسلام التي

يجب الحفاظ عليها، وأنها من أعرق اللغات، وأنها لغة قيادة، و لغة تواصل وانتشار وحضارة وتراث.

المراجع

أولاً – الكتب:

– أبحاث مختارة في القومية العربية ، أبو خلدون ساطع الحصري : دار القدس – بيروت– 1974 .

– اجتهادات لغوية، للدكتور تمام حسان : عالم الكتب – القاهرة – ط 1– 2007م.

– أساسيات اللغة، تأليف ر. ل. تراسك، ترجمة رانيا يوسف : المجلس الأعلى للثقافة _ المشروع القومي للترجمة – الكتاب 381 – القاهرة – ط1 – 2002م.

– أسس علم اللغة، لماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر : عالم الكتب – القاهرة – ط8 – 1998م.

– أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، للدكتور نايف خرما : سلسة عالم المعرفة بالكويت – ط2 – 1979 م.

– الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق الدكتور محمد عمارة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط2 – 1979م.

– إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، للدكتور أحمد درويش: نهضة مصر للطباعة–ط 1– 2006.

– تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – 1974م .

– التعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، لمحمد الأوراغي: المملكة المغربية – جامعة محمد الخامس – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط – سلسلة بحوث ودراسات رقم 36 – ط1 – 2002.

– التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، للدكتور محمد المنجي الصيادي: مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – ط 3 – 1984.
– التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية : بيروت – 1982م.
– تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، شارك في تحقيقه د. زكريا النوتي وآخرين: دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1993.
– تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر – تونس – 1984.
– التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط3.
– الظاهرة القرآنية ، لمالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين : إصدار ندوة مالك بن نبي – دار الفكر – دمشق – 1985 .
– العربية والإعراب، للدكتور عبد السلام المسدّي: مركز النشر الجامعي –تونس– 2003.
– العروبة أولاً، ساطع الحصري: سلسلة التراث القومي – الأعمال القومية لساطع الحصري – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط2 – 1985 .
– عن العروبة والإسلام، للدكتور عصمت سيف الدولة: مركز دراسات الوحدة العربية – سلسلة الثقافة القومية(2) – بيروت – ط1 – 1986 م .
– قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، للدكتور محمد عيد: عالم الكتب – القاهرة ت ط1 – 1989.
– قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، للدكتور نهاد الموسى : دار الفكر – عمان – ط 1 – 1987 م.
– لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، لشريف الشوباشي: مكتبة مدبولي الصغير – القاهرة – 2004.

– اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس : دار المعارف بمصر . د . ت.
– اللغة العربية ، إضاءات عصرية ، للدكتور حسام الخطيب: الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1995.
– اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، لكيس فريستيغ، ترجمة محمد الشرقاوي : المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – 2003م.
– اللغة العربية عبر القرون ، للدكتور محمود فهمي حجازي: دار الثقافة للطباعة والنشر– القاهرة – 1978م .
– المتنبي، (منشور مع رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ، لمحمود محمد شاكر : مطبعة المدني ومكتبة الخانجي – القاهرة – 1987م.
– مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه: تصوير الطبعة الأولى – 1398 هـ.
– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين: مطبوعات وزارة الأوقاف – قطر – ط2 – 2007.
– مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن نبي: دار الفكر–دمشق–ط 7– 2006.
– معجم بلدان العالم، لمحمد عتريس: الدار الثقافية للنشر– القاهرة – ط1 – 2002.
– معجم المصطلحات اللغوية (إنجليزي – عربي)، تأليف الدكتور رمزي البعلبكي : دار العلم للملايين – ط1 – 1990.
– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.
– من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : جامعة الدول العربية – تونس – 1990م .

ثانياً – الدوريات:

مدخل إلى دراسة التطور النحوي في العربية المعاصرة، للدكتور عبد السلام حامد: مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة – يوليو 2011.

اللغة الفصحى وقريباتها : تعايش سلمي واحترام متبادل.

أ/ يمينة مصطفاي – جامعة البويرة.

اللغة :

إن اللغة تكتسب ولا يولد الإنسان بها، يدفعه إلى هذا الاكتساب عادة شعوره بالانتماء إلى مجموعته البشرية، نفسيا واجتماعيا وحضاريا، ورغبته في

التعايش وتبادل المنافع والمصالح بينه وبين أفراد هذه المجموعة[1]، حتى إن هيجل قد قال : "إن ا للغة هي منزل الكائن البشري"، فهي مستودع أفكاره وعواطفه وأحلامه وطموحاته، ووجوده فى هذه الحياة.

الفصحى واللغات الأخرى:

إن لكل أمة لغة خاصة بها،. يقول تعالى في سورة إبراهيم: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم". (الآية 4)

يقول ابن كثير: "هذا من لطفه تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم، ليفهموا عنه ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم، كما روى الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن عمران بن ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ""لم يبعث الله عز وجل نبيا إلا بلغة قومه".[2]

فاللغة هي لغة الحياة، هي مناط هويتنا وقوام ذاتيتنا.

وبذلك فإن اختلاف اللغات (الألسن) أمر طبيعي في الحياة ، وسنة من سنن الله في الكون، يقول تعالى في سورة الروم: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" (الآية 22)،

يقول ابن كثير في تفسيره: "واختلاف ألسنتكم" يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء فرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء خزر، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد ،إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم..."[3]

الفصحى والعاميات:

---

[1]

[2] الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، لبنان، 1984، ط6 (طبعة جديدة مصححة)، ج4، ص108.

[3] الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ج3، ص1595.

إن اللهجات (العامية) ظاهرة طبيعية في اللغة العربية وفي كل اللغات العالمية، حيف إن المجتمع العربي عاش دائما بنظامين لغويين "نظام الثقافة والعلم والأدب قوامه العربية الفصيحة، ونظام التخاطب اليومي قوامه تلك اللهجات الدارجة التي تجرد من الخاصة الرئيسية للفصحى وهي الإعراب، وعدت عليها عوادي الاختصار في الأشكال والتحريف في كثير من صيغها، وتسربت إليها من مختلف الجهات عناصر دخيلة وعامية، وظلت الحال على هذا المنوال طول العصور، جماهير تنشأ على العامية في حياتها، وتمتلك ناصيتها بطريقة طبيعية لا تحتاج بعد الطفولة إلى تدريب أو تعليم، ومثقفون يشاركون الجماهير عاميتهم في لسان التخاطب، ولكنتهم في المجال الثقافي يحصلون الفصحى تحصيلا ويحفظون قواعدها خفظا، ويمرون بمراحل طويلة من التدريب(...) وتختلف حظوظهم في القدرة على استعمالها تبعا لعوامل النشأة والاستعداد الشخصي، والمجال الثقافي الذي يتحركون فيه[1].

يقول الدكتور عمار ساسي: "والحقيقة أن الثنائية اللغوية ليست في الأصل مشكلة إنما هي ظاهرة لغوية تتطلب إعمال الرأي والعقل في علاجها بما يناسب ويلائم، لأن المشكلة كمصطلح لا تطلق إلا على أمر لما يتوصل إلى حله"، لذا أنطلق من كونها ظاهرة عامة في كل اللغات تتطلب تقنيات إجرائية مضبوطة وأسلوب عمل محكم بميزان معتدل ورأي حصيف.[2].

ويحب الوعي بأن اللغة العربية في تنوعاتها ومستوياتها الفصيحة والوسيطة والدارجة، هي كل يمثل الهوية اللغوية للمواطن (العربي)، فالعامية واقع معاش وحال مفروض لا يمكن التخلص منه أبدا.

والمطلوب كيف معالجته إذا تجاوز حدود التعامل به وزاحم الفصحى؟

---

[1] المجلة العربية للدراسات اللغوية، ع1، المجلد 5– 1986، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، محمد حلمي هليل، ملاحظات حول الازدواج اللغوي في العربية كتاب الأستاذ الراحل محمد خلف عبد الله أحمد ص98.

[2] عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في: الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف، البليدة، 2001، ص80.

في إطار هذا الوضع لدينا : لغات أجنبية قد تزاحم اللغة الفصحى. ولدينا لهجات وعاميات محلية قد تزاحم الفصحى كذلك.

بل إنها قد زاحمتها ويعمل أعداء اللغة على العمل على إزاحتها، ويعينهم على هذا ثلة من أبناء اللغة عن قصد وسوء نية أو عن جهل وقلة وعي وإدراك، والنتيجة للأسف سيان...

وفي دراسة هذا الوضع اختلف الباحثون في زوايا النظر وفي الغايات والأهداف.

ولما كان الباحثون على اختلاف في التسمية والاصطلاح لهذا الوضع ، إذ منهم من يعبر عنها بالازدواجية اللغوية ويقصد بها العلاقة عن الطبيعية بين اللغة العربية الفصحى ولهجاتها العامية المختلفة في المجتمع العربي المعاصر[1].

ومنهم من يعبر عنها بالثنائية اللغوية العربية، ولعله يقصد الدلالة السابق نفسها التي في الازدواجية، ومنهم من قلب الأمر عكسا فجعل الثنائية بين لغة ولغة والازدواجية بين لغة ولهجة[2].

اللغة العربية والتعدد اللغوي قبيل الإسلام وبعده:

أدرك العربي قبل الإسلام أنه لا يملك مقوّمات بناء حضارة مادّية مزدهرة كما هو الحال عند الأمم الأخرى، تخلّد وتشهد ببقائهم. لكنه في نفس الوقت اكتشف بفطرته أنّ "اللغة" هي الوسيلة الوحيدة (المتاحة له في ذلك الوقت) لإبقاء ذكره وتخليد مآثره. فكانت اللّغة بالنسبة له محور حياته سلما وحربا.ولولاها لما كان له ذكر أو أثر إلى يومنا هذا.

وقد كانت أسواق النقد العربي القديم تبرز لنا الكثير من جهودهم لوضع قواعد وقوانين في ضبط وحفظ اللّغة والذود عنها.بل إن اللغة العربية في أواخر العصر الجاهلي ارتقت رقيًا كبيرًا وتطوّرت جميع لهجاتها التي تتكلم بها القبائل

---

[1] جعفر دك الباب، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي ، دمشق، 1989، ط1، ص20.

[2] عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في: الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، ص95.

المختلفة ونشأت لهجة أدبية راقية تأخذ من هذه اللهجات جميعًا.>> [1] وكأنّها توحّدت في لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم، اللّسان العربي المبين.

وبمجيء الإسلام، زاد اللّه من تكريم هذه اللّغة بأن اختارها لتكون لغة كتاب الرسالة الخاتمة، نظرا لما تملك هذه اللّغة من خصوصيات لغوية تجعلها أقدر على حمل هذه الرسالة وحفظها للناس كافّة، << وقد كان نزول القرآن بالعربية حدثًا هزّ أركان الأرض وأعطى للعرب من السيادة والسبق ما لم يعطه شعب من الشعوب، ولا أمّة من الأمم، حتى صارت الأمم الداخلة في دين الإسلام **تتسابق إلى تعلّم العربية** ، فهي لسان القرآن، ولغة حضارة وتاريخ، ووسيلة فصاحة وبيان ورقي اجتماعي" [2] ،يقول الدكتور حسين نصار: "فاستمرّت عناية العرب بلغتهم بعد ظهور الإسلام، وقيام دولتهم المترامية الأطراف، **بل زادت** هذه العناية عندما شعروا بتفوّقهم على الأمم الأجنبية نتيجة غلبة الجيوش الإسلامية فعنوا بجميع مظاهر هذا التفوّق كل عناية، وميّزا كل ما يتصل بهم عما يتصل بهذه الأمم."[3]

فاللّغة في عصر صدر الإسلام تكاد تكون امتدادًا طبيعيا من حيث حبها والتآلف معها والسعي والحرص على صونها وصيانتها وحفظها من الشوائب، كما كان الحال في العصر الجاهلي.

وقد كان القرآن الكريم نفسه الدليل على هذا التفوّق اللّغوي، فهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلّم، التي تحدّى بها العرب ميدان فخرهم واعتزازهم وتفاخرهم.

وفي العصر الأموي مع ما تميّز به هذا العصر من حب وتفاخر وتعصّب للجنس واللّغة والوجود والكيان العربي، لا نفرّق بين اللّغة في هذا العصر وبينها

---

[1] حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، مكتبة مصر، 1988. ط 4،ج1 ، صفحة 13.

[2] عزّة حسين غراب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور، التطوّر الهوية، مكتبة نانسي دمياط ،مصر، 2005، د ط ، ص 07.

[3] حسين نصار، المعجم العربي،ج1 ، ص 14.

في العصر الجاهلي سوى أن أحب الجاهليون لغتهم فحرصوا عليها، أما بني أميّة فأجبروا المجتمع على حبّ اللّغة والتعصّب البدوي منها على حساب الحضري كما هو حالهم في التعصّب لكل ما هو عربي خالص.[1]

أما في العصر العباسي فقد" أصبحت اللّغة العربية نظرًا للتطوّر الذي أصاب المجتمع بحاجة إلى تطوير وتهذيب وتوسيع، وضبط ،خصوصا بعد أن استقرّ العرب في الأقطار التي افتتحوها ،وخالطوا الأعاجم واحتكوا بهم(...) وكانت اللّغة في هذا الوقت شائعة في البلاد الفارسية وظلّت تنتشر وتمتد، فكان من أثر ذلك أن تأثرت بالمفردات والتراكيب الأعجمية"[2]

فكانت بذلك اللّغة العربية هي الضحية الأولى لذلك الانفتاح العقلي الاجتماعي اللانهائي، فالعجم امتلأت بهم الدواوين، والبيوت والشوارع(...) وهم أصحاب بناء لغوي تحتي – أي لسان عربي– مخالف للعربية فوجدنا ما أطلق عليه د/ حسين نصار بـ <<لغة الواسطة>> فقد شاعت وانتشرت، وهي محاولة التبسيط في اللّغة صوتا ونحوًا وصرفا حتى يتم التفاهم بين العنصر العربي والعنصر العجمي، ولكن هيهات أن تغفل عين المخلصين للدين واللّغة عن هذا.[3]

"فكان نشاط علماء المسلمين في ذلك يسترعي الأنظار، وليس هناك من نشاط يشبهه إلاّ نشاط العرب في فتح البلدان، فقد نظم العلماء أنفسهم كفرق الجيش، كل فرقة تغزو الجهل والفوضى في ناحيتها حتى تخضعها لنظامها، ففرقة للغة، وأخرى للحديث، وفقرة للنحو وأخرى للكلام، وهم يتسابقون في الغزو والانتصار وتدوين العلوم وتنظيمها تسابق قبائل العرب في الفتوح والغزوات".[4]

وقد كان رجال الدولة من خلفائها وأمرائها وقاداتها وأشراف الناس وعامتهم يحرصون على تنشئة أبنائهم على سلامة اللغة وفصاحة الألسن ،لاسيما أبناء

---

[1] عزّة حسين غراب، المعاجم العربية ، ص 42.

[2] مصطفى صادق الرافعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1981، ط 3، ص، 285.

[3] عزّة حسين غراب، المعاجم العربية ، ص 43.

[4] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط القاهرة، 1988 ،ج2، ص 13.

الخلفاء منهم، وقد اعتادوا هذا الأمر منذ العصر الجاهلي إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العصر العباسي.

"ولم يكن كل الناس قادرين على إيفاد أبنائهم إلى البادية، فظهرت فئة من المربين الفصحاء يتولون تنشئتهم"[1]

هذا عرض موجز عن اللغة العربية في العصر الجاهلي، والإسلامي والأموي والعباسي حيث انهارت الدول ولم تنهر هذه اللغة الكريمة، بفضل القرآن الذي هو وعاءها وحافظها بأمر من الله في كتابه الكريم، حيث قال: << إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون>> (الحجر، الآية 09). ففي حفظ القرآن حفظ بالضرورة للغة العربيّة. حيث بقيت وظلت اللغة العربية كما كانت دائما منذ العصر الجاهلي هاجسا وحلما وحقيقة تلوح بفكر وعقل ووجدان العربي أينما حل وارتحل، مهما بلغ من مناصب السلطة والجاه والمال، وكأن اللغة بالنسبة له هي التاج الذي يتربع على العرش كل ما سبق.

التعددية اللغوية في القرآن الكريم: يقول الدكتور عمار ساسي في هذا: هي "سمة من سمات العدل والعقل والشرع ،ومعنى هذا أن عالمية القرآن [الكريم] توجب أن يطوف لسان القرآن الكريم بكل الألسن البشرية، فما نقص من اللسان العربي يكمل باللسان الأعجمي، لأن المجتمعات ليست صورا طبق الأصل لبعضها البعض، فما هو موجود من المعاني عند العرب غير موجود عند الفرس وغير موجود عند الروم وهكذا... فيضطر إلى تكميل اللسان بالأخذ من الفرس والروم لعالمية الرسالة ولإعجازيته وواقعيته فضلا عن أشياء أخرى[2].

التعددية اللغوية قديما : اللغة العربية واللغات الأخرى:

عرف العرب تعددا لغويا كبيرا [العربية، السريانية، اليونانية، الفارسية، العبرية] تحتضنها ديانات مختلفة (الإسلام، المسيحية، اليهودية) على مستوى

---

[1] عزّ"ة حسين غراب، المعاجم العربية ، ص 41.

[2] عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، ص114،115.

عال من الحياة، هو المستوى العلمي المعقد والصعب، ومع ذلك لم تجرؤ أي من تلك اللغات أن تتجاوز حدودها على لسان أهلها أو العرب أنفسهم، وعرف الكل قيمة هذه اللغة وقدرها، وقدرتها على حمل العلوم والمعارف بأنواعها: طب، فلك، جبر، هندسة، كيمياء، فلسفة ومنطق، وغيرها من العلوم التي عرفت في الكون ذلك العهد.

لم يبرز العلم العربي تاريخيا بشكل متميز ومبدع ابتداء من القرن الثاني الهجري، إلا عندما شرع العلماء العرب والمسلمون، بدعم من السلطة، في نقل مختلف المعارف والعلوم المكتوبة باليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والسريانية على الخصوص، إضافة إلى تملك الموروث الثقافي الضخم لهذه الحضارات، وكذلك الثقافات القديمة من فينيقية وبابلية ومصرية قديمة...إلخ، وتدرج العلم العربي من الترجمة والتقليد في الطب والفلك والزراعة والحساب... الخ، إلى الإنتاج المبدع، وقد مثلت اللغة العربية وعاء تلاقح هذه المصادر المتعددة، وتعدد العلماء عرقا ودينا في إقامة العلم العربي (أي المكتوب بالعربية) ويمثل هذا التاريخ نموذجا يبرهن على أن **العلم يقوم من اللغة، أي أن اللغة العلمية تؤهل العلم لا العكس، إن تملك العلم باللغة العلم يؤهل العلم واللغة**[1].

لقد أصبحت اللغة العربية اللغة التي تكتب بها مختلف العلوم وتلقن، ويترجم إليها كل ما يحتاج إليه من الغير، وتنتج بها المعارف المتطورة أو الجديدة ويترجم منها إلى لغة الغير.

فظهر لنا جليا المكابدة التي خبرتها اللغة العربية في القرون الخمسة (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ميلادي) وهي المكابدة المتمثلة في محاولة

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اتصالات التعددية وثغرات الترجمة. دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، ط5، ص51.

العلماء من أبنائها الرقي بها إلى مستوى متطور قادر على التعبير عن أفكار علمية وفلسفية جديدة في تلك الأوقات[1].

لقد حظيت اللغة العربية بفرصة تاريخية نقلتها من لغة تواصل وأدب لأفراد قلائل بقبائل الجزيرة العربية إلى لغة علم وتواصل شاملة لمئات الملايين من العرب والمسلمين، وكونت حولها قومية اختلفت أجناسها وأديانها وتجاربها الاقتصادية، لم يوحدها شمولا إلا اللسان الذي انبعثت منه عناصر أخرى للوحدة، وليس في المنظور القريب أي فرصة للغة أخرى يمكن أن توحد هذا العدد من البشر، ولقد أتيحت للغة العربية أن تصبح لغة تعلم وثقافة (ممثلة لهوية علمية وثقافية) بمعجزة القرآن والإسلام، ولن تتاح للغة أخرى هذه الفرصة كذلك[2].

وهذه بعض من شهادات علماء الغرب على اللغة العربية في ذلك الوقت:

_لقد كانت اللغة [اللغة العربية] تمد العالم أجمع بالكتب في مختلف العلوم، حتى إن الغرب كما تحدثنا المستشرقة الألمانية: زيفرد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب "قائلة: "دب في الطب الغربي فجأة في القرن السادس عشر، شعور غريب بالخجل من تقليده للطب العربي وقد بقي قرونا طويلة من الزمن نسخة ممسوخة عنه، وكانت معظم المخطوطات الأوربية الطبية في أول عصر الترجمة وحتى القرن السابع عشر تقليدا للعرب ونقلا عنهم".

_وتقول أيضا: " قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي"[3]، وذلك مؤلفه الكبير "الحاوي في الطب".

---

[1] محمد سواعي، أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر، مقدمة تاريخية عامة، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1999، دط، ص57.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب، ص67.

[3] اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، 1984-1985، ع24، محمود فوزي حمد، اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي، ص78.

_يقول الأستاذ جربرت فون أورياك: الذي ارتقى كرسي البابوية في روما عام 999م، باسم البابا سلفتروس الثاني، معلقا بعد أن عرف أن مكتبة القاهرة تضم أكثر من مليونين ونصف من المجلدات، يقول : "إنه لمن المعلوم تماما أنه ليس ثمة أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بوابا لتلك المكتبة، وأنى لنا أن نعلم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا، إن فاقد الشيء لا يعطيه"[1].

بعد كل هذا لنا أن نطرح سؤالا بسيطا الآن:

لماذا تدرس إسرائيل الطب باللغة العبرية، وتدرسه مصر باللغة الإنجليزية، والجزائر بالفرنسية؟

يجيب أحد العلماء قائلا: "لأننا مصابون بعقدة "الخواجا"، ونعتقد أن العربية ليست صالحة إلا للآداب والعلوم القرآنية وكلية الشريعة".

لا ريب في العصر الحالي من نقص كبير في المراجع في التخصصات العلمية المختلفة كالطب الفيزياء، الكيمياء مثلا باللغة العربية، وتواجدها بكثرة هائلة باللغة الأجنبية (فرنسية أو انجليزية أوغيرهما)، ونطرح سؤالا آخر هنا، لماذا لا نحذو حذو أجدادنا أيام عبد الملك بن مروان والرشيد والمأمون، لماذا لا نترجم وننقح ونضيف؟؟ عوض أن نتخلى كليا عن هويتنا...

وهنا نسلط الضوء على عنوان جديد لمعركة حقيقية يجب أن نخوضها،شئنا أم أبينا، **إنها معركة الترجمة، إما أن ننجح وتنجح لغتنا، وإما ان نفشل وتأسف علينا لغتنا.**

_ الشيء العجيب والغريب في مجال تنمية اللغة العربية واستعمالاتها بغزارة في ترجمة النصوص من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية هو أن هذه الوظيفة تقوم بها على أحسن وجه الشركات والمؤسسات الرسمية لأسباب أمنية واستخبارية، بالإضافة إلى استعمالها لأسباب تجارية.

---

[1] محمود فوزي حمد، اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي، ص82.

إنه لمن الواضح أن محركات البحث الأمريكية مثل مايكروسوفت وغوغل، قد استثمرت أموالا كبيرة ،واستعانت بالموارد البشرية لإنتاج نظم وبرامج تشغيل ومحركات بحث باللغة العربية، والغرض تجاري بحت، أي تسويق منتجاتها إلى اللغة العربية، كما أن محطات التلفزيون والإذاعات الأجنبية التي تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية تساهم في تنمية اللغة العربية الفصحى في حين إن إذاعات الدول العربية وفضائياتها تبث برامجها باللهجات العامية. للأسف.

التعددية اللغوية في الجزائر:

يتميز الواقع اللغوي الجزائري بالتنوع الناتج عن الأحداث التاريخية التي تتالت على هذا البلد الآهل بالسكان الأمازيغ منذ القرن 13 ق.م، وصولا إلى القرن السابع أين بدأت الفتوحات الإسلامية.

وقبل ذلك بقليل كان السكان الأصليون الأمازيغ يواجهون بضراوة كل الهجومات الأجنبية، فاستطاعوا طرد كل مستعمر غاشم، كالفينيقيين والقرطاجيين والرومان، ورغم المواجهة الأولى للعرب [مع الفتوحات] من طرف البربر _التي لم تصمد إلا قليلا_ ،فقد اعتنق السكان الأصليون للمغرب الإسلام جماعيا عن إيمان واقتناع(...) واندمج العرب بسهولة في المجموعة البربرية لتكون أمة جديدة مهابة الجانب، قوية الهمة، متراصة الصفوف، دينها الإسلام ولغتها العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، كتاب الله(...)، وفي الوقت الذي اعتنق فيه سكان المغرب الإسلام، قرروا اتخاذ اللغة العربية لغتهم الرسمية، لغة دينهم ودنياهم الأبدية[1].

وبعدها جاءت الحملة الاستعمارية الفرنسية والتي امتدت ما بين 1830-1962، وكانت أولى سهام المستعمر مسددة إلى اللغة العربية إضعافا وعزلا عن العلم وإبعادا عن الحياة، ولقد كانت أولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف

[1] لمصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الرباط، 1994، ط2 مزيدة ومنقحة، ص19.

إلى الجزائر:"علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"[1].

وليست توصية هذا الحاكم الفرنسي إلا ترجمة لتوصية سلفه المستعمر الفرنسي نابليون الذي قال لبعثته الوافدة إلى مصر "علموا الفرنسية، ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن"[2].

جذور الصراع اللغوي في الجزائر:

استغل الوجود الاستعماري بالجزائر البربر كوسيلة لإدارة صراع سياسي قوي ضد اللغة العربية، ولقد حاول إيهام الرأي العام بأنه في المغرب العربي والجزائر بصورة خاصة، شعبان متمايزان الشعب الأمازيغي والشعب العربي، وحاول تبرير هذا التقسيم الوهمي فاستغله كوسيلة لبث سموم النفرة ونشر العداء بين العرب والبربر، وبعد ذلك بدأت تعشعش في الذهنيات الموالية لفرنسا فكرة أمازيغية الجزائر، وبدأت مع تصدير هذه الفكرة **ظهور جبهة العداوة للعرب وللعربية لأول مرة منذ استقرار العربية بالمغرب العربي**[3].

ولم يكن هذا فقط بل محاولة إزاحة اللغة الفصحى واستبدالها بلغة المستعمر أو إحلال العاميات محلها.

فخرجت اللغة الوطنية من الاحتلال وهي في مثل حالتها الصحية تدهورا وضعفا، فتبرأ منها من تبرأ لأنه عاجز عن حملها وهي مشلولة، وفضل أن تحمله اللغة الفرنسية على أجنحتها لأنه أمامها هو المشلول.

وقد صنف العلماء الازدواجية اللغوية (الفصحى ولغة أجنبية أو الفصحى والعامية) في الجزائر أنواعا كثيرة باعتبارات مختلفة، ويمكن عرض بعض هذه الأنواع كالآتي: (كما عرضها الدكتور عمر ديدوح في مقال له على النت).

---

[1] المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2001، ع4، صالح بلعيد، اللغة العربية والعولمة، ص128.

[2] مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1981، ط2، ص11.

[3] عمر ديدوح، عالم المعرفة.على النت.

أ – الازدواجية العامة والازدواجية الخاصة:

الازدواجية العامة: تشمل كلّ المجالات في البلاد كالتعليم، والإعلام، وكذا الإدارة، بحجّة مساعدة اللغة الوطنية –العربية – على النهوض أو بسبب الاعتقاد أن هذه اللغة لا تقدر في الوقت الحاضر أن تكون لغة كلّ شيء في البلاد، وبالتالي يرى أصحابها **استبقاء الضرّة** إلى أجل غير معلوم.

الازدواجية الخاصة: هي استعمال اللغة الأجنبية في قطاع، أو قطاعات من الحياة الاجتماعية دون القطاعات الأخرى، كأن تستعمل في التعليم العالي دون التعليم الثانوي.

ب – الازدواجية الدائمة والازدواجية المرحلية:

الازدواجية الدّائمة : هي أن ينطلق هذا البلد العربي، أو ذاك من مبدأ الأصالة، والتفتّح فيعتمد لغتين للاستعمال في البلاد، واحدة تمثل الأصالة، والماضي بما يمثله من عواطف وقيم، وتراث وثقافة دينية، يفرض استبقاءها الواقع التاريخي، والثقافي للفئات العريضة من أفراد المجتمع، وواحدة توصف بأنها مفتاح التقدم وغزو الكواكب، فيرى الحارسون على مستقبل البلاد استبقاءها ونشرها لتصل بالبلاد إلى مصاف الدول المتحضرة، على اعتبار أن اعتماد اللغة العربية وحدها على ما هي عليه – في نظرهم– من جمود وضعف ستجمد حركة التنمية في البلد حتمًا.

الازدواجية المرحلية :هي التي تعتمد فيها اللغة الأجنبية –لظروف تفرضها الضرورة– لتهيئة الإطارات الوطنية المتكونة باللغة الوطنية، لتقوم بمهمة التعريب الكامل والشامل.

جـ – الازدواجية الفئوية والازدواجية الفردية

الازدواجية الفئوية : هي التي تؤدي فيها السياسة التربوية، والتعليمية في البلد، إلى خلق فئات لغوية كل حسب اللغة التي يتكلم بها، وطبعًا ترتيب اللغة الوطنية معروف بينها (المرتبة الأخيرة).

لازدواجية الفردية: هي أن يكون الفرد المتعلم في المجتمع عارفًا بلغتين اثنتين (لغة وطنية ولغة أجنبية) معرفة جيدة بحيث يستطيع استعمال كلتيهما بنفس الدرجة والكفاءة، وهذا النوع من الازدواجية لا يضر بل يفيد الكفاءات اللغوية للأفراد إذا روعيت فيه الشروط.

د- الازدواجية الإيجابية والازدواجية السلبية:

الازدواجية الإيجابية :هي ازدواجية تعتمد منذ البداية كمرحلة النهوض بمستوى اللغة الوطنية، لكن بالقدر الذي يفيد لغتنا ولا يضر بها.

الازدواجية السلبية: هي الازدواجية التي تتجاوز حدها لتنقلب إلى ضدها، فتسيء أكثر مما تبني ومن نتائجها خلق فئات، وطبقات اجتماعية متعارضة المصالح، والاهتمامات، والاتجاهات الفكرية، والثقافية.

والجزائر اليوم تعيش تجربة صعبة في المجال اللغوي فهي تحاول تحقيق جميع أنواع الازدواجية.

فكان الناتج باختصار أن أنتج الازدواج اللغوي الحاصل في وقتنا ،وفي بلدنا جيلا مهزوزا في شخصيته وعقليته، ضعيفا مهزولا على مستوى اللغتين فالطالب اليوم في الثانوية أو الجامعة لا يمكنه الحديث بالعربية لوحدها لأنه لا يتقنها، ولا بالفرنسية لوحدها كأنه قد أصابه عسر لغوي، بل نجد عنده هجينا لغويا مشينا امتزجت فيه الفصحى بالعامية بالأمازيغية بالفرنسية، على جميع المستويات، لا يحمله لا مصطلح" التعدد اللغوي" ولا "الازدواج اللغوي"، لأنه مزيج من الأنظمة والمستويات اللغوية المختلفة، وكل هذا _ ربما _ يعكس تفككا وتعقدا اجتماعيا ونفسيا.

حقائق لابد من قولها:

_ اللغة هي البوابة الأولى والحقيقية للدخول إلى أي حضارة أو ثقافة أجنبية.

_ أن تتحدث بلغة ما، وأن تفضلها (وخاصة عندما تكون قادرا على الاختيار) على لغة أخرى، فإن لاختيارك دلالة خاصة.

_ اللغة هي منطق الأمة والحافظ لثقافتها وهويتها، وهي التي تدخر في كلماتها أخلاق أهلها، وعاداتهم ونشاطهم الفكري والأدبي.

_ لا توجد لغة بدائية أو ضعيفة أو قاصرة، إنما يوجد قوم بدائيون أو ضعفاء أو قاصرون لأن أي لغة قادرة على التطور والنمو واستنباط المفردات والتراكيب الملائمة لكل جديد. ولعل عوامل قوة اللغة العربية أكبر بكثير من أن تتهم بالضعف والقصور، وقد كان لأهلها الفخر بها قديما ، وهي في أيامنا هذه لها من مواطن القوة ما يرتقي بها في مصاف اللغات العالمية والعلمية لو أراد أهلها، وقد ذكر الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه " أزمة اللغة العربية في المغرب، بين اتصالات التعددية وثغرات "الترجمة"، بعضا من مواطن قوة اللغة العربية نورد بعضا منها[1]:

1_ القوة الرمزية: تمثل اللغة العربية لغة ذات رمزية وقدسية بالنسبة لما يقرب من مليار وربع مسلم، فالقرآن قد نزل بها(...).

2_ القوة العددية:

يوجد ما يقارب من 300 مليون ناطق باللغة العربية في الوطن العربي، علاوة على من ينطق بها في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي أو غيره، أو الجالية العربية والإسلامية في البلدان غير العربية(...) وهكذا تأتي العربية في المرتبة السادسة دوليا من حيث عدد المتكلمين داخل المنطقة العربية، بل في رتبة أعلى إذا أخذنا بعين الاعتبار انتشارها خارج المنطقة ورمزيتها.

3_ رسمية اللغة:

اللغة العربية هي اللغة الرسمية أو الوحيدة لاثنين وعشرين دولة عربية، وهي بذلك تأتي في المرتبة الثانية بعد الانكليزية،(48 دولة)، وتوجد دول مثل

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب.ص 48 وما بعدها .

إيران وإسرائيل اتخذتها لغة رسمية كذلك إلى جانب لغتها، وتعد الدول التي اتخذت اللغة الفرنسية لغة رسمية 27 دولة، والإسبانية 20 دولة. إلا أن بعض هذه الدول لا تتخذها لغة رسمية أولى، لأنها ليست لغة وطنية فيها، فالرسمية المرتبطة بلغة الأقوى لا تقوى قوة الرسمية الوطنية لكونها مهددة بالزوال بمجرد تغير ميزان القوة، كما حدث للألمانية في بعض البلدان، أو ما حدث للفرنسية.

4_ لغة المؤسسات الدولية الإقليمية:

تمتد رسمية اللغة العربية إلى المؤسسات الدولية والإقليمية بما فيها "منظمة الأمم المتحدة" والمنظمات المتفرعة عنها أو الإقليمية التابعة لها، و"اليونسكو". حيث توجد ضمن إحدى ست لغات رسمية .والعربية هي اللغة الرسمية لـ"جامعة الدول العربية" والمنظمات منبثقة عنها مثل "الألكسو" ولـ"منظمة المؤتمر الإسلامي"... وغيرها، ولا توجد في وضع رسمي مماثل لها إلا الإنجليزية والفرنسية.

5_ لغة بينية وحيدة:

تتمثل اللغة العربية اللغة البينية الوحيدة التي تمكن من التواصل الشامل في كافة الأقطار العربية، فالأمة العربية ليست وحدة دينية لوجود ديانات مسيحية ويهودية وغيرها (وإن غلب الإسلام فيها)، وليست وحدة عرقية، وليست وحدة اقتصادية أو سياسية أو أمنية إلى الآن (لأن الوضع لم ينضج بعد للتكامل والوحدة)، بل هي وحدة لغوية قبل كل شيء، قد تتولد عنها عناصر وحدة مرجوة من طبيعة أخرى،

6_ لغة التعليم والتعلم في العالم العربي وعبر العالم:

تمثل العربية لغة التعلم أو التعليم بامتياز في العالم العربي، وبعض بلدان العالم الإسلامي، وتنتشر في تعليم الجاليات العربية والإسلامية عبر العالم، كما تنتشر في المعاهد العربية والإسلامية المقامة في الجامعات الغربية.

7_ لغة الإعلام النافذة:

تمثل العربية لغة الفضائيات العربية الناجحة(...) بالإضافة إلى الصحافة المكتوبة(...) وإذاعات كثيرة تبث بالعربية سواء كانت من بلدان عربية أو غير عربية وأقدمها شهرة: إذاعة "الهيئة البريطانية العربية BBC".

_ إن التعدد اللغوي ليس وضعا خاصا ببلاد دون أخرى، أو هو ميزة لبلدان العالم الثالث دون غيرها، إنه قدر ونصيب مشترك في كل البلدان، وإن ظهر بأشكال متفاوتة من جهة، وحسب تسليط الأضواء عليه، وتوجيه أصابع الاتهام إلى البلد أو أهلها أو غيره.

_ فالتعدد اللغوي ظاهرة طبيعية في دول العالم قاطبة، ولا ضير أن يتخذ المتعدد اللغوي مسلك لتطعيم وانفتاح الثقافة الوطنية على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية. وقد رأينا كيف مورس هذا النموذج في المجتمع الإسلامي في أزهى عصور الحضارة الإسلامية، ولم تشك العربية ضيقا ولا تشويشا ولا عجزا ولا عزلة، بل ظلت تلك اللغات خادمة لها ، معلنة انقيادها لها عن طواعية، وبذلك نقول: إن التعددية اللغوية إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية، فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكا إيديولوجيا سياسيا تحت أقنعة مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعمار في شكله الجديد[1].

وبذلك نقول إن التعدد اللغوي لا يكاد أي بلد في العالم يسلم منه، إما لأسباب تاريخية (الاستعمار ومخلفاته الثقافية)، وإما لأسباب حضارية، دعت إليها ضرورات التقدم، والتطور العلمي، وعلى هذا الأساس، هناك من تقبل الازدواجية اللغوية (أو التعدد اللغوي)، وكانت نعمة عليه، رفعت من شأنه وصيرته في عداد الدول المتقدمة، وهناك من لم يحسن فهمها والعمل بها فكانت نقمة عليه زادته تدنيا وتدهورا، كما هو الحال في أغلب الدول العربية.

---

[1] عمر ديدوح، علم المعرفة، net.

وعليه: إننا ندعو لإعطاء كل ذي حق حقه من دون غلو ولا تقصير.

فنحن نلح على ضرورة الفهم الصحيح لهذا المصطلح ، فإذا كان المقصود منه تعجيز وتحقير اللغة العربية، فهذا ما لا يقبله عاقل، أما إن كان المقصود به مجرد إتقان لغة أخرى أجنبية بغرض الانفتاح والتطوير، مع إتقان أو على الأقل معرفة اللغة الوطنية، فهذا مما نشجع عليه وزيادة، وبدل أن نقبل بالازدواج اللغوي نطلب "التعدد اللغوي"، وإتقان أكثر من لغة، ومن تعلم لغة قوم أمن شرهم، وفي اختلاف الألسن آية من آيات الله تعالى في الكون والوجود.

وإنه مما لا شك فيه أن الفرق الشاسع بين موقف العرب اليوم من لغتهم وموقف أجدادهم منها يعزى إلى الوزن الحضاري الذي كان للأمة العربية وافتقدناه اليوم، وقد كان من فضل الغلبة التاريخية أن العرب قد تعاملوا في الماضي مع التعدد اللغوي من موقع القوة والإيمان الراسخ بقوة هذه اللغة، فسلم موقفهم من كل العقد النفسية والفكرية والثقافية والحضارية التي نعاني منها اليوم.

إن حاجتنا اليوم ليست إلى لغة عصرية وحسب، بل إلى تدبير عصري للتخطيط اللغوي، فاللغة قد تكون عصرية، علمية، عالمية، حية فيقتلها التدبير الضعيف لشؤونها، وقد تكون ميتة جامدة فيحييها من يحسن التخطيط للإحياء اللغوي[1]. فليس من سنن العمران أن تتعلم اللغة القومية تعلما من كتب القواعد والمطالعة إنما طريقها الصحيح أن تدرج مع الوليد في مهده وأن تنمو بنموه، وأن تختلط بحاجاته ورغباته وتمتزج بذوقه ومزاجه وأن يسمعها في مناغاة أمه وترقيصها إياه[2].

ولعل من أهم الصعوبات التي تواجهها في العصر الحاضر، قلة الإلمام بمنهجية البناء اللغوي، ونقصد بذلك أنه لا يوجد منهج علمي مدروس لتدريب

---

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب، ص68.

[2] محمد حلمي هليل، ملاحظات حول الازدواج اللغوي في العربية، ص100.

التلاميذ والطلبة على تفعيل اللغة الصحيحة منذ الصغر. وإن قطاع التربية والتعليم لابد أن يستقطب أحسن وأذكى وأكفأ المتخرجين من كل جامعة.

إن ما ينقصنا نحن في بلدنا هو خلق برامج تأهيلية وتدريب الموارد البشرية وتحسين مستوى التدريس وإعطاء فرص للمعلمين لكي يجددوا معلوماتهم، فإذا كانت الدول المقدمة تفتح جامعاتها بانتظام خلال الصيف لتدريب المعلمين وتحسين مستواهم وتجديد معلوماتهم، فإن الجامعات في بلدنا تغلق أبوابها وكل الناس يلهثون وراء العطل بما فيهم العاطلون عن العمل.

وفيما يأتي عرض لنماذج حقيقية لإدراك الأمم لأهمية اللغة في وجودها:

1_ قررت فرنسا سلوك نهج جيرانها باشتراط اللغة معيارا للانتماء الوطني (التجنيس) كما هو الحال في ألمانيا وانجلترا (بريطانيا) وإسبانيا وكندا.

وإنك وأنت تطالع قوانين التجنيس في الدول الأوربية لن تجد اختلافا كبيرا حول "الشرط اللغوي" باعتباره محددا للانتماء الوطني، باستثناءات قليلة (إيطاليا)، فدأبت الأنظمة الأوربية بمختلف توجهاتها الإيديولوجية على ربط التجنيس باللغة أو اللغات الرسمية للدولة، **مما يعني حرمة الوطن من حرمة لغته.**

وقد تولد هذا القران الضروري بين السلطة والوطن عبر مسار تاريخي وقناعات إديولوجية تكون اللغة هي أحد أهم عناصر اللحمة الاجتماعية بين أبناء الوطن. حيث إن الحفاظ على وجود الدولة وتلاحم أجزائها وقوتها الجيوستراتيجية لا يتحقق دون مكون لغوي يضمن الانسجام بين الأفراد ويؤمن مستقبلهم المعرفي.

2_ الصين والفيتنام واليابان وغيرها..كلها تدرس كل علومها باللغة الوطنية.

3_ بعد استعمار الجيش البريطاني الكوبيك عام 1759، وبعد أربع سنوات، أصبحت كندا بريطانية، ومع ذلك احتفظ الكنديون الناطقون بالفرنسية بهويتهم الثقافية في معظم الأحوال، تحت كنيسة روما وهو ما سمحت به بريطانيا

في مرسوم العام 1774(...) ومنذ البداية نظر للغة باعتبارها أهم وسيلة للحفاظ على الهوية الثقافية، وباعتبارها المكون الأساسي لها، وقد أعلنت الكنيسة بالفعل أن الولاء اللغوي هو شأن من شؤون الإيمان، محاولة أن تواصل سيطرتها على رعاياها بواسطة الشعار المشهور "Qui perd sa langue perd sa foi". "من يفقد لغته يفقد إيمانه".[1]

4- التجربة اليهودية وإحياء اللغة العبرية اللغة الرسمية اليوم لإسرائيل ،بعدما كانت لغة ميتة فأنجز معجمها التاريخي سنة 1999م (والمعجم التاريخي للعربية لم ينجز بعد)، وأصبحت لغة العلوم والثقافة يدرس بها الطب والهندسة والكيمياء والفلك وكل العلوم والاختصاصات الإنسانية والدينية والروحية واللاهوتية ، رغم أن الشعب الإسرائيلي هو من أخلاط شعوب أوربية تجيد لغات حية أكثر تطورا وتقدما من اللغة العبرية.

5_ الشعب الإيطالي المعتز بلغته إلى أقصى الحدود حتى إنه لا يستعمل كلمة Allo الفوق عالمية بل يستعمل كلمة "ترنطو" مكانها.

وغيرها كثير جدا..

وقد صرنا نستحي من ذكر هذه الأمور وعربيتنا تقول على لسان الشاعر العربي حافظ إبراهيم:

رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عدائي.
وسعت كتاب الله حفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات.
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات.
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي.
ويكفيها شرفا أنها لغة خاتم الكتب السماوية المقدسة.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[1] اللغة والاقتصاد ، عالم المعرفة ،2000 ،دط، ص 122.

قائمة المصادر والمراجع:

1_ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط القاهرة، 1988 ،ج.2

2_ جعفر دك الباب، نظرة جديدة إلى قه اللغة، دار الأهالي، دمشق، 1989، ط.1

3_ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، مكتبة مصر، 1988. ط 1،ج4

4_ عبد القادر الفاسي الفهري،أزمة اللغة العربية في المغرب، بين اتصالات التعددية وتعثرات "الترجمة"، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، ط.5

5_ عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية عالمية في الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف البليدة، 2001، دط.

6 _عزّة حسين غراب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور، التطوّر الهوية، مكتبة نانسي دمياط ،مصر، 2005، د ط.

7_ المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الرباط، 1994، ط2 (مزيدة ومنقحة).

8_ محمد سواعي، أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر، مقدمة تاريخية عامة، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1999، دط.

9_ مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1981، ط.2

10_ مصطفى صادق الرافعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني1981، ط3.

المجلات والدوريات:

11_ المجلة العربية للدراسات اللغوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، 1986، العدد1، المجلد.5

12_ اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، 1984-1985، ع.24

13_ المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2001، ع4.

تفاسير القرآن الكريم :

14_ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ج3،

15_ الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، لبنان، 1984، ط6 (طبعة جديدة مصححة)، ج4

إسهام التعددية اللسانية في تعليم اللغة العربية

د. رشيدة آيت عبد السلام

المدرسة العليا للأساتذة – الجزائر

تمهيد

ككل بلاد العالم، ترغب الجزائر في إنماء اللغة العربية وتطويرها، لأن رقي اللغة من رقي الوطن؛ وترغب في إتقان اللغات الأجنبية حتى تتواصل مع العالم وتحتل مكانا بارزا في المحافل الدولية وتربط علاقات مع كل بلد يمكنها أن تتبادل معه المصالح والخدمات في شتى مجالات الحياة.

غير أن هذه النيات النبيلة لم ترافقها كثير من الأفعال الملموسة التي من شأنها تحقيق الرغبات وتجسيدها على أرض الواقع، نظرا لجسامة المشروع وتعقيده وتشعبه.

فتطوير اللغات لا يقتصر على إصدار القوانين الرامية إلى الحفاظ على اللغة العربية وإجراء دراسات في تخصصات كثيرة (علوم اللغة، علم الاجتماع، علم النفس، التاريخ...)، وإن كان هذا الأمر أساسيا، والمؤسسات الجزائرية مثل المجمع اللغوي والمجلس الأعلى للغة العربية ومركز البحث من أجل ترقية وتطوير اللغة العربية والمخابر الجامعية، لم تقصِّر في هذا المجال، ولكن الأمر الأصعب هو إنزال هذه النتائج إلى ميدان الواقع لأنه هو المحك الحقيقي لنجاعة هذه الأعمال مهما كانت قيمتها العلمية، وتطبيقها في مجال التعليم بشكل خاص، وكذلك في مجال وسائل الإعلام والإشهار والترجمة. وهكذا تحقق الدولة ترقية اللغة العربية الفصحى وقد تستغل اللهجات المحلية من أجل التقريب اللساني والتفاعل اللغوي وخلق ديناميكية بين أفراد المجتمع وإشعارهم بأن اللغة العربية (مهما كان مستواها) ذات بعد جامع وليس العكس.

ومسألة إتقان اللغات الأجنبية، وإن حظيت بتحديد غايات ومرامي بعيدة المنال، شريفة في طبيعتها، لكنها غير كافية نظرا للواقع المعيش بأشكاله المختلفة. ولأن التحكم في اللغات الأجنبية صار مطلبا مصيريا اليوم، في عالم تجسِّد فيه الهيمنةُ اللغوية الهيمنةَ السياسية والاقتصادية، فضلا عن الهيمنة اللغوية والثقافية، و" الصم البكم " الذين لا يتفاعلون مع أصحاب هذه اللغات (المسيطرة) يصابون بالتوحّد ويعيشون على الهامش. فلا مكان لهم في مستقبل العالم الذي يشيّد ويبني ويرتقي ويصنع مصيره ويحدد للآخرين مصيرهم ويعيّن لهم مكانهم في هذا الكون الذي أصبح ملكا له.

وبناء التعدد اللغوي (من أجل التحكم في اللغات الأجنبية)، ينطلق هو كذلك من قرارات سياسية توجهه وتضبط حدوده وغاياته، ثم تجسده في التعليم وفي وسائل الإعلام والإشهار والترجمة.

وسواء تعلق الأمر باللغة العربية وروافدها (أي اللهجات المحلية)، أو باللغات الأجنبية، فسيرورة الإنماء ومسالكه مشتركة في كثير من الجوانب.

أولا – وصف المشهد اللغوي الجزائري

تتعايش في الجزائر عدة لغات ذات نظم متباينة أو متقاربة، نشأ عن احتكاكها تلاحمٌ تجسده لغة الفرد الجزائري التي تتقاطع فيها المفردات والتراكيب وتختلط. وعليه، يتميز المشهد اللغوي الجزائري بوجود ثنائية بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، وازدواجية، بل وتعددية بين اللهجات العربية واللهجات الأمازيغية (القبائلية، الشاوية، الشنوية، المزابية...). وقد نجم عن هذا الثراء اللغوي ظواهر لغوية محلية تعدّ نتيجة امتزاج هذه اللغات، إذ تتلوّن اللغة العربية بسبب مجاورتها للهجات المحلية و/أو اللغة الفرنسية، فتختلط وتتداخل معها حينا، وتتباين وتنفصل عنها أحيانا، تبعا للسياق ومجال الاستعمال وللمستعمل وما يهدف إليه.

يقترن استعمال اللغة العربية الفصيحة بالمدرسة والتعليم وببعض الوظائف، لذا يرى دارسون أن " مأساة اللغة العربية ناتجة عن كونها لم تستعمل للتعبير عن الحاجات اليومية"[1].

فالجزائري، شأنه شأن كل مستعمل للغة، يستعمل التوليد والاقتراض والنحت... لإنشاء عبارات وكلمات وإبداع صور وتراكيب، تعبيرا عن حاجات خاصة أو نمط معيشي مميّز. ما يجعل البعض يتحدث عن لغة فرنسية جزائرية أو مجزأرة ولغة عربية فصيحة ذات تلوينات مغاربية (مقابل لغة عربية ذات تلوينات مشرقية). تعكس هذه الظاهرة تفاعل وحركية اللغات التي تتعايش في وسط واحد، إذ تصطبغ بالمكان الذي تمارس فيه وبأهل هذا المكان، مثلما تتأثر بما يدور في العالم.

وهذا أكبر شاهد على حياة اللغة وحيويتها وقابليتها للتفاعل والحركة، فهي شديدة الحساسية والطواعية والمرونة، تستجيب لحاجات المستعمل. فلا يقع فيها أي تغيير دون سبب ومسبّب.

ولأن اللغة تعكس نمط حياة الأمة وتفكيرها، فهي تجسد كذلك تاريخها، لأن " العمل على الربط الوثيق بين الإنسان ولغته هو الإنجاز الأكبر المنتظر من مؤسساتنا التعليمية والثقافية والعلمية والإعلامية، ومراكزنا البحثية، وقياداتنا السياسية لكون هذا الربط يمثل المصير العربي"[2].

وعلم المرء بلغته وقدرته على التعبير والإبداع فيها من أوليات الحفاظ على الذات الحضارية؛ فلا تحيى اللغة ولا تحظى بالذيوع والانتشار إلا عندما يحقق أهلها إنجازات يُعتدّ بها في التطور الحضاري. فالأسلاف مثل ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي طوعوا اللغة العربية لمصطلحات شتى العلوم والفنون والآداب فكوّنوا ذخيرة علمية وأنتجوا حضارة وبيّنوا مدى اتصال نمو اللغة بنمو العلوم.

---

[1] LAROUSSI Fouad : Plurilinguisme et identité au Maghreb. France, Publications de l'Université de Rouen, 1997. P18

[2] د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة.الأردن، علم الكتب الحديث، 2009. ص 1

اللغة العربية بنية جامعة مانعة أي " أنها غانية بنفسها عما عداها، فلها من أصولها وقواعدها ومعجمها ما يتيح لها أن تكون أداة للتواصل بين الناس، دون أن تفتقر إلى أصل أو قاعدة من لغة أخرى، ومعنى كونها مانعة أنها ترفض قبول هذه العناصر التي استغنت عنها بكمال ذاتها. فهي ترفض أن تضيف إلى قواعدها شيئا جديدا (كتقدم الصفة على الموصوف) ولو حدث شيء من ذلك لانهدّت البنية وتحطمت، ولم تعد النتيجة صالحة لأن توصف ب " العربية" [1].

وهي تشارك في الصراع بين اللغات في سبيل البقاء والسيطرة، فيفضي تفاعلها إلى التأثير والتأثر ويسهم في التطور اللغوي. وتختلف آثار هذا الاحتكاك والتداخل بين اللغات، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الظاهرة، فقال: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضّيم على صاحبتها"[2].

يستعمل الجزائري اللغة العربية واللغة الفرنسية، ولهجة عامية عربية و/أو أمازيغية، وينتقل بين أنظمة لغوية مختلفة، منها المتباينة ومنها المتشابهة، فيكيف بعض جوانبها ويجعل منها نظاما جديدا، وكثيرا ما لا يكون واعيا بهذه العمليات. فتأتي لغته زخرفا يشكّله بطريقة طبيعية ونفعية ووظيفية، تحقيقا لغايته وهي التعبير عما يريد. وتجتمع هذه الاستعمالات الفردية لتكوّن اللغة الجارية المميّزة لرقعة جغرافية معينة.

يقع التواصل الشفهي بين أفراد المجتمع باللهجات، وهي لغات شفوية تخضع ضوابطها غالبا للتداول والاستعمال. على خلاف اللغة العربية الفصيحة واللغة الفرنسية اللتين يتقيّد مستعملهما حتما بقواعدهما المعيارية؛ وإن كان المتحدث بهما، يراعي – عندما يتكلم– ضوابط اللغة الشفوية التي تختلف في بعض الجوانب عن ضوابط اللغة المكتوبة.

---

[1] د. كارم السيد غنيم. ص 46

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1. ص 368

تطبع الثنائيةُ البيئةَ اللغوية في الجزائر و "تدل على الوضع اللغوي في المجتمع الواحد الذي يستعمل لغتين مختلفتين، كالفرنسية والإنجليزية في كندا مثلا bilinguisme"[1]، وهي قدرة الفرد على استعمال لغتين، يمكن اعتبار كل واحدة منهما، بوجه أو أكثر، لغة أصلية بالنسبة إليه؛ "أما الازدواجية فتعني تزامل مستويين في اللغة الواحدة على مستوى الكتابة، والأخرى على مستوى الخطاب الشفوي في الشؤون اليومية"[2].

غير أن الثنائية أو التعددية اللغوية لا تعني أن الفرد متحكّم في لغتين أو أكثر بدرجة واحدة، فالتفاوت موجود بين لغة وأخرى وبين الجانب الكتابي والشفوي. ومع ذلك، كثيرا ما تطلق صفة ثنائي اللغة أو متعدد اللغة على شخص بمجرد معرفته لبعض المفردات والصيغ من لغة ما. فاستعمال الفرد أو الجماعة للغتين بدرجات متفاوتة يظهر في إتقان أية مهارة من مهارات اللغة؛ وقد أُطلق على هذه الظاهرة التناوب اللغوي، الذي أصبح سمة مميزة لمن يتحدث بلغتين.

تباينت وجهات النظر في آثار الثنائية، فبعضهم يرى أنها تشكل مشكلة للفرد المتكلم بلغتين، الذي يعاني من " بطء القراءة والطلاقة وتَمَثُّل المعرفة عند ثنائيي اللغة مقارنة بها عند مفردي اللغة، ويعزى ذلك إلى أن القدرة اللغوية مبدّدة عند ثنائي اللغة بين لغتين، مما يفضي إلى تدني الكفاية اللغوية في كل لغة منها عن المستوى الذي يمكن أن تكون عليه لدى أحادي اللغة"[3].

في حين يرى آخرون" أنها ظاهرة عالمية تدل على الارتقاء الحضاري باعتبارها وسيلة لتبادل الآراء والأفكار ومسايرة التطور العلمي، والثنائية يمكن أن تقود إلى لغة مهجنة من اللغتين المتحدث بهما، لكنها لا تصل في سلبيتها إلى أن

---

[1] د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة : اللغة العربية وأسئلة العصر. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007. ص 100

[2] المرجع نفسه. ص 100– 101

[3] المرجع نفسه. ص 23

تصبح مشكلة كالازدواجية، بما فيها من تنوع لهجي له آثاره السلبية التي تشمل الفكر والتربية والشخصية والأخلاق"[1].

وحتى المتعلم الذي يدرس اللغة العربية الفصحى لذاتها كمادة ويدرس بها المواد الأخرى مدة اثنتي عشرة سنة، فإن درجة تحكّمه فيها لا تسمح له غالبا بالاعتماد كلية عليها في شتى المواقف المدرسية والاجتماعية؛ ما يجعله يستعين باللهجة العامية أو باللغة الفرنسية، فيستعير ألفاظا من الأولى وعبارات من الثانية وربما تركيبا من لغة ثالثة، ويشكل خطابا ذا طابع خاص.

نشاهد هذا الوضع في الجامعات العربية "إذ إن كثيرا من التخصصات العلمية خاصة، تدرّس بلغات أجنبية مما يجبر الطلبة على التناوب في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي والمصطلحات التي لا مقابل لها"[2].

كثيرا ما تتعالى أصوات للتنديد بقلة تحكم الجزائري في اللغات (العربية الفصيحة والفرنسية)، شفويا وكتابيا، والأدلة على هذا الضعف بادية في الحديث والكتابات الصادرة عن شرائح اجتماعية مختلفة المستويات الثقافية وفي مواقف شتى، إذ تشمل هذه الظاهرة المثقف والرجل السياسي والموظف السامي كما تشمل الأستاذ والتلميذ والطالب في جميع المستويات. فاختراق الضوابط النحوية والصرفية والإملائية– أو جهلها– أمر مشاع مشافهة وكتابة. وإذا كانت نسبة من يتقن لغة واحدة (العربية أو الفرنسية) إتقانا كبيرا هي نسبة قليلة، فإن عدد مَن يتقن لغتين بنسب متقاربة أقل بكثير، بل يكاد يكون هذا الصنف نادرا. ومع ذلك، وحتى في هذه الحالة، لا يستطيع المتحدث أن يمتنع عن الخلط بين اللغة الفصيحة واللغة الفرنسية (وعادة ما يكون تأثير لغة من هاتين اللغتين على الأخرى أقوى) وكذلك العامية، فيركب جملة بلغة ويدرج فيها كلمات من لغات أخرى. ونادرا ما يتحدث الجزائري بلغة واحدة، حتى وإن كان في مجلس تواصلي

---

[1] المرجع نفسه. ص 103

[2] المرجع نفسه. ص 114–116

"مخطط" (مقابلة صحافية، حصة إذاعية أو تلفزيونية، معاملات رسمية، محاضرات...).

هذا التداخل وهذا الخلط بين لغتين أو أكثر وبين لهجتين أو أكثر يمثل ميزة لغة الفرد الجزائري، أما الظاهرة الأقل شيوعا فتتمثل في استخدام لغتين جنبا إلى جنب مع التفريق بينهما بحسب مقتضى الحال، أي أن المتحدث إذا كان يجلس مع أجانب سيتحدث معهم باللغة التي يفهمونها وإذا كان مع أناس يتكلمون اللغة العربية فسيستخدم اللغة العربية.

تختلف اللهجات عن اللغة الفصحى بكونها تقوم في كثير من الأحيان على تبسيط قواعد اللغة الفصحى واستخدام مفردات شبيهة تتسم بالاختلاف في النطق. لذلك نجد عائلتين من اللهجات: تلك الواقعة في المشرق والتي تقع في دول المغرب العربي، وإن كان لكل بلد عربي لهجاته الخاصة به. وبالرغم من اختلاف اللهجات، إلا أننا نعثر على استمرارية من لهجة إلى أخرى، فاللهجة المغربية تشبه اللهجة التونسية إلى حد بعيد، وتختلف عن اللهجة المصرية اختلافا كبيرا.

يمكن اعتبار اللهجات اللغةَ الأم للناطقين باللغة العربية، واللغة المشتركة هي لغة محورية بالنسبة إلى اللهجات المختلفة، إذا استثنينا الكلمات والعبارات ذات الأصل الأجنبي التي تستخدمها هذه اللهجات. الأمر الذي جعل المتحدثين بها لا يتفاهمون دائما فيما بينهم، على الرغم من اشتراكها في كونها شكلا مبسطا للعربية الفصحى.

وكون اللغة العربية الفصحى لغةً رسمية، لا يعني رفضَ اللهجات المحلية، لأن دور اللغة الفصحى يختلف عن دور اللهجات من الناحية الاجتماعية. فعندما يتعلق الأمر بتوجيه خطاب إلى الشعوب العربية (في مناسبات سياسية، أو ثقافية أو غيرها)، يفضّل استعمال لغة عربية مبسطة لمخاطبة الجماهير العريضة، ضمانا لفهم أحسن. فلا يوجد جدار بين اللغة العربية الفصحى والعامية العربية، بل هما متصلتان حين يَجمع المتكلمون، في تبادلات اللغة الحقيقية، بين اللغة

الفصحى واللغة العامية تبعا للسياق. وهكذا يميّز الواقع اللغوي العربي بين مستويين من العربية: فصيح وعامي، وهما مستويان متمايزان متكاملان، لا يحتل أحدهما موقع الآخر. فالفصحى هي لغة القرآن "واتصال الطبقة الأمية بها يكاد ينحصر في الجانب الديني المقدس" [1]، بها دوّن تاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم، أما العامية فيتمثل دورها في التعبير الشفوي عن حاجات الحياة اليومية.

ثانيا – مجالات بروز التعدد اللغوي

يظهر التعدد اللغوي في لغة الفرد الجزائري في مختلف المواقف والمناسبات، مثلما يظهر في قطاعات لصيقة بحياته اليومية، حيث تعكس استعمال المجتمع للغات وتطويعه لها بحسب الحاجة.

يسهم **التعريب** في منح اللغة العربية منزلتها الطبيعية كلغة وطنية تضطلع بمهمة التعبير، بصفة أساسية، على كافة المضامين والمفاهيم المتداولة في المجتمع، كما تعتمد لغة أساسية في البحث والتعليم بجميع مراحله وتخصصاته، وتتخذ لغة عمل الإدارة والاقتصاد والإعلام وكافة مرافق المجتمع ومؤسساتها. وبهذا المعنى، يهدف التعريب إلى تحقيق وضع لغوي طبيعي في الأقطار العربية، تعتمد فيه اللغة الأم لغة أساسية، كما تعتمد اللغة الأم في مختلف البلدان التي لا تخضع لتبعية لغوية ثقافية.

وقد أدركت الجزائر هذه الأبعاد وأصدرت " قانون تعميم استعمال اللغة العربية " في 16 / 01 / 1991، الذي " يوجب على كل المؤسسات أن تعمل لترقية اللغة العربية وحمايتها وحسن استعمالها ويلزم جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باستعمال اللغة العربية

[1] LAROUSSI Fouad : Plurilinguisme et identité au Maghreb.p18

وحدها في أعمالها، وفي التعليم والتربية والتكوين في كل القطاعات وفي جميع المستويات والتخصصات (مع مراعاة كيفيات تدريس اللغات الأجنبية)[1].

أما **الترجمة** فتعدّ ضرورة من ضرورات حياة الأمة، تحقق التواصل الفكري الدائم مع العالم الخارجي، وتمثل مفتاحا أساسيا من مفاتيح ملاحقة ركب التقدم العلمي والترقي التقني، بفضل ما تؤديه من انفتاح على المخترعات العالمية والمكتشفات العلمية وإطلاعنا على ما حققه العالم المتقدم من رقيّ. إضافة إلى هذا، فإن انتشار حركة الترجمة والعناية بها يفيد اللغة العربية ذاتها بما تقدمه لها الترجمات من إضافات جديدة في الألفاظ والمصطلحات والمعطيات العلمية والفنية.

إن أية أمة تترجم عند الضرورة، أي عند شعورها بحاجة دينية، أو حاجة للعلاج، أو للتقدم الصناعي، أو لكشف المجهول. كما تترجم للمتعة الروحية أو لاستكمال المعارف، أو لتقوية وشائج التفاهم بين الأمم.

وتبرُز ضرورة الترجمة بوجه خاص في مجال البحث العلمي في عالمنا العربي، لعدم وجود الكتب العلمية الدراسية والمرجعية باللغة العربية أو لندرة هذه الكتب. واقتصار تداول المعرفة بالإنجليزية يحرم المجتمعات العربية الاستفادة من هذه المعارف، ويظهر هذا أكثر ما يظهر في البحوث العلمية المتخصصة والرسائل الجامعية، إذ إن كثيرا من الطلبة الذين لا يتقنون اللغات الأجنبية، يحجمون عن دراسات مهمة بالنسبة إلى مجتمعهم، لأن معظم ما نشر في هذا الميدان إنما نشر بلغة أجنبية، نذكر على سبيل المثال مجال علوم اللسان الحديثة ومجال التعليميات والمجال التربوي الذي يتناول التقييم والمناهج التعليمية والكتب المدرسية وشبه المدرسية... فيؤثر هؤلاء الطلبة السلامة ويعيدون طرح موضوعات تقليدية قد تكون عديمة الجدوى، بل إن بعضهم يدرس موضوعات

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية . العدد 03، 30 جمادي الثانية عام 1411 هـ الموافق ليناير سنة 1991.ص44

جادة ولكن افتقاره للإنجليزية أو الفرنسية وانعدام ترجمات عربية يجعله يقصّر في عمله الذي كثيرا ما ينتهي إلى أحكام عامة ونتائج متضاربة.

فلا يمكن لأي باحث جامعي أن يستغني عن إتقان لغة أو لغات أجنبية، إضافة إلى إتقانه اللغة العربية الفصيحة، مهما كان المستوى والمجال اللذان يشتغل فيهما، حتى يسهل عليه مراجعة المصادر بتلك اللغة الأجنبية والإفادة من المجلات المتخصصة التي لا تتوافر باللغة العربية.

وإتقان اللغة يعني القدرة على ترجمة مصطلحات مجال التخصص، " إن اقتباس اللغة العربية، عند الضرورة، ألفاظا أجنبية، لا يضيرها بل يغنيها ويحل المشكلات التي تعترض سبيل تعريب العلم والتعليم، شريطة أن يتم هذا الاقتباس بروية وأناة ويعتمد فيه على الذوق السليم ويراعى فيه بناء اللفظة العربية على وزن مألوف من أوزان العربية"[1].

فلا يكفي أن نقر أن ترقية الترجمة تعني رفع المستوى العلمي في الجامعات العربية، وأنها ترقية للغة العربية التي ينعكس عليها كل نشاط يعمل على النقل منها وإليها، ودراسة خصائصها ومقارنتها بنظام اللغة الأجنبية التي تشاركها في هذا النقل.

تستعين الترجمة **بالمجامع اللغوية** للتحقق من عملها ومنحه مصداقية علمية. وهذه المجامع، وإن كانت تحظى بالرعاية الرسمية، إلا أنها تفتقر إلى الصلاحيات التنفيذية التي تخوّل لها الاتصال مباشرة بالمجالات التي تحتاج إلى نتائج نشاطها لتؤسس عليها تطويرَ نفسها، ولا يمكنها التنسيق بين قطاعات تشتغل على موضوع واحد (اللغة العربية)، ومن أجل أهداف مشتركة (ترقية اللغة العربية)، ما يجعل جهودها مبعثرة، وثمراتها حبيسة الأدراج أو الرفوف، لا تستغل ولا يستفيد منها مَن هو في أمس الحاجة إليها.

---

[1] المرجع نفسه. ص 67

وإذا كان التحكم في اللغات ضروريا لنمو الترجمة وتطويرها، فهو ضروري أيضا في مجال **النشر**، وخاصة النّشر باللغة العربية في الجزائر، نظرا لما نلاحظه في الكتب والجرائد والمجلات من إهمال للسلامة اللغوية (نحوا وصرفا وإملاء)، رغم أن اللغة المستعملة هي اللغة العربية الفصيحة، وكأن الحرص على الصحة اللغوية، ومراعاة ضوابط اللغة أمر اختياري أو كمالي أو ثانوي. في حين وضعت البلاد الغربية المتقدمة آليات دقيقة وصارمة تتكفل بالتدقيق اللغوي أو المراجعة اللغوية (التي لا تقل أهمية عن المراجعة العلمية) لجميع المنشورات التي تصدر في كل مجالات المعرفة. والآليات نفسها موجودة في كل وسائل الإعلام. وهكذا يعبر البلد عن سعيه الملموس (وليس مجرد قرار مكتوب يبقى حبرا على ورق) من أجل حفاظه على لغته بحرصه على سلامتها من الأخطاء وتحكمه في رصيدها الإفرادي وفي تأثرها بغيرها وتأثيرها فيها.

يعتبر **الإشهار** كذلك من أحسن المؤشرات التي تحدد درجة حيوية الترجمة ونشاطها أو خمولها وتأخرها عن الركب. ومثال على ذلك عزلة اللغة العربية عما يجري على ألسنة الناس، فجلّ ما يُشرب ويؤكل ويلبس ... مستورد ومسمّى بلفظة أجنبية. ما يجعل اللافتات التجارية ترسّخ توجهات معيّنة في أبناء الوطن العربي، "فالمسمى الأجنبي يعمل على بناء تصور عن العالم ونمط من الوجود تقوم مرجعيته الأساسية وأحكام قيمته على التماهي مع حضارة الآخر، دون النظر إلى ما يستبطنه هذا النهج من وبال على اللغة والثقافة العربيتين"[1].

وحالة الإشهار في الجزائر، لا تختلف عن الوضع العربي، إذ يعتمد الإشهار على اللغة الفرنسية الجارية واللغة العربية الجارية القريبة من اللهجة العاصمية، كثيرا ما تتخللها كلمات فرنسية أو إنجليزية الأصل (Kit ،Flexy mains libres ...).

[1] د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة : اللغة العربية وأسئلة العصر . ص 34

تستعمل مفردات من اللغة العربية الفصيحة بأخطاء إملائية (حفاضات)، ودون مراعاة قواعدها الصرفية أو تركيب جملها، وكثيرا ما يُستعان باللغة الفرنسية لاستعمال أدوات العطف والتعليل والاستنتاج (justement، parce que،...donc). رغم أن قانون التعريب أوجب، في المادة 16،

" أن يكون الإعلام الموجه للمواطن باللغة العربية... ويمكن أن يكون الإعلام المتخصص أو الموجه إلى الخارج باللغات الأجنبية"[1].

مع انتشار استعمال الشبكة العنكبوتية، " شهدت **اللسانيات الحاسوبية** العربية تطورات ملحوظة، وصارت خدمة اللغة العربية هدفا أساسيا ومهما من أهداف معالجة العربية آليا، ظهر في استخدام العربية في تصميم الحاسوب، بتعريب البرامج ولوحة المفاتيح، والطباعة العربية، والنشر الإلكتروني باللغة العربية. فكان أن انتشرت مواقع كثيرة تنشر صفحات هائلة بالعربية (الصحف، دور النشر، الجامعات، الدوريات، المؤسسات الحكومية). كما تمت معالجة اللغة العربية نحويا وصرفيا ودلاليا ومعجميا، قصد إثبات أن تحديات الحوسبة خيار استراتيجي لدعم العربية ونشرها... مما يؤمن للعربية ديمومة على المدى البعيد بوصفها لغة تكتب وتقرأ وتتداول يوميا في الحاسوب وشبكة المعلومات ووسائل الإعلام"[2].

إضافة إلى ما سبق، تلعب **وسائل الإعلام** دورا كبيرا في التنمية اللغوية والنهوض بالمستوى اللغوي العام على نحو يحقق الوحدة اللغوية في إطار المعاصرة، بحكم تأثيرها في تكوين السلوك اللغوي تأثيرا قويا. فاللغة هي حجر الأساس في العملية الإعلامية بتعدد قنواتها وتنوّع وسائلها واختلاف اللغات التي تستخدم فيها. تنص المواد 11 و 17 و 19 من قانون التعريب (1991) على "عرض الأفلام السينمائية والتلفزيونية والبرامج باللغة العربية (أو تكون معربة أو

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. العدد 03، سنة 1991. ص 45

[2] المرجع نفسه. ض 47-51

ثنائية اللغة)"[1]. غير أن هذا القرار السياسي طُبق جزئيا ولمدة معيّنة ثم تنوسي. لذلك يخلص الباحث عز الدين المناصرة إلى أن "غياب الحكومات الجزائرية المتعاقبة عن متابعة موضوع التعريب والاكتفاء بالشعارات وغياب آليات حديثة، حيث اقتصر الكلام على الوسائل السمعية والبصرية واستخدامها وكأنها هي الحل السحري لمشكلة اللغة، والأهم من ذلك لم تنجز الحكومات المتعاقبة مشروع دراسة علمية للمسألة الألسنية في الجزائر... فالتخبط في التجريب كان من سمات التعريب... غياب التخطيط والمتابعة وغياب الأبحاث العلمية الألسنية... ترك المجال للسطحيين من أنصار التعريب لتحويلها إلى مشكلة شعاراتية"[2]. ثم يضيف قائلا: "تأخرت الدولة الجزائرية في مسألة التعريب، وكانت غير جدية في تطبيقه. كما لم تأخذ بالوسائل المعرفية الحديثة لتطبيقه تدريجيا، بعد قراءة الواقع الألسني للإنسان الجزائري"[3].

يبرز التعدد اللغوي في **الإشهار ووسائل الإعلام** ، حيث تعايش اللغة العربية الفصيحة الفرنسيةَ تارة واللهجاتِ المحلية، العربية منها والأمازيغية، تارة أخرى. ويستعمل الإعلاميون اللغة الفصيحة ويمزجونها بالعامية بنسب تتفاوت من منشِّط إلى آخر، ومن مُذيع إلى آخر، ومن صحافي إلى آخر، مجسّدين مستوى أدائهم اللغوي في خطاباتهم.

وانتشار قنوات **البث الفضائي** العربي يلعب دورا في الترويج للعامية في كل بلد، كما أن مقدمي البرامج كثيرا ما يستخدمون المفردات العامية يدرجونها في تركيب اللغة العربية الفصيحة. فلغة وسائل الإعلام تتأرجح (ضمانا لفهم المتفرج العربي) بين اللغة العربية الجارية والعامية القريبة منها (ضمانا لفهم المتفرج المحلي)، فهي " في معظمها، تستخدم اللغة العربية في التواصل مع الجماهير،

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. العدد 03، سنة 1991. ص 47

[2] عزا لدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب. الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999. ص 31

[3] المرجع نفسه. ص 40

مع تباين مستويات العربية بين فصحى وعامية" [1]. والشاهد على ذلك الحصص التفاعلية التي تقدمها القنوات الفضائية في مختلف المجالات، والتي تسمح باتصال المتفرجين العرب من مناطق شتى في العالم، حيث يجري الحوار بينهم وبين منشط البرنامج بالفصحى المختلطة بالعامية، فحذف منها الكلمات الخاصة بلهجة المتفرج إن لم يكن من بلد مقدم البرنامج، وتستعمل إن كانت من لهجة مقدم الحصة أو مكان بث الحصة.

ثالثا– تحديث تعليم اللغة العربية

تحظى اللغة العربية بمكانة مميّزة في الجزائر إذ تُعدّ مركّبا أساسيا من مركّبات الشخصية الوطنية، وفضلا عن كونها لغة وطنية إلى جانب اللغة الأمازيغية (أصبحت اللغة الأمازيغية لغة وطنية منذ 2002، تدرس في بعض المناطق من الوطن وفي بعض الجامعات)، فهي اللغة الرسمية ولغة التعليم.

في قطاع التربية، تُدرَس اللغة العربية في مراحل التعليم الثلاث كمادة وتدرّس بها كل المواد الأخرى: الاجتماعية منها والعلمية.

وضعت وزارة التربية الوطنية في الجزائر حيّز التنفيذ مناهج تعليمية جديدة منذ 2004/2003. ومما جاء فيها، سعيا لتحديث تعليم اللغة العربية، التركيز على الممارسة اللغوية الوظيفية، وإنماء القدرات التواصلية، إذ يعمل هذا التوجّه على التخفيف من الحفظ والتلقين والاعتماد على نشاط المتعلم بتمكينه من موارد لغوية ومهارية يدعى إلى استعمالها لإنتاج خطابات مكتوبة وشفوية.

ويرجع فضل هذه النقلة النوعية في تعليم اللغة العربية إلى استفادة تربوييننا ولغوييننا من الدراسات الحديثة التي أجريت حول تعليم اللغة الأم – بوجه خاص– في البلاد الغربية.

غير أن واقع الميدان يبيّن أن أثر هذا التحوّل ما زال محدودا ونسبيا، بسبب ضعف تكوين أساتذة اللغة العربية وقلة اطلاعهم على إنجازات علوم

[1] المرجع نفسه. ص 156

اللسان الحديثة وتعليمية اللغات في الغرب، خاصة وأن جلّهم لا يتقن اللغة الفرنسية. لذلك ما زال كثير من المعلمين يتشبثون بأساليب تدريس تقليدية بالية لا تكاد تتجاوز التلقين والتحفيظ، لا يستهدفون المهارات اللغوية، ولا يستفيدون من نتائج الدراسات اللغوية الغربية، ناهيك عن استعمال الوسائل التكنولوجية التي قد تدفع بتعليم اللغة العربية إلى الأمام وتجعله ممتعا ومنتجا في الوقت ذاته.

وقد قيّم كثير من الدارسين وضع تعليم اللغة العربية في الوطن العربي وخلصوا إلى أن " أهم مظاهر أزمة العربية تتمثل في قضيتين محوريتين: قضية ضعف الطلبة في اللغة العربية وكثرة أخطائهم في أدائها، كتابة وقراءة وتعبيرا واستماعا، وقضية أساليب تدريس العربية وطرائقها. ولا شك أن أبناء العربية يعانون ضعفا واضحا وقصورا فاضحا يقصِّر عن بلوغ مستوى الكفاية المؤمّل لتأسيس معرفة لغوية نفعية (وظيفية) تمكن مالكها من ممارسة عمله بلغة عربية سليمة تخلو من العاهات النحوية والإملائية والأسلوبية"[1].

والتلميذ لا يستطيع أن يربط بين ما يتعلمه في اللغة العربية وما يتعلمه في اللغات الأجنبية حتى يستفيد مما يشترك فيه تدريس اللغات كلها؛ بل إنه يرى أن اللغة العربية صعبة المنال، يختلف تعليمها تمام الاختلاف عن تعليم أي لغة أجنبية، وأنها لغة لا تنسجم مع العصر ولا تعبر عن حاجاته وانشغالاته لأنه لم يتمكّن من اكتشاف أسرارها وتطويعها لاستعماله، في حين يحمل تصوره للغات الأخرى انطباعا آخر حيث إنه يرى أنها تمثل العصرنة والحداثة وأن تعليمها أكثر بساطة ومتعة.

اتخذت وزارة التربية الوطنية وكذا الجامعة النظام نفسه في توجيه التلاميذ إلى الشعب والتخصصات المختلفة، حيث المقياس هو المعدل العام، ومن يحصل على أدنى المعدلات يوجه إلى الشعب الأدبية. يبطل هذا الإجراء القرارات الرامية إلى ترقية اللغة العربية وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية، إذ يهمِّش تعليم اللغات

[1] المرجع نفسه. ص 113

ويجعله في مرتبة ثانوية بالنسبة إلى المواد العلمية التي تحظى بمكانة مميَّزة. انعكس هذا "التصنيف" على نظرة المجتمع للشعب المختلفة، فالتقدير الذي يحظى به الملتحق بالشعب العلمية لا يحظى به الملتحق بالشعب الأدبية. كما انعكس على نفسية المتعلم الذي يشعر بالفخر والثقة في النفس عندما يقبل في شعبة علمية ويشعر بالنقص عندما يوجَّه إلى شعبة لغوية أو إنسانية وكأن مؤهلاته (لأنها لغوية أو أدبية) أقل شانا ولا يعتدّ بها.

ومن المسائل الحساسة في واقع تعليم اللغة العربية، عدم تركيز المعلمين على الفرق بين اللغة الشفوية واللغة المكتوبة. صحيح أن الدراسات من أجل وضع قواعد وضوابط اللغة العربية الشفوية قليلة، ولكن هذا لا يمنع من تطبيق ما هو موجود، مثل: عدم الابتداء بساكن وعدم الوقف على متحرك، لأن الوقف من قبيل المشافهة وهو حذف للإعراب والتنوين. كما يجب على المعلمين مراعاة شروط القراءة الجيدة من حيث الوتيرة ورفع الصوت والتلفظ بالحروف والتعبير عن المعاني...

وما يدعو إلى هذه الملاحظة، ما ينقله التلفاز والإذاعة من قراءات كثير من كبار المسؤولين في الدولة الذين تدل قراءتهم للنصوص المكتوبة على بذل الجهد لفك الرموز وتأديتها بشكل مسترسل ومعبِّر للدلالات، الأمر نفسه يطبع قراءات التلاميذ في مختلف المستويات، فهؤلاء "يصرحون" أثناء القراءة ويرفعون أصواتهم، ويسرعون في وتيرة القراءة اعتقادا منهم أن هذين المقياسين من مقاييس الجودة والأداء. وهكذا كثيرا ما تتصف القراءة، عند الكبار والصغار، بالرتابة ورفع الصوت وقلة احترام علامات الوقف، وعدم القدرة على الاسترسال والأداء المعبر عن المعاني.

يوصي كثير من اللغويين بالاستفادة من رصيد الطفل من لغته الأم وينصحون المعلم بمراعاة الانتقال من النسق الشفوي إلى النسق المكتوب بشكل تدريجي، حتى يستغل التلميذ مكتسباته التي كوّنها خارج المدرسة. وهكذا لا يشعر

بالقطيعة بين اللغة المدرسية واللغة العامية التي تصبح عامل تبسيط وتيسير لتعلمه للغة العربية الفصيحة. فلا يخطأ المتعلم عندما يستعمل اللهجة العامية بل يقبل جوابُه مع التوجيه إلى المفردة الفصيحة. كما أن دروس البلاغة قد تستعين بأشكال التعبير والخيال التي يستعملها المتعلم يوميا، وجعله واعيا بأنه يستعمل لغة مشفّرة تحقيقا لأغراض معينة. وهذا من شأنه أن يمنحه ثقة في نفسه ويعزز دافعيته وترغّبه في تعلم المادة.

ومما يعاني منه تعليم اللغة العربية، تمحور النحو حول الإعراب الغراماطيقي، " في الوقت الذي تلزم فيه الطرق الحديثة في تدريس النحو تحقيقا لأهداف تواصلية وظيفية. التأكيد على كون ملكة التواصل بلغة ما ليست ملكة لغوية فحسب، بل هي ملكة لغوية تواصلية سوسيو ثقافية، وبخلاف الوعي بهذا تفقد القواعد النحوية قيمتها إذا نظر إليها بوصفها هدفا قائما بذاته، وهي في الحقيقة وسيلة لبلوغ هدف أسمى هو الهدف التواصلي الذي يرتكز بدوره على كفايات لغوية محددة.

إن التمكن من القواعد النحوية وضبطها يجب أن يتم في علاقتها الوظيفية داخل الجملة، أو النص، أو الغرض التداولي مما من شأنه مساعدة الطلبة على الاستعمال السليم للغة، وتبليغ أفكارهم على الوجه الأكمل... فالتمحور في تدريس النحو حول الإعراب أدّى إلى ضمور المفاهيم النحوية وتراجعها، والنظر إلى الإعراب بوصفه مظهرا شكليا، وليس بوصفه قرينة مركزية من قرائن الدلالة، وتوارد المعاني على الأسماء أو الأفعال المعربة" [1]. ما زال تدريس قواعد النحو والصرف يركز على شواذ القواعد، فبدل أن يدرس المتعلم اللغة أصبح يدرس قواعد اللغة ويجهل وظيفة الفاعل والمفعول به وأولويات النحو.

يكاد يجمع المهتمون بتدريس اللغة العربية " أن النظام التربوي في العالم العربي عامة لا يزال يعاني من قصور في طرائق تدريس اللغة العربية. فعلى

[1] د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة. ص 190

الرغم من تدريسها في جميع المراحل التعليمية، فإن الطلاب لا يحسنون التحدث أو الكتابة بها بصورة سليمة، وذلك بسبب التركيز على حفظ القواعد وليس على تمكين الطالب من التعبير الشفوي والكتابي"[1].

بالرغم من إقرار كثير من البلدان المتقدمة أن السندات الورقية (الكتاب المدرسي وشبه المدرسي) تبقى أنجع وسيلة في تعليم اللغة؛ غير أنها ترى أن استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة (أنترنيت، الوسائل السمعية البصرية) يكمّل ويعزّز التعليم ويزيد من دافعية المتعلم ورغبته في التعلم وينمّي استقلاليته كذلك، خاصة وأن هذه الوسائل تعتمد على طرائق نشطة تفاعلية، يستغل بعضها الألعاب اللغوية، من شأنها تقوية التركيز وسهولة الاستعمال.

ولكن المتعلم العربي يفتقر إلى مثل هذه الوسائل، وحتى وإن وجدت بعض الأشرطة فهي مصمّمة وفق طريقة تقليدية تلقينية لا تسمح بالتفاعل. فندرة الوسائل التعليمية الحديثة لا تسمح بتعليم اللغة العربية بشكل ناجع مثلما تعلم لغات أخرى.

أما **الوسائل التكنولوجية** الحديثة المعدّة باللغة الفرنسية والموجهة للطفل فيميّزها تنوّع المضامين وجودة الشكل والإخراج، وبالتالي تحقق البعد التربوي المتوخّى منها (لكونها ناقلة للقيم والتمثلات) والبعد اللغوي، حيث تثري معجم الطفل بمفردات متصلة بحقول دلالية كثيرة.

أما نصيب اللغة العربية من هذه الوسائل فإنه أقل كما وأدنى مستوى، حتى إنها تكاد لا تلعب أي دور في تعليم الطفل للغة العربية. وحتى برمجيات تعليم اللغة العربية على شبكة الأنترنيت ما زالت قاصرة كما وكيفا، ويميل معظمها إلى اتباع أنماط التعليم التقليدية، كالأسئلة متعددة الخيارات وملء الفراغات، وما شابه ذلك.

[1] د. كارم السيد غنيم: اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة. القاهرة، مكتبة ابن بينا، 1989.ص 130

فلا غرابة إذن في حسن استقبال الطفل للغة الفرنسية وإقباله عليها، وعدم إقباله على وسائل تعلم اللغة العربية التي لا تبلغ ما بلغته في تعلم اللغات الأجنبية.

تزخر المكتبات **بقصص الأطفال** ، المكتوبة باللغتين؛ وإذا كانت لغة القصص باللغة الفرنسية سليمة وإخراجها جيدا، فالأمر ليس كذلك بالنسبة للقصص المكتوبة باللغة العربية التي تكثر فيها الأخطاء النحوية والإملائية، وإخراجها ذو نوعية محدودة من حيث الرسوم والألوان والورق.

وقد ظهرت قصص تتناول التراث، وهي مكتوبة بالدارجة. الأمر الذي يثير بعض التساؤلات، منها:

– علما أن الدارجة هي لهجة محلية، محدودة الانتشار؛ فإلى أي طفل توجّه هذه القصص؟

– من وظائف القصص تغذية الخيال ونقل القيم وإثراء اللغة؛ فإذا افترضنا أن القصص المكتوبة بالدارجة تتوافر على الوظيفتين الأوليين، فما محل اللغة منها؟

أجمل بعض الدارسين "مشكلات العملية التعليمية في ما يأتي:

– إعداد معلمي اللغة العربية إعدادا ناقصا

– ضعف مستواهم التربوي واللغوي

– استعمالهم اللغة العامية إلى جانب الفصحى في القسم

– عدم توفر مواد القراءة الحرة للتلميذ في مختلف المراحل

– قلة العناية بالمكتبات المدرسية

– قلة اهتمام مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستعمال اللغة العربية الصحيحة في العملية التدريسية"[1].

[1] المرجع نفسه. ص 127

ويقترح المهتمون بتعليم اللغة العربية، كل واحد وفق منطلقه، حلولا كثيرة لهذه المشكلات التعليمية، نذكر منها:

– نقل التلميذ نقلا رفيقا وتدريجيا في مراحل تعليمه الأولى من لهجته المحلية، باعتبارها لغته الأم، إلى اللغة الفصيحة، مع الإفادة من القدر المشترك بينهما،

– توعية المتعلم شيئا فشيئا بضرورة استعمال سجل لغوي معيّن في المدرسة، دون أن نخطّئه، بل نقدم له البديل أو نوجّهه إليه ليعثر عليه بنفسه من خلال خبراته السابقة،

– استعمال الرصيد اللغوي الموحد في تأليف الكتب المدرسية وشبه المدرسية، حتى ينسجم المتعلم مع لغة وسائل الإعلام العربية المنتشرة في أنحاء الوطن العربي،

– الاعتناء بأدب الطفولة كمّا ونوعا وإخراجا حتى يواكب ما يصدر بلغة غير عربية وفي البلاد غير العربية،

– وضع المصطلح العربي وتوحيده وترويجه في الوطن العربي،

– عدم تغييب وسائل الإعلام عن المحيط المدرسي، بل الاهتمام بها واستغلالها لجعل التعليم على صلة بما يحيط به في المحيط القريب وفي العالم، من حيث الأحداث وكذلك من حيث أنواع اللغات المستعملة فيه (أي تلوّن اللغة الفصيحة بكلمات وعبارات محلّية).

أما في **التعليم الجامعي**، فتدرس العلوم الإنسانية باللغة العربية وتدرس العلوم الطبّية والعلوم الدقيقة غالبا باللغة الفرنسية. وعدم تعميم اللغة العربية في تدريس العلوم يرجع أساسا إلى قصور الترجمة والبحث والاتصال بأرجاء الوطن العربي من أجل التبادل والتكييف وضبط المصطلحات.

ولكن، ومع انتشار استعمال اللغة العربية في تدريس معظم التخصصات، إلا أن الأداء اللغوي يبقى دون المستوى المطلوب، سواء باللغة العربية أو باللغة

الفرنسية. وهذا الضعف اللغوي ليس خاصا بالجزائر بل تعرفه مختلف البلاد العربية، ما جعل البعض يقول:

" لقد أدى التدريس بلغات غير عربية إلى تخلّف عام بين العرب، كما أدى إلى تخلفهم في مجال استيعاب اللغة العربية ذاتها وإلى حرمان تلك اللغة من النمو المطرد المتمثل في نحت الألفاظ للتعبير عن المفاهيم الجديدة، ونظرة إلى تاريخ أمتنا العربية تكفي لإقناعنا بأن تعريب العلوم واكب أيام نهضتها وسيادتها، وأن أيام التخلف والضعف والتمزق هي التي توقعنا في شرك التبعية الثقافية والعلمية"[1].

وضعف المستوى اللغوي يقف عائقا في وجه خرّيج الجامعة عندما يتقدم للتوظيف، خاصة إذا كان حاملا شهادة باللغة العربية وأحادي اللغة، فحظه في الحصول على منصب شغل ضئيل. وحتى عندما يوظّف، يتعثّر في حياته المهنية من جراء عدم تحكّمه في اللغات، وقد تفوته فرص الترقية والتقدم للسبب نفسه.

ولعلاج هذه الأوضاع، ينبغي أن تتخذ إجراءات في شأن ضبط المصطلحات، بدفع الحركة العلمية واللغوية والعمل على ترقية اللغة العربية وإصباغها بالحداثة والعلمية؛ كما ينبغي إنشاء مخابر لغوية

(على شاكلة المخابر اللغوية المخصصة لتعليم اللغات الأجنبية) تنظم دورات تحسين الأداء باللغة العربية وتعليم اللغات الأجنبية، توجّه للأساتذة والطلبة على حدّ سواء.

ومن الضروري الحفاظ على سلامة اللغة العربية وفصاحتها، وعدم مجاراة ما تذهب إليه بعض التيارات في الغرب، وما تدعو إليه " مدارس نحوية حديثة في اللغات الأوروبية أصبحت لها السيطرة اليوم، حيث تقول إنه ليس هناك ضرورة في أن يخطئ النحوُ كلام الناس، فمتى ما أصبح الكلام شائعا تجري به

[1] المرجع نفسه.ص 69

الألسنة فهو كلام صحيح، سواء خالف كلاما قديما أو لم يخالف. أما في اللغة العربية فالأمر ليس كذلك، فما خالف نحو القرآن وقواعده سواء من الناحية اللغوية أو البلاغية فهو كلام رديء، حيث جعل لها مقياس ثابت يُرجع إليه عبر السنين... وصل القرآن بين الأمة الإسلامية، ونحن اليوم نفهم كلام العرب قبل الإسلام، بينما الفرنسيون والإنجليز وغيرهم لا يستطيعون أن يفهموا ما كتب قبل 400 سنة إلا بجهد جهيد وبالاستعانة بالقواميس لحل غموض اللغة التي يسمونها " الكلاسيكية " أو " القديمة "، بعد أن تغيرت أساليبها وقواعدها، والأمر ليس كذلك بالنسبة للغة العربية"[1].

ومما يسهم في إتقان اللغة العربية، التكوين اللغوي الذي يكون في معاهد أو مخابر، على طراز ما هو موجود لتدريس اللغات الأجنبية، والذي من شأنه تحسين مستوى أداء المتعلم. فتنظم دورات تكوينية لفائدة الراغبين في إتقان اللغة العربية والتحكم في استعمالها لممارسة نشاطهم المهني. وضمانا لنتائج جيدة وسريعة، وحتى يبسط هذا العليم، لا بد من استعمال وسائل تكنولوجية حديثة، وإعداد برنامج خاص بكل شريحة من المتعلمين وانتقاء محتويات مطابقة لقدراتهم وميولهم وحاجاتهم.

الخاتمة

يتقدم البحث في المجال التعليمي والتربوي في الغرب بوتيرة منتظمة ومستمرة، متخذا منهجية علمية ووسائل فعالة، ويثمر نتائج من شأنها تحسين تعليم اللغات وإكساب المتعلمين المهارات اللغوية المرغوب فيها بطرائق ووسائل تبسّط التعليم وتقتصد الوقت والجهد وتجعل التعلّم ناجعا. وتنعم اللغات الأجنبية بالدراسات التي تفحص كل جوانبها، فمنها ما يتصل بالجانب المعرفي الخاص بلغة دون غيرها (نحوها وصرفها وإملاؤها)، ومنها ما يتصل بالجانب المنهجي والذي يدخل في مجال تعليميات اللغات، والذي يمكننا أن نستفيد منه في تعليمنا

[1] المرجع نفسه.ص 42

للغة العربية، إذ ستسمح لنا بتيسير التدريس وتبسيطه والعمل على نجوعه وتحيينه، وهذه مطالب دائمة ترافق التعليم مهما كانت فعاليته.

إن اكتشاف ممارسات تعليمية جُرّبت وأعطت أكلها عند غيرنا، من شأنه أن يرفع من مستوى كفاءتنا التعليمية وأن ينعكس كذلك على الكفاءة التعلمية. فعلينا أن نغتنم فرصة مواكبة المستجدات التربوية لننتقي منها ما يتماشى مع حاجات تعليمنا للغة العربية (المناهج، الطرائق، الوسائل...).

والاطلاع على نتائج هذه البحوث مفيد على مستويات كثيرة منها:

مقارنة طبيعة نظام اللغة العربية بنظام لغة أخرى من أجل استخلاص خصوصية كل لغة

تحديد ما يمكن نقله إلى اللغة العربية لأنه مشترك بين اللغتين

تكييف العناصر الخاصة بلغة دون أخرى تبعا لطبيعة كل لغة (مثلا طبيعة النحو العربي أو الصرف...)

الاستفادة مما هو مشترك أي ما يخص عمليتي التعليم (مراحله، طرائقه، وسائله) والتعلّم (العمليات الذهنية، البعد النفسي، سيرورة التعلم)

فالدارس العربي الذي يتحكم في اللغة الأجنبية يمكنه نقل هذه التجارب إلى اللغة العربية، أما إفادة معلم اللغة العربية الذي لا يتحكم في هذه اللغة الأجنبية، وإن طبق هذه النتائج، فسيبقى تطبيقه ناقصا لأنه ليس متشبعا بتلك اللغة الأجنبية ولم يطلع من خلالها مباشرة على نصوصها الأصلية... فالذي يطالع الأدب الفرنسي ثم يتعرف على طريقة دراسته وكيفيات تحليله واستخراج خصائصه، يمكنه الاستفادة وإسقاط أو انتقاء ما يتماشى مع طبيعة الأدب العربي ونقله إلى اللغة العربية.

إن تدريس اللغة العربية الفصيحة في حاجة إلى دعم وتكوين مستمرين، داخل المؤسسات التعليمية وخارجها، ورعاية النشاطات التي تعزز كيانها وتؤكد حضورها في الحياة الثقافية والحياة اليومية (وهي قليلة تكاد تتلخص في

المحاضرات ونشر الكتب)، كأن تعمل على إنشاء وسائط تكنولوجية حديثة من أجل التعليم والتثقيف والتسلية، وترسيخ استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية. هكذا تتصرف الأمم التي تريد أن تجعل توظيف اللغة المستهدفة ضروريا لا غنى عنه للتعبير عن حاجات الفرد المختلفة. فتنشئ مفردات جديدة وتحيّن مفردات قديمة، وتمكّن المستعمل العربي من الآليات اللغوية الوظيفية التي تكفل له الممارسة " الطبيعية " للغته وهو يشعر بالراحة لأنه قادر على القيام بالنشاطات اللغوية التي تقتضيها الوضعيات الحياتية– المهنية منها والاجتماعية– دون شعوره بالضيق والعجز.

وهكذا يعد استغلال التعدد اللغوي فرصة لتحسين تعليم اللغة العربية الفصيحة، باستثمار اللهجات المحلية لإنماء كفاءة التواصل لدى التلميذ، وذلك بدعوته إلى التعبير الشفوي مستعملا المفردات والتراكيب التي يمتلكها، حتى وإن كانت من العامية، ثم توجيهه تدريجيا نحو التعبير الفصيح، كما يمكن استثمار الأساليب البلاغية التي يزخر بها كل تعبير لغوي (مهما كانت اللغة)، لأن إدراك المتعلم أن كل فرد " يمارس البلاغة " سيشجعه على التعبير ويسهّل عليه فهم هذه المادة، التي يكاد كل التلاميذ يعتقدون أنها متصلة حصريا بالقرآن والأدب القديم!

المراجع

عز الدين المناصرة

المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999

د. كارم السيد غنيم اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة القاهرة، مكتبة ابن سينا، 1990

د. هادي نهر اللغة العربية وتحديات العولمة الأردن، علم الكتب الحديث، 2009.

د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة اللغة العربية وأسئلة العصر
عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007
LAROUSSI Fouad Plurilinguisme et identité au Maghreb France، Publications de l'Université de Rouen، 1997
الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية . العدد 03، 30 جمادي الثانية عام 1411 هـ الموافق لينار سنة 1991
- LAROUSSI Fouad : Plurilinguisme et identité au Maghreb. France، Publications de l'Université de Rouen، 1997. P18
– د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة.الأردن، علم الكتب الحديث، 2009. ص 1
– د. كارم السيد غنيم. ص 46
– الجاحظ: البيان والتبيين، ج1. ص 368
– د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة : اللغة العربية وأسئلة العصر. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007. ص 100
– المرجع نفسه. ص 100– 101
– المرجع نفسه. ص 23
– المرجع نفسه. ص 103
– المرجع نفسه. ص 114–116

معوقات اللغة الجامعة في الجزائر.

أ/ برو محمد،أ/ناصر باي أعمر– جامعة المسيلة

لا يخفى على أية أمة ما للغة من أهمية ومكانة إستراتيجية في حياتها الحاضرة والمستقبلة علاوة على تحديد علاقتها ببقية الأمم إذ تعبر عن إنيّتها وتميزها ولهذا سعت حرص ت عليها حديثا وتعليما، غير أن الأمة العربية لم تستطع الخروج من المأزق الذي وضعتها فيه الدول المستعمرة إلى يومنا هذا مما يوحي بوجود عوائق حالت دون أن تتمكن من إنزال لغتها القومية المنزلة اللائقة بها وعلى رأسها أن تكون لسانها الجامع بين أفرادها وسبيل تلاحمهم، على غرار بقية الأمم، وهذا ما تعاني منه الجزائر أيضا بعد مضي حوالي ستة عقود على استقلالها. وستعمل هذه الورقة على التركيز على الجانب مبرزة أهم العوائق التي حالت دون ذلك مع تقديم تصورات واقتراحات لتجاوزها.

1. الإشكالية :

إن إشكالية اللغة الجامعة لا تطرح إلا على مستوى الاستخدام في مختلف المجالات الاجتماعية إن على مستوى النطق أو على مستوى الكتابة. فهي تكون محل نقاش وجدال قد يؤدي إلى تجاوز مستوى الاختلاف في الرأي إلى خلاف بين مستعمليها إذا انتقلت إلى مستوى الخطاب أو المحادثة وجها لوجه أو عن طريق الهاتف أو الوسائل الجديدة في الاتصال، وعندما تكون أداة للمناقشة العامة والحديث الفردي العفوي والمقصود. كما أن الخلاف يمكن أن ينتقل إلى المستوى الثاني من استعمال اللغة وهو الصورة المكتوبة التي تبرز في صورة أخبار تقرا أو قصص تروى أو خطب أو أفلام أو مسلسلات أو غيرها من الأشكال الأخرى المبتدعة في أيامنا هذه عبر مختلف وسائل الاتصال والإعلام، علاوة على ما هو معد للطباعة و النشر كالكتب والجرائد والمجلات والخطابات الاجتماعية وخاصة المراسلات الرسمية وموضوعات الامتحانات وجلسات الاجتماعات. ويشتد الخلاف بين أصحاب اللغات إذا انتقل إلى اللغة المستعملة في التربية والتعليم لما لهذه القطاع من استراتيجية وخطورة في حياة الأمم وإعداد الأجيال القادمة التي تخلف السلف، هذا الأخير الذي غالبا ما يسعى لان يحمل الأجيال الجديدة ما يعتبرها أمانة ورسالة لها مكانتها إن لم نقل قدسيتها عنده، ويعتقد أن مستقبل البلاد متوقف على مدى المحافظة على تلك الأمانة. وإذا كانت بعض البلدان التي تعيش هذه القضية أو المشكلة بحدة، أو استطاعت تجاوزها ولو جزئيا أو بصورة مؤقتة لأسباب ليس هذا مجال ذكرها فان بعض الدول تحولت قضية اللغة الجامعة إلى إشكالية تطرح نفسها بحدة مما أدى إلى تطورها من قضية هي محل اختلاف إلى قضية هي محل اختلاف يعيق سبل النهوض بالأمة من تخلفها وقد يقذف بها إلى مصير مجهول يتهدد كيانها ووجودها كدولة أو أمة ذات مقومات توحد أبناءها، ولا شك أن الجزائر من بين هذه الدول التي ما زالت تواجه هذه المشكلة وقد عملت على تبني لغة كلسان يجمع بين أبنائها سواء على مستوى الخطاب الشفهي أو على مستوى الخطاب المكتوب، فما هي الحاجة إلى

اللغة الجامعة؟ وما هي مميزاتها أو الشروط التي يجب أن تتوفر فيها؟ وكيف يمكن للغة العربية أو الأمازيغية لغة جامعة للجزائريين؟ وما هي الصعوبات التي تعترض الأمة الجزائرية في سبيل تجاوز هذه الإشكالية؟ وما هي سبل تجاوزها؟

2. أسباب اختيار موضوع المداخلة: ما من شك أن كل جزائري غيور على وطنه مهتم بمصيره ومكانته إلا ووجد نفسه شيئا من هذا الاختلاف في اللسان أو اللغة بعد خمسين سنة من الاستقلال، ذلك أن اللغة هي صورة الأمة وشرفها ومن فرط فيها فرط وحدتها وجعلها عرضة للكثير من المخاطر أذ اللغة تعتبر من مداخل العدو بما تحمله من ثقافات قد تتعارض مع قيم ومصالح الوطن. ومن اجل ذلك لابد أن يحمل الجزائري هم هذه الإشكالية حيث رحل واستقر.

3. أهمية المداخلة: إن موضوع اللسان الواحد الذي يجمع شمل أبناء الوطن الواحد والبحث عنه في دولة كالجزائر ليس موضوعا جديدا خاصة وانه هم الأمة العربية الإسلامية كلها التي تشهد تراجعا كبيرا للغة العربية أمام اللغات الأجنبية التي اقل ما يقال أنها ارتبط بتاريخ الاستعمار البغيض الذي ما انفك يتبع سبلا لإحكام سيطرته على البلاد والعباد، وكان من بين المداخل التي حاول استغلالها التشتت الذي يعرفه العالم العربي والإسلامي نتيجة لهذا الغزو اللغو الذي لم يكن مجرد اختلاف في صورة اللسان بل تعداه إلى الاختلاف في الأهداف التي تحدد مستقبل الأمة ومصيرها. ومن اجل ذلك فان هذه المداخلة تستمد أهميتها من محاولة معرفة العوائق التي حالت دوت تحقيق الإجماع وسبل علاجه.

4. أهداف المداخلة: إن إشكالية اللسان الجامع ليست خاصة بالجزائر فقط فهي إشكالية تكاد أن تكون مشكلة جميع الشعوب خاصة تلك الشعوب التي عانت من السياسات الاستعمارية التي حاربت لغات مستعمريها، ولذلك فان هذه الورقة تسعى لتحقيق الأهداف التالية:

. بيان خصوصيات الأمة الجزائرية وحاجتها إلى اللسان الجامع.

. بيان ميزات اللغتين الوطنيتين الأمازيغية و العربية كلغتين تتوفر فيهما خصائص وشروط اللغة الجامعة.

. حصر أهم معوقات جعل اللغتين الأمازيغية والعربية لغتين جامعتين.

. وضع تصور لحل إشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر.

5-الحاجة إلى اللغة الجامعة:

إن اللغة ليست وسيلة للتخاطب فقط ، بل هي أيضا ذاكرة الناس. ومن دون اللغة، يتوه الإنسان عن موقعه في الماضي والحاضر، كما يتوه المريض فاقد الذاكرة...(الصادق النيهوم، 2009)

وهي تمثل هُوُية الأمة، وأعظم مقومات وجودها، ووطنها الروحي. ولذلك فان الأمم الحية تحافظ على لُغاتها حفاظها على أوطانها. والعلاقة بين مكانة الأمة ومكانة لغتها وثيقة جداً، فاللغة هي الأمة، فإذا تعددت لغات الأمة تعددت مشاربها واتجاهاتها ومن ثم أهدافها ولم تجتمع ريحها.(مكّي الحسَني، 2210).

أن اللغة هي سلسلة مفردات ذات ذاكرة تحفظ تاريخ عناصر الأمة ومنه وعيها الجمعي الذي ينقل أو يحفظ حراك الأجيال المتعاقبة لرسم المعالم التاريخية للأمة. ويقول ((الياس مرقص))" إن اللغة أكثر بكثير من ذاكرة الأمة، إنها مادة بناء الفكر، واقعه المباشر، وسيلة اجتماع البشر، وسيلة لتعين وجودهم".

وبالرغم من أهمية الرمز الصوتي للغة في عملية التواصل بين أبناء الأمة في سياقها الزمني، فإنها ليست إلا ذاكرة آنية غير قادرة على حفظ الفعل للمستقبل لا بسبب قيمة الفعل المتدنية وإنما لتدني حجم ذاكرة المفردة الصوتية. أما الذاكرة الفعلية للغة فإنها تكمن في الرمز المكتوب الحامل لمعنى الفعل وتوريثه عبر الأجيال، فذاكرة تاريخ الحضارات الغابرة وصلت عبر حامل اللغة المكتوبة التي أرخت لأفعال الأمم السابقة وشخصت دورها الحضاري على بقعة جغرافية محددة. إن اختراع السومريين للكتابة أنقذ تاريخ الأمم السابقة من الاندثار وفتح أول سجل

لتدوين أفعال ونتاج الأمم في المعمورة فالتطور اللغوي الراهن مدين بتطوره للسومريين الأوائل.

إن النطق اللغوي للإنسان الذي سبق الكتابة ليس سبيلاً نوعياً للتواصل بين البشر وحسب، بل رسم حداً فاصلاً بين الكائنات الحية الناطقة وغير الناطقة، أي ميز الإنسان عن الحيوان وجعل من ذاكرته اللغوية حافظة لتدوين تاريخه وتاريخ الكائنات الأخرى غير الناطقة. اللغة وماهية مفرداتها المتجددة الحاملة لذاكرة التاريخ والحاضر، ليست محمولاً لحراك الإنسان وحسب، بل لكل ما يرتبط به أو يتعايش معه أو يشغله من رؤى وأفكار عن الطبيعة والكون. فالإغريق بحكم طبيعة لسانهم (لغتهم) أتموا الاختراع حيث فصلوا الوحدة الصوتية إلى أثنين، صائت وساكن ليس لأي منهما وجود منطوق أو مسموع بمفرده، فدفعوا التجريد إلى هذه النهاية".

إن الأمم الهامشية عبر التاريخ والحاضر، هي الأمم التي تعاني من ضعف محمول ذاكرة مفرداتها اللغوية، لغتها ليست حية وإنما مهجنة من لغات الأمم الحية التي لعبت (وتلعب) أدواراً في التاريخ والحاضر لرسم معالم المستقبل. لذلك لم يؤشر محمول اللغة دوراً للأمم الهامشية عبر التاريخ وإنما أشر تبعيتها لحضارات الأمم الحية إما نتيجة لهامشية فعلها وحراكها وعدم تركه لأثر ما في سياق حركة التاريخ وأما لعجزها عن خلق لغة خاصة بها لتكون محمولاً وذاكرة تسجل حراكها عناصرها عبر التاريخ.

أنّ التقدُّم العلمي والحضاري لا يتمّان إلاّ بلغة تجمع عليها الأُمة، فما سمعنا في التاريخ أنَّ أُمةً تحضَّرت وازدهرت ونمت بغير لغة جامعة، وخير مثال الولايات المتحدة الأمريكية، والأُمة الإسلامية أجمعت على اللسان العربي، فكانت حضارتها باللغة العربية التي نقل بها إليها تراث اليونان والفرس وغيرهما من حضارات العالم التي كانت آنذاك. وإذا نظرنا إلى الدول الصناعية المتقدمة في العالم نجدها جميعاً قد تقدَّمت في علوم الحياة كلها تطبيقية أو نظرية بلغة جعلت

منها لغة قومية، وهذا لا يمنع أن تتعلَّم اللغات الأخرى لتستفيد منها وتثري تجاربها وتزيد من معارفها، ولكن الأساس دائماً لغة الأُمة التي تُمثِّل شخصيتها وكيانها ووجودها.

لقد أدركت القيادات السياسية الواعية في كثير من الدول أهمية اللغة في بناء هوية الأمة والمحافظة عليها فعزّزت لغاتها الجامعة واتخذت لغة وطنية وجعلت التعليم بها في جميع مراحله (ومن هذه الدول كوريا، وفيتنام، وفنلندا، ورومانيا.." وأحيى الكيان الصهيوني اللغة العبرية الميتة، وجعل التدريس بها في مراحل التعليم كافة.

6- مميزات اللغة الجامعة:

ينضح مما سبق أن اللغة الجامعة هي وسيلة للتخاطب بين أفراد الأمة ، كما تعبر عن ذاكرتهم الجماعية، وعلاوة على ذلك فهي البوصلة التي تقودهم نحو الماضي ليستلهموا ما يحتاجون إليه في رحلتهم في الحاضر والمستقبل. ومن اجل ذلك يشترط فيها ما يلي:

. أن تكون هذه اللغة نتاج تفاعل عناصر الأمة على امتداد التاريخ، و تحفظ تاريخ عناصر الأمة و تعبر عن وعيها الجمعي وتستطيع رموزها المكتوبة أن تحمل معنى الفعل وتوريثه عبر الأجيال، فذاكرة تاريخ الحضارات الغابرة وصلت عبر حامل اللغة المكتوبة التي أرخت لأفعال الأمم السابقة وشخصت دورها الحضاري على بقعة جغرافية محددة. إن اختراع السومريين للكتابة أنقذ تاريخ الأمم السابقة من الاندثار وفتح أول سجل لتدوين أفعال ونتاج الأمم في المعمورة فالتطور اللغوي الراهن مدين بتطوره للسومريين الأوائل.

. أن تستطيع التعبير عن كل ما يرتبط بالأمة أو يتعايش معها أو يشغلها من رؤى وأفكار عن الطبيعة والكون.

. ألا تعاني من ضعف محمول ذاكرة مفرداتها اللغوية، كان تكون لغة مهجنة من لغات الأمم الحية التي لعبت (وتلعب) أدواراً في التاريخ والحاضر لرسم معالم المستقبل. فمثل هذه اللغات تجل دور الأمم التي تستعملها دورا هامشيا عبر التاريخ وترسم تبعيتها لحضارات الأمم الحية.

. أن تستطيع اللغة المختارة أن تعبر عن هُوُية الأمة، وأعظم مقومات وجودها، ووطنها الروحي.

. أن تواكب مستويات التقدُّم الحضاري والعلمي والتكنولوجي. وان كان هذا الأمر مرتبط بالدرجة الأولى بأهل تلك اللغة. فالحضارة الكورية والتقدُّم الصناعي فيها راجع إلى اهتمام الكوريين بلغتهم، فما من أُمةٍ في التاريخ كانت لها صناعة وحضارة وتقدُّم إلا كانت لغتها والتمسُّك بها والدراسة بها هي سرُّ تقدمها وحضارتها، فعندما حصلت كوريا على استقلالها عام 1946م وجدت الحياة فيها تسير بلغة غير لغتها والناس يتعلّمون باللغة اليابانية التي تهيمن على الحياة الفكرية والثقافية، وأنّ اللغة الكورية لغة بدائية هجرها الناس وأصبحت منسية لا تعرفها كثير من الأجيال. وكان على الكوريين أن يتخذوا قراراً حاسماً تاريخياً بترك اللغة اليابانية والعودة إلى الكورية لتكون لغة التعلُّم والتعليم، ولكنهم واجهوا مشكلة عدم معرفة الناس للغتهم إلا قلّةً من العجائز الذين يعيشون في القُرى مما جعلهم يحضرونهم إلى المدن ليُعلِّموا المتعلِّمين والمثقفين مبادئ اللغة الكورية وكان عليهم أن يبدءوا من الصفر، فاتجه الناس جميعاً إلى تعلُّم لغتهم وإحلالها في شؤون الإدارة والتعليم والحياة عامة، وفي خلال عقدين من الزمان أصبحت اللغة الكورية المنسية هي لغة العلم والصناعة والمعرفة، واستفاد الكوريون من التجربتين اليابانية والصينية في الانفتاح على التكنولوجيا الغربية وعلوم الغرب وتعلُّمها ولكن بلغة بلادهم، و بعقلية التلميذ الذي يريد أن يتعلم وليس بعقلية الزبون الذي يريد أن يشتري . كما نفعل نحن . وقد ذكر الأستاذ «عثمان السعدي» في مقالةٍ له بمجلة «العرب» عام 1984م: أنّ اليابانيين لم يتخلُّوا عن لغتهم بل عمدوا إلى

لغات الغرب يتعلَّمونها ثم يُترجمون منها الكتب والبحوث العلمية والدوريات لوضعها بين أيدي العلماء اليابانيين بلغتهم ثم تجاوزوا مرحلة النقل والاقتباس إلى مرحلتي الهضم والتمثيل حتى تفوقوا على أساتذتهم وكل ذلك كما يقول الأستاذ السعدي تمَّ بفضل أمرٍ واحد وهو سيادة اللغة اليابانية على مرافق الحياة كلها.

لقد استفاد الكوريون من هذه التجارب فنقلوا وترجموا العلوم بلغتهم التي أحيوها بعد اندثار، وأصبحوا من الدول التي تسيطر بمنتجاتها وصناعتها على السوق العالمية وأصبحوا منافسين بل متفوقين على الدول الصناعية الكبرى حيث يقدمون الصناعة الجيِّدة بأسعار مناسبة لا تتنافس، وبعد أن كانت كوريا عام 1962م من الدول المنخفضة الدخل بحيث لم يتجاوز دخل الفرد المائة دولار في العام صارت من الدول الغنية التي يرتفع فيها مستوى دخل الفرد إلى مبالغ خيالية.

7. العربية كلغة جامعة:

يتبين مما سبق أن اختيار اللسان الجامع ضرورة وجودية وما هوية، أي فحي تضمن بقاء الأمة وتموقعها بين الأمم كما تحدد ماهيتها أو هويتها وتحافظ عليها مما يجعلها متميزة عن بقية الأمم وذلك له انعكاس إيجابي على تقدير الذات عند أفراد الأمة وجماعاتها العاملة كل حسب واجبه. وإشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر تقترح توجهين أساسيين: أولهما اختيار لغة أجنبية كلسان جامع وهذا مرفوض نظرا للانقطاع و الهوة القائمة بين اللغة الأجنبية وهوية الأمة الجزائرية التي لها ذاكرة وتاريخ مخالفان لأصحاب اللغة الأجنبية. أما الخيار الثاني فهو أن يتم تبني لغة لها ارتباط تاريخي وبذاكرة الأمة وهنا يمكن الحديث عن اللغتين الأمازيغية واللغة العربية. وسنبدأ الحديث عن اللغة العربية كلغة جامعة للجزائريين ثم نتحدث عن علاقتها باللغة الأمازيغية.

. تحتل اللغة العربية مكانة أساسية من حيث عدد الناطقين بها إذ تحتل الرتبة الرابعة بعد اللغة الصينية(1.2 مليار) و إسبانية(329 مليون) والانجليزية(328 مليون) وتسبق العديد من اللغات منها الفرنسية (220 مليون).

أما من حيث هي لغة الأنترنت فهي تحتل المرتبة 12 بعد كل من الانجليزية والصينية والإسبانية واليابانية والألمانية والفرنسية والكورية والإيطالية والبرتغالية والماليزية والهولندية، وهذا الترتيب الذي تحتله العربية يعود إلى عوامل عديدة على رأسها العامل المادي وعدم انتشار شبكة الأنترنت في الكثير من الأقطار العربية بالشكل الكافي و ضعف خدماتها.

وإذا جئنا إلى استعمالها فهي تحتل المرتبة السابعة (60.2 مليون) بعد كل من اللغة الانجليزية (499.2 مليون) والصينية (407مليون) والإسبانية (139.8 مليون) واليابانية (95.9 مليون) والبرتغالية (77.5 مليون) والألمانية (72.3 مليون).

. ارتبطت بقيم اشتهر بها أصحابها، ومنها الرجولة. فقد قال طه حسين: "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم، ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومُهين أيضاً." وقال أبو الريحان البيروني (362–440 للهجرة) العالِمُ الشهير، الفارسي الأصل: "والله لأَنْ أُهْجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية!"

. عبقرية اللغة العربية: كُتب عن ذلك عشرات الكتب والدراسات والمقالات، وانحنى لعظَمتها العرب والمستشرقون ، حتى لقد قال أحدهم: "ليس على وجه الأرض لغةٌ لها من الروعة والعظمة ما للّغة العربية، ولكن ليس على وجه الأرض أُمة، تسعى بوعي أو بلا وعي، لتدمير لغتها كالأمة العربية!".

. كانت اللغة العربية في الماضي لغة عالمية – وبأنها اليوم – باعتراف العالم كله – اللغة الرسمية الدولية السادسة : في هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المختلفة، وفي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو).

وما أعمق ما قاله الدكتور عثمان أمين في كتابه (فلسفة اللغة العربية): "مَن لم ينشأ على أن يُحب لغة قومه، استخف بتراث أمته، واستهان بخصائص قوميته. ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية، اتسمت حياته بتبلّد الشعور وانحلال الشخصية، والقعود عن العمل، وأصبح دَيْدنه التهاون والسطحية في سائر الأمور" (مكّي الحسَني22، 2010).

. إن أهم فضيلة تذكر للغة العربية هي ارتباطها بنص القرآن، فأصبح القرآن هو ذاكرة العرب نفسها، مما جعل استبعاد لغته، من شؤون الحكم والإدارة، بالنسبة للعرب، لطمة مميتة أضاعت صوابهم إلى حد فقدان الوعي. (الصادق النيهوم، 2009.)

لقد اختارها الله تعالى لغة لكتابه العزيز، واختار العرب ليحملوا هذه الرسالة للناس كافة، ولتحملها معهم أمة الإسلام من شعوب الأرض. وشاء الله تعالى أن ينزل هذه الرسالة على سيد ولد آدم، وخير العرب بيتاً، وأفصحهم لساناً، وأبلغهم بياناً، وأكرم الناس خلقاً وهدياً؛ فأنشأ بهذه الرسالة أمة، وبنى حضارة، وانصهرت الشعوب المسلمة وتوحدت في ظلال القرآن الكريم، وأعطى العلماء المسلمون – على اختلاف أجناسهم وتباعد ديارهم– ثمرات عقولهم في خدمة لغة القرآن الكريم وحديث النبي –عليه أفضل الصلاة والتسليم. فكانت الأمة العربية والإسلامية قائمة بعقيدتها، ولغتها، وثقافتها، وتاريخها، وما سجلته أقلام علمائها في علوم التفسير والحديث والفقه والتاريخ والآداب وغيرها من العلوم، باللغة العربية، شاهدة على وجود الأمة وعمق انتمائها الحضاري والتاريخي.

كما استطاعت اللغة العربية أن تتحول من لغة شعر إلى لغة علم في العصور الوسطى، وعن اللغة العربية أخذ علماء الغرب في الأندلس الذين أقاموا على أساسه العلوم المعاصرة ومنجزات حضارة اليونان. كما تحولت من لهجة لقبيلة قريش من دون سائر القبائل إلى لغة لا تصل بين العرب فقط بل أصبحت لغة تواصل مع غيرهم من الأمم ووحدتهم في أقطارهم المختلفة، رغم تعدد

لهجاتهم، بل وحدت المسلمين على اختلاف مشاربهم، وأصبحت لسانهم الجامع. بل لم تجمع المسلمين فقط بل جمعت أصحاب الديانات الأخرى من يهود ونصارى الذين جعلوا منها لغة خطابهم وتعليمهم وبحوثهم، وهكذا قامت عروة وثقى بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

إن إعلان الاستعمار بمختلف أشكاله الحرب على العربية ما هي إلا محاولة لفك التمفصل القائم بين اللغة العربية والدين الإسلامي الذي أحلها مكانة عالية بين الأمم واجتمعت عليها رغم اختلاف الأجناس و الديانات. وان عمل الاستعمار قديمه وحديثه على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية في مدارسها وجامعاتها، وشجع اللهجات العامية وحرض أهلها على اللغة العربية لا يمكن أن يفسر بغير ذلك. إذ الاستعمار يلجِأ أيضا إلى محاربة الجزء الثاني المكون لهذا التمفصل وذلك بوضع خطط تنقية المناهج من الآيات والأحاديث. فالقران يؤكد على هذه العلاقة في عدة آيات، منها: قال الله تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين] [الشعراء: 192-195].

وقال تعالى: {تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون} [فصلت: 2-3].

وقال تعالى: {وكذلك أنزلناه قرآناً عربيّاً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً} [طه:113].

ونعرف كيف نبّه علماء الأمة لمكانة اللغة العربية ووجوب تعلمها وإتقانها. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ لأن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه.

وقال الإمام الزمخشري: اللهَ أحمد أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز.

وقال الدكتور طه حسين: إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً.(إبراهيم زيد الكيلاني، 2011)

لقد ارتبطت العربية بكل من هو مسلم، بغض النظر عن جنسه وأرضه وقومه وأصل لسانه. وذلك لكونها اللسان الناطق بالإسلام، المعبر عن مدلوله، المترجم لمراده. ومن ثم فمن غير إدراك دلالة اللفظ العربي وفق المعنى الذي وضع له في أصل لغته القرآنية، فإنه يستعصي إدراك معنى الإسلام على حقيقته. وبالتالي فأي تزييف يحصل في مدلول ألفاظ اللغة العربية، فهو تلقائيا تزييف في مفهوم الإسلام، وانحراف في تربية المسلمين.

فمثلا: كلمة الجامع تعيش في ذاكرة المواطن العربي بمعنى بيت الله. وهو بيت له، حرمة وقوانين، منها المجادلة بالحسنى، والتأدب في الخطاب، وخفض الصوت، وتجنب سوء الظن، والغيبة، والنميمة والتنابز بالألقاب. وان استبدال مصطلحات القرآن، بمصطلحات مترجمة عن شرائع أخرى، خطأ سياسي مميت جدا، لأنه يجعل المسلمين ومن معهم يفقدون ذاكرتهم سرا، دون أن يفقدوا لغتهم العربية.

إن قوة اللغة العربية لا تكمن في مجرد كونها لغة – حروف وكلمات وجمل فحسب – فهي بهذا الوصف كانت قائمة قبل الإسلام، لكنها لم تصنع ما صنعته في فكر الإنسان وتوجهه العقدي، إلا لأنها أصبحت متمفصلة مع الدين الإسلامي وكتابه وسنته، ولذلك فان المستشرق "كامفاير" يقول في شماتة، عندما ألغي الحرف العربي في تركيا: (إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية). هذا يعني أن

تراجع اللغة العربية كلغة جامعة يترتب عنه تراجع دور الإسلام كدين جامع أيضا، ولذلك فان فوكوياما قد قال: "أنا أرى أن التوفيق ممكن بين الإسلام كدين وبين الحداثة، فالإسلام يمثل ديناً ونظاماً ثقافياً معقداً للغاية، وقد أثبت قدرته على التوافق مع الحداثة في عدد كبير من المجتمعات والأفراد، ولا أرى هناك سبباً يمنع من وجود شكل حديث للإسلام، غير أن «نوع الإسلام» الصحيح لا يمكن أن يتفق مع الحداثة، والقضية الأساسية هي إمكانية وجود دولة علمانية تجعل الإسلام بين أربعة حيطان"(أحمد يوسف، 2012).

7 – عوائق اختيار لغة جامعة في الجزائر:

ويستشف مما سبق أن اختيار اللغة الجامعة يتوقف على عوامل ذاتية متعلقة بهوية الأمة من جهة، وعوامل أخرى مرتبة بالظروف الراهنة أو العوامل الموضوعية. والجزائر التي تعرف اختلافا حول الاتفاق على لغة جامعة ارتقى أحيانا إلى مستوى الخلاف هي في أمسّ الحاجة إلى تداركه ومعالجته قبل أن يستفحل.

إن الجزائر بأبعاد هويتها الثرية و المتعددة تجد نفسها أمام اختيار ليس باليسير للبت فيه والدليل على ذلك هو تعدد التوجهات إن لم نقل النزعات التي ترتقي إلى المستوى الإيديولوجي أو العقائدي والذي جعل الجزائريين، اقصد هنا خاصتهم، يعيشون في عزلة ويحاولون الانفراد في اختيار اللغة الجامعة لكل الجزائريين دو استشارتهم. فالجزائريون أمايزيغ اسلموا فتعربوا بسبب إسلامهم، ثم احتلهم الاستعمار الفرنسي الذي عمل كغيره من الدول الاستعمارية فرض حضارته و مازال يفعل ذلك متبعا كل السبل التي تحقق أهدافه التي تخفي أهدافا مادية نفعية أيضا. وهنا انقسم الجزائريون، اقصد الخاصة، بين متبن للغة الفرنسية بزعمهم أنها لغة علم وحضارة، واستغل مكونات الهوية الجزائرية الأمازيغية لتحقيق ذلك، وفي المقابل تبنت طائفة أخرى اللغة العربية بدعوى أنها لغة الإسلام والدين لتدافع عن مصالح أخرى متعارضة مع مصالح الفئة الأولى. وأمام هذا

الاختلاف في الرأي الذي يبطن خلافا حول المصالح، ضاقت فرصة الاختيار الواعي والحر للغة الجامعة التي على أساسها تتحقق وحدة الأمة الجزائرية وقوتها العلمية والتكنولوجية، وهنا يأتي الحديث عن معوقات اختيار اللغة الجامعة: الأمازيغية والعربية.

تتعدد الصعوبات التي تعترض الجزائر في سبيل تحقيق اتفاق حول اللغة التي تجمع شمل أبنائها والتي يرتبط بعضها بعوامل تاريخية والأخرى ترتبط بعوامل معاصرة، وهذا ما نحاول تبيانه في هذا القسم من المداخلة.

أ- العوامل التاريخية:

لقد ارتبطت العربية كلسان جمع الجزائريين على اختلاف مشاربهم بالديانة الإسلامية وامتزجت بها إلى أن كونت لحمة واحدة، وأصبحوا ينتمون إلى كل واحد هو الأمة الإسلامية، إلى أن ابتليت الجزائر كغيرها من دول العالم العربي والإسلامي بالاستعمار الغربي نتيجة لعوامل ذاتية وأخرى موضوعية خارجية.

لا شك في أن الاستعمار كانت وطأته اشد على الجانب الثقافي المرتبط بعناصر مكونات الأمة، والتي منها اللسان الجامع لذاكرة الأمة التي ارتقت من مستوى الكيانات المفتتة إلى مستوى الإجماع والتكتل المتين بفضل اللغة الجديدة. ولم تطرح مشكلة اللغة في الجزائر إلا بعد الاستقلال، وان كانت قد عرفت قبل ذلك بعدة سنوات، عندما بدأ تفكك المفصلية القائمة بين اللغة والدين، فحينها لم تبرز الثنائية اللسانية أو تعددها في ظل دين شامل التحم فيه الوافد مع أهل الديار، وان كانت للوافد زلاته وأخطاؤه فان المستقبل كان متسامحا أو متجاوزا لها بفعل اللحمة بينهما.

ب . العوامل الذاتية:

إن مجيء الاستعمار الصليبي واتباعه لخطة من شانها أن تقوض أركان اللسان الجامع(عمار طالبي، 2009)، ولم يكن في حاجة لان يباشر تنفيذ الخطة بنفسه بعد خروجه الشكلي من العالم العربي والإسلامي، إذ تولى تنفيذ الخطة قوم

من جلدتنا ويحملون أسماءنا، فعمل هؤلاء على فك المفصلية بين اللغة العربية والدين الإسلامي بطرق وأشكال شتى في مختلف الأقطار العربية الإسلامية التي تكونت بعد حل الحبل المتين الذي كان يربط ويعزز المفصلية العربية الإسلامية دون تمييز بين الناس على أساس دين أو عرق أو جنس....فانبرى لعملية التفكيك رجال منا متبعين عدة وسائل وطرق على رأسها تنفيذ خطة المستعمر على مستوى الأنظمة التربوية وبرامجها.

إن هذه العملية المقوضة للسان الجامع برزت أحيانا في صورة دعوات مدافعة عن اللغة العربية، لكن في الظاهر فقط، أو بالدعوة إلى ترقيتها بصورة منفصلة عن ملازمها أو مكونها الأساسي والذي رافقها في دخولها ألي الديار وفاتح القلوب لها قبل الأبواب. وعندما برزت مثل هذه الدعوات نظر إلى العربية كدخيل لا يختلف عن أية لغة أخرى، ووجد خصومها مبررا لمحاربتها بدعوى أنها ليست لغة علم وان أهلها متخلفون ....وأحيانا أخرى برزت في صورة دعوات محاربة للغة العربية جهرة مثل الحركة التي تدعو إلى استبدال اللهجات المحلية باللغة العربية، أو تدريس اللغات الأجنبية والعناية بها كل العناية بينما اللغة العربية لم تجد إلا الإهمال.(إبراهيم زيد الكيلاني، 2007).

إن هؤلاء تغافلوا تجارب الأمم المختلفة في إحيائها للغات كانت في عداد اللغات الميتة كالعبرية، علاوة تجارب الأمم المتطورة علميا وتكنولوجيا مثل اللغة السويدية، والمحافظة عليها، وهي لغة قومية وليست في مقام اللغة العربية التي لم تجد اهتماما مماثلا لذلك الذي خصص لتدريس اللغات الأجنبية ومنها الفرنسية في الجزائر رغم تدني مكانة الفرنسية في العالم أمام العديد من اللغات الأخرى وعلى رأسها الانجليزية. (نورة خالد السعد، 2011).

أما دعاة حماية اللغة العربية كثيرا ما تبنوا منهجا أرسطيا ثنائي القيم، ينظر إلى القضايا إما باعتبارها صادقة أو باعتبارها كاذبة، وعندئذ فان القضية الأخرى يقف منها صاحب هذا المنطق موقف الرافض المحارب. فقد تبنى هؤلاء

منهجا يضع اللغة العربية موضع الضرة للغات وا للهجات القومية بدل أن يتبع منهجا يستوعبها ويؤاخيها. فأصبح أصحاب هذا المنهج يقفون موقفا معاديا لكل لغة قومية محلية أو لهجة، كما يحلو لهم تسميتها، ويربطون إتباعها بالاستعمار، واستغل الاستعمار الغربي هذه الثغرة من اجل تحقيق أهدافه في التفرقة بين شعوب الأمة الإسلامية الواحدة. والسؤال الذي يطرح هنا هل في التجربة الإسلامية الأولى التي أقامها النبي (ص) ما يدل على سلوكه هذا النهج الذي يبرز فهما غير سليم للدين الحنيف؟

في تصورنا ليس من المبالغة في القول أن هذا المنهج الأرسطي الكلاسيكي مناف للمنهجي الإسلامي المتعدد القيم الذي يتسع لإيجاد الحلول لمختلف القضايا، والسيرة النبوية الشريفة تزخر بالمواقف العملية للرسول (ص) في التعامل مع مثل هذه القضايا التي تحتاج إلى مرونة ونظرة شاملة حتى لا يسيء احدنا لامته ويساهم في محاربة اللسان الجامع وهو اللغة العربية بالنسبة للمسلمين، لكن لا ينبغي تحويل العربية إلى لهجة لقبيلة أو لغة اثنيه لقبيلة من قبائل أدغال إفريقيا.(أحمد يوسف، 2012).

وحتّى نفهم المنهج الذي يسيء للغة العربية يجب أن نعود إلى ظروف نشأته. فالمعروف عند المؤرخين الموضوعيين هو أن حركة تراجع حدثت بعد الخلافة الراشدة في التاريخ الإسلامي إن لم تكن قد بدأت تلك الحركة قبل ذلك بانبعاث العصبيات القبلية التي عالجها الرسول (ص) ومن بعده خلفاؤه الراشدون(رض) المقتدون بهديه، ثم طغت في عهد الحكم الأموي ومن جاء بعدهم، ولعل حادثة مقتل عقبة ابن نافع على يد كسيلة تعد نتيجة لهذا المنهج. ولقد استمر هذا التيار في الوجود إلى أن جاء الاستعمار الغربي الذي أذكاه ووظفه في إطار سياسة فرق تسد، ولم ينج بعض اتباع المذاهب الإسلامية من الوقوع في مطب هذا التصور الضيق لمفهوم اللغة وإهمال تمفصلها مع الدين الإسلامي.

وفي التاريخ الحديث والمعاصر ابتلي العالم الإسلامي بمن انتسب إلى الإسلام لكن الإسلام المنفك عن العروة الوثقى بين الدين واللغة، ويصدق ذلك بالنسبة لبعض الدول الإسلامية خاصة الدولتين العثمانية و الصفوية. ولقد عانى العالم العربي من سياسة التتريك، ولذلك عندما سنحت الفرصة حملت الثورة العربية الكبرى لواء مخالفا لما تبنته الدولة العثمانية فتبنت الدفاع عن العروبة المنقوصة من روحها وهو الدين والذي فتح للناس قلوبها ليتقبلوا اللسان الوافد. ولقد كان ساطع الحصري (1879-1968) نموذجا لهذ ه الثنائية التي لا تتحمل إلا صدق قضية واحدة فقط بغض النظر عن العلاقة التي تربطها ببقية القضايا، علما بأن العلاقات بين القضايا متعددة وليست محصورة كما اعتقد أرسطو. ولم ينج بعض أتباع التوجه الديني من تأثير المنطق الأرسطي فتم تبني نهجا إقصائيا يرفض الآخر مهما كانت العلاقة بينهما وهذا تطبيقا للمنطق الأرسطي الذي لا يتجاوز حدود الشكل، فالجميع يفكر داخل منطق حدوده وقضاياه وعلاقاته المنطقية ضيقة، انه منطق ما قبل المنطق الإسلامي الذي تمفصل مع اللغة العربية التي كانت لسانا جامعا لأجناس متباينة وأصقاع متباعدة. (أحمد يوسف، 2012).

لا شك أن إخفاقنا في الاتفاق حول لغة جامعة هو تعبير عن أزمة تعيشها الأمة الجزائرية التي يعمل أبناؤها على تعميق تجزئتها وتفتيتها، وإذكاء التناقض بين واقعها وجوهرها، وهي صورة لبقية الأقطار العربية والإسلامية، في غياب الفلسفة الشاملة التي تعزز النظرة المفصلية للعلاقة بين اللغة و الدين. (نورة خالد السعد، 2011).

9- تصور لحل المشكلة:

أن حل إشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر ليس بالأمر الهين واليسير نظرا لتعقد المشكل في ظل ظروف المسئول عنها ليس الجزائريون فقط بل تتداخل العوامل الخارجية وهي عوامل متعددة ومتشابكة علاوة على دور

العوامل الداخلية، يحتاج علاجها إلى أن يكون الانطلاق من الداخل لان الخارج يفلت من بين أيدي الجزائريين في معظمه. فأول علاج جاد لتجاوز مختلف تلك العوائق يمكن أن يتمحور حول ما يلي:

أولا: دراسة الواقع القومي في الجزائر:

أن تعد دراسات موضوعية علمية غير منحازة لواقع المجتمع الجزائري من حيث بنيته السكانية القومية، ومحاولة التركيز على أسباب القوة والضعف في العلاقة بين القوميتين الأساسيتين الأمازيغية والعربية من حيث أسسها . وبناء على النتائج المتوصل إليها يمكن تعزيز الإيجابي من العوامل وتصحيح ما فسد منها، خاصة في ظل التطورات العالمية المعاصرة التي أرست قواعد جديدة للتعامل بين الأفراد والجماعات على اختلاف أجناسها ودياناتها، في إطار فلسا تجديدية تعمل عملها على المستوى النظري وعلى المستوى الواقعي العملي. وأي دراسة لا يمكنها أن تتجاهل التطورات المختلفة التي عرفها المجتمع الجزائري عبر العصور العابرة وخاصة القرنين الأخيرين، علاوة على التطور السريع الذي يعرفه القرن الواحد و العشرين.

إن هذه الدراسات لا يمكن أن تتجاهل مجموعة من الحقائق التاريخية التي تحتل حيزا لا باس به في ذاكرة الأمة، منها:

. لقد عرفت الجزائر بنية سكانية قبل الفتح الإسلامي.

. ان هناك أخطاء ارتكبها الفاتحون كبشر، لا يمكن إنكارها ، بل يجب النظر إليها كما هي باعتبارها أخطاء بشرية تتكرر عبر العصور وفي كل المجتمعات، يجب التعلم منها و الاتعاظ بها.

. إن دخول العربية كان مرتبطا بدخول الإسلام إن لم نقل كان دخوله قبل دخولها وأية محاولة تتجاهل ذلك لا يكون مصيرها إلا المعارضة.

. إن تميز الأمازيغ بعادات وتقاليد في الجزائر كاستمرار وجودهم كمجموعة بشرية تقطن بعض المناطق، والمحافظة على اللغة الأمازيغية كتابة وقراءة، والعناية بتطويرها في إطار الثقافة الأمازيغية، يجب أن ينظر إليه في أطار فلسفة إسلامية خالصة لا تشوبها نظرة دخيلة عليها مهما كان مصدرها.

. إن الجزائريين كلهم لديهم ا لاستعداد الكامل للتعايش والتفاعل والتبادل الثقافي مع ثقافات الشعوب الأخرى، ومنها ثقافة الشعوب الإسلامية العربية، في إطار فلسفة إسلامية أصيلة.

. إن المسئول عن إشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر المسئول عنها تفريط أهلها في لغاتهم قبل محاربة الاستعمار لها، بغض النظر عن الانتماء الجهوي في الجزائر.

. إن عرقلة اختيار اللغة الجامعة يعود بالدرجة الأولى إلى تباين في مصالح الجهات الفاعلة سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الخارجي.

ثانيا: التحرر من المنطق الأرسطي في التعامل مع الواقع اللغوي في الجزائر، ويقصد عنه التحرر من الإثنية التي تجعل من اللغتين الوطنيتين الأمازيغية و العربية قضيتين متناقضتين.

ثالثا: العناية باللغتين الوطنيتين معا باعتبارهما آيتين من آيات الله، وتسخير كل الوسائل العلمية و التكنولوجية للحفاظ عليهما وتطويرهما.

رابعا: أن يترك للجزائريين حرية اختيار اللغة الإدارية التي يستعملونها، وهنا يمكن استعمال اللغتين معا الأمازيغية و العربية، والأولى تكون بديلا للغة الفرنسية. وفي هذا الصدد كتب السيد أحمد عصيد يقول: "إن انتشار العربية عبر وسائل الحياة العصرية وقنواتها المستحدثة، لا يمكن أن يكون في حد ذاته مصدرا لأي ضرر أو موجبا لأي احتجاج أو استنكار، إذ رضي بها المغاربة لغة لهم منذ قرون، ولكن أن يتم ذلك اليوم على حساب الأمازيغية التي خلافا للفرنسية لا تتمتع بأية حماية قانونية أو مؤسسية، فذلك بالضبط هو ما ينبغي أن يقرأ فيه

الإسلاميون وغيرهم أسباب انبثاق المطالب الأمازيغية، وليس "الظهير البربري".(أحمد يوسف، 2012)

خامسا: أن تستبدل الانجليزية بالفرنسية كلغة علم وتكنولوجيا في انتظار ترقية اللغتين الوطنيتين الأمازيغية و العربية.

سادسا: أن يتم اختيار اللغة الجامعة في إطار تفعيل كل العوامل التي من شانها أن توحد الجزائريين كأمة بمختلف أبعادها الحضارية الماضية و الحضارية و المستقبلة في إطار تصور وطني شامل بعيدا عن الإقصاء مهما كان نوعه ومصدره. فاللغة الجامعة يتم الاتفاق عليها عندما يجتمع الذين يريدونها وليس يصلح اختيارها لمن يعيشون في حالة تشتت وتمزق. ولذلك يجب وضع تشريعات من شانها أن تحمي الوحدة الوطنية قبل التفكير في وضع تشريعات تحمي لغة معينة باعتبارها لغة جامعة.

سابعا: أن تستغل التربية بكل أشكالها لخدمة هذا الغرض علاوة على تسخير وسائل الإعلام لخدمة هذا الغرض.

ثامنا: أن تبنى دولة مدنية ديمقراطية تستند إلى الشرعية الدستورية الديمقراطية واحترام وممارسة حقوق الإنسان والاعتراف بالحقوق القومية العادلة والمشروعة والابتعاد عن التمييز بين السكان، مهما كان شكله وبذل الجهد من أجل ضمان العدالة الاجتماعية التي تفتقدها الغالبية العظمى من شعوبها وتحقيق التنمية الوطنية، الاقتصادية والبشرية، أي العودة الصارمة إلى إرادة ومصالح الشعب.

خلاصة:

إن إشكالية اختيار اللسان الجامع للجزائريين إشكالية معقدة سبب تعقيدها تداخل العوامل الذاتية الداخلية التي عرفتها الجزائر في بعدها التاريخي والحضاري وما صاحب ذلك من انحرافات استغلها العدو الخارجي ليصنع منها عوامل خارجية أذكت ذلك الانحراف الذي عمل خاصة الجزائريين على تكريسه بفعل

إيثار المصالح الخاصة التي لم تعد مجرد مصالح فردية معزولة بل اكتست طابعا فئويا ممتدا ليستفيد منها الأجانب، وهؤلاء يتعاونون مع الداخل لإبقاء الإشكالية بدون حلول تعاني منها عامة الأمة الجزائرية. وتجاوز هذه الإشكالية أو معالجتها ينبغي أن يبدأ من حيث بدأت التجربة التاريخية الحضارية لأجدادنا فيقدم ما يجب أن يقدم وهو الدين الإسلامي الذي يحقق الحفاظ عليه وتطويره ويوفر الشروط الضرورية لحل إشكالية اللسان الجامع في الجزائر.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم زيد الكيلاني: اللغة العربية وهوية الأمة ، خزانة اللغة والأدب، الاصدار : 68، **09/ 2007** ،
http://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id=307

2. أحمد يوسف: الخطابُ القوميّ العربيّ . .. محاولة نقدية لمرجعيّات الفكر القومي العربي– الحوار المتمدن – العدد: 3628 – 2012 / 2 / 4 – 15:14،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=293980

3. رابح تركي: التعليم القومي و الشحصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

4. صاحب الربيعي : دور اللغة في تاريخ الأمة، الحوار المتمدن –العدد: 2393 –3/9/2008–08:52 .
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145925

5. الصادق النيهوم: اللغة ذاكرة الأمة –2009/12/07.
http://ensana.wordpress.com/2009/12/07/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9%D8%B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%A9–% D8%

A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A9-%D8%A 8%D9%82% D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%8A%D8%A8/

6. صالح بن حميد: اللغة ..عنوان سيادة الأمة، http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=27757

7. عمار طالبي: وضع اللسان العربي في الجزائر، الحياة الفكرية، العدد 02، 2009، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

8. غالب الفريجات: أزمة اللغة تعبير عن أزمة الأمة، http://www.al-moharer.net/moh279/fraijat279k.htm

9. محود فهمي حجازي: السياسة اللغوية في التعليم، الحياة الفكرية، العدد 02، 2009، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

10. مكّي الحسَني: أهمية اللغة للأمة وضرورة الاعتزاز بها والدفاع عنها، 22-10-09، 04:48PM ، http://ensana.wordpress.com/2009/12/07/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A9-%D8%A8%D9%82% 84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%8A%D8%A8

11. نورة خالد السعد : اللغة العربية وهوية الأمة، 2011/07/08.
http://www.al-madina.com/node/314171/risala

الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر

أ.د/ نصر الدين بن زروق
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة . الجزائر

إن اللغة العربية هي أداة تواصل بين أفراد المجتمع، ووسيلة للتطور العلمي والثقافي في أي مجتمع من المجتمعات، وعنصر من عناصر التماسك الاجتماعي والثقافي والديني.

وقد ظلت اللغة العربية منذ نزول القرآن إلى زمننا هذا وعاء للإسلام ورمزا للوحدة، وأداة للتطور العلمي والمعرفي إلا أن خضوع الكثير من الدول العربية للاستعمار الأوروبي أدى إلى تهميش اللغة العربية في كثير من الدول العربية، وإقصائها من المجالات العلمية والتكنولوجية وإحلال اللغات الأجنبية مكانها، والجزائر واحدة من هذه الدول التي تعرضت فيها اللغة العربية لأكثر أنواع التهميش؛ وذلك لطول فترة احتلالها من جهة، ونتيجة لطبيعة المحتل من جهة ثانية، الذي كان من أهم أهدافه القضاء على الهويّة الوطنية والإسلامية، التي كانت اللغة العربية أحد أقطابها.

لقد أدى هذا الوضع إلى ظهور صراع لغوي وفكري بين فئتين من المجتمع: فئة تدعو إلى إعادة الاعتبار للغة العربية في جميع ميادين الحياة، وفئة أخرى ممن تأثر أفرادها بالثقافة الفرنسية تدعو في المقابل إلى تعميم الفرنسية، وجعلها أداة للتواصل وخاصة في المجالين العلمي والإداري بحجة أن اللغة العربية غير قادرة على مواكبة التطور الحضاري والعلمي.

وسنحاول من خلال هذا الموضوع التطرق إلى ظاهرة الازدواجية اللغوية في الجزائر وانعكاساتها على العملية التعليمية بصفة عامة، وعلى واقع اللغة العربية بصفة خاصة، وبناء على ذلك تم طرح الإشكالية التالية:

ما هو واقع اللغة العربية في ظل الازدواجية اللغوية في الجزائر؟

وقد تفرعت الإشكالية الرئيسية إلى إشكاليات فرعية تمثلت فيما يلي:

. ما مفهوم الازدواجية وما أنواعها، وما الفرق بينها وبين الثنائية؟.

. هل الازدواجية هي اختيار تلجأ إليه الدولة أم هي واقع مفروض عليها وضرورة حتمية لا مفر منها؟.

. ما هي الشروط التي يجب توافرها لجعل الازدواجية عامل إثراء للغة الوطنية، وليس عامل إقصاء وتهميش لها؟.

التعريف اللغوي للازدواجية (Le bilinguisme)

الازدواجية كلمة مشتقة من مادة (زوج) وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن : « أن الزاي والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء من ذلك [الزوج زوج المرأة] قال تعالى« أسكن أنت وزوجك الجنة» البقرة25 ويقال لفلان زوجان من الحمام يعني ذكر وأنثى[1]»

المفهوم الاصطلاحي للازدواجية:

نظرا لتعدد أنواع الازدواجية اللغوية واختلاف مدلولها من باحث إلى آخر لم يتفق علماء اللغة على تعريف جامع مانع لها.

إن الازدواجية بمفهومها العام هي اعتماد الدولة لغتين في التعليم سواء أكان ذلك في مرحلة معينة أم أكثر.

والازدواجية بهذا المفهوم هي ظاهرة مضطردة في جميع الدول العربية إلا أنّ حدّتها تختلف من مجتمع عربي إلى آخر وسببها المباشر هو الاستعمار، ففي دول المشرق العربي التي تعرضت إلى الاستعمار الإنجليزي نجد أنّ اللغة الثانية هي الإنجليزية، أمّا في دول المغرب العربي فلغتها الثانية هي الفرنسية.

وقبل الحديث عن الازدواجية اللغوية في الجزائر يجدر بنا في البداية أن نبين الفرق بينها، وبين الثنائية اللغوية، لأننا لاحظنا وجود خلط كبير في استعمال المصطلحين، فهناك من الدارسين من يستعمل أحد المصطلحين للدلالة على المعنى الذي يرتبط بالمصطلح الآخر، وقد أدى ذلك إلى اللبس، وعدم وضوح الرؤية.

أولا : مفهوم الازدواجية

بالإضافة إلى المفهوم العام للازدواجية الذي سبقت الإشارة إليه هناك مفاهيم أخرى تختلف باختلاف استعمالاتها، وباختلاف النشاطات اللغوية المرتبطة بها في الواقع، ويمكن حصر أنواعها فيما يلي:

1 . الازدواجية الرسمية

[1] ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة ، تحقيق ، شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان(د.ت) ص38

وهي لجوء الدولة في إطار مخططاتها التنموية والثقافية إلى استعمال لغتين في عملية التدريس، وفي تسيير هياكلها ومؤسساتها.

2 . الازدواجية الفردية:

وتتعلق بالأفراد الذين يتقنون لغتين مختلفتين بالكفاءة نفسها وبما أن اللغة هي وسيلة للتفكير، ووعاء للثقافة فإن الفرد المزدوج اللغة يمتلك وسيلتين للتفكير ونظامين ثقافيين مختلفين.

3 . الازدواجية الفئوية

ويظهر هذا النوع من الازدواجية في الدول التي يتحدث أبناؤها بلغتين مختلفتين تمام الاختلاف كاستعمال بعض المناطق الجزائرية لنظامين لغويين أحدهما يتمثل في اللغة الأمازيغية، أما الثاني فيتمثل في اللغة العربية الفصحى أو الدارجة المنبثقة عنها.

4 . الازدواجية الطبقية

وهي عبارة عن مشروع سياسي وثقافي تتبناه فئة من أبناء الوطن، وتتخذ من التعليم أداة لتنفيذه على أرض الواقع وذلك بهدف إنشاء طبقة لغوية تكون فيه الغلبة للغة الأجنبية، وغالبا ما يكون هذا المشروع معارضا للمشروع اللغوي الوطني، ومناوئا له، لأن أبناءه والمدافعين عنه ممن تلقوا تعليمهم باللغة الأجنبية، وتشبعوا بالثقافة الغربية.

5 . الازدواجية المؤقتة

وهي لجوء الدولة في بداية نشأتها إلى تكوين الإطارات والباحثين في الميادين العلمية والتكنولوجية باللغة الأجنبية وذلك إما داخل الوطن، أو بإرسال بعثات علمية إلى الخارج والهدف من هذه العملية هو نقل التكنولوجيا، وكل ما استجد من علوم ومعارف إلى اللغة العربية من أجل إثرائها وتطويرها، وجعلها أداة للدراسة والبحث العلمي.

6 . الازدواجية القطاعية

هي لجوء الدولة إلى استعمال لغتين في قطاعين مختلفين ويسمى هذا النوع من الازدواجية (بالتعايش اللغوي) ويتم من خلاله تقسيم مواد المنهاج بين اللغة الأجنبية والعربية[1]، وغالبا ما تعطى الأهمية في ذلك إلى اللغة الأجنبية حيث تعتمد كأداة للتكوين في المجالين العلميوالتكنولوجي، وتسيير المؤسسات الرئيسية في البلاد في حين يعمد إلى تهميش اللغة الوطنية، وحصرها في مجالات ضيقة، وقطاعات ثانوية.

الثنائية اللغوية La diglossie :

التعريف اللغوي:

الثنائية كلمة مشتقة من مادة ثني، وقد ورد في معجم للمقاييس لابن فارس أن: «الثاء والنون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين، أو متباينين، وذلك كقولك ثنيت الشيء ثنيا والاثنان في العدد معروفان ... والثني في الأمر يعاد مرتين قال الرسول صلى الله عيه وسلم « لا ثني في الصدقة» يعني لا تؤخذ في السنة مرتين»[2].

التعريف الاصطلاحي للثنائية:

للثنائية اللغوية تعريفات كثيرة، ومختلفة إلا أنها تشترك في معنى عام وهو وجود نمطين من الكلام ينتميان إلى أصل لغوي واحد كأن يتحدث الناس مثلا في بلد ما من البلدان العربية بلغتين الأولى وتتمثل اللغة التي تستخدم في المجالات الرسمية كالتعليم والإعلام والبرلمان؛ وإصدار القوانين ، والثانية وهي التي تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينهم [3]، ويعرفها (فيرغسون) (Charles Ferguson) بأنها تمثل نمطين أو أسلوبين مختلفين من اللغة نفسها

---

[1] ينظر شحاذة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار الطليعة الجديدة، 2001، ص 98.

[2] ابن فارس ، معجم المقاييس في اللغة ، ص : 188 .

[3] ينظر محمد الخولي، الحياة مع لغتين ، جامعة الملك سعود الرياض ، 1988 ، ص 17 . 18 .

يستخدمان في مجتمع واحد، وفي مجالات ووظائف مختلفة واحد من هذين الأسلوبين يحظى عموما بوضعية اجتماعية أعلى من الآخر ويطلق على الشكل الأول بالشكل الراقي (Variété haute) أما الشكل الثاني وهو الأقل منه فيسمى بالشكل الأدنى[1] (Variété basse).

والثنائية هي ظاهرة عامة ومضطردة لا يخلو منها أي مجتمع يقول (Marcel Cohen) مرسال كوهن: «وحدة اللغة بمفهومها المطلق لا وجود لها فحتى أفراد المجتمع الذين لا يملكون إلا لغة واحدة يستعملونها بالطريقة نفسها في كل المقامات»[2].

ولا يوجد اختلاف في هذه المسألة بين المجتمعات إلا فيما يتعلق بدرجة القرب، أو العبد بين العامية والفصحى ويرجع قرب أو بعد النمطين من بعضهما إلى عدة عوامل كقدم اللغة الرسمية، أو تداخلها مع لغات أخرى بسبب الهجرات أو الاستعمار، أو تقليص استعمالها في مجالات الحياة الأساسية وغيرها من عوامل.

وإذا كانت الثنائية اللغوية تقتضي وجود نمطين من أنماط الاستعمال اللغوي فإنّه يتعين علينا أن نعرّف كل نمط على حدة حتى تتضح الصورة في ذهن القارئ.

أولا : تعريف اللغة العامية (Dialect)

هي أداة التواصل التي يستخدمها الناس في تعاملهم اليومي فهي «عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»[3].

---

[1] ينظر موقع http/www alfusha net .

[2] نقلا عن الدكتورة سهام مادن الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، 2001، الحكمة 64

[3] الدكتور إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2003 ، ص 15.

أو هي عبارة عن « نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة العامية»[1].

يتجلى لنا من التعريف الثاني أن العلاقة بين العامية واللغة الرسمية هي علاقة عموم وخصوص، حيث أن اللغة الرسمية تشتمل على عدة لهجات، وتتميز ببعض الخصائص عن هذه اللهجات المتفرعة عنها إلا أنها تشترك معها في صفات أخرى هي الصفات الكلية[2].

وعلى الرغم من تعدد المصطلحات التي تطلق على العامية إلا أن هناك من الباحثين من يفضل استعمال مصطلح الدارجة على هذا المفهوم وذلك «لما تتضمنه كلمة (العامية) من دلالة طبقية، وصفات تحقيرية استهجانية لا تليق بالبحث العلمي المجرد»[3].

ثانيا: تعريف الفصحى (La langue arabe classique)

«هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ودوّن بها التراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري»[4].

وسميت بالفصحى نسبة إلى الفصاحة وهي كما يقول حسين عبد القادر: « قوة العبارة ونصاعة البيان وحسن التعبير»[5].

الازدواجية اللغوية والتغريب:

لقد أصبح تعلم اللغات أو على الأقل لغة ثانية إلى جانب اللغة الرسمية أو الوطنية ضرورة حتمية، وميزة من مميزات هذا العصر المتسم بالانفتاح العالمي،

---

[1] الدكتور محمد محمد داود ، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001 ، ص 64.

[2] ينظر المرجع السابق ، ص 64.

[3] الدكتور الطيب البكوش ، من قضايا اللغة المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990 ، ص 174.

[4] الدكتور إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 1985 ، ص 144 .

[5] الدكتور حسين عبد القادر، فن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت، ط2 (د.ت) ص: 65

والتراكم العلمي والمعرفي والتطور السريع في جميع مناحي الحياة: اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، تربوية... إلخ

وإنّ دراسة لغة ثانية وإتقانها هي ظاهرة إيجابية وصحية إذا ما تمت بطريقة عقلانية، وروعيت فيها المقاييس العلمية والتربوية.

وإنّما يجب أن تدرس هذه اللغة باعتبارها لغة ثانوية، ووظيفية في الآن نفسه وأن لا تدرس وكأنها لغة وطنية حتى لا تؤثر في شخصية التلميذ وتؤدي إلى تغريبه دون أن تقدم له ما ينفعه في حياته العلمية [1] وإن الملاحظ أن اللغة الأجنبية تدرس في كثير من الدول العربية وكأنها لغة وطنية يقول الباحث اللبناني نزار الزين: لا تدرس اللغة الأجنبية كلغة ثانية في لبنان بل تعتمد بشكل مواز للغة الأم، أو بشكل يفوق اللغة الأم فتخصص لها ساعات مماثلة في البرامج الموضوعة ويعهد لها بتدريس العلوم والرياضيات، ومسائل الفكر والفلسفة، وحتى التاريخ والجغرافيا ويترك للعربية مسألة الأدبيات، والتاريخ والجغرافيا، وقلما تدرس العلوم والرياضيات باللغة العربية[2].

ولا يقتصر الأمر في هذه المسألة على لبنان وحده بل إن كثير من الدول العربية تسير في الاتجاه نفسه مما أدى إلى وقوع الكثير من أبناء الأمة العربية في مستنقع التغريب وهو «عملية مخطط لها من قبل الحكومات الغربية وأتباعها في بلادنا وتهدف إلى صبغ المجتمعات الإسلامية في شتى المجالات بصبغة غربية تفقدها تميزها وتجرها إلى حالة من الرضا بالتبعية للغرب وهذا أخطر ما تصاب به أمة في صميم كيانها»[3].

الازدواجية وواقع اللغة العربية في الجزائر

---

[1] ينظر الدكتور نزار الزين تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية شركة المطبوعات التوزيع والنشر بيروت 1998، ص:114

[2] المرجع السابق ص: 113

[3] عبد التواب مبروك سعيد، اللسان العربي الهوية اللازمة المخرج، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص122

حظيت اللغة الفرنسية في الجزائر بعد الاستقلال بأهمية كبيرة، وظلت إلى فترة طويلة تدرس للتلاميذ في مختلف مراحل التعليم وكأنها لغة وطنية حيث كانت تخصص لها ساعات مماثلة تقريبا للساعات المخصصة للغة العربية، ويعهد لها تدريس المواد العلمية وقد كان لذلك سببان أحدهما موضوعي وهو قلة المعلمين والأساتذة المكوّنين باللغة العربية والمؤهلين للتدريس بصفة عامة وتدريس المواد العلمية بصفة خاصة وذلك بسبب سياسة التجهيل التي مارسها الاستعمار على الشعب الجزائري طيلة فترة الاحتلال.

أما السبب الثاني فهو وجود مشروع ثقافي يهدف إلى فرنسة التعليم في الجزائر، وقد تبنت هذا المشروع فئة من الأشخاص الذين تلقوا تعليمهم أيام الاستعمار باللغة الفرنسية، وكان لهم نفوذ واسع وكبير في السلطة بعد الاستقلال، وكانوا يعتبرون بأن اللغة الفرنسية هي مكسب لابد من المحافظة عليه والدفاع عنه بكل الوسائل وبشتى السبل وكان لهم موقف سلبي من اللغة العربية.

وكان من نتائج هذا البرنامج التعليمي تكريس اللغة الفرنسية في الجزائر على حساب اللغة العربية التي أصبحت غريبة في وطنها تشكو الإهمال والتهميش.

وقد أصبح إتقان اللغة الفرنسية هو مقياس النجاح في المسابقات، والحصول على المناصب المهمة والأساسية في البلاد الأمر الذي أدى إلى بروز فئتين في المجتمع فئة تحظى بكل الامتيازات والمصالح، وفئة أخرى تعاني التهميش والإهمال وهذا يتعارض مع الديمقراطية التي من أهم مبادئها الدعوة إلى المساواة بين أبناء الوطن الواحد.

يقول أندري قوتيه: «... كان كونت الفلاندر أميرًا فرنسيا ففي حاشيته كان الكلام بالفرنسة أساسًا ومن البديهي فإن من كان يريد أن يصل إلى أعلى المراتب كان عليه أن يتقن تلك اللغة (اللغة الفرنسية) في حين أنّه كان من اليسير جهل اللغة (الفلامنكية) ولمّا كان اندفاع البورجوازيين في كل الأزمان والأمكنة نحو

تقليد النبلاء، فإن بورجوازي منطقة الفلامنك، وتابعيهم من الذين يأملون في الوصول إلى تلك الطبقة الاجتماعية أخذوا يتكلمون هم أيضا الفرنسية[1].

ولما أحست الدولة الجزائرية بخطورة الوضع سارعت إلى الإصلاح التربوي والتعليمي وذلك بتعريب كل المواد العلمية (علوم، رياضيات، فيزياء، وكيمياء، وغيرها) في مراحل التعليم ما قبل الجامعي وتعريب العلوم الإنسانية (حقوق، علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة...) وغيرها من التخصصات المرتبطة بها في المرحلة الجامعية، وقد أدى ذلك إلى تحقيق نتائج جيدة إلا أنّ هذا المشروع لم يعمر طويلا إذ سرعان ما تم إجهاضه لتعود الفرنسية إلى مركز الصدارة، وذلك من خلال المدارس الحرّة التي انتشرت في مناطق كثيرة من الوطن وخاصة في المدن الكبرى وهي مدارس تعطي فيها الأولوية للتعليم باللغة الفرنسية، ولا يلتحق بها إلاّ أبناء النخبة والأثرياء، وقد أدى هذا الوضع إلى بروز نمطين من التعليم: تعليم عام تحظى فيه العربية بالنصيب الأوفر من الاهتمام، وتعليم خاص يجعل من اللغة الفرنسية محور العملية التعليمية ويهمش اللغة العربية ويقلل من استعمالها.

بل إنّ هذا النوع من التعليم يسعى إلى تكريس اللغة الفرنسية في أذهان التلاميذ فهو لا ينظر إليها على أساس أنها أداة لإكساب المعرفة ووسيلة لتدعيم اللغة العربية وخدمتها وإنما ينظر إليها على أنها مشروع ثقافي وحضاري يسعى أصحابه من خلاله إلى القضاء على الثقافة الوطنية، وإحلال الثقافة الأجنبية أو بالأحرى الثقافة الفرنسية محلها.

يقول كوسا (Caussa) في مقال له نشر سنة 1973 في مجلة نفسانية الشعوب « إن الشعوب التي تعتريها هذه النزعة يصاب أفرادها بفقدان الهوية أو تأرجحها مما يجعلهم يعيدون النظر في انتمائهم الرسمي، ويعرضهم إلى اضطرابات نفسية تتمثل في

[1] أندريه قوتيه، المسألة السياسية في بلجيكا نقلا عن نزار الزين تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية ص: 1.117

تصرفات نكوصية Regressives وهوامية Fantasmetique، أو بتعبير آخر يولّد عندهم الشعور بضياع الهوية، والبحث عنها في الوقت نفسه»[1].

إضافة إلى ذلك أن هذا النوع من التعليم الذي لا يراعي المقاييس العلمية والتربوية في تعليم اللغة الأجنبية بحيث يبدأ تعليمها للتلاميذ في سن مبكرة يولد عندهم اضطرابات نطقية، ومشكلات تعبيرية في المستقبل وقد أثبت الاستقصاء الذي نظمته (الأونيسكو) عام 1951 والذي شارك فيه خبراء من عدة دول « أن الطفل الذي يوضع في هذه الوضعية وفي سن لم تكتمل فيها بعد قدرته على التعبير حتى في لغته الأم يتعرض لأن لا يصل إطلاقا إلى التعبير بشكل مقبول»[2].

كما توصل هؤلاء الخبراء أيضا إلى أن تعلم اللغة الأجنبية إذا كان ضروريا فمن المناسب على الأقل أن يتم تأجيله إلى أطول مدة ممكنة[3].

ولا يقتصر الأمر على الاضطرابات التعبيرية في هذا النوع من التعليم الذي تكون فيه اللغة الأجنبية هي محور العلمية التعليمية، وإنما يؤدي إلى مشكلات أخرى لا تقل خطورة عن المشكلة الأولى إذ يلجأ الكثير من التلاميذ إلى توظيف معظم طاقاتهم في استيعاب اللغة ويسلب منهم جهدا كبيرا في استيعاب سائر المواد خصوصا إذا كانت هذه المواد تدرس باللغة الأجنبية[4].

ومن هنا كان لابد للسلطات أن تراقب البرامج التعليمية في المدارس الحرة وأن تعمل على توحيد التعليم في القطاعين الخاص والعام بحيث تصبح

---

[1] مجلة نفسانية الشعوب 08 حيزران 1973 عنوان المقال: لغة وطنية وإبداعية شعرية نقلا عن نزار الزين، تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية ص: 115.

[2] مجلة دراسات ووثائق عدد5، مؤسسة بليسنيه 1963 ، مقال جوزيف هانز ص 35 مقال بعنوان ماذا ترى نقلا عن الدكتور نزار الزين، تعريب التعليم، ص :116.

[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 116.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الازدواجية اللغوية فيهما عامل إثراء يخدم الثقافة المحلية، ويسعى إلى ترسيخ الهوية الوطنية، وليس عامل تغريب.

الآثار السلبية للازدواجية اللغوية

إذا كانت الازدواجية ضرورة حتمية في زماننا اقتضتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ودعا إليها التقارب بين الأمم والشعوب في ظل ما يسمى بالعولمة فإنه لابد من اتخاذ التدابير اللازمة والالتزام بالمقاييس العلمية والتربوية لكي يمكن أن نحقق من خلالها ما يخدم ثقافة أمتنا وتماسكها الاجتماعي ونتجنب كل ما يمكن أن ينجم عنها من آثار سلبية.

وقد توصلنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى أن للازدواجية اللغوية آثار سلبية كثيرة يمكن حصرها في النقاط التالية:

1 . إن وجود لغتين إحداهما وطنية والأخرى أجنبية بنفس الدرجة من الاهتمام في أمة ما من الأمم يؤدي إلى انفصام في الشخصية لدى أبنائها ويعرضهم إلى المسخ والانسلاخ.

2 . إن الازدواجية التي تقوم على منح مكان الصدارة إلى اللغة الأجنبية، وتفضيلها على اللغة الوطنية سيلحق أضرارا بالغة بالهوية الوطنية، ويؤدي إلى ازدواجية ثقافية كما يؤدي إلى ظهور طبقتين لغويتين واجتماعيتين متعارضتين من حيث المصالح والاهتمامات، والتوجهات الفكرية والثقافية[1].

إن تعليم اللغة الأجنبية للتلاميذ في سن متقدمة، أو في الفترة نفسها التي يبدأ فيها تعليم اللغة الوطنية، وقبل أن تكتمل فيها قدراتهم على التعبير بهذه اللغة سوف يعرضهم في المستقبل إلى اضطرابات في اللغة أو إلى العجز التام عن التعبير باللغتين، كما أثبتت ذلك التجارب، ذلك لأن لكل لغة خصائص صوتية وصرفية وتركيبية تختلف عن خصائص اللغة الثانية، وإن هذا التباين بين النظامين يؤثر سلبا على اللغة الوطنية .

[1] مقال في الأنترنيت بعنوان الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية http:/taouinet.Maktoobblog.com

4 . إن إصرار الدولة على تعليم المواد العلمية باللغة الأجنبية يجعل المتعلمين والباحثين يخدمون المجتمع المتحدث بتلك اللغة أكثر مما يخدمون بلدهم ولغتهم، كما أنهم لا يفيدون كثيرا التنمية الشاملة في مجتمعهم ذلك لأن هذه التنمية تستدعى سريان الذهنية العلمية في جميع أبناء الأمة، وفي مختلف طبقاتها[1].

إيجابيات الازدواجية:

كما أن للازدواجية سلبيات فإن لها أيضا إيجابيات كثيرة لا يمكن إنكارها ويمكن حصر هذه الإيجابيات فيما يلي:

1 . أنها تسهم في تنمية الرصيد العلمي والمعرفي للأفراد وذلك من خلال اطلاعهم على ثقافة الآخر وتجاربه، ومنجزاته العلمية والحضارية.

2 . تساعد على نقل العلوم والفنون والمعارف من اللغة الأجنبية إلى اللغة الوطنية، وذلك عن طريق الترجمة مما يؤدي إلى إثراء اللغة الوطنية، ويمكّنها من أن تصبح أداة لتدريس العلوم التكنولوجية.

3 . تمكن الدولة المستعمرة بفتح الميم من التعرف على مخططات الاستعمار امتثالا للقول المأثور « من تعلم لغة قول آمن شرهم».

4 . تخدم المصالح السياسية والاقتصادية والتعليمية المشتركة بين الأمتين، وتؤدي إلى تبادل التجارب في شتى المجالات بينهما وذلك من خلال التواصل اللغوي والعلمي.

الاقتراحات:

1 . ضرورة تعليم لغة أجنبية على الأقل، ولكن بشرط أن يتم ذلك بعد أن تستقر اللغة الأم في ذهن التلاميذ وبعد تمكنهم من اكتساب أساسياتها بحيث يصبحون قادرين على تطويرها فيالمراحل الآتية، ونقترح أن تدرس اللغة الأجنبية للتلميذ في

[1] ينظر، الدكتور . نزار الزين ، تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية ، : 125

سن العاشرة من عمره التلميذ، وهي السن التي يبدأ فيها الطفل بالاهتمام باللغات الأخرى وبالعالم الخارجي، كما أثبتت ذلك الكثير من الدراسات[1]

2 . يجب أن تدرس اللغة الأجنبية باعتبارها لغة وظيفية تستجيب لحاجات التلميذ وتتجاوب مع ضرورات الحياة وليس كلغة أم ثانية[2].

3 . يجب أن تدرس كل المواد باللغة العربية في جميع مراحل التعليم، وتدرس اللغة الأجنبية كلغة فحسب، ويستحسن أن يبدأ التلاميذ في المرحلتين المتوسطة والثانوية بدراسة المصطلحات العلمية والتكنولوجية باللغتين العربية، والأجنبية ليتمكنوا في المستقبل من الرجوع إلى المصادر الأجنبية، وفهم ما تتضمنه من علوم ومعارف.

4 . التزام الأساتذة باستعمال اللغة العربية الفصحى في تدريس كل المواد، وتجنب استعمال الدارجة واللغة الأجنبية أثناء الشرح والمناقشات.

5 . على وزارة التربية والتعليم أن تقوم بمراقبة المدارس الحرة بشأن تعليم اللغات الأجنبية سواء كان ذلك من حيث الخطة المبرمجة، أو عدد الحصص أو الكتب المدرسية ، وإلزام المدارس بإعطاء الأهمية الكبرى للغة العربية حتى لا تتحول اللغة العربية إلى لغة ثانوية[3].

6 . ضرورة الربط بين التعليم العربي والمؤسسات الاقتصادية، وذلك بالسماح للطلبة المتخرجين من الجامعات والمندمجين بهذه المؤسسات بممارسة أعمالهم باللغة العربية حتى لا يشعرون بالاغتراب والدونية.

7 . وضع خطة إستراتيجية لاستئناف عملية التعريب في مختلف القطاعات الاقتصادية والإدارية.

---

[1] شحاتة أحمد السمان يوسف، الثنائية اللغوية مقال بالأنترنيت

[2] ينظر، الدكتور. نزار الزين ، تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية، ص 200

[3] ينظر، شحاته أحمد السمان، اثر الثنائية اللغوية على اكتساب أطفال مرحلة ما قبل المدرسة لبعض المهارات اللغوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أسيوط .

ونخلص مما تقدم إلى أن الازدواجية اللغوية في الجزائر هي من أهم القضايا التي تشغل السياسيين والمثقفين، ذلك لارتباطها بمسألة الهوية والمقومات الشخصية، وهي مسألة معقدة لا يمكن للباحث اللساني أن يعالجها بمفرده بل لابد من أن يشترك معه في هذه المعالجة كل من العلماء والتربويين والسياسيين، ولا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام أنني ضد تعلم اللغات لأن تعلم اللغات أصبح في زماننا ضرورة حتمية ولا ينكره إلا جاهلا أو متعنتا، وإنما يجب مراعاة المقاييس العلمية والتربوية في تعليم اللغة الثانية أو الثالثة، وأن لا يكون ذلك على حساب اللغة الوطنية بل لابد أن تكون اللغة الثانية أو اللغات الأجنبية عاملا إيجابيا ومساعدا على إثراء اللغة الوطنية وتطويرها وجعلها لغة العلم والمعرفة وليس أداة هدم وتغريب ومسخ.

فهرس المصادر والمراجع:

إبراهيم أنيس في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.

ابن فارس معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمران، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).

من قضايا اللغة المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم تونس 1990.

إميل بديع يعقوب فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت،ط 1، 1985.

حسين عبد القادر فن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط2، (د .ت) .

سهام مادن الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، 2011.

أثر الثنائية اللغوية على اكتساب أطفال مرحلة ما قبل المدرسة لبعض

المهارات اللغوية ، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة أسيوط .
دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار الطليعة الجديدة، ط1، 2001.
عبد التواب مبروك سعيد اللسان العربي الهوية، الأزمة المخرج، دار الوفاء للطباعة ، (د.ت)
محمد الخولي الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988 .
تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط1998.

العلاقة بين اللسان الرسمي والهوية في المجتمعات المتعددة الألسن.

أ.د/ ميمون مجاهد – جامعة سعيدة

توطئة:

إن الوعي بظاهرة **التعدد اللساني**[1] دفع المختصين إلى الاهتمام البالغ بها و البحث فيها والبحث في كيفية تسييرها،نظرا لما تكتسيه من أهمية بالغة الخطورة انطلاقا من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية التي بدأ العالم يعيشها بداية من القرن الماضي وحتى الآن ؛فكان لعلماء السوسيولسانيات الدور الأكبر في تحديد مجال واضح، دوره الأساسي البحث عن آليات لتسيير هذه الظاهرة داخل المجتمعات، سيتجسد فيما سيعرف لاحقا بالتخطيط اللساني. وهذا المجال سيصبح الحقل الخصب الذي تطبق فيه التصورات والآليات العملية للسوسيولسانيات،انطلاقا من دراسة الألسنة والبحث في علاقاتها ببعضها بعض،

---

[1]. « le monde est plurilingue , c'est un fait et l'histoire linguistique, qui est l'un des aspects de l'histoire du monde, est en grande partie constituée par la gestion du plurilinguisme »
القول لأحد أكبر المختصين في التخطيط اللغوي و السياسات اللغوية، الفرنسي لويس جان كالفي .
Voir :Louis Jean Calvet- la guerre des langues –Hachette littératures-199.p43

داخل المجتمعات المتعددة الألسنة؛ نظرا لحساسية العلاقة بين الألسنة في المجتمع الواحد، كونها تستند في أغلب الأحيان إلى حمولات ثقافية ترتبط بالدين أو العرق، باختصار تجسد الهوية ووجود الجماعة اللغوية في حد ذاتها.

إن مسحا شاملا لعالمنا اليوم يبرز مدى حساسية هذه الظاهرة،خاصة وأن أغلب المجتمعات متعددة الألسنة [1]، الأمر الذي يستوجب وضع سياسات لسانية وتخطيط لساني يأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل مجتمع، لأن حساسية اللسان وعلاقته بالهوية والدين والعرق والانتماء والوجود لكل مجموعة بشرية، يستوجب التخطيط السليم ووضع استراتجيات [2] مدروسة، تساعد على تعايش المجموعات اللسانية داخل المجتمع الواحد.

1 . التعدد اللساني: المفهوم والأسباب.

التعدد اللغوي، والتفرع اللغوي ،التنوع اللغوي كلها مصطلحات استعملت من قبل الباحثين للدلالة على **التعدد اللساني**. والتعدد اللساني معناه استعمال الفرد الواحد لأكثر من لسان، أو تداول أكثر من لسان واحد في المجتمع الواحد. بصورة أخرى هي حالة تتمظهر على مستوى الفرد كما تتمظهر على مستوى المجتمع. "وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة

[1] Voir dans la même page : « Contrairement a ce que certain peuvent penser, cette multiplicité des langues ne définit pas des situations ou des continents particuliers, elle n'est pas spécialement l'apanage du tiers monde, des pays en voie de développement.. »

[2] على غرار ما هو معمول به في بعض الدول المتقدمة مثل كندا، سويسرا، بلجيكا. اللوكسمبورغ. هذه دول رائدة في السياسات اللغوية والتخطيط اللساني. استطاعت أن تقي نفسها - بفضل وضعها سياسات لسانية محكمة - من الانشطار ، بالعكس تعايش ألسنتها ساهم في ترسيخ تعايش بين مجموعاتها ، فانعكس ذلك إيجابا على حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ينظر: -Louis Jean Calvet- la guerre des langues-pp 153- 159-184

- Henri Boyer-introduction a la sociolinguistique-pp83-84

كالألمانية والفرنسية والألمانية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية."[1]

إن أغلب دول العالم تعيش حالة تعدد لساني، والواقع أنه حتى في حال استعمال لسانين أي في حالة ثنائية لسانية، فإن المجتمع يعيش تعددية لسانية، لذلك نجد أن أغلب الباحثين إنما يعالجون حتى ظاهرة الازدواجية والثنائية في سياق حديثهم عن التعددية.

والملفت للانتباه أن ظاهرة التعدد اللساني داخل مختلف المجتمعات ترتبط بأسباب عامة وأخرى خاصة بكل مجتمع على حدة، انطلاقا من أن لكل مجتمع ظروفه التاريخية والسياسية التي مر بها،والتي كانت سببا في تبلور هذه التعددية عنده، هذا إذا سلمنا أن كل مجتمع بداية كان يعيش حالة أحادية وعلى كافة المستويات، ثم نتيجة لظاهرتي التأثر والتأثير يتجسد التعدد.

من المعروف أن التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،والفكرية، والدينية والتكنولوجية، والصراعات المسلحة والحروب،هي الأسباب الأساسية في حدوث هذا التعدد اللساني.

المتصفح لتاريخ البشرية يجد أنها مرت بمراحل متعددة أسهمت في تشكل أمم واندحار أخرى، تآلف مجوعات أخرى ،وتلك عوامل تشجع جميعها في ظهور تعدد لساني. فكل حضارة كانت تظهر كانت تحاول صهر الأقوام الأخرى وإذابتهم فيها، سواء أتعلق الأمر بالمصريين أو اليونايين أو الفرس أو الرومانيين أو غيرهم. وفي ذلك نواة أولى لظهور تعددية لسانية لأن الحقائق التاريخية تفيد بما لا يدع مجالا للشك أن اللسان كان هو الحامل والقاعدة الأساسية لهذه الحضارات، وكان لزاما على الأمم المستعبدة استعمال لسان هذه الحضارات، ولو ظاهريا.

---

[1] محمد الأوراغي . التعدد اللغوي . انعكاساته على النسيج الاجتماعي . ص11.

إن الحملات العسكرية والاستعمارية[1] أيضا كانت عاملا أساسيا في ظهور هذه التعددية ،حملات قديمة كانت أم حديثة ،والدليل الواضح ما تعيشه دول إفريقيا و أمريكا اللاتنية، وآسيا نتيجة لذلك. فألسنة المستعمر مازالت متغلغلة حتى الآن في الدول التي عانت منه، وشكلت رواسب فكرية وثقافية عميقة وشديدة الصلة بها صار من الصعب محوها[2] أو تجاوزها.

يلعب العامل الديني دورا رياديا أيضا في عملية التعدد اللساني والدليل على ذلك ما عاشته البشرية إبان العصور المسيحية الأولى، و ما عاشته بعدها بفضل النفوذ الذي أخذه اللسان العربي بفضل القرآن الكريم ،وامتزاج الأجناس والأمم المختلفة في هذا الدين الجديد بألسنتهم المختلفة وتأثرهم ببعضهم البعض.

إضافة إلى ذلك كله ونتيجة للتحولات الاقتصادية والتكنولوجية التي يشهدها العالم المعاصر فرضت تعددية لسانية ،انطلاقا من أنه صار لزاما على كل المجتمعات أن تتكيف ولو نسبيا مع أوضاع جديدة وتتأقلم مع واقع فرض عليها التفتح على ألسنة صارت ضرورية في التواصل الاستراتيجي في الوقت الحالي، على غرار الإسبانية والإنجليزية والبرتغالية وغيرها من الألسنة النافذة.

كذلك ساهمت موجات الهجرة المتواصلة على مدى العصر الحديث والمعاصر في تبلور تعددية لسانية، داخل المجتمعات المهاجر إليها، فما من بلد أوروبي أو أمريكي إلا ووجد فيه عدد لا يستهان به من المهاجرين الذين يشكلون تجمعات لسانية، يصبح من الضروري أن تتأقلم مع واقع لساني جديد، ومن أمثلة ذلك العائلات المغاربية في أوروبا وخصوصا فرنسا، والأسيويون في أمريكا، وكذلك هنود أمريكا الجنوبية، الأتراك في ألمانيا وغيرها من الحالات الكثيرة.

---

[1] لقد بلور الاستعمار الحديث خريطة جغرافية، وأخرى لسانية مختلفة تماما عما كانت عليه. ونفوذ فرنسا الاستعمارية والبرتغال في إفريقيا ،والاستعمار البريطاني في إفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية ،والاستعمار الاسباني والبرتغالي في أمريكا الجنوبية، دليل حي على ذلك.

[2] مثال ذلك مكانة اللسان الفرنسي في دول المغرب العربي، الذي صار بعض الأحيان يزاحم اللغة العربية.

وإذا كانت هذه هجرات طوعية فإن هناك هجرات قصرية مفروضة ،على غرار آلاف اللاجئين الموجودين في كافة بقاع العالم ،والذين نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات التي يلجأون إليها ستتأسس تعددية لسانية ، والأمثلة التي يمكن سوقها في هذا المجال كثيرة.

إننا ونحن نتحدث عن التعدد يجب أن نضع نصب أعيننا أن الألسنة هذه ليست على درجة واحدة، وذلك تبعا لبنيتها ونظامها، واتساعها الاجتماعي، وقدرة تأثيرها وهكذا. ومن هذا المنطلق سيصنف بعض المختصين الألسنة إلى ثلاثة أصناف: **ألسنة كبرى وألسنة ناشئة وأخرى هجينة**[1].

من الصنف الأول ما يصطلح عليه البعض بالألسنة العالمة ،وهي ألسنة كانت حاملة لحضارات، وحاملة لقسم روحية دينية، أو كانت حاملة للمعارف الإنسانية عرفت امتدادا عبر التاريخ، ورقعة الحديث بها متسعة بصورة تجعل مجتمعات كثيرة تتحدث بها ف" تكون من جهة وظيفتها ،واصفة لبيئتها الحضارية وناقلة لأشكال المعارف الدينية والفكرية المتشعبة إلى الفنية والعلمية بقسميها النظرية والعملية وناشرة لإحدى الثقافات المؤسسة عقديا والرائجة بين مجتمع أو أكثر محدد جغرافيا."[2]

إضافة إلى ذلك هي ألسنة تعرف تجانسا في نظامها البنيوي، على كافة المستويات، تتحدث بها مجموعة كبيرة من الأفراد، ويحترمون معاييرها الصرفية والنحوية "وهي تختص بخصائص بنيوية مطابقة لمميزات اجتماعية. فهي من حيث البنية تمتاز، فضلا عن إمكان إدراجها في نمط لغوي معين باكتمال نسقها والاستعمال الواسع لإمكاناته التوليدية "[3]. ومن أمثلة هذا الصنف اللسان العربي واللاتيني والإغريقي، وغيره من الألسنة الكبرى الحالية.

---

[1] يعتمد هذا التقسيم محمد الأوراغي في مؤلفه التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. عد إلى ص ص23ن24

[2] محمد الأوراغي . التعدد اللغوي . انعكاساته على النسيج الاجتماعي . ص23

[3] المرجع نفسه ص23

أما الصنف الثاني فهي ألسنة ناشئة، تنشأ في معظمها عن الاحتكاك بألسنة أخرى ،تطبعها الشفوية، لا تجسد كتابة، بنيتها مهلهلة، لا معايير تضبط مستوياتها، تغلب عليها العفوية والارتجال، والملاحظ أن أغلب العاميات شديد الصلة بهذا الصنف."فهي تتميز نسقيا بصعوبة إدراجها في نسق لغوي، وبوجود خانات فارغة في مكونيها الصرفي والتركيبي.. وبفقر معجمها المرتبط مداخله بالحرف اليدوية والمبادلات الضرورية للحياة الاجتماعية البسيطة..."[1]. ومن أنواع هذا الصنف لهجات بعض القبائل التي اندحر بعضها، وما يزال بعضها قائما لكن في نطاق ضيق جدا.

الصنف الثالث ونشأ نتيجة موجات الاستعمار وحملات الرق، والتجارة ،يجسد هيمنة من نوع خاص واحتكاك نتيجته هذه الألسنة، على غرار ألسنة الكريول Creole والبيدجين Pidjin والسابير Sabir وغيرها. التي جاءت نتيجة التأثر بألسنة كبرى مثل الفرنسية والعربية والإنجليزية والإسبانية وغيرها.

إن ما يعيشه العالم،وما عاشه سابقا،يؤكد ما نقول، بالنظر إلى أن الألسنة صارت تحظى بأهمية استراتجية؛ وذلك تبعا لبعض المواصفات التي تتحقق فيها، وتبعا لوظائفها ،والدليل الواضح على ذلك مكانة ألسنة مثل الإنجليزية والإسبانية والفرنسية في العالم ولذلك"لا يمكن على الإطلاق تصور وجود خمسة آلاف لغة تحظى بالقيمة نفسها والأهمية التجارية والاستخدامات ،بل تنتظر المصير ذاته ،فإننا نعتقد في وجود ما يسمى ببورصة اللغات [2] التي تشهد تطور قيمة اللغات وتغيرها وما إلى ذلك من أمور تشبه ما تتعرض له الأسهم التجارية في بورصة الأوراق المالية."[3]

---

[1] المرجع نفسه ص24

[2] تقترب هذه الفكرة إلى حد ما من مفهوم العالم بيير بورديو بشأن السوق اللغوي.

[3] جون لويس كالفيه . إيكولوجيا لغات العالم . ترجمة باتسي جمال الدين . ص 18

ثم إن الحقيقة التي لا مناص منها هو أن ترسيم الألسنة ،واختيارها للتعليم وتفعيلها في سياسات لسانية لمجتمع ما إنما يرتبط بقيمتها هذه التي نتحدث عنها. فاختيار الإنجليزية لسانا أجنبية أو ثانيا لتعليمه وتعلمه ،شديد الصلة بما نقول، والتركيز على العربية أيضا، والاختيار النفعي البراغماتي قد يتجاوز في كثير من الحالات حتى الاختيار المبني على الهوية أو ذلك المبني على جوانب إيديولوجية محضة.

إن ظاهرة الانفتاح اللساني الذي تشهده المرحلة الحالية شديد الصلة بهذا المجال أيضا، خاصة في ضوء التطور الرهيب لوسائل الاتصال ،مقولة العالم قرية صغيرة أصبحت تتأكد يوما بعد يوما، وأصبحت الألسنة سلاحا ضروريا للتأقلم مع هذا الوضع الجديد، ومسايرته، لأنها الطريقة الوحيدة التي صارت تمكن الفرد من الاندماج والتكيف مع هذه التحولات السريعة.

يحتضن العالم حالات تعددية مختلفة ،تستوجب كل منها معالجة معينة، لذلك نجد أنه مع السنوات الأخيرة، أصبح اللسان يكتسي أهمية أكثر من أي وقت مضى، ذلك لأن القضايا السياسية المتعلقة بالأقليات ،تحولت إلى قضايا استراتجية. وأصبح العالم يعيش انقسامات ،يكون اللسان أحد أسبابها الرئيسة باعتبار تجسيده لهوية الشعوب والمجموعات ووجودها، وتموقعها في هذا العالم. لذلك كله يصبح اختيار لسان رسمي في مجتمع متعدد الألسنة أمرا يجب الاحتياط له كثيرا.

2 . بين الهوية و اللسان:

المعروف أن الهوية هي المظاهر الفكرية و الثقافية والروحية التي من خلالها يتميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات، والملامح التي تعكس طريقة حياته وعاداته ومعتقداته، والقيم والمثل والمفاهيم الحضارية التي عبرها تتبلور شخصيته و يتجسد انتماؤه،و تتأسس ذاته التي تستمد خصوصيتها من مقابلتها الآخر واختلافها عنه. ولعل أهم مظهر لتجسيد هذه الهوية هو اللسان،كونه يشكل

العامل الأساسي في تكوين الأمة،وربط نفوس الأفراد فهو " *مرآة* الشعب ومستودع تراثه وديوان أدبه و سجل مطامحه وأحلامه وأفكاره وعواطفه ،وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده "[1]. لذلك يتشبث كل مجتمع بلسانه، ويبقى عالقا في وعيه الجمعي، ويصبح هو لسان وجوده وعامل بقائه، وسبيل دوامه، ومظهر تميزه، واختلافه عن الآخر، ومن خلال توظيف المجتمع للسانه نتبين شخصيته وحضارته، بعبارة أخرى ،به تتجلى وتتضح ذاته التي تنعكس على طبيعة تفكير الفرد ."وهذا ما يجعلنا نقول واثقين إن الفرد يندمج في المجتمع باللغة التي تلعب دور القلب النابض، محركا وموحدا ،فيها وحدها يتلقى تراث أمته الفكري والوجداني والأخلاقي والديني والاجتماعي والسياسي"[2]. ونتيجة لكل ذلك يصبح للسان الدور الأبرز في الدفاع عن الذات، وعن الوجود، من خلال محاولة تجسيد الهوية ،وإبراز ملامحها أمام الآخر، ولذلك كانت هذه "وبلا منازع أبرز السمات الثقافية، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا ،حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية."[3]

لقد اعتبرت حالة أحادية اللسان [4] في بعض المجتمعات إلى وقت قريب الحالة الطبيعية التي يجب أن تسود داخلها. أما التعدد اللساني فنظر إليه دوما

---

[1] جميل صليبا . تعريب التعليم بين القائلين به والمعارضين له . في مجلة العربي عدد 182 يناير 1974 ص120

[2] عبد المجيد زراقط . اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى اصطناع العامية لغة بديلة . مجلة المنطلق العدد 78 لبنان يونيو 1991 ص64

[3] علي نبيل . الثقافة العربية وعصر المعلومات ،عالم المعرفة ،العدد276 الكويت 2001 ص228 .

[4] تستعمل الأحادية اللسانية ، التفرد اللغو ي ، ويقابلها، monolinguisme ، أما الثنائية اللسانية والتعدد اللساني فغالبا ما يعالجان في السياق نفسه ، فيقابلها في أغلب الحالات plurilinguisme أو multilinguisme ، ومنه يستعملان للدلالة على حالات الثنائية والازدواجية bilinguisme

« par bilinguisme ou plurilinguisme ,il faut entendre le fait générale toutes les situations qui entrainent un usage , généralement parlé et dans et dans certain cas écris, de deux ou plusieurs langues par un même individu et un même groupe».

Voir :- A.Tabouret-Keller -plurilinguisme et interférences-dans la linguistique: guide alphabetique ,Denoel 1969.p309. « les termes les plus répandus Pour designer aussi bien une situation de contact de langue que l'individu ou le groupe, qui utilisent deux ou plusieurs langues sont ceux de

على أنه حالة اختلال. الأمر الذي خلق حالات احتقان في هذه المجتمعات، بالنظر إلى أن بعض المجموعات اللغوية رأت في اعتماد الدول أو المجتمعات . التي كانت تعيش فيها لسانا واحدا، ضربا من تهميشها ومساسا بهويتها والأكثر من ذلك عدم الاعتراف بوجودها أصلا. والمجتمعات الكثيرة التي لم تعالج هذه الظاهرة بطرق تضمن التعايش بين المجموعات داخل المجتمع الواحد، رأت وحدتها وتماسكها الاجتماعي مهددا بالانهيار إن لم ينهر بعضها

في المجتمعات البسيطة الأحادية اللسان ،يبدو تقاطع اللسان مع الهوية أمرا محسوما ،انطلاقا من أن اللسان يتمظهر في صورة واحدة، ينطلق فيها من الهوية ويعود إليها، اللسان الثابت ،الشخصية، الوطني ثم الرسمي. وهذه الحالة نادرة الوجود في عالمنا ،باعتبار أنه حتى في بعض المجتمعات التي ينظر إليها على لأنها أحادية، يتمظهر اللسان على مستويين: الفصيح والدارج أو الكلاسيكي والعامي،ويلاحظ نوع من التباعد بينهما نتيجة تأثيرات عدة ترتبط بطبيعة اللسان في حد ذاته ،مدى تماسكه وقوته، وأثره وتأثره بالألسنة الأخرى ،خاصة في المجتمعات الحديثة الاستقلال، التي تعاني من رواسب الاستعمار، فرغم اعتمادها لسانا رسميا واحدا، إلا أنه بسبب عدم التخطيط اللساني الجيد ،واعتماد سياسات لغوية غير سليمة،تغلب عليها الارتجالية،وعدم وجود ظروف سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية مناسبة ،ونتيجة التخلف الاقتصادي ،يزداد التباعد بين الرسمي وما يوجد في الواقع. هذا التباعد يحدث خللا في انسجام الأنا مع الذات ،نتيجة الانبهار بالآخر، بلغة الآخر، وفكر الآخر، الآخر الحضارة، التقدم والآخر الحرية.

3 . مظاهر العلاقة بين اللسان الرسمي و الهوية في ظل التعددية:

---

bilingue et de bilinguisme, termes qui tendent a être supplantés par les termes les plus généraux de plurilingue et plurilinguisme.»
Voir :- Christian Baylon- sociolinguistique-p146

كل شيء في المجتمعات المركبة متعدد ،الثقافة ،الأعراف والتقاليد، وحتى المعتقدات . في كثير من الحالات . ،بعبارة أخرى عوض الهوية الواحدة تصبح الهويات وعوض اللسان الواحد تصبح الألسنة. وفي هذا المجتمع المتعدد الألسنة تشكل تمظهرات اللغة تجسيدا واضحا للأنا والآخر ،علاقات تخضع للتجاذب حينا ،والتصادم حينا آخر ،يؤسسها تموقع لسان مقابل الألسنة الأخرى، إما انطلاقا من مكانته السيادية المتحكمة في الأمور الرسمية للمجتمع ،أو اعتماده كرافد أساسي لها، أو خضوعه لها وعدم اعتماده فيه أساسا.

وتبعا لهذه العلاقات تطفو إلى السطح قضية الانتماء والهوية، وتتفاعل إما سلبا أو إيجابا،وتؤخذ مطية وشعارا أو سلاحا لإثبات الذات أمام الآخر . وتبعا لذلك كله يصبح اختيار لسان رسمي لمجتمع من هذا النوع أمرا غير محسوم مسبقا،بل بالعكس تتجاذبه مجموعة من الحسابات والخلفيات،ويصير إذا لم يخضع إلى تخطيط لساني مبني على أسس سليمة محفوفا بالمخاطر ،بالنظر إلى التركيبة الإثنية المعقدة لبعض المجتمعات. وتبعا لحساسية علاقات هذه التركيبات يأخذ الأمر بعدا آخر ،كثيرا ما يقترن بالهوية والوجود و الانتماء. وقليلة هي المجتمعات من هذا الصنف التي تعتمد لسانا رسميا واحدا، دون أن يؤثر ذلك سلبا على الحياة السياسية فيها.

إن بحثا واستقصاء متواضعين جعلانا نقف أمام حالات تمظهرات كثيرة للسان الرسمي في علاقته بالألسن الأخرى في هذه المجتمعات. ولأنه من الصعب التطرق إليها جميعها في هذه المقام، ارتأينا أن نحصرها في ثلاث حالات متباينة: حالتين عامتين وحالة استثنائية. والحالتان العامتان هما:

1 . حالة توافق : Situation de consensus

1 . تكون الألسنة الوطنية جميعها ألسنة رسمية ،حفاظا على تعدد هويات المجتمع، وفي هذه الحالة تحتفظ كل مجموعة إثنية بلسانها. عنوان هويتها ،ولكنها تتوافق مع الآخر، تقبله، وتتكامل معه، حفاظا على الهوية الوطنية للوطن

الواحد. ورغم أن هذه الحالة لم تجسد في بعض الدول إلا بعد كفاح طويل وطول نفس نتيجة سيطرة وتسلط لسان واحد على الألسنة الأخرى ،إلا أنها جنبت هذه الدول التفكك والتصدع ،كونها خضعت لتخطيط لساني صارم، سخرت له كل الإمكانيات حتى ينجح. والأمثلة على هذا النوع كثيرة ،لعل أهمها ما يحدث في سويسرا، أين تتكامل الألسنة الفرنسية والإيطالية والألمانية باعتبارها ألسنة وطنية اعتمدت جميعها كألسنة رسمية لهذا البلد. والأقرب منها بلجيكا أين رسم اللسان الفلاماني بعد أن كان اللسان الفرنسي هي المسيطرة. فرأى الفلامندر [1] أن في ذلك انتقاصا من شأنهم وتهميشا لهويتهم ،وكان لهم ما أرادوه بعد طول مطالبة لإثبات الذات، والوجود ،وعدم القبول بالذوبان في لغة وثقافة وهوية الغير.

ب . يوجد في بعض الدول عدد لا يحصى من الألسنة واللهجات ،وهي حالة يصعب معها اعتماد لسان من هذه الألسنة الوطنية لسانا رسميا ،أو التفريط في لسان آخر وتهميشه، نظرا لتشبث كل مجموعة بلسانها وعدم توفر الشروط العملية والعلمية لجعل هذه الألسنة ألسنة رسمية ،وعدم توافر الإمكانيات الكافية لذلك. في هذه الحالة لجأت بعض الدول إلى اعتماد لسان دخيل كلسان رسمي ،فاختارت لسان الاستعمار، فأحدث ذلك توافقا بين الألسنة المحلية الأخرى.

وبعض الدول الإفريقية مثال حي لذلك،ومنها السينغال التي يوجد بها حوالي ستة ألسنة وطنية: "الولوف Wolof والبال Peul والسيرير Sereer والمانديغ Manding والديولا Diola والبلانت Balante"[2] إلا أنها اعتمدت اللسان الفرنسي كلسان رسمي لتحافظ بذلك على انسجامها الإثني، وإن كان في ذلك جنوح للآخر على حساب الذات، وما يحمل ذلك من تبعية فكرية.

---

[1] وعلى الرغم مما تحصل عليه هؤلاء إلا إن السنوات الأخيرة تنبئ بتصدع بلجيكا بالنظر إلى الأبعاد التي أخذها الصراع بين الوالون والفلامندر، إذ ينذر هؤلاء الأخيرين بتشكيل وحدة إقليمية خاصة بهم.

[2] Jean Louis Calvet-sociolinguistique-p98

ج . وهي حالة تشبه إلى حد بعيد الحالة السابقة ،إلا أنها تختلف عنها في اعتماد لسان رسمي لا يحمل خصوصيات وطنية فحسب،بل حتى إقليمية و جهوية . والواقع أن هذه الحالة تشكل حالة نادرة بالنظر إلى أن التعامل مع اللسان يكون له أكثر من دلالة. دلالة الانتماء إلى العرق ،إلى المكان وإلى الهوية في مفهومها الجمعي الواسع،وفي هذه الحالة نجد اللسان المستعمل عنوانه التحدي وإثبات الذات، لأنها لا تمتلك جميع مواصفات الألسنة الرسمية الأخرى ولا تتوافر على جميع الإمكانيات المتوفرة لغيرها. ورغم ذلك تحاول أن تجد لها مكانا سياديا عوض أن تبقى تابعة ويبقى معها المجتمع كله مجتزئ الهوية. ولعل أحسن مثال لذلك اعتماد اللسان السواحلية في تنزانيا. يرى بعض المختصين "أن أفضل الأمثلة الحديثة ما يقدمه اتخاذ اللغة السواحلية اللغة الوطنية في تنزانيا في شرق إفريقيا ولايزال ثمة عدد كبير من اللغات القبلية بالإضافة إلى الآثار الاستعمارية الانجليزية ،ولكن أنظمة التعليم والتشريع والحكومة أدخلت بالتدريج اللغة السوحلية لتصبح لغة رسمية"[1].

2 . حالة صراع وتصادم: Situation conflictuelle

قد يصبح اللسان الرسمي رديف الإقصاء والتهميش ورفض الغير عندما يأخذ طابع السلطة ،دون احترام خصوصيات الآخر،أو الاعتراف بهويته فيصبح الدفاع عن اللسان والثقافة شعار الدفاع عن الوجود وإثبات الذات فيبدأ الصراع فيأخذ منحى يتسبب في حالات المواجهة والتصادم . "وهناك صراع لساني عندما تتواجه لسانان واضحا الاختلاف ،لسان هو المهيمن سياسيا في الاستعمال الرسمي والاستعمال الشعبي . ولسان آخر مهيمن عليه ."[2] وتبقى معه بؤر التوتر على غرار ما يحدث في بعض الدول من أمريكا الجنوبية والهند وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي يبدو فيها انسجام لساني ظاهريا."يفترض أن بلدا كالولايات

---

[1] جورج يول . معرفة اللغة . ص236

[2] C.Baylon –sociolinguistique- Nathan.vuef 2002-p15

المتحدة الأمريكية مجتمع منسجم اللسان حيث يتحدث كل فرد فيها بالإنجليزية.وهذه نظرة خاطئة لأنها هي تتجاهل وجود مجموعات كبيرة ليست الإنجليزية لسانهم،ومن الأمثلة على ذلك سكان سان أنطونيو وتكساس الذين يفضلون سماع برامج الإذاعة الإسبانية بدلا من الإنجليزية. "[1] ذلك أن أصول عدد كبير من الأمريكيين من أمريكا اللاتنية ،خصوصا المكسيك والبرازيل والأرجنتين وكوبا وغيرها.

أما الحالة الاستثنائية فهي حالة نادرة في وقتنا الحالي لأنها تتعارض ومنطق التعددية اللسانية وتتمثل في:

3 . حالة انسجام :Situation de cohésion

وفيها يكون اللسان هو المعتقد ،الهوية نفسها ،الغاية ،الذات المنشودة، أكثر من ذلك، هو المصير الذي معه لا معنى للأنا الفردي الذي يذوب في الأنا الجمعي . ويتفرد بهذه الحالة ما يحدث في فلسطين المحتلة في الجزء المسمى إسرائيل"الدولة الصهيونية الغاصبة" أو الدولة العبرية. ولربما هي الحالة الأولى التي يختزل فيها المتعدد في الأنا الواحد . فعليا وعمليا . فرغم تعدد التركيبات الاجتماعية الوافدة إليها، وتعدد الألسنة باعتبار البلدان التي هاجرت منها، إلا أنها تصبو جميعها لتوظيف اللسان العبري بل والأكثر من ذلك تحرص هي نفسها على ذلك . عدا عرب فلسطين المسلمين والمسيحيين الموجودين داخل إسرائيل . "فبالرغم من عدم انتشار العبرية على نطاق واسع بين السكان في إسرائيل فقد اختاروها لتكون اللغة الحكومة الرسمية "[2]. فاللسان الرسمي هنا هو المعتقد ،هو الهوية، والجامع كونها الخصوصية والمميز عن الآخر، وهو عنوان الوجود.

---

[1] جورج يول . معرفة اللغة . ص236

[2] جورج يول . معرفة اللغة . ترجمة محمود فراج عبد الحافظ ،دار الوفاء، الاسكندرية، ص236

تبقى هذه الحالات عالقة ،طالما لم يعتمد لحلها سياسة وتخطيط لساني يأخذ بالحسبان الآخر، الذي يرى في دفاعه عن لسانه، دفاعه عن هويته، عن مكوناته الشخصية وخوفه من فقدها والذوبان في الآخر.

الخاتمة:

ما ينبغي أن نشير إليه في الأخير هو أن الطرح السليم لقضية التعدد اللساني في المجتمعات المركبة يجب أن لا يجنح دوما إلى الذاتية والارتجالية، بل يجب أن ينظر إليه دوما نظرة موضوعية يعالج فيها من منطلق علمي منهجي، وتخطيط لساني يأخذ في الحسبان مكونات أمة ما ،بجميع أطيافها قصد خلق انسجام وتوافق يسمح للفرد أن يجد ذاته الخاصة في الذات الجمعية ،وخلق آليات تسمح بالتفتح على ألسنة الغير والاستفادة منها دون مركب نقص.

« le monde est plurilingue , c'est un fait et l'histoire linguistique, qui est l'un des aspects de l'histoire du monde, est en grande partie constituée par la gestion du plurilinguisme »[1]

القول لأحد أكبر المختصين في التخطيط اللغوي و السياسات اللغوية ، الفرنسي لويس جان كالفي .

Voir : Louis Jean Calvet- la guerre des langues –Hachette littératures-199.p43

[1] Voir dans la même page :
« Contrairement a ce que certain peuvent penser, cette multiplicité des langues ne définit pas des situations ou des continents particuliers, elle n'est pas spécialement l'apanage du tiers monde, des pays en voie de développement.. »

[1] . على غرار ماهو معمول به في بعض الدول المتقدمة مثل كندا ، سويسرا ، بلجيكا. اللوكسمبورغ.

هذه دول رائدة في السياسات اللغوية والتخطيط اللساني. استطاعت أن تقي نفسها -بفضل وضعها سياسات لسانية محكمة- من الانشطار ، بالعكس تعايش ألسنتها ساهم في ترسيخ تعايش بين مجموعاتها ، فانعكس ذلك إيجابا على حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ينظر:

-Louis Jean Calvet- la guerre des langues-pp 153- 159-184

- Henri Boyer-introduction a la sociolinguistique-pp83-84

[1]. محمد الأوراغي . التعدد اللغوي . انعكاساته على النسيج الاجتماعي . ص11

[1] . لقد بلور الاستعمار الحديث خريطة جغرافية ،وأخرى لسانية مختلفة تماما عما كانت عليه . ونفوذ فرنسا الاستعمارية والبرتغال في إفريقيا ،والاستعمار البريطاني في إفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية ،والاستعمار الاسباني والبرتغالي في أمريكا الجنوبية ،دليل حي على ذلك .

[1] . مثال ذلك مكانة اللسان الفرنسي في دول المغرب العربي ،الذي صار بعض الأحيان يزاحم اللغة العربية.

[1] . يعتمد هذا التقسيم محمد الأوراغي في مؤلفه التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. عد إلى ص ص23ن24.

[1] . محمد الأوراغي . التعدد اللغوي . انعكاساته على النسيج الاجتماعي . ص23

[1] . المرجع نفسه . ص23

[1] . المرجع نفسه ص24

[1] . تقترب هذه الفكرة إلى حد ما من مفهوم العالم بيير بورديو بشأن السوق اللغوي.

[1] . جون لويس كالفيه . إيكولوجيا لغات العالم . ترجمة باتسي جمال الدين . ص 18 .

[1] . جميل صليبا . تعريب التعليم بين القائلين به والمعارضين له . في مجلة العربي عدد182 يناير 1974 ص120

[1] . عبد المجيد زراقط . اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى اصطناع العامية لغة بديلة . مجلة المنطلق العدد78 لبنان يونيو 1991 ص64

[1] . علي نبيل . الثقافة العربية وعصر المعلومات ،عالم المعرفة ،العدد276 الكويت 2001 ص228 .

[1] . تستعمل الأحادية اللسانية ، التفرد اللغو ي ، ويقابلها monolinguisme, ، أما الثنائية اللسانية والتعدد اللساني فغالبا ما يعالجان في السياق نفسه ، فيقابلها في أغلب الحالات plurilinguisme أوmultilinguisme ، ومنه يستعملان للدلالة على حالات الثنائية والازدواجية bilinguisme

« par bilinguisme ou plurilinguisme ,il faut entendre le fait générale toutes les situations qui entrainent un usage , généralement parlé et dans et dans certain cas écris, de deux ou plusieurs langues par un même individu et un même groupe . ».

Voir :- A.Tabouret-Keller -plurilinguisme et interférences- dans la linguistique :guide alphabetique,Denoel1969.p309.

« les termes les plus répandus..Pour designer aussi bien une situation de contact de langue que l'individu ou le groupe, qui utilisent deux ou plusieurs langues sont ceux de bilingue et de bilinguisme, termes qui tendent a être supplantés par les termes les plus généraux de plurilingue et plurilinguisme. »

Voir :- Christian Baylon- sociolinguistique-p146

[1] . وعلى الرغم مما تحصل عليه هؤلاء إلا إن السنوات الأخيرة تنبئ بتصدع بلجيكا بالنظر إلى الأبعاد التي أخذها الصراع بين الوالون والفلامندر ،إذ ينذر هؤلاء الأخيرين بتشكيل وحدة إقليمية خاصة بهم .

[1] . Jean Louis Calvet-sociolinguistique-p98.

[1] . جورج يول . معرفة اللغة . ص236

[1] . C.Baylon –sociolinguistique- Nathan.vuef 2002-p15

[1] . جورج يول . معرفة اللغة . ص236

[1] جورج يول . معرفة اللغة . ترجمة محمود فراج عبد الحافظ ،دار الوفاء ،الاسكندرية،ص236

المداخلات التي ألقيت في الورشة

الندوة الدولية حول:

التعدد اللساني واللغة الجامعة

نتائج ومقترحات

في إطار سلسلة اللقاءات التي دأب المجلس الأعلى للغة العربية على تنظيمها بهدف ترقية استعمال اللغة العربية وتطويرها، نظم ندوة المجلس دولية موضوعها: " **التعدد اللساني واللغة الجامعة**" بإقامة الميثاق بالجزائر أيام 10،11، 12 أفريل 2012، شارك فيها نخبة من الشخصيات الوطنية والثقافية، وساهم فيها علماء وباحثون مشهود لهم بالكفاءة في مجالات علوم اللسان وفقه اللغة، من 20 جامعة من داخل الجزائر ومن مخابرها العلمية من: الطارف، أم البواقي، قسنطينة، باتنة، سطيف، تيزي وزو، البويرة، الجزائر، البليدة، المدية، الشلف، المسيلة، ورقلة، أدرار، بشار، سعيدة، تلمسان، وهران، مستغانم، غرداية، ومن المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر، ومركز الدراسات الاجتماعية والثقافية بوهران ومن خراج الوطن من: المغرب وتونس والنيجر والسودان والإمارات وقطر والسعودية والهند وألمانيا، حيث قدّم الباحثون والمختصون 42 مداخلة توزّعت على سبع جلسات وورشة علميّة تداولت حول موضوع "**العربية في ظل العولمة**"

وبعد النقاش الواسع الذي أعقب مختلف الجلسات العلمية خلصت الندوة إلى المقترحات التالية:

1- مواصلة مسعى المجلس المبني على منهجية علمية في نشر اللغة العربية وترقية استعمالها في الإدارة والمحيط بتقديم وسائل الدعم للقطاعات التقنية المتخصصة في استعمال اللغة العربية.

2- تنسيق الجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية الجامعة لاستيعاب المعارف وتوظيفها محليا، مما يجعلها تواكب حركة التقدم العلمي والتكنولوجي.

3- ترقية التعامل باللغة العربية الجامعة في قطاعات التربية والتكوين والإدارة والخدمات والمحيط بوجه عام.

4- التنبيه إلى التهجين التلوث اللغويين والحد من استفحالهما في التخاطب ، وفي وسائل الإعلام والاتصال من

خلال استثمار النشاط الجمعوي الجواري للتحسيس بخطورتهما على اللغة الجامعة وعلى انسجام المجتمع.

5- اعتماد أكثر من لغة أجنبية في التعليم ، وتحديد وظائفها في باقي المجالات دون تفضيل أية لغة أجنبية عن الأخرى لتبقى القطبية للغة الجامعة، وإعادة النظر في تأجيل تدريس اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الإبتدائي.

6- إنجاز البرامج الإلكترونية بالعربية وإدراجها في الشابكة ليتسنى لمستعملي العربية على الشابكة من استعمال عربية وسطى سليمة للقضاء على اللغة الوهمية التي بدأت تنتشر في وسائط الإعلام والاتصال.

7- الاهتمام بالمصطلح العلمي من خلال إنجاز أدلة وظيفية في مختلف المجالات لتسهيل عملية استعمال العربية في القطاعات التقنية والخدماتية.

8- دعوة المجلس الأعلى للغة العربية إلى مواصلة عقد مثل هذه الندوات العلمية التي تساعد الباحثين على عرض مقارباتهم العلمية وبحوثهم الهادفة إلى تطوير اللغة العربية باعتبارها لغة جامعة وطنيا ومغاربيا وعربيا وإسلاميا.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية

- أصحاب المعالي والسعادة والفضيلة؛
- الأساتذة رواد العلم والمعرفة اللغوية؛
- الحضور الموقر.

السلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

نحن المشاركين في الندوة الدولية حول:" التعدّد اللساني واللغة الجامعة"

المنظّمة **من قبل المجلس الأعلى للغة العربية** أيام: 10-11 و 12 أبريل 2012 ، **بإقامة الميثاق – الجزائر**، والتي تندرج ضمن مسعى ترقية وظيفة اللغة الجامعة وعلاقتها بباقي اللغات.

وبعد الاستماع إلى المداخلة الافتتاحية للسيد رئيس المجلس الدكتور محمد العربي ولد خليفة التي أشار فيها إلى ضرورة العناية باللغة العربية باعتبارها لغةً جامعةً، وضبط وظائف اللغات الأجنبية لكونها روافد للعلم والمعرفة، في مسعى تحديث مضامين اللغة العربية، وترقية استعمالها وصولا إلى نشر المعرفة بها.

فإنه لمن بالغ سروري أن أخاطبكم نيابة عن زملائي المشاركين في هذه الندوة الدولية:

" التعدّد اللساني واللغة الجامعة " ، التي حظيت بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية، السيد عبد العزيز بوتفليقة، وتمت جلساتها بمستوى علمي من أعلى طراز، وبمساهمة الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة ومشاركة نخبة من الشخصيات الوطنية المثقفة والعالمة.

ولقد جمعت هذه الندوة كوكبةً من الأكاديميين، ومخابر البحث من أكثر 20 جامعة جزائرية ونخبة من المفكرين وعلماء اللسان من الدول المغاربية والعربية الشقيقة ومن الهند والنيجر وألمانيا، وتميزت الجلسات خلال الأيام الثلاثة بحوار جدي ونقاش ديمقراطي حول أهمية اللغة العربية في التجانس الثقافي والمجتمعي، وما يمثله التعدد اللساني من ثروة تساعد مجتمعاتنا على نقل المعارف والتكنولوجيات وتوطينها بالعربية الجامعة، وتداولها في وسائط الاتصال والتواصل في عالم اليوم.

وفي هذا الصدّد يثمن المشاركون في الندوة الموقف الرّائد للجزائر وحكمة رئيسها السيد عبد العزيز بونتفليقة في معالجة قضايا الأمة العربية الكبرى، وفي رعايتها المتميّزة للعلم والعلماء.

ويرفع المشاركون في الندوة إلى فخامته أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان على الجهود المتواصلة للتنمية الشاملة التي يحرص عليها، ويدعمون مساعيه الرامية إلى تحديث الدولة الجزائرية، وإرساء قواعد الديمقراطية المؤسّسة على العدالة

وحرية التعبير واحترام حقوق الإنسان، لتحقيق الاستقرار والأمن والرفاه للمجتمع.

وفي الأخير نشكر لكم تهيئة الظروف الخاصة بإنجاز النّدوة على هذا المستوى الرّفيع.

و نشكر لكم حسن الاستقبال، وكرم الضّيافة، ونلتقي بكم في آفاق النّهضة والتقدّم لأمتنا.

وأجدّد الشكّر والإشادة، وأحمد حسن إصغائكم، والسلام عليكم.

المشاركون في الندوة الدولية.

نيابة عنهم الأستاذ الدكتور حسن بشير

عضو المجمع السوداني للغة العربية وأستاذ بجامعة الخرطوم - السودان

موضوع الندوة الدولية حول:

التعدّد اللساني واللغة الجامعة

ينظم المجلس الأعلى للغة العربية ندوة دولية حول (التعدّد اللساني واللغة الجامعة) بهدف استكناه مزايا التعدّد اللساني كونه قائماً على تراتب لغوي أقرّه المجتمع بصيغة طبيعية من خلال اللغة الجامعة والتعدّد اللساني المتكامل، آخذاً بعين الاعتبار الأبعاد الوطنية للحفاظ على التجانس الاجتماعي والثقافي، وهذا ما تجسّد في المجتمعات المتقدّمة التي تولي اللغة الرسمية كلّ الأهمية باعتبارها اللغة المركز. وإنّ هذه المجتمعات المتقدّمة لم تنل الريادة إلاّ بفضل الاهتمام باللغة الجامعة، وتشهد التجارب الناجحة أنّه ما تقدّم بلد بلغة غيره. وبغية معالجة هذا الموضوع، فإنّ المجلس يطرح هذه الإشكالية للحوار والمناقشة من خلال الندوة التي ينوي إنجازها، التي تنظر في معالجة كيفية التدبير العلمي الناجح لبلد من البلدان في ظلّ التعدّد اللساني وأهمية اللغة الجامعة، في ظل وجود لغات أصلية وأخرى موروثة من عهود الاحتلال والحماية من منظور الوظائف التي تؤدّيها في مختلف مرافق الدولة ومؤسساتها.

يسعى المجلس من خلال هذه الندوة إلى معالجة ظاهرة التعدّد اللساني من خلال دراسة معمقة للتعدّد اللساني باعتباره ثراء لغويا وحضاريا، وفي ذات الوقت يستهدف توضيح أهمية اللغة الجامعة وتخطيط وظائف اللغات الأخرى غير الوطنية ومنزلتها في جوانبها الاجتماعية والحضارية والثقافية وفق حاجات مجتمعاتنا التي تعاني من الآثار السلبية الناجمة عن سيطرة اللغات الأجنبية وضعف أداء اللغة العربية وخاصة في مجالات البحث العلمي والترجمة والتكنولوجيات.

إنّ الجزائر من ضمن الدول التي تشهد هذا الإشكال اللغوي، فلا تزال بعض الانعكاسات السلبية تتمثّل في عدم التوافق اللغوي من خلال سوء توزيع مقام اللغات، ومن عدم وضع الضوابط الموضوعية للتعدّد اللساني في مفهومه، من

حيث وجود لغة مركزية جامعة، ولغة وطنية أصلية بما تمثله من آداءات متنوّعة ولغات أجنبية. وبهذا يروم المجلس معالجة هذه الإشكالية معالجة حوارية بطرحها على المختصّين، وصولاً إلى تقديم اقتراحات يُراعى فيها البعد العلمي البحت. فإلى أيّ حدّ يمكن للتعدّد اللساني أن يكون عامل ثراء؟ ومتى يكون لذلك آثار سلبية على التجانس المجتمعي والأمن الثقافي للأمة قاطبة؟ وكيف يمكن تدبير استراتيجية وطنية تتلاقى فيها أفكار النّخبة لخدمة المسألة اللغوية؟ وهل يمكن تدبير خطط إنمائية لكلّ اللغات حسب وظائفها؟ وكيف يمكن التأسيس للتراتب اللغوي التكاملي...؟. تلك هي أهم القضايا التي نأمل أن يعالجها المختصون وأهل الرأي بمقاربات علمية تجيب على التساؤلات السابقة.

. محاور الندوة:

1. تحديد المصطلحات: التعدّد اللساني . اللغة الجامعة . اللغة الوطنية . اللغات الأجنبية . التسامح اللغوي . الهيمنة اللغوية . التعايش اللغوي . الانجراف اللغوي . الاحتكاك اللغوي . اللغات الأقطاب . الازدواجية اللسانية.
2. مواصفات اللغة الجامعة؛
3. التعدّدية اللسانية: معضلة لسانية أو ضرورة اجتماعية؟
4. تجارب ناجحة للبلاد ذات التعدّد اللغوي؛
5. النخب الوطنية: اللغة الجامعة والأحادية الغوية؛
6. العولمة اللغوية؛
7. الجزائر وتدبير ثقافة التعدّد اللساني؛
8. اللغة والأمن الثقافي في المجتمعات العربية؛
9. قنوات التواصل اللغوي والترجمة؛

. شروط المشاركة:

1. أن يكتب البحث بلغة عربية؛

2. ألاّ يتعدّى حجم البحث ثلاثين (30) صفحة 31/21، بما لا يتجاوز 12000 كلمة؛

3. أن لا يتجاوز ملخص البحث 200 كلمة؛

4. أن يكتب البحث بخط simplified arabic رقم 14؛

5. أن تكون الهوامش آلية وفي آخر البحث؛

6. أن يتقيّد الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها في كتابة المقالات؛

7. أن يلتزم الباحث بالآجال المحددة أدناه؛

8. تكون كلّ المراسلات عن طريق النيت NET.

. التزامات المجلس:

. يتحمّل المجلس تكاليف الإقامة خلال أيام الملتقى وتذكرة الطائرة؛

. يطبع المجلس أعمال الملتقى، ويرسل للمحاضرين ثلاث (03) نسخ؛

. تاريخ الملتقى: 10 . 11 نيسان (أفريل) 2012.

. المكان: الجزائر

. استقبال الملخصات 31 . 12 . 2011.

. استقبال المداخلات كاملة: قبل نهاية شباط (فيفري) 2012.

. للاتّصال:

. البريد الإلكتروني: sg.hcla@gmail.com

. الناسوخ: 00.213.21.230707

. الهاتف: 00.213.21.230715

اللجنة التحضيرية

- **أ . د/ محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس**
- **أ . جيلالي علي طالب الأمين العام للمجلس**

- **أ . د/ صالح بلعيد**
- **أ . د/ عبد الجليل مرتاض**
- **أ. د/ عبد القادر فضيل**
- **أ.د/ بوزيد بومدين**
- **أ. د/ يوسف مقران**
- **أ . فتيحة خلوت**

أمانة الندوة:

- **أ. لحسن بهلول**
- **أ . زوليخة خراز**
- **أ. سهام عبد الحفيظ.**

برنامج عمل الندوة

اليوم الأول: الثلاثاء 10 أفريل 2012.

الجلسة الافتتاحية:

10:00 -09:30	كلمة الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.
10:30 -10:00	استراحة.

رئيس الجلسة العلمية الأولى: أ.د/ عبد الجليل مرتاض.

11:00 -10:30	اللسان العربي الجامع: بين التماسك والتنوع والتعدد. أ. د .عبد القادر الفاسي الفهري– جامعة محمد الخامس أكدال– المغرب.
11:30 -11:00	مؤثّرات التّعدّد اللّساني على وحدة التّفكير الإنسانيّ. د/ سعاد بسناسي– جامعة وهران.

12:00 -11:30	السّياسة اللّغويّة العربيّة منهجٌ للتّأصيل والتّطوير ومواكبة العصر. أ.د. حسن بشير – السّودان.
12:30 - 12:00	الاحتكاك اللغوي وأثره في العربية الحديثة: عربية تونس أنموذجا. أ.د/ الحبيب النصراوي – جامعة قرطاج، تونس.
13:00 - 12:30	مناقشة عامة.

الفترة المسائية

رئيس الجلسة العلمية الثانية: أ.د/ ميلود حبيبي مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

15:15 -15:00	اللغة العربية والتعدد اللساني بالمغرب العربي. أ.د/ عثمان سعدي: رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية.
15:30 -15:15	الهيمنة اللغوية. أ.د/ أحمد عزوز – جامعة وهران.
15:45 -15:30	حقوق اللغة الرسمية. أ د/ صالح بلعيد – جامعة تيزي وزو.
16:00 -15:45	التعدّد اللساني وحرب اللغات. أ/ مسيكة السنوسي – جامعة ورقلة.
16:15 -16:00	دور اللغة الجامعة في تحقيق الأمن الثقافي للبلاد العربية. أ.د/ أحمد العلوي العبدلاوي، كلية الآداب سايس فاس المغرب.
16:30 -16:15	التعدد اللساني والهوية الثقافية في الجزائر والعالم العربي. أ.د/ عبد الكريم بكري – جامعة وهران.
17:00 -16:30	مناقشة عامة.

اليوم الثاني : الأربعاء 11 أفريل 2012

الفترة الصباحية

رئيسة الجلسة العلمية الثالثة: أ.د/ سعاد بسناسي.

09:15 -09:00	معضلة التعددية اللسانية في غرب إفريقيا: المشاكل والحلول. أ.د/ علي يعقوب – الجامعة الإسلامية بالنيجر.
09:30 -09:15	التعدد اللساني في الجزائر: المداخل والمخارج والآفاق. أ.د/ محمد تحريشي – جامعة بشار.
09:45 -09:30	مسألة عولمة اللغة الإنجليزية في العالم. أ.د/ يوسف حميطوش – جامعة الجزائر 3.
10:00 -09:45	نحو منظومة محوسبة لاستكناه التعدد اللساني: تنظير وتجريب فى تقطيع العربي الأكوستيكي ودوره فى تفهم أسرار لغات الإنسان. أ. د/ محمد ثناء الله الندوي جامعة عليكره – الهند.
10:15 -10:00	التعدد اللساني في إسبانيا بين الصراع الأيديولوجي وحتمية التعايش. أ/ أمينة بوكيل جامعة قسنطينة.
10:30 - 10:15	دور التّعدّد اللّسانيّ في بناء الحضارة العربيّة: أبو الرّيحان البيرونيّ أنموذ أ.د/ لعبيدي عبد الله – جامعة البليدة.
11:00 - 10:30	مناقشة عامة.
11:15 - 11:00	استراحة.

رئيس الجلسة العلمية الرابعة: أ.د/ عبد المجيد عيساني

11:15 - 11:30	تجارب ناجحة لبلدان ذات تعدّد لغوي. أ.د/ عبد الجليل مرتاض– جامعة تلمسان.

11:30 -11:45	التعدّدية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري. أ/ سهام حساين – المركز الوطني للبحث في انتروبولوجيا الاجتماعية والثقاف
11:45 -12:00	العربية والعولمة اللغوية بين الأحادية والتعددية. أ.د/. عبد العلي الودغيري – جامعة محمد الخامس . الرباط.
12:00 - 12:15	التعدد اللغوي وأثره في تعليم العربية . أ.د.عبد الرحمن بن حسن العارف. جامعة أم القرى – معهد اللغة العربية– مكة المكرمة.
12:15 -12:30	التعددية اللسانية ضرورة اجتماعية لا لسانية. أ/ حاكم عمارية – جامعة س
12:30 -12:45	واقع التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية: نحو بديل أفضل: اللغة الجامعة. أ. د/ يوسف مقران المدرسة العليا للأساتِذة بوزريعة . الجزائر.
12:45 - 13:00	مناقشة عامة.

الفترة المسائية

رئيسة الجلسة العلمية الخامسة: أ.د/ زكية السائح دحماني.

15:00 -15:15	التعدد اللغوي في الجزائر : مظاهره وانعكاساته. أ.د/ جيلالي بن يشو – جامعة مستغانم.
15:15 -15:30	العولمة اللغوية. أ.د/ صائل رشدي شديد – كليات التقنية العليا – الإمارات
15:30 -15:45	ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر: دراسة في منظومة المصطلح وم المفهوم. أ.د/ محمد الأمين خلادي – جامعة أدرار
15:45 -16:00	التّعدد اللّساني والتّطلع نحو مجتمع المعرفة اللّغوية، أ.د/ عبد المجيد عيساني رئيس قسم اللغة والأدب العربي– جامعة ورقلة.

16:00 -16:15	تأملات ابستميولوجية في اللغة الجامعة واللغة الوطنية. أ/ مليكة النوي – جامعة باتنة.
16:15 -16:30	من اللاوعي إلى الوعي اللغوي دراسة في سبل التخلص من الآثار السلبية للازدواجية اللغوية في اللسان العامي الجزائري. أ.د/ نوار عبيدي– جامعة
16:30 -17:00	مناقشة عامة.

اليوم الثالث: الخميس 12 أفريل 2012.

رئيس الجلسة العلمية السادسة: **أ.د. صالح بلعيد.**

09:00 -09:15	المقترض في القواميس العامّة بين الغربة والاندماج. أ.د/ زكيّة السائح دحماني– جامعة منوبة – تونس.
09:15 -09:30	واقع الرأسمال اللغوي الجزائري: من التعددية إلى المزج اللغوي. أ.عمر داود – جامعة غرداية.
09:30 -09:45	إسهام التعددية اللسانية في تعليم اللغة العربية اللغة العربية لغةً جامعة. أ. د/ عبد السلام السيد حامد . جامعة قطر
09:45 - 10:00	اللغة الفصحى وقريباتها: تعايش سلمي واحترام متبادل. أ/ يمينة مصطفاي – جامعة البويرة.
10:00 -10:15	**التحكم في اللغة العربية والتحكم في اللغات الأجنبية أمران متلازمان.** أ. د. رشيدة آيت عبد السلام – المدرسة العليا للأساتذة – الجزائر.
10:15 -10:30	معوقات اللغة الجامعة في الجزائر. أ/ برو محمد و أ/ ناصر باي أعمر – جامعة المسيلة.
10:30 -11:00	مناقشة عامة.

رئيسة الجلسة العلمية السابعة: أ.د/ رشيدة آيت عبد السلام.

11:00 - 11:15	التعدد اللغوي في الجزائر ودور السياسة اللغوية في دفعه نحو الإيجابية أ.د/ عبد القادر بوشيبة – جامعة تلمسان.
11:15 -11:30	الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر. أ .د. نصر الدين بن زروق المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة . الجزائر.
11:30 -11:45	العلاقة بين اللسان الرسمي والهوية في المجتمعات المتعددة الألسن. أ.د/ ميمون مجاهد – جامعة سعيدة.
11:45 -12:00	مناقشة عامة.

الورشة العلمية: 9:00 – 11:30 في اليوم الثالث

أ.د/ أحمد عزوز رئيسا

أ/ فريدة درامنية مقررة.

المساهمون في الورشة السيدات والسادة الأساتذة:

عرجون الباتول؛ فريدة درمنية؛ طارق ثابت، آمنة عشاب؛ عائشة جمعي؛

حسن تروش؛ نسيمة نابي.

اختتام الندوة : 12:00 – 13:00

– تقرير الورشة العلمية؛

– توصيات الندوة ؛

– كلمة باسم المشاركين.

– مقرر الندوة : أ.د عبد القادر فوضيل، بمعية: أ/ **عرجون الباتول.**

- **منسقو الجلسات**: د/ صالح بلعيد، يوسف مقران، فتيحة خلوت، بوزيد بومدين

التعدد اللساني واللغة الجامعة

التعددية اللغوية ثروة ينبغي استثمارها في ترقية الجوانب المعرفية والثقافية لتحديث المضامين بمستجدات العلوم والتقانات الحديثة والمتطورة، على أن يدور ذلك كله حول اللغة العربية، بوصفها اللغة الواحدة الموحّدة، اللغة القطب، التي لا تؤخذ مكانتها، ولا يُمكن مزاحمتها، أو تُنزع عنها وظيفتها السيادية، بالرّغم مما يُكاد لها من مؤامرات.

.. ومثلما يقول المفكر الدكتور محمد العربي ولد خليفة "فقد تحالفت ضد العربية في عصرها الوسيط والراهن ثلاثة عوامل عطّلت تقدمَها، وأضعفت إشعاعَها، وأفقرت رصيدَها الإبداعي في جميع المجالات؛ أولها: ما حاق بأهلها من فتن وتخلف وجمود، وثانيها: ما تعلق منه بالاحتلال الكولونيالي والغزو الثقافي المبرمج لأوطانها، الذي غرس عقدة النقص بالذات، والانبهار بالآخر، والتقبل الطوعي للتبعية، وثالثها: تخاذل البعض من نخبها، وغفلة الكثير من أولي الأمر في أوطانها على تحريك الإرادات، وإطلاق نهضة حقيقية تحرّر العقل، وتطور مجتمعاتنا بقيادة نخب عالمة تبني مجتمعَ المعرفة الذي تنعكس آثاره الإيجابية في تنمية حقيقة ومستدامة".

وهذا ما يتضمنه مؤلّف "التعدّد اللساني واللغة الجامعة" من أفكار ومقاربات تسعى إلى تفكيك أسئلة تعدّد اللغات، وتحديد معايير اللغة الجامعة.